

وديع فلسطين

حديث مستطرد عن
الشاعر ابراهيم ناجي ورابطة الادباء

بقلم وديع فلسطين

* * *

صدرت في الاوان الاخير اربعة كتب عن الشاعر الغنائي المتدفق الشاعرية الدكتور ابراهيم ناجي ، اولها لاحمد عبد المعطي حجازي وهو مختارات من شعر ناجي مع مقدمة لصاحب الكتاب ، وثانيها للدكتور طـــه وادي ، وثالثها للدكتور علي محمد الفقي ورابعها لحسن توفيق وقد ضم فيه خمسين قصيدة مجهولة لناجي الى جانب مقدمة مسهبة عن الشاعر .

والغريب ان هذه الكتب الاربعة تتحدث عن ناجي لا حديث معرفة شخصية ، بل حديث عنعنة ، اي انهـــا اقتصرت على السماع وعلى النقل ، اما اخبار الشاعر فلم تستقصها منه ــ وهو قريب العهد بنا ــ ولا من معاصريه ومخالطيه ، بل روتها نقلا عن الذين وضعوا مؤلفات سابقة عن ناجي ، وهم الدكتورة نعمات احمد فؤاد واحمد المعتصم بالله ومحمود الشرقاوي وصالح جودت .

واقول في غير تجن على احد ، ان الكتب التي تناولت الشاعر ناجي ، اما اشارت اشارة سريعة الى « رابطة الادباء » التي كان له فيها دور ريادي نحو ثماني سنين ، واما اغفلت الاشارة اليها اغفالا تاما .

ولما كنت من الضالعين في رابطة الادباء منذ انشائها والى ان هجرتها ثم هجرها ناجي بعيدي ، فقد ارتايت ان أرسل الحديث عن هذه الرابطة وان أتطرق الى ما أعرف من أخبار ناجي وأموره في هذا الحديث المستطرد .

في عام ١٩٤٥ كنت احرر جريدة « المقطم » بعدما تركت عملي في جريدة « الاهرام » ، وكنت في الوقت عينه أمرن قلمي على الكتابة في طائفة من الصحف والمجلات ، منهـــا جريدة « منبر الشرق » التي كان يصدرها المجاهد المغبون الشيخ علي الغاياتي صاحب ديوان « وطنيتي » المشهور الذي كتب مقدمته المجاهد الوطني محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش ، فحكم على مؤلفه وصاحبي المقدمتين بالحبس ، اما الغاياتي فتسلل الى الاستانة ومنها الـــى جنيف حيث اصدر « المنبر » ثم نقله الى مصر بعد سقوط الحكم بالحبس بالتقادم واما محمد فريد جاويش فأنقذت فيهما العقوبة .

وذات صباح من شهر سبتمبر ١٩٤٥ هاتفني الشيخ الغاياتي قائلا ان لي في مكتبه بطاقة وردت بالبريد ، ورجاني ان اعرج عليه لتسلمها .

وكانت البطاقة مرسلة من رجل لم اسمع باسمه مـــن قبل هو خليل جرجس خليل (وهو اليوم ركن عزيز مـــن اركان البنيان الشعري في مصر) ونصها :

« يسر رابطة الادباء بالقاهرة ان تدعوكم الى اجتمـــاع مجلس الادارة في الساعة السادسة من مساء يوم الاحد السادس عشر الجاري (سنة ١٩٤٥) بشارع جزيرة بدران رقم ٩ » .

اذن هناك رابطة للادباء ، ولهذه الرابطة مجلس للادارة ، ولها مقر في حي شبرا . وهذه كلها أخبـــار جديدة علي ، وان كانت أخبارا لا تشبع . فما هي أهداف الرابطة؟ وممن يتألف مجلس ادارتها ؟ وما هو نشاطها ؟ هذه جميعا امور مجحبة ، ولا تعرف على وجه اليقين الا بتلبية الدعوة البريدية وان يكن موجهها مجهولا لدي .

ولم يكن ثمة ما يدعوني في هـــذا الزمن الطلق الـــى الاسترابة في هذه الدعوة . فالحياة الادبية في مصر حيـــاة مفتوحة المصاريع والنوافـــذ جميعا ، والحركة الادبيـــة ناشطة بفضل الهمة الفردية للادباء لا لاجهزة البيروقراط ، والمجتمع الادبي يستضيء بأعلام أمجاد ، لكل منهم اسم مدو في مصر وخارجها : خليل مطران بك ، عباس محمود العقاد ، الدكتور طه حسين باشا ، ابرهيم عبد القـــادر المازني ، احمد حسن الزيات بـــك ، محمد حسين هيكل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باشا ، الشيخ عبد العزيز البشري ، الدكتور منصور فهمي باشا ، الدكاترة زكي مبارك ، الدكتور أحمد أمين بـــك ، الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، الشيخ علي عبـــد الرازق باشا ، محمود تيمور بك ، فؤاد صروف ، الدكتور فارس نمر باشا ، اسماعيل مظهر ، نقولا الحداد ، الدكتور أمير بقطر ، كامل كيلاني ، توفيق الحكيم ، الدكتور محمد صبري بك السوربوني ، الدكتور ابرهيم ناجي بك ، علي محمود طه المهندس ، الدكتور بشر فارس ، علي ادهم ، عبد الرحمن صدقي ، محمد عبدالله عنان ، الدكتور محمد عوض محمد بك ، محمد فريد أبو حديد بك ، أحمد الشايب، سلامه موسى ... وما شئت من رجال مفاخر لن يجود الدهر بمثلهم في حقبة زمنية مجتمعة واحدة .

وكانت محافل الادب وندوات الادباء متصلة الانعقاد ، وكان في الصحف باب يومي هو باب « محاضرات اليوم » كنت أصابح به الجريدة لانتقي محاضرة أو اثنتين أحـــاول الاستماع اليهما في هذه القاعة أو تلك من القاعات الكثيرة المنصوبة للعلم والادب في القاهرة . ولا بأس أن أقول بين عضادتين وعلى سبيل المفارقة انني صرت اليوم أستصبح بقراءة صفحة الوفيات في الجريدة بعدما اختفى منها بـــاب « محاضرات اليوم » !

ولم يكن ليجول في خاطري ، ولو على سبيل حلم مـــن احلام الليل أو اليقظة ، ان اعرف واحدا من هؤلاء الكبار الكبار ، أو ان تقوم بيني وبين اي منهم وشيجة أو مودة . فقد كنت ما زلت في ريق العمر ، اجتهد في اكتشاف الحياة من حولي ، فترن في أذني هـــذه الاسماء المهيبة الضخام المتصلة بالخلد ، فأزداد تصاغرا في عيني نفسي . وقـــد اكرمني الله في ما بعد فعرفت هؤلاء جميعا مع تفاوت في المعرفة ، وهكذا صح لي ان ادعي الخضرمة ، وان كان موضعي الازلي من هؤلاء الاعلام هو موضع التلميذ الذي لا يغادر فصول التلمذة .

فلما جاءتني دعوة خليل جرجس خليل سألت نفسي : ما الذي اغرى خليلا على دعوتي الى اجتماع مجلس ادارة رابطة الادباء ؟ اتراه اغتـــر بشهرتي البازغة المتواضعة فضخمها واستشحم ذا ورم ؟ ام تراه توشم في استعدادا ادبيا فابتغى ان يذكيه وينميه ؟ أم تراه جمع اسماءه من الصحف خبط عشواء ، ودعا « كل من هب ودب » فكنت انا من جملة « الهابين الدابين » ؟ ولم يخل الامر من ومضة غرور : فلعل خليل جرجس خليل من المعجبين بأدبي ، فكانت دعوته الي وليدة هذا الاعجاب الاكيد !

وأيا كان الامر ، فان موعد الدعوة مناسب ، ومكانها — على بعده — يستعان علـــى بلوغه بمطية الكهرباء (الترام) . ولا بأس من رؤية وجوه لم آلفها من قبل ، ولا ضرر من « التفرج » على روابط الادباء عن كثب ، فان لم يرق لي الحال ، فاني متسلل من هذا الجو .

وتوجهت الـــى مكان الاجتماع ، فاذا هـــو غرفة متواضعة بل متداعية ، فيها مقاعد متهالكة لا يزيد عددها على عشرين رصت على هيئة دائرة ، وكان بالباب شاب عليه ملامح « الصعيد الجواني » يستقبل القادمين ويهش ويبش في وجوههم ، وهذا الشاب هو بعينه خليل جرجس خليل . وكان يستفسر من كل قادم عن اسمه ، ثم يعين له مقعدا بين الجالسين . اما انا ، فأخذت لنفسي مقعدا مجاورا للباب ، تأهبا للخروج عند الاقتضاء .

وبعد التعارف — ولم اعرف من الحاضرين الا الدكتور ابراهيم ناجي باسمه لا بشخصه ، والا كمال نشأت الذي كان مثلي في بدايات الطريق الاولى ، والا عيس متولي وكانت تعليقاته الاجتماعية والاخلاقية تملأ الصحف . اما بقية الحاضرين ، فكانوا بالنسبة الي دنيا انا جاهلها — افتتح خليل الجلسة بكلمة مرتجلة قال فيها ان فريقا من الادباء ارتأوا تأليف رابطة تجمعهم ، وانه وجه الدعوة الى عشرات منهم فلم يلبها الا هذا النفر القليل ، ثم قام بتقديم الحاضرين واحدا واحدا ، واعلن بـــدء اجراء انتخابات عضوية مجلس الادارة ، ففاز الدكتور ابراهيم ناجي برياسة الرابطة ، وفزت بوكالتها ، وفاز الخليل بمنصب السكرتير ، وانتخب غيرنا لامانة الصندوق ولعضوية المجلس . وكان هذا الانتخاب مفاجأة لي ، فمن انا حتى اكون وكيلا لناجي او عضوا في مجلس ادارة رابطة للادباء ؟

انها ورطة حقيقية ، ورطني فيها خليل جرجس خليل . كنت في بادىء الامر اتوهم ان دوري في رابطة الادباء هو على احسن الفروض دور العضو المستمع الذي يملك ان يحضر اجتماعاتها وان يتخلف عن حضورها . ولكن صار حتما علي الآن ان احمل من اعباء الرابطة ما لم اكن هيأت له نفسي ، وصار علي ان انوب عن الدكتور ناجي في ادارة جلسات الرابطة ، لا سيما وهو طبيب ذو عيادة خاصة في حي شبرا الشعبي ومواعيده يقررها مرضاه لا هو . فمتى انصرف آخر مريض من عيادته ، لحق باجتماعات الرابطة ولو في الساعة العاشرة مساء بينما هي تجتمع في حدود السابعة . وكان علـــي ان اشارك في اعداد محاضرات الرابطة الاسبوعية ومناظراتها وحلقات شعرها ، فضلا عن بحث شؤون الرابطة ومشروعاتها وميزانيتها . والحق ان هذه الامور جميعا قد هانت بفضل خليل جرجس خليل الذي كان شبه متفرغ للرابطة ، بينما كنت انا مشغولا بالتزامات الصحافة ، وكان من جملة اعمالي تدريس الصحافة في الجامعة الامريكية .

والدكتور ابراهيم ناجي تراه علـــى البعد فتحسبه ابراهيم عبد القادر المازني . فكلاهما قصير ناحل الجسم ، وكلاهما خفيف الشعر وان كانت صلعة ناجي اكبر مـــن صنوتها عند المازني ، وصوتهما متشابه ، وحركاتهما تكاد

تتطابق ، وحبهما للنكتة مشترك . ولكن المازني كان يظلع في سيره ، لكسر قديم في ساقه ، كما ان الشيب جلل فوديه، ولا كذلك ناجي .

وكان ناجي يـؤم جلسات الرابطة بغـير موعد معروف ، حتى في الايام التي كان هو فيها المحاضر الرئيسي. وكان متعدد الاهتمامات ، واسع الثقافة ، يرتجل النثر والشعر ساعات وساعات ، فلا البديهة تخونه ، ولا الذاكرة تعييه . وقـد افتتح ناجي اول برامج الرابطة بمحاضرة موضوعها « معنى الادب » يوم الاحد ١٤ من اكتوبر ١٩٤٥، وكانت اجتماعاتنا تتم دائما في مساء الاحد . وما اكثر ما حدثنا ناجي عن علم النفس وتطبيقاته في الحياة وفي الادب ، وعن آداب الغرب وادبائه ، وعن الادب العربي وقممه الشعرية ، وعن الادب ودوره في الجماعة ، وعن العوامل المنهضة للادب . اما شعره ، فكان يستظهره وكأنه يقرأ من كتاب مبسوط امامه ، فاذا انتهى من محاضرته . بدأ ينشد الشعر ويستعين بيمناه وبعينيه وبشفتيه وبكل ملامح وجهه وبصوته في تمثيل هذا الشعر ، حتى شعره الراقص كان ينشده راقصا . وكثيرا ما كان يقطع حديثه او شعره ليقول نكتة او يروي فكاهة خطرت له . وكانت له قدرة عجيبة على الاستئثار بانتباه السامعين ، وكأنهم مسمرون بعيونهم وآذانهم وكل اهتماماتهم لمتابعة ما يقول . ثم انه لم يكن يضيق بأي سؤال ، ورده جاهز ، وهو دائما رد العالم الداري الواثق من نفسه ومن علمه تمام الوثوق .

وكانت مشكلة الرابطة الاساسية هي الخصاصة . فلم يكن لهـا من موارد الا اشتراكات الاعضاء القليلين ـــ ان انتظموا في ادائها ـــ وهي اشتراكات بدأت بعشرة قروش في الشهر فلما زادت لم تتجاوز الثلاثين ، اي قرشا واحدا في اليوم ! وكان علينـا ان نستأجر للرابطة مقرا يقصده روادها ، ولكن مشكلة المال كانت تؤودنا . ومن ثم كتب علينا ان نقبل ضيافات ذوي الاريحية . فاستضافتنا السيدة سنية قراعة في مكتبها ، واستضافنا الاستاذ محمد زكي عبد القادر في مكتبه ، واستضافنا صاحب مدرسة في حي السيدة زينب ، وهكذا ظلت الرابطة تتنقل من مكان الى مكان : من حي شبرا الى حي الجيزة الى حي السيدة زينب الى وسط العاصمة الى حدائق القبة حتى استقررنا شبه استقرار في نادي موظفي الحكومة في شارع عماد الدين .

وكنا نفقد بسبب هذا التنقل المستمر جمهورا ، كما كنا نكسب جمهورا جديدا . وكان اغلب رواد الرابطة من الطلاب ومن محبي الادب . اما المحاضرون ، فقد كنا نعتمد في المقام الاول على اعضاء الرابطة في القاء المحاضرات او انشاد الشعر ـــ والى ان ماتت الرابطة لم نسمع فيها ولو مرة وحدة شيئا من الشعر الحر لانه لم يكن قد فشا بعد .

ولكننا نجحنا غـير مرة في دعوة متحدثين من الخارج ، فسمعنا محاضرة للدكاترة زكي مبارك ، واخرى للشاعرة جميلة الملايلي ، وثالثة للاستاذ الشيخ الدكتور احمـد الشرباصي ، وهلم جرا .

وكان طبيعيا ان تجري الرابطة انتخابا لمجلس الادارة في كل عام ، فكان الانتخاب يسفر دائما عـن فوز ناجي للرياسة وكاتب هذه السطور للوكالة وخليل جرجس خليل للسكرتارية الى جانب اعضاء آخرين . واذكر من الذين انتخبوا معنـا في فترات مختلفة المرحوم مبارك ابراهيم ـــ وكان اديبا ومترجما مـن الطراز الاول ادبا وخلقـا واخلاصا ـــ والسيدة سنية قراعة ، والسيدة فريدة موافي (وكانت مديرة لاحد معاهد الصم والبكم) وغيرهم . وفي احدى السنين اقترح ناجي انتخاب زكريـا مهران باشا (وهو من رجال الاعمال المثرين) رئيس شرف للرابطة ، واقمنا له حفل تكريم ، فكان هذا اول وآخر العهد برئيس الشرف !

اما المترددون على الرابطة ، فأذكر منهم الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية الاسبق ، ومحمد عبد الغني حسن والشاعر صالح شرنوبي ـــ الذي مات في شبابه تحـت عجلات قطار ـــ ومصطفى عبـد اللطيف السحرتي والدكتور كامل السوافيري وكامل كيلاني والشيخ حسن القاياتي وكمال نشأت وعلي الجمبلاطي وغيرهم .

ولئن اعترضت الرابطة في كل عمرها مشكلات مالية ، ولئن افتقرت الى مقر دائم يؤويها ، ولئن عجزت عن ان تنتظم في عضويتها عددا ملتزما من الاعضاء ، فقد كانت اجتماعاتها الادبية متصلة صيف شتاء ، وكان برنامج كل جلسة يضم ثلاثة او اكثر ، وكنا بعد ذلك نأذن للحاضرين بأن يستكملوا بنود البرنامج ، فنسمع شعرا وتعليقا منهم .

وهكذا توافرنا علـى اداء رسالة الادب في هـذه الرابطة ، وكان الدكتور ناجي برغم اعبائه المبهظة كطبيب له وظيفة في الصباح وله عيادة خاصة في المساء ، اكثرنا نشاطا . فاذا دخل القاعة ، فالمنبر له ، يحاضر منه او ينشد شعره ساعات وساعات وبلا تعب .

وذات يوم ، افتقدنا الدكتور ناجي لغيابه المفاجيء ، فقيل انه مريض . فتوجهت مـع مصطفى عبد اللطيف السحرتي لزيارته في بيته في مصر الجديدة ، وعرفنا من التلميحات التي قيلت لنا انه مريض بذات الرئة . ورأيناه في فراشه شديد الهزال ، اصفر الوجه ، لا يفارقه السعال، في عينيه جحوظ ظاهر . ولكن المحنة الصحية الشديدة تم اجتيازها بحمد الله ، وعاد الينا ناجي وهو اشد مما كان حماسة لمواصلة عمله الادبي ، غير ملتفت الى المخاطر

الصحية التي تهدده ، لا سيما وانه كان كثير السهر ، وكان يتردد على المشارب المختلفة في القاهرة الى قرب الفجر ، ثم يعود الى منزله مجهدا مسلوب القوى .

ولكن داهية اكبر كانت تنتظر « ناجي » . وقد تمثلت هذه الداهية في قرار ظالم اتخذ بفصله من وظيفته كمدير للادارة الطبية لوزارة الاوقاف متهما بعدم الانتاج ، وورد اسمه في صدر قائمة التطهير التي اعلنت . وكان لهذا القرار وقع نفسي صاعق على الدكتور ناجي الذي كان يعالج الفقراء ويمنحهم من جيبه ثمن الدواء ، والذي كان ــ كما اخبرني بذلك نقولا الحداد العالم الشهير ــ متوافقا مع صيدلية الحداد اسفل عيادته في شبرا بأن تقدم الدواء للفقراء من مرضى الدكتور ناجي وتقيد ثمنه لحساب الدكتور المعالج ! فهذا الطبيب العالم الانسان ، قد وجب تطهيره وفصله من وظيفته دون ان تتاح له فرصة للدفاع عن نفسه، ودون ان يجري اي تحقيق في هذه الفرية الظلوم التي زهدت ناجي في الحياة ولم تلبث ان صرعته صرعة الموت .

فكان طبيعيا والحال هذه ، ان يهمل ناجي رابطة الادباء ، وكنت من ناحيتي قد تخلفت عن حضور اجتماعاتها بعدما لاحظت قلة اقبال الادباء عليها وكثرة اقبال الاميين عليها . فاذا بدأ الاجتماع ، حضر اديب او اثنان ، ثم حضر عشرات لا نعرف من هم حتى اذا انتهى البرنامج جاءوا يسألوننا « فيم كان المحاضر يتكلم ؟ » واستيقنا ان هؤلاء طفيليون نمامون !

وهكذا انفضت رابطة الادباء بالهجر ، فقد هجرها وكيلها ثم سكرتيرها ، وماتت دون ان تصدر لها شهادة وفاة في عام ١٩٥٢ .

ولما سمع ناجي ان الحكومة الاسبانية قلدتني وساما رفيعا ، زارني في « المقطم » مهنئا وكتب ابياتا في هذه المناسبة . ثم انفجر باكيا كالطفل ، لا على وظيفة ضاعت منه ، بل على وصمه بأنه اهل للتطهير وايراد اسمه في اول قائمة المطهرين . وظل يجهش بالبكاء وأنا أواسيه الى ان انصرف . وكنت بعد انصرافه اتوقع قراءة نعيه في الصحف كل يوم لان حالته النفسية كانت في الحضيض ، وقدرته على المقاومة قليلة بسبب هزاله المفرط . ولم يطل انتظاري ، اذ قرأت نعيه في الخامس والعشرين من مارس ١٩٥٣ فبكيته كالطفل ، وقلت للمعزين ونحن نتبادل العزاء ، « لقد مات ناجي لا اليوم بل في التطهير » !

هذا ما كان من امر ناجي ورابطة الادباء . وقد حاول محمد ناجي ، شقيق ابراهيم ناجي ان يبعث الرابطة باسم جديد ، فاختار لها اسم « رابطة الادب الحديث » ، فتعثرت محاولاته ، ولكنها استقامت بعد وفاته عندما آلت رياسة الرابطة الى مصطفى عبد اللطيف السحرتي والى العلامة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وما زالت « رابطة الادب الحديث » تواصل نشاطها ، تتعاورها عوامل المد والجزر .

* * *

ويسوقني حديث ناجي الى الحديث عن آثاره المجهولة . فقد عثرت بين كتبي على كتاب عنوانه « من ليالي فينسيا » نصفه لناجي ونصفه لاديب آخر ، وهو كتاب لم يشر اليه احد من الباحثين في تراث ناجي .

اما شعره الضائع ، فقراء « الاديب » يذكرون انني قد نشرت في اعداد متوالية من المجلة سلسلة من المقالات اثبت فيها ما وقعت عليه من شعره المفقود . ثم جاء صديقنا محمود الشرقاوي فنشر في كتابه عن ناجي بعض قصائده المجهولة ، ولو رجع الى فصولي لعرف انني سبقته الى نشرها . واخيرا جاء حسن توفيق في كتابه « ابراهيم ناجي ــ قصائد مجهولة » فجمع لناجي خمسين قصيدة ، واحدة منها سبق لي ادراجها في فصولي ، اما بقية القصائد فهي حصيلة اجتهاد المؤلف .

والغريب ان حسن توفيق لم يشر في كتابه بحرف الى الجهد الذي بذلته في سبيل استقصاء شعر ناجي الضائع . فاذا كان الكاتب لم يقرأ « الاديب » ، فكيف فاته ان استاذنا الخفاجي قد اشار غير مرة في كتبه ومقالاته الى هذه الفصول . وكيف فاته ان استاذنا الشاعر حسن كامل الصيرفي قد اشار اليها غير مرة في كتاباته في مجلة « المجلة » وكان له فضل تصويب بعض اخطائها ، كما انه كان ينشر احصائية بعدد القصائد وعدد ابياتها التي اهتديت اليها ؟

وعلى كل حال ، لا اريد ان انتقص من قدر الجهد الذي بذله حسن توفيق ، فالواقع انه في بحثه عن ناجي وفي جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق . ولكن من الخطأ القول ان الخمسين قصيدة الواردة في كتابه ، هي كل شعر ناجي الضائع ، فلا بد لاي دارس من ان يضيف اليها ما سبق لي جمعه ، ولا بد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجي الضائع استكمالا لديوانه الذي اصابه النحس منذ صدوره .

وفي كتاب « شعر ناجي : الموقف والاداة » للدكتور طه وادي اخطاء يتعين تصحيحها . اما اغاليط النحو والصرف الفاحشة المتواترة في كل الكتاب ، فلننسبها الى المطبعة ترفقا بالمؤلف .

فهو يزعم في صفحة ٦٦ ان للدكتور ناجي ابنا اسمه « عماد » ، والذي نعرفه ويعرفه كل من عاصر ناجي ، هو

انه لم يرزق صبيا وانما رزقه الله ثلاث بنات . اما عماد هذا فزوج لاحدى بناته .

ويقول المؤلف ان للدكتور ناجي ديوانا عنوانه « معبد الليل » ، وهو ديوان لم يسمع به احد لا في حياة ناجي ولا بعد وفاته . وان وجد ، فهو من « شطارة » الناشرين ، ولا ينبغي الاعتداد به في دراسة ادبية .

ناهيك بأن الدكتور عبد العزيز الدسوقي قد نبه الدكتور وادي الى ان « احزان الطفل » ــ بفتح الطاء والفاء ــ لا صلة لها بالطفولة البريئة . واذا كان ناجي قد اكثر من استخدام لفظة « الطفل » في شعره ، فان الاستشهاد في هذا المقام « بأحزان الطفل » هو استشهاد في غير موضعه .

اما الشاعر خليل مطران فقد اصبح على يدي الباحث الكتور وادي « خليل مطران خليل » على وزن جبران خليل جبران وكرم ملحم كرم والزجال عبدالله احمد عبدالله والشاعر خليل جرجس خليل !

ولا بد لي هنا من ان اسجل اعتراضي الشديد على الاسلوب الذي اتبعه صديقنا الراحل صالح جودت في كتابه عن ابراهيم ناجي . فقد افرط صالح جودت في استقصاء « غراميات » ناجي ، ولم يكتف بالاشارة الوامضة الى هذه الوجدانيات ، بل اخذ يفصل قصائده تفصيلا على الممثلات والراقصات ، ذاكرا اسماءهن الصريحة حينا ، مكتفيا بالاحرف الاولى من اسمائهن حينا . وحتى لو صحت هذه التخريجات ، فاعتقادي الشخصي اننا نظلم الشاعر ظلما فاحشا حين نلجأ الى هذا الاسلوب . فلو رغب ناجي في ايراد الاسماء الحقيقية او المستعارة لمهماته لفعل ذلك بنفسه كما يفعل في يومنا هذا الشاعر العراقي عبد الخالق فريد والشاعر الحجازي عبد السلام هاشم حافظ . ولكن ناجي كان يقول الشعر ، ولا يسمي بطلة « اطلاله » او فارسة « ليالي قاهرته » . فلم نورطه في استنتاجات قد تكون صحيحة او غير صحيحة ، والقارىء يصدقها اذا قراها لصالح جودت الذي كان من ندماء ناجي الملازمين .

وقد كلف المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب صديقنا الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي (المتوفي في ٧ نوفمبر ١٩٧٦) ان يعد دراسة عن الدكتور ابراهيم ناجي ، فقام بانجازها ثم تكرم فأطلعني على مخطوطتها ، لا سيما وهو قد رجع الي في كثير من مواضعها . وكانت نصيحتي للماحي ان يطرح اجتهادات صالح جودت حول غراميات ناجي ، وان يعالج شعره الغزلي علاجا ادبيا مجردا دون اشارة الى هذه الممثلة المرموقة او تلك الراقصة الناشئة . ولكن الماحي لم ير ما رأيت ، ولا ادري ما مصير هذه المخطوطة بعد ان عدا الموت على شاعرنا الماحي الكبير . (وهناك شاعر آخر اسم محمود الماحي غنت له ام كلثوم احدى قصائده وقد توفي في سن الشباب من سنوات) .

* * *

ذهبت مرة الى عيادة الدكتور ناجي لا كمريض بل كصديق فوجدت قاعات الانتظار والممرات مليئة بخزائن الكتب . وتوهمت ان الكتب وقف على الطب والجراحة والاقرباذين والفارماكوبيا ، ولكنني تبينت ان الكتب خليط عجيب من كتب العلوم وكتب علم النفس وكتب الطب وكتب الادب ودواوين الشعراء وكتب السياسة ، وهي بثلاث لغات : العربية والانكليزية والفرنسية . وابديت اهتماما خاصا بكتاب باللغة الانكليزية عن « مصر في الحرب العالمية الثانية » لمحرر جريدة « لا بورص اجيبسيين » جان ليجول . فبادر ناجي الى رفعه من مكانه ثم كتب عليه عبارة اهداء قائلا : هذا كتاب اهدانيه واحد من مرضاي بعد ان تم شفاؤه ، فهو لك .

وكان كلما رآني حاملا كتابا ، سألني : ماذا تحت ابطك ؟ ثم اخذ الكتاب وتصفحه وقال : « ارني ما تقرأ اقل لك من انت » . فقد كان ناجي قارئا مستوعبا هاضما ، وكان اذا سئل عن كتاب جديد ، اجاب على التو ، ساردا موجزا وافيا له .

وان الاهتمام الذي وجه الى جمع شعر ناجي ينبغي ان يسايره اهتمام مماثل بجمع نثره . صحيح انه كان يرتجل المحاضرات والاحاديث ، ولكنه كان يعد شيئا كثيرا منها في نص مكتوب ، ثم لا يبالي ان نشر او لم ينشر . زرته مرة في مكتبه بوزارة الاوقاف ، وقلت له ان احدى المجلات اللبنانية وسطتني اليه ليكتب لها مقالا . فتناول القلم ، وكتب المقال على اوراق التشخيص (الروشتات) ثم قدمه الي . ولم يسألني بعد ذلك هل نشر المقال او لم ينشر . بل لقد قال لي مرة ممازحا ــ ولعله كان جادا ــ ان كثيرا من الفصول التي ادبجها تظهر ممهورة بامضاءات اولاد الحلال !

اجتررت هذه الذكريات عن الصديق العزيز ابراهيم ناجي بعدما رأيت ان دارسيه الجدد لا يعرفون « ناجي » الا من العنعنات . بل لقد زعم واحد من الدكاترة ان الشاعر « ناجي » مات مكرما معززا من الجماعة ، وهو كذب على التاريخ الادبي ، لان الجماعة هي التي قتلت « ناجي » حين اجرت عليه احكام التطهير الجائرة . وكل ذنبه ــ كما قال ابو شادي في رثائه ــ **انه شاعر شعر .**

القاهرة **وديع فلسطين**

حول مفهوم جديد للمدرسة الادبية في ضوء النقد الحديث

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

يرى كثير من النقاد ان « المدرسة » لا بد من ان يتوفر لها مذهب ادبي يصدر عنه اعضاؤها جميعا ، فالكلاسيكية مدرسة ، والرومانسية مدرسة ، والرمزية مدرسة ، وهكذا ، ومن هؤلاء الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد العزيز الدسوقي وغيرهم .

وهذه المدارس تقوم — في الغالب — على فلسفة خاصة تنبع قبل كل شيء من تيارات الحياة وتخلقها ضروراتها الملحة ، ثم تقيض لها من ينادي بها ، ويضع لها من الاسس والمبادىء ، والاهداف والغايات ما يجعلها حقيقة واضحة في عالم الثقافة والفكر ، وهذه المدارس يكثر انصارها بعد ذلك في جميع انحاء القطر الواحد ، وفي انحاء العالم المتحضر تقريبا ، اذ يصبح كل من ينتهج مبادىء مذهب من تلك المذاهب ، ويعمل من اجل انجاح اهدافه التي رسمها له دعاته الاوائل عضوا من اعضاء ذلك المذهب او واحدا من تلك « المدرسة » .

اما « الجماعة » او « الجمعية » فهي تنظيم خاص ، توجده ظروف خاصة في منحى خاص من مناحي الحياة ، وهو في المحيط الادبي لا يشترط فيه التقيد بمذهب من تلك المذاهب ، فان قيد اصحابه انفسهم بمذهب خاص كان ذلك التنظيم « مدرسة » والا فهو « جماعة » وكفى ...

غير ان بعض النقاد والدارسين قد تخبطوا في اطلاق تلك المصطلحات على تلك التيارات الفكرية ، والاتجاهات الادبية في العصر الحديث .

فالدكتور احمد هيكل في كتابه « تطور الادب الحديث في مصر » يطلق لفظة « اتجاه » على مدارس الشعر في العصر الحديث ، فمدرسة البارودي او المدرسة المحافظة يقابلها « الاتجاه البياني المحافظ » ، ومدرسة اصحاب المذهب الجديد في الادب (شكري والمازني والعقاد) يقابلها « الاتجاه التجديدي الذهني » ومدرسة ابولو يقابلهـا « الاتجاه الابتداعي العاطفي » دون ان يدرس ماهيـة « المدرسة » الادبية ، ويحقق القول فيها .

والدكتور عبد العزيز الدسوقي في كتابه « جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث » قد اعلن عن تخبطه في هذا الكتاب من اول الامر فبعد ان يقول : « ولقد اتيح لي خلال اعوام ، وبفضل هذا الكتاب ان اعيش بقلبي وعقلي وذوقي مع شعرنا المعاصر ، وحددت خلال هذه المعاشرة الحميمة ثلاث مدارس شعرية : ١ — مدرسة البعث ، ومن ابرز اعلامها البارودي ، وشوقي ، وعبد المطلب ، وحافظ ، ٢ — مدرسة التجديد ، ومن قادتها العقاد وشكري والمازني ، ٣ — مدرسة ابولو » .

ثم يقول بعد ذلك بقليل : « ولم اشأ ان اطلق على كل هذه التيارات الثلاثة اسم « مدرسة » حتى لا اقع في جدل حول ماهية المدارس الادبية ، ولهذا اطلقت على كل تيار من هذه التيارات الثلاثة « جماعة »(١) .

ويقول صالح جودت في ديوانه « ليالي الهرم » : « تعثرت في الدراسة لانني اتصلت « بمدرسة » جديدة في الادب والشعر والنقد كانت ناشئة يومئذ سنة ١٩٣٢ ، ولكنها على حداثة سنها كانت اشد ما تكون ازدهارا وتأثيرا في الادب المصري الحديث وهي مدرسة ابولو »(٢) .

ثم يعود فيقرر انه من الخطأ ان نقول عن « ابولو » انها مدرسة شعرية ، يقرر هذا صراحة ، ويثبته في كتابه الذي اصدره عن : « م.ع. الهمشري .. حياته وشعره » معللا لذلك بأنها حركة لم تلتزم بمذهب معين من مذاهب الادب ، ولذا فان سمة « المدرسية » منفية عنها(٣) .

ويقول السحرتي في كتابه : « النقد الادبي من خلال تجاربي » : « وعند اتصالي (بجماعة) ابولو تلون اسلوبي الواقعي بلون مزدهر ، وكتبت في النواحي الرومانسية » ثم يقول : « وفي رحاب « مدرسة » ابولو دبجت القصائد منذ عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٢ »(٤) .

وفي ظني ان من تمسك باشتراط « المذهب » في قيام « المدرسة الادبية » قد طبق او حاول ان يطبق الفكر الغربي الغريب عنا — الى حد ما — تطبيقا حرفيا في ادبنا ، ناسيا ما بيننا وبين هؤلاء من فروق في الجنس والبيئة والثقافة والفكر وغير ذلك .

فالاتجاهات المختلفة ، والنزعات المتباينة في الغرب لم تأخذ صفة « التمذهب » الا بعد ان وضعت لها الاسس الفكرية المحددة ، والا بعـد صدور اللائحة التفسيرية — مع التجاوز في التعبير هنا — التي تحدد طبيعة المذهب ، وتحصره في اضيق نطاق(٥) .

واذا كانت هذه المذاهب لم تنشأ في الغرب ، ولم تبدأ في الظهور الا بعـد ان فرضتها الضرورات الملحة ، وتضاريسها القاسية ، فان شيئا من ذلك لم يحدث في مصر ولا في غيرها من الاقطار العربية الاخرى ، لان ظهور تلك

« الاصطلاحات » التي تميز بين مذهب ومذهب ، انما كان تأثرنا بها ناجما عن اتصالنا الفكري والثقافي بالغرب في المقام الاول ، ولم يكن لنـــا فيها من جهد سوى التبعية والتقليد .

وقد كتب العقاد عن المدارس الصحيحة والمدارس الملفقة في كتابه : « بين الكتب والناس » يقول : « ان الفوارق بين المدارس الصحيحة والمدارس المختلفة كثيرة في النشأة والدلالة ، ولكن الفارق بينهما هو ان المدارس الصحيحة ثمرة طبعية نميزها بعد وجودها ، وان المدارس المختلفة ثمرة صناعية يسبقها التدبير والتواطؤ قبل ان يعرف لها وجود » .

كما يشير الى ان اصدق ما عرف عن المدارس الادبية والفنية انما عرفه النقاد بعد الملاحظة ، والمقابلة بين ثمرات الفن والادب في عصر واحد او عصور كثيرة وقد تتفرق اجزاء هذه المدارس في بلدان شتى على اوقات متقاربة او متباعدة ، وانها مظهر لحالة طبيعية واحدة تشترك فيها جميع البلدان .

« اما المدارس الملفقة فهي المدارس التي تسبقها كلمة « هلموا » وتتبعها كلمة « لبيك » ، ولا تدل على حالة طبيعية غير حالة المرض والخبل والادعاء ، وهي حالة طبيعية في تعليل ثمرات العبقرية »(٦) .

وكان العقاد يغمز بذلـك مدرسة ابولو الشعرية ورائدها ابا شادي من طرف خفي ــ في ما ارى ــ بعدما كان بينه وبين تلك المدرسة من عداوة وملاحاة .

وفي رايي اننا لسنا مطالبين بالضرورة بأن نتتبع آراء الغربيين وافكارهم ، ومذاهبهم في الادب والفن وغير ذلك ، او ان نقتفي آثارهم في حرفية مملة ، وتقليد مسف ، ان في ذلك لظلما كبيرا ، واجحافا عظيما لا يبرره شيء من الواقع او التاريخ .

اننا لا نحتج على الاخذ مـــن الغرب ، ولا نضع العراقيل بيننا وبين الافكار الراقية في العالم ، ولكننا حين نأخذ يجب ان نجعل اخذنا في حذر ، خوف ضياع شخصيتنا العربية بين ركام التقليد والاحتذاء ، وان نجعل غايتنا كذلك ان نحافظ على تراثنا العربي الخالد .

وقد حاولت في الدراسة التي قدمتها عن « القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو » لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الازهر ان اضع مفهوما جديدا « للمدرسة الادبية » ، واملت كثيرا في ان يشق ذلك المفهوم الجديد طريقه الى فكرنا المعاصر ، مقدرا ان توجه اليه من بعض نقادنا بعض النقود لاختلاف الراي بيننا ، غير انني قدرت ايضا ان اختلاف الراي لا يفسد للود قضية ، وانني سوف اجعل صدري متسعا لتقبل اي نقد يوجه الي في وضع هذا المفهوم ؛ كما انني سوف ادفع عنه اي هبوب ثائرة تحاول طمسه او تشويهه بكل ما في جعبتي من الادلة والبراهين .

ويقوم هذا المفهوم على امرين :

اولهما : التعريف اللغوي ، والاصطلاحي «للمدرسة» الادبية .

ثانيهما : الاعتماد علـــى النص الادبي ، والنقدي الموثق ، والاجتهاد في نسبة تلك النصوص الى اصحابها لانها تعين ــ في راينا ــ على الاقناع كما انها تساعد على الاقتناع .

واذن .. فما « المدرسة » او ما المفهوم اللغوي لها ؟

جاء في المعجم الوسيط ــ الجزء الاول ، في مادة « درس » : المدرس : مكان الدرس والتعليم ، والمذهب (مو) ــ اي مولد ــ يقال : هو من مدرسة فلان اي على رايه ومذهبه (ج) مدارس .

هذا هو تعريفها في اللغة ، وهو تعريف اخص ما يرشد اليه انه اذا كون شخص ما لنفسه مذهبا معينا ، او رايا او عدة آراء في منحى خاص من مناحي الحياة ، وتبعه في ذلك بعض الناس ، مؤمنين بآرائه معتنقين لمذهبه كان ذلك التكتل « مدرسة » وهذا التعريف اللغوي على ايجازه يشير الـــى ما اشترطه البعض في قيام المدرسة الادبية من شروط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٣٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلسا
مصر	٢٥٠ مليما
عدن	٤٥٠ فلسا
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٣٤٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٣٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٣٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم

هذا هو التعريف اللغوي بعمومه وشموله ، فماذا تعني « المدرسة » بمفهومها الفني الدقيق ؟ الحق انني لم اجد من بين كتب الادب من اشار الى ذلك ، ولكني وجدت علماء مصطلح الحديث يشيرون الى الشروط التي تراعى في مدارس الحديث ، فاستأنست بآرائهم في ذلك ، وراعيت ما بين « الادب » و « الحديث » من فروق ، من اجل ان يصبح حديثنا عن المفهوم الادبي « للمدرسة » صحيحا في غير التواء او تعقيد .

فمن تلك الشروط (وجود الشيخ) ، وتكون مهمته محصورة في توصيل الرواية كما حفظها عن شيخه السابق ، ليبلغها تلميذه الى من يليه ، وهكذا .

وجعلوا من صيغ الاداء : سمعت وحدثني ، ثم اخبرني ، وقرأت عليه ، ثم قرىء عليه وأنا اسمع ، ثم أنبأني ، ثم ناولني ، ثم شافهني بالاجازة ، ثم كتب الي بالاجازة عن فلان ، وقال ، وذكر ، وروى ، ثم اوصى ، ثم وجدت بخطه ، وأقواها اولها ، ثم ما يلي الاول احط في القوة وهكذا ، ويشترط الاذن بالرواية في المناولة والوصية والوجادة »(٧) .

ومعنى هذا انه لا بد من وجود الاستاذ والتلميذ ، ثم الفكر الذي هو الصلة المشتركة بين الاستاذ والتلميذ ، ولا بد من ايمان التلميذ بفكر استاذه ، وان يتأثر به عن طريق صلته به ، وتتلمذه عليه ، وان يجيز الاستاذ تلميذه في ما اخذه عنه .

وعلى ذلك اذا جاز لنا ان نطبق هذا المفهوم على حركة ابولو الشعرية ــ مثلا ــ باعتبارها حركة اختلفت الآراء حول منزلتها من « المدرسة » و « الجماعة » ــ كما سبق ان بينا ــ فاننا سوف نجد لهذا الاستاذ تلاميذ اقروا بأستاذيته واعترفوا بريادته ، وسوف نجد كذلك تلك الرسالة التي حملها هذا الرائد الكبير ، والتي تقوم في بعض ما تقوم عليه على « الايمان بالتعاون والاخاء الادبي بين الادباء والشعراء » وهناك من النصوص الموثقة ما يثبت ذلك ويقرره .

ولقد احس ابو شادي بأستاذيته لهذا الجيل من الشعراء الذين ساروا في ركابه ، فنحن نراه يقول في عام ١٩٢٨ م اي قبل انشاء جمعية ابولو بأربع سنوات تقريبا : « وما دامت هذه الكلمة وكثيرات من اخواتها موجهة الى الناشئة الذين يقرأون لي ، ويعنون بملاحظاتي النقدية في الادب والاجتماع ، فبودي ان يؤمنوا بمبدأ التنقيب والاطلاع الشخصي »(٨) . ويقول في مجلة ابولو : « ــ هذا ما نحاول ان نؤديه ، وان نغرس مبادئه في نفوس الزملاء ، عاملين على ان نجعل من هذه المجلة مدرسة اصلاحية »(٩) .

ويقول عبد العزيز عتيق في دراسة له عن ابي شادي : « وعسى ان اكون قد وفيت لهذا الشاعر بعض حقوقه ، فكم له علينا وعلى الادب والشعر من اياد بيضاء »(١٠) .

ويقول السحرتي في مقدمة ديوانه « ازهار الذكرى » : « فما انس لا انس ابدا اثر هذا الشاعر العائش كالراهب في صومعة الفن والعلم صديقي الاستاذ احمد زكي ابو شادي الذي حبب الي فن الشعر ، وكنت زاهدا فيه قبل اتصالي به وبمدرسة ابولو » ثم يقول : « وهل ينسى شباب هذا الجيل فضل هذا النابغة ، وقد وجهه الى الشعر الفني ، وعلى الطلاقة البيانية ، وشق له طريق التجديد ؟ »(١١) .

اما الرسالة التي حملها ابو شادي ، ومن بعده تلاميذه التي تنشد التجديد الفعلي في رسالة الادب والشعر ووضع قيم جديدة له فتعتمد على الثقافة الواسعة ، والذوق الرهيف ، وان يكون الشعر تمثيلا صادقا للحياة وروحها الحرة الطليقة ، ولقد كان ابو شادي يؤمن بأن فرض المذاهب والآراء على الشاعر لا يجني الادب من ورائه سوى تضليل تلك المواهب الشعرية الناشئة ، ولكنه لا يطالب الشاعر بشيء سوى الحياة وان تكون تلك الحياة رفيعة سليمة تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله » (١٢) .

وهذه الدراسة على ايجازها وتركيزها ربما تجرنا الى دراسة اخرى أكثر اتساعا وشمولا نكشف فيها عن بعض الجوانب الخافية في هذا الموضوع الذي احس ازاءه بأنه لا يزال في حاجة الى مزيد من التوضيح والبيان ، توخيا للوصول الى المفهوم الدقيق « للمدرسة الادبية » ، ورصد ما بينها وبين الجماعة الادبية من اتفاق وافتراق ، الامر الذي يعود بالفائدة المؤكدة على الدراسات الادبية في عصرنا الحديث .

---

(١) ــ جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث للدكتور عبد العزيز الدسوقي ــ القاهرة ص ٨ وما بعدها .

(٢) ــ ديوان ليالي الهرم لصالح جودت ــ ص ٤ .

(٣) ــ م. ع. الهمشري حياته وشعره ، طبع الهلال ــ ديسمبر ١٩٧٤ ص ٥٣ .

(٤) ــ النقد الادبي من خلال تجاربي لمصطفى عبد اللطيف السحرتي ص ١٥٧ .

(٥) ــ انظر : ثورة الشعر الحديث من بودلير الى العصر الحاضر د. عبد الغفار مكاوي ــ طبع القاهرة .

(٦) ــ بين الكتب والناس ، للعقاد ص ٧ .

(٧) ــ مصطلح الحديث للعلامة الشيخ عبد الفني محمود ــ الطبعة الثانية ١٣٣١هـ/١٩١٢م مطبعة الفتوح الادبية ــ القاهرة ص ٤٥ .

(٨) ــ مسرح الادب لابي شادي ــ ص ٢٠٨ .

(٩) ــ مجلة ابولو ــ المجلد الثاني ، نوفمبر ١٩٣٤ ص ٣٥٠ .

(١٠) ــ ديوان انداء الفجر لابي شادي ص ١٠٨ ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة .

(١١) ــ ديوان ازهار الذكرى للسحرتي ص ٣ .

(١٢) ــ انظر ديوان الينبوع لابي شادي ــ ط: القاهرة ــ ص : ش.

القاهرة **محمد سعد حسن فشوان**

الينابيع .. دروب .. ومفارق ..

مهداة لاخي الصديق الاستاذ محمد حسن فقي نجاوبا مع قصيدته « هذه سبيلي » . ومطلعها :

انتعذرني في الشوق ؟ ام لست تعذر وهذا الهوى .. هذا البلاء المسيطر

احمـــد قنديـــل

*

عذرتك !! فاصدع بالهوى الحر يجهر وبالشجو .. منفوم الشكاية . يجأر
لدى ساحنا المعطاء. جفت على المدى ينابيعه الكبرى .. فـــلا تتفجـــر
حبيسة اسوار .. تخلت واحجمت عن الشح مدرارا .. بما جاد يمطر
على الطود. اغرى السفح بالرمل لاعبا على السهل والوادي به الليل مقمر
فعاثت بأطراف الحقول .. بفاثهـــا تزقزق.. كالفرخ الصغير .. وتصفر
ولاثت بأكناف الرياض .. طيورها تلوب .. فتضوي بالمكوث.. وتضجر
فتاه الصدى .. رجعا تخافت صوته تساوى .. لديه .. شاعر وشويعر

وضاقت خطى .. باتت تسير وئيدة على دربنا المغبر .. تدنو وتدبر
فقد عج بالساحات.. نمل ــ تقاطرت قوافلـــه .. مأجـــورة .. تتكثـــر
تزاحم في ظـــل الروابي .. تفردت بالابلنـــا .. مغلوبـــة .. تتذمـــر
تحن الـــى دنيا النفوس .. طليقة تحس بأنماط الجمال .. وتشعـــر
فـــلا تجـــد الليل الطروب بناسه على شدوه الحالي تبيت وتسمر
ولا الامس تياه المحيا .. تسممت براحته .. روحـــا بـــه تتعطـــر
ولا جلسات الفجر والصبح والضحى ولا عبـــق الآصال .. تزهو وتزهر
فضاقت بعج اليوم . ضج . وابلست وحار .. بهـــا .. اطراقها المتحسر
فأقفلت الـــدرب الفسيح لشاعـــر تغنى بهـــا حينا مـــن الدهر يذكر
واوصدت الابـــواب دون حياتنـــا هوى غاله مـــن ليس للحسن يقدر

فبتنا كأسراب الحمام .. تفرقت على جنبات المنحنى .. تتعثـــر
كأن لـــم يعـــد للبدر للرمل بيننا لصحرائنا السمراء.. للعين.. منظر
فـــلا رنـــة الاوتار اشجت اليفها زمانا .. لهـــا مسترجع .. ومكبر
ولا عانت القمراء مهـــوى خيالنا مراحـــا ومغدى .. بينها نتبختر
ولا بات مرأى البحر يصبي قلوبنا ولا الموج .. في اسماعنا .. يتكسر
ولا طابت الاشعار .. طانت قصائدا تغنى بهـــا احلى المعاني .. فتسكر

فمـــا عاد للنفس الرضية بيننـــا مكان .. ولا للشعر صحب ومعشر
ولـــم يبق الا مـــا لهونا بشأنه وما عنه اهل المال .. بالمال . عبروا
تناكرت القربى لدينا .. تقطعت اواصر .. قد امسى عليها يسيطر

كذاك عدنـــا .. والحياة بعيشها رغيدا .. اسارى الفها ليس ينكر
يكبلها فيهـــا النعيم .. رفاهـــة تعودها .. منا .. مقل .. ومكثر
بـــه قيدنا الماسي بـــات محببـــا الينا .. له تهفو الجسوم فتقبر
يراودنـــا في كـــل يـــوم وليلـــة بكـــل جليب .. للطبائع .. ياسر
ليسلبنـــا روح الحيـــاة اصيلـــة بها .. ولها تحيا النفوس وتعمر

لقد مر ركب الامس .. كنا بفوجه شبابا .. وآمالا تطـــول وتقصر
فقـــد كان مدعاة الاماني رحيبـــة تطابت بـــه احلامنـــا .. تتدثـــر
وفر الزمان الضاحك الصبح والمسا فمعسرنا العافي .. بما فيه .. موسر
وكنـــا على دوراته .. ان تقلبت علينـــا .. بأسباب الاسى نتندر
فكل له .. في منزع الصبر .. منهج وكل له قلب ــ من الانس .. اخضر
نكد .. ونشقى ساعة لا نملهـــا ونسلو .. ونلهو ساعة لا تؤخر
وكان لنا .. بالفن .. رأي وفكرة وللفكر .. او للشعر .. بحث ومصدر
وكان لنا .. في قلب مكة عامرا وبين الرياض الخضر .. دف . ومزهر
وبالثغر .. اصداء تلاغت طيوفها على الرمل .. زفتها شطوط .. وابحر
فاني سلكت الدرب بـــين ربوعنا فبـــين مغانيها الحـــلاوة تقطـــر
فبالريف موصول الحداء .. لشدوه تلفت واستناه ريـــم .. وجؤذر
وما بين ترنيم العقيق .. ووجنا ودون الثرى .. للماء .. مجرى وكوثر
وفوق البساط السندسي .. وحوله مجالس .. ناداها الربيع المبكـــر
أقام لها الموسمي .. وقد هل محفلا فابته للروضات عجلى .. تبكـــر

كذلـــك كنـــا ــ والطبيعة ثـــرة تنادى اليهـــا ذاكر .. ومذكـــر
لدى الحقل بساما .. تجارت طيوره لغدرانها .. تهفو .. تعب .. وتنقر
لدى الروض صداحا به الفجر والضحى شبيهان بالاوصال .. زاه .. ومثمر
اذا ما تغنى .. فيهما بين غرسة وشدو خرير .. همسه ليس يفتـــر
على الفرع .. قمري يناغي يمامة وبالدوح .. صداح على الغصن يخطر
تماوج ريحـــان .. وأشرق عشرق وهلل نعناع .. وهفهف سعتـــــر
وهبت على قيصومنـــا .. وعرارنا نسيم الصبا .. ميادة . . تتأطر
كمثل بنات الحـــي .. لوحن للهوى بأعينهن السود . . تنهى وتأمـــر
تماسكن .. صفا . بالاكف .. تمايلت بهن قدود .. عـــن جوانا .. تعبر
تلوح لدى مجرى الغدير .. وتختفي لتلعبن بالمهجات .. تبـــدي وتضمر
وسرن .. ولم يحجلن بالخطو راقصا كسرب القطا .. عن مثلنا ليس ينفر
فكن لنا مثـــل الفراشـــات رفرفت علينا .. فحول الزهر منهن محضر
اتين الينا .. من بعيد .. كما اتت شوارد غزلان .. تميـــل وتنظـــر
يشاركنا عرس الطبيعـــــة زاهـــرا كمثل بنات الشعر ــ بل هن ازهر

عذرناك! فاصدح كيف شئت .. فاننا كما خلت. نصغي.. حين نصبو فنعذر
فنحن هنا .. اهل الجمال .. وناسه له .. بيننا . مستأنس .. ومقدر
الى الحسن نهفو. حيث للحسن ننتمي سجية طبع .. رق ــ لا يتغـــير
لنا الشعر .. منا سار بالركب حاديا يسطر ايـات الهوى ــ ويحبـــر
يرتلها في مسمع الكون .. صاغيـا وراويـة .. او حاكيـا يتنـدر
ولا زال .. لولا صوتنا اليوم خافتا حبيس جدار بينه اليـوم يقبـــر

حنانيك .. انـي قـد أبتك صورة الح بذهني .. لحهـا المتـطور
الى الجانب الادنى لقلبـي لمسمعي الاح بهـا فـن ... وحس مصور
فانت بما تجلوه .. ليـلا مسهدا وفجرا وضيئا ــ انت عنها المعبـر
اعدت بها في قلب مكـة شاديـا لنا عمرا .. في ساحها يتبختـر
تصوغ لنـا دقات قلبك .. راويـا حكايات حب .. عرفهـا بك ينشر
تعالت بهـا الاعراف نشوى طليقة مهفهفة .. مـن قيـدها تتحرر
مجنحة الاطراف .. عافت سماؤها رخيص الهوى.. بين الثرى.. يتعفر
فصل دربك الاعلى لدينا .. وصل به مسيرة رهط .. عن رفاقك تسفر
وموكب اجداد .. تطلع عصر هـم الينـا بطرف الامس جازتـه اعصر
فمنا الذي .. للجد .. عاش مقلدا ومنـا الذي ــ بالمجد .. لا يتأثر
فقد جات الاهداف للشعر .. غايـة بها اليوم .. مزهوا .. يجل ويكبر
عليها تلاقينا .. وفيها على المـدى تعاظم ما نسعى لـه ــ ونفكـر
تشاكل امسانا القريبان .. منهجـا فامسك مقروء .. وامسـي مسطر
وعـانق يومانا الحديثان عصرنـا يحيط به كون مـن العصر انـور
فلا الشعر ينسانا تحور بعـدنا ولا نـحن ننساه .. ولا نتحـور
فلم اغف عنه .. حاليـا متجـددا ولم تغف عنه .. عاليا .. يتطـور
واني به الصادي الفؤاد وما ارتوى وانـك فيـه .. بالجوى تتضـور
فانت الذي اهديتنيـه .. قصائـدا روائعهـا .. ما بيننـا .. تتكـرر
اجبتك عنها .. فاستجبت وقد مضى سبيلك هذا .. عن سبيلي .. يعبر

وقالت بنات الحي .. حسبكما الهوى فان الذي نرجوه .. اغلى واكبـر
اليس لنا .. في مطلع الشعر منكما على الجسر.. منهاج مبين .. ومعبر
لقد طال فينا الرأي .. بان جهـيره وما بان فيـه الصـامت المتستـر
اليس لنا بين الحياة .. جـديـدة حقوق حياة .. لا تضل .. فتهـدر
فانا بدنيا الحب .. للحب فطـرة خلقنا .. ولكن للذي هـو اطهـر
فلا نشتهيه لاهيـا .. متلهيـا بما حان .. ما قدسف للقاع يحدر
ولا نرتجيه عابثـا ..متدنيـا معيبا .. وموسوما بما هـو أقذر
نكرناه غربي المطامع .. جامحـا الى غاية رهن الفوايات يسـدر
وعبناه شرقي الملامـح .. تائهـا تأرجح .. بالتقليد للغير .. يخسر
ولكننا .. امـا واختا وزوجـة وبنتا .. بكم منكم نصان وننصر
رجوناه مهوى اليوم والعصر نبتني به بهما البيت السعيد . ونفخر
ونسهم في الصرح العلـي بجهدنا جهادا .. وقد عشنا له نتحضر
نصون مقام الحي مـا هان قيمة ونعلي مكـان النصف لا يتقهقـر

تعاقبت الاجيال . والنصف مهمل ... بموؤودة في القـــاع ترمى وتقبـــر
فانصفنا الدين الحنيف .. مؤكدا ... حقوقا لنـــا نحـــن النساء تؤزر
حقوقا تناهت .. انكرتها على المدى ... وبين ظلام الجهل واليأس .. اعصر
الا يـــدرك المزجي الكلام منمقـــا ... تساوى بمـــن في قولـــه يتنمـــر
بأنا عبرنا الجسر .. نمشيه .. ثابتا ... لنقطعه .. شوطـــا ولا نتأخـــر
مواقفنا في صحوة الفكر .. لامعـــا ... وفي ضحوة الاسلام اعلاه منبـــر
انافت بـــه جداتنا الصرح عاليـــا ... ولمـــا تـــزل آثـــاره .. فتنظروا
فلم يهمل التاريخ مـــا كان حافلا ... ولـــم تنكر الايام مـــا بات ينكر
الا فلتثيرا مـــا رجوناه .. اننـــا ... كمثل بنات الشعر .. بل نحن اجدر

عذرناك ! لا عـــذل يجوز لشاعر ... يحوز الرضا .. انا به اليوم نفخر
كمـــا افتخرت بالامس كـــل قبيلة ... رجتـــه لدنياها .. يثـــير وتثـــأر
فأعلى مكانا .. للقبيلة .. أو زها ... بأنسابهـــا .. في قمـــة تتصـــدر
وابرز مسماها .. واجلى خصالها ... وذاد عـــن الحوض الذي لا يكدر
كما صنع الغرب المؤثل .. بعدنا ... لشاعره .. مـــا لا يعـــد ويحصر
فأكرمه ــ بـــل كرم الدهر ذكره ... فشاعـــره الموهوب رمـــز مقـــدر

عذرناك ! انا قد اعذناك بالرقى ... رقى الشعر قد دوت. كما الرعد تهدر
به صوتنا .. للحق .. اعلى مقامه ... جهيرا .. فصوت الحق بالحق اجهر
وكنت .. وما زلت .. الوفي لاهله ... فحسبك مني اليوم .. هذا المسطر
وحسبك من هذي الدروب تلاحقت ... خطاي بها .. في النهج .. قد تتعثر
فانك منها بالهوى الحر .. تائها ... على ما عداه .. باعث .. ومؤثر
وحسبي اني اليوم للامس هاجس ... وللرأي فيه .. قاطعا .. متخير
وقد يخطىء البادي. من الطور مشرفا ... مفارق سفح .. بينه .. تتغور
يجوز بهـــا الداني اليفا ــ طريقه ... كما جازه اليربوع .. حاذاه قسور
فمـــا تـــاه عن مألوفه .. متعود ... ولا مـــل ابعـــاد الذرى متحـــير
واني بها .. رهن السجية حرة ... عن الصوب .. لا الوي .. ولا اتحور
سلكت دروبي كيف شاءت طليقة ... من العرف .. قيدا .. دونها يتكسر
واني بما اوحته ــ للرأي بعدها ... وللفكر مرهون ــ فبالفكر اصـــدر
وما انـــا ان يعل الغرور لاجلها ... بمـــا اتحرى .. منذر او مبشر
ولكنني بالحب للحب .. بالوفـــا ... وفاء لقومي .. في مداري ــ مسير
وهبت عزيز العمر . طالت على المدى ... مراميه ــ واستعصى عليه التكبر
لهم تربة ــ ناسا ــ وارضا حبيبة ... فما بسواها نرتضي .. اذ نخير
فأيان تلقاني .. تجد روح تربتي ... وريحانها .. نغما . بها النغم اعطر
وهـــا انـــا ان يعل الغرور لاجلها ... برأسي ــ كما تعلوـــلدى الجوـــانسر
لاهلي ! بدربي ! في حياتي ! وللهوى ... وبالشعر يحلـــو ! رائـــد متحرر

الرياض ــ السعودية ... احمد قنديل



وحيد الدين بهاء الدين

وديع رشيد الخوري كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

باشارة من صديقي : الشاعر جورج صيدح والدكتور سليمان داود بعث الي وديع رشيد الخوري ، الشاعر المهجري المنسي ، الذي لم اكن قد عرفته وسمعت به من قبل ، بنسخة من كتابه « ظهور وتطور الادب المهجري » ، توطئة لعقد صلة وجدانية وفكرية بيني وبينه ، وتنبيهي الى ادب المهجر الشمالي من زاوية جديدة لم يطرقها غيره ، وانعكاسه على واقع الثقافة الادبية في الوطن العربي من جهة ، والمهاجر من جهة ثانية ... لقد جاءني الكتاب توشحه رسالة متواضعة مؤرخة بالثامن من تموز ١٩٧٠ ورد بها : « اني سعيد جدا باتصالي بك راجيا ان تقبل هذا الكتاب تقدمة مني اليك ، فاني اعتز وافخر بالادباء الكبار امثالك ... » .

احتواني سرور دفاق بهذه المكرمة وقد انسابت الي عبر القارات والمحيطات ، ومرة اخرى ايقنت ان الادب يتأبى على الزمان والمكان ، وان الاديب صنو الاديب ما دامت روح الفن تتلبس نفسيهما وافكارهما ، وتدعوهما الى التلاحم والتناغم على اي صعيد من الاصعدة .

وبمهماز الوفاء للعرفان كتبت الى وديع رشيد الخوري سطورا صارخة الثناء عليه كانسان والتقدير لكتابه كأثر يعد جديدا بالنسبة الى كثير من المؤرخين والباحثين لما في طياته من لمحات زكية واشارات مضيئة على ادب المهجر الشمالي هذا الذي تولى رئاسة رابطته القلمية جبران خليل جبران وانضوى تحت رايتها شعراء وادباء مشهورون ومغمورون .

وبالرغم من رسالة الشكر التي تلقاها وديع رشيد الخوري مني ، فانه اراد ان يكون بايحاء ذاتي خفي اكرم مني واكثر ابتهاجا بالعلاقة التي طفقت تتواصل بيننا ، فأرسل الي برسالة جديدة ارفقها بنسخة من ديوانه : « نداء الغاب » حيث قال : « استلمت رسالتك وهي تنم عما في روحك الطيبة من رفيع الادب وجمال المشاعر وسلامة الذوق . وما رأيي هذا الا صدى لراي صديقينا الشاعرين الدكتور سليمان داود وجورج صيدح ، فقد استلمت رسالتيهما منذ شهر وفيهما قد شفعا اسمك الكريم واسم الاستاذ جعفر الخليلي بكلمة فواحة العبير عطرة الاريج ... » .

ثم يقول مستطردا : « ليست هي المرة الاولى التي تهب علينا النسمات البليلة المنعشة الطيبة من دار السلام . فعند ظهور كتابي « نداء الغاب » المطبوع في نيويورك ١٩٣٦ استقبلته حينئذ صحف ومجلات عديدة في المهاجر وفي الاقطار العربية فقد ذكرته « الهلال » و « المصور » و « المقتطف » في مصر بكلمة قيمة و « الحديث » في حلب نشرت منه مقاطع مع كلمة عطرة في عددها العاشر ١٩٣٦ وقد نشرت بعض ما جاء فيه من شعر ونثر عدة صحف في لبنان « كلسان الحال » و « الحوادث » و « الانتقاد » و « المراة الجديدة » . وفي بغداد استقبلته مجلة « الحاصد » لصاحبها الاستاذ انور شاؤل استقبالا جميلا ، ونشرت فيه فصلا قيما في عددها ٢٢ ، ٢٤ ايلول ١٩٣٦ ، بقلم الاديب مراد ميخائيل ، ولم ازل احتفظ بذلك العدد » .

هكذا قيد وديع رشيد الخوري عنقي بمأثرتين ، زيادة على جعله اياي غريق افضاله عبر رسائله . ادركت ان لا ندحة لي عن التحرك ولو بعض الشيء لصنع ما هو ذو بال .. نوهت بالكتابين اللذين بين يدي ، وهذا اضعف الايمان ، بعد قراءتهما بشوق وتأن ، مركزا على جهوده التي لا تذهب سدى امام التاريخ الادبي ، والتي فاقت جهود بعض الآخرين من شعراء المهجر الشمالي الذين لهم اسماؤهم دون انتاجهم كوديع باحوط وامين مشرق ووليم ياتسفليس . كذلك ابردت له ببعض مؤلفاتي تذكارا لعهد ، واعرابا عن ود .

ويبدو ان وديع رشيد الخوري ارتاح مما كتبت اليه ، فكان رده علي صريحا جريئا بصدد ما اشتجر واثير حول الشعر والفكر في ديار المهجر الشمالي ثم قال : « ادامك الله اديبا فذا ونفعنا الله بنتاجك الجميل القيم ، فانا من المفتخرين بك والمعتزين بصداقتك والقادرين

شخصيتك الادبية قدرها . . وقال عن كتبي التي ادركته : « ولشدة شوقي الى الاطلاع على نفثاتك الطيبة القيت عليها جميعا نظرة سريعة ، فبان لي انها ليست «متواضعة» كما شئت للطف شمائلك ان تقول ، بل هي سامية الهدف ، متعددة المواضيع في الادب الرفيع واضحة العرض والشرح والتوجيه ، تروي الغليل ، غليل كل ظامىء ، الى ارتياد مناهل الادب المعاصر » .

لكن وددت ان يصارحني وديع رشيد الخوري القول في خمول ذكره ، وتعذر بروزه بين شعراء المهجر الشمالي وهل مبعثه عدم انتمائه الى الرابطة القلمية بالذات ، او ان ثمة علة اخرى زهدت مؤرخي الادب المهجري في تناوله والقاء بعض الاضواء عليه . فكتب الي يقول بحسرة : « عند وصولي الى الولايات المتحدة عام ١٩٢٠ وجدت ان معظم ادبائنا وصحافيينا في هذه البلاد يشكون من قلة ذات اليد وفروغ الجيب . وانا لست من محبي المال والثروة وليس ذلك من طبيعتي . ولكني تعلمت من ايام الحرب العظمى ان فارغ الجيب يظل عبدا للموسر الا اذا استغنى واستقل نوعا ورأيت ان افضل ما يمنح المرء لذويه ولولده هو العلم فوطدت النفس منذ وصولي الى هذه البلاد على مساعدتهم للحصول عليه . وهكذا ترى انه لم يكن لدي وقت كاف لانتاج اكثر من هذين الكتابين ولولا الحاح الاصدقاء علي مثل ابي ماضي وعبد المسيح وندره حداد وسليم ذيب وغيرهم لما انتجت ما انتجت ، لان الشيء الاولي عندي كان ان امهد الطريق امام العائلة لتحصل على مركز لائق في هذه البيئة الغريبة . . . » .

من هنا كان وديع رشيد الخوري يتحسس بمرارة خانقة انه منسي تجاوزه الآخرون لامر او لغيره . لم ينوه احد منهم بشاعريته ، ولم يتحدث عنه غيره كناقد . انه يقول :

« عندما عزم صديقنا الشاعر جورج صيدح ان يغادر فنزويلا مارا بنيويورك ، دعاني صديقي المرحوم ايليا ابو ماضي ، الى نيويورك للتعرف الى صيدح شخصيا ، وقد كانت « السمير » ميدانا لاقلامنا . فتعذر علي تلبية الدعوة لما كان في السفر من المشقة في تلك الايام . وبيننا وبين نيويورك مئتا ميل . غير ان ابا ماضي اهدى كتابي « نداء الغاب » الى صيدح قبل مغادرته نيويورك عام ١٩٣٩ . ولعل دعاوة الرابطة القلمية العنيفة المثيرة اثرت في صديقنا الشاعر صيدح كما اثرت في غيره من الادباء عندما كتب « ادبنا وادباؤنا » فاقتنع حينذاك ان اعضاء الرابطة هم مدار الحركة الادبية في المهجر فكان ما كان » . ويواصل قائلا : « ورأيي الخاص ان من المنسيين من هم اوفر علما واوسع ثقافة واطلاعا في اوضاع اللغة وآدابها وعلومها من كثيرين ممن ذكروا في المنتخبات » .

وبالرغم من هذه المرارة التي لحقت بوديع رشيد الخوري ، واستدرجته لان يبوح عما به من لواعج الشكوى والاسى ، من جراء تهاون مؤرخي الادب المهجري، على اختلاف مستوياتهم واتجاهاتهم في تقييم انتاجه الشعري والنقدي ، فقد كان يزهد بعد ان تخطت به مرحلة العمر الكبرى في الظهور والتطلع ، مؤثرا السكون الى الظلال والهدوء .

من اجل هذا نويت افراد فصل عن شاعريته في ضوء ديوانه « نداء الغاب » لجدارته بأن يقيم كفنان استطاع اثبات وجوده الادبي ، وكناقد اعطانا اشياء جديدة خافية عن متناول الباحثين والمؤرخين ، وينبغي ان لا تغيب عنهم ، وهم يدرسون ادب المهجر الشمالي وما تخلله وجرى له .

صح عزمي ، فقد نشرت عن شاعرية وديع رشيد الخوري فصلا تحليليا على صفحات مجلة « الضاد » الحلبية وعنوانه « شاعر مهجري منسي »(١) .

ها هو ذا وديع رشيد الخوري يوجه الي ما عن له ، وجاد به ، بعد ان سر بما قلت فيه ، وبعد ان حاولت نفض غبار النسيان والاهمال عنه وقد تراكم حتى استحال جدارا طيلة الاربعين سنة الاخيرة : « اني اشكر لك عاطفتك الاخوية التي اهابت بك الى تحليل ونقد شعري تحليلا ونقدا مستفيضا اعجب الاخوان والخلان ولم يصرف ذهن القارىء عما حوى المقال من جمال وفيض في التحليل والاستقصاء سوى المدى الطويل الذي حال ما بين نشر اول قسم وثاني قسم منه ، غير ان للظروف والاحوال كما يبدو احكاما لا نستطيع نقضها ولا تغييرها . والزمن الذي نعيش فيه الآن ليس على شيء من التناسق والاستقرار لذلك فالعلة ليست علتنا نحن بل علة الزمان الذي نعيش فيه . . . ادامك الله اديبا كبيرا ماضي العزيمة سامي المقصد في العلم والفن والادب . . . » .

في اواخر عام ١٩٧٠ فجعت بوفاة والدي . . حين انتهى النعي الى وديع رشيد الخوري لم يحجم عن مواساتي برسالة تنضح رقة ، وتعبر عن مشاعر انسانية ، في الوقت الذي كان هو الآخر مفجوعا في غمرة هذا العام بحفيد له ، اودى به مرض عضال . . فقد قال : « كتب الي اخونا الدكتور سليمان داود يعلمني بالفاجعة الاليمة التي حلت بكم بوفاة والدكم الجليل . وقد جاءني هذا الخبر على اثر فقدنا حفيدنا « كاري » ابن ابنتنا في مطلع هذا العام في السابعة من العمر . داهمته علة في الدماغ لم تمهله اكثر من سبعة اشهر لم تنجح فيها احدث المعالجات الطبية . وقد كان « كاري » قبلها كالزنبقة نضارة وعطرا . ولذلك

---

(١) ــ هذا الفصل نشر بكامله في كتابي « مباحث في الادب العربي المعاصر » .

زادني خبر فقدكم والدكم الحنون حزنا على حزن والمـا على الم ... » .

وما كنت بالضرورة عارفا ما دهى وديع رشيد الخوري واخذ منه مأخذا . فأردت بتعزيته وبالاعتذار اليه ، اذا كان قر في روعه تقصيري في حق اداء الواجب الاخوي نحوه ، وقد جمعتنا مصيبة واحدة ، وكنا بها شريكين .

فما كان منه الا ان دبج لي رسالة مكثفة فيها شيء وفير من التواضع والاخلاص ، جاء بها : « ان ما تشعر به نحونا من الالم والاسى للفجيعة المزدوجة التي داهمتنا على غرة ، هو ما شعرت به نحوك عندما انبأني الدكتور سليمان داود بفقدكم المرحوم والدك . وكان ذلك قبل المأساة التي نزلت بنا بفقد اخي المرحوم يوسف في فلوريدا . وقد بدا لي آنئذ ان سيان عند الدهر النبتة الصغيرة التي لم ترتو من نور الشمس ، والشجرة الكبيرة المعطاء بأفيائها الوارفة . رحمهم الله . فما العمل اذن ؟ وهذا الكأس يمر على جميع الناس . ان ما شعر به الانسان الاول عند تأسيس اول جامعة بشرية نشعر به نحن في القرن العشرين تماما : حيرة لا حد لها يكتنفها الظلام واستسلام مطلق لا بد منه وخضوع لمشيئة القوة العلوية..... الا هذه المخيلة العجيبة التي وصفها اوغسطينس ابلغ وصف حير عقول علماء النفس في هذه الايام . اننا في هذه المخيلة العجيبة نحتفظ برسوم واشباح احبابنا الراحلين وبقدر ما نبتعد عن عوامل التشويش الفكري ، نجد اننا نعيش واياهم جادين الى حياة فضلى واسمى مقصدا من حياة التحسر والتأسي ... » .

ثم على الايام تناهى الي ان جامعة للادب العربي في اميركا الشمالية وكندا على غرار « الرابطة القلمية » و « العصبة الاندلسية » قد تأسست برئاسة الشاعر الدكتور سليمان داود وعضوية عدد من الشعراء والادباء المعروفين وغير المعروفين ، احياء لحركة الشعر العربي ، وتفاعلا مع التيارات الفكرية المعاصرة في الوطن العربي والمهجر ، ومهمازا لمواهب العاملين المندمجين في تلك البلاد الاعجمية النائية .

ذلك كله حداني الى الاستفسار من وديع رشيد الخوري ، وقد انتخب امينا عاما لهذه الجامعة الفتية لعله ان يلقي ببعض الاضواء الكشافة على ما اتوخاه بهذا الشأن وصولا الى وقائع بعينها .

لذا فقد اسرع في الجواب وهو يسوق : « سرني جدا ما عزمت عليه من الاطلاع على آثار « جامعة الادب العربي في اميركا الشمالية وكندا » الادبية ، وقد كنت منهمكا وقتئذ في مراسلة الاخوان « اعضاء الجامعة » ويبعدون عن بعضهم البعض مئات الاميال ، لاعداد المواد من شعر ونثر للعدد الخاص من مجلة « الضاد » وقد توليت هذه المهمة وحدي بسبب مرض العميد الدكتور داود ، واجراء العملية الجراحية له . ولذلك ارجأت الرد عليك الى ان استطعت مخابرة الاخوان لاحقق عن المواد والمجلات والجرائد لتي لديهم فيتمكن الاديب الباحث من رسم صورة ادبية لاعضاء الجامعة . وجدت بعد البحث ان جل الاخوان ليس لديهم دواوين او كتب مطبوعة الا الدكتور داود ونعمة الحاج . فأخونا الشاعر نعمة قد طبع اربعة دواوين في اوقات مختلفة من عمره المديد . ومن اكبر ادبائنا في المهجر الاديب « امين زيدان » . فأمين اديب وشاعر وخطيب وهو متمكن من اللغتين وليس له ديوان مطبوع او كتاب ادبي حتى الآن الا قصة موضوعها « ملكة سبأ » وقد طبعت في العشرينات . وهكذا ترى ان ليس لدينا هنا ما يعول عليه من كتب الادب الا كتاباي : « نداء الغاب » و « ظهور وتطور ... » وديوان الدكتور داود . وستجد في العدد الخاص الوانا مختلفة من الشعر والنثر للكتاب والشعراء الباقين ... » .

وتبلورت صداقتنا الروحية والفكرية غذتها الايام المتداولة وما حبلت بين تضاعيفها من روعة الانسجام وجلال الدراية في مجريات الاحداث والقضايا الادبية والثقافية الدائرة هنا وهناك .

انما كنت اعزز ذلك بتحايا ادبية ازفها اليه تباعا ، وهي المتمثلة في مجموعات من المطبوعات العراقية ، مضافا اليها شيء مما عندي من مؤلفات لم يتسن له الوقوف عليها والنظر فيها .

والمظنون ان وديع رشيد الخوري ، بعد استشرافه هذا الذي طفق يطالع بصره وبصيرته ، ويشبع منازع الرضى والقبول عنده ، نخسه عقله الباطن ودعاه لان يرد الصنيع ــ وان كان ما كتبته عن شاعريته لا يعد صنيعا بالمعنى الصحيح ــ الى اهله بالمثل ان لم يستطع بأحسن منه وأوفى .

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة

لقد كتب دراسة نقدية منصفة عن مؤلفاتي التي حوتها خزانته ابتداء من « من الادب العربي المعاصر » و « في الادب والحياة » ومرورا بـ « شخصيات من الادب المعاصر » و « كلمات في الرصافي » وانتهاء الى « نظرات في الكتب » . ونشرها في صحيفة« الاصلاح » النيويوركية ، وفي مجلة « الضاد » الحلبية وفي مجلة « قب الياس » البيروتية .

وحداني الواجب الادبي ان اشكر لوديع رشيد الخوري ما أولاه بعض مؤلفاتي من عناية خاصة ، وهو يدرسها محللا مقيما ، ويعقب عليها فاحصا ناقدا ، اذ ما لبثت ان بادرت بارسال رسالة تقدير اليه ، لتمكنه في ما نشر من براعة في التفسير وتعمق في النظرة وشمولية في النقد الايجابي الواعي . هنا ادركني جوابه وهو منشرح الصدر : « ان دراستي في نتاجك الجميل طابت في عيون اخواننا الادباء وكانت عند حسن ظنهم كالاخ وديع فلسطين والاخ الاستاذ محمد عبد الغني حسن وصاحب مجلة « الضاد » الاستاذ عبدالله يوركي حلاق والشاعر نعمة الحاج وغيرهم » .

الا انه يستدرك فيقول : « وكنت قد كتبت فصلا آخر يعوزه التنقيح وأخرني عن تنقيحه وضمه الى الدراسة وعكة صحية داهمت رفيقة الحياة فبقيت في المستشفى احد عشر يوما ازعجتنا جميعا ، لكنها عادت الى المنزل شكرا لله . ولم يكد يسطع النور في سماء المنزل حتى نقحت الفصل الباقي وارسلته منذ اسبوعين الى « الضاد » في حلب ، و « قب الياس » في بيروت وسينشر ان شاء الله » .

ان حديثه عن مرض زوجته كان من الاضطراب بحيث جعلني اتشمم رائحة التشاؤم والسوداوية من بين سطوره المفككة ، وما اكد هذا الذي ذهبت اليه في نفسي ، واوجست منه خيفة ، الا ما انطوت عليه رسالة جديدة منه قال فيها : « اشكر لك عاطفتك الجميلة البادية في رسالتك الاخيرة نحوي ونحو رفيقة حياتي ، فانها تشع ما بين العبارات كما تتألق ثغور الورود في جنبات الحديقة . اجل يا اخي ان الرفيقة الحبيبة عادت من المستشفى لكنها لم تزل تحت معاينة ومعالجة الاطباء وواجب علينا ملازمتها والاعتناء بها وتقديم ما يؤول الى راحتها واطمئنانها ، وترى ذلك يأخذ كل وقتي تقريبا ، واني اقوم بذلك بفرح لان اولادنا واحفادنا بعيدون عنا ، مع انهم يقدمون الينا في آخر كل اسبوع ، وذلك يغل يدي عن مراسلة الاصدقاء الاحباء احيانا وانت منهم الى ان ترجع الامور الى مجاريها الطبيعية ان شاء الله ... » .

ثم تلاحقت الشهور ، وجدار من الصمت مرتفع بيني وبين وديع رشيد الخوري .

ذات يوم من ايام صيف ١٩٧٦ هاتفني صديق اديب ، منهيا الي فجيعة الخوري بشريكة حياته ...

وترنحت كلمات العزاء على القرطاس ، تنبس بها شفاه مختلجة ... وهل يملك الانسان في مثل هذه المواقف الحرجة الاليمة الا ان يأسف ويتأسى ، مشاركا مقاسما الآخرين ما يكابدونه ويذوقون طعمه .

وفي جوابه الهادىء كان وديع رشيد الخوري شجاعا رائعا اذ يقول : « ان فراق رفيقة العمر بعد زهاء نصف قرن من الرفقة والالفة الطيبة ترك فراغا مؤلما في القلب الكسير ووحشة جاثمة في جوانب البيت الذي كانت تنيره بابتسامتها العذبة وصفاء محبتها . وقد خفف ثقل المصاب الاليم ملازمة اولادنا واحفادنا لنا في اثناء مرض امهم وجدتهم ، فكان وجودهم حولها حافزا لها على احتمال الالم بشجاعة ما بعدها شجاعة . وهكذا كانت ارادة الله ، وما علينا الا التسليم لارادته » .

ويواصل : « اني اشكر لك عواطفك الاخوية وكلماتك المعزية المنبعثة من اعماق القلب طالبا الى الله العلي القدير ان يوشحك بثوب العافية الكاملة ويقرب اليك الشفاء التام ويبقيك وعائلتك الكريمة مثالا صادقا للاخوة والادب الرفيع واعاضنا الله بسلامتكم جميعا » .

هذا وقد ساءت حال وديع رشيد الخوري واضطرب كيانه ... بدا عليه انه لا يستطيع مقاومة اعاصير الحياة التي شرعت تهب عليه هبوبا قاصما ، يقتلع كل شيء فيه .

فأجريت له جراحة ... خرج منها معافى .

ثم تسنى له ان يكتب الي : « اكتب اليك وصحتي تحسنت كثيرا عما كانت عليه سابقا . واني لائذ بالصبر الجميل في هذا الخطب الجلل وسأتعزى بما نفحني به الاصدقاء المحبون امثالك من رياحين عواطفهم ومشاعرهم الاخوية . فقصور المرء وضعفه عن ان يرد غوائل المصائب والمحن هو السر في وجوب العزاء » .

تلك كانت آخر رسالة من وديع رشيد الخوري .

لم يتح لنا ان نتراسل ونتواصل في ما بعد .. لانهماك كل منا بشواغله الآخذة بوجوده : عقلا وقلبا .. جسدا وروحا ..

في اواخر صيف ١٩٧٧ ، وفي عدد جديد من اعداد مجلة « قب الياس » البيروتية ، اقرأ على حين غرة ، نبأ وفاة وديع رشيد الخوري .

فتعروني رجفة تعقبها صحوة تأمل ..

هكذا هي الدنيا ..

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

وطـن وزهـرة

الدكتور احمد مطلوب

سويفسي ـ انكلتره



الجنة العذراء والحلم الجميل
والنهر يلثم سنبل الحقل الطروب
والشمس خجلى لا تلوح لعاشقين
وعرائس الوادي يطفن مع المساء
نورا تباركه السماء
بغداد تحضن برعمين
وزهرة كالفجر أيقظه الندى
فانساب مخضلا عطر
وانا هنا ارنو الى الافق البعيد
كالطفل يلتمس العزاء
ولا عزاء

طوفت في الآفاق أبحث عن صدى
يرتد في سمع الزمن
ونشدت قلبي في الشمال وفي الجنوب
فما وجدت سوى الالم

أأنا المقتيل بلا دم ؟
أأنا الصريع بلا كفن ؟
أأظل تقذفني البلاد
كالسندباد ؟
وليس عندي غير ما حمل الفؤاد

بغداد حبك في دمي
فالى م احتمل الشجن ؟
مضت السنون وما يزال
هواك نورا في الدجن
الهمت قافلة الزمان
فما تعثر أو وهن

قالت : اراك تهيم في حب الوطن
وتظل تذكر زهرة ، والزهر ريان عطر
فاجبتها وطني هواي وزهرتي ملء البصر
أواه لو يحنو العراق على الغريب
ويطل من خلف السحاب

اواه لو يدنو القمر
لأرى الحبيب
وأبث شوقا يستعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

فلان خجل

ويقولون : فلان مخجول من افعاله . والصواب : هو خجل (بفتح فكسر) من افعاله : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في النهاية : (في الحديث « انه قال للنساء : انكن اذا شبعتن خجلتن » . اراد الكسل والتواني ، لان الخجل (بفتح فكسر) يسكت ويسكن ولا يتحرك) .

وانفرد محيط المحيط بقوله : هو خجلان ، فنقلها عنه اقرب الموارد وعثر مثله .

وفعله خجل يخجل خجلا (بفتح ففتح) . وقد قلت في بعض قادتنا :

أصبحت ان ذكرت يوما نقائصهم حمرا ، يطاطىء راسي منهم الخجل

ومن معاني الخجل (بفتح فكسر) : (١) المرح (بفتح فكسر) . عن شمر بن حمدويه ، الذي انشد : « قد يهتدي لصوتي الحادي الخجل » . (٢) الثوب الخجل : الثوب الخلق (بفتح ففتح) : اللسان . (٣) ثوب خجل : طويل فضفاض (مجاز) عن الاساس . (٤) واد خجل : مخصب معشب .

خـــذلان

ويقولون : بئس خذلان (بضم فسكون) المـــرء وطنه في الملمات . والصواب : ... خذلان (بكسر فسكون) ... كما تقول المعاجم كلها . وفعله خذله (بفتح الذال) يخذله (بضمها) خذلا (بفتح فسكون) وخِذلانا (بكسر فسكون) : تخلى عن عونه ونصرته . وفي الحديث الشريف : « المؤمن اخو المؤمن لا يخذله » .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : « الخاء والذال واللام اصل واحد يدل على ترك الشيء والقعود عنه ، فالخذلان (بكسر الخاء) : ترك المعونة » .

خربش الكتاب والعمل

ويخطئون من يقول : فلان خربش الكتاب ، اي : افسده . ظانين ان الفعل (خربش) عامي ، وهو فصيح ، ذكره الليث بن سعد ، وزيد بن اخزم الطائي ، وابن ابي داود ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في النهاية : (في الحديث « كان كتاب فـــلان مخربشا (بفتح الباء) » اي مشوشا فاسدا . الخربشة والخرمشة : الافساد والتشويش) .

ويستشهدون بقول ابن ابي داود : كان كتاب سفيان مخربشا ، اي فاسدا .

وجاء في هامش « متن اللغة » : « وتقول العامة : خربشه اذا جرحه بأظافيره ، وهو مجاز مـــن خربشة الكتاب . او اصلها : خرشه بمعنى خدشه ، زيدت فيها الباء . وعهدها بهذا المعنى عند العامة قديم ، فقد كانت معروفة في القرن الحادي عشر للهجرة » .

والمجاز يجيز لنا ان نقول : « خَرْبَش الطفل الكتاب بالقلم ، اي : رسم عليه خطوطا ملتوية افسدته » .

وممن اهمل ذكـــر الفعل (خربش) : الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والمصباح ، والمد .

اما (خرابيش الخط) فيقول المتن انها ما افسد منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدباسة لا الخرازة

ويطلقون علـــى الآلة التي تشبك الاوراق بعضها ببعض بالسلك الدقيق اسم خرازة (بتضعيف الراء) . ولكن : جاء في الجزء الثامن عشر من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في باب حجرة المكتب ، من فصل الفاظ الحضارة، التي اقرها مؤتمر المجمع ، في جلسته العاشرة ، بتاريخ ١٧ آذار ١٩٦٢ ، في المادة رقم ١٥ ، ان المؤتمر اطلق على تلك الآلة اسم : الدبّاسة .

اما الخرازة فمعناها : (١) صانعة الخرز . (٢) التي تُوشّي الثوب وتزينه بالخرز . (٣) التي حرفتها خياطة الجلد (من خرز الجلد (بفتح الدال) ونحوه يخرزه (بكسر الراء وضمها) خرزا (بتسكين الراء) : خاطه) .

خرس وخرسان

ويخطئون من يجمع الاخْرس على خرسان ، ويقولون ان الصواب هو : خُرْس (بضم فسكون) ، لان القياس هو ان نجمع افْعل فَعْلاء على فُعْل (بضم فسكون) . ومؤنث الاخرس هو الخَرْساء .

ولكن : من الكلمات التي شذت هي كلمة اخرس ، اذ جمعت علـــى : (أ) خُرْس : الاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتـــن ، والوسيط . (ب) وخُرْسان (بضم فسكون) : الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديـــب

من الباعة والمكتبات

الخـــــروع

النبت الذي يقوم على ساق ، والذي له ورق كورق التين ، وبذور مُلس كبيرة الحجم ، ذات قشرة رقيقة صلبة مبرقشة، وهي غنية بزيت يسمونه الخَرُوع (بفتح الخاء) . والصواب بكسرها (الخِرّوع) ، كما قال الاصمعي ، والفاظ ابن السكيت (في باب صفات النساء) ، والتهذيب ، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، وتكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة لابن الجواليقي ، والصاغاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، ومستدرك التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ومحمد علي النجار في محاضراته عن الاخطاء اللغوية الشائعة .

ويقول ابن الجواليقي : « ليس في كلام العرب فِعُوَّل (بكسر فسكون ففتح) الا : خِرْوَع وعِتْوَد ، وهو اسم واد او موضع ، وقال ابن بري : هو اسم دويبة » .

الخرف او الهذيان لا التخريف

ويسمون ما يقوله من فسدت عقولهم من الكبر او المرض : تخريفا . والصواب هو الخَرَف (بفتح ففتح) او الهُذيان (بفتح ففتح) ، لان المعجمات ليس فيهـــا خرف (بفتح فتضعيف) فلان من الكِبَرْ (بكسر ففتح) ، بل فيها : خَرِف (بكسر الراء) يَخْرَف (بفتحها) خَرَفا (بفتح ففتح) ، فهو : خَرِف (بفتح فكسر) ، وهي خَرِفة (بفتح فكسر) .

اما خَرَّف (بفتح فتضعيف) فلانا تخريفا فمعناه : نسبه الى الخَرَف (بفتح ففتح) كما جاء في القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ومعنى : خُرِّفت (بفتح فتضعيف) الارض : اصابها مطر الخريف .

الخَرْق (بفتح فسكون) و الخُرْق (بضم فسكون)

ويقولون : في هذا الثوب خرق (بضم فسكون) والصواب : فيه خَرْق (بفتح فسكون) ، اي ثُقْب (بفتح فسكون) ، كمـــا جاء في الصحاح ، والاساس ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والنهاية ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع الخَرْق (بفتح فسكون) على خُروق (بضم الخاء) .

اما الخُرْق (بضم فسكون) فهو الحمق والجهل . جاء في النهاية : (وفي الحديث « الرفق يُمْن (بضم فسكون) ، والخُرْق شُؤْم » . وقد خَرِق (بفتح فكسر) يَخْرَق (بفتح الراء) خَرَقا (بفتح ففتح) فهو أَخْرق ، والاسم الخُرْق (بضم فسكون) .

وممن ذكر ايضا ان الخُرْق (بضم فسكون) هو الحمق والجهل : الجامع للكرماني ، والصحاح ، والاساس ، والمغرب ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والخَرَق (بفتح ففتح) والخُرُق (بضم فضم) يحملان معنى الخُرْق (بضم فسكون) ايضا .

خرم الابرة ، سمها ، ثقبها ، عينها

ويخطىء الدسوقي في كتابه « تهذيب الالفاظ العامية » من يسمي عين الابرة خرما (بضم فسكون) ، ويقول ان الصواب هو : سُم (بتثليث السين وتضعيف الميم) الابرة ، او ثُقبها (بفتح فسكون) .

والحقيقة هي ان خرم الابرة يعني سمها ، او ثقبها ، او عينها اعتمادا على ما جاء في اللسان (اصل الخرم (بفتح فسكون) الثقب (بفتح فسكون)) ، والمصباح (خرم الشيء : ثقبه) ، والخرم (بضم فسكون) موضع الثقب (بفتح فسكون) ، ومستدرك التاج (خرم « بضم فسكون » الابرة : ثقبها) ، والمتن (نقل ما ذكره التاج) .

اما فعله فهو : خرم (بفتح الراء) يخرم (بكسر الراء) خرما (بفتح فسكون) .

الخيـــــزران

هنالك نبات من الفصيلة النجيلية ، لين القضبان ، املس العيدان ، يطلقون عليه اسم الخيزران (بفتح الزاي) ، والصواب : الخيزران (بضم الزاي) : لحن العوام لأبي بكر محمد الزبيدي ، والصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

واستشهد ابو بكر محمد الزبيدي بقول الفرزدق :

في كفه خيزران كفه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

ونسب هذا البيت الى الحزين الكناني .

وقد ذكر التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ان العامة تفتح زاي (الخيزران) .

والخيزران (بضم الزاي) اسم زوج الخليفة العباسي المهدي ، وام ابنيه الهادي وهارون الرشيد ، وقد توفيت سنة ١٧٣ هـ.

ووردت كلمة الخيزران في بيت البشار بن برد :

اذا قامت لحاجتها تثنت كان عظامها من خيزران

وفي جنوب مدينة صيدا متنزه على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، يطلقون عليه خطأ اسم : خيزران (بفتح الزاي) ، والصواب بضم الزاي طبعا .

ويجمع الخيزران على : خيازر .

الخاسر لا المخسران

ويقولون : خرج فلان من تجارته خسران ، والصواب : خرج خاسرا ، لان المعجمات كلها ليس فيها خسران (بفتح فسكون) . وفعله كما جاء في المتن : خسر التاجر يخسر خسرا (بفتح فسكون) ، وخسرانا (بضم فسكون) ، وخسارة (بفتح الخاء) ، وفي معجم الفاظ القرآن الكريم : خسارا (بفتح الخاء) .

وقد يأتي الخاسر بمعنى الضال والهالك ، وفعله كما جاء في المتن : خسر يخسر (باب ضرب) ، وخسر يخسر (باب علم) خسرا (بفتح فسكون) ، وخسرا (بفتح ففتح)، وخسرا (بضم فسكون) ، وخسرا (بضم فضم) ، وخسرانا (بضم فسكون) ، وخسارة ، وخسارا (بفتح الخاء في المصدرين الاخيرين) .

وقد اخترت الفعلين ومصادرهما كما وردا في المتن ، لان هنالك اختلافا كبيرا ، وتشويشا في المعجمات الاخرى .

وقد ذكر الوسيط ان الخاسر هو الذي ضل وهلك ، اما الذي خسرت تجارته فقال انه خسر (بفتح فكسر) ، مع انه خاسر ايضا ، كما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، وكما قال الليث بن سعد ، والتهذيب ، والاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

التيارات الفلسفية في الادب العباسي

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

يستغني دارس التاريخ والادب ومن يضطلع بتدريسهما عن ثقافة فلسفية تسعفه على الادراك العميق لهاتين المادتين اللتين لا بد ان تتأثرا بفلسفة العصر الذي يدرسه . وقد اشار ارسطو الى العنصر الفلسفي في الشعر حين قال انه يتناول موضوعات كلية ، بخلاف التاريخ الذي يعالج الجزئيات ، على اعتبار ان التاريخ في عصره لم يفلسف الاحداث كما يفعل مؤرخو هذا العصر .

كان الشعر التمثيلي ابرز الانواع الشعرية عند اليونان وقد اخضعوه للفلسفة وجعلوه منبرا للحكمة والارشاد . اما الشعر الغنائي فاقتصر دوره على التعبير عن العاطفة المشبوبة . وفي عصرنا ، نجح الرومنطيقيون في تطويع الشعر الغنائي للفلسفة لانهم ركزوا شعرهم على فلسفة افلاطون وافلوطين وكلاهما ، ولا سيما الثاني ، ذو اتجاه صوفي . واستمدوا من فلسفات اخرى تقديس الطبيعة ، واعلنوا ايمانهم بمساواة البشر وتآخي الاديان .

ويقول السوريواليون كذلك ان حركتهم في اساسها فلسفية صوفية وقد استمدوا بعض عناصرها من هرقليطس اليوناني . وعلى الجملة لا يستطيع احد ان ينكر خضوع ادب هذا العصر بجميع انواعه ــ من مسرح وقصة وشعر ونقد ــ لتيارات الفلسفة التي تتصارع فيها مبادىء صوفية رومنطيقية ومبادىء اخرى واقعية اشتراكية نيتشوية وجودية .

« فلسفة القبيلة » ، اي تلك المبادىء الخلقية التي فرضتها في عصرنا اكثر تعمدا وشيوعا . حتى العصر الجاهلي الذي لم يكن عصر علم وفلسفة ، نلمح في انتاجه الشعري اثر والنثر قمة نضجها ، ونبغ كبار الشعراء والمترسلين . الا الحياة لاقبلية على العرب حينذاك . تعظيم الكفاح والصبر والحرب والنجدة والكرم والثأر والانفة وسائر الصفات التي عدت ضرورية للبقاء عند عرب البادية . من هذا النوع شعر عنترة وابن كلثوم والسموال والحارث بن حلزة . ومن جهة اخرى وجد شعر يناقض في مبادئه فلسفة القبيلة ويدعو للخروج على قيودها . منه شعر طرفة الذي آمن صاحبه بفلسفة اللذة القائلة : « لنستمتع اليوم لاننا سنموت غدا » . وفي شعر زهير رغم روحه القبلية ، ثورة على مبدأ الحرب ودعوة الى كفاح هذه العادة المهلكة ونبذ العصبية القبلية ، مثيرة الحروب .

في العصر الاموي الذي كان امتدادا للعصر الجاهلي لم يحدث تطور كبير في تفكير العرب وادبهم ، بخلاف العصر العباسي ، عصر تفاعل الحضارات العالمية ، عصر الانفتاح الثقافي والانتاج الموسوعي الذي جعل منه عصر العرب الذهبي . في هذا العصر بلغت الكلاسيكية العربية في الشعر والنثر قمة نضجها ، ونبغ كبار الشعراء والمترسلين . الا ان العصر العباسي هو اولا عصر نضج النثر العربي وتطوره وتعدد فنونه. لان النثر لغة الحضارة وحاجة الامم المتحضرة اليه اشد من حاجتهم الى الشعر . فسيطر على دوائر الدولة ومراكز العلم والدين ، وكان من نتائج هذه السيطرة انكماش دائرة الشعر ابتداء من القرن الثالث الهجري . وحتى ابو تمام الذي عاش في القرن الثاني نعى الشعر في قصيدة مشهورة قال فيها :

الا ان نفس الشعر ماتت وان تكن عداها حمام الموت فهي تنازع

وكان من نتائج طغيان النثر سيطرة العقلانية والتفكير المنطقي على ثقافة العصر . فالنثر لغة الروية والتبصر في حين ان الشعر لغة العاطفة والخيال والالهام ، ومنذ ان تم للعرب نقل فلسفة اليونان ومنطقهم الى العربية ، ظهر بوضوح تأثير اساليب المنطق في علومهم وادبهم . وساد الاتجاه العقلاني الذي يمكن ايجازه بالنقاط الآتية :

الايمان بقدرة العقل على ادراك كل شيء حتى الغيبيات ، وباستطاعته تمييز الخير من الشر والوصول الى الحقيقة .

تعظيم الحكمة او المعرفة العقلية .

انكار المعرفة الحدسية الالهامية .

انكار الاوهام والخرافات المنافية للعقل .

الاعتدال والاتزان في التفكير والسلوك .

الاتجاه الواقعي في الكتابة واساءة الظن في الخيال والعاطفة .

ربط الادب بالفائدة الاجتماعية والعظة الخلقية .

الاعتقاد بأن الكون كل منسجم ، من يخالف فيه القوانين الموضوعة ويعتدي على ميزة الانسجام يخطىء ويتعرض للهلاك .

طبق العرب مقاييس المنطق على علوم اللغة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقواعدها كما هـو معلوم . طبقوها على علوم الدين فاستخدموا المنطق في تفسير القرآن واخضعوا الحديث النبوي لمبادىء التعديل والتجريح المستنبطة من المنطق . طبقوها على العقائد والاصول الدينية واستنبطوا علـم الكلام الذي يدافع اصحابه عن العقيدة بالبراهين العقلية . فكان المعتزلة دعاة الفلسفة العقلانية في الدين والاشعرية خصومهم الذيـن ناقشوا تعاليمهـم بالاسلوب العقلاني وحاربوهم بسلاحهم .

لم يكن للفلسفة العقلانية تأثير كبير في كتابة التاريخ والسير . فقـد ظلت الحقائق تختلط عندهم بالاساطير والمبالغات . لكنهم اعتمدوا الاسلوب الفيثاغوري اليوناني في تنسيق الحوادث وترتيبها على السنين . ولـم يتصد لمناقشة المؤرخين وتبيان اضاليلهم بأسلوب المناطقـة الا مؤرخ فيلسوف ظهر في عصر متأخر ، هو ابن خلدون صاحب المقدمة الشهيرة في فلسفة التاريخ ، الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد ، الثامن للهجرة .

لكـن الادب بجملته اصطبـغ بالصبغة العقلانية والاساليب اليونانية ، منذ عهد عبد الحميد بن يحيى الذي جعل رسائله فصولا منسقة كفصول الكتاب واستقى من اليونان كثيرا من الآراء والحكم التي ضمنها رسائله . ومثله ابن المقفع في اتجاهه العقلاني الرصين واعتماده الاسلوب الفيثاغوري المتسلسل في « كليلة ودمنة » واخذه بمذهب الاعتدال اليوناني في نثره الجامع بين السلاسة والوضوح والاناقة الخالية من التسجيع والتنميق .

اما الجاحظ الذي قيل ان كتبه تعلم العقل اولا والادب ثانيا ، فكان متكلما معتزليا ، يحكم العقل في كتبه المنوعة الموضوعات والاغراض . في رسائله ومقدمات كتبه يلتزم اسلوب البرهان والدفاع بالحجة القوية الدامغة، مستشهدا بالحكم والامثال واقوال البلغاء وآراء الفلاسفة ، حتى يفحم قارئه ويرغمه على التسليم برايه . ومـن تأثير ثقافته الكلامية ان يذكر محاسن الشيء ثم مساوئه ، حتى يحيط بجميع نواحي الموضوع. يعدد، مثلا، محاسن النثر وفضائله ثم يقارن بينها وبين محاسن الشعر ، ليرينا فضل الاول على الثاني ويثبت امتيازه . فالجاحظ امام الاسلوب المنطقي الممتاز بصحة التفكير وسهولة العبارة واعتدالها وسلامة في الذوق اساسها مراعاة مقتضى الحال ، وهي مبـدأ أرسطي منطقي . اما في كتاب « الحيوان » فيعتمد في ابحاثه الاسلوب الفيثاغوري اي التقسيـم والتفريغ ، ويناقش الاقوال التي سمعها او طالعها .

لم يسلم الشعر من تأثير المنطق والفلسفة حتى في العصر العباسي الاول . فقصيدة ابي نواس التي مطلعها « دع عنك لومي فان اللوم اغراء » ليست الا خطبة دفاعية تعتمد البرهان المقتبس من الدين لتحليل شرب الخمر . يحمل في مطلعها على اللائمين متعللا بالحكمة القائلة ان اللوم اغراء وان الداء يداوى بالداء . ثم يعدد محاسن الخمر وفضائلها في مجال دفاعه عنها وتزيينه لشربها . ومن خلال ذلك يصرح بشعوبيته حين يقارن بين اطلال ليلى واسماء ، اطلال العرب في الجاهلية ، والقصور التي تبنى للخمر في عصر الحضارة . فهذه القصيدة على رشاقة لفظها وسلاسة عبارتها والظرف والسخر البادين فيها ، تتوسل بالمنطق لتزيين الاثـم وتستوحي مفردات العلـم باستعمال « اللطافة والكثافة والتولد والفلسفة » .

فاذا جئنا الى عصر ابي تمام ، اوائل القرن الثالث هـ. وجدنا في شعره مقدارا اكبر من تأثير العلم والفلسفة او الحكمة اليونانية . فقصيدته في فتـح عمورية تستهـل بسلسلة من البراهين التي يكذب بها المنجمين . مطلعها حكمة اجراها مثلا . وتفنيده لمزاعم اهل التنجيم يدل على معرفته لهذا العلم ومصطلحاته :

وصيروا الانجـم العليا مرتبـة ما كان منقلبا او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة ما دار في فلك منها وفي قطب

هنا رد على الذين زعموا ان للكواكب عقولا تشارك في تدبير امور البشر ، كما جاء في فلسفة ارسطو وتلميذيه الفارابي وابن سينا .

من جهة اخرى ، نلاحظ في القصيدة تسلسلا وانتقالا منطقيا . من تكذيب المنجمين الى وصف المعركة حيث يقول :

لـو بيّنت قط امرا قبل موقعه لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى ان يحيط به نظم من الشعر او نثر من الخطب

كذلك تزدحم القصيدة بضروب من المقارنة والجمع بـين الاضداد والتفاصيل البرهانية والتوسيع الوصفي والشواهد التاريخية ، مما يـدل على تأثرها بأساليب الناثرين الذيـن اساغوا التفصيل والتوسيع بالمقارنـة والشواهد المختلفة . فالشعر الجاهلي « لمح وايجاز » كما يقول البحتري في ابيات مشهورة يعارض فيها ربط الشعر بالمنطق حيث يقول :

كلفتمونـا حـدود منطقكـم في الشعر يغني عن صدقه كذبه
ولـم يكـن ذو القروح يلهـج بالمنطق مـا اصله ومـا سببه
والشعر لمـح تكفـي اشارتـه وليس بالهـذر طولـت خطبـه

في الابيات المارة اشارة الى الطريقة المنطقية التي اصابت الشعر برشاشها . اذ فرضت التعليل والتحليل والى ذلك يشير البحتري بقوله : « ما اصله وما سببه » . كما فرضت الاطالة والتوسيع على طريقة المترسلين ، لذلك يقول : « وليس بالهذر طولت خطبه » .

امـا ابن الرومي ، معاصر البحتري وخصمـه ، فقصائده ، عدا امتيازها بروعة التصوير وعنف العاطفة ، تمتاز كذلك بصفات نثرية منطقية منها طول النفس وتقصي المعنى « حتى لا يبقى فيه بقية » . ومنها التفصيل بعد التعميم واتباع البيت الواحد ببيت يفسره ويعزز معناه .

ومنها ايضا التسلسل والوحدة وحسن الانتقال الذي وجدناه عند ابي تمام ، وعدم الاسراف البديعي وعدم الاحتفال بالموسيقى اللفظية . بينما الاسراف البديعي وقوة الايقاع صفتان يتمسك بهما ابو تمام . فعند كلا الشاعرين تجتمع وتندمج مزايا شعرية ومزايا نثرية معا ، ويتعانق الفكر والخيال ، المنطق والعاطفة ، ولعل هذا المزج هو سر تفوقهما .

يبلغ الاتجاه العقلاني اوجه في شعر المتنبي وتلميذه المعري . فالاول مهد للثاني بشعره الحكمي الذائع الصيت ، وباعتماده فلسفة القوة والعقل والطموح حيث يقول :

ـ الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
ـ واذا لم يكن من الموت بد فمن العار ان تموت جبانا

مهد المتنبي للمعري باعراضه عن شعر الغزل والمجون وصرفه الشعر الى موضوعات جدية كالحكمة ومدح العظماء ونقد المجتمع وهجو الحساد والجبناء وادعياء الشعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني ، قصير يطاول ؟

والمعري كما نعلم شاعر الفلسفة وفيلسوف الشعراء . نظم معظم شعره في فلسفة الدين والتساؤل الميتافيزيقي ، او في بحث الغيبيات من موت وبعث ووجود وعدم وغاية ومصير . وقد بالغ في نقد فساد المجتمع وحمل على رياء بعض المتدينين وغرور بعض العلماء واضاليل الشعراء وخرافات العامة وجهل المراة وانحطاطها .

في ادب المعري من شعر ونثر يبرز الاسلوب الساخر الذي شاع في عصره ويعد ثمرة من ثمار العقلانية لانه هجو فني بارع لعيوب العصر وحماقاته ولاعقلانيته . ادواته الاسلوب اللامباشر في النثر ، من قصة ونادرة ومقامة . وفي الشعر التعريض والتلميح والمعارضة بين ضدين والاغراب ، وفي بعض الاحيان نقل العبارة المحكية واستعمال السجع المعبر عن سخرية .

انتج هذا العصر الادباء الساخرين ، منهم ابن المقفع والجاحظ والهمذاني والمعري .

ابن المقفع في « رسالة الصحابة » يكتب معرضا بظلم الحكام . وفي « كليلة ودمنة » يستعرض عيوب المجتمع بأسلوب طريف ، بارع السخرية ، اذ يجعل العظة للانسان العاقل على لسان الحيوان غير العاقل . بهذه الطريقة يجمع بين قطبي الهجاء الاجتماعي : الطرافة والارشاد .

الجاحظ في نوادره واخباره الضاحكة يعرض حماقات البخلاء . ويصور لنا الجبناء الذين يدعون البطولة (ابو الاعز) والجهلاء الذين يدعون العلم (رسالة التربيع والتدوير) ويسرد حكايات المعلمين والمغفلين والموسوسين واهل الشذوذ . ميزة الجاحظ في سخره انه يناقش الخطأ بأسلوب فكه . ينقل احيانا عبارة الشعب فيبدو اكثر واقعية .

الهمداني في رسائله ومقاماته يبلغ قمة الافتنان بأسلوبه المسجع الذي يتخذه اداة سخر من المكدين المحتالين على العيش ببراعتهم اللسانية ومحفوظاتهم اللغوية . يرينا كيف اصبح العلم والشعر آلة ارتزاق وابتزاز عند ادباء العصر ، كما هو حال الصحافيين ومرتزقة الادب في عصرنا .

اما ابو العلاء المعري فهجاؤه الاجتماعي صريح في اللزوميات ، غير مباشر في « رسالة الغفران » حيث يعرض في رحلته الخيالية ضلالات اهل عصره وما نسجوه من اوهام حول الجنة والنار والشعر والشعراء .

في راي غرونباوم(١) المستشرق الالماني ان سيادة المذهب العقلاني في هذا العصر كانت احد العوامل التي حدت من تطور الادب لانها ، حين قيدته بالمنطق ، حالت بينه وبين انطلاق الخيال وجموح العاطفة . وكل من يطلع على كتب النقد الادبي في ذاك الحين تستوقفه اخبار الجدل الذي قام بين النقاد والشعراء حول التجديد اللغوي والبديعي الذي ناقشه وعارضه المتزمتون من ارباب النقد لانه خالف العرف والمنطق(٢) . من ذلك انهم استنكروا قول ابي نواس :

فظني كلا ظن وعلمي كلا علم

لانه يخالف المنطق . وناقشوا قول ابي تمام :

خطوب يكاد الدهر منهن يصرع

بقولهم : « جن ابو تمام . أيصرع الدهر ؟ » كما انكروا قوله :

فضربت الشتاء في اخدعيه

بقولهم : « وهل للدهر اخادع ؟ » واستهجنوا قوله : « لا تسقني ماء الملام » لان الماء يوحي العذوبة ولا يجوز الجمع بينه وبين المرارة .

ولكن لا بد ان نذكر ، بعد هذا العرض السريع ، ان التيار العقلاني رغم كونه الصبغة المميزة للعصر العباسي ، لم ينفرد بالسيادة بل حاذاه تيار آخر مناهض للعقلانية ، اصحابه فلاسفة وشعراء ينتمون الى اصول ومذاهب مختلفة . من الفئة الاولى ابن سينا وابن طفيل اللذان اعترفا بأن للوصول الى الحقيقة طريقين العقلاني والالهامي الصوفي . ومنهم الاشعرية خصوم المعتزلة ،

---

(١) ـ غوستاف فون غرونباوم ، « دراسات في الادب العربي » ، ترجمة احسان عباس ، انيس فريحه ، محمد نجم وكمال اليازجي ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ .

(٢) ـ راجع حول هذا الموضوع كتاب « الموشح » للمرزباني .

من غير استئذان

انـــي لاكـــره ان تستأذني ابـــدا ... اذا دخلت ، فـــلا تستأذني أبدا
الشمس تشرق في حسن وفي صيد ... من غير اذن ، فتحيي الروح والجسدا
والبـــدر يطلـــع مختالا بسيرتـــه ... متى اذنا لـــه يشفي بنـــا الرمدا
والزهر يعبق في سهـــل وفي جبل ... فيمـــلأ الكون طيبـــا فائحا وندى
متـــى سمعت نسيم الفجر منتشرا ... ينساب في أرج مستأذنـــا احـــدا
لم يأت امس ، ولم يذهب كعادته ... ولـــن نلاقي مأذونا يجيء غـــدا
وانت امسي ويومي في الهوى وغدي ... فأقبلي مثل عمر لـــم يضع بددا
العبقرية كانـــت ، فالجمال بـــدا ... لولاه كان وجـــود العالمين سدى

يـــا من لقيت بهـــا الدنيا مجملة ... والحظ مبتسما ، والدهر متئـــدا
صفا الزمان بها من بعد ما اعتكرت ... ساعاتـــه فنسيت الهـــم والنكـــدا
وراق مـــاء شربناه معـــا فحـــلا ... وكاد يقتلنا بـــين السراب صدى
دفنت في جيدها احـــزان مغترب ... بـــين الجوانح واه نومـــه شردا
ولم اجد مـــن زمان السوء مختبأ ... سوى خمائلها ايكـــا حمى غردا
اذا رزقت حبيبـــا غـــير منصرف ... الـــى سواك رزقت النعمة الابدا
تحس بالعطف مـــا يهديك في سفر ... تطول ايامه تيهـــا بغـــير هـــدى
تعطيك مـــا ظل مفقودا ، تؤمله ... فتستريح كـــان الشيء مـــا فقدا
ماذا تريد مـــن الدنيا وقد عبست ... غير الخليل الذي تسلو به الكمدا

عصيفرة ــ تعز ــ ص.ب ٤٨٠٦ ... علي محمد لقمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين انكروا قدرة العقل على ادراك الغيبيات . ووافقهم الغزالي صاحب « تهافت الفلاسفة » الذي اقر في مذهبه عنصر الالهام الصوفي . وعارضه ابن رشد في « تهافت التهافت » حيث انكر آراء الصوفية والتزم عقلانية أرسطو .

اما المتصوفون فكان منهم شعراء ، فرس وعرب . نظير الحلاج وجلال الدين الرومي والجنيد والنفري وابن عربي وابن الفارض . شرحوا في نتاجهم معاني التصوف وعبروا عن رؤاهم واشواقهم بالشطح وغريب القول . وظهر في شعرهم من اعراض الذهول والحمى النفسية ما جعل الباحث الانكليزي نيكولسن يشبههم بأصحاب الكتابة الاوتوماتيكية او السوريالية في الشعر الحديث .

في وسعنا كذلك ان نلمح انحرافا عن العقلانية في الغلو البديعي الذي انغمس فيه الشعراء والناثرون ابتداء مـــن القرن الرابع الهجري ، والاسترسال في الزخرفة والتصنع الى درجة الغموض والاغراب الشديد . انحراف لم يسلم منه اكثرهم عقلانية نظير ابي العلاء المعري في لزومياته وفي رسائله المسجعة .

ان الصراع بين التيارين العقلاني واللاعقلاني يستمر في عصرنا الذي تتصادم فيـــه تيارات عقلانية كالوجودية والواقعية وتيارات اخرى تقدم الخيال والعاطفة على العقل او تتنكر له نظير الفلسفة الرومنطيقية وما اشتق منها من مذاهب الرمز والسوريالية وأدب اللامعقول .

التياران منذ القديم يتنازعان . يلتقيان وينفصلان . في احتكاكهما وتفاعلهما كسب وغنى . الا ان تناحرهما قد يؤدي احيانا الى اشعال الفتن وايقاد الحروب التي تجر الكوارث والويلات .

(من مجموعة محاضرات في الادب العباسي) ... روز غريب

السقوط من الدور العاشر

بقلم جمعه محمد جمعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستحيل !! هل انا في كامل قواي العقلية ؟ الست مجنونـــا !! كانت صرختي في ابراهيم ساعي مكتبـــي صرخة مجنون فعلا وانا آمره :

ـــ اخرج سيارتي من الكاراج ..

لـــم اره حينما تركني .. لـــم ار احدا .. لم ار شيئا ..

ـــ السيارة جاهزة يـــا سعـــادة البيه ..

ـــ والمصعد ؟

ـــ جاهز يا افندم ..

وقف ابراهيم يشيعني بنظراته .. احساس خاص اكنه له بالحب منذ عينا معا في يوم واحد انـــا كباحث قانوني وهو كساع للادارة القانونية التي التحقت للعمل بها .. احببته لخلقه الكريم ، وطاعته التي تجبر الانسان على احترامه .. تركتـــه ورائـــي رافعـــا يـــده بالتحيـــة .. بعد ترقيتي اخترته ساعيا لمكتبي .. خشيت ان تقفز الدموع من عينيه لو اعلنته بالخبـــر .. لا بأس مـــن تجاهله .. سيعرف بعـــد قليل .. ارتبكت وارتعبت مفاصلي .. كدت اتهاوى .. رفع عامل المصعد يده بالتحية .. اخذ المصعد في الهبوط .. تمنيت في تلك اللحظة ان يسقط بي دفعة واحدة ولتكن النهاية .. لكن ما ذنب عامل المصعد .. اي فاجعة المت بي !! واي كارثة تحيق بحياتي !

ـــ وصلنا يا سعادة البيه ..

غادرت المصعد متعجلا الهرب .. اعرف انه خلال ثوان قليلة سينتقل الخبر من ادارة الى ادارة ، ومـــن موظف الى موظف .. ابتلعت خوفي بعـــد ان اسقطني المصعد قبل ان يسقط الخبر الى حارس الباب .. يقينا لـــم يصله بعد فقـــد رفع يده بالتحية .. اومأت براسي وانا افتش بعيني عن مكان سيارتي ..

جلست خلـــف عجلة القيادة .. انطلقت السيارة دون ان القي امرا .. كل شيء امام عيني تذروه الرياح .. اوقفتني اشارة المرور .. ارتفـــع ورائي صوت كلاكسات السيارات .. انطلقت مرة اخرى .. ما بين غمضة عين وانتباهتها انهار كل شيء .. نظرت الـــى الطريق الخالي امامي وحدقت طويلا طويلا ..

كنـــت موظفا صغيرا في احـــدى الوزارات قانعـــا بقبـــر شهادتـــي الجامعية التـــي حصلت عليها بعـــد سنوات عجاف تكبدت فيهـــا اسرتي آلام العوز ومهانة الحاجة .. تفتحت الآمال امامي حينما اتيح لي فرصة للعمل في هذه الشركة ، وكانت في بدء مزاولة نشاطها .. كان سلم الترقي امامي خاليا .. اتاحت لي الوظيفة سعـــة في الـــرزق ، وبحبوحة في العيش .. ابتسم لي الحظ وتزوجت باحدى بنات الاسر الثرية التي كنت اسمع عنها في الحكايات .. شعرت انني بهذا الزواج انتقل الى مصاف السادة وابناء الاكرمين .. وجدت نفسي برجوازيا صغيرا يحبو نحـــو آفاق واسعة .. رقيت الى نائب مدير ومنها الى مدير ثم مدير قطاع ، وقفزت الـــى مدير عام .. اعددت العدة لتولـــي منصب نائـــب رئيس مجلس الادارة .. امتـــلأت حياتي بالآمال وصار المستقبل في يدي اشبه بحلقة المفاتيح ..

الاصل في وجودي ابي وامي وانا الفرع الجاحد الذي تنكـــر لهما .. اجتذبتني انوار الثراء فلم اعد ارى تحت قدمي حيث يرقد اصلي ، يئن ويتألم .. نسيت تماما اسرتي .. كانت عطاياي لهما تشعرهما بالهوان فكفا عن زيارتي ، وارتاحت زوجتي سعاد لتلك القطيعة .. استأثرت بي وحدها .. ثم استأثرت بي آمالي .. ثـــم استأثر بي طفلـــي عاصم ، وأماني .. كنت مرشحا لمنصب نائب رئيس مجلس الادارة .. كان ممكنا الا يحدث الصدام بيني وبين النائب الحالي .. لكنه حدث .. كان هـــو البادىء .. وجه الي اللوم واحتد بيننا النقاش .. كدت اتصدى لـــه ولكنه لـــم يترك لي الفرصة واخذ ينهشني .. لم اتمالك زمام كرامتي .. كلت لـــه الصاع صاعين فنظر الي نظرة لا انساها ما حييت وقال في تشف :

ـــ من تظن نفسك ؟ .. ابن طباخ حقير ..

صرخت عيناي غضبا وثورة :

ـــ لا يهمني ابن من اكون ؟ .. بكفاءتي ومجهودي .. بجدارتي اثبت وجودي ..

طردني من مكتبه ، استغل نفوذه العائلي و ...

اوقفت السيارة .. لم اعد ارى .. الطريق يبدو كخلية نحـــل ، بددت الانوار نور عيني .. اكلت الافكار راسي اكل الجراد للاخضر واليابس .. السماء تطبق على الارض ، والارض تغور وتغور نحو اعماق الجحيم ..

صحيح ابن من انا ؟ .. اي صدفة ساقتني لان انخرط في صفوف تلـــك الطبقة التي عرفتها وانكرت معرفتها



بسي .. كيف عاش الفرع وحده ، وكيف امكن له ان يعيش بعيدا عن جـذوره الراسخة في الارض ؟ .. مسكين انا !! ابراهيم بساعي مكتبي اكتشفت انه برجوازي صغير فشل في الحصول على الشهادة الجامعية . فتشت في الشركة كلها ووجدت انهم جميعا اولاد ناس وانا وقلة امثالي اولاد ...

السماء تمطر ثلجا يتحول الى فتات بمجرد اصطدامه بالارض .. الثلج تذيبه الشمس الساطعة وسط السماء .. اي عجب هذا !! الحياة ملأى بالاعاجيب .. الطبيعة ايضا .. السماء تمطر والشمس ساطعة .. دوت في اذني كلمات النائب « ابن طباخ حقير » .. انهار كل شيء لوجود هـذه الكلمة في شهادة ميلادي .. بريء انا من مبادئهم .. كلهم يقول انا .. ثم انا .. ثم انا .. وتتحكم في كل منهم الأنا حتى صار كل منهم يتوهم انه عظيم !

غادرت السيارة .. درت حولها .. لم اعد جديرا بها .. ابن الطباخ لا يركب الا ساقيه .. تصلبت عروقي وانا اتذكر زوجتي .. لقد تركتها تزاول عملها بالشركة .. ينبغي ان اعود فلا شك انها علمت بالفاجعة .. لا شك انها ...

اصابتني صحوة حقيقية .. افقت لاعرف ان اليوم انقضى ، وان الشركة انهت اعمالها اليومية منذ امد بعيد .. لي اكثر من يوم .. بل الكثير من الاعوام وانا اسير على غير هدى بسيارتي .. حقب وازمان مرت علي وانا في حالة من الثمالة .. شعرت بالشوق الجارف لصدر زوجتي ادفن فيه تلك الصحوة التي اوشكت ان تقضي علي .. شوق آخر عنيف لأنظر طفلي وابكي ..

عدت الى السيارة سريعا .. دارت سريعا عجلاتها الى البيت .. اقلني المصعد الى الدور العاشر .. فتحت باب الشقة بمفتاحي الخاص . ارتفع الصدى يردد : « الصالة خاوية الا من الجدران » .. هرولت الى الحجرات .. كل شيء يطرقع حولي .. خطواتي وانفاسي .. شهقاتي وصرخاتي .. بكائي .. وسط كل همومي واحزاني اكتشفت واقعا نسيته .. هرولت افكاري كلها الى شقة ابي وامي ملجئي وملاذي في محنتي .. اكتشفت حقيقة انني ابن طباخ ، واي لافتة اخرى زيف وخداع .. وقفت في الشرفة اودع



جمعه محمد جمعه

كل شيء .. السماء والارض الاشجار والاطيار .. افلتت حلقة مفاتيحي وسقطت .. لم استطع متابعتها .. تراجعت الى الوراء .. تراجعت ..

هبطت الدرجات قفزا .. خرجت الى الشارع .. رايت جمعا من الناس ولغطا كثيرا يدور بينهم .. اندسست لاقف على الامر .. رايت حلقة مفاتيحي غارقة في بجيرة من الدم بجوار رأس لجسد تغطيه صفحات من جريدة الصباح .. لا يسعني الا ان اقر .. مجرم انا ؟ .. قاتل انا ؟ .. اجرمت في كل شيء ..

لا شك ان الله استجاب لدعوات امي او ابي .. جريمة عقوق الوالدين .. لقد رحلت زوجتي وطفلي وسيحل والدها محلي ابا لهما .. يشب طفلي بلا اب .. حينما يأخذهما الشوق لي تصحبهما امهما لزيارة قبر تزعم انه قبري .. معها حق .. كيف ترضى بي زوجا بلا لافتة على باب شقتنا عليها اسمي ولقبي .. كيف يقبل ابني عاصم الذهاب الى المدرسة بغير السيارة ؟ هل يقبلني اصدقائي ومعارفي ولا يطردونني من زمرتهم لتخلي الالقاب عني ؟ .. القتيل من يكون ؟ .. ساقاي تترنحان .. استند الى جدار .. جريمتي ليس فيها سبق اصرار وتعمد .. سأنال البراءة في نهاية المطاف .. حقا سأنال البراءة .

خطواتي المتعبة تقودني الى بيت اسرتي .. هناك اجد الحب الابدي . هناك اجد الحنان يخفف عني ويمسح عني دموعي .. الامل ينفض التعب عن خطواتي .. باب البيت يفتح ذراعيه لاستقبالي .. اسرتي الكبيرة تنتظرني .. انهار كل ما تخيلته من اخيلة .. عصام يهرول الي صائحا : بابا .. اماني تهتز على صدر سعاد . امي تتنهد في ارتياح .. ابي يجفف دموعا انزلقت على تجاعيد وجهه .. الحب يحوطني بكل القلوب .. تهاويت واذرع كثيرة تساندني .. كلمة واحدة من سعاد اعادتني الى رشدي :

— بحبي سنبدأ من جديد .. بحبنا جميعا ستبدأ من جديد ..

تطلعت .. بحلقت .. بكيت .. تمتمت « ما ذنب القتيل ؟ » .

القاهرة — جمعه محمد جمعه

احمد مخيمر

١٩١٣ ــ ١٩٧٨

(من لزوم ما لا يلزم)*

*

شجر .. «بمينا القمح»(١) عال مثمر ... في ظله أمسى ينام .. مخيمر
لكن أحلاما تطوف برأسه ... يزهو بها ورد الربيع الاحمر
أبدا يفاديه صباح مشمس ... بعبير خاطرة ، وليل مقمر
في جانب الوادي تطاول صمته ... لو تفصح النسمات عما يضمر
ولكم تغرد حوله شبابة ... يشدو بها في الحقل راع أسمر
يلقي نشيد الحزن في جنح الدجى ... حتى ليشرق بالدموع السمر

يا شاعرا .. ادى رسالة فنه ... علوية .. وكذا الصناع يشمر
وكأنك المثال .. يبدع آية ... او نافخ في الغاب .. راح يزمر
أخرجت «بوذا»(٢) من معاقل سجنه ... فتكشفت ظلم .. كبحر يغمر
ولكم لقيت من الحياة مشقة ... فصبرت .. لا تشكو ، ولا تتذمر
وتذود عن حق ، وتدفع باطلا ... متنمرا .. يخشاك من يتنمر
لا تعرف الاقذاع فيما قلته ... كالشيخ اذ ينهى الشباب .. ويامر

أين القصائد بعد شوقي سابقا ... وكأنه صدر الملاحم .. « هومر »(٣)
وصمود حافظ للعدو مجاهدا ... بالشعر ، حتى يخرج المستعمر
وصلابة العقاد .. يرفض دعوة ... جاءت تحطم مجدنا ، وتدمر
وخطى عزيز(٤) تحتمي الفصحى بها ... والحق يدفن بالحياة ، ويطمر
لولا هدى الايمان ملء قلوبهم ... ما كان ديوان .. بشعر . يعمر

أأخي مخيمر .. والحياة قصيرة ... مهما تسلط أهلها ، وتامروا
في لجنة الشعر(٥) انتهيت لحلبة ... فيها السوابق ، والجياد الضمر
وذكرتني لما شكوت .. ولم اكن ... الا عليلا .. باللظى .. أتجمر
فانزل بدار الخلد .. أكرم روضة ... تبقى خمائلها ، وتغنى « دمر »(٦)
فستخلد الاشعار .. مهما حوربت ... وسيذهب الشعراء .. مهما عمروا*

---

(١) ــ منيا القمح ، من اعمال محافظة الشرقية . وهي بلد الفقيد . (٢) ــ اشارة الى « ملحمة بوذا » اشهر اعمال الشاعر مخيمر . (٣) ــ هوميروس ، اقدم شعراء اليونان ، وصاحب الالياذة . (٤) ــ الشاعر عزيز اباظه ، وبلدته منيا القمح بمحافظة الشرقية ايضا . (٥) ــ لجنة الشعر ، بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة . وقد ضم الفقيد لعضويتها في العام الاخير من حياته . (٦) ــ دمر ــ حدائق معروفة بظاهر دمشق .

* كان الشاعر احمد مخيمر يكتب كثيرا من شعره على طريقة اللزوميات لابي العلاء المعري ، وله في ذلك ديوان مطبوع . وقد كتبت هذه المرثية بنفس الطريقة تنويها بذلك .

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

المتنبي في شعره

بقلم حسن نجيب عيتاني

* * *

كان نابوليون يشعر بعبقريته ويحس بقوته وعظمته ويرى نفسه انه آية الخلق وخير من « انجبته امنا حواء » ولشدة اعجابه بنفسه لم يستطع ان يكتم سروره من ذلك فكان يبدي من آن الى آخر كلما كان يحسب ان الحاجة تدعو الى ذلك لقواده ورجال بلاطه انه اعظم قائد انجبه العالم الغربي وانه سيمر على اوروبا احقاب وقرون حتى تخلف قائدا مثله . وقد فعل المتنبي مثل ما فعل نابوليون ، والشبه عظيم بينهما لان النبوغ يؤلف بين ارواح العبقريين وان اختلفت بينهم النزعة والسعي وراء الحياة . فالمتنبي لم يقتصر على الانشاد في كثير من قصائده بسمو عبقريته ، ولكنه جاوز هذا الانشاد الى شيء من العجب والفخر والاعتداد بالنفس واحتقار الزمن و « اهليه » على قوله ، فثقلت وطأته على الناس وكثر الناقمون عليه والمبغضون له .

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

وكذلك فعل ابسن الروائي السكندنافي الشهير منذ نصف قرن فكان يعلن بجراة لا مثيل لها انه يتقدم اهل عصره بعشر سنوات ولعل في التاريخ كثيرا من النوابغ كانوا يدعون مثل ذلك .

هذه الجراة في الفخر ومدح النفس قبل الممدوح ، لا نرى في الشعر الغربي من مثيل لها في هذه الوفرة . فقوة اخلاق المتنبي وبروز شخصيته وكثرة تجاربه وفخره وتزاحم الامراء على الحصول على مدحه وكثرة حساده من العوامل التي اكسبته شهرة واسعة واشاعت ذكره في الآفاق وانالته من المكانة في ادب العرب ما لم ينله شاعر سواه . فسار شعره سير البرق :

وشرق حتى ليس للشرق مشرق وغرب حتى ليس للغرب مغرب
اذا قلته لم يمتنع من وصوله جدار معلى او خباء مطنب

« فملأ ابو الطيب الدنيا وشغل الناس » ، وهذه الجملة القصيرة هي خير ما توصف لتأثير المتنبي وشعره على اهل زمانه .

وعلاوة على ذلك فقد كانت حياة المتنبي تغلي غليان الماء بالحوادث والمغامرات وتفيض بالقلق والاضطراب ، وكأن صاحبها لم يذق لذة الطمانينة والهدوء والسكينة في ساعاته كما يذوقها شبابنا المثقف في هذا العصر الذين يعيشون عيشة هادئة ناعمة لينة ، وهذا اقصى مطمحهم في هذه البسيطة ، يؤثرون ذلك على ان يخوضوا اعمالا قد تعرضهم لاذى ولو قليل .

كانت اعصاب المتنبي هائجة مائجة تنتفض سريعا لاقل شيء يشتم منه انه اهانة او تحقير لنفسه الكبيرة التي يأبى عليها الا التكريم والتبجيل

وما منزل اللذات عندي بمنزل اذا لم ابجل عنده واكرم

وماذا تريدون ان اعمل وهذا طبع في ؟

سجية نفس ما تزال مليحة من الضيم مرميا بها كل مخرم

وبديهي ان الذي يبالغ من تعظيم نفسه وحمل الناس على تعظيمها ولا يرضى منهم التقصير في ذلك ويتهم في ادعائه النبوءة لا بد ان يكون ارتفع عن سفاسف هذه الحياة ولا غرو ان يكون قد ترك اللهو واللعب والسخرية لاربابها وطمح الى شيء ابعد من ذلك واشرابت نفسه الى « ابتغاء شيء جل ان يسمى » .

وهذا ما حدث له فكانت اخلاقه تنزع الى العلو وتميل الى المجد ولعله كان يتطلع الى الملك والسؤدد ولذلك كان يستعظم نفسه على الشعر او على التكسب بالمدائح وكان يرى انه اجل واخطر من ان يمدح كافور ويرى نفسه انه خلق للامارة والقيادة .

وقد كان شجاعا مقداما تجول فيه روح المغامرة وكانت نفسه ابدا شابة قوية على الايام :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبة ولو ان ما في الوجه منه حراب
يغير في الدهر ما شاء غيرها وابلغ اقصى العمر وهي كعاب

وفي حبه للرحلات يقول :

الفت ترحلي وجعلت ارضي قتودي والغريزي الجلالا
فما حاولت في ارض مقاما ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كان الريح تحتي اوجهها جنوبا او شمالا

فكان يأنف من المكوث ويصبو الى التجول والرحيل من بلد الى آخر ، يسافر وحيدا في الليل ويقطع الفلوات الواسعة والصحاري الشاسعة لا انيس له غير جمله او فرسه و « الصارم » بجانبه الذي يعده المفتاح لطلب المعالي .

ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقد كان فارسا صنديدا شهد الحروب مع سيف الدولة وخاض في بعض المعارك ، وكان يحب الرجولية الحقة والفحولة ويأنف من التأنث والتخنث وان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة الذي يفيض رجولية .

وما هذه الرجولية الا مرآة روحه فهي تظهر في كل اشعاره فالعز والمجد والعلياء وكرم النفس الفاظ جرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على لسان ابي الطيب المتنبي في كل اشعاره :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وشعره كله مفعم بالتعبير عن شعوره بالعظمة ذلك الشعور الذي استحوذ على مجامع قلبه فكل قصائده تفخيم لشعائر المجـد .

وفـؤادي مـن الملـوك وان كان لساني يرى من الشعراء

وهذا البيت غاية في الفخر والاعتداد بالنفس .

كان المتنبي كلفا بالحياة مفرما بها ، وهـو يشابه الشعراء الافرنسيين الحديثين الذين لا يألون جهدا في التغني بمناقب هذه الحياة ومباهجها يبثونها لواعج غرامهم داعين الناس ان يرتشفوا من كؤوس اللذة حتى الثمالة على ان اللذة التي يراها المتنبي هي غير اللذة التي يدعو اليها الشعراء الافرنسيون . ومع رغبة المتنبي في الحياة وتمسكه بها فاننا لا نجد في شعره اثرا لضياء الحياة وبشاشتها فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها .

ولانه حرم اللذة فقد كانت حياته عليها مسحة من الشؤم فهو متشائم ولكنه كان ايضا متفائلا وهذا موطن تناقضه في اخلاقه ، وانه لا يرى بؤس الدنيا وشقاءها فحيما في جانبه اذ يسعى الى لذتها من جانب آخر وانه يحتقر طول الحياة وقصرها اذ يستنفذ عمره من الوصول الى شيء في ظواهر العظمة من هذه الحياة . حقا ان حياة ابي الطيب كانت قلقة ما اشد اضطرابها . يجول من بلد الى آخر ويجتاز الفيافي ويتحمل في سبيل ذلك المشقات والاهوال ما الله به عليم ويغترب عن الاهل والوطن مجدا وراء هدف وضعه نصب عينيه ساعيا اليه بكل ما اوتي من قوة لا يتعب ولا يكل ويصبر على حوادث الدهر وصروف الليالي فيخفق في مسعاه ثم يقع قتيلا . فهو في نظري يموت شهيد المعالي والشرف وهو لا يختلف عن الشهداء الذين يقضون نحبهم في سبيل الدين او الوطن او العلم . هذه كلها امثلة عليا وطلب المعالي مثل اعلى ايضا .

فحياة المتنبي مأساة من اولها الى آخرها ، يتألـم فنشعر بالمه ويشتكي فنفهم سبب شكواه فيغضب على الدهر فنعرف سر غضبه وفي مصر يصور حالات نفسه في مدائح كافور فنكاد نذرف الدموع على هذه النفس المتألمة . فحياته تماثل حياة سيرانو دي برجراك كل المماثلة فهو شاعر وعزيز النفس وفارس وشجاع وكذلك كان سيرانو بطل رواية ادمون روستان (وقد فعل المنفلوطي خيرا باعطاء عنوان « الشاعر » فكأنه يريد رحمة الله من الشعراء ان يكونوا ذوي شخصية وعزة نفس وشجاعة واحساس والم) فهو يتألم لانه لم يحقق ما يصبو اليه وسيرانو كان يتألم كثيرا لانه لم يفز بحب ابنة عمه روكسان وكلا الرجلين ذو شجاعة نادرة ينفذان الى الامور بقلب جريء قوي .

المتنبي كثير الاحساس والشعراء لا يختلفون الا من حيث طبيعة الحس والخيال ، فالذي يملك هذه الموهبة يحلق في سماء الشعر المتناهي ويبز على اترابه واقرانه .

ان الذي يقرأ نسيب المتنبي في مطالع قصائده يظن لاول وهلة ان صاحب هذه القصائد عاشق متيم ولكن بعد ان يمعن النظر قليلا يرى ان هذا النسيب لا يفصح عن عشق حقيقي وان هذا القول ما هو الا ضرب من التقليد ، فقد كان اسلوب الشعراء في مديحهم والمتنبي جاراهم في ذلك واقتفى اثرهم فالصور في غزله انما هي صور قديمة بالنسبة الى عمره وكان ايضا يتفلسف في الغزل ويتغلب عقله على عاطفته .

لهوى النفوس سريرة لا تعلـم عرضا نظرت وخلت اني اعلم

ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس انما هي مواطن الغضب فقد كان في غضبه يتهجم ويشتم وتارة كان يتهكم في اهاجيه تهكما امر من القذع والتهكم في الهجاء اشد ايلاما من السب :

من علم الاسود المخصي مكرمة اقومه البيض ام آباؤه الصيد

ولكنه لم يرم سيف الدولة مثل ما رمى به كافور .

وكان صادقا في رثاء جدته التي ماتت حبا به وفي رثاء ابي الشجاع فاتك ، فالمتنبي صاحب احساس شديد لا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة واي قلب اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده .

فقد بردت فوق اللثام دماؤهم ونحن اناس نتبع البارد السخن

فلسفة المتنبي وعبقريته : لم تكن فلسفة المتنبي الدين وعمل الخير والتقرب الى الله تعالى فانك تجد في شعره نزعة الى الدين ولم يكن متورعا ثابت الايمان بطبيعة مزاجه لانه صاحب مطامع دنيوية « لا حد لها » ويقال انه لم يكن يصلي ولا يصوم ولا يؤدي زكاة بعد ان اثرى حتى ان الشك ظهر في بعض شعره :

فقيل تخلص نفس المـرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومـن تفكر في الدنيـا ومهجته اقامه الفكر بين العجز والتعب

وانما لما اتصل بسيف الدولة ووصف حروبه في بلاد الروم وردت في شعره ابيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعة الحرب بـين الروم والمسلمين ، وهذا كل شيء .

واما فلسفته التي كافح من اجلها فهي ان الحياة حرب ضروس وان الناس فيها في قتال مستمر :

كلمـا انبـت الزمـان قنـاة ركـب المـرء في القناة سنانا

وهو يريدها سالمة من كل جور بعيدة عن كل ذل .

فلا تجد في شعره الا الفاظ العز والمجد والكرامة .

عاشقة

لوحدهـــا جالســـة في جانـــب الريحان
تـــذوب في منظرها سحرا مع الفستان
في يدهـــا سيجارة تسبـــح في الدخان
لعلهـــــا مشغولـــة بفـــارس الفرســـان
قد غاب عنها زمنا ولـــج في الهجـــران
او انـــه أوعدهـــا بالوصل في كتمـــان
نيسان حـــب وارف طاف علـــى الجنان
وهي هنـــا عاشقة في هـــداة المكـــان

الكوت ــ العراق كاظم محمد حسين

هذه الحياة التي يريدها المتنبي انها لحياة سامية ولكنها ملطخة بالدم مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها نزاع بعيدة عن الهدوء والسكينة وهذه الفلسفة تشبه فلسفة نيتشه تماما فقد كان نيتشه يعشق ارادة القوة وما فوق ارادة القوة في الحياة

Well to Power, Well to Oover Power.

وكانت حياة المتنبي كفلسفته ، كلها خصام ونزاع مع اعدائه حتى تألب عليه الحساد وكثر مبغضوه . وكان يتوهم ان الناس والاقدار وكل شيء تنصب له العداء حتى كان يظن ان حساده يشمتون به اذا ماتت جدته .

لئن لـذ يوم الشامتين بموتها لقـد ولدت منـي لانهم رغما

فيما يلي ابيات من شعره تظهر لنا فلسفته :

انمـــا انفس الانيس سبـــاع يتفارســـن جهـــرة واغتيـــالا
فالظلم من شيم النفوس فان تجد ذاعفـــة فلعلـــه لا يظلـــم

اي الاصل في طباع الناس العدوان والغصب .

القوة في فلسفة المتنبي هي محك الاخلاق وبوتقة الفضائل . فما كان منها قويا او صادرا عن قوة فهو محمدة فاضلة وما كان منها ضعيفا او صادرا عن ضعف فهـو مذمة مرذولة .

وكل امرىء يولي الجميل محبب وكـل مكان ينبت العـز طيب

وهذا قول نيتشه « ما الحسن ؟ كل شيء ينمي في النفس الشعور بالقوة ارادة القوة ، القـوة نفسها في الانسان » .

السيادة في راي ابي الطيب هي غاية الحياة والقوة هي اصل الاخلاق .

والفضائل والمحور الذي تدور عليه المحامد والمناقب . فحب النفس في نظر المتنبي هـو الحامل الشجاع على شجاعته وحب النفس كذلك هو الحامل الجبان على جبنه .

ارى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس اورثه التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

ولكن الحياة التي تحبها النفس الشجاع هي حياة المغامرة والجلاد ومناهضة الخطوب .

وغايـــة المفـرط في سلمـه كغايـــة المفـرط في هربـــه

ان عبقرية المتنبي حلقت في سماء المدح والوصف والحكمة . غير ان الميدان الذي جلى فيه ابو الطيب انما هو ميدان الوصف وبالاخص وصف المعارك والحروب ففي هذه الناحية التي برز فيها المتنبي لتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كان لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تبريزه في وصف الحرب وادواتها ، فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقا بطبعه ممتزجا بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واعني بهذه الصورة شغفه بالحروب وسروره الى رؤية الـدم .

قلنا قبلا انه حلق في سماء الحكمة وما الحكمة الا وصف دقيق لطبائع البشر وان الذي يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي صدرت عن تشاؤمه والمه الذي قاساه كل حياته ــ تلك الحكم التي استفاضت في شعره فتمثل الناس بها فكان المتنبي لسان حال البشر جميعهم .

حسن نجيب عيتاني

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد طاهر

* * *

(١)

مدارس الادب العالمي ــ نبيل راغب ، القاهرة ، مطبوعات الجديد ، العدد ٣٦ ، فبراير ١٩٧٥ ، الهيئة المصرية العامة . رئيس التحرير د. رشاد رشدي .

١ ــ ص ١٨ « وقد حاول كل نقاد المدرسة الكلاسيكية تأكيد الفكرة التي تقول ان الكاتب الكلاسيكي هو من يسير على نهج من سبقوه وارسوا التقاليد الادبية ... ومعنى ذلك انهم يناقضون انفسهم اذ انهم ينادون بأن المصدر الرئيسي للكلاسيكية الادبية هو الادب الاغريقي القديم ، بينما نجد ان ادباء الاغريق لم يقلدوا احدا لسبب بسيط هو ان احدا لم يسبقهم في هذا المضمار ، لذلك جاء ادبهم خالدا قويا لانه بعد عن التقليد الاعمى للنماذج التي سبقتهم ... » .

أ ــ اذا كانت « يناقضون » تعود على « كل نقاد المدرسة الكلاسيكية » ، فان هؤلاء النقاد لم يناقضوا انفسهم ، لانهم يتحدثون عن المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، وهم بذلك يقررون واقعا اذ يقولون « ان الكاتب الكلاسيكي هو من يسير على نهج من سبقوه ... » . وهم اذ يقررون ذلك الواقع يعرفون جيدا ان ادباء الاغريق لم يقلدوا احدا ، بمعنى انهم قلدوا (وحاكوا) الطبيعة . وادباء الكلاسيكية الجديدة يرون ان ادباء الاغريق بلغوا الغاية في تقليد الطبيعة فهم اذ يقلدونهم فكأنما يقلدون الطبيعة نفسها . هذا الى انه لم يقل احد ان تقليد كتاب الكلاسيكية الجديدة كان « اعمى » والا لما كان لهذه الكلاسيكية الجديدة قيمة ولما كان فيها ادباء كبار مثل كورني وراسين ...

ب ــ لقد قتل نقاد المدرسة الكلاسيكية موضوعهم بحثا ، ولا احسب اننا بلغنا من العلم في اسرار الموضوع درجة الرد عليهم . ان افضل ما نستطيع عمله ان ننقل آراءهم في امانة وكما هي .

٢ ــ ص ٢٠ « ... المحاولات التي قام بها بوكاتشيو في ايطاليا في منتصف عصر النهضة الاوروبية ... وبعده جاء بترارك وبيمبو وتمكنوا من التحكم ... » .

أ ــ افضل من قولنا : « منتصف عصر النهضة الاوربية » ان نقول في القرن الرابع عشر (او منتصف القرن الرابع عشر ، اذا كان لا بد من منتصف) لان القرن الرابع عشر لا يكون منتصف عصر النهضة ، وان عصر النهضة في قطر لا يطابقه في قطر آخر ، وهو في ايطاليا اسبق منه في غيرها .

ب ــ لم يأت بترارك بعد بوكاتشيو ، لانهما كانا متعاصرين . واذا كان لا بد من النص على الفرق الزمني ، فان بترارك كان اكبر سنا من بوكاتشيو . ولد بترارك سنة ١٣٠٤ ، وولد بوكاتشيو سنة ١٣١٣ .

ج ــ جاء بترارك وبيمبو وتمكنوا : الصحيح ، وتمكنا .

د ــ بنا حاجة ماسة الى تعريف بيمبو ؟

٣ ــ ص ٢٧ « الرومانسية . يرجع اصل كلمة « الرومانسية » الى الكلمة الفرنسية « رومانس » ، ومعناها قصة او رواية سواء اكانت واقعية او خيالية ... » .

أ ــ لا يكون الكلام على اصل « الرومانسية » بهذه السهولة وبهذا الجزم .

ب ــ لا يعرف الفرنسيون انفسهم اصل المصطلح ، ولا يدعون انهم مصدره .

ج ــ هناك الرومانس الشعري ، والاولى ان يتركز الحديث عنه في اسبانيا . اما الكلمة الفرنسية التي « معناها قصة او رواية سواء اكانت واقعية او خيالية » فهي ليست مما نحن فيه من شأن المدرسة الادبية . لانها بالفرنسية رومان والنسبة اليها والاشتقاق منها : روماني ورومانية .

المهم ان ليس هناك قول نهائي في اصل المدرسة دون غيرها .

٤ ــ ص ٩٧ « بدات الثورة الانطباعية بالرسام الفرنسي كوربيه ... وفي عام ١٨٧٤ عرض كلود مونيه لوحة بعنوان « شمس مشرقة ــ انطباع » بقاعة المرفوضين » .

أ ــ صحيح لفظ كوربيه : كوربه Courbet ، ولا موجب لجعل اسم العلم الفرنسي منتهيا بـ « يه » دون مقابل في الاصل وكما لو كانت نهايته ier .

ب ــ الانطباعية غير الواقعية . وعندما يختصر الفرنسيون تعريف كوربه يقولون انه زعيم المدرسة الواقعية او واقعي . اما ان يكون قد خرج على القواعد المقررة في الرسم ومهد للانطباعية من بعيد وعن غير قصد ، فذلك شيء آخر يحسن تنبيه القارىء العربي اليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج ــ صحيح مونيه : مونه لانه Monet . وصحيح ترجمة عنوان اللوحة : « انطباع ــ شمس مشرقة » او « انطباع ــ مشرق الشمس » .

د ــ رسم مونه اللوحة وهو في مدينة « الهافر » سنة ١٨٧٢ ، وعرضت سنة ١٨٧٤ .

هـ ــ معرض المرفوضين عام ١٨٦٣ عرض فيه مانه لوحته « فطور فوق العشب » .

٥ ــ ص ٦٣ « قال دانتي في الفصل الرابع من ملحمته الشعرية « الفردوس » ... » .

اسم ملحمة دانتي معروف جدا هو « الكوميديا » او « الكوميديا الالهية » ، اما الفردوس فهي القسم ــ او النشيد ــ الثالث من الملحمة ، ولا تبوب الاقسام في الكوميدية على الفصول وانما تبوب على الاناشيد .

٦ ــ ص ٦٨ « ان الرمزية لم تعرف كمدرسة ادبية ذات خصائص معينة الا في عام ١٨٨٦ على وجه التحديد... ففي هذا العام اصدر عشرون كاتبا فرنسيا مانيفستو نشر في جريدة الفيجارو الفرنسية يعلن عن الميلاد الرسمي للمدرسة الرمزية ... وقد كتبوا في هذا المانيفستو ... ».

المعروف جيدا ان الذي اصدر المانيفستو ــ ولم لا نقول : البيان ــ اديب واحد هو جان موريأس .

٧ ــ ص ٩٩ «وفي الواقع فان الانطباعية كانت ...» لا موجب للفاء في فان الانطباعية ...

٨ ــ ص ١٣٤ « لا يجب ان نخاف من العدم ... » : يجب الا نخاف .

٩ ــ ص ١٥٣ « الدادية تلك الحركة الادبية التي قادها الفنان والمفكر الفرنسي تريستان تسارا عام ١٩١٦ ... الاجتماعات ... تعقد في ... الحواري ...

الفرنسي : الروماني ، وهو تزارا . الحواري : الحارات ، الميادين .

١٠ ــ ص ١٥٤ « اختلاط الغث بالثمين » .

ربما أراد : اختلاط الغث بالسمين ، لان « السمين » هي الكلمة التي ترد مع « الغث » ، وربما جعل الكاتب او الطابع السين ثاء شكا بالفصيح اذ يغلب العامي .

(٢)

عقدة أوديب في الاسطورة وعلم النفس تاليف باتريك ملاهي ، ترجمة جميل سعيد ، مراجعة الدكتور احمد زروي ، بيروت ، منشورات مكتبة المعارف (بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين) ١٩٦٢ .

من محاسن هذا الضرب من عملية الترجمة ان يذكر اسم الكتاب ومؤلفه والطبع وتاريخه ... وقد لاحظنا ان المترجم قد تصرف بالعنوان قليلا ، لانه في الاصل :
OEDIPUS ; Myth and Complex
وهذا يعني : أوديب ، اسطورة وعقدة . الفرق قليل ، ولكن لم لا نبقى عند الاصل وهو ممكن وأدق .

ثم اننا لو أوجدنا للحرف الاول من اسم المؤلف P باء بثلاث نقاط كان احسن . ومثل ذلك للاعلام التي ترد فنكتب يونج : يونك بالكاف ، الفارسية ، ونكتب فينيفان : فينكان ، بالكاف الفارسية ايضا ، ولتجنبنا الاضطراب في اقطار عربية مختلفة بل لتجنبنا الاضطراب في الكتاب الواحد ، وها نحن اولاء نكتب حرفا واحدا هو ا G مرة جيما ومرة غينا .

هذا واننا اعتدنا ان نكتب سيجموند فرويد بالسين متابعة للانكليز والفرنسيين مع انه بالالمانية بالزاي ...

(٣)

تفسير الاحلام ــ سيجموند فرويد ــ ترجمة مصطفى صفوان ، راجعه مصطفى زيور ، القاهرة ، دار المعارف (سلسلة المؤلفات الاساسية في التحليل النفسي) د.ت.

١ ــ ص ٢٠ « ان المترجمين اتبعوا في العادة احدى طريقتين : فهم اما اسقطوا بعض الاحلام ... واما استبدلوا بها احلاما من عندهم » .

ليست هذه بالعبارة العربية ، ويمكن ان يكون صحيحها هكذا : « ... فهم اما ان يسقطوا ... واما ان يستبدلوا ... » .

٢ ــ ص ٢٤ «بحرف ابجدي ...» : بحرف هجائي .

(٤)

النقد الفني ــ دراسة جمالية وفلسفية ــ تأليف جيروم ستولنيتز ، ترجمة د. فؤاد زكريا . القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤ .

١ ــ حسنا فعل المترجم اذ ثبت العنوان الاصلي واسم المؤلف والناشر باللغة المترجم عنها ــ والكتاب مع الكتابين السابقين من الجهود الضخمة في الترجمة الى العربية .

٢ ــ ص ٧١٢ « وقد عرض هذا التفسير ارنست جونس في كتابه « هاملت وأوديب » ... » وتكرر « جونس » في الصفحة نفسها .
اما على الصفحة التالية (٧١٣) فقد ورد على « جونز » وهو الصحيح Jones .

٣ ــ ص ٧١٤ « ويستخدم جونز هذه النظرية ، لا في تحليل العمل الفني فحسب ، بل تحليل الفنان ايضا » .

العبارة العربية متأثرة بالعبارة الانكليزية كثيرا ، والافضل ان نقول : « ولا يستخدم جونز هذه النظرية في تحليل العمل الفني فحسب ، بل في تحليل الفنان ايضا » .

ويمكن ان نقول : ويستخدم جونز هذه النظرية في تحليل العمل الفني وتحليل الفنان .

او : ويستخدم جونز هذه النظرية في تحليل الفنان كما يستخدمها في تحليل العمل الفني .

٤ ــ ص ٧٠٧ « هل نقاد هملت مجانين ام انهم يتظاهرون بذلك » ــ وتنظر ص ج .

الصحيح : انقاد هملت مجانين ام انهم : يتظاهرون بذلك .

٥ ــ ص ٦٩٥ « احدهما كتب حكايات خرافية هازلية ساخرة ، على حين كتب الآخر تراجيديات مشبوبة بعاطفة تؤدي بأبطالها الى حتفهم » .

هازلية : هزلية او هازلة .

٦ ــ ص ٦٩٠ « على ان الماركسيين لا يقفون عند حد النقد التفسيري ، وبل انهم يقومون ايضا بنقد تقديري» .

لا تجتمع الواو وبل ، ويمكن ان تصحح الجملة هكذا : « وانما هم يقومون ... » .

٧ ــ ص ٦٧٦ « والاهم من ذلك كله ... » وتنظر ص ٧٢ ، ٢١٢ ، ٢١٤ .

الصحيح : واهم من ذلك كله .

(٥)

حياتي والتحليل النفسي ، تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي ، القاهرة ، دار المعارف (سلسلة المؤلفات الاساسية في التحليل النفسي) ١٩٥٧ .

١ ــ ص ١٨ « حتى انني » وردت بفتح الهمزة والصحيح كسرها « حتى انني » .

٢ ــ ص ٣٧ « كان « جانيه » يرى ان المرأة الهستيرية مخلوق تعيس ... » ــ وتنظر ص ٧٧ ، ٦٢ .

أ ــ يسمح الكتاب المصريون لانفسهم بأن يكتبوا الجيم العربية جيما فارسية (بثلاث نقاط) ودافعهم الى ذلك تنبيه القارىء المصري الى ان الكلمة ج وليست كيما (فارسية) لانها مبدوءة في الاصل بالـ J وليس بالـ G .

وليس هذا بالصحيح في التصرف لانهم لا يكتبون الى المصريين وحدهم ، ولانهم لا يخاطبون الاميين ، ولان المصطلح يجب ان يكون عربيا غير مقتصر على قطر دون قطر .

ب ــ تعيسة : تعسة او تاعسة .

٣ ــ ص ٣٩ « برغم ان النسيان قد عفا على الجزء الاكبر منها » .

نقول « عفا المنزل درس وعفته الريح يتعدى ويلزم ... » وعلى هذا يمكن ان تكون عبارة الترجمة : « ... ان النسيان قد عفا الجزء الاكبر منها » او « قد عفا الجزء الاكبر منها بالنسيان » .

٤ ــ ص ٥٧ « ما ان ادركت ... » بفتح همزة ان ، والصحيح كسرها « ما ان ... » ، ومثلها ص ٥٩ « حيث ان » والصحيح « حيث ان » .

٥ ــ ص ٦٣ « جونس » تبدأ بجيم فارسية وتنتهي بسين .

أ ــ البداية ج عربية لانها تقابل الـ J ــ وتنظر ص ٧٥ .

ب ــ النهاية ز لانه جونز Jones .

(٦)

من الرومانث الاسباني ، بقلم د. صلاح فضل ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ، المكتبة الثقافية (٣٠٨) ١٩٧٤ .

١ ــ ص ٢٦ « من عطر غريب وشذى شرقي » : شذا .

٢ ــ ص ٣٠ « حتى ان » ــ بفتح الهمزة ، « اما الاغنيتين الثانيتين ... » ، « لا يرقى ... الى المستوى الذي وصل اليه في اسبانيا من حيث ثراء الموضوعات ولا اسلوب تناولها ... » .

أ ــ حتى ان ــ بكسر الهمزة .

ب ــ أما الاغنيتان الثانيتان .

ج ــ الجملة الاخيرة اما ان تكون هكذا : من حيث ثراء الموضوعات واسلوب التناول ، واما ان تكون هكذا : لا من حيث ثراء الموضوعات ولا من حيث اسلوب تناولها ، او : ان في ثراء الموضوعات وان في اسلوب التناول .

٣ ــ ص ٣٧ « بعد الثانية عشر ... » : بعد الثانية عشرة .

٤ ــ ص ٤٤ ــ أ « ... كان الفتى ... هذا الذي هواها » : هويها .

ب ــ « ثمار مريرة » : مرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ــ ص ٦٠ « الكأس المنعش الـذي تعودت ان تشربه ... رفعت الكأس ووضعتـه ... » : المنعشة التي ... تشربها ... ووضعتهما .

٦ ــ ص ٨٤ « متزوجة انا ... ولست بأرمل » : ولست بأرملة . الارمل للرجل ... والارملة للمراة .

(٧)

تاريخ الادب اليوناني ــ دكتور محمد صقر خفاجة ، القاهرة الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٥٦ .

١ ــ ص ٤١ « هوميروس ... من المحتمل انه عمر طويلا » . وردت بفتح ميم عمر والصحيح كسرها (بعد ضم العين) ، لان الفعل يبنى للمجهول .

٢ ــ ص ١٣٩ « جورجياس ولد عام ٤٨٥ ق.م ... وعاش مائة سنة تقريبا » .

ذكر الدكتور خفاجة في كتابه « النقد الادبي عنـد اليونان » ص ٣٣ : « جورجياس (٤٨٣ ــ ٣٧٥ ق.م.) »

الادب اليونانـي في عصر الاسكندريـة : شعـر الاسكندرية ، تأليف فيليب اميل لجران ، ترجمة دكتور محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢ .

١ ــ كنا نتمنى لو ا ن المترجم ثبت اسم المؤلف واسم كتابه بلغتهما الفرنسية ، لان حروفنا العربية اضطربت ــ او اضطرب بها اهلها ــ لدى التعبير عن مثل لجران ، فهل الجيم G او J ثم ان الفرنسيين قـد يفصلون في الاعلام بين اللام هذه والجيم وقد يصلون وكأنهما كلمة واحدة ــ ثم جاءت فرصة نشر المترجم مؤلفه **شعر الرعاة** فاذا هـي كلمة واحدة Legrand لكران ــ بالكـاف الفارسية .

٢ ــ ص ٦ « لن يجد القارىء ... كما انه سوف لا يجد ... » : صحيح سوف لا : لن .

٣ ــ ص ٧٠ « كيف كان في الامكان ان يمتلأ الكاتب حماسا عندما يتكلم عن الادوية» : الصحيح ، ان يمتلىء... يتكلم على ...

٤ ــ ص ١٤٤ ، ١٨٥ طرق التعبير ، طرق التاليف : طرائق .

(٨)

الادب اليوناني في عصر الاسكندرية : شعر الرعاة . درسه وترجم نصوصا منه دكتور محمد صقر خفاجة . القاهرة ، دار الكتاب المصري د.ت.

١ ــ ص ١٥ : «كانوا يسيرون بخطا ...» : بخطى.

٢ ــ ص ١٦ « أما عن ادعاء بعض النقاد ان شعراء الاسكندرية لم يكونوا سوى مقلدين فاننا نجد ردا عليهم في الابيات التـي نظمها كاليماخوس ، زعيـم مدرسة الاسكندرية ، يوضح ان المسألة لم تكن تقليدا بحتا ولم تعدم مظاهر التجديد والابتكار ، فنراه ينصح ادباء عصره « بأن يسيروا في طرق لم يمش فيها احد من قبل ويبحثوا عن عين صافية ومنبع عذب ، ويقطفوا الازهار الجديدة .

ثم يطلب اليهم « الا يقتفوا اثر غيرهم » فهو يدعو بذلك الى الابتكار والتجديد وعدم التقيد بآثار السلف .

وهذا ما فعلوه ... » .

يلوح لي ان الدكتور خفاجة في كتابه هذا متحمس للاسكندرية ، ويلوح لي كذلك ان نصائح كاليماخوس يمكن ان تدل على الوجه الآخر الا وهو شيوع التقليد وسيادة الضعف ونضوب التجديد والابتكار ، والا لما كان موجب الى هذه النصائح وهذا الاهتمام ...

٣ ــ ص ١٩ « ابوللونيوس » : ابولونيوس . لا موجب للامين لان الشدة على لام واحد تعنى اللامين ، وليكن ــ بعد ذلك ــ الاسم الاجنبي بلامين من حروف لغته . وتنظر ص ٢١ ، ٢٣ ، ٧٧ (ابوللون) ، ١٢٣ ، ١٢٥ .

٤ ــ ص ٢٠ « حتى انه » ــ بفتح همزة ان : حتى انه ــ بكسرها . ص ٧٩ « ما ان بلغت » ــ بالفتح : ما ان بلغت ــ بالكسر . وتنظر ص ٨٠ .

٥ ــ ص ٤٥ « ما ان حل بالاسكندرية الا ولازمه » : الا لازمه .

٦ ــ ص ٦٦ ، ٦٧ « اي صديقاتي ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدان اناشيد الريف » . لم ار في الاستعمال العربي « هلم لكن » . ولكن في العربية هلم وهلمي ... ويمكن ان نقول ــ على هذا : هلمن . جاء في المعاجم : « هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث في لغة اهل الحجاز . واهل نجد يصرفونه فيقولون هلمـا ، هلموا ، هلمي ، هلمن ... والاول افصح » .

٧ ــ ص ٨٥ « كوزبرة » : الكزبرة .

٨ ــ ص ٩٥ « المغزل » ــ بكسر الميم : لا موجب لكسر الميم لانها مثلثة ، ومن اللغويين من يفضل الضم .

(٩)

المـورد (مجلة تراثية فصلية ــ بغـداد ، المجلد السابع ــ العدد الاول ١٩٧٨) : اللغة العربية وآدابها في الرسائل الجامعية للطلبة العراقيين حتى تموز ١٩٧٧ ، اعداد صباح نوري المرزوك .

١ ــ ذكر الكاتب مصادره ، وكان من المناسب ان يستعين بكتاب الاستاذ كوركيس عواد ــ معجم المؤلفين العراقيين ، او ان يذكره وينبه اليه .

٢ ــ ذكر اسماء رسائل لم تنجز مثل الرقم (٢١) من الدراسات اللغوية . واذا كان ذكر هذا ضروريا فانه يلزمه ذكر اسماء اخرى .

٣ ــ الرقم ١٨٣ ديوان كشاجم لــم يتم على انه رسالة ، وطبع على انه تحقيق بدىء المشروع فيه رسالة .

٤ ــ الرقم ١٩٠ طبعت الدراسة عن العباس بن الاحنف في بغداد سنة ١٩٧٦ ، اما الذي طبع في القاهرة ١٩٥٤ فهو الديوان .

٥ ــ الرقم ٢١٠ ورد هكــذا : « محمود صالــح الصنمور » وصحيحه « ... الضمور » مع ملاحظة ان الطالب اردني .

٦ ــ لــم يذكر في « الادب الاندلسي » ــ بتــول العلاف ... ولم يذكر باقر عبد الغني ــ ديوان التطيلي .

٧ ــ صحيح عنوان الكتاب ٢٢٥ ا ــ الحياة الادبية في اشبيلية ــ وقد طبع ...

٨ ــ الرقم ٢٢٩ ، الطالب اردني ... ، الرقم ١١ ليس عراقيا .

٩ ــ الرقم ٢٣٣ ــ ديوان ابــن نباتة السعدي ، يدخل في باب الادب العباسي وليس في الفترة المظلمة .

١٠ ــ الرقم ٢٥٠ ورد على انه شهادة ماجستير ــ باريس ، والصحيح : متريز .

١١ ــ الرقم ٢٦٥ « الاداء المسرحي في الادب العربي الحديث» طبع بعنوان «الشاعر العربي الحديث مسرحيا» .

١٢ ــ وضع تحت باب « منهج البحث » الرقم ١٢٧ « دراسة لمؤلفات الطغرائي » ولا علاقة للموضوع بالباب. انه دراسة لمؤلفات الطغرائي في الكيمياء ...

١٣ ــ ورد خطأ مطبعي في الرقم ٢٧٠ ب فقد جاءت « القيادات » بدل التيارات .

١٤ ــ لم يذكر عبد الهادي الفضلي ــ اسماء الافعال والاصوات ١٩٧٠ . محمد صالح التكريتي ــ الزجاج ، حياته وآثاره ومذهبه في النحو ١٩٦٧ .

(١٠)

المتنبي الصغير بقلم عمر الاسعد . مقال منشور في مجلة الاديب (بيروت ، يونيو ١٩٧٨) ــ والمقصود بالمتنبي الصغير الابيوردي المتوفي سنة ٥٠٧ هـ .

١ ــ سبق لباحث عربي ان اطلق اللقب ــ منذ سنة ١٩٥٢ على الطغرائي الذي عاصره الابيوري (وهو يرى ان الطغرائي اقرب الى المتنبي من الابيوردي ، والمسألة مسألة راي) .

٢ ــ قال الدكتور الاسعد « سلم لنا من آثاره ثلاثة كتب : (١) ــ المختلف والمؤتلف ، وهو كتاب في الانساب حققه المرحوم الاستاذ مصطفى جواد . (٢) ديوان شعره ، وهــو جزآن : العراقيــات والنجديات ... (٣) زاد الرفاق ... » .

ا ــ لم يصل الينا كتاب المختلف والمؤتلف ، ولــم يحققه المرحوم الاستاذ مصطفى جواد .

ب ــ قال ابن خلكان : « قسم ديوان شعره الــى اقسام منهــا العراقيات ، ومنهــا النجديات ، ومنهــا الوجديات وغير ذلك » .

ج ــ زاد « الرفاق » جدير بالتحقيق والنشر ، منه نسخــة في دار الكتب بالقاهــرة ، ونسخ اخرى فــي غيرها .

٣ ــ « ولم نقف على الاعمال التي تعاطاها فــي بغداد ... » .

ــ من « الاعمال التي تعاطاها في بغداد » : انــه ولي خزانة دار كتب المدرسة النظامية بعد وفاة القاضي ابي يوسف التي وقعت عام ٤٩٨ ــ هكذا روت المصادر : خريدة القصر ، معجم الادباء .

٤ ــ « وليست النجديات نسيج وحدها في هــذا العصر ، فقد عمل الشريف الرضي مجموعة غزلية واسعة الشهرة عرفت بالحجازيات ، وعمــل الطغرائي مجموعة اخرى لها الاسم نفسه ... » .

ا ــ وقولنا « في هذا العصر » يوحي بأن الابيوردي والشريف الرضي من عصر واحد . وليس الامر كذلك ، فالشريف مــن العصر البويهي وقــد توفي سنة ٤٠٦ ، والابيوردي من العصر السلجوقي وقد توفي سنة ٥٠٧ .

ب ــ لــم يعمل الطغرائي مجموعة غزلية باسم الحجازيات .

٥ ــ « ويجمل بي ان اختم الكلام بعرض لوحة من لوحات الوفاء : مرثية تركها الطغرائي في صديقه الابيوردي، قال فيها :

صحبتني والشباب الغض ثم مضى كما مضيت، فما في العيش من وطر»

ــ يا حبذا لو عرفنا المصدر الذي ينص على ان مقطوعة الطغرائي كانت في رثاء الابيوردي .

كرامة المهزوم

كانت همومك لا تزال همومي ... لما رجعت اليك كالمحموم
وضحكت للدنيا ، كأن لم ينشعب ... وتر النديم بنصله المسموم
وسألتني ، والكبرياء على فمي ... صمت تثاقل في ارتعاش وجومي
« مالي ؟ » ، ومالك ترخصين نباهتي ... ومن الغباء تجاهل المعلوم
شوهت صورتك التي في خاطري ... لما صعقت بحبك الموهوم
فحفظت ذكراها ، ولو مزقتها ... لحجبت عني صفوها بغيومي

قد كنت ترياقي ، فلما صوحت ... لي جنة كانت ملاذ نعيمي
آليت لا تشجيك مني همسة ... وحرصت لا يؤذيك لفح سمومي
أنا ما رجعت الى رحابك شاكيا ... متعثرا في حبي المكتوم
لكنما نبل القلوب يصونها ... فترى الوفاء أحق بالتكريم

غيري ينافس أو ينافس في الهوى ... ولقد يبوح بأنة المحروم
أما أنا ، فلقد حفظت عن العلى ... ألا أبيح كرامة المهزوم
أكرت أم لم تنكري ، سيان لي ... ما عدت غير هوى لدي ، قديم
لي رفعة التوحيد في حبي ، فما ... همي اذا أولعت بالترقيم

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١)

الفردوسي ــ الشاهنامة ، ملحمة الفرس الكبرى ، ترجمة سمير مالطي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، تموز (يوليو) ١٩٧٧ ، ٢٣٨ ص متوسطة الحجم .

١ ــ الكتاب من غير اية مقدمة . وكان مناسبا جدا ان نعرف شيئا ولو موجزا عن طبيعة الترجمة ، لان دار العلم ليست دارا تجارية بالمعنى السيىء للكلمة .

أهي مترجمة عن الفارسية ؟ ام عن لغة اخرى ، اوروبية مثلا ؟ أهي كاملة ام مختصرة ، واذا كانت مختصرة فما مدى الاختصار ؟

وبعد ، فان الشاهنامة في اصلها شعر للفردوسي ، يتراوح عدد ابياتها على اختلاف في الروايات بين ٥٠،٠٠٠ ــ ٦١،٠٠٠ بيت .

ترجمها الى العربية نثر ــ بعد الاختصار ــ في القرن السابع الهجري الفتح بن علي البنداري ، وقد حقق هذه الترجمة ونشرها الدكتور عبد الوهاب عزام بالقاهرة سنة ١٩٣٢ فجاءت الترجمة في اكثر من ٦٠٠ صفحة ، وقد توصل الدكتور عزام الى ان البنداري اختصر زهاء ثلث الاصل ، واذا قابلنا بين النص النثري الذي نشره الدكتور عزام والنص النثري الذي نشرته دار العلم للملايين يمكننا القول ان نشرة دار العلم تقع في حدود ثلث مختصر البنداري ومعنى ذلك ، وعلى اوسع تقدير تكون الترجمة الجديدة في نحو ربع الاصل .

ويمكن ان تكون الحال نفسها او قريبة منها في الالياذة والاوذيسة والانيادة مما صدر قبل الشاهنامة هذه.

اما كان من الممكن ــ ومن الافضل ــ طبع نص البنداري او الاختصار عنه ؟

ملاحظة : تعقيبا على تحقيقات الجزء السادس من « الاديب » يلاحظ :
١ ــ ما جاء تحت كتاب « اتجاهات الشعر » ، « ان يمحي وجوده » تكون صحيحة اذا قرئت بتشديد الميم .
٢ ــ ما جاء تحت كتاب « المسرح الملحمي » : « اعدائهم » ، يمكن ان تكون صحيحة اذا قرئت معطوفة على « الشعب » .

كلية الآداب بجامعة بغداد ... علي جواد الطاهر



احمد حسين الطماوي

شوقي والمويلحي بين الجفاء والاغضاء

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

ليس هناك اعجاب مطلق بالعبقريين والنابهين ، وحتى في اعلى درجات الاعجاب بأحد النابغين فاننا نأخذ عليه هنات ما كان يجب ان تصدر عنه ، وهذا يجعلنا نستنكر منه اشياء ، ونستصغر منه امورا .

ولكن هناك بعض الاشخاص تبلغ درجة افتتانهم بأحد الشعراء او الابطال حدا لا مزيد عليه فيفرطون في مديحه على كل فعل ، ويبالغون في الثناء عليه في كل قول ، ولا يقيمون وزنا لصغائره ولا ينتقدون شيئا من معايبه ، حتى ولا تتسع صدورهم لانتقاد الآخرين له ، وهكذا تستغرقهم افكاره ، وتغمرهم آراؤه ، فيقدرون الاشياء بأكثر من قدرها ، ويزنون الامور بأكبر من مثقالها .

ومن الشعراء الذين حظوا بافتتان الكثيرين « احمد شوقي » وعند صدور ديوانه في طبعته الاولى تناولته اقلام الكتاب بالمديح الوسيع ، والتقريظ البليغ الذي يتجاوز حد الحقيقة وكان في نظرهم شاعراً يحفه الاجلال ويحيط به التعظيم .

وفي مارس ١٩٠٠ طلعت « مجلة الموسوعات » على قرائها بمقال عن الشوقيات جاء فيه : « بشرى فقد ظهرت الشوقيات » يحق للشعراء والكتاب ولسائر العجم والاعراب ان يهتفوا الآن بعظيم البشرى على هذه المنة الكبرى ويحق لبني مصر ان يغفروا للدهر كل سيئاته ويقيلوه من اسالف عثراته ، حيث اتاح لهم اكبر الحسنات وجاء اليوم بالجزء الاول من الشوقيات .

وقد رددت بعض الصحف الاخرى كالمؤيد واللواء مثل هذه الكلمات التي ليس فيها الا الثناء على شعر شوقي، ولكن صحيفة اخرى كان لها راي معتدل ، واتجاه متزن ، تناولت ديوان شوقي بالنقد في المواضع التي تستأهل ذلك ، واشادت بالابيات الحسنة ، تلك الصحيفة هي « مصباح الشرق » وكان الكاتب الذي تناول ديوان شوقي بالدراسة والانتقاد هو محمد المويلحي .

تناول المويلحي « الشوقيات » بالنظر فيها وتوجيه النقد اليها والتنقير عن معايبها ، في خمس مقالات ، جاءت ثلاث منها تحت عنوان « امر مبكياتك لا امر مضحكاتك » وجاء المقالان الآخران تحت عنوان « نقد الشعر » وقد قرأتها جميعا في « مصباح الشرق » ومن حسن الحظ ان المنفلوطي جمع هذه المقالات في كتابه « مختارات المنفلوطي » الذي ظهر عام ١٩١٢ وقد علق عليها في هامش الكتاب بقوله : « والغرض من نشر هذه الرسالة هنا الاتيان بمثال حسن من ادب الانتقاد ودقة النظر فيه وجمال اسلوب كتاباته » ويبدو من هذا التعليق ان المنفلوطي قد ضم صوته الى صوت المويلحي . وربما يكون قد خشي شيئا فاستدرك قائلا : « اما ما وراء ذلك من صحة اوجه الانتقاد جميعا او صحة بعضها دون بعض فهو مبحث آخر لا دخل له في موضوع الاختيار » .

وقد تناول المويلحي في مقالاته نقد مقدمة شوقي النثرية لديوانه ثم عرج على بعض شعره ولكنه لم يوغل فيه فتوقف فجأة رغم انه ذكر في المقال الخامس الذي نشر في ١٨ مايو ١٩٠٠ « ويتبع الانتقاد » ولكن الانتقادات لم تتابع كما وعد .

ولم يكن من اهداف المويلحي انزال شوقي من عليائه ، او خفضه من مكانته السامية ، ولكن كان القصد تنبيه شوقي الى قبيح شعره فيحذفه او ينقحه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لفت انظار المادحين الى اهمية الانتقاد لما له من فوائد جمة ، وهذا يتضح من قوله في المقالة الاولى : « ومن نكد الدنيا على الادب في مصر ان ارباب الجرائد فيها لم يلتفتوا يوما الى هذا العمل النافع » اي النقد بل جعلوا ديدنهم التعالي وسوء المبالغة في مدح ما يظهر في الوجود من رسالة كاتب او قصيدة شاعر او تأليف مؤلف او تعريب معرب بقطع النظر عما اذا كان ما يمدحونه اهلا للمديح وجديراً بالثناء » . ثم تعرض لمقدمة الديوان بالانتقاد فقال « ... اما المقدمة من حيث صناعة الانشاء ومن حيث اللغة فانها تدل على انه شاعر لا ناثر ، وتدل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على انها كانت تحتاج الى اعادة نظر للتنقيح والتصحيح » فاذا نظرت في الصحيفة الاولى وحدها وجدته يقول فيها عن الشعر « قاله امرؤ القيس واصفا وحاكيا وضاحكا وباكيا وناسبا وغازلا » والغازل هنا من قولك غزلت المراة القطن والكتان وغيرهما . من باب ضرب غزلا مدته وفتلته خيطانا ، ولا يكون امرؤ القيس « غازلا » اما اذا كان غرضه الغزل محركا فلا يأتي اسم الفاعل منه غازلا وانما يقال رجل متغزل « وقد رجعنا الى لسان العرب ونظرنا في مادة « غزل » بفتح الغين وكسر الزين كعلم وفرح ويأتي منها اسم الفاعل غازل وعالم وفارح وعلى هذا يكون انتقاد المويلحي باطلا .

وقد وصف المويلحي شوقيا بأنه شاعر لا ناثر ، وهو يلتقي مع اليازجي في هذا الراي وقد « كان شوقي يتألم من القول انه شاعر لا « كاتب » حسب ما قال الدكتور محمد صبري السربوني في الشوقيات المجهولة ثم قال المويلحي « وفي الصحيفة نفسها خطأه من حيث التاريخ اذ قال « اما بعد فما زال الشعر معقودا لامراء العرب واشرافهم » وامراء العرب واشرافهم كانوا بمعزل عن نظم الشعر وكانوا يأنفون من قوله ويعدونه غير لائق بمقاماتهم ، وحكاية حجر مشهورة . وهي انه غضب على ابنه امرىء القيس لما سمع انه ينظم الشعر فأمر خادما له يذهب به ليقتله ويأتيه بعينيه امارة على قتله فرحم الخادم الغلام فدسه في جبل ورجع الى مولاه بعيني ظبي » .

وقد يكون المويلحي متأثرا بما ورد في المقدمة الادبية لشرح الامام المرزوقي على ديوان الحماسة لابي تمام فقد جاء في هذه المقدمة : « وكانوا يأنفون من الاشتهار بفرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة وقد كان لامرىء القيس في الجاهلية مع ابيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتا بعد وقت وحالا بعد حال ما احرجه ، الى ان امر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد » .

وقول المويلحي ان امراء العرب واشرافهم كانوا يأنفون من نظم الشعر فيه تزيد ان لم يكن مجافيا للصواب ، فدواوين العرب واخبارهم تحمل الينا ان الكثير من هؤلاء الامراء والاشراف كانوا يقرضون الشعر من امثال سفيان بن حرب وقد كان ابوه قائد بني امية في الجاهلية اما هو فقد كان سيدا من اسياد قريش ، وممن قالوا الشعر من اشراف العرب عمرو بن العاص ، وابوه من سادة العرب وغيرهما ممن نظموا الشعر كالمعتز وابن المعتز ، والمتصفح لكتاب « الاغاني » يجد ما لا يمكن ان تضمه هذه الصفحات وان المثال الذي اقام المويلحي عليه دليله وهو نهي حجر لابنه امرىء القيس بسبب تشبيبه بفاطمة لا يجعلنا نقطع بالقول ان امراء العرب كانوا يأنفون منه .

ولو كانت العرب تأنف من قول الشعر لما ردد عمر بن الخطاب وهو امير المؤمنين بيتا من قصيدة عبدة بن الطبيب، وبيتا من قصيدة ابي قيس بن الاسلت متعجبا ، وقد كان للشاعر العربي مكانة عظيمة ، وقد اورد الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » قول عمر بن العلاء « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم وفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم »(١) وهذا الكلام يبين دور الشاعر ورفعة شأنه بين قومه .

اما المقال الثالث فقد لام فيه شوقيا على اطنابه في الحديث عن نفسه والزهو بها ، وقد يكون الاطناب في حد ذاته عيبا اذا خلا من الاحداث الهامة الدالة على شيء . ولكن كثيرا مما يرويه الشاعر او الاديب عن نفسه يكون هاديا الى فهم ادبه، وتفسير الغامض فيه، وفي مقدمة شوقي لديوانه كلام فيه فائدة وكلام فيه حشو ، فيحسب هذا له ، ويحسب ذاك عليه . الا ان المويلحي يأخذ عليه شيئا هاما وهو ما اسماه « السهو في التعبير » يقول المويلحي« ومن باب السهو في التعبير قوله عن المغفور له توفيق باشا « فتحلى بصورة الغضب » وليس الغضب حلية يتحلى بها » وان امثال هذه الهنات قوت الشعور عند المويلحي بأن شوقيا شاعر لا نثار .

وفي المقالين الرابع والخامس راح يأخذ عليه اخطاء لغوية ومن ذلك استخدام شوقي لكلمة « خدامة » في هذا البيت وهي ليست من العربية في شيء :

وكل ذي همة شريف يقوم للخلق بالخدامة

ومن مآخذه على شوقي ذكر لفظ « آنة » في هذا البيت :

فهي آنة صعد وهي آنة صبب

ولا يقال في اللغة آنة بل يقال « آونة » وهي جمع الاوان كما خطأ شوقيا عندما جمع « غصن » على « اغصن » في قوله :

والخصور واهية بالبنان تنجذب
سالت الاكف بها فهي اغصن نهب

فقال المويلحي « الغصن لا يجمع في اللغة الا على غصون وغصنة واغصان » .

وان اهتمام المويلحي باللغة صرفه عن النظر في معاني الشعر الا فيما ندر ، وفي هذا المثال الذي ضربه واخذ على شوقي فيه خطأه في « اغصن » لم يلتفت الى المعنى الوارد في هذين البيتين فالخصور الواهية التي تنجذب باصبع صورة غير شائقة ولو ان امراة لها هذا الخصر الواهي الضعيف لعد هذا عيبا فيها وقد عيب على ابي تمام قوله :

---

(١) — البيان والتبيين ص ١٣٦ الطبعة التي وقف على طبعها محب الدين الخطيب .

من الهيف لو ان الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

كما عيب على البحتري قوله :

ولو قست يوما حجلها بحقابها لكانا سواء لا بل الحجل اوسع

كما اخفق المويلحي في نقد هذا البيت :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

حيث قال « قوله خدعوها يفهم منه ان المشبب بها غير حسناء » « وخدعوها بمعنى ختلوها وارادوا بها المكروه من حيث لا تعلمه » والواقع ان الانثى سواء كانت حسناء او شوهاء فانه يطربها الثناء وتستريح الى سماعه وانه لا يمكن ان يستميل الرجل انثى اليه بدون ثناء على جمالها حتى ولو لم تكن فاتنة .

هذا اهم ما جاء في هذه المقالات الخمس التي كانت فاتحة نقد الشوقيات وناظمها وهي كما عرضناها لم تكشف الا عن اخطاء لغوية اما عن مضمون الشعر ، وتقدير خيال الشاعر ، والتعبير الشعري ، والصور الفنية ومدى صدق الشاعر في التعبير عن احاسيسه وعن موضوعات الشعر فلا تجد شيئا لـه قيمته وواضح ان انتقادات المويلحي مباشرة ملحوظة ، محصورة الاطار ، مقصورة الغاية ، وعلى ناقد الشعر ان يمد نظره في تراكيب الاشعار ليهتدي الى علته اذا كان معلولا ، ويلحظ جماله اذا كان جميلا ، وكان الواجب على المويلحي ان يتوسع في نقد المعاني ويكشف له الالفاظ القلقة في ابياته ، ويبين له كيف يستعين بغيرها حتى تتبدل هيئة المعاني لتحقق الغرض الشعري المنشود ، ولو ان المويلحي توسع في ذلك لكان لنقده شأن آخر ولكن يبدو انه متأثر بطريقة بعض القدماء في النقد حيث كانوا يهتمون باللفظ اكثر من المعنى وعلى سبيل المثال يقول ابو هلال العسكري صاحب كتاب « الصناعتين » : « وليس الشأن في ايراد المعاني فالمعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوي ، وانما هو جودة اللفظ وصفاؤه ، وحسنه وبهاؤه ونزاهته ونقاؤه ، وليس يطلب من المعنى الا يكون صوابا مستقيما ، اما اللفظ فلا يقنع به قانع حتى يكون على ما وصفناه » .

ولا شك ان المويلحي كان يرمي الى تقليل تأثير « الشوقيات » في نفوس قارئيها ، وتخفيض درجة الحماسة لها ، ومع ذلك فقد خلا انتقاده من العبارات الجارحة والالفاظ النابية وكما ذكر بعض المثالب والمآخذ ، اورد بعض الابيات التي استحسنها وارتضاها ذوقه ، والارتياح الى بيت او بيتين في القصيدة يرجع الى مقاييس النقد في زمانه ، حيث كان المرصفي يدعو الى وحدة البيت في كتابه « الاسيلة الادبية » .

ويعتبر نقد المويلحي للشوقيات من نوع النقد الذي لا يتغيا تجريح الاشخاص ، والاستخفاف بهم ، واستصغار مؤلفاتهم بقصد التشفي او اثبات التفوق والاعتلاء ، وبعبارة اخرى فان ما كتبه المويلحي هو اقرب الى النقد من الهجو ، وادخل الى العلم منه الى اللغو ، فلا تلمح فيه اذى ولا قذى يلزم كاتبه الاعتذار عنه ، ويلزمنا التنديد به ، وقد يكون فيه تجوز مقبول او تزيد معقول ، ولكن لا يستخدم اسلوبا فيه خشونة العبارة ، ولا غليظ الكلام .

ومهما يكن من امر فان هذا النقد وان كان يبدو ضئيلا امامنا الآن بعدما تعددت الدراسات النقدية عن شوقي الا انه في حينه يعتبر جراة كبيرة ، واقتحاما لموضوع الفت اذهان الناس تقريظه والثناء العريض عليه بالعبارات الطنانة والالفاظ الرنانة واذا قارنا نقد المويلحي بما كتبته مجلة « الموسوعات » في نفس الفترة حيث قالت في ٣١ مارس ١٩٠٠ : « افتتح امير البلاغة وملك البيان شوقياته بمقدمة ضافية تبلغ ٢٤ صحيفة جمعت الى رقة الاسلوب جزالة المعنى ، وسمو المدارك وصدق الحس ، ودقة الذوق ، ابان فيها عن مذاهب بعض الشعراء في الغابر والحاضر ، وعن ملكتي النظم والنثر تجتمعان اولا ثم تخلص الى ذكر نسبه الشريف ... » لعرفنا ان المويلحي يحاول الدراسة والبحث والتناول الموضوعي . اما مقال « الموسوعات » فهو انشاء القصد منه الاعلان والدعاية .

وقد اهتم الادباء والنقاد بمقالات المويلحي وتناولوها بالنظر والدراسة ، وقد ساق الاستاذ العقاد في كتابه « رجال عرفتهم » رايا في الاسباب التي دعت محمد المويلحي الى نقد شوقي فقال : « ويقول المطلعون على احوال القصر ان المويلحيين(٢) اوشكا في وقت من الاوقات ان يبلغا مطلبهما من الامير وهو مركز شاعر الامير للمويلحي الكبير ومهمته الدفاع عن سياسته للمويلحي الصغير » « وربما كان طموح الوالد الى هذه الوظيفة سببا من اسباب نقد ابنه لشعر شوقي وقوله على الخصوص انه لم يكن يحسن الحديث عن الملوك والامراء ولولا ذلك لما تحدث عن اسماعيل وهو يقول عنه انه « الخديو المشار اليه » ... ولا تحدث عن توفيق فقال « ثم مد الي العزيز يده فقبلتها واجما ... » ولا ذكر انه كان يركب حمارا ابيض وهو يذهب للقاء الامير ولا اكثر في مقدمته من الزهو والسهو والحشو كما قال ولا شبه العزيز بعمر بن الخطاب فقال وهو يصف حفلة البال :

فهو بينهم عمر والوفود تثتدب(٣)

وانما عمر بن ابي ربيعة هو الاجدر « بمجلس الطرب والعزف ، والرقص والقصف والقدود والخدود ، والصدور والنهود ، والنحور والعقود ... » الى ان يقول « فقد كان هذا النقد كما هو ظاهر ــ اقرب الى نقد « لياقة النديم » منه الى نقد بلاغة الشاعر وعند لياقة النديم تنتهي منافسة

---

(٢) ــ يعني ابراهيم المويلحي وابنه محمد المويلحي .

(٣) ــ سقط هذا البيت من ديوان شوقي في طبعته الثانية مما يدل على تاثير نقد المويلحي .

المنافسين للاديب الظريف والسمير الممتع ابيه ابراهيم » .

ومصادر العقاد في هذا الراي او في هذه الحكاية هي اقوال المطلعين على احوال القصر ولم يقل لنا من هؤلاء المطلعون ، فهو قد سمع مع السامعين وبحث في نقد المويلحي عما يتماشى مع وجهة النظر هذه ، ولا يفوتنا ان العقاد كان قريب عهد من هذه الاحداث ، الى جانب انه كان يعمل مع محمد المويلحي في ديوان الاوقاف ، واننا عندما نتأمل نقد المويلحي لشوقي ليس في وسعنا نفي ما رواه العقاد ولكن ما يمكن قوله ان في نقد المويلحي لشوقي انتقادات لغوية وبلاغية واستحسانا لبعض شعره ، مما يدعونا الى القول ان المويلحي تجاوز نقد « لياقة النديم » كما اسماها العقاد ومع ذلك فلم يتحقق شيء مما تطلع اليه المويلحيان فقد ظل احمد شوقي في مركز شاعر الامير وبقي الشيخ علي يوسف في منصب المدافع عن سياسة الخديو في جريدة « المؤيد » .

كما اشار الدكتور شوقي ضيف الى هذا النقد في كتابه « شوقي شاعر العصر الحديث » حيث قال : « وهب محمد المويلحي في صحيفة « مصباح الشرق » يكتب مقالات متفرقة ينقد بها هذا الاتجاه الى التجديد عند شوقي وتجنى عليه من غير وجه حق ، زاعما ان الشعر العربي ليس في حاجة الى تجديد ، ومنددا بعثرات لغوية وجدها عند شوقي وحاول ان يهدمه بها هدما » ثم قال « وروع شوقي لهذه الحملة المنكرة » . واذا كان لنا تعليق على هذا الكلام الذي فيه من الدفاع عن شوقي اكثر مما فيه من الانصاف للحقيقة فاننا نقول لو ان شوقيا كان مقتنعا بموقفه من ضرورة التجديد في الشعر لما ثناه نقد المويلحي عن ذلك ، وما هو قولنا في شاعر تروعه عدة صفحات في انتقاده فيتهدم ويتحطم ويرتد عن موقفه ، ويتخلى عن موقعه ، ويفرط في قضيته ، ونتساءل : هل التجديد في الشعر يبيح الخطأ في اللغة ؟ ان اي ناقد او ناظر فيما كتبه المويلحي لا يمكن ان يحكم على تصويباته اللغوية الا بصدق المقولة اذا ما اثتثنينا لفظا فما جناية المويلحي في هذا ؟ . وما كان على شوقي الا ان يتقن اللغة ويمضي في التجديد حتى لو كره الكارهون .

ولكن ما موقف شوقي من هذه المقالات المويلحية ؟ انه لم يذكر ان شوقيا باحثها بالراي ، او ناقشها بالفكر ، فشوقي كعادته لا يرد على ناقديه ، ولكنه يدفع بعض الاقلام للذب عنه ، والذود عن ادبه ، ومهاجمة من ينتقده ، وله في هذا اساليب معروفة ، ويقر بعض الدارسين للحركة الادبية في هذه الفترة ان انتقادات المويلحي كان لها اثرها في ادب شوقي وفي هذا يقول الشاعر محمد مصطفى الماحي « ... الا انه لا ينكر ما كان لهذا من اثر في ادب شوقي حين اضطر الى ملازمة الدراسات القديمة القويمة فكان لهذا اثره في تجديد الصياغة وتمتين الاسلوب من حيث سلامة التراكيب وقوة التدريب والاثراء من الالفاظ ووضعها في مكانها ، وحسن استعمالها فجمع هذا الى ما وعاه واستفاده من فنون الادب الغربية المنوعة حتى وصل الى ما وصل اليه من تقدم في النثر ومن رسوخ عظيم في الشعر » وهذا رد آخر على د. شوقي ضيف لان الواقع ان شوقيا افاد من هذه الانتقادات التي جعلته يهتم باللغة ويقوم لسانه في هذه الفترة المبكرة .

ومهما يكن من امر فان شوقي لم يغفر للمويلحي مقالاته هذه ، وعندما جاء « عام الكف » وهو الحادث الذي صفع فيه محمد المويلحي على خده بكف احد ابناء الذوات في حانة دراكتوس وتناول الشيخ علي يوسف هذه الواقعة واوسع لهجاء المويلحي مطرحا في صحيفته « المؤيد » وساهم الشعراء بقصائدهم في وصف هذا الصفع تحت عنوان « عام الكف » . وقد وجد شوقي الفرصة سانحة ليرد الصاع صاعين فصاغ هجاء موجعا في شخص المويلحي تضمن مكاره القول ، ويؤكد انور الجندي في كتابه « الصحافة السياسية » ومحمد صبري السربوني في « الشوقيات المجهولة » ان شوقيا قد ساهم بشعره في هذه الحملة ليشفي صدره ، ويبرد قلبه ، ومن هذا الشعر الذي ينسب الى شوقي بعضه :

لك خد كانه قطعة الجلـ ... مد ثقلا فمن تراه استخفه
كلفوا صافعا به وهو لا يد ... ري لذا راح صافعا كفه

رأيت جمادات الثرى ونباته ... وكل خسيس دب فوق اديم
فلم ار اهلا للمهانة والاذى ... كصدغ لئيم الدهر وابن لئيم

صرت ارجو بان تكون المرجى ... وبان يبدل الهجا لك مدحا
تلك كف قد اكتفت واكتفينا ... فراينا ان نعقب الصفع صفحا

وفعلا صفح كلاهما عن الآخر وعندما حكمت لجنة الاغاني والالحان المويلحي في اختيار احسن الاناشيد القومية اختار نشيد شوقي .

وظلت العلاقة طيبة بين الرجلين بعد ذلك وعندما توفي محمد المويلحي في ١٠ مارس ١٩٣٠ رثاه شوقي بقصيدة جاء فيها :

علم للبيان وابن لواء ... اخذ الشرق حقبة ابداعه
حسبه السحر من تراث ابيه ... ان تولت قصوره وضياعه
انما السحر والبلاغة والابداع بيت كلاهما مصراعه

وعلى اي حال فقد باتت هذه الصفحات الادبية من نقد وشعر ضمن تراثنا الادبي الحديث ، يقبل عليها الدارسون فيتصفحونها ويتفحصونها ، فان كانت جيدة ، اقبلوا عليها ، وافادوا منها ، وان كانت فيها رداءة فعليهم تعيين العلة في القسم الرديء واستبانة ثغراته ، وتصويب اخطائه ومناقشة ما تخلله من فساد ، وذلك لتستقيم الامور ويستفيد القراء ، ولو لم يفعل النقاد ذلك فانه لن يكون لهم اثر في ادب ، ولا لادب اثر فيهم .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

في متاهات الطريق

*

جلست ، وقد مضى عني صديقي ... اراجع دفتر الماضي العتيق
وانبش ذكرياتي من ثراها ... وان نصت هتفت بها افيقي
فلم ار غير احلام تلاشت ... هباء في متاهات الطريق
وما طالعت فيه سوى بقايا ... حكايات تلوب بلا بريق
هنا كانت مشاويري ... وكانت ... لقاءاتي مع الرشا الرشيق
ترفرف بين رابية ونهر ... ونؤنس وحشة الوادي السحيق
أسابق بعضنا عدوا وشدوا ... ومن فج نطير الى مضيق
اذا عثرت اطوقها بزندي ... لانقذها من الخطر المحيق
وان ضحكت ضحكت ، وان تباكت ... غصصت بدمعتي وبلعت ريقي
هنا ودعت ـ يوم نزحت ـ امي ... هنا شهقت ، هنا اعلولى شهيقي
هنا كانت تؤرجحني وتلقي ... علي نداوة الغصن الوريق
اكم سهرت لكي اغفو قريرا ... وكم جاعت فدى عيشي الرقيق
هنا دار الطفولة ، ما حفظنا ... لغير عيونها الحب الحقيقي
فوق ترابها الذهب المصفى ... ويفضل ماؤها ازكى الرحيق
هنا حقلي يموج شذا ، وتزهو ... حواشيه بزنبقه الانيق
عشقت ثراه منذ فتحت عيني ... ولم ابرح له اوفى عشيق
هنا آثار مدرستي ، وكانت ... تنافس هيبة القصر العريق
أحوم على ملاعبها ونهفو ... اليها كالشقيق الى الشقيق
اذا اغتاظ المعلم من رفيق ... حملنا كلنا هم الرفيق
هنا كانت تدور حروب عبس ... ولي جولات عنترها اللبيق
أهاب ولا اهاب ويتقيني ... دهاة الراي والرمي الدقيق
متى نفدت كرات الثلج عدنا ... نشد روابط العهد الوثيق
فلا منصور او مكسور فينا ... ولا جمع يجور على فريق

... وطال على دروب الامس سيري ... وقلبي بين غاف او مفيق
الى ان غاص في الانوار ليلي ... ومزق شمله ياس الفريق
فاغمضت الجفون على عياء ... ورحت اغط في نوم عميق

مضى الغد العهود يدا ووجها ... واقبل صاحب الوجه الصفيق
فهل نرجو ـ وقانا الله ـ منه ... ومن غربانه غير النعيق
تجمل يا فؤاد ، فكل هم ... الى فرج يصير ، وكل ضيق
صديقك من يعودك في الرزايا ... وفي الافراح ما نفع الصديق

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل

الدكتور زكى مبارك

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

من سنتريس هـذه القرية النائمة في احضان النيل ، خـرج شاب مصري موهـوب ، وعبقرية خلدها كفاحها في صفحات التاريخ الادبي الحديث . وقد طالما مشى في دروبها وبين مروجها ، وقبس من روحها المشبوبة ، واساطيرها المسحورة ، كل اسرار عصاميته وعبقريته ، حتى اضحى كنزا من كنوز الادب ، ومفخرة لثقافة ولغة العرب .

وكم كان الدكتور زكـي مبارك يردد حبـه لقريته سنتريس ، وهيامه بها ، ووفاءه لها ، في كـل مقالاته وقصائده وكتبه ، حتى نالت المجد من اطرافه ، وبلغت من الشهرة ان امست تقرن بباريس . وكم كان الناس يقولون : لقد سافر ابن سنتريس د. زكي مبارك الـى باريس .

وها هوذا يحدثنا في مطلع كتابه « حب ابن ابي ربيعة وشعره » عن قريته الصغيرة ويصور هذه الطبيعة المجلوة الحالمة ، فيقول :

« في ضواحي سنتريس يحلـو السحر ، في ليالي القمر ، وعلى شاطىء النيل هناك ، حيث النجم والشجر ، والماء والزهر ، في تلك البقعة المشتبهة الازاهر ، المتشابكة الجـداول ، حيـث السواقي الشاديات ، والطيـور الصادحات ، وتحت تلـك الشجرة المعطفة الغصون ، المهدلة الشعور حيث اجلس هناك ، اقضي شطرا مـن الصيف ، وجزءا من الخريف ، بين خطاب اكتبه ، او جواب اقرؤه ، وحبيب اسامره او انيس اساهره ، وعهد احن اليه او عيش ابكي عليه ... » .

نحس ونحن نقرأ هذا الوصف الجميل لسنتريس ، اننا امام اديب امتزجت الطبيعة المصرية بقلبه وروحه ، واختلطت بدمه واعماق نفسه ، واسلمه حب طبيعة بلاده الى حب بلاده نفسها فكان هذا الحب هو المعلم الاكبر له في حياته ، والحب كان فلسفة زكي مبارك والدرس الاول له في هذه الحياة . وكان يقول :

« لقد ابتدأت حياتي الادبية بأناشيد الحب والجمال ، ولو خلاني الناس وشأني لعشت بلبلا وديعا لا يسمعون مني غير انغام الحنين . ولكن لؤم اللئام حولني الى اعصار عاصف » .

وكان يرى ان الحب اكبر زاد حيوي له . ويقول انه سير الكتابة عـن الحب فنا مـن فنون الادب العربي الحديث ، وعاش يجد في الحب اكبر سلوى وعضد له في كفاحه للاعاصير طيلـة حياته ، وشأنه في ذلـك شأن الرافعي ، الذي مال الى الحب العذري من حيث مال اديبنا الى الحب الحسي . ومن اجل هذه الفلسفة العاطفية الف الدكتور زكي مبارك في مطلع حياته كتابه « حب ابن ابي ربيعة وشعره » ، ثم كتب بعد ذلك « العشاق الثلاثة » ، و « ليلى المريضة في العراق » ، وظهر له بعد وفاته بربع قرن كتابه « مجنون سعاد » ...

لقـد علمه هذا الحب حب اللغة العربية والادب العربي ، حتى كان ادبه تمجيدا لكل ذلك ، وايمانا لا يتزعزع بمكانة الادب العربي بين الآداب العالمية . وبأن الثقافة العربية وحدها تكفي لتكوين الاديب .

ومن منطلق الحب كان هذا الايمان بالنفس ، الذي عبر عنه الدكتور زكي مبارك اصدق تعبير في كل ما كتب ونظم والف .

كان يفخر بأنه مصري وبأنه فلاح ، ويصرح بأن آثار الفأس والمحراث منقوشة على يديه وبأنه مستعد ان يهجر العلم والمدينة ويعود كما بدأ بين الفأس والمحراث وفي صحبة البقر والجمل .

عاش معتزا بالقرية والريف ، وبروحه المصريـة الاصيلة ، التي تندد بالحكام من اذناب الاستعمار ، حتى كان يقول للساسة الذين يمشون في ركاب المستعمرين :

قولوا الحق مرة واحدة ايها الناس ، واعترفوا ولو مرة واحدة بأنكم لا تستعينون بالاجانب الا لانكم تريدون ان تقبروا مواهب الاحرار في بلدكم .

وادب زكي مبارك لذلك صورة ناطقة بروحه المصرية العميقة المؤمنة بوطنه .

عاش حياته يندد بالحزبية ، ويقول : اني رجـل اعزل لا انحاز الى حزب من الاحزاب ، وليس لـي في الحكومة عم ولا خال .

ومن ايمانه بمصر آمن بالحرية ودافع عنها طيلـه حياته ، فكان احـد خطباء الثورة المصرية عام ١٩١٩ ، واعتقله المحتلون في ثكنات قصر النيل في اول يناير ١٩٢١ ، وابى ان يعطي تعهدا على نفسه بعدم الاشتغال بالسياسة، وبلغ من شجاعته الفكرية ، وجرأته في الدفاع عن الرأي وعن الحرية ان نقـد خطاب العرش ، ونقـد رؤساء الوزارات ، وصارع كبار الوزراء ، وعاش حرا لا يخشى

حوله أجدا ، قويا لا يذل ولا يستسلم ابدا ، يعرف نفسه ، ويضعها في مكانها الصحيح وكأنه قبس شعار سقراط الحكيم : « اعرف نفسك » هذا الشعار الذي طالما اوصى الحكيم تلاميذه ان يسجلوه على باب معبد وولف ، ومن اجل ذلك كان مبارك من اعرف الناس بنفسه ، فصورها في ادبه في وضوح شديد ، وصراحة اشد . واذا كان يرى هادئا كالنسيم يعبق كالورد فطالما كان ينطلق كالنهر ، ويعصف كالريح ، ويموج كالبحر .

لقد عاش في عصر العمالقة : لطفي السيد ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ، والعقاد وشكري ، والمازني واحمد امين ، ومصطفى صادق الرافعي ، وابي شادي والزيات ، وسواهم وكان من الممكن لولا اصالة عبقريته ان يمحي اسمه بينهم ، ويندثر ذكره في محيطهم . ولكنه ظل علما شامخا يقرن اسمه بأسمائهم ، ويسجل تاريخه بجوار تاريخهم ، ويخلد ادبه الى جانب ادبهم . لقد الف عشرات الكتب ونظم مئات القصائد ، وكتب آلاف المقالات ، وعاش مناضلا يساجل اعلام عصره من العلماء والادباء من امثال : احمد زكي شيخ العروبة ، واحمد امين واحمد شاكر ، واحمد حسن الزيات وطه حسين ، ود. عبد الرازق السنهوري ، وامين الخولي ومصطفى صادق الرافعي وسواهم . وكان النصر دائما حليفه في معاركه القلمية الحافلة ...

كان زكي مبارك هدية القرية المصرية الى الازهر (ولد في اغسطس ١٨٩١) ثم هاجر الى القاهرة حيث عاش في اروقة الازهر عشر سنين (١٩٠٦ — ١٩١٦) ، وجلس في حلقاته ، وتتلمذ على علمائه من امثال : سيد بن علي المرصفي ، ومحمد حسنين العدوي ، وتأثر بأدب مصطفى لطفي المنفلوطي ، وسوى هؤلاء من اعلام الازهر وعلمائه .

ثم كان هدية الازهر الى الجامعة المصرية القديمة ، حيث عاش بين مدرجاتها ، وتحت ظلالها فنال منها ليسانس الآداب عام ١٩٢١ ، وتتلمذ على كبار اساتذتها ، من امثال الشيخ محمد المهدي والدكتور احمد ضيف ، وكان يقول لقد اسقطني طه حسين في امتحان الليسانس ثلاث مرات ، ثم نال منها الدكتوراه عام ١٩٢٤ برسالته عن الاخلاق عند الغزالي ، وبعد عام صار مدرسا في الجامعة المصرية .

ثم كان هدية سنتريس الى باريس والسوربون حيث سافر الى فرنسا عام ١٩٢٧ ، يطلب العلم في السوربون ، فنال دبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقية بالسوربون ، ونال الدكتوراه في الآداب من السوربون بدرجة مشرف جدا في ٢٥ من ابريل عام ١٩٣١ برسالته عن النثر الفني في القرن الرابع ، ومن الطريف انه بدأ رسالته هذه بفصلين في نقض آراء استاذه ورئيس لجنة الامتحان وعميد المستشرقين الفرنسيين آنذاك المسيو مرسيه ، مما كان له اثر كبير في حياته ، وكرمه اساتذته في احد مدرجات السوربون ، ثم كرمته الجمعية المصرية في باريس .

وهكذا وجدنا مبارك يشق طريقه في الحياة بقوة . ويأخذ نصيبه من المعرفة بالجد ويحل نفسه المحل اللائق بالصراع ويقول : ان الشجرة لا تحفظ الايدي التي تتعهدها بالري ، ولكنها تحفظ اليد القوية التي تأخذ خنجرا وتحفر اسم صاحبها على مساقيها ...

وعاد من باريس الى القاهرة ، وكانت آراؤه في رسالته عن النثر الفني مخالفة تمام المخالفة لآراء الدكتور طه حسين .

فالدكتور طه يرى ان العصر الجاهلي لم يعرف النثر الفني ، والدكتور مبارك ينقض ذلك ويبين عكسه والدكتور طه يرى ان النثر الجاهلي ان هو الا اللغة الشعبية للعصر الجاهلي وانه كان ضعيفا ، والدكتور مبارك يرى انه كان مزدهرا وانه كان اللغة الفصحى للجاهليين .

وسوى ذلك من مخالفته لآراء الدكتور طه حسين وللمستشرقين ، حتى قال ماسينيون : « حين اقرأ للدكتور طه اقول هذه بضاعتنا ردت الينا وحين اقرأ للدكتور مبارك اشعر بأني اواجه شخصية جديدة » .

ومن ثم بدأت متاعب الدكتور مبارك في الجامعة وحين فصلت وزارة صدقي الكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب كان زكي مبارك يدافع عنه ، ولم يلبث ان عاد طه حسين الى الجامعة وفصل الدكتور زكي مبارك منها وشن عليه حربا شديدة وسئم مبارك هذا الصراع ، وعاش في وزارة التربية والتعليم او المعارف مفتشا للغة العربية في المدارس الاجنبية ورئيسا للغة العربية في مدرسة الليسيه فرانسيه . وتقدم للدكتوراه فأخذها من جامعة القاهرة عام ١٩٣٧ برسالته عن « التصوف الاسلامي » .

ولم يلبث زكي مبارك ان سافر الى بغداد عام ١٩٣٧ استاذا للادب العربي في دار المعلمين العالية حيث عاش هناك فترة صغيرة كانت حافلة بكل الوان النشاط والحيوية والانتاج وكان يلقي كذلك على طلاب كلية الحقوق في بغداد محاضرات في الادب وقد كان موضوع هذه المحاضرات « عبقرية الشريف الرضي » ومن بغداد كان يرسل الى مجلة الرسالة مقالاته الذائعة عن « ليلى المريضة في العراق » وفي آخر عام ١٩٣٩ عاد الدكتور زكي مبارك الى وطنه من جديد ، حيث كان يكتب مقالاته الادبية في مختلف الصحف والمجلات في العالم العربي ، ومنحته حكومة العراق عام ١٩٤٠ وسام الرافدين .

واعترت الدكتور زكي مبارك سحابة من التشاؤم والقلق والحيرة فبعد ان كان يقول :

الضحية

أكـذا جمالـك يـا «نـدى» ... يـذوي وقـد حـرم النـدى
صـرت الضحيـة بعدمـا ... كنـت الغـزال الاغيـدا
هـزم الدجى وضـح النهـار ... فصـار ليـلا أربـدا
أيضـم زنبقـة الحمـى ... شيـخ وتطحـي الاغـردا
ويكـون منـه جزاؤهـا ... مضـض الحيـاة مؤبـدا
ومحـوك نسـج قميصهـا ... مـا لا يطـاق ويرتـدى
أغـروك بالمـال الـذي ... عرضـوا ، فكنـت لـه فـدا
مـا المـال نلـت بمـا حبـو ... ك خديعـة وتـوددا
كـلا ولا تخـذت جفونـك ... مـن هنـاء أثمـدا
جرعـت مـن حـرق الجوى ... كـأس المذلـة سرمـدا
والصـدر أضحـى ضيقـا ... والشـوك أمسـى مرقـدا
هـل كـان عقلـك تائهـا ... بـين الضلالـة والهـدى
واهـا لعقـل حائـر ... ضـل الصواب ومـا اهتدى
ولقـد دفنـت علـى الثـرى ... مـن قبـل أن يـرد الـردى
اسفـي علـى الغصن الرطيـ ... ـب لقـد ذوى وتـأودا
وعلـى الزنابـق بعدمـا ... كانـت تزيـن المسجـدا
قلبـي أصيـب كمـا أصبـ ... ـت ومدمعـي كـان الصـدى
لـو صنـت سحـر جمالك الـ ... ـفتـان مـن طمـع العـدى
مـا نـاب خطـب أو غـدا ... طـرف عليـك مسهـدا
والشمس مـا غابـت ولا ... حجـب الصفيـح الفرقـدا
ولكنـت أنـس مجـالس ... والـى العشـير المسعـدا

بكاسين ـ لبنان — جرجي نصر

فقولوا لمن دابه ان يرى ... من العيش جانبه الاسودا
اذا تعب اليوم في روضة ... فكم بذل نوقها غردا

اخذ ينظر الى الحياة بمنظار اسود ويرى ان الناس لا يعرفون معنى الوفاء ويردد قوله « اخشى الا اظفر بكلمة رثاء يوم يشيعني الناس الى قبري فهم لا يذكرون الا من يؤذيهم أما الذي يخدمهم فلا يذكره احد منهم بالخير » .

وعاش بعد الحرب العالمية الثانية بقية حياته مع مقالاته وكتبه ونفسه والضباب الاسود الذي يخيم على الحياة في مرأى عينيه وانتهى فيض هذه العبقرية الرائعة وانقطع معين هذا الفكر المصري الجياش وتسلى بحبه واحبابه وبشعره الكلاسيكي الوجداني الذي يشع منه ذكاء خارق وعاطفة مشبوبة ، ويتسم بالحيوية والقوة والموسيقى الجميلة وانتهى الامر بوفاة الدكتور زكي مبارك في يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٨١ هـ الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ بعد ان ترك ذكرا خالدا وتراثا عظيما من العبقرية يتمثل لنا في كتبه التي اشرنا اليها آنفا ومنها ذكريات باريس ومن وحي بغداد ومدامع العشاق والموازنة بين الشعراء وسواها وحقق الرسالة العذراء لابن المدبر وزهر الآداب للحصري وقام بأروع الاعمال الادبية والثقافية طيلة حياته حتى عد احد الرواد في العصر الحديث وأحد سدنة الادب المصري المعاصر .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

راقصة آه يا زين

لحن آه يا زين ، من نغم البيات ، وهو معروف ومشهور عند عشاق الرقص العربي والغناء العربي ، وكثيرا ما كان يرقص على نغماته

*

طلعت كنجم ثاقب يتوقد ... والليل بحر صاخب يتمرد
مالت كغصن أراكة ، عبثت به ... ريح فمال ، وما ونى يتاود
في كل جارحة لها ما يأتلي ... ثغر يزغرد باسما ويعربد
والصدر يلهث مشرئبا من جوى ... بضراعة وكأنه يتنهد
أو أنه فرخ لوى بجناحه ... حذر الاذى من قاسط لا يقصد

يطوي وينشر ضاربا بقوادم ... حيران ، لا يدري بمن يستنجد
أو موجة محمومة قذفت بها ... من زاخر ، ريح زبون ترعد
ضربت محلقة الجناح ولم تزل ... تعلو وتهبط والدجى تتوعد

رقصت كما املت سمادير الرؤى ... وأتت بكل عجيبة لا تجحد
صور من الاغراء ، ليست تنتهي ... وشواهد للحسن ليست تنفد
وبكل جارحة تعرت فتنة ... كانت على كر المدى تتجدد
ما كنت تدري والجوارح بالجوى ... عصفت ، أبركان بها يتوقد

تتضرم الشهوات ملء أضالع ... محمومة لا تستقر وتخمد
شعل الجوى مشبوبة بمشاعل ... من جاحم أطباقه تتلبد
فتخلجت أعضاؤها حذر اللظى ... وتذاءبت من رعشة تتجلد
وبكل انملة يرفرف جانح ... بقوادم لا تستكين وتخلد

مدت يدي متضرع متلهف ... وكأنها من منعم تسترفد
تجد اليدين وكل نبض فيهما ... ما انفك يهزج هاتفا ويزغرد
أطرافها توحي بقول محكم ... ما فيه ، ثم ركاكة وتبلد
نطقت ولم تفغر فما لمسائل ... وأصابت الفرض الذي تتصيد
أطرافها توحي ، وتحسب انها ... كانت توشوش خلسة ، أو تنشد
لا تأتلي يمنى لها مرفوعة ... في حالق لنوازع تتعدد
راحت تحركها كقدر قلامة ... هونا ، وتعطفها كمن يتودد
ويسارها ، كانت تدف على هوى ... وتفور حينا ما انثنت أو تنجد

حركاتها فيض الاشعة في الدجى ... دون الجداول ما مشت تتمدد
أو كالنسائم في الرياض تذاءبت ... خطراتها وتمايلت تتأود
حركاتها شدو ورنة مزهر ... من خاشع في حلبة يتوجد
خلعت غلالتها ، فهبت فتنة ... من عريها ، ترمي القلوب وتقصد
الفتنة الحمراء تنفث باللظى ... عن جاحم نيرانه لا تخمد
طلعت بأعلام لها منشورة ... وبموكب بمواكب يستطرد
وبجفنها ليل دجت أطباقه ... حار الدليل به وضاق المرشد
ليل يروع قتامه من رهبة ... والسحر منعقد به لا ينفد

دمشق

عدنان مردم بك

السيد قطب من خلال شعره

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

يعرف الاستاذ المرحوم « سيد قطب » لدى الكثيرين بفكره الاسلامي ، وهو في هذا الميدان يعد من اشهر الكتاب الاسلاميين في العصر الحديث . كما انه قد برع ايضا في مجال النقد الادبي ، ولـــه في هذا الميدان مؤلفات تتميز بسلاسة الاسولب ، والدقة في اصدار الاحكام ، كما انها تدل على ما لصاحبها من سعة الافق ، وغزارة المعلومات ، والاطلاع علـــى آداب بعض اللغات الاخرى ، والالمام بقضايا النقد الادبي المعاصر .

ومما لا يكاد يذكر الآن ان « سيد قطب » شاعر ، بالرغم من ان ذلك اول ما اشتهر به : ــ فلقد نضجت شاعريته في وقت مبكر ، وقبل ان يخرج الى الوجود كتاب له ، كانت الصحف والمجلات الادبية تفسح المجال لشعره . وهو اذا كان لا يعد من الشعراء الموهوبين ، او الذين عرفوا بالشاعرية وتميزوا بها ، فشعره مفعم بالصدق ، لا اثر فيه للتكلف او الصنعة : ــ ومن هنا تكون له اهمية عظمى في الدلالة على صاحبه ، فهو يلقي كثيرا من الضوء على شخصيته ، ومـــن خلاله نستطيع ان نلمح بعض السمات الخاصة التي تميزه ، وان نرى مـــا بنفسه من اتجاهات واهواء .

ولقد ظهرت مجموعته الشعرية بعنوان « الشاطىء المجهول » في عام الف وتسعمائة واربعة وثلاثين ، وعمره آنذاك قرابة الخامسة والعشرين . وهذا الديوان الصغير ، والقصائد التي نشرت متناثرة بعد ذلك ، صورة لما في نفس « سيد قطب » من قلق وحيرة امام الكون بما فيه من اسرار والغاز ، وما يكتنفه من غموض وابهام . هذا القلق قد صبغ نفسيته بالوحشة ، وتلـــك الحيرة غمرت روحـــه بالكآبة ، فهو بعد العشرين بقليل ــ في ذلك العمر الذي تقهر فيـــه حرارة الشباب كل الآلام ، وتحيل المجدب في الوجود الى واحة منعشة فحينما ينظم قصيدة من الشعر الرمزي يجري فيها حوارا بين نخلتين قد سئمتا الحياة . تسأل الصغرى عن سر الوجود :

مـــا لنـــا في ذلك القفر هنـــا مـــا برحنا منذ حين شاخصات
كـــل شيء صامت مـــن حولنا وأرانا نحـــن ايضـــا صامتات
تطلـــع الشمس علينـــا وتغيـــب
ويطـــل الليـــل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزهـــر تغـــدو وتؤوب
وهجـــير واصيل وطلوع وافـــول ثـــم نبقـــى مـــن ذهـــول صامتات

ومن الواضح انه يرمز بذلك الى شعوره تجاه قصة الخلق ــ كما صرح في مقدمة الديوان . الوجود الزاخر بالحياة عنـــده لا يخرج عـــن كونه : (هجير واصيل) (طلوع وافول) امور تحير الفكر ، وتضني العقل ، فيتبلد احساس البشر ، ويسيطر عليهم الذهول ــ على حـــد تعبيره . كما انه لا يرى في الظواهر الكونية الا الجانب القاتم المعتم . فليس في الشمس ضياء او بهجة ، ولا حرارة ولا دفء ، وهي لا تزيد عن كونها تطلع وتغيب . والليل ! ليس له سر او سحر او سكون ، ولا يحس نحوه برهبة او خشوع ، وانما هو (كالشيخ الكئيب) ! وكأن القمر لم يزدهر في سمائه موحيا اليه كما يوحي الى الشعراء . والنجوم التي وصفها (بالزهر) هي فقط (تغدو وتؤوب) . والوجود عنده نقمة لما فيه من الآلام والمشقات ، مما جعل التساؤل يجري على لسان النخلة الصغرى ، عن الذنب الذي اقترفته البشرية حتى كتبت عليها الحياة :

افـــلا تدرين يـــا أختي الكبيرة مـــا الذي أطلعنا بـــين الهياب
ايمـــا اثـــم جنينـــا أو جريرة سلكتنـــا في تجاويـــف العـــذاب
قد سئمت اللبث في هذا المكان
لبثة المصلوب في صلب الزمان
افمـــــا آن لتبديـــــل أوان
حدثيني لـــم نشقى حدثيني كـــم سنلقى حدثيني كم سنبقى واقفات

ثم يكون جواب النخلة الكبرى التي لها حصيلة من التجارب والفهم والحكمة : جواب العاجز عن ادراك السر ، الذي لا يعرف سببا وراء هذا الشقاء ، ولا يرى مبررا له :

انا يا أختاه لا ادري الجواب ودفـــين السر لـــم يكشف لنـــا
منذ ما أطلعت في هذا الخراب وانـــا اسال مـــا شاني هنـــا
فيجيب الصمت حولـــي والسكون
وانـــا اخبـــط في وادي الظنون
لست ادري حكمة الدهر الضنين
غـــير انـــا حائرات والليالي العابثات تتجنـــى ساخرات لاهيـــات

وتمضي القصيدة على هذا النحو حافلة بعبارات توحي الهموم والاحزان : (كالقفر الغشوم) و (غول المنون) و (الطيف الحزين) . وليس من السهل تفسير تلك الكآبة الموحشة في نفسية « سيد قطب » : هل نتجت من بعض الاحداث القاسية التي مر بها في طفولته ، سواء الذي اصابه شخصيا ، او الذي مني به مجتمع قريته ــ كما ذكر في كتابه « طفل من القرية » قد يكون ! . فهو لا يفتأ في هذا الكتاب يردد طغيان تلك المشاعر عليه في رجولته : اذ لا يزال يشعر بالرهبة من ذكر الاشباح لكثرة ما داعبت خياله وهو طفل ، وكلما مر ببيت « حرحور » ذلك الشقي الذي كان يؤذي الناس ينتابه الانقباض ، وصديقه « جمعة » الذي توفي وهو دون العاشرة ومشى في جنازته يحس دائما الاسى واللوعة لفقده .

وبالرغم من ان هذه الحدثان ليست مما لا يطاق تحمله ، الا انها قد تكون ذات تأثير خاص على وجدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرهف كوجدان « سيد قطب » الذي كان يرى نفسه في غربة بين اهله وخلانه ، حيث يعيش بعيدا عنهم في عالم القلب والوجدان .

غريب أجل انا في غربة — وان حف بي الصحب والاقربون
غريب بنفسي وما تنطوي — عليه حنايا فؤادي الحنون
غريب وان كان لما يزل — ببعض القلوب لقلبي حنين
ولكنها داخلتها الظنون — وجاور فيها الشكوك اليقين
غريب فواحاجتي للمعين — ووالهف نفسي للمخلصين

على ان هذا الذي ذهبنا اليه — من ان الحزن كامن في اعماقه ، وليس من السهل الوصول الى اسبابه ، قد جرى على لسانه شعرا :

انا لا ابكي على ماض ذهب — لا ولا مستقبل ضاع هباء
انما في النفس معنى مضطرب — لم اجد رمزا له غير البكاء

ويتأمل شاعرنا « سيد قطب » ذاته ، ويجول في اعماقه محاولا ادراك هذه الكآبة ، ثم يستحث وجدانه للحاق بركب الحياة ، والاستمتاع بمباهجها ، فيرى نفسه تأبى ذلك ولا تريد . وهنا تنقسم مشاعره الى اتجاهين متضادين ، ثم يسجل تجربته شعرا قصيدة بعنوان « في مفترق الطرق » يستهلها بمقدمة نثرية مفادها : ان نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الانسان الواحد تتحاوران احداهما ترغب في الانطلاق فتنادي :

يا رفيق الحياة اسمى واغلى — أن تقضي كذاك وهما ضئيلا
يا رفيق الحياة اقصر عهدا — أن تضحي ساعاتها تخييلا
آب من الظلمة الحبيبة واهجر — كل ما كان في الحياة الاولى
وتطلع الى جمال جديد — افلم تلبث في الحياة جميلا
عش بما قد وهبته من حياة — مستثار الاحساس نهما عجولا

غير ان النفس الثانية تألف العزلة وتهوى الظلام ، وتستعذب الآلام فتجيب :

آه يا صاحبي اتجهل انسي — افقد الدار ان فقدت الطلولا
ذاك عهد انفقت فيه رصيدي — كله لم أبق منه قليلا
اتراني اجدد الذخر والعمر — مول والجهد امسى هزيلا
انا باق هنا فان شئت دعني — ورد الكون حافلا ماهولا
انا باق هنا اريد طلولي — لم اعد بعد استطيب القفولا

هكذا ينتهي الحوار موحيا بترجيح جواب هذه النفس ، وكأنه يستريح لانتصارها على الاخرى ، ويرى ان الخروج على طابع حياته والتمرد على تلك الآلام ، ضرب من العبث لا طائل تحته ، ولا جدوى من ورائه .

ويدور معظم شعر « سيد قطب » حول القضايا الكونية العامة ، ومشكلات البشر وهذا يتفق مع مفاهيمه باعتباره (ناقدا) : ففي كتابه « النقد الادبي » يفضل « ابا العلاء » على « المتنبي » لكون الاول يهتم بآلام الانسانية وآلامها ، بينما الآخر لا يرى الا ذاته ، واكثر اشعاره تدور حول نفسه . وهو لا يرى بأسا على الشاعر من ان ينساق مع احاسيسه الخاصة على الا يشغله هذا عن الهدف الاسمى : وهو التجاوب اولا مع مشكلات الناس ، وقضايا المجتمع .

ولهذا افاض « سيد قطب » في الحديث عن النظرات الفلسفية العامة ، ولم يطرق الموضوعات الخاصة كالوطنيات ، والاخوانيات ، والرثاء الا قليلا ، فهو لم يكثر من انشاء هذا اللون من القصائد ، كما ان هذا القليل لم يصل في اجادته الى مستوى التيار الآخر . ولعاطفة الحب من شعر « سيد قطب » نصيب ملحوظ ، في بعض هذه القصائد تلوح العاطفة ممزوجة بالوقار :

احبك اذ ترجين مني رعاية — وتهوين ساعات الحياة بجانبي
هنالك نسمو بالحياة فنرتقي — الى كنف بين السموات ضارب
هنالك نحيا والاماني حولنا — تغرد الحان المنى والرغائب

وفي بعض قصائده العاطفية تسري روح الامل ، والرغبة في الاستمتاع بالحياة :

الي الي ولا تجفلي — فاني ظمئت لما تظمئين
واحسبني كنت اهفو اليك — كما كنت لي في المنى ترقبين
وشطت بنا ندوات اللقاء — وضلت بنا خطوات السنين
الى ان لقيتك فتانة — فحركت مني اشتياقي الدفين
تعالي نرو ظماء السنين — تعالي نعش للمنى والفتون

وقد يتجاوز حدود الوقار الى عربدة الشباب ، ونزق الصبا :

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه — منذ أن ضمتك في شوق يداه
منذ أن رن صداها قبلة — نهلت منه وعلت شفتاه
وارتوت روحاكما بل ظمئت — برحيق القبلات المشتهاة
بل رحيق الخلد قد طاب جناه — وسرى فيه حلاه وشذاه

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه — كلما بشر بالحب الهداه
كلما نادى المنادي حي هلا — يقطف المحروم ما طاب جناه
ما لمحرومين لم يستمعا — ذلك الصوت الذي دوى صداه
ايه هيا فلنجب داعي الشفاه — فهو داعي الحب او داعي الحياه

على ان الحيرة التي هي ديدنه لم تفارقه في تجاربه العاطفية :

اقلاك اقلاك كالشيطان اقلاك — اقلاك كالسم يسري جد فتاك
اقلاك انك في نفسي وفي زمني — وفي حياتي أفعى ذات أشواك
اقلاك ؟ ليت فاني لست اقلاك — أهواك ؟ ليت فاني لست أهواك
أهوى واقلى وايامي موزعة — بين الهوى والقلى كالضاحك الباكي
هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا — ولست أروى بكاس غير رياك
هاتي لي السم صرفا لا يمازجه — هذا الرحيق فاني لست بالشاكي
مللت كاسك لا التذ نشوتها — ولا أحطمها تحطيم سفاك

وهكذا لا نكاد نرى « سيد قطب » في شعره الا ثائرا قلقا تموج نفسه بالحيرة والاضطراب ، يضطرم عقله بتساؤلات شتى عن الكون والحياة لا يجد لها جوابا شافيا فيهرع الى المقابر يستلهمها الجواب ، ويتخيل ان اشباح الموتى تطل عليه غاضبة لجرأته على اقتحام هذا العالم ، مستفسرة عن سر مجيئه فيجيب :

الفاتح البطل

المهاجر العربي الاول الى البرازيل

يا من هجرت وكنت الفاتح الباني ... لقد كشفت لنـــا عن موطن ثان
وكنت اول مـــن اقدامه وطئـــت ... ارض البرازيل من ابناء قحطان
مـــا انت الا جسور في رسالته ... ما انت الا عظيم القدر والشان
رمـــز الشجاعة والاقدام مندفعا ... الـــى الجديد بعزم مثـــل صوان
حتى بلغت مـــن الدنيا مجاهلها ... وكـــان عزمـــك مقرونا بايمـــان
اليـــوم عيدك والاحداث شاهدة ... والفضل فضلك ما كر الجديدان
صعدت كالنسر في الآفاق منطلقا ... من موطن الارز من جنات رضوان
وكر النسور الذي افراخه انتشرت ... انوار علـــم على خلق وبلدان
فكنت رمـــزا وامجادا لامتنـــا ... وكنت فخـــرا لسكان واوطان
واليوم نكـــرم مقداما بهجرتـــه ... فـــذا تمنطق في حزم ووجدان
منارة عنـــد شـــط البحر قائمة ... تهدي السبيل الى ارض وشطآن

سان باولو ــ البرازيل

فيليب لطف الله

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى ... وللسر لـــم يكشفه ضوء لناظر
تحير في سر الحياة وما اهتدى ... اليه ولـــم يقنع بتلك الظواهر
وساءل عنه الكون والكون حائر ... يســـير كمعصوب بايدي المقادر
وساءل عنه الموت والموت سادر ... وساءل عنه الشعر من حنق ثائر
وساءل عنه كل شيء فلم يفز ... بشيء ولـــم يرجع بصفقة ظافر

ثم يختم القصيدة بتمني الموت لعجزه عن ادراك السر :

ويا ليت هذا الموت يسرع خطوه ... فيطوي حيـــا عمره ربح خاسر

غير ان الموت عنده ليس سوى بداية المعرفة واول الادراك، فهو يتوق اليه رغبة في كشف الاستار ، وشوقا لفهم هذه المعميات :

ولـــولا مواثيق الحيـــاة تشده ... اليها لامضى عزمه وهو صابر
وخلف هذا الجسم للموت والبلى ... وأشرق روحا حيث تصفو البصائر
فهيـــا اذن للموت أروح رحلة ... لتكشف أستـــار ويهـــدأ ثائـــر

الموت ! ذلك الفناء الرهيب اروح رحلة عند شاعرنا فهو عالم الحقائق حيث الحياة زيف واباطيل ، وهو لا يفتأ برما بهذا العالم الى ان يتركه . وهنـــا يهدأ « سيد قطب » ويتلاشى روعه ، وتغمر كيانه السعادة ويغشاه الهناء والاطمئنان لوصوله الى « الشاطىء المجهول » . ومـــا الشاطىء المجهول هـــذا ــ الذي سمى بـــه مجموعته الشعرية ــ ؟ انه عالم الروح حيث تموت حواس الجسد التي تعوق الجمال الروحي عن الانطلاق :

الى الشاطىء المجهول والعالم الذي ... حننت لمرآه الى الضفة الاخرى
الىحيث (لا تدري) الىحيث (لا ترى) ... معالـــم للازمان والكون تستقرا

الى ان يقول :

خلعت قيـــودي وانطلقت محلقا ... وبي نشوة الجبار يستلهم الظفرا
أهوم في هـــذا الخلود وارتقي ... واسلك في مرآه كالطيف اذ أسرى
واكشف فيـــه عالما بعـــد عالم ... عجائب مـــا زالت ممنعة بكـــرا
لقد حجب العقل الذي نستشيره ... حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالم الارواح فلنخلع الحجا ... فنغنم فيه الحب والخلد والسحرا

ومما لا يفوتنا ذكره ان في شعر « سيد قطب » شيئا من التفاؤل والامل ، وبه بعض الاحاسيس التي تجنح الى الهدوء والاستقرار ، وكلها صور لما يعتري النفس التي كانت في معظم الاحايين تموج بالانفعالات القوية الثائرة ، تلك النفس التي لم تجد الامن والاطمئنان الا في عالم الروح. واعتقد ان هذا كان سببا في هجرانه عالم الادب ــ حيث بدأ حياته اديبا ــ واقباله على الدراسات الدينية .

تلك نظرة يسيرة الى شخصية « سيد قطب » من خلال شعره ، اما شعره فلنا معه جولة اخرى .

لندن

محمود الشهابي

حسان الكاتب

صاحب الموسوعة الموجزة

بقلم عجاج نويهض

* * *

اعتقد ان هناك ، من جهتي ، قضيتين : قصة الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب ، من حيث ما رزقه الله من موهبة وقدرة واستعداد غزير بالفطرة ليكون ، قياسا على منهاجه المحكم الموفق منذ سنة ١٩٧٠ ، من اهل التأليف الموسوعي في النصف الثاني من القرن العشرين وما باق منه الا ٢٢ سنة ، ثم يطرد ان شاء الله عمله بعد ذلك الى ما شاء الله ، واعني بالتأليف الموسوعي سعة آفاقه في المعارف وكثرة مؤلفاته . وهذا لا يقع الا لآحاد من الناس .

والقصة الاخرى تتعلق بمؤلفه المعروف وهو « الموسوعة الموجزة » ، ولعل كثيرين من القراء الكرام استطاعوا ان يعرفوا معرفة مختلفة ، وافية او محدودة ، عن الاثنين ، اكثر مما استطعت ان اعرف ، وذلك كله عن طريق مجلة « الاديب » التي ندعو لها ابدا ان تكون دارية الزناد ، مشتة الاوتاد ، لخدمة اهل الضاد والضاد .

فأول ما استفدته بشأن « الموسوعة الموجزة » هو ما نشره شاعرنا الامامي جورج صيدح بشأنها مقرظا تقريظا ممتازا ، في عدد سابق من « الاديب » ، ورغب الى الاستاذ حسان مؤلف الموسوعة ان ينشر ترجمته في الموسوعة نفسها ليطلع الناس على ذلك ، وزيادة المعرفة توسيع الرواق والآفاق . فازددت شوقا الى ان استزيد من الاستقاء من هذا المعين .

في ٧٨/١/٢٥ تلقيت في البريد هدية من الاستاذ حسان وهي جزء (خ) وجزء (د) من هذه الموسوعة التي طالما صرت اسمع بها كثيرا والالتفات اليها من هنا وهناك . فقضيت ليلة كاملة في هداة الليل البهيم ، وانا اتصفحها ويجتذبني بعض موادها . فلما احطت بها قدر الامكان ، واكبرت محاسنها ، واول ذلك انها مشروع فردي ينهض به الاستاذ حسان وحده ، ولم يسبق وقوع تعارف بيننا من قبل ، فكان علي ان اشكره على هديته شكرين زدوجين : شكر الاهداء وشكر السبق بالفضل المتقدم . فكتبت اليه ، ولكن اغتنمت الفرصة لأسأله كيف جاء اسم اسرته الكريمة المنتهي « بالكاتب » . واعترف انه كان جال في فكري ان لعل الاستاذ حسان شاء لطموح ادبي في نفسه ان يتخذ اسما جديدا فاختار « الكاتب » تيمنا بعبد الحميد الكاتب ، كاتب مروان آخر بني امية في دمشق . وعندي ان الاسم كله من حسان وعبد الحميد والكاتب ، لاح لي كأنه يوحي بذلك ، وفيه الملاحة واللطافة .

ومرتين في مدى الاربعين سنة الاخيرة وجدت نفسي مغلق الذهن امام غموض في الاسماء العلمية (بفتح العين واللام) وما استطعت فك الغامض الا بعد ان يسر الله المفتاح . المرة الاولى لما صرت اسمع بكاتب معبقر القلم والذهن اسمه « وديع فلسطين » ، فبقيت مدة طويلة وظني ان هذا « الوديع الفلسطيني » ما دعاه الى الانتساب الى فلسطين (وهذا وقت الانتداب) سوى تعلقه بقضيتها . ولما شاء الله ان يذهب بالغشاوة عن ذهني ويرتفع الغطاء ، فاذا به هو ذلك « العلامة وديع فلسطين » الموهوب العلمية وكنوز الادب العالي الطراز والرتبة في عالم العروبة . ثم كتب لي من نحو من عشر سنوات ان يرزقني الله صداقته ، ومذ ذاك ، نحن روحان حللنا بدنا . والمرة الثانية هذه هي الآن مع الاستاذ حسان الكاتب . ولا ادري متى تكون الثالثة .

نحن من المكبرين لعزائم الاستاذ حسان ، وعزائمه هذه قد اتت بالعظائم في التأليف الموسوعي ، وهو في ١٩٧٨/٤/٢٩ يدخل في الرابعة والاربعين من عمره الموشح بالخيرات والبركات ، زاده الله توفيقا . ونشكره على نشره ترجمته في جزء حرف (الخاء) . فلما وردني جوابه ، ومن الاطلاع على جزئي (خ) و (د) بان كل شيء .

اما بشأن مأتى اسم « الكاتب » في راس العائلة فقد قال :

« واما اصل التسمية ، فهي كما رواها لي والدي عن جدي المرحوم المقدم (رتبة عسكرية) احمد جودة الكاتب ، ان جدي ابراهيم قدم من مصر مع ابراهيم باشا عام ١٨٣٢ حين قدم الى سورية ، وكان جدي رئيس ديوانه ، وحين عاد ابراهيم باشا (الى مصر) بقي جدي او بالاحرى جد جدي في سورية . فان والدي بدر الدين بن احمد جودة بن حسين بن ابراهيم الكاتب ، ذكر لي ذلك نقلا عن جدي كما ذكرت ، وكان جدي حسين « كاتب طابور » في الجيش العثماني ، ومن هنا جاءت نسبة « الكاتب » ، بينما شقيق جدي حسين كان يدعى « عزة افندي » ، وهو « قواص » عند الملك ، فسمي الشق الآخر من الاسرة (آل القواص) ، وهكذا فان اسرة آل القواص هي اسرة عم والدي » انتهى ما افادنيه الاستاذ حسان عن اصل تسمية « الكاتب » و « القواص » ، وله الشكر .

« الموسوعة الموجزة » بحجم ٢٤ × ١٧ سم حسنة الاخراج ، مستعمل في طباعتها نوعان من الحروف ، العادي والاسود ، وهي مصورة ، والصفحة مؤلفة من

الشك والايمان

اكان وهما يـــرود القلب احيانا ... هـــذا الغرام الذي ودعته الآنـــا
من بعد ما علمتني كيف أعشقها ... تلونت فـــرأيت الشك ألوانـــا
تمردت نزوات الشر في دمهـــا ... وأصبحت بعد طهر الامس شيطانا
فهل ألام اذا لم ارض عاطفتي ؟ ... وأدتها .. وجعلت الشك ايمانا

الاسكندرية — عبد العليم القباني

عمودين ، وظاهر عليها الاتقان والعناية في الترتيب وسرد المعلومات . وكل حرف مـــن الحروف الهجائية الثمانية والعشرين له جزء ، وعدد صفحات كل جزء يختلف عن الجزء الآخر ، لان ذلك تابع لمقدار المادة التي يحتويها . فجزء (خاء) مثلا صفحاته نحو ٨٤ وعدد مواده نحو من ٢٢٨ مادة . وجزء (دال) يحتوي على نحو ١٥٠ صفحة ونحو ٢٨٠ مادة . ورقم الصفحات متسلسل من جزء الى آخر ورقم آخر صفحة من حرف (دال) هو ٤٢٠ يعني ان هذا هو مجموع الاجزاء من (الف) الى آخر (دال) .

فلنأخذ ، مثلا ، مادة « دائرة المعارف » ، واول من استعمل هذا في العربية ترجمة لكلمة Encyclopaedia باللغات الاوروبية المعلم بطرس البستاني في الربع الاخير من القرن الماضي ، واول جزء ظهر من « دائرة المعارف » للمعلم بطرس ١٨٧٦ اي قبل قرن وبعض السنتين . فنرى « الموسوعة الموجزة » اوردت تحت مادة (دائرة المعارف ، او الموسوعة ، او المعلمة ، او الوسيعة) وكلها بمعنى ، وجاء تعدد هذه الاسماء انه بعد الحرب العالمية الاولى وابتداء العالم العربي في نهضته العلمية ، صار يـــرى بعضهم ان اختيار كلمة واحدة اخف على الالسنة من اسم مؤلف من كلمتين « لدائرة المعارف » ، ومع هذا فالغالب راح يستعمل اسم الموسوعة ، بينما اسم « دائرة المعارف » بقي وله مستعملوه ايضا .

ثم تكلمت « الموسوعة الموجزة » عن هذا الباب تاريخيا كلاما عاما ذاكرة ظهور الموسوعات عنـــد الامم الغربية المختلفة ، ثم انتقلت الى الموسوعة العربية بادئة « بدائرة المعارف » للبستاني المعلم بطرس واتت على ذكر ما ظهر من موسوعات عربية حتى اليوم . وشغل هذا نحو ٣ صفحات لا اكثر .

رزق الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب هذه المواهب المؤهلة له للقيام برسالة ثقافية موسوعية في النصف الثاني من القرن العشرين . وهو ، امده الله بالمزيد ، له قدرة على الاستيعاب والاحاطة والنخل والتقصي . فلما امتلأ حوضه ، وازهـــر روضه ، شرع في الانتاج ، منـــوع الموضوعات المفضية الى الافق الموسوعي . ولم يبدأ في الكتابة قبل ١٩٧٠ .

وعلمنا من ترجمته ان اول جزء من « الموسوعة الموجزة » صدر بدمشق سنة ١٩٧١ وله الى الآن (٣٠) مؤلفا واكثر من (١٥٠) بحثا في المجلات العربية .

مؤلفاته قسمان : المطبوع ويشتمل على « دائرة معارف المكتب » في ٤ مجلدات تضم (١٦٠٠) صفحة والموسوعة الموجزة ستصل الى ٢٨ جزءا وتشغل نحو اربعة آلاف صفحة ، وانهى منها ١٩٧٦ حرف « الخاء » وله مـــن الكتب المطبوعة « دراسات ثقافية » ١٩٧٥ « والعبادات في الاسلام » ١٩٧٦ .

اما المخطوط : فهو المؤلفات المحفوظة في « دار الكتب الوطنية » وجملة ذلك ٢١ مؤلفا ، وهذا جواب الاستاذ حسان بشأنها :

« ان مؤلفاتي المخطوطـــة وضعتها في « المكتبـــة الظاهرية ـــ دار الكتب الوطنية » لضخامتها ، وارتفاع كلفة طباعتها ، فهي تتراوح بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ صفحة لكل مؤلف ، وليس من جهة ممولة لهذه الطباعة و « دائرة معارف المكتب ، هي الموسوعة التي يحتاج اليها في المكاتب لتفسير ما يستغلق علينا وهي ٤ مجلدات وتعتبر نواة « الموسوعة الموجزة » .

سجلت الحضارة العربية الاسلامية علـــى اختلاف العصور ، بروز علماء بين كـــل عصر وآخر ، اختصتهم العناية العليا بمواهب ومزايا فائقة ، جاوزت الافـــق المعتاد ، فألفوا الكتب لا بالعشرات بل بالمئة والمئتين ، وذكر « ياقوت » كثيرا منهـــم ، ولعل جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ ـــ ١٥٠٥) كان اوسع العلماء تأليفا بعد عصر « ياقوت » اذ قالوا ان مؤلفاته زادت على خمس مئة مؤلـــف .

ويسرنا ان نقـــول ان الاستاذ حسان بدر الدين « الكاتب » هو في طريق كبار الموسوعيين في العرب وفقه الله ويسر امره . ولا ننسى ان نذكر بهذه المناسبة ان صديقنا العلامة الدكتور صلاح المنجد الموسوعي فاقت كتبه المئة منذ عدة سنين . فنهنىء الموسوعيين ، « المنجد » و « الكاتب » والغد للعرب .

راس المتن ـــ لبنان — عجاج نويهض

اصدقاؤنا الفئران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم ويليام سارويان

ترجمة حسني سيد لبيب

برغم أنف قطتنا ، في منزلنا فئران . في الليل ، حيث الجو هادىء تماما ، والاضواء منطفئة ، نسمع الفئران — ونحن قابعون في فراشنا — وهي تخرج من حجورها وتطأ الارض الخشبية لمطبخنا ، واذا ما اصغينا جيدا ، سمعناها تتصارخ ، وانه لمن بواعث التسلية ان نصغي اليها . وجميل جدا ، فيما ارى ، ان تكون في منزلنا تلك الفئران الهيابة الكتومة الصغيرة . كما ارى انه لكونها فئراننا ، اي فئران منزلنا ، فقد شعرت انها جزء من حياتنا . انها فئران سارقة ، حيث تسطو على الطعام ، ولكنها على اية حال تكون فيما بينها اسرة ، مثلما نحن اسرة ، ومذ عاشت معنا في منزلنا ، شعرت بالتعاطف نحوها .

واحيانا ، وانا مصغ الى الفئران ليلا ، اشعر بأخي كريكور يصغي معي . نمنا في نفس الغرفة ، وكان سريره مجاورا لسريري ، فأصبحنا متجاورين ، فاذا استيقظت في الظلام واستيقظ هو ، شعرت انه استيقظ لحدوث امر ما اثناء رقاده . شعرت به مصغيا معي للفئران ، فقلت :

— هل تسمعها ، يا كريكور ؟

ويقول كريكور :

— لا تتحدث . ستبدأ نشاطها الآن .

احسست ان وراء يقظته في الظلام سببا ما . واذا ما كان نائما فليس هنالك ثمة شيء . وهو ينصت الى الفئران ، بعدما يتأكد من اننا نمنا وما عدنا منتبهين لحركة الفئران .

وكلمة « موج » الخاصة بالفأر في لهجتنا ، ليست اصطلاحا علميا في معناها ، وانما تعني شكلا بسيطا للحياة الحافلة بالحذر والتوجس . وعندما يكون الطفل صغيرا وخجولا ، ندلله بهذا الاسم . ونحن نعتقد ان فئراننا تتسم بالجبن والمداعبة معا ، وليست سببا لمرض ، كما اننا لا نعتقد انها في منزلنا ضارة بصحتنا وسارقة لغذائنا . هي تقوم بقرض غير مؤثر هنا وهناك ، واحيانا نجد الفضلات على الارض ، وهذا يعد أسوأ ما يمكن ان نقوله عنها . لم يصب احدنا بالملاريا بسبب الفئران ، وقد قال كريكور — عندما تحدث في هذا — ان الفئران اذا اصابتها الملاريا فسوف تموت على الفور قبلما تصيبنا الجراثيم . ولم يكن يتحدث بناء على اسس علمية .

مرة او مرتين فقط ، شاهدنا قطتنا وهي تمسك فأرا . شاهدنا القطة وهي تلعب بالفأر ، ثم وهي تأكله .

وبينما يكون مؤلما ان تجد كائنا حيا قد اغتصبت منه حياته ، وبينما صوت العظام الصغيرة وهي تتكسر يصيبنا بالاسى ، فان ما يحدث يردنا الى طبيعتنا حيث انه حلال . القطط مغرمة بأكل الفئران ، واصبح الابتعاد عن طريق القطط جزءا من عمل



الفأر . القطة كائن حي كالفأر ، فقط هي من فصيلة اخرى او ذات سلوك مغاير ، وكلاهما له ذكاء فطري . وانه لمن الطبيعي ان تستعمل القطة ذكاءها لاصطياد الفئران ، ومن الطبيعي ان يستعمل الفأر ذكاءه للابتعاد عن طريق القطط . والوضع بصفة عامة معقول ومقبول ، فاذا ما وقع فأر بين انياب قط ، كان ذلك اما نتيجة ان القط تحت وطأة الجوع او الحنين للعب ، قد اكتسب درجة خاصة من الدهاء ، او نتيجة ان الفأر ، قياسا الى عمره او اهماله الجسيم ، لم يتسلح بالاحتراس الكافي . وعلى هذا ، استحقت القطة ان تأكل الفأر ، واستحق الفأر ان يموت .

ويصعب تحديد وجهة نظر اخرى سليمة . وانه لمن التجني التعاطف مع الفئران والشعور بأن القطط مكروهة ومتوحشة او انها تتمتع بميزة ما ، وذلك لان لكل شيء فائدته وما يقابلها من ضرر . واذا امعنت التفكير فيما حدث ، فستدهش للقطة القادرة على اصطياد فأر . وليس من الانصاف اطلاقا التعاطف مع الفأر ، فهذا يدل على ادراك محدود جدا لقوانين الطبيعة وعلم الاخلاق ، لكون الكائن فأرا او قطة . لست طبيعيا ، ولا اعرف اسماء الكائنات الحية الاصغر التي تفتك بها الفئران وتلتهمها ، ولكنني افترض انها تفتك وتلتهم نوعا ما من الكائنات الحية الصغيرة . واذا هي لم تفعل ذلك بوسيلة ما ، ولا تأكل سوى الطعام الذي يأكله الناس ، فينبغي ان تكون افضل حالا مما هي عليه الآن .

وقد رأيت قبل ذلك مصائد فئران ، لكني لم اتقن دراسة واحدة منها ، ولم افكر ابدا في استعمال واحدة لفئراننا . والآن ، لدينا ثلاث مصائد فئران . وقد قررت اختي لوسي تطهير منزلنا من الفئران . امسكت احدى المصائد في يدي وتفحصتها بدقة .

رايت بوضوح السلك القوي الـذي سيهوي على الفأر ويسحقه حتـى الموت ، ورأيت السلك الملفوف لولبيا مما يجعل السلك يتحرك الى اسفل بقوة هائلة . وعندما تستحوذ قطة على فأر وتلعب به ، فمن الصعب تخيـل حالـة الفـأر الشعورية ، دهشته ، خوفه ، امله المفقود في الهروب ، حيـث تتجاسر القطـة بوحشية بالغة في التسلي به ، ولكن برغم كل تلك الملابسات ، فكما قلت ، يتولد لدى المرء شعور بأن العملية برمتها مسألـة خصوصية . ومـن المستحيل ان تتولد الحاجة لاستعمال المصائد . ويكـون اللولب المعدني وذكاء الفأر الفطري متساويين تماما.

في البدايـة ، اعترضت علـى استعمال المصائد . وقد دهشت من اخي كريكور الذي لم يبد اعتراضا . تملى في المصائد ولم يبد اي نوع من الملاحظة للاعراب عن ضيقه ، بطريقة او بأخرى . قلت بالارمنية :

ـ ما الذي ارتكبته الفئران ؟ هي لم ترتكب اي ذنب .

وقالت امي انها عثرت على فأر غريقا في وعاء الخل ، فأفرغت الخل في الحوض . وقالت انه من السخف احتمال الفئران لاننا نحب سماعها في الليل .

نصبت مصائـد الفئران وبداخلها قطع الجبن . وفي الصباح ، وجدنا مصيدتين اصطادتا الفئران ، ولكن احدى المصائد لم تكن في مكانها ، ولم يكن بداخلها فأر ، كما اختفى الجبن . رأت امي ان هذا غريب جدا . قالت :

ـ لا بد انه فأر ماكر جدا .

شعرت بسعادة غامرة لان احـد فئراننا هرب وحيدا ، ووانتني فكرة بأن هـذا الفأر عـاد الى الفئران الاخرى ، واخبرهم انهـم وضعوا المصائد هناك ، وبداخلها الجبن . انتم تذهبون لتحصلوا على الجبن ، فيطبق عليكم شيء ما ، ويقتلكم . قد شاهدت ما حدث ، وقد حدث بالقرب مني ، ولكنني كنت سريعا جدا . اريد ان تكونوا منتبهين من الآن فصاعدا ، واريدكم ان تفتحوا عيونكم جيدا ، ولا تنخدعوا بقطعة الجبن التـي لا تكون حيث هي موضوعة ، على طبق او رف . اذا رأيتم اي سلك على قطعة خشب ، اهربوا بعيدا عنها . انه فخ . انه سيقتلكم ، ومن الافضل ان تظل جائعا وتبقى حيا ، على ان تنال قطعة صغيرة من الجبن في فمك ، فتقتل .

الفئران التـي قتلـت ، كانـت متيبسة ، ويمكن ان يقال ان اعضاءها عانت كثيرا قبلما تموت . ومن جديد ، وضعت اختـي لوسي في المساء ، الجبن في ثلاث مصائد . وفي الصباح التالي ، وجدنا بداخل احدى المصائد فأرا ، بينما المصيدتان الاخريان ليستا مستقرتـين في موضعيهما ، وليس بداخلهما فئران . شعرت ان فئراننا قـد تعلمت بسرعة ، فسعدت كثيرا لهـذا .

وفي وقت ما خلال الليلة التالية ، كنت يقظا فأنصت للفئران . اصغيت لحظة قصيرة فلـم اسمع شيئا . وشعرت ان اخي كريكور لـم يكن مستيقظا . ثم سمعت مصيدة تقفل . وحسبت ان فأرا قـد سحق حتى الموت . وفي اقل من دقيقة ، سمعت مصيدة اخرى تقفل . ودهشت مما تسلط على الفئران . لماذا لم يتعلموا ان يقبعوا بعيدا عن المصائد ؟ ثـم سمعت المصيدة الثالثة تقفل . وبهذا المعدل ، حسبت ان جميـع فئراننا ستقتل في اقل من اسبوع ، ثم غلبني النعاس .

وفي الصباح ، وجـدت جميـع المصائد في غير موضعها ، ولم تمسك احداها بفأر . وعلى مائدة الافطار ، قال اخي كريكور :

ـ قـرأت في كتـاب ان بعض الفئران تعرف مهمة المصائد فلا تنخدع بها ، ويتخذون الطريق الخلفي حيث لا يعمل اللولب ، ويأكلون الجبن ثم يمضون . وفئراننا تفعل ذلك .

حسنا ، انه اخي كريكور . بعد برهة ، عاد الى غرفتنا آويـا الى فراشه . كنت منتبها جدا في هذا الوقت . وكنت افكـر بتـرو ، في المصائد ، وفي فئراننا التي عثر عليها اخي كريكور حية بالقرب مني . وبدأنا نصفر بصوت خفيض . وقال اخي كريكور :

ـ ذهبت لتثبيت المصائد .

نحـن لا نريد قتل هذه الفئران بالمصائد . وضعت لها الجبن على الارض . سوف تأتي في الحال وهي فرحة ، وسوف تأكلها ، ثم تمضي . سوف نسمعها حين تأتي .

وبدأنا نصغي للفئران ، وبعد برهة سمعناها وهي تخرج من جحورها . قال اخي كريكور :

ـ ليس صحيحا مـا يقال عـن الجراثيم . هـي نظيفة كالقطط . والامر لا يعدو شعورها بالجوع ، تماما مثـل اي كائن حي . ولقـد وضعت الجبن عند الجحر ، ولسوف تجده الفئران .

القاهرة **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب

عوض قشطه : حياته وشعره

تاليف حسين علي محمد ــ ٦٤ صفحة ــ منشورات كتابات الغد ــ مطبعة احمد السيد بالمنصورة مصر

وهذا من حوافز المروءآت في الادب العربي والخلق العربي ، في انحاء الشقيقة الكبرى مصر (مركز السنبلاوين ــ دقهلية) .

ونقول ان الميل السليقي او الفطري الى الشعر ، هو لا ريب من المواهب . وهذا لم تزل الامة العربية تراه في متسلسل اعصرها جاهلية واسلاما ، حتى اليوم . فلما وضع الخليل بن احمد اوزان الشعر كان عمله بمثابة تقييد النغم الموسيقي (بالنوتة) لا اكثر ، ولم تزل الستة عشر قرنا تشهد بأن دولة الاوزان التي أنشاها الفراهيدي (ت ١٧٠ او ١٧٥ هـ) لم تزل ربة التاج والصولجان ، وستبقى بقاء الضاد الى آخر الزمان .

واما الارتجال فموهبة المواهب ، وسمعنا في القدس في يوم من ايامها (ربما سنة ١٩٢٣) الماضية ، وايام القدس وفلسطين ستعود زانف اسرائيل راغم ، شاعر الارتجال العربي القح ، الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، يرتجل في « كلية روضة المعارف الوطنية » بجوار اولى القبلتين وثالث الحرمين (المسجد الاقصى وقبة الصخرة) فسجد القوم المستمعون سجدة شعرية له . وقف معتمرا عمامته البيضاء كانه يلبس تاجا على رأسه ، رحمه الله ، وبلحيته الناعمة كانها قطع الصباح ، ووجهه المتهلل بشرا وانسا ، وعباءته الابق له من اوشحة كسرى وقيصر ، فارتجل لا اقل من خمسين بيتا فلم يتردد له لسان ، ولا ابطاته قريحة ، ولا عصته قافية ، ولا تناول في ابياته الابيات الا كل معنى شريف ، وبقي نحوا من ثلاثة ارباع الساعة . ووقفاته في مصر سنة ١٩٢٣ في حفلة التكريم للجنرال جعفر باشا العسكري مشهورة ، ووقتها ارتجل نحوا من مئة بيت كلها غرر ودرر . بعد الكاظمي غفا الارتجال في اعشاشه ، وعدنا لا نرى اثرا من قصوره المنيفة ومقاصيره ورياشه .

الشاعر عوض قشطه ، شاعر السليقة والفطرة ، في مركز السنبلاوين ، في قرية مباركة من قراها تدعى (تمى الامديد) في مصر الشقيقة الكبرى ، تاجر « بقالة » متوسط الحال ، لم يكتب له ان يتعلم في المدارس غير القليل الذي لا يدخل في افق العلم ولا يخلصه من غشاوة الامية . ولكنه حفظ القرآن الكريم واستوعب الكثير من الشعر القديم ، وراح بعد ذلك يواكب القوافل حتى وصل الى العصر الحاضر ، فاستمع الى شوقي وحافظ والمطران وغيرهم من الصفوف . ورزق الشاعر عوض قشطه زوجة كريمة الخلق ، وافرة الفضل النسوي ، ماشته في دروب الدنيا على وفاق ووفاء . وامتحن الله صدق ايمان الزوجين ، بان اصطفى الى جواره ولدهما مصطفى ، حامل ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة في حادث تصادم آلي مطلع ١٩٧٦ فصبرا صبر المؤمنين ، مسلمين بانا لله وانا اليه راجعون وقد استردت الوديعة .

واشاء ميزان الاقدار ، ان الاديب الناقد الاستاذ حسين علي محمد (ماجستير في الآداب)(١) جعل منذ نحو من اربع سنين يقرأ شعرا لعوض قشطه في باب الادب والفن في الصحف الكبرى (القاهرة) ، ثم أنشئت صلة بينهما مباشرة كان البادىء بها الاستاذ حسين علي محمد ، ونرى هذا من أنفضل الذي يذكر . ولما وقف الاستاذ حسين ، على غزارة الينابيع عند عوض قشطه ، وعوض لا يزال في دكان « بقالته » ، حيث مكتبته الصغيرة ، يبيع الناس بقالة ، ويعطي الادب شعرا اصيلا ، حرص على ان ياخذ بيده ، ويفتح له الابواب ، فوضع في ترجمته كتيبا في ٦٤ صفحة ، وفصل قصة الشاعر السليقي ، واورد نماذج عديدة من شعره في اغراض مختلفة ، وهو من الشعر الحي الاصيل .

فنحن ، وقد استفدنا كل ما ذكرناه من الكتيب المذكور ، نشكر للاستاذ حسين عمله الطيب نحو الشاعر عوض ، وقد يأتي يوم في المستقبل القريب نرى فيه الديوان الكامل الاول لشاعرنا عوض قشطه ، فيه ترجمته بقلمه وفيه ذكر المروءآت الادبية هذه مبسوطة بسطا وافيا ، بحول الله ومنه . وما احسن ما قال الاستاذ حسين وهو يقدم كتابه الى قرائه: « انني اقدم هذا الكتاب عن شاعر في الظل عسى ان ياخذ بيد هذا الاديب ويضعه في دائرة الضوء » ، ونعتقد ان الشاعر عوض قشطه ، قد انتهى عنده عهد الظل ، واطل عليه عهد الندى والطل ، والعارض المنهل .

هذه امته ، الامة العربية ، فليتقدم ، وكنا نحب ان نورد نماذج من شعر « عوض » ، فنعتذر عن هذا لضيق المجال .

رأس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض

* * *

الينبـــــوع

مجموعة قصص ــ تاليف املي نصرالله ــ ٢١٤ صفحة
مؤسسة نوفل بيروت ١٩٧٨

في هذه المجموعة القصصية الجديدة ، لاملي نصرالله ، يلفت النظر ، كما في قصصها السابقة ، سيطرة الاسلوب الشعري الحالم الذي يكسب القصة جو الاساطير والذكريات المستعادة ، التي يتلاعب بها الخيال . ان قسما من هذه الاقاصيص هو بالفعل اساطير من النوع الذي يتناقله القرويون . مثلا « الينبوع » الذي يمنح الحياة والنور لاهل القرية . هل تقصد به عالم الحلم الذي يفتذي منه البشر فاذا مات الحلم من حياتهم (موت زوج مريم) نضبت المواسم وانقطع الخير ؟ لكـن رجوع الحلم ، حين يبلغ الولد الشباب ويحل محل ابيه ، يعيد البركة والحياة الى المنزل . وكأني بها تقول : « المستقبل للشباب . هم الامل » .

كذلك من اساطير القرية « الانتظار » . اسطورة عن جبل الشيخ في جنوبي لبنان . الجبل المعمم بالثلج الذي يقطنه شيخ مجهول ، عبثا يحاولون الوصول اليه ، وفي سفح الجبل المهيب قصر مسحور له حكاية مكتوبة فوق صخرة مرصودة ، لم يقدر احد على فك رصدها . اما الشيخ فكل ما يبدو منه عصا قائمة بين السماء والارض تدعو الناس الى الصمود والمغامرة . وقد امتطاها يوما شاهين فشق بها الغيم وانقطعت بعد ذاك اخباره . كان شاهين « شاعر القرية وبطلها المغوار . يعيش في الحلم ،

---

(١) ــ عنوانه : دبرب نجم ــ الشرقية ــ مصر .

يفتذي من رحيق الزهور ويتعلم في كتاب الطبيعة كيف تحلق النسور وتسبح الحيتان » . وابصر العصا تتدلى ذات صباح وتصل الى عتبة داره فامتطاها وسافر . « وظل الناس ينتظرون عودته وينسجون حوله الاساطير . ثم لحق به مغامر آخر . نعمان ، الذي خرج ليدافع عن الشيخ حين تعرض للعدوان . شد منطقته ، حمل السلاح وخرج من غير ان يقول لامه وداعا . لكن نعمان اختفى . وظل الشيخ وحده يعاني جحيم النيران ويتلقى ضربات العدو . عصاه تحطمت وعباءته احرقتها نيران النابالم . لكنه ظل منتصبا مثل اشجار الصنوبر والسرو العتيق . ونعمان مثل شاهين صار اسطورة ، غير ان الناس ما زالوا ينتظرون رجوع الاثنين ويقولون : « نبت لشاهين جناحا نسر حمل فوقهما نعمان حين غادر امه في ذلك الليل الرهيب » . وحين يدوي الانفجار في سماء البلدة يقولون : « شاهين تحول الى نسر وها هو آت برفقة نعمان » .

يبدو أن هذه الاسطورة ترمز الى لبنان ، الشيخ المعمم بالبياض ، الذي يلوح لابنائه بعصاه ، يدعوهم الى البطولة والمغامرة ، يحاول ان يجمعهم تحت عباءته ، يناديهم في الضيق فلا يتحركون . الابطال منهم يذهبون ولا يرجعون ، لكن الناس ما زالوا يتعللون بقدوم البطل المنقذ الذي يرد للشيخ عافيته ويعيد اليه سيادته .

عدا الحكايات الاسطورية ، هناك قصص المعجزات التي حدثت او ينتظر حدوثها : اعجوبة انتهاء الحرب في « حلم صغير » . وشفاء ولد مريض : « كسرة خبز » . ونجاة امرأة من انفجار رهيب : « الاعجوبة » .

والاقاصيص الرومنطيقية التي تروي ذكريات حب ضائع او حياة مبتورة . البطلة فيها تنبش الماضي وتجتر الندم . او تهذي بالشعر وتساورها اعراض الذهول .

رغم تنوع اغراض الاقاصيص ، نستشف من مجموعها دعوة رومنطيقية الى الايمان بدنيا الروح والاستجابة لنداء القلب قبل فوات الاوان . في بعضها تلويح بالبطولة والتضحية وسواهما من قيم كلاسيكية . لكن العنصر السلبي يطغى في الانتظار الذي لا يقارنه كفاح . في نفوس تجتر الماضي ويعذبها الندم فتبرهن عن ضعف واستسلام .

اما الاسلوب فقد سبقت الاشارة الى ميزته الشعرية التي منها تقطيع العبارة ، الاسترسال في الوصف الذي يستوحي الطبيعة ، موسيقية الالفاظ التي تقتبس احيانا من العبارة المحكية ، لا سيما في الحوار ، كما في قولها : « ردت الستائر » اي ازاحتها . « ختيار » بدل مسن . « شوفيه فرجة ؟ كل واحد عشغله » . « يمكن نسيت » . وهذا الاقتباس يبدو على الغالب سائغا ، موفقا .

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

روز غريب

* * *

صديقـــــي

مجموعة شعرية ــ فاطمة حداد ــ ١٠٢ صفحة ــ من القطع المتوسط ــ دار الانوار للطباعة في دمشق

قبل عشر سنوات ، وفي عام ١٩٦٧ تعرفت في اللاذقية بالسيدة فاطمة حداد ، فقد سمعت عنها انها تنظم شعرا على الفطرة ، وسمعت انها تركت المدرسة في سن مبكرة لانها تزوجت ، ثم انجبت سبعة اولاد ، وغرقت في خضم المسؤوليات العائلية الجسيمة ، لكنها مع هذا لم تنس الشعر ، لانه يمتزج في دمها ، وهو فيض احساساتها ومشاعرها .

لم تتعلم قواعد العروض ولا اصول النظم ــ شان الشاعر الياس فرحات ــ بعكس شاعرات اللاذقية الاربع : عزيزة وهند هارون ، ونبيهه حداد ، ومها غريب بل تنظم على السماع ، بفضل ما أوتيت من اذن موسيقية مرهفة ، تلتقط ادق الخلجات ، واخفت الهمسات .

زرتها يومئذ في منزلها ، فحدثتني اشياء كثيرة عن حياتها ، وقرأت لي مقطوعات من شعرها ، فاحسست بانها ما تزال في اول الطريق ، وتحتاج الى مزيد من العناية والاهتمام ، وخرجت في النهاية بحديث عنها نشرته في مجلة « المضحك المبكي » الاسبوعية تحت عنوان « فاطمة حداد شاعرة غريقة في الضياع » ، فكنت بذلك اول من كشف النقاب عنها ، وشجعها على المضي قدما ، واخرجها من عزلتها الخجول ، لتواكب سير الحركة الشعرية المعاصرة ، وزادها تشجيعا من بعد ابنها بسام ساعي الذي نال شهادة الدكتوراه في الآداب ، واصبح استاذا في قسم اللغة العربية في جامعة « تشرين » باللاذقية . اخذ يوجهها ، ويتعهد اشعارها ، ويصلح ما يراه فيها من خلل او اضطراب ، وها هوذا اليوم يكتب لها مقدمة ديوانها الاول « صديقي » .

كنت اتوقع ان يبرز الدكتور بسام والدته في المقدمة على غير ما هي ، فاذا به يعترف بكثير من التواضع بان قوافيها ما تزال قلقة ، وبانه كان يمكنها الاستغناء عن بعض الابيات والقصائد التي ضمها الديوان .

يرى بسام ــ وانا معه ــ ان الطبع هو السمة الاولى في شعرها ، ويعتقد ان ضعف ذخيرتها اللغوية ــ نتيجة لتفتحها على الثقافة الفرنسية في مدارس الراهبات في مطلع حياتها ــ ثم جهلها التام لعلم العروض وبحور الشعر العربي ، كل هذا ساعد على سلامة طبعها ، وابعدها عن التأثيرات الثقافية الجديدة التي قذفت بكثير من الشعراء بعيدا عن شخصياتهم الحقيقية .

ويتساءل بسام كيف يمكن ان تكون هذه القصائد لصاحبة هذه الثقافة اللغوية المتواضعة ، لذلك فهو يكاد يؤمن بأن للشعراء شياطين توحي لهم وتلهمهم ، كما كان يعتقد شعراء العرب في الجاهلية .

والديوان ــ الذي صدر مؤخرا عن دار الانوار للطباعة في دمشق بلا فهرس للقصائد ــ صورة صادقة وأمينة للحياة التي عاشتها ، حياة الزهرة الحبيسة في اناء من زجاج ، فهي المحور الذي يدور حوله معظم القصائد العمودية في الغالب :

انـا كالطـير ماربـي بجناحي حين أعلو أرى الحياة ضئيله
في دياجي الخضم أسبح جذلـى والاقي بالقفـر خـير حصيلـه

ويبدو ان الشعر عندها كان ولم يزل تسليتها الوحيدة المفضلة ، تسري به عن همومها واحزانها ، وتبثه ما يعتلج في صدرها من اشواق حبيسة ، ورغبات مكتومة ، وآهات مجروحة :

اتغنـى مـع الطيـور وحسبي قطرات مـن كاس شعر قليله
انـا كالطير يبعث الفجر لحني والقوافي بغـير فجـر بخيلـه

وما دام الامر كذلك ، فكيف ترانا نسالها عن التجربة الذاتية ؟ بل من العبث ان نبحث في شعرها عن شيء اسمه تجربة ذاتية ، فقد هربت من واقعها الى الشطحات الصوفية ، تغيم في ضبابها ، وتاوي الى متاهات غيبياتها ، متغزلة بالذات الالهية ، والحب الالهي ، ولا سيما في قصيدتها « عاشقة الله » حتى لنحس ونحن نقرؤها بنفس ايقاعات البوصيري في بديعياته :

فمـا رأيت حبيبا يستحق هوى ولا رأيت الهوى في الخلق يكتمل
حتـى سموت بحب الله خالصة وكـل حـب لغـير الله منخذل
وأجمل الوجد أن يسمو لخالقه وأسعد العبد من ترقى به السبل
لا كاس غير كؤوس الله تسكرني ولا بغـير غـرام الله أنشغل

وتبرز الملامح الصوفية في شعرها بشكل اوضح في هذه المقابلات التي تلجا اليها ، فتبهم المعنى ، وتزيده غموضا وتعقيدا :

سر القلوب كسر الروح منفصل لكنـه في طريـق الخلد متصل
سيان احيا وافنى ، ما الفناء اذا حققت أهوى وقلبي في الهوى أزل

ولا تلتزم الشاعرة بابحر الخليل التزاما كليا لجهلها اياها ، لذلك

تراها تخرج عنها خروجا ظاهرا يؤدي الى كسر الابيات الشعرية ، وتحطيم الوزن ، واستغرب كيف لا يتميز أذنها الموسيقية الفرق بين هذين البيتين ؟ :

حطم قيود الوجد واهرب من لظاه واقطع حبال الود وافلت من عراه
(واعبر على درب الزهر مرنما) حيث الزنابق والورود لمنتهاه

ولم تلاحظ كيف خرجت عن وزن البحر البسيط في شطر البيت الثاني من قصيدة « ثورة تشرين » :

حرف المدافع اسرائيل تفهمه فلقنوها ! وللانام ما فهموا

ولو قالت « الآنام » بالمد لصح الوزن ...

كان يجدر بالدكتور بسام ان يصحح لها العروض على الاقل ، وهو الاستاذ الخبير في هذا الفن ، دون ان يمس المعاني او يغيرها .

اما التجديد في ديوان « صديقي » فقليل لا يتعدى القصائد الثلاث ، وهو تجديد في الشكل لا في المضمون ، لا يقوم على قاعدة معروفة . ترسل فيه العنان لقوافيها وتفعيلاتها ، لتسرح على هواها كيفما اتفق ، كما في قصيدة « في احضان الروض » :

سكرى بالروض مخدرة
مستغرقة
أصحو وأغيب
الروض نديم يسقيني
والروض حبيب
الكأس لديه معطرة
ومعتقة
خمر ورحيق ...

ولا يخفى ان كاس الشاعرة وخمرها ، ورحيقها ، ونديمها ، وسكرها ، وسقياها ليس مما تعارف عليه الناس في الدنيا ، بل مما تعارف عليه الصوفيون ...

والصور قليلة في شعرها ، واذا وجدت فهي باهتة شاحبة ، لا روح فيها ولا حياة ، ترتكز على الرصف اللفظي ، واللفظ ـ كما هو معروف ـ وعاء ضيق لا يمكن ان يستوعب جوانب الصورة الشعرية التي كثيرا ما يتركها الشاعر بلا اطار او حدود ، واي قارىء يمكنه ان يدرك الفرق بين قولها :

سنرجع ما تناءينا حبيبي ما توارينا

وقولها :

هي لحظة العمر التي أمضيتها يوما معك

ووصفها بالاجمال من قبيل التصوير الفوتوغرافي ، لا تمتزج فيه بالموصوف ، ولا تصور احاسيسها من خلاله ، بعكس ما كان يفعله شعراء المدرسة الرومانسية ، فاذا خاطبت الزهرة ـ وهي بنت الطبيعة ـ لم تغص الى اعماقها ، ولم تتغلغل في السر الذي يكمن في تفتحها وذبولها ، لتخرج بمغزى يفلسف هذا الوجود ، واكتفت بالقول :

يا زهرة بين الهشيم تفتحت ماذا أردت من الهشيم
بالله يا أحلى الزهور تراجعي عودي لاحضان الزهور

ومهما يكن من امر فشعر فاطمة حداد يحتاج الى مزيد من العناية والصقل والتجويد والغربلة ، وحبذا لو استغنت عن اكثر من بيت في القصيدة الواحدة ، ولم تنشر الا الجيد الجيد ، لكنها مع ذلك تظل شاعرة الفطرة السليمة ، والطبع النقي ، والخاطرة البكر التي لم يفسدها التحكيك والتنقيح .

قصور ـ دمشق عيسى فتوح

* * *

قصص من بلدي

تاليف مقبولة الشلق ـ ١٢٠ صفحة حجم متوسط ـ
المطبعة العمومية بدمشق

تمتاز قصص مقبولة الشلق بالطراوة والنعومة والذوق ـ وتلك خصال ابناء دمشق ـ ولعل العنوان « قصص من بلدي » يفصح عن المضمون ، ذلك ان القصص نابعة من دمشق ، وتحكي قصتها من الالف الى الياء :

١ ـ قاسيون عنوان قصة « الاب الحنون » . كيف كان وكيف صار ؟ كانت مغاوره وكهوفه ملجأ للفارين من بطش الاستعمار الفرنسي . وكانت صخوره تصنع منها الحجارة للبيع ، او لرشق زبانية المستعمرين ، ابان التظاهرات العديدة المعبرة عن النقمة العارمة ـ آنذاك ـ . وكانت سفوحه المعشوشبة مقيلا ومستراحا للمتنزهين والعاطلين عن العمل والفقراء . وكانت بيوته طينية لا تختلف عن بيوت الريف . وكان قاسيون ، ايضا ، يطل على الفيحاء ، فلا تخفى عليه خافية من جميع عوالمها ... حتى حافلات الترام المقسمة الى رجالي ونسائي وحتى عربات الخيل لنقل الاهلين . وهذه الحافلات والعربات لم يبق منها شيء .

وقد بدل قاسيون وبدلت الفيحاء أيما تبديل ، فالبنايات الاسمنتية الشاهقة والمتلاصقة ، كعلب الكرتون ، تحجب الشمس والقمر والهواء . وها هو قاسيون يندب بحسرة ممضة :

« اني اتحسر عندما ارى حفدائي يعيشون في قبور عميقة ، يسمونها اقبية ، يتزوجون ويربون اطفالهم في ظلماتها ... اين بيوتي وحدائقها ؟ واين هواكيري وثمارها ؟ واين نهري وماؤه بل اين قاسيون وهواؤه ... انظروا الى الابنية كيف بنيت ، والى طبقاتها كيف رفعت . لم يعد احد يرى الفيحاء وجمالها » .

ولكن قاسيون لا يلبث ان يجفف دموعه بعد ان جاءه البشير :

« ستفقدو جنة من جنان الله في ارضه . لن تبقى فيك بقعة من غير عمران ، ولا قطعة من غير اشجار ، وستبلغ ذراك المياه » .

٢ ـ وتسخر قصة « لماذا جف النهر ؟ » ـ وكان يدخل المدينة في سبعة فروع متفرقة فقلت مياهه ونضبت الفروع فاصبحت قاصرة عليه وحده ـ لمعالجة موضوع عمران مدينة دمشق ... ولقد انحت باللائمة على المقاولين المعماريين الذين قطعوا الاشجار في غوطة دمشق ليحلوا محلها عمارات اسمنتية شاهقة . ولو انصفوا لما ازالوا زينة دمشق : الغوطة ولكان عليهم ان يبنوا في الصحراء الشاسعة الواسعة من الشمال والجنوب وبئس ما فعلت ايديهم وقد ندم المسؤولون ، ولات ساعة مندم .

بهاتين القصتين ، تسجع القاصة سجعا جميلا ، في وصف دمشق بماضيها الزاهي الجميل وحاضرها الباهت الكئيب الذي يضيق الانفاس . فهل تعرفون من تحب بلدها اكثر منها ؟ ... وان شعورها بالمسؤولية لكبير ! ...

٣ ـ في قصة « ودار الزمن دورته » درس مفيد في التربية الوطنية ، ولا عجب فقد سبق للقاصة ، ان قامت بتدريس مادتي التربية الوطنية والتاريخ ، في ثانوية البنات بدمشق ، مدة خمس سنوات .

وبالاضافة الى الصور المعبرة عن نضال الجماهير السورية في مقارعة المستعمرين واذنابهم ، فان فيها مقارنة ، بين مجيء الجنود العرب المراكشيين الى سورية ، في عهد الانتداب الفرنسي ، حيث كانوا يطلقون النار على الوطنيين ويتحرشون بالنسوة ، بغير ما وازع ، وحضورهم عام ١٩٧٣ في طلب الشهادة ضد الغزاة الصهاينة المتحجرين .

وبالفعل فقد امتزجت دماؤهم بدماء اخوانهم السوريين ، على تراب الوطن الواحد ، حيث الامة العربية الواحدة .

واني اقترح على القاصة استبدال عنوان هذه القصة بـ « عودة حميدة » او « عادوا ... والعود احمد ! » .

٤ ـ قصة « كفاح » فيلم وثائقي عن تكديس المعاملات في الدوائر الحكومية ، بغير حل ، وتسويف المراجعين يوما بعد يوم ، وراء مركب

النقص لدى رئيس الدائرة الذي يحذق الرياء والنفاق ازاء « المدير » في حين يضع قناع المنجهية ، في مواجهته المراجعين والمرؤوسين ، على السواء ... وليس الرئيس باعلم من المرؤوس وانما العكس صحيح ، تطبيقا للقاعدة العامة المعمول بها ، في اكثر دول العالم الثالث : « وضع الرجل المناسب في غير المكان المناسب » .

٥ ــ في « خولة » نقمة سافرة لعدم المساواة بين الرجل والمرأة ، وكذلك فان في قصة « منتصف الطريق » وصفا حيا لمشكلة المرأة في بلادنا ــ او قل مشكلة القاصة نفسها ــ وبخاصة المثقفة ... ويتضاعف عملها اذ تشتغل داخل المنزل وخارجه ، من غير ان تقوم الحكومة بتأسيس دور لرعاية الاطفال ... وهذه الدور من الامنيات التي تصبو اليها القاصة ، وتعمل على تحقيقها .

٦ ــ وفي قصة « لي بيت » مأساة كل ذي دخل محدود ، في التفتيش ، عن بيت للسكن .

٧ ــ وقد افردت للمدفأة « الغادرة » قصة فيها طرافة ، تضحك وتبكي ، ولكنها الى الضحك اقرب . وكان للجاحظ منها نصيب ، اذ ذكرته في قصة « لي عرس كل عام » تدليلا على احتفاء دمشق بالعلماء والادباء البارزين . وكذلك فان في قصة « هذا شعر » تنديدا بالفضوليات اللواتي يعرضن انتاجهن الادبي بواسطة جمالهن .

تلك هي القصص العشر في هذه المجموعة « قصص من بلدي » كلها هادفة ، وتنبع من قلب كبير ، ينشر الخير له ولمجتمعه ، ولكنها لا تزين بلباس « القصة المعاصرة » مئة بالمئة ، وانما هي مزيج من القديم والحديث . ويتخللها كثير من السرد وبعض من الحواشي التي يمكن الاستغناء عنها ... على ان الاسلوب لا تنقصه القوة في التركيب ، والفصاحة في التعبير ... حتى ان السرد مستساغ لكمال الموضوع ووضع النقاط على الحروف بحيث لا تخفى على القارىء خافية ، وبخاصة الصور القديمة الجميلة التي لا يعرفها المحدثون .

وفي الختام ، تحية تقدير ومودة الى القاصة مقبولة الشلق ، على هذا اللقاء الاول ، في ساحة باكورة مجموعتها القصصية . وموعدي معها ثانية في المجموعة الثانية « ابتسامات حنان » عما قريب ، باذن الله .

مصياف ــ سورية — مصطفى الخش

* * *

١ ــ ديوان الشريف الرضي

تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ــ وزارة الثقافة ــ ٣٨٢ صفحة ــ دار الطليعة للطباعة والنشر ــ باريس

لقد شهد القرن الرابع الهجري انحطاطا كبيرا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بسبب تسلط البويهيين على مقاليد الحكم في العراق وفراوة التناحر والصراع بين ابناء الشعب واستغلال موارد الدولة والاثراء الفاحش على حساب الآخرين . في هذه التناقضات الحادة ظهرت جماعة من الاعلام الذين انجبتهم الامة العربية كمهدها في كل عصر فظلوا وما زالوا شموعا على دروب العلم والمعرفة ومنهم الشريف الرضي ٣٥٩ ــ ٤٠٦ هـ .

ان التحقيق العلمي لهذا الديوان ولغيره يعد مفخرة لتراثنا الخالد وهي رغبة استبدت بالدكتور عبد الفتاح محمد الحلو فجاء متكاملا من جميع الجهات فهو يتناول الشاعر بدراسة وافية لجوانب حياته منذ مولده الى وفاته باستدلالات تاريخية وشواهد علمية اثبتها في التحقيق الى جانب صفاته الخلقية والخلقية : كان الشاعر جميلا اما صفاته الخلقية فان شعره يحمل من الاباء والعزة والوفاء والاخلاص والاحساس المرهف الشيء الكثير وهو معروف بالعفة وعلو الهمة والتدين والسخاء والجود والتقشف.



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819

☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعقد المحقق الفاضل فصلا عن عقيدة الرضي ومذهبه الكلامي ونظلعه للخلافة :

دعني أخاطر بالحياة وانما طلب الرجال العز ضرب قداح
أما لقاء الملك قسرا او كما لقي ابن حجر من يد الطماح

ولقد ساءت الاحوال بين الرضي والقادر بالله بسبب قوله :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي

ويتحدث عن ثقافة الرضي ومن قرأ عليهم وتأثر بهم ثم يتطرق الى مؤلفاته وادبه وشعره قال وهو يرثي امه :

فارقت فيك تمسكي وتجملي ونسيت فيك تعززي وابائي
وصنعت ما ثلم الوقار صنيعه مما عراني من جوى البرحاء
كم زفرة ضعفت فصارت أنة تمتها بتنفس الصعداء
لهفان أنزو في حبائل كربة ملكت علي جلادتي وغنائي

ويستعرض المحقق اسرة الشاعر ومكانتها العلمية والادبية في المجتمع وقد تعاظم قدر المدح في شعره حتى ليربو على ثلث الديوان ثم يليه الرثاء والفخر والشكوى والنسيب ثم بقية الاغراض واكثر مدائحه الى اسرته والى ابيه بصورة خاصة :

وأين مثل الحسين ان حسنت صنائع البيض والقنا القصد
أبلج ان صاحت المطي به فدى التنادي بعيشه الرغد

والحسين هو ابو الشاعر الذي يرتفع بنسبه الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

يعتقد المحقق الفاضل : ان الرضي ودع آماله حين سوي على بهاء الدولة التراب سنة ٤٠٣ هـ فهجر القريض الى الحد الذي جعل سلطان الدولة يواصل اقتضاءه منه حتى اضطر الى ان يكتب قصيدته في صفر سنة ٤٠٤ هـ ... وكان يدرك انه يودع الحياة نفسها ففي شعبان سنة ٤٠٥ هـ رثى صديقه البنى فختم مرثيته بقوله :

ما اخطأتك النائبا ت اذا اصابت من تحب

ولم يمض على هذا الا اكثر قليلا من اربعة شهور حتى لقي الرضي ربه في يوم الاحد لست خلون من المحرم سنة ٤٠٦ هـ ٢٦ يونيو سنة ١٠١٦ م عن سبع واربعين سنة فصلى عليه الوزير فخر الملك وجميع الاشراف والقضاة والشهود والاعيان ثم دخل الناس عليه افواجا ودفن في داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ وقد رثاه اخوه المرتضي وتلميذه مهيار الديلمي وابو القاسم الوزير المغربي وسليمان بن فهد .

يضم الجزء الاول من الديوان صنعة ابي حكيم الخبري المتوفي سنة ٤٧٦ هـ قصائد في المدح على قافية الهمزة حتى الدال واولها قال يمدح الخليفة الطائع لله حتى وقال يمدح وقد سئل ذلك وهي في مجموعها ثمان وثلاثون قصيدة وقطعة وفي آخر الديوان ملحق يحتوي على التخريج والزيادات والفهرس .

الذي يسترعي الاهتمام هو دراسة المحقق الفاضل حول توثيق بعض شعر الرضي وبيان المنحول والمنسوب اليه .

وفق الله الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو لاغنائه المكتبة العربية بكتابيه المهمين « حياة الشريف الرضي ودراسة شعره » ثم ديوان الشريف الرضي الذي نقدمه للقراء على صفحات مجلتنا الاديب الفراء وهو من اصدارات وزارة الثقافة والفنون العراقية سلسلة التراث وطبع على مطابع دار الطليعة للطباعة والنشر في باريس .

٢ ــ المجموعة الكاملة

لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة

قدم لها وهياها للطبع دكتور جلال الخياط ــ وزارة الثقافة والفنون ــ ٧٤٠ صفحة ــ دار الحرية ــ بغداد

كلفت وزارة الثقافة والفنون الدكتور جلال الخياط جمع وتهيئة اشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة لتصدرها ضمن سلسلة ديوان الشعر الحديث تقديرا لاعمال الشاعر وحفظا لها من الضياع وهي مهمة صعبة عجز الشاعر نفسه عن تحقيقها في ايام حياته بسبب انطفاء انوار عينيه واصابته برصاصات طائشة في حوادث لبنان اضافة الى الاسباب الاخرى كاختلاف خطوط القصائد التي يكتبها من يستعين بهم الى جانب وجود اخطاء وتشابك في الكلمات الامر الذي يضطر الدكتور الفاضل الى الاستعانة بالشاعر عند الحاجة طوال ثلاثة اشهر قضاها قراءة وتدقيقا وحلا لالغاز كثيرة ودراسة عن حياة الشاعر من خلال اشعاره وهو يعاني ألم الغربة واحزان التشرد بعيدا عن ارض الوطن فجاءت مجموعة ضخمة تتألف من سبعمائة واربعين صفحة تضم ثلثمائة وثمانين قصيدة وقطعة عدا قصائد وابيات الحقت بغيرها وكانها مذكرات يومية لقضايا واحداث تقع امام مشهد الشاعر يتناول فيها كل ما يصادفه في الشارع والمقهى والفندق وحتى على الرصيف ويلتقط الصور بمهارة فالى جانب المجوز يصف الشاب الجمال والمساكين والصيادين ويسلط الانوار على النساء رغم عزوبته الدائمة فيذكر الجمال والعيون الساحرة وينتقل الى الطبيعة والى الشعر والشعراء .

وفي هذا المجال له حديث طويل فهو يتغزل بفرح الاطفال ويرثي بدموع الشيوخ ويزهد كالرهبان ويعظ كالفلاسفة « وكانت مدرسة الحياة تمده بموضوعات لا تنتهي ، وانماط من اناس يثيرون عنده ردود افعال مختلفة تنعكس في اشعاره ، وتأملات فكرية ، ومواقف ازاء الوجود ووصف لرحلة التنقل والطواف والتشرد » :

وجربت انواع التغرب كلها فمن غربة في الدار والقوم والعمر
الى غربة في الزي والذوق والهوى الى غربة في الخلق والدين والكفر
وزدت عليها كلها غربة الشعر بمخطوط ديوانين ضما الى عشر
فابصرت طعم الكل مرا وقاسيا ولم أر أقسى قط من غربة الفكر

ويأتيه حبيب اديب وهو يحمل مقالة تشيد بشعره فيقول :

أتاني حبيبي كاتبا لي مقالة تشيد بشعري فائقا وعجيبا
فقلت ، وغصت في شفاهي قبلة أريد حبيبا لا أريد أديبا

وفي شعره يلاحظ القارىء القصة الشعرية واضحة فلنستمع اليه :

اليوم كنت بنزهة في « ربوتي » بين الحقول اسير كالنشوان
واذا بكلب جاء نحوي قاصدا مستنجدا يشكو بغير لسان
بالرأس يمسح أرجلي مستعطفا ليهيج عطفي نحوه وحناني
فقرأت فيه طالبا لمعونتي والسر منه يحاط بالكتمان
فوجدته بالجهد يرفع رجله ويجرها جرا بكل توان
فبدت لعيني الرجل وهي كسيرة مجروحة تشكو باحمر قان

وتستمر القصيدة وتنتهي بمعالجة الحيوان .

والصافي النجفي شاعر الفقراء :

ود الفقير فقيرا عز له ، لو وعاه
كل بظل أخيه ينال دوما هناه

وفي نبضاته يقول :

رمتني باللحاظ فامرضتني ممرضتي فزادت في لهيبي
تمرضني ، وتمرضني بعين يعاكس فعلها ، فعل الطبيب

وبعد عودة الشاعر الى وطنه وهو في بغداد قال :

يا عودة للدار ما أقساها أسمع بغداد ولا أراها

هذه نهلة من فيض نقدمها حول المجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة قدم لها وهياها للطبع الدكتور جلال الخياط وقد اغنى المكتبة العربية بهذا الاثر النفيس ومحبي آثار الشاعر الذي ولد عام ١٨٩٧ وتوفي في يوم ١٩٧٧/٦/٢٧ مخلفا وراءه ثروة شعرية قيمة ستكون معينا للدارسين .

الكوت ــ العراق

كاظم محمد حسين



ايليا حليم حنا

حكايتي مع الكتب

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

تأصلت في عادة القراءة منذ حداثتي وبدأت اهتم بالكتب وانا طفل في المرحلة الابتدائية ... وكنت اسعى الى حيث تباع الكتب القديمة حارما نفسي من كل ما يستهوي الاطفال من حلوى وغيرها ، لأشتري كتابا ...

وكانت تصدر في ذلك الوقت مجلة اسمها (مسامرات الاطفال المصورة) ... كان الاطفال يحررون اكثر من نصف صفحاتها .. فألقيت بدلوي بين الدلاء ، وبدأت ابعث اليها بمعلومات اجمعها من قراءاتي — التي كانت تناسب سني في ذلك الوقت — والتي كانت تنشر لي بعنوان (هل تعلم ؟) وشجعني نشر كل ما كنت ابعث به على مداومة القراءة... وكان يوم صدور المجلة من اسعد ايام طفولتي ... اسعى مبكرا الى حيث تباع المجلة واقرأ ما نشر لي وانا في الطريق ، لا انتظر حتى اصل الى المنزل ، وكنت اطيل النظر الى اسمي مزهوا فخورا .. وكان هذا يعطيني طاقة جبارة وجلدا على مواصلة القراءة والبحث عن معلومات جديدة حتى لا يتوقف النشر لي ... وكان الاطفال زملائي ينظرون الي نظرة اكبار ، وزاد هذا ايضا من حماستي واعطاني دفعة قوية لمداومة القراءة والبحث عن مصادر انقل منها مقتطفات بعنوان (قرأت لك) .

وعندما وصلت الى المرحلة الثانوية كانت عادة القراءة قد تأصلت في تماما واصبحت قارئا نهما ، وبدأت أقرأ لكبار الادباء : جبران والمنفلوطي ووجدت عندهما المشاعر الانسانية النبيلة ، وكشاب يحب كل جديد وكل ما يدفع الى التقدم قرأت المازني ، والعقاد ، وطه حسين ، وابراهيم المصري ، وسلامة موسى ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وميخائيل نعيمه وغيرهم. وداومت على قراءة معظم المجلات الادبية ، والصفحات الادبية في الصحف اليومية ، وكانت صحف ذلك الوقت تخصص عددا من صفحاتها للثقافة الرفيعة المتعمقة وللبحث الادبي المدروس .. وكان الشباب يعتمد عليها كغذاء يومي مشبع .

وعاودتني الرغبة القوية الملحة في النشر ، وبدأت ابعث بانتاجي من القصص والمقالات والدراسات الى الصفحات الادبية في بعض الصحف اليومية ، فأرسلت قصصا الى صحيفتي (كوكب الشرق) و (مصر) ومجلة (القصصي) ، وارسلت سلسلة من المقالات بعنوان (لمحة من حياة العباقرة) الى صحيفة (الجهاد) التي كانت تنشرها لي تباعا في مكان بارز منها ... وكانت صحافة تلك الايام تنشر الجيد مما يرسل اليها دون ادنى نظر الى الاسم ، فكنت ترى اسم شاب مغمور بجوار اسم اديب كبير مشهور ... ولهذا فان صحف ومجلات تلك الايام اسهمت في ظهور العديد من الادباء .

كان الهدف الاول من القراءة في بدء عهدي بها هو اثبات الذات والتجويد ... وفي فورة الشباب وحماسه وضآلة الخبرة كانت القراءة هي الينبوع الوحيد الذي طالما روى الظمأ المتجدد في اعماقي ... كانت الكتب هي النوافذ التي اطل منها على حقائق الحياة ، وتفضح الاكاذيب التي يعيش عليها الناس ... كنت عندما افرغ من قراءة كتاب تمتلىء نفسي بالمشاعر والافكار فأحس انني قد عبرت الى عالم جديد حافل بالوعي والادراك ، وكنت احس انه كلما اتسعت ثقافتي اتسعت تجربتي .

كان النشر المبكر حافزي القوي للقراءة الجادة المتصلة ، جعلني اسعى الى ان اتخذ موقفا تمليه علي وجهة نظري ، موقفا من الانسان والظروف والعالم الذي اعيش فيه . ولم يكن امامي وقتذاك ما يجعلني ذا موقف فيما يدور حولي وفي كثير من شؤون الحياة الا القراءة المتصلة التي ترفعني الى مستوى العصر ، وتضيف الجديد والكثير الى فكري ووجداني .

وعندما ذهبت الى الجامعة اتجهت الى الكتابة في المجلات الادبية فكتبت في مجلة (الحديقة والمنزل) ثم (المجلة الجديدة) التي كان يصدرها سلامة موسى ، ثم في مجلة (الرسالة) التي كان يصدرها استاذنا احمد حسن الزيات وظللت اكتب بها بدون انقطاع حتى احتجبت وحلت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكانها مجلة (الرسالة الجديدة) التي كان يشرف على تحريرها (يوسف السباعي) ... وزاد اقبالي على القراءة الجادة الحميمة لأهتدي الى شعلة استضيء بها واضيء بها الطريق ... واصبحت قارئا عكوفا ارى انني لا استطيع ان اعبر تعبيرا صادقا جميلا الا بالقراءة التي تثري عقلي وقلبي بتراث المعرفة والابداع الفني والفكري . ووجدتني لا استطيع ان اكون كاتبا دون قراءة متصلة تصقل استعدادي ... ونشأتي الادبية في وقت قام فيه صراع بين القديم والحديث دفعتني الى القراءة دفعا قويا جارفا ... وقد شدنا ما ادخله العقاد والمازني وطه حسين وسلامة موسى وتوفيق الحكيم ... على الادب من مفاهيم جديدة فيما يختص بأهدافه ووظائفه ومناهجه .

استهوتني قراءة الكتاب التقدميين على اختلاف اساليبهم ووسائل تعبيرهم ، وشغفت بكل موحيات العصر وايماءاته المتجددة المستحدثة فسعيت الى معرفة الكثير عن القيادات المعاصرة في الادب الغربي ووجدت ما يروي عطشي في الدراسات التي كان يقدمها (ابراهيم المصري) و (سلامة موسى) وكل الذين اتجهوا بنا الى الحظيرة العالمية واوصلوا الينا التيارات المعاصرة ، وكان لجهدهم العظيم الاثر الكبير في تكوين جيل جديد من الادباء وتشجيعهم على المضي الى الامام ... كنت احاول ان اتابع التيارات المعاصرة واتعرف آثارها واقتني اعمالها ولم انعزل عن تراثنا الثقافي العربي ... كان بي نهم شديد لمتابعة الانتاج الذي تعمر به المكتبة العربية والغربية .. وكانت مكتبة الجامعة والمكتبات احب الاماكن التي امضي بها اوقات فراغي ولا أمل ...

شغلتني القراءة عن اشياء كثيرة في شبابي وكنت لا ارى نفسي الا قارئا كاتبا وانطبق علي قول احمد بن رضا المالقي :

ليس المدامة مما استريح لـه ولا مجاوبـة الاوتـار والنغـم
وانمـا لذتـي كتـب اطالعهـا وخادمي ابـدا في نصرتي قلمي

وكنت عندما ارى الشباب حولي يستمتع بلهوه وانطلاقه ، كنت اردد قول (المتنبي) : (.. خير جليس في الزمان كتاب) واقول مع (واشنجتون ايرفنج) : (حينما يتحول كل شيء في هذا العالم الى نفاية وحثالة حولنا تبقى الكتب وحدها محتفظة بقيمتها الثابتة) .. واقول مـع (ماكولي) : (انني افضل ان اكون فقيرا ساكنا في كوخ وحولي الكتب الكثيرة على ان اكون ملكا لا يميل الى المطالعة) ... واقول مع (جون ميلتون) : (الكتاب الجيد مثل دم الحياة الثمين لأرواح علوية ، محفوظ ومخبوء خصيصا من اجل حياة اخرى ، وراء الحياة) ... لم اشعر بالفراغ في حياتي ... في مكتبتي اجد دائما اكثر من كتاب تنتظرني قراءته .. في مكتبتي اجد ما يثير اهتمامي ويقضي على كل ملل وسأم ... في مكتبتي ارى العالم كله مفتوحا امامي... في العزلة التامة وسكون الليل طالما امضيت امتع اوقاتي **اشترك في لذات اخصب العقول وانبل القلوب التي تثري الحياة وتجعل لها قيمة ...**

كان لا يستهويني لهو الشباب فقد حصنت قلبي وعقلي بالقراءة الواعية المتعمقة .. كنت اجد سعادتي في الاندماج فيما اقرؤه ... ما شعرت قط بالوحدة او الضيق وانا بين كتبي بل كان يضايقني ضيق الوقت وقلته ... ولكي استطيع ان أقرأ كل ما اريد قراءته درست اصول القراءة السريعة ودربت نفسي فعلا على ان اكون قارئا سريعا ، والفت كتابا في (فن القراءة) ، عالجت فيه كل ما يتصل بالقراءة الواعية المجدية .

كنت في بدء عهدي بالقراءة أقرأ كل شيء في اي مجال من مجالات الادب المختلفة وكل فروع المعرفة ... ثم اتجهت الى القراءة المتصلة لكاتب او اديب يستهويني فكره ، ولا اتركه حتى افرغ من كل ما يصل الى يدي من كتبه . ثم جاءت فترة كنت أقرأ فيها كل ما احصل عليه من كتب ومجلات في موضوع واحد يهمني الالمام به من كل نواحيه .

وتطور هدفي من القراءة ، فأنا الآن لا أقرأ للامتلاء من اجل الكتابة فقد اصبحت القراءة لي ضرورة لازمة .. القراءة عندي متعة لا تعدلها اية متعة اخرى ... وقيمة الكتاب عندي بما يتركه من اثر وما يثيره في من تفكير وما يزيده في من ادراك وتذوق للحياة ... اصبحت اقيس الكتاب بمدى تحريكه لي او بما يعبر عنه من مشاعر فنية تجعلني اعيش في التجربة واستخلص دلالتها بنفسي ... احب الكتاب الذي يقول لي شيئا يكسبني مزيدا من الفهم للحياة .

هناك كتب جاءت الى مكتبتي **بعثت الغثيان في نفسي** لانها لا تهدف الى الارتفاع بتفكير الانسان وسمو شعوره . انني انتفض اشمئزازا وانا أقرأ لانسان جامد او حاقد او متعصب ... اكره اي كتاب لا يدعو الى التسامي بالحب والتسامح والتعاون ... لا قيمة للكتاب ان لم يكن هدف كاتبه الارتقاء فكريا ووجدانيا وانسانيا .

قالوا تستطيع ان تعرف الرجل من الاطلاع على نوع الكتب التي يقرؤها ، وهذا صحيح ، فانني لا اختار من غذائي الثقافي الا ما يستهويني ، والذي اذكره ولا انساه هو انني لم اسع الى كتاب قتلا للوقت بل كل قراءاتي كان الدافع اليها حاجة نفسية او ذهنية او عاطفية ... كتبي لهـا صلـة وثيقة بحياتي ومشكلاتي وهواياتي وعملي وشعوري ونفسيتي وميولي .

ومكتبة الاديب هي عمره الثاني كما يقول استاذنا البير اديب . انها تحوي من الكتب ما يصور تصويرا دقيقا كل مراحل حياته الفكرية والوجدانية وتطوره واهتماماته .. انها قطعة من حياته تتطور حسب تطوره وتجدده وميوله .. انها تعبير صادق عن شخصيته واتجاهاته ، تنشأ معه كما ينشأ الوليد وتنمو بمكونات فكره وميوله ونضجه .

والمكتبة العظيمة تقاس عظمتها بمـدى استجابتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لدواعي التطور والارتقاء .. انها جزء من واقع حياتنا ولا بد ان تكون مرآة لها ... ولا يمكن ان يكون للمكتبة ثراؤها وخصوبتها وقدرتها على العطاء الا اذا كانت محتوياتها تعبر عن آخر ما وصل اليه العصر الذي نعيشه ، وتضع صاحبها على مستوى التطورات الفكرية والعلمية التي تحدث في العالم والتي نحتاج اليها لتأصيل افكارنا وتعميق مفاهيمنا في مناحي الحياة كافة . وكان هذا هو دائما اتجاهي في اختيار زادي الثقافي .

انني أدمن القراءة ، والقراءة تلتهم معظم وقتي وتحرمني من اشياء كثيرة مما يرفه به الناس عن انفسهم لدرجة انني اشعر بالضيق وعدم الارتياح اذا لزم خروجي من داري وبين يدي كتاب لم افرغ من قراءته .

انني في القراءة نهم وشره لدرجة انني انسى كل شيء وانا أقرأ ، حتى وجباتي اذا جاء ميعادها اضيق بمن ينبهني بأن الطعام قد اعد ... واذا قمت لأشارك الآكلين لا اجد الشهية وآكل على عجل وانا مشغول بالتفكير والتأمل في شيء اعجبت به او لم اقتنع به اثناء قراءتي .

كل كتاب في مكتبتي يدعوني الى قراءته ولذا فان عملية انتقاء كتاب للقراءة عملية مرهقة ... اخلو الى نفسي لأقرأ فتراني اريد قراءة كل ما هو امامي من كتب وضعتها على مكتبتي للقراءة في اقرب فرصة ... اقلب في هذا ... واقول موضوعه لا غنى عن قراءته ، ويقع نظري على آخر ، واقول لنفسي هذا الكتاب طال انتظاره للقراءة وموضوعه هام جدا ومن النوع الذي أميل الى قراءته ... حيرة ..!! انني اود لو انه اصبح لي بدل الرأس رؤوس وبدل العينين عيون حتى أقرأ كل ما هو امامي ...!! ما حيلتي والرغبة واحدة في قراءة الجميع والميل واحد حيال الجميع ، بماذا ابتدىء وكل كتاب في مكتبتي يلح علي في الاسراع وعدم التباطؤ او التأجيل ... وليت الامر اقتصر على ما عندي من كتب فان اي كتاب ظهر في السوق يناديني قائلا : اين أنت ؟ ألم تسمع عني ؟ هلم واسرع والا فقد تركت ما لا يجب لقارىء ان يتركه .

وكتب الاصدقاء وكتب المكتبات العامة التي استعيرها تزاحم كتبي في الاسراع الى قراءتها ... هناك صراع دائم في نفسي بين ما ظهر من الكتب وكان في حوزتي ، وبين ما ظهر ولم اشتره ، وبين ما هو موجود ومتراكم على الرفوف ، وبين ما استعيره ... وتمتد يدي الى الكتب المستعارة وابتدىء بقراءتها وسر هذا هو اطمئناني الى ان كتبي في حوزتي لا احد يطلب مني الفراغ من قراءتها بسرعة ، انها ملكي فعليها ان تنتظر وسأفرغ لقراءتها في وقت من الاوقات ... انني اشعر بالاطمئنان وانا أراها تحتل اماكنها في مكتبتي ... انني دائما افضل عليها الكتب المستعارة ولا اهدأ حتى افرغ من قراءتها واسلمها لأصحابها ... والكتب الجديدة التي لم احصل عليها تشغلني وتناديني بشدة واشعر لها برغبة قوية حتى احصل عليها وتستوي على الرفوف فأطمئن الى انها موجودة ، وسأقرؤها في يوم من الايام ... فان لم احصل عليها اشعر بأن لبنة ناقصة في بناء ثقافتي وتفكيري ولا يهدأ لي بال الا اذا اشتريتها او استعرتها ، واستعارتها افيد لي لأنني انقض عليها واحتضنها طول وقتي قارئا ومتأملا ومعلقا ، وكتبي على رفوفها ترنو الي وانا أعدها انني سأسعى اليها عندما ينقطع عني سيل الكتب التي استعيرها من المكتبات العامة ومن الاصدقاء ... قالا لها : سأقرؤك في يوم من الايام .. لن اهملك وقد دفعت فيك كل هذه المبالغ ، ولو كان عندي نية اهمالك لما اشتريتك ، ولكني ادخرك لوقت اشعر فيه انني في مسيس الحاجة لقراءتك للاستزادة في موضوعك او من اجل بحث يشغلني الكتابة فيه .

وكثيرا ما يجذبني واحد من كتبي فألتقطه وانتحي به مكانا هادئا ، اقلب صفحاته وابدأ في قراءته ، ولكني سرعان ما اتركه عندما يأتيني كتاب جديد او آخر مستعار فأضعه بين اخوانه او اتركه حيث كنت أقرأ فيه واحتضن العزيز الجديد .. لا بأس في هذا يا كتبي فأنت صاحبة البيت .. اما الكتب الوافدة فهي في ضيافتي ويجب ان اقبل عليها وافرغ منها بسرعة فأنا مطالب باعادتها الى اصحابها ، ان وقتها معي محدود وقصير ، اما انت فباقية معي والبيت بيتك .. انا لا أراك غريبة حتى القاك بالاهتمام والترحاب والحرارة التي استقبل بها الاغراب الزائرين .

وتمر السنون وتتراكم كتبي وانظر اليها في حسرة وانا أقول لنفسي (هل من المعقول ان اقرأ كل هذه ؟! انني لن استطيع قراءتها حتى وان اعطيت عمرا مثل العمر الذي عشته) . كم شعرت بالاسى وانا احس انني لن اقرأ كل هذه الاكوام التي جمعتها وانا فرح بكل واحد منها ، وكنت اعود الى بيتي بكل كتاب اشتريه وانا سعيد كما لو كنت قد عدت بكنز ... اقلب صفحاته ، واقرأ جزءا هنا ، وجزءا هناك ، واراجع الفهرس ، واقف طويلا عند عنوان كل فصل من فصوله ، وارجع الى هذا الفصل أقرأ منه او اقرؤه كله .. ثم اضعه على احد الرفوف لأقرأه في اقرب فرصة وانا سعيد لان كتابا ثمينا مثل هذا يعمر مكتبتي ولا ينقصني ... كل كتاب في مكتبتي له ذكرياته اعرف متى جاء وظروف شرائه واحساساتي عند لقائي به لأول مرة .

تكدست الكتب ... وضج من معي في البيت من فوضى الكتب والصحف والمجلات التي احتلت اماكن ليست لها ، ولسان حالهم يقول : (ما لهذا الرجل ... اتراه يظن انه سيعطى الف أجل على أجله ليقرأ كل هذا ... ؟!) وما زلت اخرج واعود بالجديد من الكتب ولا اكتفي بما عندي ... انني لا استطيع أن أقرأ او اسمع عن كتاب جديد ولا اشتريه ... واصمم ان أزيد من وقت القراءة ولكن لا تسعفني قوتي البدنية ولا يمكنني بصري ان امضي معظم ليلي قارئا ... والقراءة عندي غذاء لا بد ان يهضم ، و لابد ان يغذي عقلي وقلبي ويوسع افقي ونظرتي للحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والناس ... القراءة الواعية عندي نوع من العبادة ... انها تستغرقني وتملأ كل كياني وتبعد عني هذا العالم بمشاغله وهمومه وضجيجه ... انها محرابي الهادىء الصامت الذي لا اسمع فيه الا نبضات عقلي وقلبي ... واذا احسست بضيق او قلق فانني اجد لهما علاجا في اثر فني يستغرقني او في كتاب طال اشتياقي لقراءته او في كتابة مذكراتي التي اودعها الكثير من همومي ومشاكلي ...

القراءة عندي كالوقود تزودني بطاقة هائلة ... انها تفجر طاقات عجيبة في اعماقي وفي طيات فكري ... انها تثير تفكيري وما خمد في نفسي من تجارب وافكار ... وانا اذا اردت ان اكتب ... او عندما لا يكون عندي قابلية للكتابة اقرأ ... ومن عادتي انني اكتب كل ما يعن لي اثناء القراءة على هوامش الكتاب وعندما لا تكفي الهوامش استعين بأوراق اكمل فيها شيئا اعتقد ان المؤلف قد تركه ... وهذا التأمل والتفكير والنقد والاستحسان او الاضافة على ما اورده الكاتب كثيرا ما توحي الي بموضوع اكتبه ولم يخطر على بالي ان اكتب فيه قبل القراءة ... انني غالبا ما اترك ما اقرؤه بعد فترة تطول او تقصر وانغمس في كتابة شيء اوحت الي به القراءة .

القراءة ليست فقط اضافة لفكري بل هي ايضا اثارة لتفكيري .. وانا حاليا لا اقرأ لأستزيد ولكن لأنمو ... والاستزادة سهلة ... انها تراكم معلومات .. انما النمو هو الثمرة الحقيقية للقراءة ... والقراءة هراء وتعب للعين والاعصاب ومضيعة للوقت ان كان القارىء يقرأ ليقطع الوقت او ليحصل على معلومات يفخر بها .. هذه المعلومات هي قشور القراءة اما لبها فهو البناء الكامل للنفس والتفتح على الحياة ... القراءة التي لا تتفاعل مع حياتنا وتفكيرنا ولا تؤثر في سلوكنا الذهني والوجداني ليست قراءة مجدية على الاطلاق واهمالها اجدى وانفع ... يقول (بيكون) (القراءة تصنع الرجل الكامل) ويقول الدكتور احمد زكي (ان المثقف التام التثقف ، الذي تثقف حسه ، وتثقف عقله ، وتثقف قلبه ، وجمع الى العرفان الحكمة ، هو اسعد رجل على الارض ، وهو سعيد في شبعه وجوعه ، سعيد في عريه واكتسائه ، سعيد ما بقي له شعاع عقل ه، ودفء قلبه وتفتح بصيرته) .

القراءة الواعية لذيذة ولكنها مضنية ، انها تركيز عميق ينسى الواحد كل شيء الا ما يقرؤه ويجعله لا يحس بما يدور حوله ، انها استغراق كامل وتأمل وتفكير ... محصولها قليل في ساعات كثيرة وخاصة لمن يفكر فيما يقرؤه ولا يأخذه حجة مسلما بها ، ويعلق عليه بما يعن له من افكار تؤيد ما يقوله المؤلف او تدحضه ... اضع امامي مجموعة من الكتب ... واظن انني سأقرأ كتابا على الاقل كل يومين وتستغرقني قراءة الكتاب والتفكير في محتوياته والتعليق عليها بعد هضمها ... وكثيرا ما اعمد الى تلخيص الكتاب اثناء قراءته وكتابة تعليقي على ما الخصه ... وبات عندي العديد من هذه الملخصات التي تزدحم بها دواليب الكتب ... وكثيرا ما اعاود قراءة بعض هذه الملخصات على فترات غير طويلة ، وقراءة هذه الملخصات تحفظ الكثير مما قرأته من النسيان .

لهذا كانت القراءة عندي عبئا كبيرا مضنيا ولكني اقوم به وانا راغب فيه وسعيد به ... ولهذا فانني انتهي من قراءة الكتاب الذي قدرت له يومين ، في فترة لا تقل عن اسبوعين ... وعندئذ اعود وانظر الى رفوف مكتبتي واسأل نفسي : متى أقرأ كل هذه الاكوام المرصوصة ؟ ويتمالكني الاسى كما لو كان استيعاب كل ما في هذه الكتب امرا لا غنى لي عنه ... ويعزيني قول (وليم ماتيو) (ليس عدد الكتب التي قرأها الشاب هو الذي يجعله نابها مثقفا لكنها الكتب التي احسن اختيارها والتي استوعبها حتى جعل كل فكرة ثمينة فيها اليفا وصديقا) . وقول (ت. س. اليوت) : (ليس المهم ان تقرأ عشرات الكتب ، مهم جدا ان تفهم عشرات الصفحات ، وبعد ذلك تكتب صفحة واحدة) .

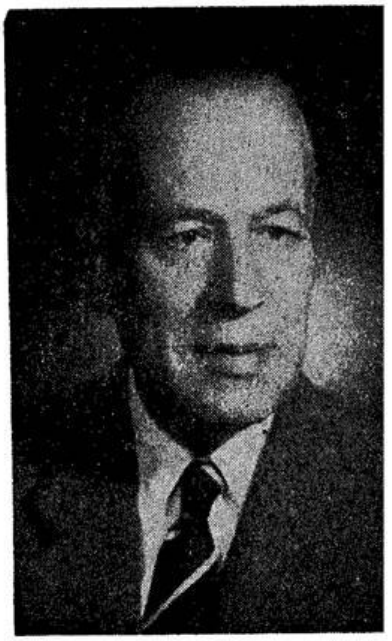
والقراءة بالرغم من فائدتها العظيمة اضاعت علي الكثير من متع الحياة ، ولكني اعترف انها اثرت حياتي العقلية والوجدانية وان كانت لم تغنني وحدها عن تجاربي الشخصية ، ولكن ما لا جدال فيه هو انه كلما اتسعت الثقافة اتسعت التجربة . وفي هذا يقول (العقاد) : (لا تغني الكتب عن تجارب الحياة ، ولا تغني التجارب عن الكتب ... اما ان التجارب لا تغني عن الكتب ، فذلك لان الكتب هي تجارب آلاف السنين في مختلف الامم والعصور ، ولا يمكن ان تبلغ تجربة الفرد الواحد اكثر من عشرات السنين) .

وللقراءة فضل كبير علي ، فأنا مدين لها بصحتي النفسية ، لان استغراقي فيها ، كثيرا ما كان صمام أمن تتسرب منه أبخرة الهموم الكفيلة بتدمير اعماقي لو انها لم تجد لها متنفسا في قراءاتي العميقة ... انني اتنفس ارتياحا اثناء وبعد قراءة عمل فني جيد .

بدون القراءة والتأمل والتجربة لا يتقدم العقل البشري ويصل الى ما يشبه الجمود ومن ثم يستحيل التطور .. بدون القراءة الجادة الهادفة تضمر وتذبل عقولنا ونقف عند حد لا نتعداه .. والذين لا يكفون عن الشوق الى المعرفة لا يسأمون ولا ييأسون بل يتجددون ولا يشيخون ... القراءة تكسب عقولنا بل حياتنا كلها حيوية وخصوبة نفتقدهما بدونها .

القاهرة **ايليا حليم حنا**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



لبيك يا عمر ..

في المهرجان التذكاري

للبطل الاسلامي الشهيد عمر المختار

لشاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن

*

لبيك ! أهل الجهاد الحر قد نفروا ... كعهدهم بك في الهيجاء يـا عمر !
دعوتهم لعـلا ذكراك ، فاحتشدوا ... كمـا أمرتهم بالجمع فائتمروا ..
جاءوك من كل فج ، لم يضق بهم ... بدو ، ولا ضج من وقع الخطى حضر
يبغون كل فلاة قـد نزلت بهـا ... لأنهـا بـك في التاريخ تزدهر ..
فكـل ذرة رمـل عندهـا نبـأ ... وكـل فلقة صخر عندها خبر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(وادي أبو طاقة) مـا زال أجرده ... يخضل باسمك فيه النبت والشجر
فطالمـا التهبت في كـل ناحيـة ... فيه مواقع في « الطليان » تستعر
أقلقت مضجعهم من طول ما سهدوا ... أرقت أجفانهم من طول ما سهروا ..
السيف في كفـك البيضاء منصلت ... وفوق رأسك من رشاشهم مطر ..
تظـل تسلمك البيداء مـن خطر ... لغيره ، وعداك البأس والخطر ..
وأنـت في قلـة بـالله غالبـة ... وان أحاط بـك الاعداء أو كثروا
غدوت شيئا يثـير الرعب عندهم ... واسما اذا سمعوه بينهم ذعروا ..

* * *

ثبت في موقع للموت ، مـا برحت ... تعنو الجباه لـه طرا ، وتنفطر
ومن يخض غمرات الموت جائشة ... فليس يخطئـه في الغمرة القـدر
الموت فـوق فراش الدار مرتقب ... كالموت تحت رشاش النار منتظر
وأشرف الموتتـين الحقتـين بنـا ... موت تراع لـه الدنيا وتنبهر ..
زل الجواد الذي قـد كنت راكبه ... ولـم يزل لكـم رأي ولا فكـر

مـــا زلت بالخيل في البيداء تركبها ... حتى استقام لديك السهل والوعر
فكـــل منعرج فيـــه لكـــم قـــدم ... وكـــل منعطف فيـــه لكـــم أثر ..
دوخت في الصبح والامساء حشدهم ... والشاهدان عليك الشمس والقمر ..
راموك في شعب الوادي فما عرفوا ... وحاولوا لـــك امساكا فما قدروا

* * *

وما انثنى لـــك رمح في مواجهة ... ولا نبـــا في يديـــك الصارم الذكر
لكنـــه قـــدر جـــار عثـــرت بـــه ... امـــا رفاقك في الجلى فما عثروا
وافرحة الآسريك الآن قـــد ظفروا ... كأنهـــم بشهاب ثاقب ظفروا ...
ظنوك تقبر في رمس ، وقد خسئوا ... فانهـــم بصغار العار قـــد قبروا
حطـــوك في حفـــرة أخفوا معالمها ... يا مخفي العطر ان العطر ينتشر ..
ظنوك ــ من حمقهم ــ في القبر مندثرا ... لكنهـــم رجعـــوا بالخزي واندثروا

* * *

طيب التراب على مثواك دل ، كما ... بكل ما في الشذا قد يعرف الزهر
مـــا ضر حفرتك القصواء وحشتها ... كم ميت شرفت من أجله الحفر ..

* * *

قد حاكموك ، وكان الحكم مهزلة ... ورب مبكيـــة في هزلهـــا صـــور
كانـــت اجاباتك الشماء مؤمنـــة ... كأنها حكـــم تهفـــو لهـــا العصر
أصغى الزمان لهـــا لمـــا هتفت بها ... وامتد في كـــل أفق نحوها البصر
جريمـــة بـــاء جانيهـــا بلعنتهـــا ... فعاد وهـــو بلؤم الظلـــم مؤتزر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

لـــم يـــرث للاسد المقهور منزويا ... وقـــد تهشم منـــه الناب والظفر
لـــم يرحم الشيخ في أغلال آسره ... والقيد في رجله ، والسيف منكسر
يـــا آسر البطل المغلول ! تبصرة ... اللحديد علـــى الابطال مقتـــدر ؟
أغـــرك الاســـد المأسور منكفئـــا ... فرحت ترميـــه بالسوءى وتبتدر ؟
قـــد يغفر الله ما بالنفس من دخل ... الا الغرور فذنب ليس يغتفر ...

* * *

غيم القضاء ، وقـــد جاءوا بمشنقة ... من قبل ان يبتدي في الجلسة النظر ؟
حكم أعدوه قبـــل النطق غطرسة ... فأكبروك به من حيثما صغروا ...

* * *

هـــذا الجهاد الذي أعليت رايته ... حملت فيه الذي لا يحمل البشر ..
جزاك ربك أجـــر الصابرين لـــه ... فانت ممن على البأساء قد صبروا
أخلصت لله في هذا الجهاد ، فلا ... مال فيرجى ، ولا جاه فينتظر ...
خير الجهاد على الدنيا ، وأصدقه ... مـــا كان لله والاوطان يدخر ...

القاهرة ... محمد عبد الغني حسن



بولس سلامة

بولس سلامة

رائد الشعر الملحمي العربي

بقلم فوزي عطوي

* * *

سئل بعض الاعراب ، مرة : « لم كانت المراثي اجود اشعاركم ؟ » فأجاب بصدق والم : « لاننا نقولها واكبادنا تحترق » .

والذين يعرفون صلة البنوة الروحية التي جمعتني طوال عشرين عاما بوالدي الروحي بولس سلامة الذي كان يعتبرني بمثابة ابنه الخامس ، بعد نهاد ورشاد وسهاد وجهاد ، يدركون جيدا ان كل كلام اقوله ، في رحيل العلم الادبي والوطني الشامخ بولس سلامة ، هو اصغر من هول الخطب الذي الم بي ، سواء على الصعيد الادبي ، او على الصعيد الشخصي ، ذلك ان غياب هذا الكاتب الشاعر الرائد ، وفي مثل الظروف الوطنية الحزينة التي حملتنا ، في لبنان ، كل احزان الدنيا وآلامها ، حمل بعض معاني القهر لكرامة كل منا ، وفي طليعة المقهورين ، انسانيا ووطنيا ، هذا المارد المتمرد الذي تحدى مأساته الايوبية ، فأسقطته مأساة وطنه الذبيح .

وبولس سلامة لم يترك بعده قولا لقائل ، ولا زيادة لمستزيد : اخشى ، ان أنا تماديت في وصف صلتي الروحية البنوية به ، منذ ان رعى خطواتي الاولى في دروب القلم ، وأنا ناشيء طري العود ، بعد ، اتلمس سبيا الى العطاء المثمر ، الى ان اصبح ، بتواضعه النبيل ، يشركني في شؤونه الخاصة ، ويستطلع رأيي في كثير مما ينظم او ينثر ، قبل ان يدفعه الى النشر ، اقول : اخشى ان أنا تماديت في ذلك ، ان اظلم ذكرى هذا الجبل اللبناني الذي وصف نفسه ، وهو يصف لبنان حين نعته بأنه :

جاور الانجم واحتل السحابا جبل مهد للفردوس بابا

عشرون سنة : اسيغ لنفسي ، في هذه العجالة ، ان اقفز فوق السنين العشرين التي رعاها بولس سلامة بسقيا عينيه ، وصفاء قلبه ، ورجاحة عقله ، ورقة مشاعره ، وحنان ابوته ، فما سنحت له فرصة لالقاء محاضرة او خطاب ، ولا اعطاء حديث اذاعي او صحافي ، الا نوه بي وبأدبي وصداقتي تنويها كان هو الاحق به ، لكنه شاء على الدوام ان يكون عطر الذكر العريض ، والسمعة الطيبة ، شراكة بينه وبين احبائه وخلصائه .

فمنذ عام ١٩٥٨ ، ومكارم الرجل تترى ، نبيلة ، محببة ، خالصة : صدر ديواني الاول « دم وفم » بكلمة حملت من التشجيع فوق ما حملت من النقد ، ثم قدم لكتابي « المعلقات العشر » ، وكتب نقدا محببا لكتب كثيرة لي : من خليل مطران الى جمال عبد الناصر ، وشرف ذكر بناتي بقصيدة اخوانية رقيقة نشرها في « الاديب » ، وبلغ بمكارمه الذروة عندما اصر على ان يحضر بنفسه ، مضطربا على عكازه ، لالقاء كلمته في حفل تكريمي بوسام الارز الوطني في الندوة اللبنانية ، بينما أناب عنه ابنه رشاد ، الامين العام للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم ، لالقاء قصيدته العصماء ، في يوم تكريمه بالذات .

ثم قد اسيغ لنفسي ان اتجاوز ملحمة « عيد الغدير » التي اعاد فيها الى الحق الصراح القه وانتصاره ، رغم كل دعاوى الباطل الغرير ، او ملحمة « عيد الرياض » التي احيا فيها امجاد العرب وفروسيتهم ، متمثلة في المعركة الظافرة التي خاضها الملك السعودي المؤسس عبد العزيز ، او مطولته الشعرية « عيد الستين » التي اعدها ملحمة وجدانية ، من نسيج خاص ، او كتبه اللبنانية الاصيلة التي استنقذ فيها مجد القرية ، وشمم الجبال التي ما طأطأت هاما ، على مدى الزمان العصيب : « حكاية عمر » ، و « في ذلك الزمان » و « خبز وملح » و « من شرفتي » و « ليالي الفندق » و « تحت السنديانة » و « حديث العشية » ، او حكاية آلامه الممتزجة بفلسفة تصوفية مفعمة بالايمان ، والممتزجة بروح متألمة فرحة في آن ، بالبلوى التي جاءت « مذكرات جريح » ، مصداقا لانابة صاحبها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى ربه ، ورضاه بحكمه العادل ، او كتابه اللاهوتي الممتزج بحب الله : « مع المسيح » ، او حتى مختارات شعره ، بل اطرافا من ازجاله العائدة الى اولى مراحل الصبا الباكر ، فكل هذه المؤلفات وسواها من المخطوطات النثرية والشعرية التي املك بعضها ، او التي خلفها بين يدي ابنائه ارثا ثمينا غاليا ، سوف تكون مدار حديث مفصل عن عبقرية بولس سلامة ، عملا بوصية رددها غير مرة على مسمعي ومسمع بعض اخواننا واصدقائنا المشتركين ، وا نكان شقيقي رفيق عطوي قد احرز شرف السبق الى الحديث المفصل عن « بولس سلامة ، انسانا وشاعرا ملحميا » في اطروحته لنيل الدكتوراه في الادب العربي من جامعة القديس يوسف في بيروت .

بولس سلامة لآخر مرة : لكن ما لا استطيع نسيانه هو ذلك اللقاء ، او على الاصح تلك اللقاءات الشخصية او الهاتفية الاخيرة التي انعقدت بيننا ، قبل ان تطوح بنا جميعا يد المأساة التي فصلتنا ، وفصمت شخصيتنا الوطنية ، ووزعتنا مناطق جغرافية يوجس بعضها خيفة من بعض ، حتى اصبحنا ، ونحن نرفض ان ينبري لنا مزايد على ولائنا اللبناني الاصيل ، نخشى بعضنا بعضا ، لكأنما كل الذي غرسه بولس سلامة ، وامثال بولس سلامة من رعيل العبقرة الوطنيين الافذاذ ، من معاني السماح الديني ، والاخاء الوطني ، والترفع فوق الحزازات التعصبية الحاقدة ، بغير سبب ، وبغير ثمن ، ذهب ، بأسف ، ادراج الرياح .

فمنذ ان ذرت المأساة قرنها ، فوق ارض هذا البلد الذي انقلب فيه سماح الملائكة الى شر الشياطين ، ونحن نتشاكى معا هذا التطرف الاعمى الذي اسقط كل سبيل الى الحوار العاقل المحب ، بعد ان حلت الرصاصة الجبانة الغادرة محل الكلمة الهادئة المحاورة ، بل نتشاكى ذلك التعصب المريض الذي دفع المواطنون والوطن ثمنه ، بغير حساب .

وكان ان دعتنا الاحداث المحلية المتطورة الى اتخاذ موقف سياسي واضح معتدل ، تجاه تناحر الاشقاء واحتزابهم ، في منطقة عزيزة غالية ، كان اول الدروس التي تلقيناها فيها ، ان القرابة المكتسبة بين المسلمين والمسيحيين هي موازية لقرابة اللحم والدم .

كما ان احد الوزراء ، وهو صديق عالم وسياسي معتدل ، اتخذ مواقف مماثلة ، او رفض ان ينساق في موكب الانفعال والتطرف ، فهاتفني بولس سلامة ، على عادتنا اليومية ، وهنأني بموقف الوزير الصديق وموقفي ، وقال لي : « انت وهذا الرجل من مدرسة وطنية واحدة اصيلة ، وكم أحب ان اتعرف اليه » .

وما ان نقلت الرغبة الى وزير التصميم العام الدكتور زكي مزبودي ، حتى كنا معا بعد يوم واحد ، نزور بولس سلامة في منزله في عين الرمانة ، ونؤكد القيم العلى والمثل الوطنية الرفيعة التي ينبغي ان تكون دستور التعامل الشريف بين اللبنانيين .

يرثي نفسه : ويمر يوم او يومان ، واذا ببولس سلامة يهاتفني مجددا ، شاكرا هذه البادرة التي احيت في نفسه بعض الرجاء ، لكنه ابلغني ان تدهور الاوضاع الامنية والسياسية اصابه بلون من السوداوية والتشاؤم ، فأحس ان اجله دان ، لا محالة .

وحاولت ، على عادتي ، ان اخفف من عبء هذه السوداوية التي كانت تنتاب بولس سلامة بين فترة وفترة ، رغم انه انسان ممتزج الطبع بالتفاؤل والامل ، حتى ليروى انه ، في اخطر العمليات الجراحية التي اجريت على جسده ، كان لا ينفك يمازح الجراحين ، ويخفف من قلقهم عليه .

لكنه كان مصرا ، هذه المرة ، على موقفه ، واخبرني انه نظم قصيدة لعلها ان تكون قصيدته الاخيرة ، وفيها يرثي نفسه ، ويستحضر ذكريات شبيبته ، وان اثنين فقط يسمعان هذه القصيدة هما : خليل رامز سركيس ، وفوزي عطوي . ثم تلا القصيدة على مسمعي ، فاستأذنته بأن يتلوها بهدوء حتى اتذوق ابياتها ، بينما كنت في الحقيقة اعمد لاشعوريا الى الامساك بقلم وورقة ، وادون القصيدة بكاملها ، فلما انتهى من تلاوتها ، قلت له مازحا : هل تذكر قصة ابي عثمان الجاحظ الذي كان يستطيع اعادة تلاوة ما يقرأ على مسامعه ، منذ المرة الاولى ؟

فقال : — وهل تريد ان تقنعني بأنك قادر على اعادة تلاوة القصيدة .

قلت : — لقد سجلتها بكاملها ، بينما كنت تقرأ ابياتها ، متمهلا .

فقال ، وهو يعانق ذروة النبل والفضل والتواضع :

— اذن ، فهل لك ان تعطيني رأيك فيها ، فأنا قد نظمتها على عجل .

وازاء اصراره وتواضعه النبيل ، ابديت بعض المقترحات ، فأخذ بها فورا ، واصبحت القصيدة التي جعل عنوانها « الوداع الاخير » ، وفقا للنص التالي :

الوداع الاخير

ربي ، سألتك بالبتولة ... يا ملاذ المستجير
اني احس الموت يلمسني ... فانعم بالبشير
واحس في صدري بأني ... صرت من اهل القبور
فاعود للماضي ، وابكيه ... وبرحمني ضميري
ايام شرخ شبيبتي ... كالورد في العمر النضير
فاذا مررت على الرياض ... تصيح : اهلا بالامير
واخالني عند النجوم ... اكر كرات النسور
واها لايام الربيع ... وللخمائل ، والغدير
اجتازها ، وكأنني ... ريان من خمر القبور
والليل يؤنسني فانعم ... بالكواكب والبدور
واخالني ملك السحاب ... اطير في ملأ طهور
فاذا نزلت الارض ... واحتدمت شرارات الهجير

حلقت من فوق الصخور ... ورحت أسبح في النهور
ويخف اصحابي فنستلقي ... على العشب الطرير :
هـات القريض ورطـب ... الآفاق بالنغـم الحريري
فأفوق أخطـل تغلـب ... وأكاد أهزأ مـن جرير
واليـوم لا طـرب ولا ... شعر ، ويقتلني سريري
فأقول أيـن الموت يـا ... ربـاه ، يرأف بالأسير
هـذا وداع العمر يـا ... رباه ، في النفس الاخير
يا أرحم الرحماء خلصني ... وعجـل في مسـيري

وكان تاريخ هذه القصيدة ، كما يتضح من مذكراتي الشخصية ، هو الاحد في ٢٣ تموز ١٩٧٨ ، فيكون بينها وبين تاريخ وفاته يوم الاحد في ١٤ تشرين الاول ١٩٧٩ ، سنة وشهران واسبوعان تقريبا .

داعب الموت : وبولس سلامة الذي ولد عام ١٩٠٢ في بتدين اللقش ، من قضاء جزين في لبنان الجنوبي ، لبث منذ عام ١٩٣٦ ، يوم اصيب بالناسور في العمود الفقري ، وهو قاض يتقلب في خدمة العدالة ، وحتى يوم وفاته ، يداعب الموت ، والموت يداعبه ، فلا عجب ان تقع على ذكر الموت بصورة غير اعتيادية ، في معظم كتاباته النثرية والشعرية .

فمنذ قصيدته الشهيرة « الـم » التي يبدأ مطلعها بمحادثة الموت : « يا موت ، يا حلم الخيال النائي » ، تراه واعيا ابعاد مأساته الايوبية ، مدركا خطورتها ، قانعا بحكم الله ، مسلما اليه امره .

ولعل من اروع مقاطع تلك القصيدة ، قول بولس سلامة في وصف حاله :

سالت على حـد المباضع مهجتي ... فشفارهـا مصبوغـة بدمائـي
وتشابهت مني الجراح ، فاصبحت ... حفـرا تضل بهـا جفون الرائي
واد تقطعه الكهوف ، كأنمـا ... جسمي الطعين مغـاور للـداء
صبحي أمر من المساء ، فعيشتي ... موصولـة الظلمـاء بالظلمـاء
أواه لـو كان الرقاد يزورني ... لرضيت مـن دنيـاي بالاغفاء
لا يلتقـي جفنـاي الا خلسة ... فكـأن بينهمـا قديـم عـداء
أيوب ! ما أيوب ؟ ماذا خطبه ... هـو قطرة ، وأنا خضم بلاء
فاذا مررت على الجريح تعوده ، ... فلقـد أتيـت مدافـن الاحياء

وها هوذا يعود الى حديث غروب شمس عمره ، يوم ان تنادينا في لبنان الى تكريمه بمهرجان ادبي ضخم بمناسبة نيله جائزة رئيس الجمهورية ، في الندوة اللبنانية ، وكان ذلك المهرجان يوم السبت ٣١ كانون الثاني ١٩٧٠ ،

ففي ختام قصيدته ، في المهرجان التكريمي ، يقول بولس سلامة :

صدقت غضيض الجسم والروح والرؤى ... وكان كحد السيف قولي وافعالي
فكيف ، وقد هد السقام عزيمتي ... وأضحى عن الدنيا يحاول اعجالي
وها هي ذي شمسي تدنت ، فازمعت ... وبت ارى في غائم الافق اطفالي
علام اراني حائرا أرقب الردى ... وما الموت الا حرف حال الى حال
صلاتي الى ربي ضراعة خاشع ... وتوبـة عبـد للمآثـم حمـال
فيـا رافع الاوزار عفوا فانني ... دفعت عن الاقداس والوطن الغالي

عظمة الشاعر : ولقد يطول بنا حديث الاستشهاد بأقوال بولس سلامة ، نثرا وشعرا ، مما يؤكد عمق وعي الرجل بأبعاد الخطب الجسدي الذي الم به ، ولكن دون ان يهزم في نفسه عظمتها ، وادراكها قيمة العبقرية المتفوقة التي تحلى بها ، ناثرا ، وشاعرا ، وانسانا كريم النفس ، رفيع الشمائل والمزايا . يقول من قصيدة له :

سرت في زحمـة الحياة وحيدا ... واضـل المستكبريـن أنانـي
سوف يمضون في الزمان رمادا ... ويعيـش الزمـان في نبراتـي
وتعـود العصور تسأل عنـي ... كـاسرات الجفـون معتـذرات

ويقول متحدثا عن شعره الملحمي :

آمنت بالشعر علوي المدى شمما ... يختار زهر قوافيه مـن الشهب
آثرته ملحمي السبك لا غنجـا ... مهلهـلا دنس الديبـاج والارب
تلك البهارج لا فكر ولا دسم ... اعرى من القفر او أخوى من القصب
يا رب ليل غزوت الشعر من كبدي ... فيه ، وأهويت من سقم ومن تعب
سكبت ملحمتي ، والداء يهصرني ... يمتص من مهجتي، يأوي الى عصبي
زرق المباضع في عظمـي تناوشه ... مـا بين منكسر منها ومختضب
لـو آهتي عبرت حمراء لاهبة ... لم يبق من عشبة في المنبت العشب
« عيد الرياض » سبقت الاولين بها ... فمن أتى لاحقا ، يجري على عقبي
سيهرم العصر بعد العصر منصرما ... وهي الفتية لـم تكهل ولم تشب
ان الملاحم لـم تبرح مناط يدي ... فكلما انتسبت فاءت الى نسبي

ريادة الشعر الملحمي : وحقا ، ان لبولس سلامة فضل الريادة في الشعر الملحمي العربي . فقبل بولس سلامة ، عرف العرب ترجمات للالياذة والانيادة والمهاباراتا، قام بها سليمان ووديع البستاني ، ولكنهم لم يعرفوا الشعر الملحمي المكتمل العناصر والشروط والاسباب ، قبل ظهور ملحمتي بولس سلامة : عيد الغدير ، التي تحدث فيها عن استشهاد الحسين وآل البيت في كربلاء، وعيد الرياض التي روى فيها ملحمة النصر التي حققها الملك السعودي المؤسس وابناؤه ورجاله . وحسب هاتـين الملحمتين ، ومعظم ما خطه يراع بولس سلامة ، ان شعره ، فيها ، كان ممتزجا بأنفاسه الشجاعة المتعالية على كل اوجاع الجسد واسقامه التي تمادت خلال اربع وعشرين عملية تناوشته فيها مشارط الاطباء والجراحين ، وكان الرجل مرشحا لاحتمال العملية الخامسة والعشرين ، قبل وفاته بأيام قلائل ، لولا ان نسبة نجاح استئصال الامعاء كانت لا تزيد على خمسة بالمئة فقط .

ولقد جاء شعر بولس الملحمي جزلا ، فخما ، قويا ، عالي السبك ، عميق المضمون ، متجاوزا الى حد كبير ملالة السرد ، وجفاف الحدث التاريخي ، وكان من راي الشاعر ان « القوة هي كنه الشعر الملحمي ، فما ينهض الا بها ، كما لا تنهض القلعة المنيفة الا بالصفاح والعمد ، والعتبات العريضة ، والادراج الضخمـة ، والابـراج السامقة ، والساحات الفيح .. فيخلق كل ذلك جوا من المناعة والفخامة » (مقدمة عيد الرياض ـــ ص ٣٣) .

الجزالة في عيد الغدير : ولسنا لنذهب بعيدا ، من اجل التأكيد على الجزالة المبنوية والمعنوية ، في شعر بولس سلامة الملحمي ، وها نحن ننهل من اقرب موارده الينا ، فنقرأ من فاتحة « عيد الغدير » قوله في مأساته وآلامه :

يـا مليك الحياة انزل عليـا ... عزمة منـك تبعث الصخر حيا
جود كفيك ان تشا يملأ العيش ... نمـاء وينعش الجـدب فيـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوقظ الزهر ، فالربيع على التل ضحوك الالوان ، طلق المحيا
كلما افتر برعم داعبته كف ريح تقول للطيب : هيا
واهب النور والندى للروابي أولني من جمال وجهك شيا
طال في منقع العذاب مقامي واستراح الشقاء في مقلتيا
فنسيت النهار من طول ليلي أترى الليل شرعك الادبيا
ليتني أبصر النجوم فاهدي في العشيات بسمة للثريا
ان حظي من الحياة سرير صرت منه ، فلم يعد خشبيا
حطمت سورة العذاب يراعي واستباحت فمي ، وغلت يديا
أتلوى على الجراح صباحا ، ويفت الناسور عظمي عشيا
فتعجب لسابح في جحيم صاغه الخطب زورقا بشريا

وفي عيد الرياض : ومن اقرب موارد الشاعر في « عيد الرياض » ننهل نهلة اخرى ، لكي نقف على النفس الملحمي البطولي الذي شاع في شعر بولس سلامة .

فمن فاتحة « عيد الرياض » ، نقتطف ما انشده بولس سلامة في مولد الرسول العربي الامين محمد عليه الصلاة والسلام ، وفي نشره الرسالة الزهراء :

هللي يا جزيرة العرب ، فالاسحار لاحت ، وانجابت الظلماء
واذكريه ، على الزمان ، صباحا لألأت من سنائه الارجاء
هضبات الحجاز أضحت شموسا فاستضاءت بنورها صنعاء
هز أم القرى وليد يتيم وتدلى على الربى اللألاء
أنصت الدهر خاشعا وتولت سدرة الوحي والبيان حراء
اي غار ذاك الذي وسع الرؤيا ، ومن وقرها ينوء الفضاء
كيف لم تنفجر زواياه أشلاء فتهوي لزمزم الاحناء
قال جبريل : باسم ربك اقرا فالبرايا وأهلها اصغاء
فتلاها ، فبث في الكون كونا كتب الدهر سفره والبقاء
كل قول لغو ، وكل مقال عجمة حين ينطق الانبياء

التغني بلغة الضاد : ويا طالما تردد فخر بولس سلامة باللغة العربية ، وتنويهه بخدمات اللبنانيين لها ، ورفعهم اياها من رسوف الانحطاط . يقول من قصيدته في ذكرى « شاعر الارز » شبلي الملاط :

قومي حماة الضاد بعد هوانها ورسوخها بالذل والاسمال
نسجوا لزينتها الربيع مطارفا فجرت على الاقلام نشر غوال
دارت مدار الشمس الا انها لم ترتهن بتكسف وزوال

وشاعر الرقة والعذوبة : غير ان الجزالة التي شاعت في شعر بولس سلامة ، والقوة التي ضجت بها جنبات مطولاته الملحمية ، لم تكن لتعني ان الرجل كان بعيدا او عاجزا عن الرقة والعذوبة ، في صناعة الشعر . فلقد تأتى لبولس سلامة ان يجعل في شعره لكل حادث حديثا ، ولكل مقام مقالا ، فاذا انت سمعت مثل قوله :

صديق نفسي، صديق الشامخات ذرى حياك الف عبير من عشايانا
فللدوالي بسمع الليل وشوشة يمدها الفنن الميادالحانا
اذ كل همس يراه القلب عندلة وكل تل يراه الطرف نيسانا
كانما العيد ابيات القصيد غدا يزهو ، فيخلق في الاشياء الوانا

احسست الرقة والعذوبة ، والديباجة النضرة ، والخيال المجنح ، والصور الشعرية الممتزجة برؤى وايحاءات لطيفة ، تؤكد جميعا ان قلم بولس سلامة كان يرق ساعة الرقة ، ويعرف كيف يستقوي ويشتد ، ساعة يصوغ شعرا قويا شديد الوقع والايقاع ، كما هو شأن الشعر الملحمي البطولي .

وشاعر غزلي : وعلى ندرة ما نظم بولس سلامة من شعر غزلي وجداني ، لاسباب شتى ، بعضها يرجع الى نشأته على يد والد قروي متشدد يهوى بطولات عنترة والزير ابي ليلى المهلهل وسيف بن ذي يزن ، ويقرىء ابنه الفتى سيرهم وحكايات معاركهم ، وينمي في نفسه حب المكارم العلى ، وبعضها الآخر يرجع الى زواجه الباكر من جهة بالانسانة النبيلة الصابرة السيدة ادال عجيمي التي كانت شريكة حياته ومأساته ، ومن جهة ثانية الى الخطب الجسدي الذي اقعده ، فقلما اضطرب في عالم الناس ، الا لماما ، فان لشاعرنا قصائد غزلية رقيقة اشتهرت منها اثنتان ، يقول في أولاهما ، وهي بعنوان « الى شاعرة » :

عيناك من صفو الضياء السمح او صحو الضمير
من عالم عبر الظنون أطل من ملأ طهور
من بهجة الاشراق والرؤيا ومن عمق الدهور
فاء الجمال الى جبينك او الى الصبح المنير
ولو ان حسنك في الزمان لجل عن ليل ضرير
ولراحت الاكدار تغرق في الشعاع المستطير

ويقول في القصيدة الثانية ، وهي بعنوان « وردة الغاب » :

يا وردة الحب المصون ورسالة الشفق المبين
اكمامها منسوجة من مدمع البكر الضنين
فكانها من رقة وهم يموج في الظنون
لا لمس يجرحها ، فقد حرمت على غير العيون
بيني وبينك وهدة همراء من ألم كمين
فلذ الجحيم لهيبها او بعض انفاس الحزين

وجدير بالذكر ان هذه القصيدة هي احدى قصائد الديوان المخطوط الذي دونه بولس سلامة في دفاتر متعددة اختلستها يد اثيمة او جاهلة مما سرق من متاعه ، يوم نقل اثاث بيته سنة ١٩٤٠ الى منزل آخر ، وكان الشاعر يصارع سكرات الموت في مستشفى الصنائع ببيروت . ثم انها انتظمت في « مختارات من شعر بولس سلامة » ، ومن أسف ان بولس سلامة ، فيما عدا ملحميته ومطولته « عيد الستين » لم يصدر ديوانا كاملا يضم اعماله الشعرية ، على تعدد مواضيعها واغراضها .

وقصائده الوطنية : والشاعر الملحمي بولس سلامة لم يهمل جانب الوطن ، في قصائده ، لا بل انه كان يغتنم كل مناسبة ، ويسخر كل موضوع أتيح له ان يدير قوافيه عليه ، لكي يعلي حب لبنان ، ويمجد بنيه ، ويزهو بتاريخه ، ويدعو الى اعزازه عن طريق نشر روح الحب والسماح بين ابنائه .

ولعل اروع ما كتبه من شعر وطني رومانطيقي وجداني يتمثل في قصيدته الشهيرة « لبنان » ، ومنها قوله :

جاور الانجم ، واحتل السحابا جبل مهد للفردوس بابا
تستحم الشمس في مفرقه ، فاذا غابت فقسرا واغترابا
تحمل الاضواء للدنيا ، وقد نقلت عن جفن لبنان الخضابا

الى ان يقول :

يا جبال الارز يا اخت السما طاب فيك الموت بعد العيش طابا

وها هو في ذكرى شبلي الملاط ينطلق في تغنيه بلبنان ، « نهرا ، واوداء ، وخضر تلال » :

لبنان لم يحلم بمثل جباله ... فن ، ولا سمت الرؤى لمثال
اغنى الوجود وجوده فكانه ... في مستهل الدهر مهد جمال
وطني محط النسر هام قنانه ... وسفوحه وقف على الاشبال
نبت الفخار هنا ، فكل ثنية ... قدس لأمجاد ، وسفر تعالي

ثم ها هو في قصيدة له عنوانها « حصن الضاد » يتغنى بلبنان ، ودماثة بنيه (قبل ان تنشب المأساة اظفار بعضنا وانيابه في جسد الوطن) ، فيقول :

لبنان حصن الضاد صائن عزها ... كالليث يمنع في النوائب غيلا
من بيض علياء المآذن نورت ... ومن الكنائس اطلقت ترتيلا
لبنان شرع الحب شرعك منذ ما ... وعت الحضارة للخليل خليلا
بسط الجمال عليك فيض بهائه ... فتالق الصخر الاصم جميلا
فلمحت رضوانا بكل خميلة ... ووراء كل غمامة جبريلا
وشممت مئنافا ، وجدت سماحة ... ونعمت أظلالا ، ولنت مقيلا

لبنان .. وفلسطين : ولقد طال عهد بولس سلامة بنظم الشعر ، تغنيا بلبنان ، كما تغنى بكل قضية حق ، وفي الطليعة قضية الحق العربي المغتصب في فلسطين التي افرد لها مطولة شعرية دعاها « فلسطين واخواتها » ، والتي عاد الى المجاهرة الحرة بالحق العربي فوق ارضها ، في حفل تكريمه بالندوة اللبنانية ، حيث قال :

فلسطين والقدس الشريف كلاهما ... لكل نبيل النفس أمنية البال
ترف على مهد المسيح قلوبنا ، ... وجامع طه الطيب الذكر والآل
عزيز علينا مهبط الوحي غارقا ... بدمع ائكال ، وظلمة ارمال
فلا العين عن خطب الشقيقة اعرضت ... ولا القلب عما في كوارثها سال

قصائده الاخوانية : وكان بولس سلامة يشكو ، بحق ، من تضاؤل الاصدقاء ، وانفراط عقدهم من حوله ، بعد ان اقعده المرض ، وانتفت مصلحة الناس ، عنده ، وذلك على عكس ما كانت حاله ، يوم كان سليم الجسم ، يتسنم ارقى مناصب القضاء في لبنان .

ولعلي واجد لدى القارىء عذرا مقبولا ، ان اشرت ببعض الانانية الى ان الرجل كان يصرح في معظم احاديثه المذاعة او المنشورة في الصحف والمجلات ، بأن عدد اصدقائه الخلص لا يكاد يتجاوز عدد اصابع اليدين ، وكان يذكرني وخليل رامز سركيس في الطليعة ، ويذكر عددا آخر من الاصدقاء اخشى ان يفوتني اسم واحد منهم ، فأقع تحت طائلة الملامة ، لكنه كان قطعا يذكر اسماء البير اديب ، ورشاد دارغوث ، وحسيب عبد الساتر ، ووديع فلسطين .

لذلك ، لم يكن غريبا ان يقل اهتمام بولس سلامة بالادب الاخواني ، بعد الذي عاناه من الم بسبب قلة الاصدقاء المتجردين من المصالح ، ولكنه فيما كتب من شعر اخواني ، لم يتخل عن المستوى الرفيع الذي انطبع به ادبه وشعره .

ولعلي اعتذر مجددا عن انانيتي ، ان اشرت الى القصيدة التي تلطف بولس سلامة فنشرها في مجلة «الاديب» (عدد نوفمبر ١٩٧٧) ، موجهة الي حول اسماء بناتي وقد عمدت الى نظم قصيدة اخوانية جوابية ، التزمت فيها نفس الوزن والقافية ، ونشرت ايضا في العدد التالي من « الاديب » (ديسمبر ١٩٧٧) .

نثره يضارع شعره : واذا كان لنا ان نكتفي ، في هذا المقام ، بالقدر الذي قدمنا من فنونه الشعرية ، فحسب بولس سلامة انه ، كما المحنا غير مرة ، كان صاحب كتابات نثرية تضارع شعره ، وربما تفوقت عليه في بعض الاحيان ، ولعلنا ، في مقام آخر ، نخص هذه الكتابات النثرية ببحث مفصل مستقل .

لكن ثمة كتابات نثرية نقدية اخرى ، كتبها بولس سلامة ، ونشرها في مواضع مختلفة لكنها لم تنتظم في كتاب ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ مقدمته لكتاب « مصير » لخليل رامز سركيس .

٢ ــ مقدمته لكتاب «القضية الكبرى» لزاهية ايوب .

٣ ــ نقده لكتاب « المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى » ، لفوزي سابا ، وكنت قد توليت كتابة مقدمة هذا الكتاب .

٤ ــ مقدمتاه لديواني « دم وفم » وكتابي « المعلقات العشر » .

٥ ــ نقده لكتابي : « خليل مطران شاعر الاقطار العربية » ، و « جمال عبد الناصر ، رائد التاريخ العربي الحديث » .

٦ ــ نقده لكتاب « حكايات لها » لجوزيف ابي ضاهر .

٧ ــ كلمته في مهرجان تكريم البير اديب .

٨ ــ كلمته في مهرجان تكريمي .

وسوى ذلك من الكتابات النثرية التي يجدر بلجنة احياء ذكراه ان تتولى طباعتها ونشرها على اوسع نطاق .

منزلته الادبية : ولسنا نتجاوز الحقيقة والواقع ، ان نحن قررنا بأن من الندرة بمكان عظيم ، ان ترى قلما منصفا من الاقلام العربية ، لم يرحب بعطاء بولس سلامة او لم يعرف بمقامه الادبي الرفيع ، وعلى وجه اخص بريادته الشجاعة لفن الشعر الملحمي في الادب العربي . ولعل اروع شهادة على ذلك قول مارون عبود : « فليستح اولئك الذين سيؤلفون الملاحم بعد بولس سلامة » .

ولقد تيسر لي من لطائف السوانح ، ما جعلني اقدره حق قدره ، في يوم مهرجانه ، حيث قلت فيه :

انت نور على جبين المعالي ... وحداء على فم العبقريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦٠ + ١

الرفيقان علـى الدرب الحزين ... هـا هما يـا صاحبي يلتقيان
لست ادري اينا الصلب المتين ... في ضياع لـم نجد فيه الامان
قف . نر الفلم الذي لف السنين ... هـل لنـا فيه مكان او زمان
اينـا اضنـى اخـاه بالحنين ... والـذي يرجـوه مجهول المكان

انـت يـا خـير رفاقي توامي ... قـد دخلنا هـذه الدنيا معـا
لـم نكـن ندري ولمـا نعلـم ... عـن وجـود حـير المستطلعا
لا ولـم نفهـم ولمـا نفهـم ... ـ والاماني تستحث الادمعا ـ
غـرض العرس وقصد المأتـم ... وهـوى حـل وحبـا ودعـا

يا رفيقي في الصبا الحلو الجميل ... وربيـع مـن أفانـين الزهور
عمـر فيـه الصبا راح قليـل ... والشباب الغض برق من غرور
فارس الهيجاء كالشيخ الجليل ... لـم يعـد يقفز بالسيف البتور
وعدو الخوف في عجـز العليل ... خائف مـن كـل مستور يثور

سرنا انـا سعينا كـي نكون ... ليس للانسان الا مـا سعـى
كيف نرضى في الدنى ان لا نكون ... فيلاقي الظلـم فينـا مرتعـا
كم رفضنا الذل حتى لا نهون ... مـن رأى الظلم جميلا ممتعا
فاغتربنـا في سهـول وحزون ... وشربنـا كـل هـم مترعـا

نكتوي بالقيظ في الارض الخلاء ... ونعاني البرد مـن غـير غطاء
يقبل الصيف كمـا يأتي الشتاء ... ونبـات العمر محروم النمـاء
تزحـف الصحراء بالرمل الهباء ... كيف يبقى تحتـه طين ومـاء
مالذي ابقى لنـا طول الشقاء ... غـير جرح القيد ينزو بالدماء

طالمـا اخصوا لسان الشاعر ... واكتفوا بالشعر من نظم الغراب
لا تضـع قفـل العدو القاهر ... في فـم الفكر وعنوان الكتاب
حـرت في الماضي وامر الحاضر ... وغد امسي ويومي في الحساب
فامش لكـن بعصاة الحـاذر ... في الدياجي فلقد ولى الشباب

عصيفرة ـ تعز
ص.ب رقم ٥٨٠٦

علي محمد لقمان

بوحك البوح يا نجي القوافي ، ... وصفـي اللحـون في الاغنيـه
أي يـم نصبت فيـه شراعـا ... لـم تهدهـده موجـة لؤلؤيـه
شاعر المجد ، يا وديع الاماني ... ليـس الاك للعلـى أمنيـه
كـل جرح ، وان تنزى دماء ... يرقص الوحي في فم الشاعريه
فاعذرني ، اذا تهاوى مديـح ... دون آفـاق شعـرك الفلسفيه
يخجل الشعر ان يسمى مديحا ... أو ثنـاء تنـد عنـه الحميه
ان شعراً أقوله فيـك زهـوا ... لهو كالحب ، من خشوع النبوه

رضي من دنياه بالاغفاء : والآن ، وقد رحل بولس سلامة الى رحاب الله ، فان اصداء « ألمه » ما تزال تتردد في مسامع الدنيا :

أواه ، لـو كان الرقاد يزورني ... لرضيت مـن دنياي بالاغفاء !

أتراه الآن ، وقد اغفى قرير العين ، ناعم البال ، مطمئنا الى انه وفى قسطه للعلى ، يلتفت من مشرقه الذي لا أفول بعده ، فتتراءى له بشرى السماح الجديد ، في وطن لا بد ان يولد من جديد ؟

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية اسكندراني رقم ٣

فوزي عطوي



الدكتور احمد الشرباصي

حول خامس الراشدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

اطلعت في مجلة الاديب الغراء عدد يوليو واغسطس ١٩٧٩ م على مقال للاستاذ فوزي عطوي ، وعنوان هذا المقال « عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين » . وهو مقال طويل النفس استغرق نحو ست صفحات من صفحات المجلة ، وظننت في اول الامر ان المقال يدور حول كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » ، ولكني وجدت المقال يدور حول كتاب للاخ الدكتور محمد عمارة بنفس الاسلوب تقريبا عن عمر بن عبد العزيز ، وقدرت اول الامر ان الاخ الاستاذ فوزي عطوي سيشير الى كتابي الذي ظهر منذ عشرين عاما ، فهل يأذن لي الكاتب الاديب ان انصف نفسي بكلمة فيها انصاف للحقيقة والتاريخ .

في سنة ١٩٥٩ اصدرت مطابع الشعب كتابا لي في جزءين كبيرين تحت عنوان « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » تأليف احمد الشرباصي امين الفتوى والاستاذ بالازهر الشريف ، ومن العجيب اني جعلت الباب الثاني منه تحت عنوان « خامس الراشدين » وجاءت فيه هذه المعلومات :

« استفاضت الاخبار التاريخية باطلاق لقب «الخليفة» على عمر بن عبد العزيز ، ويستطيع المطالع ان يجد هذه الاخبار في المراجع التي بسطت الحديث عن هذا الخليفة الورع الزاهد ، مثل كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » الذي صنفه الحافظ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، ومثل كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » المروي عن الامام مالك بن انس ، ومثل كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ، وغيرها .

ولنذكر هنا بعض هذه الاخبار :

حدث علي بن الحسين قال : « اخبرني خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال : المهادي سبعة : مضى خمسة ، وبقي اثنان . قال خارجة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم ... اي هؤلاء الخمسة الذين مضوا » .

وحدث ابو عبيدة السري بن يحيى بن ابي هنادين قال : « سمعت قبيصة بن عقبة يقول سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم » .

وقد رواه قبيصة عن عباد بن سفيان قال : « حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : ائمة العدل خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز » .

وفي رواية قال عباد السماك : « سمعت سفيان الثوري يقول : ائمة العدل خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . من قال غير هذا فقد اعتدى » .

وقال قبيصة في رواية اخرى : « سمعت عباد السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز » .

وحدث مزاحم الخاقاني قال : « حدثني عمي ابو علي عبد الرحمن بن يحيى بن خلقان انه ذكر لأحمد بن حنبل انه يروى عن سفيان الثوري انه قال : ائمة الهدى ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، فقال له احمد ابن حنبل : هذا كذا هو » .

وكثير من الناظرين في تاريخ الامة الاسلامية يعتبرون عمر بن عبد العزيز المجدد الاول للاسلام على رأس المائة الاولى من الهجرة .. ويا لها من منزلة سامية .

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال : « سمعت عثمان بن علي يقول : سمعت حميد بن رنجويه النسائي يقول : قال احمد بن حنبل : يروي في الحديث : « ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الامة دينها ». فنظرنا في المائة الاولى ، فاذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي » .

والواقع ان الفترة القصيرة التي قضاها الامام العادل عمر بن عبد العزيز في خلافته ، كانت عودة مباركة الى هذا العهد النبوي المشرق الذي استفاضت انواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين .

واذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على ايدي هؤلاء الاربعة الراشدين ، فيجب ان نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذي قام به الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلا مستقيما .. ومن هنا اقبل كل خليفة من هؤلاء الاربعة ، فاستقام وتابع ، وزاد في الخير .

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء في فترة عصيبة : ظهرت فيها طوائف واحزاب ونبتت خلالها فتن ومحن ، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين ، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم ... فاذا عمر يقبل اقبال الفجر الصادق فيرد المظالم ، وينصف المظلومين ، ويؤدب الخارجين ، وينشر السلام والامان والاحسان بين جميع الناس .. فلا عجب ان يجعله المؤرخون خامس الخلفاء ، عليه رضوان الله » .

واضيف الى ذلك انه في سنة ١٩٥٦ اي قبل ظهور الكتاب السابق ذكره اصدرت مسرحية اسلامية بعنوان « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » وقد اشرت في فاتحة تصديرها الى لقب خامس الراشدين فقلت : « هذه مسرحية اسلامية تاريخية ، كتبتها عن الامام التقي الصالح ، والخليفة الراشد الخامس ، امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الاموي المشهور ، الذي يضرب ـ كجده الفاروق عمر بن الخطاب ـ مثلا للعدالة والخشية من الله ، والذي يجب ان نعمم نشر سيرته بمختلف الوسائل بين الشباب الشيوخ ، وبين الطلاب والطالبات ، وبين الرجال والنساء. وبين الحاكمين والمحكومين على السواء ، لانها دستور وتقويم وضياء » .

واضيف ايضا انه في سنة ١٩٦٢ نشرت لي وزارة الثقافة بمصر عن طريق مطبعة الدار القومية كتابا طبع مرتين بعنوان « عمر بن عبد العزيز » لابن كثير . وقد علقت عليه وحققته واضفت اليه ، ونصصت على انه خامس الراشدين ، حيث قلت في فاتحة التقديم : « اعجبتني كثيرا شخصية الحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وبدأ هذا الاعجاب منذ الصغر ، وقد ترجمت عن اعجابي هذا في فاتحة الجزء الاول من كتابي « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز » حيث قلت عنه : « عمر بن عبد العزيز ... هذا الاسم الباهر الرائع المنير اللامع ... هذا الاسم الذي يشرق بسيرة صاحبه اشراق الشمس ، وينير انارة البدر ، ويرق بخلقه رقة النسيم الوادع ، ويشفي بحكمته شفاء الدواء الناجع ، ويقوي في عقيدته قوة الحق الصارع ، ويكون مع الضعفاء ماء سلسلا نميرا ، ومع العتاة الاشداء اسدا هصورا . هذا الاسم الذي يتردد في فم الزمان حينا بعد حين ، ومرة بعد مرة ، فاذا سمعه المكروبون احسوا فيه نسمات العزاء ، واستروحوا فيه رائحة التخفيف والمواساة ، واذا سمعه البغاة او الطغاة احسوا له في نفوسهم واعماقهم هزة تخيفهم وتزعجهم ، هذا الاسم الذي عرفته واحببته ، والفته وصادقته منذ ادركت معرفة الرجال في التاريخ ، فكان له في نفسي مكانة ، وفي خيالي صورة ، وعلى لساني حديث ، وفي قلمي كلام » .

ومعذرة فاني اكتب هذه السطور والمرض يضنيني ، وشكرا للاخوين العزيزين الدكتور محمد عمارة والاستاذ فوزي عطوي ، وشكرا لمجلة الاديب وصاحبها ان اتسع صدرها لهذه الكلمات .

القاهرة — احمد الشرباصي

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

اذا جاءت هدى جئت ، اذا ما جاءت هدى جئت

هاتان الجملتان تحملان معنى واحدا وصحيحتان . والفرق بينهما ان الثانية جاءت فيها (ما) الزائدة بعد (اذا) .

ولما كانت (ما) تدل على النفي احيانا ، فقد يتبادر الى الذهن ان معنى الجملة الثانية هو : اذا لم تجىء هدى جئت . فتجنبا لذلك ، أرى ان نهمل استعمال (ما) بعد (اذا) ، لان وجودها او حذفها لا يؤثر في الجملة من حيث معناها او بلاغتها ، ولانها زائدة . وفي حذفها ايجاز علينا ان نتمسك به ، الا في الشعر حيث يكون وجودها ضروريا احيانا محافظة على الوزن ، على ان لا نخطىء من يضعها بعد (اذا) في النثر .

أمجاد ، مجدة ، ماجدون ، مجيدون

ويخطئون من يجمع الماجد على امجاد ، ويقولون ان الامجاد (ذوي المجد) هو جمع (مجيد) بفتح الميم ، اعتمادا على قول دوزي وابراهيم اليازجي (في مجلة الضياء) ، والمتن ، والوسيط .

ولكن :

(أ) يجمع الماجد والمجيد كلاهما على امجاد ، كما قال الاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد . وذكر اللسان والتاج ان جمع ماجد ومجيد على امجاد هو مثل اشهاد ، جمع شاهد وشهيد .

(ب) يجمع الماجد على مجدة (بفتح ففتح) ، لان جمع التكسير فعلة (بفتح ففتح) مقيس في كل وصف على وزن فاعل ، لذكر ، عاقل ، صحيح اللام ، نحو : ماجد ومجدة ، وكامل وكملة ، وكاتب وكتبة ، وبار وبررة (بفتح ففتح في جموعها كلها) .

وقد ذكر هذا الجمع الطبري (٣ : ١٣٤) والمتن ، ولم تذكر المعجمات هذا الجمع ، لانه قياسي .

(ج) انفرد المتن بقوله ان جمع ماجد هو ماجدون . وهو جمع قياسي ليست المعجمات في حاجة الى ذكره . اما المجيد فجمعه القياسي مجيدون ايضا .

وذكر ابن الاثير في حديث علي رضي الله عنه : « اما نحن بنو هاشم فأنجاد امجاد » .

اما فعله فهو : (أ) مجد (بفتح ففتح) يمجد (بضم الجيم) مجدا ، فهو : ماجد .

(ب) مجد يمجد (من باب كرم) مجادة (بفتح الميم) ، فهو مجيد .

فضة محض ومحضة

ويخطئون من يقول : فضة محض (بفتح فسكون) ، اي غير مشوبة بمعدن آخر ، لان الاساس ذكر في مجازه : « عربي محض ، وسيد محض ، وفضة محضة » .

والحقيقة هي ان كلمة (المحض) يستوي فيها الذكر والانثى والجمع ، وفي وسعنا تثنيتها وجمعها وتأنيثها ، كما يقول : سيبويه ، وابو عبيد (هذه عربية محضة ومحض) ، والتهذيب ، والصحاح ، والعباب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (فضة محض ومحضة)، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويقول المصباح ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ان المحض للجميع اجود من المطابقة . ويزيد محيط المحيط واقرب الموارد قولهما : لان (المحض) في الاصل مصدر .

(راجع مادة « بحت » في « معجم الاخطاء الشائعة » للمؤلف) .

محضه الود ، أمحضه الود

ويخطئون من يقول : أمحضه الود ، ويقولون ان الصواب هو : محضه (بفتح ففتح) الود ، لان الاصمعي انكر (أمحضه الود) . وقال الحريري في المقامة السنجارية :

وندیم محضته صدق ودي اذ توهمته صديقا حميما

ولكن :

(١) قال البطليوسي في الاقتضاب : « وقد انكر الاصمعي اشياء كثيرة ، كلها صحيح » .

(٢) لا تستعمل المقامات جميع الكلمات في اللغة العربية .

(٣) يجيز لنا ان نقول : محضه الود او النصح ، وامحضه : اخلصه اياه (مجاز) كل من : ادب الكاتب في باب ابنية الافعال ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس الذي قال ان (محضتك الود والنصح ، وامحضتكه هما من المجاز) ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج الذي روى (امحضه) عن ابي زيد ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما ابن دريد فقد انكر قولنا : محضتك الود ، وقال : « امحضتك في الود لا غير » .

اما (محض فلانا) فتعني : سقاه لبنا خالصا لا ماء فيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفعله محضه يمحضه محضا (من باب « فتح ») .

امحى (الميم مضعفة) ، انمحى ، امتحى

ويخطئون من يقول : انمحى الشيء ، ويقولون ان الصواب هو : امحى (بتضعيف الميم) الشيء ، اي : ذهب اثره . والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول :

(أ) امحى (الميم مضعفة) : الليث بن سعد ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) وانمحى : الليث بن سعد (الاصل) ، والتهذيب (الاصل) ، وهامش الصحاح ، والاساس ، واللسان (الاصل) ، وهامش القاموس ، ومستدرك التاج ، والمتن .

(ج) وامتحى : الليث بن سعد (لغة رديئة) ، والصحاح (لغة ضعيفة) ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار (ضعيفة) ، واللسان (ضعيفة) ، والقاموس (قليلة) ، والتاج (قليلة) ، ومحيط المحيط (ضعيفة) ، واقرب الموارد (ضعيفة) ، والمتن (ضعيفة) .

وقال اللسان والمتن ان الفعل (امحى) اجودها .

وقال محيط المحيط ان اصل الفعل (امحى) هو (انمحى) ، فقلبت النون ميما وادغمت .

وجاء في اللسان : هنالك : محا لوحه (بفتح الحاء) يمحوه محوا ، ويمحيه محيا ، فهو ممحو وممحي . صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، فأدغمت في الياء التي هي لام الفعل » .

مخرت السفينة ، مخرت السفينة الماء

ويخطئون من يعدي الفعل (مخر) ويقول : مخرت السفينة الماء ، ويكتفون بقول : مخرت السفينة (جرت تشق الماء بصوت) ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية ١٤ من سورة النحل : (وترى الفلك مواخر فيه) . ويعتمدون ايضا على ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولكن :

جاء في النهاية : « يقال : مخرت السفينة الماء » .

واجاز استعمال الفعلين : اللازم (مخرت السفينة) ، والمتعدي (مخرت السفينة الماء) كليهما : اللسان ، والتاج ، والمد .

واكتفى بذكر الفعل المتعدي كل من احمد بن يحيى (ثعلب) ، والعباس بن محمد (ابو الهيثم) ، والاساس .

واختلفوا في حركة عين المضارع ، فالوسيط اكتفى بضمها ، واقتصر القاموس ومحيط المحيط على فتحها .

واجاز ضمها وفتحها كليهما كل من الصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

اما فعله فهو : مخر (بفتح ففتح) مخرا (بفتح فسكون) ومخورا .

ومن معاني مخر :

(١) مخر السابح : شق الماء بيديه .

(٢) مخر الزارع الارض يمخرها (بفتح الخاء) مخرا : شقها .

(٣) مخر المحور مداره : اكل منه فاتسع .

(٤) مخر البيت : اخذ خيار متاعه فذهب به .

(٥) مخر الذئب الشاة : شق بطنها .

المدة (بكسر فتضعيف)

ويسمون ما يجتمع من القيح في الجرح مدة (بفتح فتضعيف) . والصواب هو المدة (بكسر فتضعيف) : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

ويقول الاساس ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن : اذا كان القيح في الجرح كثيرا وكثيفا فهو مدة (بكسر فتضعيف) ، وان كان رقيقا فهو صديد (بفتح فكسر) .

وارى ان نتغاضى عن التفريق بين المدة والصديد ، لان امهات المعاجم كالصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والوسيط تكتفي بقولها ان المدة هي القيح ، دون ان تصفه بالكثافة او الرقة .

ماء ، مساء ، صفاء ، ضياء

يضعون مدة (ـــ) على الف الكلمات الممدودة المذكورة مآء ، ومسآء ، وصفآء ، وضيآء . وهذا يحملنا على ان نقرأها مأاء ، ومسأاء ، وصفأاء ، وضيأاء ، لان المد ، كما تقول كتب الصرف ، يدل على الف حذفت خطا بعد همزة بصورة الالف . نحو : آمن ، اصله اامن .

ولست ارى مسوغا لكتابة المدة ، للاسباب الآتية :

(١) لاننا قد نخطىء في قراءة الكلمة الممدودة ، اذا كنا لا نعرفها ، فنقرأ كلمة سنآء : سنأاء (بفتح فسكون) ، على وزن (فعلال) .

(٢) ان المعاجم القديمة كتهذيب الفاظ ابن السكيت ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج لم تضع هذه المدة الزائدة .

(٣) ان المعاجم الثلاثة التي اصدرها مجمع اللغة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية بالقاهرة : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير ، والمعجم الوسيط ، وان معجم متن اللغة الذي اصدره عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق ، بعد ان وافق المجمع على اصداره ، لا تضع المدة على الالف في آخر الاسماء الممدودة .

(٤) ان في حذف هذه المدة الزائدة في الطباعة توفيرا كبيرا لوقت منضد الحروف .

مدى البصر ، مد (بفتح فتضعيف) البصر

ويخطئون من يقول : هذه قطعة ارض قدر مد البصر ، لان ابن قتيبة ، والقالي في البارع ، وابن سيده في المحكم ، والحريري في درة الغواص انكروا صحة قول مد البصر ، وقالوا ان الصواب هو : مدى البصر .

ولكـــن :

نستطيع ان نقول :

(أ) مدى (بفتح ففتح) البصر : في الحديث (ان المؤذن يغفر له مدى صوته) ، اي ان المكان الذي ينتهي اليـــه الصوت ، لو قدر ان يكون بين اقصاه ومقام المؤذن ذنوب ، تملأ تلك المسافة لغفرها الله له .

وممن ذكـــر (مدى البصر) ايضـــا : الصحاح ، والاساس ، والنهاية ، والمغرب ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، ومحمد الفاسي ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) ومد (بفتح فتضعيف) البصر : روي الحديث المذكور في (أ) : يغفر له مد (الدال مضعفة مفتوحة) صوتـــه ، والصحاح ، ومجاز الاساس ، والنهايـــة ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، ومحمد الفاسي ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز ، والمدى افصح واولى واكثر) ، والوسيط .

وجاء في الوسيط :

(١) المدى : المسافة . و ــ الغاية .

(٢) مدى البصر : منتهاه وغايته . يقال : هو مني مدى البصر . وكذلك مدى الصوت ، ومدى الاجل .

ويقال : لا افعل كذا مدى الدهر : طوله .

المـــرء والانسان

ويطلقون كلمة (الانسان) على الرجل وحده ، لان في اللغة العربية كلمة (انسانة) ، التي تدل على انثى الانسان (راجع معجم الاخطاء الشائعة للمؤلف) ، كما تدل المراة على مؤنث المرء .

وقد اخطأوا هنا حين قالوا ان كلمة (الانسان) تطلق على الرجل وحده ، واصابوا حين ذكروا ان (الانسانة) هي مؤنث الانسان ، وان جاز ان تقع كلمة الانسان ايضا على الذكر والانثى .

فممن قال ان كلمة الانسان تطلق على الذكر والانثى كليهما : الآية ٥٣ من سورة الاسراء (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ، والآية الثانية من سورة العلق (خلق الانسان من علق) ، وكتاب خلق الانسان لثابت ابن ابي ثابت ، والصحاح ، وكتاب التلخيص لابي هلال العسكري ، والمخصص لابن سيده ، واللسان ، والمصباح ، وكتاب التعريفات للجرجاني ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، وبادجر ، والمتن .

مرئي (بفتح فسكون) ، امرئي (بكسر الراء) ، مرقسي (بفتح فسكون ففتح)

ويختلفون في النسبة الى امرىء القيس ، فيقولون :

(١) مرئي (بفتح فسكون) : القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٢) وامرئي (بكسر الراء) : الصحاح ، واللسان ، والمتن .

(٣) ومرئي (بفتح ففتح) : اللسان .

(٤) ومرقسي (بفتح فسكون ففتح) : ابن الجواني في المقدمة ، وقاموس الفيروزابادي في متنـــه ، وهمـــع الهوامع ، والنحو الوافي .

(٥) وذكر ان (المرقسي) هي نسبة خاصة بالجد الرابع لامير شعراء الجاهلية امرىء القيس الكندي : نصر الهوريني في هامش القاموس ، والتاج ، ومتن اللغة .

ولما كان اللسان قد انفرد ، من دون المعاجم الاخرى ، بذكر النسبة المرئي (بفتح ففتح) ، فانني ارى ان نهملها ، ونخطىء من يستعملها لاننا :

(أ) لا نستطيع الاعتماد على مصدر واحد ، ولو كان ثبتا كاللسان .

(ب) يستحيل علينا ايجاد صلة بين امرىء ومرئي تسوغ هذه النسبة الشاذة التي جاءنا بها اللسان .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر وديع البستاني والادب الكلاسيكي الهندي

(١٨٨٨ ــ ١٩٥٤)

بقلم عيسى فتوح

* * *

قد لا يعرف قراء اليوم كثيرا عن الشاعر المرحوم وديع البستاني ، والدور الكبير الذي قام به في ترجمة الروائع الادبية الهندية الى اللغة العربية ، والصلات الطيبة الوثيقة التي نشأت بينه وبين الهند ادبا وتاريخا وشعبا . فقد كان شديد الاعجاب بالتراث الكلاسيكي الهندي ، ولذلك اقبل على ترجمته برغبة وشوق من اللغة الانكليزية التي كان يجيدها اجادة تامة .

ولد وديع البستاني في قرية « الدبيه » قضاء الشوف بلبنان ، ودرس في سوق الغرب ، وتخرج في الجامعة الاميركية ، ثم عمل في الترجمة ، فنقل الى العربية اعمال اللورد انبرى ، ورباعيات الخيام شعرا ، بالاضافة الى العديد من الكتب المؤلفة .

زار الهند اول مرة عام ١٩١٢ ، فأمضى فيها سنتين كاملتين ضيفا على الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم ، ملك اللؤلؤ العربي ، فأتيح له وهو فيها ان يتعرف بشاعر الهند الاكبر رابندرانات طاغور ، ويعرض عليه ما نقله من شعره الى العربية ، ويطلع على كتب التراث الهندي العظيم .

لم يكتف البستاني بهذه الزيارة الاولى ، بل عاد فقصدها مرة ثانية عام ١٩١٥ ، ومكث فيها حتى عام ١٩١٦ ، فقد استهوته الحياة الجميلة فيها ، وبات اسير روائعها وسحر غوامضها ، وعكف فيها على الدرس والمطالعة ، حتى استطاع ان ينقل من ادبها الخالد مسرحيتين شعريتين تعتبران من اروع ما كتب في الادب العالمي هما « الشاكنتلا » و « نالا ودامياني » .

طبعت الشاكنتلا عام ١٩٦٦ بعناية الاستاذ انعام الرحمن ، سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية ، وهي مسرحية شهيرة للشاعر الهندي الكلاسيكي كاليداس ، ترجمها عن السنسكريتية « مونيرو ليمس » ، وعربها وديع البستاني شعرا موزونا ، وتمثل روعة الادب السنسكريتي الكلاسيكي بين نظم ونثر ، وتقع في سبعة فصول ، وعدد ابياتها ٨٢٧ بيتا ختمها بقوله :

لا ساد فوق الشعب من ملك الا لجلب النفع للشعب
والاهة الآداب لا عدمت عز الكرامة من الى اللب

اما مسرحية « نالا ودمياني » فهي قصة غرامية خالدة من الادب الكلاسيكي الهندي ايضا ، ولعلها تشبه الى حد ما « انشودة الرعاة » للشاعر الروماني «فيرجيل» . وخلاصتها ان « نالا » ملك ساء حظه فقامر بملكه وكان من الخاسرين ، فتاه مع زوجته « دامياني » في غابة كثيفة الشجر ، حتى افترق كل منهما عن الآخر ، ثم مرت قافلة تجارية بالملكة دامياني ، فحملتها الى مدينة قريبة لتستريح قليلا ، لكن القافلة رحلت وتركتها وحيدة في الغابة ، فضلت من جديد ، وتنتهي المسرحية اخيرا بلقاء نالا ودامياني بعد كثير من الصراع والعذاب والالم ...

هذه الحوادث الاسطورية وغيرها ، صاغها البستاني شعرا جميلا رائعا في الف ومئتين وتسعة واربعين بيتا ، بدأها بقوله :

كربك « اندرا » الاولى تعالى تعالى في ذوي التيجان « نالا »
نالق حسنه خلقا وخلقا كشمس كان يبهرهم جمالا
وكان الفارس المغوار بأسا اذا ما جال في الهيجاء صالا

ويرجح مؤرخو الادب الهندي ان تكون هذه الملحمة من نتاج عدة شعراء ، وهي من الضخامة بحيث لو وضعت الياذة واوذيسة هوميروس ، وانياذة فيرجيل ، والفردوس المفقود لجون ميلتون ، الى جانبها ، لما بلغت من الطول ما بلغته قصيدة ماها بهاراتا ، ولكن الراي الشعبي لا يرضيه الا ان تكون هذه الملحمة الوطنية لشاعر واحد ، فينسبها الى « فياسا » .

طبعت هذه الملحمة في الهند عام ١٩٧١ في ١٤٦ صفحة من القطع الكبير ، وبلغت حواشيها ستا وثلاثين صفحة ، واذا كان المرحوم وديع البستاني لم يترجم الا ملحمتي « الشاكنتلا » و « نالا ودامياني » فيكفيه ذلك فخرا ، فقد ارتفع في هذا العمل الجبار العظيم الى مستوى نسيبه سليمان البستاني الذي ترجم الياذة هوميروس شعرا .

عاد وديع البستاني الى مسقط رأسه في لبنان عام ١٩٥٣ ، فاغتنم رجال الادب والفكر فيه هذه المناسبة ، وفراغه من ترجمة الشاكنتلا ونالا ودامياني شعرا ، ليقيموا له حفلة تكريمية كبرى تليق بمكانته ، وفعلا اقيمت هذه الحفلة في قاعة اليونسكو ببيروت مساء السبت في السادس عشر من ايار عام ١٩٥٣ ، حضرها كبار رجال الدولة والصحافة والادب ، وقلده رئيس الجمهورية اللبنانية في ختامها وسام الاستحقاق المذهب ، فألقى قصيدته التي يقول فيها :

حي في الهند امة يقظانه نبهت كل مقلة وسنانه

ثم ختمها بقوله :

جل هذا الصنيع عندي جميلا يحمل القلب للمدى عرفانه

دمشق — عيسى فتوح

٤٨ قصور ــ كزبري

دمشق تكرم ابن عساكر

بقلم وداد سكاكيني

* * *

حق دمشق ان تعتز بعلم من اعلامها الفكرية والتاريخية وان تكرم ذكراه(١) المئوية التاسعة لميلاده « ٤٩٩ ــ ١٣٩٩ هـ » فقد حمل ابن عساكر في قلبه وقلمه حب منبته دمشق ، وتغنى بفضلها وأصالتها على ترادف العصور والاجيال ، ومن عجب ان تغلب كنيته ابن عساكر على اسمه ونسبه ، فهو الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ، ولم يكن اجداده عساكر او قوادا لهم ليأخذ لقبه منهم او من بطولاتهم ، ولعلهم كانوا ذوي بأس وكفاح على ان الباحثين لم يطيلوا الوقوف عندهم او يتناولوا اصولهم بالتقصي ، بل اجمع من ترجموا لهم على انهم من بيوت دمشق المشهورة بالعلم والتقوى والقضاء ، وقد نشأ ابو القاسم ابن عساكر في منزل دمشقي عريق ، وكانت اسرته لأمه وأبيه معروفة بالفقه والحديث فتعلم من والده القرآن الكريم ، ومن اخيه القرآن بالروايات وسمع منذ صباه شيوخ الدين والفقهاء ، وتلقى ابن عساكر قواعد العربية ومشكلات النحو والعروض من جده ابي الفضل ، ونظم الشعر على طريقة امثاله وزمانه ، وقد تعلق بفقه الشافعية وحفظ الحديث متونا وأسانيد حتى كان من علمائه واعلامه في عصر الحروب الصليبية ، وقد جمع اربعين حديثا في اربعين بلدا ، وجعلها عن اربعين من الصحابة كما جمع مثلها في الجهاد وفي حوة الصراع بين المسلمين وطغاة الصليبية في ايامه .

على ان ابن عساكر الشيخ الفتى الطموح لم يقنع بما سمع وتلقى في مدينته دمشق من علم الحديث واللغة ، بل تاق الى ما عند شيوخ بغداد في عصره وكانت بغداد مرجعا علميا لأخذ الحديث وأدبه وسنده فمضى في شبابه الى معاهدها ومجالس الفقهاء فيها ودخل المدرسة النظامية مستمعا الى دروسها ، قارئا على بعض الفقهاء آخذا عن آخرين ، ومن بغداد انطلق الى ضواحيها واشهر المدن فيها ، متنقلا بين مجالس المفكرين والعلماء حيث كان يجد ما يبتغي من راي وحديث ، لدى الثقات المشهورين ، ومن العراق مضى ابن عساكر الى مكة والمدينة وغيرهما من ارض العرب والعجم ، وقد غلا الرواة فيما تحدثوا عن مئات العالمات والعلماء الذين استمع اليهم وافاد منهم .

وكان هذا الحافظ لما قرأ ووعى من الكتب وعن المحدثين والمؤرخين ، وما نسخ من المخطوطات والمحققين فيها ، مدار الاعجاب بما أوتي من الذكاء والجلد والطموح في طلب العلم والادب على اصطلاح زمانه ، فقال شيخه الطوسي الخطيب ابو الفضل : « ما نعرف من يستحق لقب الحافظ مثل ابن عساكر » وقال النووي : « هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا الامام الثقة الثبت » على ان حفظ ابن عساكر لم يكن ليزيد في نسخ المؤلفات والمخطوطات التي قراها ، وفي عدد الاحاديث التي تلقاها من ثقاتها ، بل بما وعى من اصولها واسنادها ، وحقق في ملابساتها ومراميها .

ولما عاد ابن عساكر من رحلاته العلمية بعد خمس سنين الى مدينته دمشق لقي فيها البشاشة والحفاوة واقبل عليه العلماء والقضاة والشعراء وطلاب الفقه والحديث ، حتى غدا محدث الشام مرموق السيرة والمكانة ، وكان الملك العادل نور الدين يعرف لهذا المحدث الكبير قدره وأثره فبنى له دار الحديث في دمشق قرب العصرونية من اسواقها اليوم ، ليقوم بأمرها ويتعهد طلابها بعنايته وتبصيره ، وحين علم الملك العادل ان ابن عساكر مكب على تأليفه « تاريخ مدينة دمشق » ازداد تكريما له ، وحفزا للمضي فيه ، وقد تعاصر المحدث والملك زهاء عشرين عاما لقي فيها الحافظ من نور الدين تقدير المخلصين للعلم حقا في الحديث والتاريخ ، ولكم سعى اليه هذا الملك الفاضل في « دار الحديث » مشاركا في الحوار والتمحيص داعيا للعلم والعمل بما ينفع الناس ويبصرهم .

ولم يكن السلطان صلاح الدين اقل تكريما لابن عساكر من نور الدين ، فقد قرب محدث الشام اليه وانصت لحديثه ونصيحته ، ولما مات الحافظ ابو القاسم حضر صلاح الدين الصلاة عليه ، ومشى في جنازته عام ٥٧١ هـ . وقد دفن ابن عساكر في مقبرة الباب الصغير في دمشق الى جانب الحجرة التي ضمت معاوية .

كان ابن عساكر موزع الفكر والخاطر بين التدريس والمطالعة والتأليف في شتى الموضوعات التي تمرس بها وأحبها وعني بالمراجعة فيها ، فمن الفقه والحديث الى السيرة والتاريخ والرواية ومن علم الكلام الى مسائل الخلاف ، ويضيق هذا المقال عن الالمام بالمؤلفات التي تركها والعلماء الذين اخذ عنهم بشأنها ، وما اكثر الارياف الدمشقية والضواحي التي كان يسعى اليها ابن عساكر للقاء صحبه من العلماء والادباء ، منها : حرستا وجوبر وكفرسوسة وكفربطنا والمزة والربوة وغيرها من الضواحي التي انبتت علماء وابطالا ومحدثين .

واذا كانت مؤلفات ابن عساكر تجاوزت الستين فان احسنها وابقاها على الزمان كتابه « تاريخ مدينة دمشق » وقد جاء في ثمانين مجلدا لم يقتصر فيها ابن عساكر على

(١) ــ اقيم الاحتفال بهذه الذكرى في ٢٣ نيسان ١٩٧٩

مدينته ومنبته بل كان هذا المؤلف الضخم الذي يعجز عن صنعه جماعة تاريخا للشام وللعالم العربي والاسلامي منذ الفتح والرسالة الى آخر اعوامه ، جمع ابن عساكر في تاريخه هذا اشتات السيرة في فضائل صاحب الرسالة الاسلامية ومناقب الصحابة والخلفاء بعدهم ، ومآثر الذين عرفوا دمشق وآثارها او اقاموا فيهـا ومروا بحياتهـا وذويها ، وينبسط هذا التاريخ في المكان والزمان مسجلا حوادث وروايات وتراجم يستطيع الباحثون ان يستخرجوا منها دراسات ومؤلفات ، وقد كتبها ابن عساكر على نسق « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، وتوسع فيما كتب واسهب بين الحديث والتاريخ سالكا في كتابه الكبير منهاج المحدثين ، فهو يبدأ بذكر السند ثم يجيء بالخبر ، ولا يكتفي بسند واحد بل يعدد الاسانيد ويكررها ، وكأن ابن عساكر كان يشعر بأن قراء سرده وترديده قد يضيقون بأسانيده فأدخل الشعر في تضاعيفه لمن ترجم لهم ، ولا غرو اذا كانت مجلدات ابن عساكر فيما روى من الاحاديث والاخبار والفضائل والاشراف في تاريخه الحافل اشبه بموسوعة على اصطلاح عصرنا لم يؤلف مثلها في تراثنا اذ جمع فيها ابن عساكر مؤلفات ضمن مؤلفات لم يترك فيها واردة ولا شاردة في موضوعها وقد روى ابن خلكان عـن شيخه المنذري الذي استهواه «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر : « ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل ، وشرع في الجمع من ذلك الحين ، والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعـد الاشتغال » .

وتناقلت اخبار هذا الكتاب الكبير مجالس العلماء في القديم والحديث وتفرقت اجزاء منه ومجلدات في الخزائن الشرقية والغربية ، منها دار الكتب الظاهرية ومكتبة الازهر ودار الكتب المصرية ودار الكتب الاهلية في باريس وغيرها مـن خزائن الجامعات التـي تضم نفائس التراث في مخطوطاتها ومصادرها .

وكان من حـظ هذا التاريخ الضخم في موضوعاته ومجلداته ان انبسطت له شهرة في الشرق والغرب وكانت دمشق ترنو اليه في امل الوصول الى اصح النسخ من مخطوطاته ، وكان الرواد من علمائها تواقين الى نشرها في منبت ابن عساكر فبادر العالم الدمشقي الشيخ عبد القادر بدران في مطالع هذا العصر الى تحقيق خمسة اجزاء من « تاريخ مدينته » اختارها واختصرها بحذف المكرور منها في الاسانيد والاخبار والرواية وصحح بعض التحريف من الناسخين كما وضح ما استعجم من الفاظ اللغة ، وكان له فضل الرائد المقدام الذي قدم لطائفة كبيرة من القراء اجزاء من تاريخ ابن عساكر كانوا يسعون الى مطالعته والنظر فيه ، وقد قيض لتحقيق الشيخ بدران ناشر مهتم بالتراث اعانه على ظهوره عام ١٩١٢ وقد سماه « التاريخ الكبير لابن عساكر » وبعد وفاة بدران نشر الاديب المحقق احمد عبيد الجزاين الباقيين من تحقيق بدران جعل عنوانهما « تهذيب التاريخ لابن عساكر » ، كما صنع المحقق المصري في « الاغاني » اذ سمى تصحيحا فيه « مهذب الاغاني » فلقي صاحبا التسمية الجديدة لكتابين قديمين نقدا ولوما مـن المهتمين بالتراث واصول التحقيق والمحافظة على العنوان الاول .

ومـا كانت مختارات بدران بدعا ولا سبقا ، ففي القديم اذيال وتعقيبات لتاريخ ابن عساكر ، ومختصرات ومنتخبات ذكرها الصفدي في الوافي وجاء ذكرها « في كشف الظنون » وغيرهما ، وبعضها محفوظ في دار الكتـب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية .

وقد ذكر المرحوم محب الدين الخطيب شيخ الثقات في التحقيق ان اباه قد اختار مجلدات من تاريخ ابن عساكر حقق فيها ولم ينشرها فبقيت خمسة منها في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وواحدة منها في مكتبة جامعة برنستون ، واخرى في مكتبة « دار الفتح » بالروضة القاهرية يرحم الله مؤسسها الخطيب الذي أنبتته دمشق ووهب لها شبابه وعلمه وسعيه الى تحريرها مع رفاق جهاده .

وما كانت المختارات مـن تاريخ ابن عساكر لتغني الباحثين عن الاصل المطول الذي كان يشغل بال العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق والداعي الى احياء التراث فقد بقي يفكر في تاريخ مدينته دمشق ، ويدبر الامر لبداية علمية في تحقيق مجلدات منه على النهج الحديث ، فدعا الذين عرفهم في مثل شوقه اليه ومقدرته على التحقيق ليكونوا عونا للمجمع على نشر هذا التاريخ الذي حفظ ثقافة العرب وحضارتهم ودل على أمتهم في سيرة علمائها واعلامها في الفكر والادب والفقه والحديث والسياسة فهو لـم يكن مقصورا على دمشق وحدها بل على الوطن العربي الكبير وتراثه الاصيل .

ولم يكن هينا اقدام استاذنا المرحوم كرد علي على اعداد العدة لنشر هذا التاريخ ، فالتكاليف مرهقة والموثوق بخبرتهم قلة ، وكان في طليعة هؤلاء المحقق الثقة والاديب الكبير الدكتور صلاح المنجد فعكف على المجلدة الاولى تمحيصا وتنسيقا وتدقيقا ليخرجها في غاية الاتقان ، وقد شعر باعتزاز وهو يقدمها للمجمع الموقر عام ١٩٥١ فلقيت منه الثناء والتقدير ومن القارىء الباحث ثقة به واعجابا .

وجاءت هذه المجلدة في ٨٥٩ صفحة من القطع الكبير وفي صدر الصفحات الاولى كلمـة طيبة لرئيس المجمع المرحوم كرد علي ومقدمة قيمة للمحقق بين فيها نهجـه العلمي القويم في تقديم النص الصحيح .

وفي العام ١٩٥٤ نشر المجمع العلمي العربي الجزء الاول من المجلدة الثانية ، فجاء على احسن ما يكون صحة وتحقيقـا .

وممن استجابوا لدعوة الرئيس كان المحقق الكبير الشيخ محمد احمد دهمان ، وقد قدم المجلدة العاشرة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداعا

ليذهب هواك الحلو في طي غيهبي ... كما غاب نجم في الظلام المطبق
كما مر حلم في كرى الشوق باسما ... كما لاح طيف في الخيال المحلق
أقام بروحي ضيف أنس ونشوة ... وودع يأسي بابتسامة مشفـق
سعدت به حينا قليلا ولم يدع ... سوى فضلة في كأس راح معتق
تذوقت منه حلو ما كنت أشتهي ... وغادر بي مر الذي كنت أتقي
ومـا بـين لقياه وبين فراقه ... سوى لمح برق في دياجي التشوق
هو الامل المرجو قد لاح واختفى ... فيا حزن ذوبني ويا نار احرقي
نصبت له عمري شراكا مشوقة ... فلما دنا منها بدا حظي الشقي
فاخفاه ، لكن في قرارة أعظمي ... سيبقى ويجلى في خيالي المؤنق
سويعات لقيا ما أحيلى ادكارها ... خيالك باق في فؤادي ما بقي
وداعا أيـا أحلى أريج نشقته ... وأمتع طيـف في حنيني المؤرق
وداعا ولكـن في عروقي مامل ... ألـوذ بـه كالغارق المتعلـق

السعودية — علي دمر

تاريخ دمشق عام ١٩٦٣ قائلا في المقدمة : « كان المفروض ان ترى النور منذ بضع سنوات وقد عاقت عن هذا عوائق ما كان لنا الخيرة فيها » .

وطال الصمت بعد تحقيق دهمان كان مجمع اللغة العربية في خلاله يطيل البحث في تكاليف النشر وينتظر مجهود المرجوين لتاريخ ابن عساكر .

ويبدو ان معاذير الواعدين الذين تلكأوا او احجموا عمـا كانوا بسبيله في التحقيق لضخامته وضآلة مكافأته جعلت الامين العام لمجمع اللغة العربية في دمشق يقوم على تجربة في تحقيق مجلدات لابن عساكر يعهد بها الى مقتدرين على تدريس العربية في المدارس الثانوية وكان بعضهم من تلاميذه ليكون هو المشرف على التجربة التي نجحت ، وكان من ثمراتها ظهور الجزء الضخم الذي حمل منذ عامين على غلافه الكبير اسم الدكتور شكري فيصل وحده دون « فريق العمل » الذي سماه من المحققين ، وقد راينا اسماءهم على طرف ورقة داخل الغلاف لا في مقدمة الامـين .

ومر هذا الامر بالعجب والتساؤل دون اجابة ، ولم تتناول الجزء المنشور اقـلام النقاد المختصين بالتحقيق وبقيت المغالطة على الغلاف لعلها تنسى بعد حين ، وقد عجبت لاغفال مقدمة الامين تنويها بجهد الجامعية المثقفة الآنسة ملك هنانو التي سبقت الى التحقيق في تاريخ ابن عساكر وقبل ذوي التجربة عام ١٩٧٧ او « فريق العمل » كما سماهم المشرف على جهودهم فقـد قدمت الفهارس بتنسيقها والتحقيق فيها للمجلدة العاشرة .

وكان من وفاء المعلمة العالمة لابن عساكر الذي الف معجما للنساء اشاد فيـه بالفقيهات والمحدثات العالمات اللاتي استمع لهن ان معلمتين في العربية وادبها كانتا في تجربة التحقيق هما سكينة الشهابي(٢) وروحية النحاس وقـد قدمت كـل منهما الدليل على اتقانها في المشاركة الناجحـة .

وبعد فما احسب هذا المجهود الضخم في تحقيق مجلدة بعد مجلدة من تاريخ ابن عساكر يمضي سهلا طويلا ، وما احسب مجمع اللغة العربية في دمشق يتغاضى عن حيف ومغالطة في قيامه بنشر التراث الكبير لابن عساكر .

ومهما تكن مشاغل المحقق الاول في هـذا التراث الدكتور صلاح المنجد فلا ينبغي له التخلي عن هذه التبعة ، وكيف يرضى عالم اللغـة والتحقيق الاستاذ راتب نفاخ بالتجافي عن تاريخ ابن عساكر ، وكلاهما مسؤولان في نقد التحقيق الاخير الذي ظهر ، وان المشاركة الدائبة في دعوة المجمع الموقر والوفاء لمدينتهما اولى واجدى .

---

(٢) ــ يعرفها قراء « الاديب » في مقالاتها الادبية والتراثية .

دمشق — وداد سكاكيني



نعمه قازان

الشاعر الموهوب نعمه قازان

بقلم وليم صعب

صاحب مجلة البيدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

سنة ١٩٠٧ ظهر الطفل الشاعر الموهوب نعمه قازان على هذا الكوكب في بلدة (جديتا) البقاعية . ومتى ذكر (البقاع) تجلت امام العيون فتنة الطبيعة في سهل فسيح الارجاء خصب التربة تتفجر منه الينابيع وتترقرق الانهر والجداول وتتثنى اغصان الاشجار الوارفة وتموج لجج الخضرة وتتدفق الخيرات تحت سماء زرقاء مرصعة بالكواكب والنجوم ... انها كتاب الخالق ــ الطبيعة الرائعة التي هي ، بحد ذاتها ، شعر ، والتي منها عب الشاعر قازان مضيفا الى موهبة الله السخية فيه عطاء الله في ما ابدعه للانسان ووضعه في تصرفه .

من جديتا انتقل نعمه قازان تلميذا الى (الكلية الوطنية في الشويفات) التي اسسها الطيب الذكر والاثر القس طانيوس سعد ، وهي اليوم تحمل اسم (مدرسة الشويفات) ويرئسها نجل المؤسس شارل سعد . وسنة ١٩٢٦ تخرج شاعرنا من المدرسة المذكورة حاملا شهادتها العالية (الهايسكول آنذاك) . وسنة ١٩٢٧ انتقل الى مدينة (ريو دي جانيرو) ، عاصمة البرازيل القديمة ، ملتحقا بأخيه ، وكان اخوه قد اسس معملا للاحذية بالاشتراك مع السيد سليم رزق (من بلدة بشامون اصلا) اطلقا عليه اسم (احذية غاندي) . وقد اشتهر هذا المصنع بجودة ما ينتج فيه ، ولكن متطلبات ادارته الواسعة الكثيرة لم تقف حائلا بين الشاعر قازان وموهبته الشعرية الغنية فاستمر يقرض الشعر ملهما منه الروائع في شقيه : المشكل والعامي .

وقولنا بـ (المشكل) قد ينجم عنه اشكال في المقصود ، فقد اطلقنا هذا النعت منذ ما يقارب الاربعين سنة على ما يسمونه (الشعر الفصيح) ، لان تشكيله بالحركات لا يحصر (الفصاحة) فيه ، فأولى ميزات الفصاحة الافصاح وخلو الكلام من التعقيد ، وغالبا ينطبق هذا على الشعر العامي . وقد اعلنا مرارا ان العامية ظل للفصحى وهي تعيش في كنفها ولا يمكن ان تطغى عليها . وفي الجمعيات التي اسسناها في الوطن والمغتربات ، وفي المؤتمرات التي عقدناها ، وفي كتاباتنا في الصحف نادينا بأننا انما نسعى الى جذب العامية نحو المشكلة لتتلاقيا في حدود مسافة من الطريق يكون الوقوف عندها مقبولا ، فلا تبقى هنالك هوة بين اللغة الام وربيبتها ــ ظلها العامية الا في التشكيل بالحركات اذ لا فارق في المعنى المقصود بين قولنا : « ذهب سعيد الى المدرسة » ببناء فعل (ذهب) الماضي على الفتح ، ووضع علامة تنوين الرفع على (دال) سعيد ، وجر كلمة (المدرسة) بالكسرة ، ولفظنا الجملة ذاتها بتسكين آخر حروف الكلمات المذكورة كلها .

ان شعر نعمه قازان فصيح بمشكله وعاميه ، وموهبة الله الغزيرة الفياضة المتدفقة فيه كونت منه شاعرا محلقا فذا في شقي الشعر كليهما ، وجعلت لشعره نكهة وعبيرا مميزين . وهو ذو نفس طويل قلما يجاريه مجار في مضماره .

في (ريو دي جانيرو) تزوج نعمه قازان ابنة شريكه سليم رزق ، ورزق ابنة وحيدة تحمل اسم (حياة) . ومنذ سنوات كثيرة اوقف الشاعر وعمه مصنعهما ، وانصرف نعمه قازان الى التعمق في تأملاته والى نظم الشعر . وسبب اطلاق نعت (العائلة المقدسة) على عائلته انه حيي حياة روحية مرافقا الله ، متخذا من ربه قدوة ، متوجا قصائده وممهدا لها بأقواله وآياته .

وبعد غربة امتدت اثنتين وخمسين سنة متصلة في البرازيل انتقل الشاعر من الارض في الثاني والعشرين من ايلول ١٩٧٩ .

في كل ما اوردنا آنفا عن شاعرنا ذكرنا انه (انتقل) ولم نذكر انه مات ، فهو لم يكن يؤمن بالموت الا انه الانتقال الى الحياة . وفي قصيدته (انا الدنيا) ، التي ترجمت الى معظم اللغات الحية ، نرى عقيدته هذه بارزة واضحة .

سنة ١٩٣٧ نشرت له في البرازيل قصيدة مطولة

تحمل اسم (معلقة الارز) ، وسنة ١٩٦٤ صدر له في بيروت ديوان باسم (المحراث) احتوى بعض قصائده من ١٩٣٨ الى ١٩٦٠ ، وجاءت كلمة الاهداء فيه : « الى اخي الانسان في كل زمان ومكان » . اما شعره بعد ١٩٦٠ فلم يصدر مجموعا ، وعلمنا من شقيقته السيدة (اديبة) ، التي عادت من البرازيل منذ مدة قريبة ، انه معد للطبع باسم (الكوثر) . وكان قد صمم ، منذ خمس سنوات على المجيء الى لبنان ليشرف على طبع شعره ، وقد وضع مكتب (البيدر) بتصرفه ، ولكن الاحداث ، التي ما تزال مستمرة ، حالت دون تصميمه .

حتى العشرين من عمره كان ينشر شعره المشكل باسم (بدوي البقاع) ، اما شعره العامي فكان ينشر باسم (فرخ النسر) . ولكننا أمطنا اللثام عن (فرخ النسر) في (البيدر) وأعلنا انه نعمه قازان نظرا لما رأينا من الاجادة والبراعة والشاعرية والعبقرية في شعره العامي . وحتى ذلك الحين كان الذين يعرفون ان (فرخ النسر) هو نعمه قازان يعدون على اصابع اليد الواحدة .

بين ١٩٢٦ و ١٩٢٩

تحت عنوان (يومان) كتب قازان ما يلي :

« لا معلم للانسان الا نفسه . من يتتلمذ على غير هذا المعلم قد يتسنى له ان يعرف كل شيء ما عدا الحقيقة .

القاتل مسؤول عن جريمته ، اما المحرض على القتل فمسؤول عن جرائم العالم كلها .

القاتل مهاجما والقاتل مدافعا واحد لان العامل في كلا الحالين واحد .

ما دمنا لا نقتل خوفا من السجن او من الله ، واي شيء آخر ، فنحن قتلة . ولن نتحرر من القتل حتى نعرف عن طريق معرفة الذات ان القاتل لا يقتل الا نفسه ، وانه لن يبارح سجنه ، ولو خارج السجن ، حتى يدفع الفلس الاخير .

سيظل للقتل مبرر في عقول الناس ما داموا يرون الموت أمرا طبيعيا لا بد منه » .

وعنوان (يومان) هو لقصيدتين : الاولى نظمها سنة ١٩٢٦ على اثر حادثة جرت في سوق الغرب ايام كان تلميذا ، وسببها خلاف وقع بين تلاميذ مدرستين في لعبة كرة القدم وسماها (يوم وحش) ، والثانية نظمها سنة ١٩٢٩ في البرازيل على اثر حادثة مماثلة ، وسماها (يوم انسان) . وفي تأمل ابيات القصيدتين يبرز التحول الذي طرأ على تفكير شاعرنا منذ العام ١٩٢٩ — ولا بد هنا من الاشارة الى ان نعمه قازان كان شجاعا قوي العضلات وقد اشتهر بذلك في مطلع شبابه .

يوم وحش

لله يوم بـ (سوق الغرب) لا طلعت ... شمس على مثله : كم كان منحوسا
يوم تجافى به الطلاب فاحتكموا ... وعندما جاء لون الحكم معكوسا
دارت رحى الضرب حتى لم يعد بدني ... يحس بالضرب مهما كان محسوسا
وكنت أحمل موسى حدها لهب ... طاشت بكفي فكادت تحلق الروسا
وبعد ان فر اصحابي ولا سند ... بقيت وحدي أنا والعار والموسى
وضايقوني ومذ ضاقت بهم حيلي ... نفرت كالوحش لما ذيله ديسا
ورحت أضرب كالمجنون ـ واخجلي ـ ... روسا كاني بها أطرا من الكوسى

يوم انسان

وأحمق لم تنل مني حماقته ... وليس لي ناقة معه ولا جمل
قسا عليه أخي يوما بصفعته ... فمال صوبي يريني أنه رجل
ودس في جيبه كفا فقلت له : ... ما خيب الكف لا تاتي به الحيل
ولم تكن غير ومضات ويجبهني ... مسدس طائش مقداحه الوجل
ما كاد يهوي به فوقي ليقتلني ... حتى هويت كاني فوقه جبل
واذ رآه بكفي صاح : وا أجلي ! ... فقلت : لا، لا تخف، لم يحضر الاجل
وصحت في وجهه لما تماوت : قم ... اني بعثتك حيا أيها (البطل)

وكلمة (البطل) الواردة هنا تذكرنا بما كتبه على رسمه الذي أهداه الينا في منزله في البرازيل سنة ١٩٤٩ : « الى الشاعر القائل : « بيجوز تاكل كف ونعدك بطل » ، وهذا آخر شطر في قصيدة القيناها آنذاك وكان هو حاضرا تلك الامسية الشعرية في النادي اللبناني في (ريو دي جانيرو) ، وفي أخذه هذا الشطر لكلمة تقديم الرسم ما يكشف التحول الذي طرأ على تفكيره منذ العام ١٩٢٩ فمال به الى اللين وأبعده عن العنف وانتزع من قلبه جذور البغضاء لتحل فيه المحبة — المحبة التي جعلها مذهبا له اذ ادرك ان الله محبة . وقد تغنى بالمحبة في شعره باسهاب وتفصيل حتى كادت لا تخلو من ذكرها واحدة من قصائده :

«ألا كل دين ، ما خلا الحب ، بدعة ... وكل اجتهاد ، ما عداه ، ظنون »

من آراء الادباء في شعره

مما كتبه جورج صيدح سنة ١٩٥٧ في مؤلفه (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) :

« لا سبيل الى انكار شاعريته مهما تضاربت الآراء في صحة اتجاهاته وجودة فنه ... ان شعر قازان ينم عن شاعرية فياضة مطبوعة وعن تفكير عميق مستنير يطوع القوافي بمقدرة عجيبة ، ولكنه يتخطى الشعر الى الفلسفة الجافة حينا ، ولا يوضح الفكرة في شكل ناصع احيانا . فان عابوا عليه الانحدار الى مستوى الكلام العادي والاستهتار بقواعد اللغة والعروض أجاب :

اذا قام شعر بالفاظه ... تكون القواميس خير الكتب

وكم رق شعره وراق متى خرج من الفلسفة الميتافيزيقية الى جو الناس :

قالت وقلت كاننا في بابل ... حتى رنت ففهمت بالالحاظ
وتمردت روحي على جسدي كما ... يتمرد المعنى على الالفاظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما كتبه سنة ١٩٥٧ الاديب المحامي انطون قازان :

« لم تنفصل حياته عن شعره ، ولا تميزت حقيقته عن انتاجه ، فهو وحدة انسانية شاعرة .

ان الباحث في ادب هذا الشاعر لا يعاني مشكلة الاخلاص ، ولا يسائل نفسه عن مدى التمثيل في ادبه ، فقد تمرس بالفضيلة كانسان ، وغناها كشاعر ، فأحسن فعلا وصدق قولا ، وكان شاعرا مخلصا منسجما .

لم ينادِ بالفضيلة على تجهم ، وبالكرامة على احتفال ، فاستحق نفور المرحين او هزءهم ، بل انشد الفضيلة المطمئنة والكرامة الفرحة ، فاذا هو شاعر التفاؤل والقوة .

أطل على الشعر بروح وثابة وعين كأنها نظرت طويلا الى الاشياء فملت معتادها ... وما لبث ان انتفض انتفاضته الكبرى وقد ادرك ان الاخلاص للحق وللادب معقود على جبين ثائر وفي قبضة عاصفة ... فثار .

يريد البساطة في الاسلوب والصراحة في الكلمة . لم يغره دوران على اللفظة ولولبة في الاداء مع ما فيهما من اغراء ومتعة ، بل نفذ توا الى حقيقة ما يريد بوضوح المؤمن ورجولية الثائر ، فهو يتناول اعمق المواضيع ويعالجها بلغة الناس . ليس للفظة عنده تلك الخطورة التي للفكرة والمعنى .

ليست (معلقة الارز) كل انتاج نعمه قازان ، وربما كانت مرحلة واحدة من مراحل شعره ، لكنها مرحلة كان لها تأثيرها العميق في الادب العربي عامة والادب المهجري بصورة خاصة ، ولقد احدثت ضجة كبيرة بين الادباء ، وتناولها عدد لا يستهان به من النقاد ، فكثرت حولها الاقوال وتعددت الآراء . ولقد اعجب بها كثير من ادباء العرب وادباء الغرب فعني بعضهم بترجمتها الى لغاتهم لما حوت من فكر جديدة وانطلاقات موفقة في سبيل ادب انساني شامل .

اما بعد (المعلقة) فقد تحول نعمه الى شاعر روحاني صرف واتجه الى الكتب المقدسة وهي خير معين نهل منه كبار العباقرة في الغرب والشرق . وهو يواصل رسالته الداعية الى المحبة والرحمة — كل ذلك بشعر صاف يدنو كثيرا من الشعر الصوفي على مفاهيم جديدة ومضمون أخاذ ، ساعيا الى ادب عالمي روحاني ، ذاهبا عمقا بقدر ما هو ماض اتساعا ، خالعا على شعره هذا اثوابا انيقة جميلة هي غير اسلوبه في (المعلقة) .

وعلى الجملة : ان نعمه قازان شاعر بكل ما في هذه الكلمة من معنى وسمو ، جمع الفضيلة الى العبقرية ، والصدق الى الخيال . وسعت عوالم النفس عنده ، وثقب نظره في تطلعه الى الاعماق ، فغدا على شمول في المضمون يغبط عليه . حسبه انه اوجد جديدا في الادب واحدث هزة في كيانه ، فكان من القلائل الذين وسموا تاريخ الشعر العربي سمة لا يمحوها الزمن ... انه باق » .

ومما كتبه (البدوي الملثم) في مؤلفه (الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية) ، بين ١٩٥١ و ١٩٥٣ :

« هو لا يؤلف او ينظم طمعا بالكسب والزلفى ، انما النظم عنده هواية خاصة . انه شاعر بالسليقة ، شاعر بأخيلته وابتكاراته . وفي اسلوبه الشعري جزالة ورشاقة واصابة الهدف — كما يقول توفيق ضعون في مقدمة (معلقة الارز) — ونحن ، اذا استرسلنا في قراءة (المعلقة) وانعمنا النظر فيها ، تبينا مكان العاطفة الصادقة في شعر قازان ، ولمحنا في ابياتها دقة التصوير والشعور الفياض . و (معلقة الارز) بقياس الزمن قديمة بعض الشيء ، ولكنها جديدة كأنما هي بنت الساعة من حيث قيمتها الادبية والفنية وقد اهداها الشاعر قازان « الى حفنة تراب في جوار الارز » — اي الى روح أمه .

كانت (معلقة الارز) نقطة فاصلة بين عهدين من حياة شاعرنا ، فالعهد الاول تناول شعر الشباب الحائر المتسائل ، والعهد الثاني اشتمل على شعر جديد هو الشاعر نفسه ، وفي هذا الشعر نحا قازان منحى جديدا يختلف كل الاختلاف عن الشعر العربي المعروف منذ قديمه الى عصرنا الحاضر ، وبهذا المعنى يقول الكاتب المصري المعروف عزيز فهمي :

« ومعلقة الارز للشاعر قازان من هذا النوع الذي يلهمه الله ولا تتصيده العقول . هي شعر لا يوصف ولا يتحلل ، فاذا هيأ الله روحك لاستساغته وجدت نفسك تنشد ما يماثله ، فان لم تفعل فهي الالفاظ تتدلل عليك » .

يقول بعض هواة الادب والعاملين في حقله ان قازان نحا في الشعر العربي المعاصر نحوا جديدا ، واخذ ينشر روائع روحية لا عهد للناس بها . وتتلخص النفثات ، التي شرع قازان في نشرها على الناس موطنا ومهجرا ، في رسالة جديدة يدعو فيها (الانسان الجديد) للتجدد في جديده كيلا يصير الجديد عتيقا . ويؤمن بأن لا خلاص للانسان من العبودية الا بخلع (الانسان العتيق) ولبس (الانسان الجديد) .

وفي رأي قازان ان الشعر هو ظل الشاعر ... وهو يؤمن بأن البذرة الاولى للانسان هي بذرة الهية صالحة ، لكن جهل الانسان هو الذي افسد تلك البذرة الالهية بتكالبه على الحياة وجوعه الى ما يفيض عن حاجته . وما الانسان ، في عرفه ، الا مزيج من كينونة وصيرورة . والانسان حي بكينونته وميت بصيرورته ، اي بجوعه الى ابعد من حاضره — الى الزمن ، لذلك فهو يخاطب يسوع بقوله :

يا كائنا عاش في كينونة أبدا ... صيرورة المرء (شطر) بعد توحيد
أخوك مذ (صار) صار القبر قبلته ... يهوي اليه كمشدود بجلمود
يشتاق بعثا ودون البعث معركة ... هيهات يقحمها غير الصناديد

للسيد المسيح اثر ملحوظ في حياة الشاعر اذ يعتبر (المعلم الصالح) المثل الاعلى للانسان .

وقازان شاعر يؤمن ايمانا عميقا باله واحد قدير

خلق السماوات والارض ، فتراه يحدق في الشمس والقمر والنجم والزهرة والساقية فيرى (يدا) في كل منها لاله غمر الفلك الدوار نورا وفيض اشعاع :

حدقت بـالله يومـا ... حتـى حرقت الجفون
وسوف أنعـم فيـه ... ولـو حرقت العيون
أحسـه في حسـا ... تضيق عنـه الظنون
لو رحت أجلوه نطقا ... فالنطق عـي حرون
أو رحت أجلوه لفظا ... فكـل لفـظ سكون
أو رحت أجلوه رمزا ... فالرمـز فـن خؤون
أعريت بالصمت عنـه ... والصمت أعلى الفنون
آمنـت بـالله حتـى ... قيل : اعتراه (جنون)
أحبـه ، وقليـل ... بمن أحـب الجنون
الله ، لو يعلمون ...
الله ، لو يؤمنون ...
فلتنزلـن العـوادي ... ولتبطشـن المـنـون
حـر فلست أبالـي ... بكل مـا قـد يكون
ان كان هذا جنونا ... رباه زدني (جنون)

ومما كتبه ميخائيل نعيمه سنة ١٩٦٥ على أثر صدور (المحراث) :

« ... المحراث ونعم الاسم ... اجل نعم المحراث ونعم الحارث ، ونعم الزرع والزارع . فأخونا نعمه هو احد القلائل في دنيا العرب الذين ادركوا ان النفس هي الحقل الاهم والاحرى باهتمام الانسان من جميع الحقول الاخرى التي ينفق عمره في حرثها فلا يستغل منها سوى الوجع والمرارة والخيبة والموت .

ويبدو من (المحراث) ان صاحبه يعرف التربة التي يحرث ، ويعرف كيف يختار لها البذار ، وذلك لم يتأت له الا بعد جهاد طويل من مغالبة النفس بغية الوصول الى صحيحها من خلال رغوتها . ولانه أعطي موهبة شعرية فذة فقد آثر ان يفرغ خبرته في قوالب الكلام الموزون ، وان يتقيد بالروي الواحد في القصيدة الواحدة . وانه لمن العجب ــ والمواضيع دقيقة ومعقدة وشائكة الى حد بعيد ــ ان لا تضيق بها الاوزان والقوافي ، وذلك شاهد للشاعر بطول النفس وحسن الصنعة مع الامانة التامة لفكره وعقيدته » .

ومما كتبه اديب وليم صعب سنة ١٩٦٥ على اثر صدور (المحراث) :

« ما هي خطوط (المحراث) ومناهجه ؟

للاجابة عن هذا الاستفهام سنتتبع مراحل الكتاب الزمنية ، فقد جعلها الشاعر في بابين ، يضم الاول ما نظمه بين ١٩٣٨ و ١٩٤٨ ، والثاني ما نظم بين ١٩٤٩ و ١٩٦٠ . والذي يقرأ قصائد المجموعة يتبين له الخط الجامع بينها وهو الاتجاه الى الداخل والتوغل في اعماق الذات . ولئن ضم الباب الاول بعض الموصوفات الخارجية فان في الباب الثاني انصرافا الى النفس ومحاولة فهم العالم من خلال التجربة المسيحية ، وهو يصدر معظم قصائد هذا الباب باقوال من الانجيل .

يقال في نعمه قازان انه صاحب رسالة وهي رسالة غامضة مقتصرة على لغـة الايماءة والايحاء . اجل ، فالشاعر ملتزم في خط حياتي فرضه هو على نفسه وراح يخرجه بواسطة الشعر . أراد ان يحقق ذاته بالشعر فتوصل الى اغراق عميق في الصوفية .

وقد بلغ به التأمل في الحياة والوجود ان جعل نفسه واحدا والقصيدة :

«أنا القصيدة،ما شعري وما ادبي ؟ اني لأبرأ من شعري ومن أدبي »

اما رسالة قازان ، التي يجد بعض المطلعين على شعره انهـا رسالة غامضة ، فأراها واضحة وضوح الشمس ، فهو يدعو الى القيم : الصدق والمحبة والولادة الجديدة والحرية والحق والخير والتسامي الـى الله ، مستمدا تجربته من تعاليم المسيح .

وفي قصائد القسم الثاني تحول كلي الى الداخل ، الى اعماق الذات ... انه امتداد للبذور المغروسة في قصائد المرحلة الاولى .

ينطلق الشاعر من ذاتيته المسيحية الى وطنه ثم الى الانسانية الشاملة المتعالية عن حدود الزمان والمكان ، المتمثلة في كل اين وآن ، فالشعر عنده ليس خواء ، انما شعره هو . من هنا ينفرد نعمه قازان بصوته عن اصوات اترابه المهجريين ، ولا سيما اولئك الذين التزموا الخط الوطني فجاءت معظم قصائدهم انعكاسات خارجية متقلبة بتقلب الظروف والاحوال ، ولا مبرر لكونها شعرا سوى الاوزان والقوافي ... قازان ليس من فئة « الشعراء الاحرار » ، وهذا سبب له الكثير من الاجحاف لـدى الدارسين والمؤرخين للشعر المهجري الذين ينسخ عنهم الاكاديميون ، طالبـو الرتب الجامعية والالقاب ، دون الرجوع الى المصادر الاصلية المسؤولة . ولو اردنا ان نقيم الناحية الوطنية في الشعر المهجري لما وجدنا ما ندرجه تحت باب الشعر سوى الحنين الى الوطن . لا نعني بهذا ان قازان خال من الشعر القومي : يكفي ان يصف قريته ويعبر عن مشاعره نحو تلك التي ماتت وهي تنتظر عودة ابنها ــ ذلك ، وحده ، يكفي محبة للوطن وبرا به . والذي يقرأ (معلقة الارز) للشاعر يحس بالجذور القومية المتغلغلة في اعماق الشاعر الذي يختمر تراب موطنه في نفسه مهما طال تغربه عنه ، وهذا ما نستشفه ايضا لدى قراءتنا قصيدته العامية الطويلة (ابن الضيعه) .

تضم (معلقة الارز) آراء الشاعر في الحياة والكون والفن ، فهو يفتتحها معارضا دعاة الجمود في كل زمان ومكان ، الذين « وقفوا بالباب ولم يدخلوا » . ويردد هذا البيت عدة مرات خلال القصيدة :

وقفتـم ببابـي ولـم تدخلـوا فمـاذا تريدون يـا اخوتي ؟

ثم يدعو الشاعر الى التجديد والى الثورة على القيود المفروضة على الشعر من الخارج والغريبة عن طبيعته . وهنا يذكر وطنه ، ويشد به الحنين الى الارز والى حفنة

التراب التي هي امه ، ويذكر غربته المرة عن وطنه وعن نفسه ، فهو يرى نفسه في الغربة كأنه غيره ، ويدرك ان « النفس تحيا باحساسها » .

ونتكلم ، الآن ، عن (ابن الضيعه) ، فهي قصيدة طويلة نظمها الشاعر باللغة العامية ، وتدور حول الهجرة من القرية الى المغتربات الاميركية . يروي نعمه في مطولته (ابن الضيعه) حكايته وحكاية كل مغترب بصدق وعفوية بحيث تتسلسل الكلمات ومعانيها دون جهد . ويصور في قصيدته مآسي الغربة ، مظهرا الحقيقة الناصعة لدوافع الغربة ، وهي حكاية الشاعر الواقعية كما هي . احب فتاة من قريته ، ولكن دوافع الهجرة كانت ملحة عليه ، فركب البحر رغم توسلات امه ، وخلفه دمعتان : دمعة امه ودمعة حبيبته . وحل في القارة الغربية وكلمات امه سوط يسلخه وصوت يهدر في حواسه فيحترق ندما على هجره الضيعة ، ويترحم على امه ، ويعبر عن شوقه وحنينه بأرق ما يكون التعبير ، متذكرا الحياة في القرية . اما السهولة وعدم التكلف فظاهران في القصيدة من اولها الى آخرها . وهذه القصيدة من روائع شعرنا الحديث ، ولا يمكن للشاعر او لغيره ان يكتب ما يعادلها باللغة الفصحى من حيث مخاطبة القلب المباشرة . وارى ان هذه القصيدة اروع ما كتبه نعمه قازان ، وانها تجيء في ذروة الشعر المهجري ، وهي اصدق تعبير عن حالة المغترب وخلجاته النفسية ، فهي ، بحق ، ملحمة الهجرة ، وننتظر من الشاعر ان ينشرها في كتاب على حدة .

نعمه قازان شاعر بكل ما في الكلمة من ابعاد ، فله رؤياه الشعرية التي تشمل كل ما في الوجود وما وراءه . فهو ينظر الى الكون نظرة كلية ، ويكتنه احداثه وجواهره بلمحة خاطفة ... يرى كل شيء وفي السر يحيا ... وهو شاعر النفس وشاعر التجربة المسيحية ، وتعرف عائلته في (ريو دي جانيرو) بالعائلة المقدسة ، فشعره صورة عن تجربته ، ولم يكن مبالغا حين صرح بأنه القصيدة » .

وحول كلمة اديب صعب كتب نعمه قازان الى ميخائيل نعيمه :

« واديب صعب ــ كما علمت ــ لا يزال في فجر العقد الثالث ، فهو اكبر من عمره واسبق من يومه . لم يعتمد بعد بمعمودية النار فلم تكوه الحياة بمكواتها ولم تقلبه على مقلاتها . فهو وامثاله ــ ساعدهم الله على محيطهم ــ بركة على الادب ، وثمرة بكيرة تشهد شهادة صارخة على ان الحقل مبارك وذو تربة خصبة ، وان الفعلة بدأوا يفدون على الحقل ، وان الموسم يبشر باقبال عظيم » .

كما كتب الشاعر الى نسيبه المهندس اديب قازان الذي اشرف على طبع (المحراث) ، بعد اطلاعه على كلمة اديب صعب وعلى احدى قصائده :

« أهنيء سلفا البقعة العربية عامة بهذه السحابة الجديدة ، ولبنان خاصة بهذا الشاعر الحامل الذي لا يعلم حتى هو ماذا يكمن وراء لسانه » .

ونحن انما نثبت هنا ما كتبه الشاعر قازان عن اديب صعب لاننا شعرنا بأن صاحب (المحراث) رأى في كلمة اديب صعب فيه ما كشف حقيقته وجلا الغموض الذي اتهمه به بعض الناقدين ، وقد جاءت الكلمة جامعة شاملة وكان كاتبها لا يزال طالبا جامعيا في العشرين من سنه ، كما اورد فيها شيئا هاما جدا عن نعمه قازان لم يأت على ذكره النقاد والباحثون في الشعر المهجري ، وهو شعر قازان العامي الذي بلغ الذروة والذي سيحدث دويا عاصفا عندما ينشر مجموعا . هذا الشعر العامي الذي تأتي الكتابة عن نعمه قازان ناقصة اذا لم يكشف عنه الستار .

بعد ان أثبتنا ، في ما تقدم ، هذا العرض عن شاعرنا الكبير الموهوب ، لا بد من الاشارة الى ان قصيدته ، سواء أكانت مشكلة او عامية ، تشكل وحدة تامة مترابطة ، وان موهبته الشعرية غزيرة فوارة متدفقة . اما تمرده على ما وضع قديما من اصطلاحات للشعر حول ما يتعلق باللفظ فلم يتجاوز ، احيانا قليلة ، عدم اشباعه (ميم) جمع الذكور ، والضمير (الهاء) اذا كان الحرف الذي قبله محركا ، واستعمال الاندر من النادر من الكلمات العامية اللطيفة التي لا تنطبق عليها صفات العامية الكاملة ، وتكرار كلمة (القافية) بطريقة مقبولة ومحببة ، ولكنه لا يتساهل مع نفسه بالقواعد الاعرابية النحوية فهو فيها ضليع خبير طويل الباع .

لقد اوردنا بعض آراء الادباء فيه ، اما الراي الاصح والاكمل والمفضل فرأيه هو ذاته في نفسه ، ولا يمكننا ان نستخرج هذا الراي الا باثبات بعض نماذج من شعره المشكل وشعره العامي ، فشعره افصح واصدق متكلم عنه ، مع الاشارة الى ان شعر نعمه قازان كله نماذج رفيعة رائعة يحتار الباحث في ما يثبت منها وما يترك ، وجل ما نتمناه ان يكون هنالك اهتمام جاد لنشر نتاجه الشعري كله في المشكلة والعامية ، فهو ذخيرة ثمينة نفيسة يفاخر بها الشعر كما يفاخر وطن نعمه قازان .

من شعره المشكل

من اولى منظوماته :

يا نفس ، طوبى لن قد ضاع اجرهم ... فالشعر للشعر عيبي من مناهله
لا يسأل الزهر عمن راح ينشقه ... ان كنت زهرا ففوحي في خمائله
فالغصن ان نضجت اثماره ذبلت ... وخير ما يشتهيه قطف ذابله
يبقى الغني فقيرا في عواطفه ... حتى ينال الغنى من عين سائله
لكل معط نصيب من عطيته ... من يزرع الفقر يحصد من سنابله

من (صوت البشير)

في ذمة الله من في فقرهم سعدوا ... عاشوا وما ذكروا، ماتوا وما قبروا
جاعوا وما كفروا،طاعوا وماصغروا، ... أعطوا وما شكروا،أغنوا وما افتقروا
البغض كالحب موكول بنيتهم ... والشر كالخير موكول به القدر
هذي جهودهم الخرساء ناطقة ... هم الالى عمروا الدنيا وما عمروا
اقول ــ والموت خلف الباب ينتظر : ... ما كل نفس وراء القبر مائتة
النور نار ، ولكن ليس يستعر

من (لبنان)

يا رسول السلام بين الانام ... نحن للحب والهوى والوئام
نحن قيثارة الحياة ، عيها ... ينقر الحب اعذب الانغام
نحن جند السلام في كل ناد ... وصداه في افقنا المترامي
قسمتنا الحياة بين بنيها ... رب جمع يتم بالانقسام
فغدونا خميرة في عجين الـ ... ارض نغزو مجاهل الاقوام
وحملنا رسالة الله حتى ... لا سبيل لنا الى الاحجام
قد وجدنا الانسان اخرس فكرا ... فنفخنا في الحرف روح الكلام
ووجدناه مقعدا عند شط ... فخلقنا له جناحي حمام
مذ خطونا في الازدحام فرادى ... وسعتنا الدنيا على الازدحام
ما النفتنا الى الوراء لاتا ... حيث كنا فاتت ملء المقام
قد حملناك في القلوب حنينا ... واحتضناك دمعة في العظام
كذب القائلون انا حسام : ... نحن ذخر الايام للايام
والذي يمنح الوجود بنيه ... لا يقيه الا امتشاق السلام

من شعره العامي

ودع صديقه الشاعر خطار رشوان الذي جاء في زيارة الى لبنان بهذه القصيدة :

من الحرقه وكثر اللوعه ... الدمعه بتطفي الدمعه
وما دام رايح تاترجع ... رح ضوي لالله شمعه
تا ترجع بالسلامه ... وعا قبال روحه بلا رجعه
يا نسر الـ راجع عالوكر ... وكلو شوق وحب وذكر
خوذ بقلبك (فرخ النسر) ... ان كان باقي بقلبك وسعه
شوق الغايب للبنان ... شوق البزره لنيسان
وشوق المعنى للفنان ... وشوق القطره للنبعه
ان شفتلك شي ختياره ... كانت لامي جاره
جبلي زر من زرارا ... ومن ثوبا شقفة رقعه
وان شفت الحلوه السمرا ... ولو كانت باخر عمرا
جبلي من عينا نظره ... ومن عين الضيعه جرعه

وعاد خطار رشوان من لبنان الى البرازيل فاستقبله بقصيدة مما جاء فيها :

جايي فرفك ديي بديك ... ومرمغ رجليي برجليك
بحيثك جايي من لبنان ... وبعدو غبار الجنه عليك
يا مسلم على (خطار) ... بعد رجوعو من المشوار
لا تنفض عنك الغبار : ... غبار الجنه غالي كثير
عيش واوعا تغسل ديك ... ما دام بعدو غبارو عليك

من ملحمة (ابن الضيعة)

من يوم تركت الضيعه وشلحت النير ... تركت الجنه وشلحت طوقي الحرير
مشتاق ارجع عالضيعه مشتاق كتير ... ومشتاق اكتر لو بقدر ارجع زغير
طلعت وطلعت ورايي بنات الحي ... وصار البكي يزداد شوي ورا شوي
وطلعت الضيعه تمشي بجنازة حي ... وبكي القلب اللي كان محجر تحجير
(أستير)بكت بالمخفي ـشفتا مرتين ... عيني كانت عليها وكل حفنه بعين
وما عاد معي من الدمع غير دمعتين: ... دمعة امي ، والثاني دمعة (استير)
محارم بيضا بتلوح وبتشلي دموع ... وتران طالع عميصرخ ، قلبو مشلوع
و(سهل) عميهرب مني ويرجع رجوع ... ودمعه محقونه وفكر من دون تفكير
ولما نظرت لخلفي آخر نظره ... وما شفت امي طفرت عيني جمره
وانعصر قلبي عصره جمدت حسره ... البحر وكبرو ما طفى فيها السعير
تركت الضيعه آتلفت على الجنبين ... على امي عا عيني ، عا نور العين
وبعدين تلفت قلبي ، وروحي بعدين ... واليوم عمال يتلفت فيي الضمير

من يوم ركبت البحر وسقت الامواج ... وكلمات أمي تسلخني مثل الكرباج :
« يا ابني ما بيتغرب غير المحتاج ... ولو عاش ببلاد الغربه عيشة أمير
يا ابني جدودك هونيعاشوا وماتوا ... وما احتاجوا من عند الله غير غيماتو
ونشكر الله يا ابني عا خيراتو : ... البيت متبن من قمح وذرا وشعير
يا ابني ، هالأماركا عمرا ما تكون : ... فيها ـ يا تقبر أمك ـ مرض ملعون
شفت(فارس) كيفسافر مثل الطربون ... ورجع ـيا حسرة أمو ـ مصبر تصبير
مره زرتو قبل ما توفى بيومين ... وصار يحكي عنأماركا وغراب البين
وزلقت كلمه من تمو بتطلع رطلين ... عن الغنى وخبارو ... وعن التعتير
يا ابني،الغربه صارت أكبر ضربه : ... لبنان عميدفن حالو بأرض الغربة
محبة لبنان بالغربه اكبر كذبه ... مثل محبتنا لالله صلا وتبخير
يا ابني حاج تطلع خلف البحار ... الـ راحوا بالبحر غرقوا: البحر غدار
سافر جواتك يا ابني ان كنك بحار ... كنوز الدنيا مخبايه بقلب زغير »
الله يرحمها ويرحم كل الاموات ... ما كان أبعد مرماها بهاك الكلمات
الظاهر الله بيناجي قلوب الامات ... والـ ما بيسمع من امو ما الو مجير
مشتاق ارجع عالضيعه وانمت بعيد ... مشتاق لو بقدر اخلق فيها من جديد
تا اجمع كلمات امي وكلمه ما بزيد ... وأعمل منها انجيل وبشر تبشير
مشتاق ارجع عالضيعه تا ضم وشم ... مطرح ما دابت أمي وأكلها الهم
شدة أمي العتيقه ، لو كان لي أم ، ... بتسوى قناطير مصاري وفوقا قناطير
مشتاق ارجع عالضيعهوأكسر سمي ... وطهر بهوا الضيعه روحي ودمي
واركع مطرح ما صرخت دمعة أمي : ... «دخلكيا ابني لا تقصرعمري القصير»
يللي قاعد بالضيعه وعمبتغني ... حسنه عنك غنيلك رده عني
قلبي صدى وما عاد في الو رنه ... ولا عاد الطير يغني ولا عاد يطير
ويللي نايم بالضيعه عالحصيره ... خليك نايم : ما بتحرز ، لقمه زغيره
ولقمة أماركا لقمه بلا خبره ... مغموسه بهم وسم ودم وتعتير
ويا مكاري الـ ماشي حافي خلف الحمار ... وعمتهدس بأماركا وتلعب بالنار
ان كنو من الحفا برجلك طالع مسمار ... راسي ـأجلك الله ـ محشي مسامير
ويللي عايش بالضيعه فقير الحال ... لا تضيع غنى نفسك ، خليك رجال
الغنىما انو محصوربحصر الاموال: ... البغل، ولو أكل قمح، بيعملها شعير
ويللي قاعد عالنار وعمتشوي فكار ... نيالك : قادر تنفخ وتطفي النار
ابن الضيعه لو جاع بياكل حجار ... يا ذل الـ ما فيه ياكل والاكل كتير
من يوم تركت الضيعه وشلحت النير ... صرت من برا كبير ومن جوا زغير
مشتاق ارجع عالضيعه مشتاق كتير ... وارجع من برا زغير ومن جوا كبير
أغنى غني بالغربه مفلس تفليس ... الغربهغلطه غلطناها منوحي ابليس
ولما وعينا عالغلطه وعينا لقيس ... يا ريت وعينا حتى نوعي بكير

رأيه في الشعر والشعراء

هالغربه بدا شاعر صادق فنان ... منينمنجيبو،وهالشاعرما بعمرو كان؟
شيل (العروبه) و(حوا)و(ارزة لبنان) ... ما ببيقى غير تفكير مزور تزوير
الشعر مش ردة فعل وقالب اخلاق: ... الشعر محبه خلاقه وفعل خلاق
واللي بيحب لغايه مرابي سراق ... عمال يدين ربو بغايظ كبير
الشعر محبه ـ لا تسال شو المحبه ... لا تسالني شو ربي وكيفو ربي
الشعر قلبي وما بقدر احكي قلبي ... الشعركلمهان ما عشتاما الها تفسير
هالشعر بدو أم تهز سريرو ... بدو شي عارف يعرف كيف يديرو
بدو شاعر فلاح يكسر نيرو ... وكيفبدو يكسر نيرو الـ عايشعالنير ؟
حامل نيرو عجبينو والنير تقيل ... ودابر منباب(كافور) لباب(اسماعيل)
كاسرايدو وعميشحد منجبل لجبل : ... يا الف كسرة ايد ولا كسرة نير
ظنوا تكسير النير بكسر القافي : ... المخلع شو بيفيدو يمشي حافي ؟
وظنوا الحرف اللاتيني دوا شافي ... وظنوا تكسير النير بتغيير النير
بقافي أو بلا قافي القاصر قاصر ... بلاتيني وغير لاتيني الحرف كافر :
ابنالضيعه الـ ما بيعرف يقرا شاعر ... بيغبر عالمتنبي وعا شكسبير

وليم نجيب صعب

موديلياني.. جان الفنان الايطالي العظيم

*

اللوحـــات
أحجار القبر المتوازن
بين الدم والاجنحة القمريه
وعلى هامش ريح
يسكن خفقة نجم مصلوب

صفحات هواء مشتعله
تحمل برعمة الاشرعة البراقه
ومسافات هادئة تولد
فرح مرتعش يغزو الفرشاه
جـــان
ذهب هادىء
موديليانـــي
فسفور محترق في قمم الثلج
عبرهمـــا
يتقدم بحر للقاء

تتلاقى قمم الغابات بقاع البحر
تنطلق الجزر المسجونه
جـــان
لهب يتصاعد في خجل اخضر
وخيوط جناح
تتوالد نحو المجهول
موديليانـــي
كرؤوس جبال يعلوها ذهب ورماد
آه الزرقة ملتهبه
تحت الاشياء صلاة جحيم

تتحد الالوان بانفاس البحر
وتسير تجاه المرعى المعتم
ليواكب عاصفة حمراء

أمراء المنفى
عطر سحابات يصعد من بركان أخضر
ويجوب بمنتصف الليل المتناهي
أعلام خرساء
نبع أشقر
لبن يرشفه فجر أسود
عاصفة دون مجاديف

يحلم من أجل الموتى
ويسير كنحل فسفوري
ينزف لوحات .. رسلا تعتصر الريح

الابراج جليد يحتضن اللهب الموقوت
فيها تبتسم اللوحات
الوانا تدفع للخوف
وتشير الى جزر القمح المترمل

مجهـــولان
روعة مجد تسبح في الخلجان
تتلاطم في الظلمة والدم
موديلياني .. جان
منشور موسيقي في الوان بكاء
لون غامض
بجناحين من المطر الحاد
يرحل في الموت
عبر عناق سكون

القاهرة — عبد الشافي داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جلسنا حول مائدة حوت ما لذ وطاب، في مقهى فاخر من مقاهي الجبل ، تربع فوق ربوة مطلة على اروع ما نسجته طبيعة لبنان من لوحات يغرق فيها النظر . تهب علينا من الاعالي نسمات لا تحظى بها الا الاماكن التي جاورت السماء ومنها هذا المقهى الذي دعي بحق « مقهى القمة » .

كنا اربعة متقاربي العمر . في السن التي يبلغ صاحبها طور النضج والحكمة . ويحلو له ان يلقي نظرة على ماضيه يستنطقه العبر . جمال المناظر ونسمات الجبل تفتق القرائح وتحرك الالسنة . والمناسبة التي جمعتنا تثير رغبتنا في الكلام . فصاحب المقهى صديق قديم قاسمناه حياة الدرس واللهو في مدرسة القرية او في اروقة الجامعة . وحين تم له تشييد هذا المقهى الرائع ، متوجا به مباني « المدينة الفندقية » التي شيدها على راس ذاك الجبل ، راى ان يدعونا نحن ، رفقاءه القدماء ، في جملة الجماهير التي دعاها لتدشين المجموعة الفخمة التي قضى شطرا من حياته في تصميمها .

« مقهى القمة » . قالها الرفيق الجالس ازائي ، مفخما حرف القاف ، مبرزا حركة الكسر في « القمة » ، كما يليق بصحافي قديم ضليع من اللغة العربية ، حريص على قواعدها ، يرى من واجبه ان يلقي فيها درسا كلما سنحت له الفرصة ، حتى ولو كان الموضوع الذي يعالجه بعيدا كل البعد عن اللغة وقواعدها .

وتابع الصحافي القديم قوله : اني سعيد والله لان رفيقنا العزيز تمكن من تشييد هذا الصرح الذي يعد مفخرة من مفاخر السياحة اللبنانية . هذا الصرح كلفه الملايين واقتضى بناؤه نحو عشر سنين انفقها في تفتيت الصخور وشق الطرق ونقل الاتربة التي صنع منها الحدائق الزاهرة . انه اشبه بقصور بابل ذات الحدائق المعلقة .

تحرك الرفيق الثاني الجالس بجانبه ، وكان حتى هذه اللحظة مغمض العينين ، مستسلما لنشوة الجمال الذي ملأ حواسه . فاذا به يستيقظ فجأة ليقول :

ـ قصة شكري ناصيف قصة عجيبة تثير اهتمامي منذ زمن ويجب ان اقصها عليكم . كلكم عرفتم شكري ناصيف معرفة سطحية اما انا فكنت اقرب الناس اليه . كلانا نشأ في اسرة متوسطة الحال في قرية جبلية ، وكلانا كان اصغر اعضاء اسرته . اخوه البكر اسعد ، مثل اخي سامي ، تخرج في الجامعة ومارس وظيفته وما لبث حتى صار صاحب اسرة . كذلك

نداء القمم

بقلم روز غريب

اخي كان صاحب عائلة وراتب محدود . لكنه التزم دفع نفقاتي الجامعية تاركا لي مجال الانصراف الى دروسي دون اي شيء آخر ...

دخلت يوما مطبخ الجامعة فصعقت حين رأيت شكري ناصيف يلبس « الوزرة » او المريول الابيض وفي يده فوطة سفرة .. كان يخدم في مطعم الكلية حينا وفي المقهى حينا آخر لسد حاجته الى النقود .

سألته : ماذا تفعل ؟

اجاب : اشتغل كما ترى .

قلت : واين اخوك الموظف الكبير ؟ لماذا لا تطلب منه مساعدة ؟



فقلب شفتيه وقال : اكره شيء عندي الاستجداء . اخي صاحب عيلة وبالكاد يسد نفقاته .

ـ وانت تعمل خادما في المطبخ ؟

اجابني : ولم لا ؟ كل عمل يستحق الاحترام اذا كان فيه فائدة .

قلت متبجحا : انا لم استجد اخي ولم اطلب مساعدته بل هو الذي تطوع للانفاق على تعليمي وابى ان يذكر لي المبلغ الذي يدفعه عني للادارة كل سنة . هكذا يكون الاخوة والا فلا ...

اذكر ان الجدال طال بيننا لغير طائل ، لم يتمكن احدنا من اقناع الآخر بصحة رأيه . واذكر اني من ذلك الحين اخذت احتقر صديقي شكري ناصيف وانظر اليه بعين النقمة والنفور . كنا نتلقى دروسا واحدة وتخرجنا في كلية التجارة بدرجة عالية لكن شكري نجح في احراز الاولية في جميع دروسه . ثم ذهب كل منا في سبيله . اخذت انا في التنقل من وظيفة الى اخرى حتى رسوت على وظيفة عادية وراتب مقبول . قريبا سأحال على التقاعد واعيش عيشة خمول . اما هو فقد احتقر الوظيفة كما احتقرت انا عمله في المطبخ . اختار المغامرة والعمل المستقل . هجر البلاد متنقلا بين القارات . انتقل من مشروع صغير الى مشروع اكبر وها هو الآن صاحب ملايين . كنت قبلا احتقره حين اراه لابسا الوزرة وحاملا فوطة السفرة ، اما الآن فصرت احتقر نفسي واكن لهذا الرجل اعجابا عميقا . اذا امكنني ان اراه بين الجموع المزدحمة حوله سأصافحه واهنئه .

قال الرجل عبارته الاخيرة بصوت بادي التأثر لفت اليه الرفيق الثالث الذي كان حتى هذه اللحظة غارقا في الصمت . فاستدار في كرسيه وقال :

ـ انا لا احترم شكري ناصيف لانه عصامي فالعصاميون كثيرون . لكني اعجب به لانه شق الصخور وارتقى القمم وشيد فوقها هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدينة العجيبة فعمله شبيه بأعمال السحرة . وفي رأيي ان لا قيمة للمال ان لم ينفقه صاحبه في انجاز عمل كبير او مأثرة رفيعة القدر . اما الذين يكدسون المال لينفقوه على ملذات الطعام واللباس واللهو ، او يجمعونه ليسلموه الى الوارثين الذين يبذرونه ساخرين ممن جمعه ، فأقل ما يقال فيهم انهم اغبياء او قصار النظر .

ـ هل شكري ناصيف متزوج ؟ هل له اولاد ؟

طرحت هذا السؤال حين سمعت صاحبنا يذكر الوارثين وتبذيرهم . اذ ذاك رأيته يفتح عينيه ويرفع يديه متحمسا ليقول :

ـ كل ما سمعتم عن شكري ناصيف كلام صحيح لا يرقى اليه شك ، لكنه شديد النقص . فحقيقة الرجل لا يعرفها سواي .

ـ هات حدثنا ، هتفنا جميعا بصوت واحد . ماذا تعرف عن هذا الرجل الغريب الاطوار ؟ لقد اثرت فضولنا .

ـ ما اعرفه عنه حري بأن يدون في الكتب ، قال جليسنا الثالث متبجحا . شكري ناصيف هو الانسان الوحيد الذي استهوتني عشرته ، انا الانسان الذي لم يؤنسني في شبابي سوى عشرة الكتب والدفاتر . لازمته وكنت اقرب اليه من نفسه طوال عشرين سنة . شغل بعد تخرجه في الجامعة وظيفة ادارية لكن صاحب العمل قدم عليه شخصا لا يضاهيه نباهة ومقدرة فدفعه اباؤه وكبرياؤه الى ترك الوظيفة والسفر الى البرازيل حيث باشر تجارة مستقلة . كنت رفيقه ومديرا لاعماله الضخمة ومشاريعه الجبارة ، فما كان يضرب الا بالحجر الثقيل ، كأنما قلبه قد من هذه الصخور التي عايشها . رافقته في مجاهل البرازيل وصحاري افريقيا التي كانت مسرحا لمغامراته ، لكنه كان دائما يحلم بالرجوع الى وطنه وقريته .

دخلت عليه يوما فوجدته حزينا . منقبض النفس ، على غير عادته . كان بيده رسالة جاءته من والديه وحين سألته عن سبب كآبته روى لي حكاية ماضيه بتفاصيلها .

كان في صغره يشكو اهمال والده له وتحقيره لامكاناته . فقد باع الوالد قسما من املاكه ليرسل ابنه الاكبر اسعد الى الجامعة ثم يمهد له سبيل الوظيفة والزواج . لكنه رفض الاهتمام بابنه الاصغر الذي كان يتحرق شوقا الى العلم . ولما سئل عن السبب اجاب انه لا يتوسم في الولد خيرا ولا يرى في العلم ضمانة لمستقبل اولاده . واضاف الاب : هوذا اخوه الذي انفقت على تعليمه اموالا طائلة ، ماذا افاد من العلم ؟ بالكاد يتوصل الى تحصيل ضروريات العيش ...

لكن الام انبرت لمساعدة الابن متحدية موقف زوجها . باعت سوارين ذهبيين كانت تحتفظ بهما لايام العسر . واخذت تستدين المال لتعليمه ، مؤملة ان تفي دينها مما تحصله من الانكباب على اشغال الابرة والصنارة التي برعت فيها براعة فائقة . ومع ان شكري ناصيف عمل في المطعم ـ كما يقول صاحبنا ـ لتحصيل بعض نفقاته ، كانت امه اكبر معين له على اكمال علومه وتأمين حاجاته . وحدها آمنت به وشددت عزائمه ...

وقد رافقته في الغربة صورة امه . ظل يذكر موقفها النبيل منه ودينه لها . كان يحمل فوق صدره حرزا اعطته اياه يوم ودعها فقالت له وهي تحبس دموعها : « اريد ان اراك تعود الينا سالما ولو لم يحالفك التوفيق » . فأقسم لها بأن يعود الى القرية مهما طالت غيبته . وسيعود حاملا اكاليل النجاح .

كان يتلقى من حين لآخر رسائل تروي له اخبار الاهل والقرية . تقول له حينا ان امه مريضة او ان اباه اصبح عاجزا غير قادر على الشغل . فيتألم ويقول : « وددت لو استطيع العودة الآن لكن الاشغال تضطرني الى التأجيل . والمال الذي في حوزتي لا يحقق الآمال » .

اخيرا عاد بعد غياب يقارب عشرين سنة . عاد ليرى اباه وامه في عداد الاموات . اخوه الاكبر باع البيت القديم وانتقل بأسرته الى قرية ساحلية تخلو من وعورة الجبل ومشقة العيش بين الصخور . قريته التي احبها واراد ان يقضي فيها بقية عمره تكاد تفرغ من السكان . لم يبق فيها سوى المقبرة التي ضمت عظام والديه واجداده ، وبضعة بيوت حجرية متداعية .

لكنه كان مصمما على تحقيق مشروعه الكبير الذي استهدف به تعمير القرية وانعاشها . نصحه السماسرة بمشترى اراض سهلية تهون معالجتها واستغلالها لكنه اصر على مشترى الارض في قريته الجبلية الشامخة . واستغل اصحاب الارض اصراره فرفعوا اسعارهم حتى بلغت ارقاما خيالية . واختلقوا له منافسين في الشراء ومزايدين حملوه من المتاعب والاهوال ما لم يحتمل مثله في ديار غربته . لكنه لم يتراجع بل رضي بأن يبذل كل ما لديه من نقود لشراء الجبل بأجمعه والتخلص من المنافسين .

وفجأة وجد نفسه فارغ اليدين الا من الاراضي الوعرة التي سجلت باسمه . فلم يقنط ولم يلعن اهل الجشع والطمع بل صح عزمه على الرجوع الى افريقيا ليواصل العمل . ولما رفضت انا مرافقته في مغامرته الجديدة ، وتسلمت الوظيفة التي اشغلها حاليا في معهد مهني ، رجع وحده ، وانفق عشر سنوات اخر في جمع المال لاتمام مشروعه الكبير . وهكذا كان ...

توقف المتحدث برهة يجمع فيها افكاره ثم قال :

ـ شكري ناصيف الآن رجل كهل ، اشيب ، وحيد ، بعد ثلاثين سنة من الكفاح في ديار الاغتراب . في وجهه غضون عميقة تحدث عن كفاحه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باقة ذكريات

لا تراعي ان تغشانا المساء ... او توارى عن مغانينا الضياء
نحن يا اخت غمام خلب ... عبر الافق ووراته السماء
امسنا حلم تراءى وخبا ... بعد ان شع هناء وصفاء
وأمانينا التي رفت ندى ... لم تعد تجلو الاسى والبرحاء
وعبرنا الدرب والورد به ... فاتن الطلعة وضاح السناء
غير انا ما شممنا عطره ... فرجعنا وأمانينا هباء
يا ابنة السفح واخت المنحنى ... والربيع اللذ حلم الشعراء
حبنا الوارف في السفح نما ... كم تغنينا وكم طاب الغناء
كم رشفنا الزهر في ارجائه ... وأخذنا ووهبنا ما نشاء
وهزار الدوح يشدو فوقنا ... وحفيف الغصن يوحي بالرجاء
والندامى حمل الشوق لهم ... سامر الحي غناء وحداء
ذكريات كلما عنت لنا ... درت العين وفاضت بالبكاء
غرباء نحن في اوطاننا ... ليتهم صانوا دموع الغرباء
حبذا لو انصفوا في حكمهم ... جرحوا القلب وضنوا بالدواء
ايها الغائب عز الملتقى ... ما عرفناك ضنينا باللقاء
انا ارثيك ومن حق الهوى ... غير اني صرت احرى بالرثاء

سلمية ــ سورية

عارف تامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتروي مغامراته . تسألونني عن زوجته ؟ لا ادري شيئا عنها . لعلها رفضت العودة معه الى هنا وبقيت في بلادها . لكني اعتقد ان شكري ناصيف سعيد . سعيد لانه انجز المهمة التي نذر لها نفسه ووفى بالعهد الذي قطعه لأمه .

*

في هذه الاثناء كانت جموع المحتفلين بتدشين المجموعة الفندقية تزحف متجهة نحو الجبل . لم يسمع لزحفها اية جلبة ، كأنما سيطرت على افرادها رهبة المكان وراعهم شموخ الجبل وفخامة الابنية التي توسدت تلك المرتفعات . فحبسوا انفاسهم وخفضوا وقع خطاهم .

كذلك نحن الاربعة المتحلقين حول المائدة المثقلة بالاطعمة المختارة . سيطر علينا الوجوم وداعبت اجفاننا نسمات رقيقة تغريها بالانغلاق والراحة .

لكن اغنية انكليزية حفظتها في سن الشباب كانت تتردد في ذهني وتشق طريقها الى اوتار حنجرتي . فهمهمتها ثم ترنمت بها على مسامع جلسائي ، معيدا هذا القرار الذي يختصرها :

« لا اريد الجلوس على قمة الدنيا وحيدا ... »(١) .

غير ان الرفيق الذي عاشر شكري ناصيف عشرين سنة وزعم انه درس نفسيته ، عارضني بقوله :

ــ لا شك ان الناس مختلفون في آرائهم وهذا من حسن الحظ لان في الاختلاف والتنوع جمال الحياة ومتعتها . انت يعجبك ان تترنم بأغنيتك الانكليزية التي توجز فلسفتك في العيش . اما هو فكان يترنم بأغنية اخرى . أعتقد انه اخذها عن شاعر لاتيني قديم ، تصف سعادة الانسان المنفرد . وفي ظني انه عنى المنفرد بتصرفه ، المنكر للتقليد والتبعية ...

روز غريب

---

(١) ــ القرار هو في الانكليزية :

I don't want to be sitting on top of the world,
If I had to be sitting alone.

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

فلوبير ، تأليف فيكتور برومبير ، ترجمة غالية شملي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي ، تموز ١٩٧٨ .

١ ــ يحسن ، بل يجب ، ان تحتفظ الترجمة بعنوان الكتاب واسم مؤلفه ودار النشر باللغة الاصلية مع النص على سنة الطبع .

٢ ــ يختلف عنوان الكتاب بين غلافيه ، فهو على الغلاف الخارجي « فلوبير » فقط ، وهو على الغلاف الداخلي « غوستاف فلوبير » واشك ان يكون هذا في الاصل . زد على ما يؤدي اليه ذلك من اضطرابات « مكتبية » .

٣ ــ ثم تأتينا المشكلة المستعصية ، مشكلة الـ G الاوروبية ، فهي في لبنان وسوريا : غ ، وهي في مصر : ج ، والعراق (وغيره) يضطرب بين هؤلاء وهؤلاء . ويا حبذا ــ الف يا حبذا ــ لو توصل المجمع الى حل يجمع عليه ثم هي في الجزائر ف وفي تونس ك ... وهكذا ، وربما كانت الكاف (اي الكاف بخطين) الفارسية مما يعين على حل المشكلة . وربما استعملت ــ كذلك ــ في العراق .

٤ ــ ص ٦ « فهو يقول لـ « مونباسان » ، وتكررت ص ٦٢ .

الصحيح : موباسان ــ ولا بد من رجوع الخطأ الى المطبعة . تنظر ص ١٨٢ .

٥ ــ ص ٧ « فتشويه الحقيقة هو بالواقع سبيلا الى رفضها » .

الصحيح : ... هو ، في الواقع ، سبيل ...

٦ ــ ص ١٠ « مع قصته هيرودبا » .

الصحيح : هيروديا ــ وهو من الخطأ المطبعي . تنظر ص ١٧٢ .

٧ ــ ص ١٠ «من السهل اضحاك الناس وابكائهم» .

الصحيح : ابكاؤهم .

٨ ــ ص ١١ « يصف بلدته كرواسيه » ، ص ٢١ .

الصحيح : كرواسه لانها Croisset . وسترد في الكتاب صحيحة ص ١١٠ ، ١٨٦ .

هذا الى انها ليست بلدة وانما هي قرية .

٩ ــ ص ١٤ « لا يجب اعتبار هذه العزلة ... » .

الصحيح : يجب الا تعتبر هذه العزلة ...

ص ٤٥ « التي لا يجب ان يتخذ منها موضوعا » : التي يجب الا يتخذ منها .

١٠ ــ ص ١٩ « فنحن لا نشعر بثقل الحياة على عاهلنا » .

صحيح عاهلنا : كاهلنا .

١١ ــ ص ٢٠ « تكمن روعة فلوبير في تلك المناقضات بين « الواقعية » و « الايديالية » .

وتكررت كلمة « الايديالية » ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٥ .

مع امكان ترجمتها بالمثالية ، وان المترجمة تضع « المثالية » احيانا مكانها كما في ص ٣٩ ، ١٠٨ ، ١١٥ .

١٢ ــ ص ٢٣ « الكمال هو في اتباع لغة ادبية تذري بكل حشو » .

الصحيح : تزري ــ والخطأ بين الذال والزاي من مألوف المطبعة اللبنانية (والمصرية) .

١٣ ــ ص ٣٣ « النوايا » ، ص ١١١ .

لقد شاع الاستعمال على رغم تنبيه النقد اللغوي ودعوته الى استعمال « النيات » .

١٤ ــ ص ٣٤ « انهما وجهي ماري » : وجها .

١٥ ــ ص ٣٧ « ولم يحظ فيها سوى بالضجر » .

الصحيح : ولم يحظ فيها بسوى (او بغير) الضجر .

١٦ ــ ص ٤٢ « تطابق الانانية النفسية التي يتناولها الجزء الحادي والعشرين » : الجزء الحادي والعشرون .

١٧ ــ ص ٤٤ « الالفاز » : الالغاز ــ وهو من الخطأ المطبعي .

١٨ ــ ص ٤٥ « ليس الصراع ... تجارة رخيصة ولهو » : ولهوا .

١٩ ــ ص ٤٧ « اعلن في الرابعة عشر من عمره » : الرابعة عشرة .

٢٠ ــ ص ٤٩ « كلما شابهته كلما دنت من التجرد » .

الصحيح : كلما شابهته ، دنت من التجرد .

٢١ ــ ص ٥٢ « اي شكل يصبغ عليه » : لعل المقصود : يسبغ .

٢٢ ــ ص ٥٤ « نشأت عادة التأليف لديه بالقطع » : وردت القطع بضم القاف والصحيح كسرها .

٢٣ ــ ص ٦٣ « وكأنها ساكنة » : ورد خبر كأن منصوبا والصحيح ان يرد مرفوعا .

٢٤ ــ ص ٧٣ « نتنزه ونحن جالسين » .

الصحيح : ونحن جالسون .

٢٥ ــ ص ٨١ « هذا الفراغ ... مناط بصعوبة جمع الوثائق » : منوط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٦ ــ ص ٨٥ « الجنود يرتوون ويشبعون وــهم مستندين على مرافقهم » .
الصحيح : وهم مستندون .
٢٧ ــ ص ٨٦ « مكائد » : مكايد .
٢٨ ــ ص ٩٣ « يخل هــذا الداء المفجع نظــام الاحساس ويؤدي الى احتداد الطمع » .
الصحيح : يخل ... بنظام ... وربما كان صحيح « الطمع » : الطبع .
٢٩ ــ ص ٩٨ « من اثنتي عشر صفحة » : من اثنتي عشرة صفحة .
٣٠ ــ ص ٩٩ « اني اعتبر ان هذا الكتاب بعيدا عن كونه تكبرا وعطرسة وحشية » .
الصحيح والمناسب : اني اعتبر (او اعد) هذا الكتاب بعيدا . ولو بقيت عبارة المترجمة كما هي لما كان موجب لنصب بعيد .
٣١ ــ ص ١٠٠ « النضوج » : النضج .
٣٢ ــ ص ١٠٢ « القساوة التــي يلقاها الاسرى السياسيون المعتقلين » .
الصحيح : السياسيون المعتقلون .
٣٣ ــ ص ١٠٥ « ليست السياسة ، بالنسبــة لفلوبير ، سوى مظهرا عاما ومكروها » .
الصحيح : سوى مظهر عام مكروه .
٣٥ ــ ص ١١٤ « لا تجد اليافطات التــي تحمل اسماء القابلات » .
كلمة « اليافطات » من العامية يلجأ اليها المترجم عادة لشيوعها . وربما كانت « اللوحة » كلمة مناسبة او اللافتة .
٣٦ ــ ص ١١٤ « كان المطر ينهمر والجو بارد » : باردا .
٣٧ ــ ص ١١٥ « تحني اشجار الدرداء اعضائها برخاوة » : اذا كانت كلمة الاعضاء في مكانها الطبيعي من الاصل فالصحيح ان نقول : تحني اعضاءها . واذا كانت من الخطأ المطبعي فقد تكون اغصانها .
٣٨ ــ ص ١١٩ « فهو شاهد عيان غير مبال او ساخطا ، ومشدوها بالجموع ، مندفعا ... » .
الصحيح : ساخط ، مشدوه ، مندفع .
٣٩ ــ ص ١٢١ « البرت تيبوديه » : البر تيبوده لانــه ... Thibaudet .
٤٠ ــ ص ١٢٢ « لقد فلح ... » : افلح .
٤١ ــ ص ١٢٥ « لا يعتبره غيبا » : عيبا ــ وهو من الخطأ المطبعي .
٤٢ ــ ص ١٢٦ « فهي تمثل ... حالة نفسية ونظام فكري » : ونظاما فكريا .
٤٣ ــ ص ١٧٧ « ساموئيل بكيت » . اعتدنا كتابته صاموئيل .
٤٤ ــ ص ١٧٧ « يتوهان » : يتيهان .
٤٥ ــ ص ١٨٠ « هل يعتبر عمل النسخ عملا ساخرا او رهباني » : او رهبانيا .
٤٦ ــ ص ١٨٤ « نشر برونتيار ... في عام ١٨٩٥ ، بنده الشهير الذي يتناول فشل العلوم » .
برونتيار : برونتير لانه Brunetière .
واذا كانت « فشل » قد شاعت ، فان ذلك لا يغني عن استعمال « اخفاق » .
٤٧ ــ ص ١٨٨ « كلمــا ازداد تفكيرهما ، كلمــا اضناهما العذاب » .
الصحيح : كلما ازداد تفكيرهما ، اضناهما العذاب .
٤٨ ــ ص ١٨٩ « حتى لو كان غير مجديا » : غير مجد

(٢)

كافكــا ــ تأليف اوزبورن ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت ، المؤسسة العربية ، د.ت.
١ ــ ص ٢٣ « أنا عازب » ، ص ١٥٩ « عزوبية » : جاء في القاموس : « العزب محركة ... ولا تقل اعزب او قليل ... والاسم العزبة والعزوبة مضمومتين » .
٢ ــ ص ٢٦ « حالته خطيرة للغاية » ، في المعجمات : « الخطير من كل شيء : النبيل ، الشريف ، الرفيع » .
٣ ــ ص ٨٥ « قصة الجذع ، قصة الولد الذي يبهج ويسحر كل انسان » : اخشى ان يقصد المترجم الى « الجدع » المصرية !
٤ ــ ص ١٥٧ « ينقصهم العزم للعمل » : يعوزهم العزم ، لان العزم ــ كما علمنا استاذنا الدكتور مصطفى جواد ــ لا ينقص . وتنظر ص ١٥٥ .
٥ ــ ص ١٥٨ « الشكلة التي شيطنت حياته » . فما معنى شيطنت بالعربية ؟ !
٦ ــ ص ١٥٧ « كانوا مشلوحين من الاساطير » . ما معنى مشلوحين ... ؟
٧ ــ ص ١٦٤ « وعندما يتحدث كاموا عن النزعة الطبيعية ... » : كامو .
٨ ــ ص ١٧٣ « ان الفن الناتج لا يجب ان يفهم على انه ... » .
الصحيح : « ... يجب الا يفهم ... » .
٩ ــ ص ٨٩ « ان نصف الثماني فصول ... » .
الصحيح : ان نصف ثمانية الفصول ...
١٠ ــ ص ١٦٠ « اكتشف اربعة وقائع ... » .
الصحيح : اربع وقائع .

(٣)

زولا ــ تأليف مارك برنارد ، ترجمة غالية شملي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي ، تشرين الاول ١٩٧٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ يحمل الغلاف الخارجي اسم « زولا » ويحمل الغلاف الداخلي اسم « اميل زولا » .

المعقول التوحيد . واشك ان يكون الاصل كذلك .

٢ ــ مناسب جدا ، بل واجب ان يثبت المترجمون منا عنوان الكتاب واسم مؤلفه ودار النشر وعام الصدور باللغة التي يترجمون عنها . ولم تفعل المترجمة هنا ذلك .

٣ ــ ص ١٢ « ان الحقيقة كئيبة ... فلنأكل ولنشرب ولنشبع شهواتنا . ولكن لتنعم نفسنا بحصتها ، وليضفي الخيال علينا السعادة » .

الصحيح : وليضف .

٤ ــ ص ١٣ « سانت بيار » .

الصحيح : سان بيير .

٥ ــ ص ١٤ « كلما يعرض عليهما زولا التعاون والتآزر يثوران » .

الصحيح : كلما عرض ... ثارا .

٦ ــ ص ١٦ « انه يدرك مراده ويعمل المستحيل للحظي به والفوز » : للحظوة به .

٧ ــ ص ٢٥ « ان الاستحالات والصعوبات تستميلني ... » .

الصحيح : ان المستحيلات .

٨ ــ ص ٣٠ ، وتتكرر « مكارت » .

الصحيح : ماكار .

٩ ــ ص ٣٢ « القصة الطبيعية والاجتماعية لعائلة تعيش اثناء الدولة الثانية » .

لا بد ان تكون ترجمة الاصل : التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة تعيش اثناء الامبراطورية الثانية .

١٠ ــ ص ٤٠ « ما يفتأون ان يقاسوا من خيبة الامل » .

الصحيح : ما يفتأون يقاسون خيبة الامل .

١١ ــ ص ٥٩ « اني مغرم في تتويه قرائي » .

تستعمل الفعل تاه يتوه . والصحيح : يتيه .

١١ ــ ص ٦٨ « بعد ان وجهت اشارة الى قائد الفرقة الموسيقية تأذنه ببدء العزف » .

الصحيح : تأذن له .

١٢ ــ ص ٦٩ « الرجال الذين افسحوا امامها الطريق » .

صحيح افسحوا : فسحوا .

١٣ ــ ص ٧١ « لم يجب على سؤالها » .

الصحيح : عن سؤالها .

١٤ ــ ص ٧٢ « لم يستطيع » : لم يستطع .

١٥ ــ ص ٩١ « ان ست فتيات من اصل عشرة ... » : من اصل عشر .

١٦ ــ ص ٩٢ « عادوا سوية » : معا .

١٧ ــ ص ١٠٧ « ليس هؤلاء الموقعين الخمسة من اصدقائي » .

الصحيح : ليس هؤلاء الموقعون .

١٨ ــ ص ٧٤ « قضية درايفس » : قضية دريفس (تنظر ص ١٢١) .

١٩ ــ ص ١٢٨ « المكائد » : المكايد .

٢٠ ــ ص ١٣٥ ــ ١٣٦ « ينبغي ان يلقى بالبلهاء زمرات زمرات في ساحة الاعتصاب » .

المألوف المستساغ : زمرا زمرا .

٢١ ــ ص ١٣٧ « الفونكور » : الغونكور ــ والخطأ مطبعي .

٢٢ ــ ص ١٥٧ « قصص الى بينون » والصحيح « نينون » ، وربماكانت كلمة « حكايات » انسب من « قصص » ــ وبينون من الخطأ المطبعي .

٢٣ ــ لا تنفي هذه هذه الملاحظات قدرة المترجمة على اداء مهمتها واهليتها لمثل هذه المهمة وامكان تقدمها فيها ــ وكم كان مناسبا لو عرضت ترجمتها على من هو اعرف منها بقواعد اللغة العربية .

(٤)

علي ادهم ــ تاريخ التاريخ ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ــ ٦ سنة ١٩٧٧ .

١ ــ ص ٥٠ « والمعروف ان اول من قام بالتاليف في المغازي هو ابان بن عثمان بن عفان الذي توفي سنة ١٠٥ او قبلها ... » .

وردت ابان في هذه الصفحة خمس مرات ، وترد كل مرة منها مكسورة الهمزة . وهذا غير صحيح ، والصحيح هو فتح الهمزة : أبان كسحاب .

٢ ــ ص ٥٣ « هشام » : ابن هشام (وهو من الخطأ المطبعي) .

(٥)

الآداب الاجنبية ، مجلة ، دمشق ، نيسان ١٩٧٩ (عدد خاص عن الرواية) .

١ ــ ملاحظة عامة على هذا العدد وغيره : ضرورة اثبات المصدر المترجم عنه ، واسم المؤلف ، ودار النشر ، وسنة الطبع ... باللغة الاصلية . وضرورة ذكر اللغة المترجم عنها ، فقد يكون الاصل روسيا والترجمة الحالية عن الانكليزية ، وقد يكون الاصل المانيا ، او فرنسيا ... او مجريا ... والترجمة الحالية لم تكن مباشرة .

٢ ــ ص ٦١ : ادب المقامات والرواية التشردية الاسبانية ــ جرير ابو حيدر ، ترجمة ابراهيم يحيى الشهابي . لم يذكر المصدر ، ولا اللغة المترجم عنها .

ذكر الشريشي شارح مقامات الحريري على انه « معلق » وفي هذا تأثر باللغة المنقول عنها ، ثم اذا كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشريشي عربيا فمـــا الداعي الى كتابة اسمه بالحروف الاوروبية Sharishi ازاء اسمه ؟ ! (ص ٦٣) .

وكذلك فعل في الصفحة نفسها مـــع شارح عربي آخر بعد ان زاد خطأ جديدا هـــو الخطأ في كتابة الاسم بالعربية ، فقال : « ويبدو ان معلقا آخر هو المطريزي Mutarrizi ... » .

والصحيح : « ... ان شارحا آخر هو المطرزي » — والرسم الغربي يدل على اللفظ العربي .

ص ٦٤ « انا الذي انجد وائهم » .

الصحيح : واتهم .

ص ٦٤ « طولوليدو » Toledo .

الصحيح : طليطلة .

ص ٦٩ « ابن الجوزي ... ترك لنا مؤلفين ضخمين احدهما عـــن الاذكياء ... والآخر ... اخبار الظراف والمتجنين » .

والصحيح : ان الكتابين ليسا ضخمين . واســـم الكتاب الثاني : اخبار الظراف والمتهاجنين .

ص ٧٠ « المقامات الخمسون لأبي طاهر محمد بن يوسف السراقوستي ... ولقد رأيت من هذه المقامات نسخا ممزقة ناقصة في مكتبة القرويين في فيز Fez ... » .

صحيح السراقوستي : السرقسطي .

وصحيح فيز : فاس .

ص ٧٠ «المكتبة الاسقورية

الصحيح : مكتبة الاسكوريال . El-Escorial library

ص ٦٩ « ورغم ان الحنفي كان يعالج موضوعات تشردية ... كما انبأنا في مقدمته التمهيدية ، الفارس بن بسام راوية وأبا عمر التنوخي بطلا ... » .

هكذا يرد « الحنفي » مجردا من كل تعليق كأنه الحنفي الوحيد . والحقيقة انه « ابو العلاء احمد بن ابي بكر بن احمد الرازي الحنفي الذي الف ثلاثين مقامة طبعت في ستانبول مع مقامات ابن ناقيا في مجلد واحد — ينظر شوقي ضيف ، المقامة ، ص ٧٧ ، وفيه ايضا ان البطل هـــو ابو عمرو وليس أبا عمر . وتنظر دائرة المعارف الاسلامية ، مقامة ... (MAKAMA) .

ص ٧١ « نذكر ... مـــا قام به المؤلف اليهودي الاندلسي يهود الحريزي » في دائرة المعارف الاسلامية ، مقامة : يهودا بن شلومو الحريزي .

ص ٦٥ « فالينشيا Valencia » .

الصحيح : بلنسية .

ملاحظة اخرى : المناسب بل الواجب في المترجم ان يكون عارفا بالموضوع الذي يتصدى له ، ومترجمنا لم يدل علـــى معرفة بالاعلام العربية مـــن مؤلفين وكتب ومدن اندلسية ... كما رأينا .

٣ — ص ٢٣٩ « ومن ابرز مـــا كتبه — مكسيم غوركي — رواية حياة كليم سمفين » .

الصحيح : كليم سمفين (او سمجين او سمكين — بخطين للكاف الفارسي) .

ص ٢٤٠ « بانفيروف في روايته المسنات » .

ربما يريد « المسناة » .

٤ — الان روب غريبه وقضايا الرواية الجديدة ترجمة زياد العودة ص ٤٠٦ — ٤٣٠ .

أ — لا موجب للشدة على الياء الاولى من « غريبه » ولا حاجة الى ياءين .

ب — اسم الاديب الفرنسي المدروس مركب فهـــو Robbe-Grillet والواجب ان يظهر التركيب في الرسم العربي فيكون روب — كريه .

ج — وردت ص ٤١٨ « نهاية الرواية البالزاسية (نسبة الى بالزاك) ... » .

والصحيح ان نقول الرواية البالزاكية ، فنحن غير ملزمين بصيغ النسب الفرنسية : هم ينسبون الى بالزاك ، بالزاسيه لانهم يكتبون اسم العلم هكذا Balzac فـــاذا نسبوا اليـــه قالوا Balzacien ويلفظونها — في هـــذه الحال — بالزاسين (بالزاسي) .

اما نحن فننسب الى بالزاك : بالزاكي ... بالزاكية .

(٦)

آفاق عربية ، مجلة ، بغداد ، تموز ١٩٧٩ .

ص ٦٦ « نظرية الشعر بين لونجينوس والجرجاني — محيي الدين صبحي » .

ذكر الباحث « مراجع البحث » فقال ... « النقد الادبي — تاريخ موجز ، اربعة اجزاء من تاليف ويليام ويمزات وكلينيث بروكس ، ترجمة محيي الدين صبحي » . والذي نعرفه ان ترجمة الكتاب المذكور صدرت بدمشق عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وورد على الغلافين من كل جزء انه « ترجمة د. حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي » — صدر الجزء الاول سنة ١٩٧٣ .

(٧)

الموقف الادبي ، مجلة ، دمشق ، تموز ١٩٧٩ .

ص ٦٠ « بانوراما — القصة الجزائرية من سنة ٧٠ الى ٧٨ — الاعرج واسيني » .

أ — لم هذه « البانوراما » ؟ اما يمكن استعمال كلمة عربية ، مثل استعراض او نظرة شاملة او عرض عام ... او ما اشبه ذلك ؟

ب — ورد في « المقال » ص ٦١ « وكان القاص محمد العربي اول اديب جزائري يمارس فـــن القصة خارج الجزائر ... » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وورد في المقال اسم « رضا حوحو » وانه « كان اول من مارسها داخل الجزائر ... » .

وكان المناسب ان يشار الى ان حوحو زاول — او مارس — فن القصة خارج الجزائر ... فقد عاش في الحجاز وكان له فيه نشاط ادبي مهم ، منه قصصي ، له اثره في تاريخ الادب الحجازي ، وكان يجيد اللغة الفرنسية ، عمل سكرتيرا لتحرير مجلة المنهل ، ومما نشره في مجلة المنهل «ادباء المظهر» ، جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ ، ومن الكتب التي اصدرها او كتبها « غادة أم القرى » ، « صاحب الوحي » وقصص اخرى ، وتشير مصادر التعريف به الى مخطوطة له بعنوان « عشر سنوات في الحجاز » .

ان الاشارة الى وجود رضا حوحو (احمد رضا حوحو) خارج الجزائر والالمام بنشاطه القصصي في الحجاز من متممات بحث الاعرج واسيني . وربما كان هذا النشاط مما يجهله الكثيرون من جيل الشباب .

(٨)

الآداب الاجنبية ، مجلة ، دمشق ، تموز ١٩٧٩ .

١ — ص ٥ — ١٢ « حول الواقعية الاشتراكية بقلم اناتولي لوناتشارسكي ، ترجمة د. حسام الخطيب » .

أ — النص ، سبق ان ترجم في مصر .

ب — لم تذكر المجلة مصدر النص ، واللغة التي ترجم عنها — وتتكرر هذم الملاحظة .

ج — ص ٧ « الطبيعة » : الطبيعية .

د — ص ١١ « تنقصه تلك القابلية للحسم » : تعوزه .

٢ — ص ١٣ — ٣٨ « ملاحظات ازاء القصة الهزلية . روبرت برنارد مارتن ، ترجمة محيي الدين صبحي » .

أ — ص ٢٢ « لان المتحاورون » : لان المتحاورين .

ب — ص ٢٧ « ان الرجل العازب » : العزب .

ج — ص ٢٧ « من المفاجيء » : من المفاجىء (الياء من غير نقاط) .

د — ص ٢٨ « اشتركا سوية » : اشتركا معا .

هـ — المؤلف استاذ الانكليزية في جامعة برنستون ، والمفروض ان يأتي بحثه حسب خطة متماسكة بعيدة عن اللغو والتطويل مقتصرة على الضروري والاصيل ... ولكن شيئا من هذا المفروض لم يتحقق .

٣ — ص ٣٩ « كوليت الفرنسية » .

أ — كوليت اديبة مشهورة جدا في فرنسا ، فما معنى وصفها هنا في العنوان بالفرنسية . لا موجب الى ذلك . هذا الى انه يوحي الى القارىء العربي ان الكاتبة تعرف هناك بهذا الاسم : كوليت الفرنسية وليس لهذا ظل من الصحة .

ب — « ويللى » : ولي .

ج — ص ٤٣ « التوامان جوبير » : الصحيح التوام جوبير . وردت جوبرت ص ٤٤ باثبات التاء وهو خطأ لدى اللفظ .

د — ص ٤٣ « فأخذت من فرحي اخرخر كالقطة » . ما معنى « اخرخر » بالعربية الفصيحة ؟

هـ — ص ٥٠ « لدي امنية وحيدة هو هذا الرجل » . الصحيح : هي هذا الرجل .

و — ص ٥١ « الحنين الى الجواء الفسيحة » : ... الاجواء .

في لسان العرب : « الجو : الهواء ... والجو ما بين السماء والارض . وفي حديث علي ، رضوان الله عليه : ثم فتق الاجواء وشق الارجاء ، جمع جو وهو ما بين السماء والارض ... » .

اما الجواء فهو « موضع بعينه ... وهو خياطة حياء الناقة . والجواء : البطن من الارض . والجواء : الواسع من الاودية . والجواء : موضع بالصمان ... والجواء : الفرجة بين بيوت القوم ... والجواء ... ما توضع على القدر ... وجمعها اجوية ... » . « قال الازهري : الجو ما اتسع من الارض واطمأن وبرز ، قال : وفي بلاد العرب اجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب اليه ... يقال نزلنا جواء بني فلان ... » .

الخلاصة ان الصحيح ان نقول : الحنين الى الاجواء الفسيحة .

٤ — يوسف نونيشويلي ...

أ — ص ٩٢ « كنت في تيبليسي ... » : تبيليسي هي تفليس عاصمة جورجيا .

ب — ص ٩٧ « بمئة وعشرون الف نسخة » : بمئة وعشرين ...

٥ — المجريون .

أ — ص ١٤٩ « غمس يده في جيبه » : ادخل يده ...

٦ — اخبار ثقافية .

أ — ص ٢١٦ « يجب ان يكون الناس ... موادا تخدم الواقعية » .

الصحيح : مواد .

ب — ص ٢١٦ « ميشيل بيوتر » : بوتور .

(٩)

الثقافة العربية ، مجلة ، ليبيا ، طرابلس ، يونيو — حزيران ١٩٧٩ .

باب الحياة الثقافية ، الجزائر . أ — محاضرات (ص ١٥٥) : « في اطار التبادل الثقافي بين الجزائر والعراق ... القت الكاتبة العراقية منى كريدي ... محاضرة بعنوان : ميلاد وتطور الكتاب الثقافي في العراق » .

الصحيح : القى الكاتب العراقي موسى كريدي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو اديب قاص معروف لـــه مجموعتان ويشغل رئاسة تحرير سلسلة « الموسوعة الصغيرة » .

ب ــ « صراع الاجيال ... للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقه ... كما ان روايته « ريح الجنون » ترجمت الى البولونية ... » .

الصحيح : ريح الجنوب (بالباء) ــ وقد صدرت طبعتها الثالثة منقحة سنة ١٩٧٦ .

الخطر في مثل هذه الاخطاء ان اخبار المجلة تنتشر بعيدا خارج البلد الذي يعرف الحقيقة جيدا ، فيحسب القارىء البعيد الخطأ صحيحا ... على ما في الخطأ مما يضحك او يؤلم !

(١٠)

طه حسين ــ تقليد وتجديد (كتاب ينشر للمرة الاولى) ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٨ .

١ ــ اكثر آرائه ، سبقت في كتب طه حسين الاخرى مثل حديث الاربعاء ومن حديث الشعر والنثر .

٢ ــ وهو يصر على ان سبب وجود الغزل العذري : الفقر . وكان استاذنا الدكتور البصير قد ناقشه واثبت ان جميل بثينة مثلا لم يكن فقيرا ، فهو القائل :

ابيت مــع الهلاك ضيفا لاهلها واهلي قريب موسرون ذوو فضل

٣ ــ وفيه محاولة لانصاف شوقي . ووضع طبيعي للشعراء الشباب (العقاد والمازني وشكري) بمعنى يقلل في حدود معقولة من الشأن الذي يضاف اليهم في التجديد .

٤ ــ لم يتعرض لما سماه يوما بالانتحال ، وتحدث عن الشعر الجاهلي وكأنه امر قائم (ص ٢٦) .

٥ ــ في حديثه عن مطران ... قال : « وهو كأبي تمام كان موضوع النزاع بين مصر وبين لبنان . فكانت مصر والشام تتنازعان أبا تمام لان أبا تمام ولد وشب واقام بمصر وكذلك كانت مصر ولبنان تتنازعان خليل مطران » .

أ ــ لا بد من ان يكون قد سقط من الكلام شيء ، كأن يكون الاصل « ... لان أبا تمام ولد وشب في الشام ، واقام بمصر ... » .

ب ــ ليس وجه الشبه لدى التحقق على الوجه الذي يريد ان يظهره طه حسين .

ج ــ اذا كان لا بد من التنازع على ابي تمام فيحسن ان يذكر العراق وتذكر بلاد الفرس ... لان المنطق واحد .

٦ ــ لم يخرج طه حسين في كتابه عن حدود مصر ... ويمكن ان يعزى ذلك الـــى اسباب كثيرة منها الحدة في مصريته ... ولكن لا بد من ان يكون محدود الاطلاع على الادب العربي خارج مصر ... اقول هذا وأنا غير مقتنع فكيف يمكن لطه حسين ان يجهل المهجر ، ويجهل الاخطل الصغير وعمر ابـــو ريشه والياس ابـــو شبكة ... والجواهري ... أيكون « حفني ناصف » اجدر من هؤلاء بالذكر والدرس ... واذ ذكر حفني ناصف ، كان من الممكن ان يذكر « الكاظمي » .

٧ ــ في الكتاب استعمالات لا يقرها اللغويون ، ولا يرتاحون اليها في اقل تقدير ، من ذلك ص ٢٥ « قد لا نحس » ، ص ٦٤ ، ١٠٩ « ... بين ... وبين ... » ، ص ١٢١ « الاهالي » .

٨ ــ ورد خطأ مطبعي لا يصح ان يرد في كتاب لطه حسين فقد فتحت همزة ان (ص ٨٠) بعد حيث ، والواجب كسرها ، ورفع منصوب (ص ٩٩) : « وما اعرف شاعر مصريا في هذا العصر ... » .

٩ ــ مـــن الاستعمالات التي تلفت النظر ويحسن ادخارها للاستشهاد قوله ص ٩١ : « وكان ــ شوقي ــ اذا فرض ان تنشد له قصيدة طلب الى بعض الصديق ان ينشد هذه القصيدة » .

وقال ص ٢٧ « ولكن هذا التجديد ... لم يتعمق نفوس العرب » .

واستعمل امتاز مرتين ، فقال مرة (ص ١٢٣) : امتاز منهم ، وقال مرة (ص ١٢٧) يمتاز عنهم . واستعمل الثورة مرتين في صفحة واحدة (١٣٥) فقال « الثورة بهذا الشعر » ، وقال « الثورة على الادب » .

١٠ ــ استعمل ص ١١٧ « ملاعب التمثيل » ولـــم يستعمل « المسارح » .

١١ ــ وردت ص ١٢٩ كلمة « الدرعمي » وهي تعني النسب الى « دار العلوم » .

١٢ ــ قال ص ١١٣ « وخليل مطران قد عمر اكثر من صاحبيه (شوقي وحافظ) ، وعسى ان يكون قد نشأ قبلهما » .

فماذا يريد بـ « عسى » هذه ؟ أيثبت بها النشأة السابقة أم يريد ان يقول انه غير متأكد ؟ فاذا كانت الثانية واستعنا بأعـــلام الزركلي رأينـــا شوقي الاسبق ولادة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) . وولد حافظ ومطران في تاريخين متقاربين كثيرا . ولد حافظ سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م ، وولد مطران سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م .

ومع هذا ، فان مطران قد عمر اكثر من صاحبيه بدليل تواريخ الوفيات ، وقد توفي مطران سنة ١٩٤٩ على حين توفي صاحباه سنة ١٩٣٢ .

١٣ ــ اكثر ما يؤكده من اسباب التجديد اتصال العرب بالامم الاخرى قديما وحديثا . وكلما كان الاتصال اقوى وأتم كان التجديد اقوى وأتم ... ــ ومن هنا يقل شأن تجديد الشعراء الشباب (العقاد والمازني وشكري) .

١٤ ــ ص ١١٢ « كان ابو تمام اشبـــه الشعراء القدماء بالشعراء الاوروبيين المعاصرين ، فشعـــره ليس نتيجة للطبع الخالص ، ولكنه نتيجة للطبع والعقل والارادة جميعا » .

١٥ ــ ص ٢١ « ليس كل محافظة على القديم تقليدا

ولا كل اضافة الى القديم تجديدا ... » .

١٦ ــ قال اشياء كثيرة جيدة عن مطران ، ولكن القارىء يحس ان لديه اشياء اخرى يمنعه امر في نفسه ، قد تكون المصرية ، عن الانطلاق حرا في القول .

١٧ ــ الكتاب او الكتيب مجموعة احاديث اذاعية ورد في احدها عام ١٩٥٥ (ص ١٢١) . ونتمنى ــ بهذه المناسبة لو صدر كتاب آخر يضم احاديثه التي كانت تذيعها اذاعة الكويت في اواخر ايامه ــ وقد تتبنى ذلك دار العلم للملايين .

(١١)

المخرج في المسرح المعاصر ــ سعد اردش . الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

١ ــ كتاب جدير بالقراءة ــ ترى اما كان للمؤلف مرجع عام بالعنوان نفسه رجع اليه لدى التأليف ؟

٢ ــ يتألف الكتاب من تمهيد وسبعة ابواب . وكان الذي يقتضيه منهج البحث ان تسمى الابواب فصولا .

٣ ــ ص ١٣٠ « وجد نفسه امام حقيقتين كلاهما واقع » .

الصحيح : كلتاهما ...

٤ ــ ص ١٤٢ « كلما كانت المسرحية غنية ... كلما كانت تقدم للمخرج فرصة عمل عميق » .

الصحيح : حذف « كلما » الثانية .

٥ ــ ترجمت كلمة Catharthis ص ٢٠٧ بعاطفتي الشفقة والتطهير ، وترجمت ص ٢١٤ بعنصر التفريج .

٦ ــ يترجم ــ كما يترجم آخرون الكلمة الفرنسية Jeu باللعب (تنظر ص ٢١٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢) وهي ترجمة حرفية لا اراها موفقة والانسب ان نترجمها بالتمثيل ، لما للعب من موحيات تقلل من الشأن الفني للعملية ، ومثلها يلعب ، نترجمها يمثل .

٧ ــ ص ٢٦٢ شيللي Shelly ، الصحيح : شلي .

٨ ــ ص ٢٦٥ « كلوديل ... الذي يقدم له ... نعال الشيطان Soulier de Satain ... » .

الصحيح : Satin ... ، والـ Satin « نسيج حرير اطلس او املس » وتكون الترجمة : « نعال الحرير » او « النعال الحرير » او الحذاء الحرير اي المصنوع من هذا النسيج ...

ولا دخل للشيطان في الموضوع ، والشيطان يكتب هكذا : Satan .

٩ ــ ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ « يقدم ... فيدرا لراسين » .

الصحيح : فيدر لانها Phèdre .

١٠ ــ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ « ثلاث عروض » .

الصحيح : ثلاثة عروض .

١١ ــ ص ٢٩٣ « الورشة المسرحية » ، كذا يكرر « الورشة » ثلاث مرات وكأنها كلمة عربية وكان من الممكن ان يجد لها مقابلا في المختبر او المعمل او ما اشبه ذلك .

١٢ ــ ص ٣٢٩ « مارون نقاش » ، ص ٣٢٨ « مارون نقاش ... اما ابن اخته سليم النقاش » واشار الى كتاب الدكتور محمد يوسف نجم « المسرحية في الادب العربي الحديث » .

والذي في كتاب الدكتور نجم ــ وهو الصحيح ــ « مارون النقاش » ، و « ابن اخيه سليم النقاش » ... سليم خليل النقاش ...

١٣ ــ ص ٣٢٩ « المفكر الثوري عبدالله الندبم » .

الصحيح : عبدالله النديم .

١٤ ــ ص ٣٤٠ « فتوح نشاطي ... هوى التمثيل صبيا » .

المناسب ان نضع نقطتين تحت الياء لتقرا هوي بمعنى احب .

(١٢)

جان ريكاردو ــ قضايا الرواية الحديثة ، ترجمها وعلق عليها صياح الجهيم ، دمشق ، ١٩٧٧ .

حسنا فعل المترجم اذ ثبت العنوان الاصلي مع دار النشر وتاريخ التأليف :

Problèmes du Nouveau Roman...

ولكنه ترجم كلمة nouveau بالحديثة ، وهو يعلم جيدا ان الترجمة الصحيحة للكلمة الفرنسية هي : الجديدة ، وان الحديثة ترجمة لكلمة moderne .

وليست المسألة مسألة ترجمة الفاظ فقط وانما هي مسألة مصطلحات ادبية ذات دلالة كبيرة ، فالقصة الحديثة (او الرواية الحديثة) هي رواية العصر الحديث ، ولدينا مثل مترجم عليها هو كتاب البير س. الذي ترجمه جورج سالم بعنوان « تاريخ الرواية الحديثة » (moderne) اما الرواية الجديدة فهي حركة ادبية خاصة ظهرت في الخمسينات ... وتنكر اهلها بها لمألوف الرواية الحديثة (كما هي لدى بالزاك مثلا) ودعوا الى نمط جديد ... واحدثوا ضجة . ولدينا في المترجمات مثل عليها هو كتاب الان روب جرييه الذي نقله الى العربية مصطفى ابراهيم مصطفى بعنوان « نحو رواية جديدة » nouveau ... ومثله كان المنتظر ان يترجم كتاب جان ريكاردو الذي نحن بصدده فيكون : « قضايا الرواية الجديدة » ــ وريكاردو من اعلام حركة الرواية الجديدة (nouveau) ، وهو روائي ، ناقد ، من ابرز محرري مجلة «Tel Quel» التي تتبنى التجديد وتقوده وتثير مشكلاته ــ ولد سنة ١٩٣٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٣)

٤ كتب و ٤ كتاب ــ محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، دار المعارف ، اقرأ ٢٩٨ ، اكتوبر ١٩٦٧ .

١ ــ ص ٥ « ان للادب الكلاسيكي تأثيرا لا يهن على النفوس » .

الصحيح : لا يهون .

٢ ــ ص ٧ ، ١٠٣ « ميريميه » .

الصحيح : مريمه لانه Merimée ولا موجب للياء الاخيرة وكأنه ينتهي بـ ier .

٣ ــ الكتاب هو كارمن ، وتجري احداث القصة في اسبانيا (الاندلس) ، ويرد لدى المترجم ص ١٠٩ ، ١١٣ ، اسم نهر « الجواد الكبير » نهر قرطبة ولو ترجمه « الوادي الكبير » كان مصيبا .

٤ ــ ص ١١١ «وكان النسيم يحمل... شذى...».

الصحيح : شذا .

٥ ــ ص ١١٢ « وفيما هو يجلس اليها ... » .

الصحيح : وبينما هو ...

٦ ــ ص ١١٣ « وتناولت برتقالة فنضدت عنها قشرتها ، وشرعت في اكلها » .

صحيح نضدت : نضت (اذا كان لا بد من استعمال كلمة بهذه الحروف) .

٧ ــ ص ١١٩ « ولما تدق عنقك » .

اختار المترجم التأنيث ، والتذكير هو الاغلب على العنق .

٨ ــ ص ١١٩ « فأهرع » .

اخذ الامر من الرباعي المبني للمعلوم وهو غير موجود .

والصحيح : ان الماضي ثلاثي مبني لما لم يسم فاعله : هرع (بضم الهاء وكسر الراء) .

٩ ــ ص ٨٦ ــ ٨٧ « غادة الكاميليا ... قصة ... لم تلبث ان اقتبست للمسرح ... » .

في هذا الكلام وبناء الفعل للمجهول ما يمكن ان يحول دون معرفة القارىء بأن الذي حول القصة (المؤلفة سنة ١٨٤٨) الى مسرحية (سنة ١٨٥٢) هو المؤلف نفسه : الكسندر دوما الابن .

(١٤)

جان ستاروبنسكي ــ النقد والادب ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، مراجعة انطون مقدسي ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٦ .

١ ــ احسن المترجم اذ احتفظ للقارىء باسم الكتاب في لغته الاصلية (الفرنسية) وهو : La Relation Critique ويدل العنوان الاصلي على ان المترجم قد تصرف فيه لدى الترجمة ، لان الترجمة الدقيقة للعنوان هي : « العلاقة النقدية » ، على حين جعلها المترجم العربي : النقد والادب . والفرق واضح ، ولو كان المؤلف يقصد الى هذه الدلالة لما منعه مانع من ان يثبتها في العنوان ولقال : La Critique et la Littérature ولكن الامر مختلف ، وليس عنوان المؤلف مما يستدعي التصرف لدى الترجمة .

هذا الى اننا عندما نتصرف بترجمة العنوان ــ لسبب موجب ــ نبحث في مادة الكتاب نستعين بها على هذا التصرف . واننا اذا رجعنا الى الكتاب الذي بين ايدينا لما رأينا ما يسوغ ترجمة عنوانه بـ « النقد والادب » فضلا عن ان اي كلام في النقد هو كلام في علاقته بالادب .

ان مادة الكتاب تقوم في اساسها على علاقة النقد الادبي بعلوم ومعارف اخرى في مدى ما يمكن ان يستغني عنها ويقف ازاء النص الادبي يستنطقه ويقول رأيه فيه ، ومدى حاجته اليها ليعتمد عليها مرة اعتمادا كليا وليستعين بها مرة بقدر معقول يساعده على الفهم والحكم والتحليل... وغلب دوران الكتاب على ميدان النفس او علم النفس او علم النفس التحليلي من هذه الميادين ... حتى اننا لو تصرفنا بالعنوان قليلا لقلنا : علاقة النقد بعلم النفس ... وليس بنا حاجة الى هذا التصرف لان البحث قد يمتد الى البيئة والمجتمع والتاريخ ... ومن هنا حسن ــ ان لم نقل وجب ــ البقاء عند الترجمة الدقيقة للعنوان وهي : العلاقة النقدية .

٢ ــ توزع المطبعة الهمزات كيفما اتفق ، وبسخاء ، فما اكثر الوصل الذي صار فصلا ... وكذلك تضع النقاط تحت الياء التي تتكىء عليها الهمزة .

٣ ــ ورد ص ٧ « نحن نفك رموز الماضي بحيث نجعل هذا الماضي يقضي ضرورة الى مستقبل ... » .

ربما كانت « يقضي » هذه خطأ مطبعيا صحيحه : يفضي .

٤ ــ وردت ص ١١ « بدهي » ، وصحيحها «بديهي» من البديهية .

٥ ــ ص ١٧ « مصاغة » ، صحيحها : مصوغة ــ من صاغ الثلاثي .

٦ ــ ص ٢٦ « المهمة التي أنيطت » ، الصحيح : نيطت من ناط الثلاثي .

٧ ــ ص ٢٧ « كلما تزود الناقد بالثقافة الصحيحة . كلما امكنه التعرف الى التحولات الطارئة عبر العصور...»

الصحيح : « كلما تزود ... ، امكنه تعرف التحولات ... » .

٨ ــ ص ٤٠ « بوصفه يهوديا نمساويا تزود بالدراسات الانسانية القديمة » .

الصحيح : « ... تزود الدراسات ... » وتنظر ص ٢٠ .

٩ ــ ص ٢٤٥ « المفكر رونان Renan » لم يعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصداء الذكريات

لا تطل وقفة .. فقد كان حلما رائعا ، وانقضى ، وأصبح وهما
قد تلفت .. لم أجد غير بقيا ذكريات قد أورثتني هما
ههنا .. كان لي لقاء حبيب فيه برئي متى تشكيت سقما
وهنا .. صوتها يرن بسمعي سمط در تلقيه نثرا ونظما
وهنا .. بدلت حياتي .. فالفيت بها للحياة لونا ، وطعما
قد سقتني غرامها العذب شهدا بعد أن كنت أجرع اليأس سما
فأحاديثها أديرت كؤوسا عذبة .. قد رويت فيها .. ولما
أنا .. ما ان رويت منها بكأس من رحيق الهوى. ففي الحال أظما
كنت .. واليأس يملك القلب مني فاذا بي أزيد عزما وحزما
واذا بي أثرى بحب كبير كان يشكو من قبله القلب عدما
ولد الحب رائعا وجميلا بعد يأس . حسبته كان عقما
يا لحسن لها رقيق وضخم هل رأيتم حسنا رقيقا وضخما
يا لحسن أعيا بياني وصفا فهو أسنى من البيان وأسمى
لوحة أبدعت يد السحر فيها فأجادت فنا وشكلا ورسما
رقة الروح في نضارة جسم يا لسحر الجمال روحا وجسما
لا تلوموه .. ان تتيم حبا بهواها .. هل يعرف الحب لوما
احسبوه اذا تشاؤون طيشا فمتى تعرف الصبابة حلما
فهواها ان كان أدمى فؤادي فالذ الغرام ما كان أدمى
أنا نار .. فاين مني هي الآن .. ؟ لأشعلتها عناقا وضما
ما لهذا الزمان يمشي على غير هوى العاشقين .. حقدا ولؤما
ما التقى في الهوى حبيبان الا وتراه انبرى عدوا وخصما
لست أدري ماذا ؟ هل ارتكب العشاق في حبهم مع الدهر جرما
أو ما يبصر النجوم التي تزهو ... فتبدو نجما يغازل نجما
وزهور الرياض بعض لبعض تتشكى حبا وتنفث هما
وطيور الحقول تهتف للحب .. وتشدو .. يا بورك الحب اسما
انما الحب سنة الله في الكون .. فويل .. لمن يرى الحب اثما

بغداد ــ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مناسبا ان نقول بالعربية رونان بعد ان شاع الاسم وذاع بـ « رينان » .

(١٥)

النقد الفني ــ تاليف اندريه ريشار ، ترجمة صياح الجهيم ، دمشق ١٩٧٩ .

سبق ان ترجم الكتاب نفسه للمؤلف نفسه هنري زغيب ، بيروت ١٩٧٤ . وحسنا فعل المترجمان اذ ذكرا العنوان الاصلي ومؤلفه ودار نشره باللغة التي صدر فيها (الفرنسية) ، وكان يمكن ان يتما الاحسان لو ذكرا تاريخ التاليف .

عنوان الكتاب la Critique d'Art ترجمه زغيب بـ « النقد الجمالي » ، وترجمه الجهيم بـ « النقد الفني » والنقد الفني هو الصحيح .

وبين الترجمتين فروق اخرى ، وبينهما والاصل الفرنسي فروق اخرى كذلك ، وكان من المناسب ان يكتب المترجم اللاحق مقدمة ــ ولو قصيرة ــ يقف بها عند الترجمة السابقة ويذكر مسوغات اعادة الترجمة ...

جامعة بغداد ــ كلية الآداب — علي جواد الطاهر

جورج صيدح وامارة الشعر

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

عندما وافيت جورج صيدح نسخة هدية من كتابي « كلمات في الرصافي » في منتصف الستينات ، ما لبث ان هنأني بصدوره ، في الوقت الذي ألمع الى ما فيه من جوانب الاصالة والفحالة ، ونقاط القوة والضعف ، منتهيا الى تقييمه علميا في ضوء ما استبان له ، وتحقق لديه .

كذلك عقب على موضوع « الرصافي والامارة الشعرية » بقوله : « بقي حديث الخرافة في امارة الشعر . انما استميح لنفسي بمخالفتك في تقدير شاعرية شوقي حين تقارنه بمعاصريه من الشعراء . انه عندي اشعرهم خلقة ، واكثرهم شاعرية . منهم من يفضله بالصفات الشخصية ، ولكنه يبرز عليهم بالموهبة الشعرية . هذا رأيي الخاص استمده من ذوقي الخاص . ولا جدال في الاذواق لكل جمهور من الشعوب ، شاعره الاثير الذي يتجاوب معه وقد لا يتجاوب مع من هو اعظم منه . هذا سبب الحوار العقيم حول امارة الشعر » .. ثم يستطرد : « وعد بها شوقي امين نخله ، وخلعها طه حسين على العقاد ، ونادوا بعمر ابو ريشة اميرا فترة من الزمن .. واليوم اقرأ عنوانا في جريدة « الجمهورية » القاهرية « احمد رامي من افضل شعراء العالم » .. سخافات لا يجوز ان نقف عندها .. » .

اخلص من ما سلف ان جورج صيدح كداعية للفكر الحر والشعر الاصيل ، يستسخف امارة الشعر وان شئت فقل يستهجنها اساسا ، ناعيا على مثيريها جدالهم المستديم وسجالهم الممل ، لانهما كاذ وما ينفكان يفضيان بهم الى طريق مسدود .

فليس في الشعر امير ومأمور . ولا رئيس ومرؤوس . ولن يكون كذلك على وجه القطع .. انما كانت امارة شوقي سياسية اكثر منها ادبية فنية ، اوجدتها الظروف يومذاك لمقاصد معينة غير خافية على الراسخين في العلم ، والواقفين على بواطن الامور .. ثم اندثرت حتى طواها الزمان ، ساحبا عليها ذيول الاهمال والاغفال .

ذلك اجمالا موقف جورج صيدح من امارة الشعر . وليس فيه ما يستوجب الاستزادة والاحاطة به اكثر واكثر .

لكن ما الذي حصل في ما بعد ؟

هذا ما ارى ان ابسط القول فيه بعض الشيء .

نشرت صحيفة « المصري » الصادرة باللغة العربية بولاية لوس انجلوس بأميركا ، في مطالع عام ١٩٧٥ ، لصاحبها ومحررها فؤاد القصاص ، ما نصه : « .. قال لي احد اصدقاء « المصري » ممن قرأوا شعر جورج صيدح عبر صفحات المصري :

ــ انا لم أقرأ قبل « المصري » لهذا الشاعر . وان كنت قد سمعت باسمه . الحقيقة انه شاعر اكثر من عظيم .

كنت لحظتها افكر في الدعوة لمهرجان شعري ننصب فيه جورج صيدح اميرا للشعراء ونعيد بذلك العصر الذهبي للشعر العربي . ونرد الى هذا الشاعر العظيم في كلمة وفاء بعض الفيض الذي اسعدنا به طوال نصف قرن .

قلت للقارىء الصديق : ما رأيك لو اقمنا مهرجانا للشعر والشعراء ، دعونا اليه شعراء العربية من كل مكان ، ليحتفلوا معنا بتكريم جورج صيدح ؟

هتف الصديق : فكرة رائعة .

والمصري اذ يدعو لاقامة هذا المهرجان في لوس انجلوس في شهر يوليو او اغسطس من هذا العام ١٩٧٥ فانما يعلنهم الدعوة مفتوحة لجميع الشعراء العرب من كل المذاهب والاتجاهات . اما اختيار الموعد بالتحديد فهو متروك لشاعرنا العظيم : « صيدح » .. » .

بمجرد ان تلا جورج صيدح هاته السطور ، وهو في مغتربه الثاني ، حتى علق عليها ساخرا : « حديث خرافة يا أم عمرو .. بل يا ابا « المصري » !!

غير ان قارئنا من قراء « المصري » ، طالما استجاد شعر جورج صيدح ، وتغنى به ، وتطلع اليه ، مدركا مكانة صاحبه بين معاصريه من الشعراء ، انبرى يرد قائلا : « ان ما يدفعنا الى نشر هذه الكلمة ما طالعناه في هذه الجريدة ــ يعني « المصري » من ذكر للشاعر جورج صيدح وقول لصاحبها ان احد اصدقائه قال له انه لم يسمع بهذا الشاعر قبل ان تنشر له « المصري » بعض نفحاته الشعرية .. فهل هذا معقول ؟! وهل يوجد في المهجر العربي واحد لم يسمع بالشاعر الكبير : جورج صيدح ؟؟ ثم يمضي الكاتب في تعظيم الشاعر صيدح الى حد يدعو فيه الى تنصيبه اميرا للشعراء ويقترح اقامة مهرجان شعري لتكريمه في لوس انجلوس بالذات هكذا دفعة واحدة . ومع علمنا بحسن نية الداعي الى اقامة مثل هذا المهرجان وباستحقاق صيدح لكل تكريم وتقدير ، الا ان الفكرة بحد ذاتها تبدو غير معقولة وغير ممكنة . لا سيما وان لوس انجلوس ليست عاصمة عربية او المكان المناسب حيث يجب ان يكرم احد كبار الشعراء العرب . والمغتربون العرب فيها حسب اعتقادنا في شغل شاغل عن الشعر والشعراء ، واخيرا لعلمنا ما يتصف به الشاعر الكبير صيدح من تواضع ورغبة في البعد عن الاضواء . ويكفيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فخرا انه الوحيد الذي ارخ الادب والشعر المهجري بصدق وشمول وان كتابه هذا اعيد طبعه عدة مرات كما ان ديوانه الذي يصدر على دفعات سوف يكون مادة للتدريس في المعاهد العليا والجامعة بوصفه احد اعمدة الشعر المهجري الذي قلما يجود الزمان بمثلهم .. » .

ومن عجائب المصادفات ان تصل الى جورج صيدح ، في الوقت ذاته ، دعوة اخرى مماثلة من ندوة « الادب العربي » ببوانس آيرس ، لاقامة مهرجان ادبي في ايلول ١٩٧٥ بغية تكريمه ، لكونه مؤسس « الرابطة الادبية » بالارجنتين ، ونصير الشعراء والمثقفين في المهجر .

اذا كان في دعوة « المصري » شيء من الاغراق والقصد كما بدا ، فان اقدام « ندوة الادب العربي » على تنفيذ ما ازمعت الاضطلاع به يشفعه حسن النية وواقعية الفكرة .

هنا ساورتني تساؤلات ملحة ..

ما خبر هاتين الدعوتين ؟ ما وراءهما ؟ ما مدى ردود افعالهما في الشعراء والادباء عامة ، وفي جورج صيدح خاصة ..

على ان جورج صيدح ، سرعان ما طالعني بتصريحه الذي وضع فيه النقاط على الحروف ، قاطعا السبيل على كل ما هنالك : « المهرجان الشعري في لوس انجلوس لتكريم صيدح حديث خرافة لا يستحق الاهتمام .. بداهة رفضته واستنكرته لانه يبالغ في محاباتي حين يدعو الى مبايعتي بامارة الشعر المعاصر . قلت لصلاح الفاضل — يعني صاحب « المصري » — ان من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك . لذا اعتبر الدعوة اساءة الي يجب اهمالها ونسيانها » .

ثم قال مستطردا ومتابعا : « ومن غرائب المصادفات ان تصلني دعوة مشابهة من ندوة الادب العربي في بوانس آيرس ، تدعو لمهرجان يقام في ايلول القادم لتكريم مؤسس « الرابطة الادبية » ونصير الادباء الاول في المهاجر الاميركية .. يعني انها اقل غلوا من الدعوة الاولى .. كان جوابي مهذبا وشكرا صادقا واعتذارا وجيها بعتو سني وكلال ذهني . انني اتردد بالنزول من داري الى الشارع حذر الانزعاج فكيف اقدم على سفر طائر الى اقصى المعمور » .

مع هذا كله فان الدعوة التي اذاعها فؤاد القصاص عبر صحيفته وروج لها بامكاناته المحدودة ، لم تكن في الحجم الذي يمكن ان يجسدها واقعا وحقيقة ، لافتقارها الى قاعدة عريضة مؤزرة بالظروف الموضوعية والوسائل الاعلامية والجهود المادية والمعنوية ، كيما تستوي على قدميها وتثبت وجودها توصلا لهدفها المراد لها ، هو تكريم شاعر مرموق ، وقف ادبه ونشبه .. لسانه وجنانه على قضايا امته العربية الناهضة .. الطامحة ، ولا سيما قضية فلسطين المركزية ..

مهما يكن فان هذه الدعوة وان لم تلق رعاية وتشجيعا من لدن المؤسسات الصحفية والاتحادات الادبية ، وان لم تحظ باستجابة وحماسة من شعراء الوطن العربي والمهاجر ، فانها ، في الاقل ، شحذت القرائح هنا وهناك ، واستدرجت الآخرين بطريقة غير مباشرة للاسترسال في تمجيد شخصية جورج صيدح المتميزة ، وتقييم شعره الاصيل توطئة لمبايعته واسباغ لقب الامارة عليه .

كان اول من انطقته الدعوة هو الدكتور صفاء خلوصي المقيم بأكسفورد — رد الله غربته — هذا الذي ارتفع صوته من بعيد ، مبايعا جورج صيدح بامارة الشعر ، وموغلا في مديحه بقصيدة لطيفة ادهشته ، واخجلت تواضعه :

بايعت « صيدح » للقريض اميرا ... فاق «الفرزدق» في العلى و«جريرا»
قدمت تاج النابغين لهامه ... ورفعت عرش المالكين سريرا
توجته بعواطفي ووهبته ... كرسي شعر الغابرين وثيرا
وأهاب « شوقي » في السماء مباركا ... تتويجه خلفا له .. وأميرا
فالصولجان لـ «صيدح» من «احمد» ... اضفى على هام المتوج نورا
سحر الانام بشعره وبيانه ... فغدوت بين المعجبين اسيرا
وتجمعت فيه المكارم كلها ... لا زال كيد الكائدين حسيرا
غار البيان ضفرته وأزفه ... عبر « الخليج » الى الامير بشيرا
لو استطيع نثرت كل مشاعري ... آسا له في دربه وزهورا
« باريس » يا مهد العباقر رددي ... آيات فخري في علاه سرورا

لئن عقب جورج صيدح على قصيدة الدكتور صفاء خلوصي بعبارة نثرية مكثفة : « كيف ينخدع هذا العالم الخبير بصيدح الصغير » فانما اجاب عنها شعرا ، مباريا اياها ، معربا عن ما كان يلهب خياله الشارد ، ويتخلل واقعه المرير .. اسمعه وهو يطعم نفحاته ، بالآيات البينات :

جازاك ربي « جنة وحريرا » ... يا من حباني « نضرة وسرورا »
سبحان من سواك مطبوعا (على خلق عظيم) ... واصطفاك بشيرا
لست الجدير برتبة بين الألى ... سميتهم ان كنت انت جديرا
يابى أبائي ان يطارد شهرة ... ممقوتة تستعقب المشهورا
اأردت تسحرني وتبلو شيمتي ... حين اصطنعت من الاجير اميرا
شعري الحسير مدحته ففضحته ... فازداد في عين الثقات حسورا
واشتد غيظ الناقمين وهزؤهم ... حتى غدا العبد الشكور كفورا
نزهت عن تيه الغرور شبيبتي ... اأصير في شيخوختي مغرورا
انصفتني يا صاح لو صنفتني ... لا شاعرا فذا ولا شعرورا
اني شهاب كاد يهوي داجيا ... لما استعار سناك عاد منيرا
لولا الشعور خلال شعري نابض ... ما كان نظمي (لؤلؤا منثورا)

على ان البيعة التي اعلنها الدكتور صفاء خلوصي مؤيدا بها دعوة « المصري » ومعززا اقدام « ندوة الادب العربي » لعقد اكاليل الولاء الشعري والاجتماعي لجورج صيدح اهابت بغيرة من الشعراء والادباء ، من امثال عبد المجيد لطفي ، لان يطالب هو الآخر باعلان مثل هذه

البيعة . حيث ساق قصيدة الى « امير القوافي » فقال :

بايعت « صيدح » للقصيد أميرا ... من لا يبايع شاعرا تحريرا
او من يغض الطرف حين بدا له ... نجما اطل على القريض منيرا
تمضي السنون وشعر صيدح صادح ... عبر العصور الآتيات عصورا
شعر تدفق ساكبا انغامه .. ... كالعارض الوسمي فاض غزيرا
ارنو اليه ولا ابل ظماءتي ... منه ـ اهاب اللؤلؤ المنثورا ـ
صوت الدعاة تجاوبت اصداؤه ... لامارة حامت عليه كثيرا
حتى اذا ما الحق حصحص ادركوا ... من كان باللقب العظيم جديرا
لما انتك ترددوا وتنهدوا ... لكنها وصلت اليك اخيرا
لله صيدح ! كم تمر عجاجة ... ويظل صرحك شامخا منظورا
عف ضميرك ما مدحت لمغنم ... جم اباؤك ، ما خشيت كبيرا

تلك ابيات انتشى بقراءتها جورج صيدح بهدوء معهود منه ، بيد انه انفعل بها متأثرا ، تخنقه عبرات الفرحة والعزة ، ثم فزع الى شيطان الشعر ، حتى استنفد ما عالجه مستبدا به .

لكنه في قصيدته الجوابية « تحية القصيد الى الشاعر المجيد عبد المجيد » لا يدري ان كان « يلعب دور النسور ام دور العصفور » !

مجدت يا عبد المجيد غريرا ... وجعلته في مستواك كبيرا
هذا الذي امرته لو زرته ... لرايت في ثوب الامير اجيرا
ان الامير زمانه في صحبتي ... هو اول عندي وليس اخيرا

وصلت قوافيه حبال مودتي ... فغدا اثيرا من اردت عشيرا
يا شاعري رفقا يشيخ مدنف ... يجني عليه من دعاه اميرا
أضحى رهين المحبسين يود لو ... بالاصفرين سعى اليك شكورا
زكيت رأي « صفاء » حين مدحتني ... وقدرت في الشاعر النحريرا
انت اقتديت به ورحت نظيره ... تضع الشهير وترفع المغمورا
سيان فضلكما متى فاض الندى ... سيلا علي او استمر غديرا

ذلك ما توخاه جورج صيدح .. ثم بعد استطراد :

نفسي تحدثني بأني ابتدي ... نسرا .. واني انتهي عصفورا
دعني من الالقاب الا واحدا ... ان نلته يوما رقصت حبورا
هو ان اكون اخا « صفاء » مجليا ... وعديل « لطفي » ساحرا مسحورا
اهدي الى صحب العراق تحيتي ... شعرا فياتيني الجواب شعورا

ما دمنا قد عرفنا من البداية ، ان جورج صيدح قد سخر من مبايعة شوقي او غيره بالامارة الشعرية ، حتى عدها خرافة من خرافات العصر ، كان من السهل علينا ان نعي مغزى بغضه لهذه البيعة ورفضه اياها ، حتى ولو كانت له .

ثم ان جورج صيدح لم يتردد في ان يركز على القصد الذي انطوت عليه هذه الدعوة الى مناداته اميرا للشعر المعاصر ، وهو يكشف عن تصوره الواقعي لما جرى .. اذ افضى : « المفهوم من هذا المشروع الرغبة في تطييب خاطري المجروح بمعاملة القروي وفرحات . فهو مؤاساة اكثر منه تكريم . والعجيب هو توارد الخواطر بين شمال اميركا وجنوبها ، هذا التوارد ذكرني بقصيدة قلتها في الارجنتين اثر عودتي من زيارة الوطن حاملا ثلاثة اوسمة من ثلاث حكومات :

الله يا دنيا ! أمن بعدما ... حطمت (...) جئتني (...)
اقبلت لما ادبرت همتي ... ودب في سمعي نفير انهزام
دقت طبول المجد حولي فما ... اصغيت الا لهديل الحمام

الى جانب ذلك ، نشرت مجلة « السياحة » اللبنانية لصاحبها اديب مروة ، حديثا قصيرا بشأن دعوة صحيفة « المصري » الى تنصيب جورج صيدح اميرا للشعراء العرب المعاصرين ، فتساءلت فيه : « كده مرة واحدة !! » .

فما كان من صحيفة « المصري » الا ان تعقب على ذلك ، بشيء من الحدة ذاكرة : « انت حيرتنا بين تمجيدك لجورج صيدح واستنكارك لترشيحنا له .. » .

وفي عدد آخر تال ، عادت صحيفة « المصري » فتخلت عن ما طرحته من فكرة ، وساقته من دعوة . وقالت : « وفيما يتعلق بالمهرجان الشعري فقد اوقفنا الدعوة اليه نظرا لظروف جورج صيدح الصحية .. » .

هكذا ...

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... حديث ولم يسمر بمكة سامر

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٢٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبي	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٢٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمن	٥ ريالات
عدن	٥٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت قديم وهادىء ونحن احتمال

اننا نقترب
فاحذروا أن يرانا ،
فيعرف أنا أتينا اليه بغير زهور
ويعرف أن اخضرار الحقول
تمدد ما بيننا — في الظهيرة — سيفا من الوهم
يعرف أنا اختبانا بجلد السكوت
ولم نبرح الدار للفيط منذ تحدر فينا
شحوب النعاس .

كان في عنفوان الصبا يتمطى
فتخلع عن رأسها طرحة الصمت
هذي السماء ،
وكان اذا ما اعتراه الضياء .. يغني
فتنصت كل البلاد
وتقبل من نوحها ، تفرك اعينها من نعاس
وتنصـــت
تفرح كل غصون الشجر
ترتدي لونها وتجيء .
كان اذا ما اعتراه الغناء استضاء
فتأتي اليه طيور المعارف من كل صوب
وتحضر ألوان أصواتها
لتكون (جوقة) هذا الغناء .

انه يتمدد ما بين زهر البلاد
وبين دمانا
يراقبنا حينما نتقاسم كسرة شمس
فينظر من نومه المتطاول
يضحـــك
ينظر في دهشة للخليج
ويرفع كم الرداء ويبسطه
لنحط عليه زهورا من السنة الآتيه
أو ليبسط كفا تسير عليها مياه الفرات
وتدخل حقل الجفاف الذي يتشقق
في خرطة الحلم .
يضحـــك ،
تدخل هذي المياه قناة
وتفرح حين تجيء الى النيل
تأخذه وتسير الهوينى الى بلد
من بلاد المحيط

فيضحـــك
تأتي المياه
تصير اشتياقا .. تصير احتمالا
تصير انتظارا .. تصير حقيقه
انه ينظر الآن هذا الظلام الذي يتمنطق بالموت
يمشي ، فتهتز — في كوخها — شمعة الليل
ترسم فوق الجدار ظلاله
فنقبع في حضن صمت
ونربت فوق أخينا الصغير
فلا ينفلت منه طير البكاء .

اننا واقفون أمام سريره .. كمن يتعبد
كمن مسه الحب ، والموت
انا وقوف أمام احتفال المشيب
فيا أيها الشيخ هل ستظل تمد يديك
فنأتي ، وندخل في دفء روحك
هل ستظل انتهاء .. وبدءا ... ؟!
وهل نحن نبقى احتمالا .. ؟!

ان وجهك يبدو مليئا بهذي الخطوط
التي قسمته
فيا للزمان الذي يقذف الموت بين
شعاب البلاد
ان وجهك يبدو كحقل من القمح
تلعب فيه الحرائق
أنت قديم وهادىء
ونحن احتمال
وأنت بجيبك كل الحقائق .

أيها الشيخ قـــم
ان هابيل ما زال فينا
وما زال فينا الخروج
وما زال فينا التشعب
انا لبسنا الدماء علامة وجد
وقفنا ببابك نعلن
أنت المفدى .. ونحن الفداء .

القاهرة

مفرح كريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احمد مصطفى حافظ في ديوان ما ابقت الايام

بقلم الدكتور مختار الوكيل

* * *

اعرف هذا الشاعر منذ اكثر من عشرة اعوام . فهو الذي جمع وحقق ديوان الشاعر الكبير محمد فضل اسماعيل ، وكان لي شرف تقديم هذا الديوان ، عندما عرض على لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، ثم علمت انه تولى جمع وتحقيق ديوان الشاعر الجهير عبد اللطيف النشار(١) ، الذي ظهر في مجلدين كبيرين ، اولهما اصدرته كريمته السيدة رفيقة النشار على نفقتها الخاصة ، والثاني تولت الهيئة المصرية العامة للكتاب اصداره .

وهكذا يتجلى لنا وفاء الشاعر لاستاذيه الراحلين ، ولو ان الشعراء الادباء تحلوا بصفة الوفاء هذه ، لكانت دنيا الادب غير ما هي عليه اليوم .

ولقد شاهدت بنفسي كيف كان الاستاذ احمد مصطفى حافظ يتحرك في كل مجال ، في نشاط وهمة ، لكي يذلل العقبات التي تعترض التعجيل بنشر ديوان الشاعر فضل اسماعيل ، ومن ثم فاني اعزو اليه الفضل البارز الباقي في نشر شعر هذا الشاعر الكبير .

واخلص الى الشاعر احمد مصطفى حافظ ، فأقول انه تأثر بأستاذيه الاثيرين لديه ، القريبين من روحه ، وذلك بلا ريب امر محمود ، وهو متوقع ومنتظر من الرجل الذي قام بدراسة وافية لشعر هذين الشاعرين ، فأنت لا تستطيع ان تنهض بجمع شعر شاعر من الشعراء الكبار ، وتصاحب هذا الشاعر وترافقه وتزامل شعره بدون ان تتأثر به على نحو من الانحاء .

ومن حسن حظ شاعرنا احمد مصطفى حافظ انه صحب شعر هذين الشاعرين ، وهو شعر ذو مستوى رفيع ، وقد نوهت بنتاج احدهما ، وهو الاستاذ الكبير محمد فضل اسماعيل ، عندما تشرفت بكتابة مقدمة ديوانه .

اما الشاعر الآخر ، وهو الاستاذ النابه عبد اللطيف النشار ، فهو من الرعيل الاول الذي نشأنا على الاستمتاع بشعره الحي الموسيقي ، ثم هو من اولئك الشعراء الرواد ، الذين عكفوا على نقل الشعر الاوروبي ، ولا سيما الشعر الفرنسي الى اللغة العربية ، منذ اوائل هذا القرن الميلادي . وقد نشأنا ونحن نصافح بأعيننا في الصحف والمجلات البارزة في ذلك العهد ، تلك الترجمات الرائعة لشعر ديموسيه ولامرتين وهيجو ، وغيرهم من امراء الشعر الرومانسي في فرنسا . وكان من صنع ذلك الشاعر الصناع البارع المفتن : عبد اللطيف النشار .

ولا شك انه بصنعه هذا قد سجل اسمه في قائمة الرواد ، الذين افادوا اللغة العربية والناطقين بها ، بما في بطون اللغات الاخرى ، من روائع آيات الشعر . وهكذا اتضحت امامي الرؤية الكاملة لشعر احمد مصطفى حافظ .

فهو شاعر مجيد ، ينظم الشعر اللماح الجيد الديباجة ، الرصين اللفظ ، المحافظ على الجرس الموسيقي العربي المأنوس الرقيق ، وهو — الى ذلك — شاعر مفتوح على العالم الخارجي ، ولقد سرني ان اقرا في القسم الثاني من ديوانه المخطوط(٢) (ما ابقت الايام) ، وهو القسم الذي اطلق عليه اسم (المنقول) — باقة من الترجمات اللطيفة الرقيقة ، لكثير من مشاهير الشعراء في مختلف بقاع العالم ، فهو ينقل من الانجليزية ، عن شعراء من ايطاليا وفرنسا وايران وانجلترا وامريكا ، ويوغوسلافيا وروسيا .. ويكفي ان اذكر بعض اسماء اولئك الشعراء ، لكي يقف القارىء على اهمية هذا القسم من الديوان ، فهو يطالع لـ (تيوفيل جوتيه) و (هيجو) و (شكسبير) و (بايرون) و (هنريك هايني) و (لونجفلو) و (مياكوفسكي) و (تاجور) وسواهم .

وتتسم هذه الاشعار المنقولة بالوضوح والجمال ، واللفتات الفنية البارعة ، ومن هذا القبيل ما ورد في ختام (الحبيب السالي) ، التي نقلها عن الشعر الفارسي ، للشاعر منوجهري الدامغاني :

يا من سلوت وصار امر ممكنا ان تبدلي حبا بحب .. بعدنا
قولي بصدق — بعد نقض عهودنا — لم تكثرين من المرور بحينا ؟!

وهي لفتة عاطفية وعتاب قلبي رقيق ! .

والحق ان القارىء للقسم الثاني من الديوان — قسم المنقول — سيخرج بذخيرة طيبة من عواطف الشعراء في مختلف ربوع العالم .

ولا شك ان الشاعر قد تفرد بين شعراء العصر عندنا ، بنقل هذه المقطوعات الرقيقة ، وتلك شجاعة محمودة من الشاعر ، في زمن اصبح من اليسير ان يسطو الشعراء على المعاني والافكار ، ليس فقط في الشعر الاجنبي ، وانما في الشعر الوطني والقومي على حد سواء !

ونحن اذا كنا نرجو للشعر نهضة حقيقية عندنا ، فلا مفر من الاطلاع على ما قاله ويقوله الآخرون ، ولذلك

---

(١) — انظر عدد سبتمبر سنة ١٩٧٢ من « الاديب » الاغر ، وبه دراسة مستفيضة ممتازة عن النشار للراحل العزيز الاستاذ نقولا يوسف .

(٢) — لم يطبع بعد ، وليته يعثر على الجهة التي تتولى اخراجه الى حيز الوجود ، في طبعة بيروتية انيقة .

الى سمراء

سمراء ، يا رعشة مرت على وتري ... مثل النسيم ، فجن اللحن والوتر
ولـم تكـد شهقة الآمال تزفرها ... حتى تلاشى الدجى واستيقظ السحر
وغمغمت نجمة حيرى ، تسائلني ... مـن أي فجر ترى الانغام تنهمر
بالضوء ، بالعشب ، بالآمال ضاحكة ... بالعيد يأتـي ، وبالاحزان تنتحر

سمراء ، يا صيف أيامي وضحكتها ... يـا غيمـة العطر بالانداء تنهمر
يا غانية كالضحى عذراء ، فاتنة ، ... لا الطير غنى بها ، كلا ، ولا المطر
وصورة ، مثلما الرؤيا ، معطرة ... تندس عبـر جفوني ، ثـم تندثر
تأتـي عيوني بصمت الحلم زائرة ... كأنما الجن يأتي العين لا البشر

سمراء ، يا بسمة كالصيف قد رحلت ... صوب الخريف فضاع الانس والثمر
واستنقع النهـر فالاطيار باكيـة ... واستوطن الليل ، فالنجمات تندثر
شرعت قلبي وقـد أقفلته زمنـا ... وكنا لعصفورتي عينيك ، يا سمر
بعض الوفاء ، وهذا منك تكرمة ، ... ان تغلقيه فـلا يغتالـه الضجر
فالريح في أفـق الاحزان بـاردة ... والليل ، او جن ، لا يبقي ولا يذر
ولنفترق دونما دمـع ولا لهـب ... يذكـي الدموع وتذكيـه فيستعر

بصرى ــ الشام ... ابراهيم عباس ياسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعدت سعادة كبيرة بهذا الجزء من ديوان الشاعر احمد مصطفى حافظ .

فاذا عدت الى القسم الاول ــ (المقول) ــ كما دعاه الشاعر الوجداني الرقيق ، وجدتـه في قصيـدة (مصر تتحدث الى السادات) مفعما بالعواطف الوطنية والقومية الصادقة ، اما قصيدته (ذكرى صديق) فهي تتحدث عن استاذه الكريم محمد فضل اسماعيل : عـن ذكرياته معه في الثغر الشرقي (السويس) ــ والواقع انها كسائر شعره الطلي ، تتسم بالصدق والاخلاص .

وللشاعر قصيدة رائعة هي : (خواطر يثيرها الربيع) وهي من أرق والطف ما طالعت في استقبال هذا الفصل الجميل ، وفي تصويـر امتزاج المشاعر البشرية بصور الطبيعة وآثارها ، وورودها وزهورها ، وفلها وبنفسجها ، فتلوح لنا باهرة ناصعة الجمال ، او كما قال :

في لوحـة نشوانة ... من صنع رب مقتدر

اما قصيدة (نفثة محتضر) فهي في تقديري اروع قصائد الديوان ، ولقد تأثرت بها شخصيا ، وهي لا ريب تجربة مؤثرة ومثيرة في وقت معا ، ولا سيما حين يقول :

يا ويلي مـن بين صرف ... لشريكة عمري في الوصف
فجميـع خصالـي آيـات ... تحصى و (تعدد) بالالـف
ويضاعف هـول السكرات ... عجزي آن أصرخ : لا ! كفي

وهي قصيدة صادقة التعبير ، تصور دبيب الموت وسكراته ، وآلامه واهواله . ولا شك انها من خير ما ابدع الشاعر .

وعلى الجملة ، فقد استمتعت حقا بصحبة ديوان (ما ابقت الايام) .. ــ مخطوطا ــ بـ (مقولة) ، كما استمتعت بـ (منقولة) .

واني لأرجو ان يستمتع به جمهور القراء قريبا .

القاهرة ... مختار الوكيل



خليل مطران

صورة من الحياة.. لخليل مطران

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان
مدرس الادب والنقد بكلية اللغة العربية باسيوط

* * *

عرضنا في مقال سابق (الاديب عدد مايو ١٩٧٩) قصيدة « المرآة الناظرة » لشاعر القطرين خليل مطران ، وكانت لنا مع هذه القصيدة وقفة متأنية ، عرضنا في اثنائها ما تراءى لنا من نظرات نقدية وفنية فاحصة ، ونستعرض هنا بعض النظرات التي لم يتسن لنا عرضها هناك .

اشار مطران في مقدمة ديوانه الى الوحدة العضوية في القصيدة ، وحث على مراعاة تلك الوحدة في الشعر ، وكان قد كتب في « المجلة المصرية » يقول :

« انه لم يجد في الشعر العربي ارتباطا بين المعاني التي تتضمنها القصيدة الواحدة ، ولا تلاحما بين اجزائها ، ولا مقاصد تقوم عليها ابنيتها ، وتوطد اركانها ، وربما اجتمع في القصيدة الواحدة من الشعر ما يجتمع في احد المتاحف من النفائس ، ولكنه بلا صلة ولا تسلسل ، وناهيك عما في الغزل العربي من الاغراض الاتباعية ، التي لا تجتمع الا لتتنافر ، وتتناكب في ذهن القارىء »(١).

واذا كنا قد رأيناه يقول عن شعره في المقدمة التي صدر بها الجزء الاول من ديوانه الضخم انه شعر « يقال فيه المعنى الصحيح في اللفظ الفصيح ، ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ، ولو انكر جاره ، وشاتم اخاه .. » الى آخر ما قال فاننا نؤكد — هنا — ان النقاد منذ الجاحظ وابن المعتز أوصوا بمقارنة الابيات القريبة بعضها الى بعض ، بل ان الحاتمي يقول فيما نقل عنه ابن رشيق في « العمدة » : « فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله »(٢) .

وفي قول مطران — ايضا — كثير من حدة العاطفة ، ونزعة الغرور ، التي لم تكن غالبة عليه ، وكأنه لم يكن امامه وهو يقول ذلك الا شعر البديعيات مما خلف عصر الاتراك والمماليك ، فهذا الشعر وحده هو الذي كانت تحمله ضرورات الوزن والقافية على غير قصده احيانا ، اما ما سبقه من الشعر في العصور كافة ، واما ما كان بعده مما عاصر مطران من شعر البارودي وشوقي وحافظ واضرابهم فما عرف هذه الضرورات ، ولا لجأ اليها ، بل كان على مستوى لم يستطع مطران ان يصل اليه(٣) .

ثم اي جديد في هذا الحديث ، حديث البيت الذي ينكر جاره ، ويشاتم اخاه ؟ وحديث التركيب والترتيب والتوافق في القصيدة ؟ أليس هو حديث الجاحظ من اول القرن الثالث عن التلاحم والتوافق ، وعن البيت واخيه والبيت وابن عمه ؟(٤)

على ان مطران لم يسلم شعره مما رآه عيبا ومنقصة في الشعر القديم ، فقصيدة « المساء » التي تغنى بها بعض النقاد ، واعجبوا ببنائها ورأوها نموذجا للقصيدة الحديثة في وحدتها وتجربتها ، التي قالها وهو عليل بمستشفى في الاسكندرية ، وصور فيها آلام الحب ، ومزج فيها تلك الآلام بمشاهد الطبيعة في البحر والصخر والجو ، والتي يبتدؤها بقوله :

داء الـم فخلت فيه شفائي من صبوتي فتضاعفت برجائي

هذه القصيدة لم تسلم هي الاخرى من هذا العيب .

فمزجه فيها بين مشاعر الحب والمرض ومظاهر الطبيعة ، في البحر والصخر والسحاب والشمس يشفع — في راينا — للقصيدة العربية القديمة ، حين المت بالصحراء والسماء والليل وذكرى الحبيب والاطلال والمنازل وغير ذلك .

ومطران في جلسة والشاعر الاول في رحلة ، نعم هو اجاد المزج فما في ذلك شك ، ولكن الشاعر الاول ايضا لم تخل افكاره من الربط ، ولم يسمح له فيها بالانفصال ، هذا مع رعاية الفرق بين بدوي ساذج وحضري مثقف ، ذلك ما يقضي به الانصاف وما يعد الانكار له نوعا من الاسراف والتحامل(٥) .

وعلى الرغم من ذلك كله فالنفس لا تميل الى اتهام مطران ـ كما ذهب الى ذلك بعض النقاد ـ بأنه قد غمز لغة الآباء والاجداد في مقدمة ديوانه حين قال : « هذا شعر عصري ، وفخره انه عصري . . » الى آخر ما قال ، وذلك لعدة اسباب منها :

اولا : انه كان حريصا على اللغة ، ومبرزا فيها ، وقد قال في مقدمة الجزء الثاني من الديوان : « اتابع السابقين في الاحتفاظ بأصول اللغة ، وعدم التفريط فيها ، واستيحاء الفطرة الصحيحة ، واتوسع في مذاهب البيان ، مجاراة لما اقتضاه العصر ، كما فعل العرب من قبل » .

ثانيا : انه كتب قصيدة بعنوان « عتب اللغة العربية على اهلها ، وقد آثروا عليها اللغات الاخرى » وجعلها تستجير بالدكتور طه حسين(٦) ، ومنها :

انا العربية المشهود فضلي أأغدو اليوم والمغمور فضلي
اذا ما القوم باللغة استخفوا فضاعت . ما مصير القوم ؟ قل لي

وليس تنويعه في القافية ، ولجوؤه الى المزدوج والمخمسات ، والى الشعر المنثور احيانا دليلا على خروجه على اللغة ، وما لها من تقاليد شريفة ، ولان الخروج على القافية والوزن اصبح من سمات المدرسة الحديثة في الشعر ، والامر في ظني لا يتعدى جوهر الخلاف حول قديم راسخ ، وجديد طارىء الى الغمز الذي اشار اليه غير ناقد فيما يتعلق بقول مطران السابق .

ولقد كشف مطران آفاقا جديدة من التأمل والاحساس العميق بطبائع الاشياء حتى استحق ان يدعى الشاعر الابتداعي الاول في العربية ، جاء مطران بمذهب الحرية الفنية الصحيحة التي تحترم شخصية الشاعر ، واستقلال الفن عن الصناعة والبهرج ، والاناقة الزخرفية ، وكل ما يفرض العبودية على الفن ، ومن الفاظ وقيود اتباعية لا يحتملها الجمال المطبوع ، واصالة الفن الرفيع ، ودعم شخصية الشاعر ، وفتح باب الحياة على مصراعيه ، كما افسح له آفاق الخيال ، وابرز له كل شيء في هذا الوجود ، صغيرا كان ام كبيرا ، كموضوع شعري خليق بعنايته ، واهل للتناول الفني ، اذا ما استطاع الشاعر ان يتجاوب معه ، ويقول عنه الناقد اللامع مصطفى السحرتي : « لقد عبر شعر مطران عن حياته ، وعن نفسيته تعبيرا صادقا ، فهو شاعر رومانسي يهيم بالحب هياما ، ويشغف بالجمال شغفا كبيرا ، وتبدع ريشته في مجالي الالم ايما ابداع » .

اما عن عنصر الخيال في القصيدة ، فيدل على ان مطران قد فتح ـ كما قلنا ـ آفاقا جديدة من التأمل والاحساس العميق بطبائع الاشياء ، كما يدل على ما ركب في طبعه من احترام الجمال واصالة الفن ، وحسبنا ان نشير ـ هنا ـ الى بعض الصور الجميلة الحالية التي ساقها في قصيدته .

ـ في البيت الثاني يشخص الجمال ، وهو من المعاني المجردة ، ويخلع عليه صفات الآدميين ، يبعث الحياة في شرايينه ، ويبث الحركة في اوصاله ، ويجعله يهتف بامارة تلك الحسناء الجميلة .

ـ ويشخص الطيور في الأيك ، ويجعل منها خطباء مصاقع تشارك « الجمال » في هتافه بامارة تلك الحسناء ، وتحس الرياض والأيك بهذا الجمال الصارخ فتتجاوب سريعا معه ، فيهتز الأيك ، ويبتسم الروض .

ـ وفي البيت الخامس يضن على حسنائه بأن تصبح صورة مماثلة للغصن في انعطافه وتثنيه ، وفي ازدهاره ونضرته ، فالغصن لا يصل ـ في الحقيقة ـ في نضرته وبهائه الى قدها المشوق ، وقوامها الرشيق .

ـ وفي البيتين : السادس والسابع يجعل « الزهر » يسبو الى جمال تلك الحسناء ، فيتعلق بأذيالها ، في محاولة للتعبير عن مكنون حبه لها ، و « الفرع » يميل من عليائه نحوها محاولا ضمها اليه ، كي يطفىء من شوقه اليها ، ويترجم لها عن ذلك التواصل المحبوب ، الذي ينبغي استمراره بينهما في غير انقطاع ، وعلى غير انتهاء .

وفي ظني ان احساس الزهر والفرع هنا ليس في الحقيقة سوى احساس الشاعر نفسه ، وهكذا يصنع الرومانسيون من الشعراء ، حين يحلون في مشاهد الطبيعة الساحرة ويندمجون في مرائيها العذبة ، ويفكرون من خلالها .

ـ والعياء او التعب الشديد يتحول عند مطران الى صورة حالية ، على الرغم مما يسببه من عرق يعلو الجبين ، ويصبغه بالشحوب :

حتى اذا حلى العياء جبينها بندى واخمد جمرة من عزمها
جلست تقابل امها . . . . . .

ولقد اشار الى هذا المعنى الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وكان على رأس من تأثر بمطران من المصريين ، في قصيدته : « حبيبتي المتنكرة » بديوانه « أنين ورنين »(٧) والتي مطلعها :

اوفدت رسمك للفؤاد رسولا فجعلت منه السائل المسئولا

وقد علق الشاعر احمد محرم على تلك القصيدة فكان مما قاله : « هل تستطيع انت ان تقرأ هذا البيت ، ثم تتركه في ذلك الموقف ، وتملك نفسك من الانطلاق الى قصيدة اخرى قبل ان يأذن لك ، ويتقدم امامك ؟ » :

يا حسن نظرتك التي أروى بها واكاد اقتل بالفراق قبولا

انه يروى فيذبل ، ويكاد ان يقتل ! ايه يا احمد ماذا

فتنة عمري

رقص الفجر على أعتاب صدري ... سائلا عنك : أيا فتنة عمري
ملء كفيه هدايا ، لو رأتها ... أنجم الزهر لسارت نحو صدري
قال لي : أنت محب ؟ قلت : منها ... أستمد البوح ، يا أجمل فجر
كنت في الظلماء ، فامتد سناها ... مرحا ، يلهب احساسي وفكري
ما أنا الا حنين ليس يدري ... أهي الومض الذي فجر شعري
أم ترى الومض رأى في مقلتيها ... زهرة الخلد التي فاحت بطهر
كيف يا سمراء غنيت التنائي ... بعد ان صرت لروحي باب خير
كل أفلاك الهوى ناحت ، وأرخت ... حزنها ، لما غدا الهجران يجري
بين أنفاس لنا كانت حقولا ... من شموس العطر ، يا مفتاح أمري
أنهري ضلت على البيد ، تنادي : ... أين سمرائي اختفت ؟ قل : هي تجري
من زمان الزهر أطلقت طيورا ... نحوها ، تحمل أندائي وعطري
وأنا قلبي على السكين يرنو ... لحبال النأي تلتف بنحري
كل ظل هو مني قبلة في ... جبهة النور التي بالسحر تغري
كل همس شكلته الارض همسي ... أنت فيه الرنة الملأى بسحر
فائض وجدي على الكون وحرفي ... أسكر البدر بلا قطرة خمر
كلما الورد اشتكى غربة كأس ... وجد البسمة سلسالا بثغري
في دروبي يحضن الشوق وجوها ... كل وجه هو في العينين بدري
أين تصطاف رؤى الحزن ، وهذي ... نسمة من أبد الفرحة تسري
صبح الصخر شذاها ، ثم أمسى ... لينا ، كالموج يختال بسكر
كيف لا أحيا ، وقد أورق عودي ... بيد الحب ، فهل أكره غيري
كيف لا أحيا ، وذات الخلق ذاتي ... منهم العمر اكتسى حلة فخر

مراكش ــ المغرب

آيت وارهام احمد بلحاج

تقول ؟ وما هذا الذي بك ؟ ذلك هو جمال الوجدان في روعة الصنعة تقول : « يا حسن ضعفك في شحوب فاتن » كلا ما هكذا يقولون ، وما كان لطبيب مثلك ان يعشق الضعف ، ويفتن بالشحوب ولكنه وجدانك الناطق يحدث عن نفسك الشاعرة ، التي لا تعبأ بطبك ، ولا تعرف لغتك حين تقول : « ميكروب عدوى ، وحسبي من هذا من لذاذة هذه النجوى»(٨) وهكذا سبق مطران الى هذا المعنى حين قال :

حتى اذا حلى العياء جبينها . . . . . الخ

وحسبه ان يكون بالنسبة لأبي شادي في منزلة الشيخ من المريد !

هكذا كان مطران شاعرا يهيم بالخيال ، ويتخذ من مشاهد الطبيعة صورا مشرقة يزين بها شعره ، ويكشف من خلالها عن مدى تعشقه للكون وتعلقه به ، لما يشتمل عليه من مراء ومشاهد تخدر الحس ، وتبهر النفس .

---

(١) ــ المجلة المصرية ، السنة الاولى ج ٢ ص ٢٢ عدد ١٦ يونيو ١٩٠٠ م . (٢) ــ العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ١١٧ (٣) ــ انظر : اتجاهات وآراء في النقد الحديث للدكتور محمد نايل ص ٧٠ (٤) ــ انظر : البيان والتبيين ج ٦٢/١ ، ٦٣ والحيوان ج ١٣١/٣ ، ١٣٢ (٥) ــ انظر : اتجاهات وآراء ص ٧١ (٦) الديوان الجزء الرابع ص ١٥ (٧) ــ أنين ورنين ص ١٧ (٨) ــ نفس الديوان ص ١٧٧ وما بعدها .

القاهرة

محمد سعد حسن فشوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الرزاق الهلالي

قصائد للاطفال

في مناسبة عام الطفل

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

كنت اتصور قبل مطلع عام ١٩٧٩ وهو عام الطفولة الدولي ، ان تكون لي في يوم ما محاولة لنظم اشعار للاطفال ولكن الذي حدث في مطلع هذه السنة ان حفيدتي (دينا) وهي طالبة في الصف الثاني الابتدائي ، جاءتني ذات صباح راكضة وهي تقول ببراءة :

ـ جدو .. اريد قصيدة عن يوم الصحة المدرسية .

قلت لها : ومن قال لك اني استطيع ان انظم الشعر ؟

قالت : المعلمة هي التي قالت لي ذلك .

قلت : اذا كان الامر كذلك ، فاني سأحاول نظم ما تريدين ثم اخذت ورقة وقلما وبعد لحظات قلت لها اسمعي ، ورحت اردد لها هذه الابيات وهي على لسان احد الطلاب :

يا اخوتي يا اخوتي ... هيا اسمعوا نصيحتي
وكيف اني دائما ... ادعو لحفظ الصحة
قال النبي المصطفى ... قولا عظيم الحكمة
ايمانكم يدعو الى ... نظافة يا أمتي
كونوا نظافا دائما ... لتسعدوا بالبهجة

وقد فرحت كثيرا بهذه الابيات وبعد ان رددتها معي مرتين حفظتها وهي مسرورة . اما انا فقد عادت بي الذاكرة الى السنوات التي قضيتها بالتدريس في المدارس الابتدائية ودار المعلمين وقلبت كتب اللغة العربية لصفوف هذه المدارس وجدت ان الشعر الذي يماشي مدارك الاطفال ويداعب اخيلتهم ويوجههم ويمدهم ببعض المعلومات المبسطة لبعض مظاهر الحياة قليل جدا في هذه الكتب ، لكل هذا رايت ان اسهم في نظم بعض القصائد في هذا المضمار .

وفي خلال شهر من الزمن كان عدد القصائد التي نظمتها (٣٢) قصيدة جمعتها في ملف واحد تحت عنوان (قصائد للاطفال) فيها ما يناسب اعمار الطلاب في الصفوف الاولية والابتدائية .

وحيث ان طبع هذه المجموعة قد لا يتم في القريب . لذا رايت ان انشر على صفحات مجلة الاديب الزاهرة ، نماذج من هذه القصائد ، آملا ان يجد فيها اخواني المربون في الوطن العربي ما يمكن الافادة منه في المدارس ، وارجو في الوقت نفسه من اخواني الادباء والشعراء وفي مقدمتهم الاساتذة : محمد العدناني ، عجاج نويهض ، محمد عبد الغني حسن ، سليمان العيسى ، عيسى الناعوري ، حسن عبدالله القرشي ، وعبدالله الانصاري وزكي قنصل ارجو من هؤلاء الاساتذة وغيرهم من المربين بيان آرائهم في هذه القصائد ومن الله التوفيق .

والى القارىء هذه النماذج : ـ

١ ـ مدرستي

مدرستي جميلة ... لا أنثني عن حبها
أحبها لانها ... تحبنا من قلبها
فهي التي تجري لنا ... جداول من عذبها
تسقي بها عقولنا ... فترتوي من شربها
وهي لنا كامنا ... في عطفها وحدبها
نرضع من لبانها ... وننتشي بطيبها
منها العلوم نستقي ... في صفها ورحبها
وكل ما فيه لنا ... تربية نسمو بها
فرددوا بنشوة ... ما قلته في حبها
مدرستي جميلة ... تحبنا من قلبها

٢ ـ الحليب

قال الطبيب سائلا ... من الذي يجيب
عن سائل نشربه ... وهو لنا حبيب
تقوى به جسومنا ... يوصي به الطبيب
(دينا) : اجابت انه ... يا سيدي الحليب
فقال شكرا انها ... جوابها مصيب
فلتشربوه دائما ... فهو لكم قريب
لان من يشربه ... صحته تطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ الذباب

سألت (بسمة) يوما ... عن مضرات الذباب
قلت هذا لك خصم ... شره فيه العذاب
ينقل المكروب دوما ... وبه الجسم يصاب
فاحذريه واقتليه ... ان ذا خير عقاب
واجعلي البيت نظيفا ... ليس فيه ما يحاب
ابعدي الاذبال عنه ... فهي للمكروب باب
ثم رشيه (مبيدا) ... كلما عاد وآب
لتعيشي يا فتاتي ... فيه عيشا مستطاب

٤ ــ عندي بطة

في البيت عندي بطة ... تسكن في كوخ صغير
بنيته من قصب ... هش ومن بقيا حصير
تسكنه مسرورة ... كانه قصر كبير
تسرع نحوي وهي في ... مشيتها لا تستدير
لانني احبها ... كمثل حبي للفقير
اطعمها ما تشتهي ... من حب رز او شعير
وهي لفرط حبها ... وشوقها نحوي تطير
لو كان في لسانها ... نطق وفيه تستجير
لاعربت عن حبها ... وما يكنه الضمير
واسترسلت لاهجة ... بالحب والشكر الكثير

٥ ــ أمي وابي

لم اجد في العيش عونا ... مثل امي وابي
فهما مذ ولداني ... اخذا في دأب
يبعدان الشر عني ... بالضنى والنصب
وهما قد غذياني ... بلبان طيب
وهما قد ربياني ... في رياض الادب
كم ليال سهراها ... كي يزيلا تعبي
فاذا كنت مريضا ... والاذى يحدق بي
مرضا هما وغما ... في جوى ملتهب
واذا قمت معافى ... هللا في طرب
كيف انسى كل هذا ... هل انا غر غبي
يا الهي . يا الهي ... ليس لي من مطلب
غير ان تحفظ دوما ... لي امي وابي

٦ ــ انا والهزار

نهضت ذات صباح ... وسرت نحو الحديقه
وبينما كنت أمشي ... بين الزهور الانيقه
سمعت صوت صغير ... فوق الغصون الوريقه
من طائر كان يشدو ... بزقزقات رقيقه
فقلت هل انت طير ... في الصبح ضل طريقه
فقال وهو سعيد ... نشوان يبلع ريقه
انا الهزار المغني ... للكائنات الصديقه
اشدو لها كل حين ... فالروح مني طليقه
فقلت يا طير شكرا ... تحب كل الخليقه
فانت حر كريم ... لقد علمت الحقيقه

٧ ــ المطر

انا يا سادتي ماء ... جرى في النهر والبحر
جرى كي يمنح الخير ... لكل الخلق في بشر
ولكني بحر الشمس ... قد ضاقت بي الروح
تبخرت على كره ... وقد طارت بي الريح
وقادتني الى جو ... فسيح ما له حد
وقالت ها هنا حلق ... فقد كل بي الجهد
وبينا انا مرتاح ... فلا برد ولا حر
أتت ريح مزمجرة ... بها برد بها قر
وضمتني الى سحب ... بها برق بها رعد
وعافتني مودعة ... وبرد الجو يشتد
ولم أبق بهذا الحال ... حتى صدر الامر
لكي ننزل امطارا ... بنا يندفق الخير
فعدنا مثلما كنا ... مياها في الثرى نجري
وصرنا بعد انهارا ... بنا تجري الى البحر

٨ ــ الوردة والنحلة

قالت الوردة يوما ... وهي في ثوب جميل
من ترى يمتص مائي ... سائغا كالسلسبيل
يتغذى من رحيقي ... وانا جسمي نحيل
خبروني يا رفاقي ... من ترى هذا الدخيل
قالت النحلة اني ... قمت في هذا العمل
انني رهن بطبعي ... واليه امتثل
فهو يدعوني لامر ... ليس لي عنه بدل
ان امص الزهر دوما ... دون ان اخشى الاسل
فرحيق الورد فيه ... لبني النحل الامل
اذ به شمع نظيف ... نبتني منه النزل
وبه شهد لذيذ ... ذلك الشهد العسل
فلكل الورد منا ... واجب الشكر حصل
قالت الوردة لما ... سمعت هذا الكلام
أن يكن مص رحيقي ... فيه نفع للانام
وبه خير عميم ... لك يا بنت الهوام
شاركيني في رحيقي ... أنا لن ابدي الملام

٩ ــ القطار

انا لكم ماكنة ... اوجدها عقل البشر
صممها معتمدا ... على البخار المستمر
وقوتي منه اذا ... سرت بطيش او حذر
اسير فوق سكة ... من الحديد المعتبر
تقودني ممتدة ... ما بين بدو او حضر
اجر خلفي مثقلا ... ركبا به الحمل استقر
في عربات قد بدت ... مقطورة مثل البقر
تكدس الحمل بها ... لنقله مهما كثر
أو عربات خصصت ... للناس انشاؤوا السفر
من موطن لموطن ... في مامن من الخطر
فهل عرفتم من انا ... وما لجهدي من اثر
انا القطار واجبي ... في مرفق النقل انحصر

وبعد ، فهذه نماذج من قصائد للاطفال ، ارجو ان تكون عند حسن ظن الجميع وهي على كل حال محاولة جادة لخدمة اطفالنا الاعزاء ، فماذا يقول فيها القراء الكرام ؟

بغداد ــ شارع عزيز احمد شهاب
محلة نجيب باشا ــ اعظمية

عبد الرزاق الهلالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من حديث الكتب

تأليف الاستاذ محمد سعيد العامودي ـ ٣٤٨ صفحة ـ مطبوعات نادي الطائف الادبي بالسعودية

يبرز هذا الكتاب الدسم معدن الاستاذ محمد سعيد العامودي الخلقي قبل ان يبرز معدنه الادبي ، اذ شاء ان ينكر حسه النقدي في كثير من موضوعات الكتاب ليكشف عن جوهره النفسي حين يستعرض طائفة من الكتب القيمة ليكشف عن لبابها الثمين في قوة ، وليغضي في بعض الاحيان عما بها من هنات ، كيلا يصرف القارىء ببعض الايحاء الخفي عن الثقة في مضمونها الاصيل ، وهذا ما يحاذره الكاتب الكبير اذ آثر ان يقدم لقارئه من الآراء الفكرية ما يتمنى ان يكون موضع نفع ادبي وسلوكي معا ، وكان في طوق الكاتب بكل سهولة بالغة ان يضع الكتاب المعروض في الميزان ليقدم من حسناته ما يتوازن مع ما يقدمه من هناته .

وللاستاذ الكبير سابقة محمودة في النقد الادبي حيث عرض لآثار قوية فوضعها في الميزان الدقيق بحيث لا ترجح كفة على كفة الا بعد تقدير صائب يزن شتى الظروف ، ويفترض كل الاحتمالات ، وهذه الحاسة النقدية البالغة قدرها المقدور في الشفافية تيسر لصاحبها ان يبين موضع النقد في سهولة ، ولكن الحس الخلقي لدى الكاتب قد شاء ان يكتفي بتقديم اللباب الخالص فيما يعرض من الكتب ، واذكر ان صديقي الاديب الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري قد عرض لكتاب (من حديث الكتب) في المنهل الاغر فذكر ان الكتاب (ميكروفلم) يحمي دقائق الاسفار المعروضة احصاء دقيقا ، وهو تشبيه دقيق يقدم الكتاب في صورة مقربة للقارىء .

واذا كان المشبه لا يتفق مع المشبه به في كل شيء كما يقول البلاغيون والا فقد عدم الفارق بينهما اذ يصبح المشبه والمشبه به شيئا واحدا ، اذا كان المشبه لا يتفق مع المشبه به في كل شيء فان مما يفترق المشبه به عن المشبه لان الميكروفلم صورة صماء لا تفصح عن اختيار ، اما كتاب الاستاذ العامودي فيقدم الرائق المستطاب ويهمل ما لا يرتفع الى مستوى الابداع ، وفي هذا تشويق للقارىء كي ينهض الى قراءة الكتاب المعروض فيستفيد منه مشوقا اليه بما قدم له الاستاذ العامودي من ثماره اليانعات ، وحينئذ يعرف ان القراءة النافعة مورد عذب لا يتاح لاكثر الناس الا وراء دليل صادق الحس ، صائب النظر جيد التمييز ، وهي صفات متوافرة لدى الاستاذ العامودي ، وبها أدى كتابه الجيد رسالته الادبية ، وافصح عن مغزاه الخلقي ، وحدد سننه التربوي بما لا يستطيع ان يمتري فيه منصف امين .

لقد تعرض الاستاذ العامودي في كتابه الرائع الى تحليل كتب قيمة يحتل اصحابها ـ او اكثر اصحابها ـ مكان الصدارة في مضمار التاليف ، فكشف عن اهدافها ، وقدم عصارتها الدسمة في وضوح تعبير ، وجلاء مذهب !! تعرض الى كتاب بطل الابطال للاستاذ عبد الرحمن عزام والفاروق الخالد للواء محمود شيت خطاب وداعي السماء للاستاذ عباس محمود العقاد وعبد الملك بن مروان للاستاذ ضياء الدين الريس ، والمنصور ابي جعفر للدكتور عبد الجبار الجومرد ، ورجال من التاريخ للاستاذ علي الطنطاوي ، ولا شيوعية و لااستعمار للاستاذ العقاد والاستعمار والمذاهب الاستعمارية للدكتور عوض محمد والاستعمار احقاد واطماع للاستاذ محمد الغزالي ، واسطورة اسرائيل للدكتور فرانس جوزيف ووعي المستقبل للاستاذ قدري حافظ طوقان ، والامم المتحدة وكيف تعمل لدافيد كرشمان ، والدبلوماسية عبر العصور لهارولد نيكولسون ، وشمس العرب تسطع على الغرب للدكتورة زيغريد هونكه ، وفي مهب الريح للاستاذ ميخائيل نعيمة ، والعرب وابن خلدون للاستاذ ابو القاسم كرو وغيرها من الكتب النافعة .

وبمراجعة الاسماء السابقة للكتب المعروضة نجد الاستاذ العامودي قد تعمد ان يؤرخ للحياة العربية منذ ظهور الاسلام تاريخا متتابعا اذ اختار ما يمثل هذا التاريخ في خطواته المتتالية ، فالحقبة الاولى من صدر الاسلام تمثل فيما كتب عزام والعقاد وشيت خطاب والعصر الاموي يمثل فيما كتب الريس والسيدة اسماعيل كاشف والعصر العباسي يمثل فيما كتب الجومرد والعصر الوسيط يمثل فيما كتب الدهان والطنطاوي والعصر الحاضر يمثل فيما كتب عبد الرحمن الرافعي ! فاذا فرغ الكاتب من تقديم العصور على هذا النحو شاء ان ينتقل من التاريخ الى عالمنا الحاضر الذي يعج بأحفل التيارات المتلاطمة !

ومن اعنف هذه التيارات تيار الاستعمار حيث تعرض الكاتب الى تحليل ثلاثة كتب ممتازة تتحدث عن هذا الوباء الكريه للعقاد والغزالي وعوض محمد ، كما خص اسرائيل بكتاب حافل صادق الاستدلال كتبه امريكي لا يرمى بالتعصب للعرب ولكنه وعى الحقيقة وعيا صريحا فاشار اليها في جرأة وايمان ، اما رسالة العرب الحضارية فقد اختار لها الكاتب الكبير ما يجلوها احسن الجلاء ، واما الصحافة ورسالتها الجبارة التي وهب لها الاستاذ العامودي حياته فقد اختار لها كتابا هادفا كتبه باحث جامعي متئد هو الدكتور خليل صابات ، ويطول بنا القول لو اردنا ان نقف ادى كل كتاب قام الاستاذ العامودي بعرضه ولكننا نختار ـ على سبيل التمثيل ـ ما ذكره الاستاذ العامودي عن كتاب (في مهب الريح) للكاتب الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة حيث خصه للعامودي بثلاث عشرة صفحة من صفحات الكتاب بلغت الغاية كل الغاية في التقديم والعرض والتعقيب اذ بدأ العامودي بالحديث عن المؤلف الكبير فقال انه اديب من ادباء القمة في العالم العربي وانحى باللائمة على من ينتقصون ادب المهجر من غلاة الناقدين فذكر الاستاذ انه ادب انساني هادف يعتمد على التأمل بعيدا عن الحذلقة والسفسطة والتهريج ومن اهم صفاته عمق الفكرة وفنية التعبير ، وصدق الاحساس واستقلال الشخصية ثم عقب العامودي بعد ذلك بقوله (وسنجد كل هذه السمات والخصائص واضحة في هذا الكتاب كل الوضوح) .

واخذ الاستاذ يلخص ابواب الكتاب تلخيصا دقيقا بحيث لم تكد تفوته رائعة من روائعه واختار لقارئه كثيرا من فرائده التي نختار من مختارها قول نعيمة :

(ان تكن العين سراج الجسد ، فسراج النفس الضمير بالعين يميز الجسد الليل من النهار ويميز الاشياء من حيث اشكالها والوانها وابعادها ، ثم يميز ذاته من سائر الاشياء ، وبالعين يستنير ليسلك سبيله في الارض ، كذلك بالضمير ، وتميز النفس ما بين الحلال والحرام ، والصلاح والطلاح ، والفضيلة والرذيلة ، وتميز نفسها من سائر النفوس ، وبالضمير تستنير لتسلك سبيلها في دنيا الخير والشر ، والانسان وهو المخلوق الاوحد على الارض الذي خصته الحياة بنور الضمير علاوة على نور العين ، ومثلما يتفاوت الناس في صفاء البصر ، يتفاوتون في صفاء البصيرة ، فالفرق بين الزباء والاعشى من حيث نقاوة البصر كالفرق ـ من حيث نقاوة البصيرة ـ

بين من يحب قريبه محبته لنفسه ومن يقول من بعدي الطوفان) .

ووالى العامودي عرض المختارات الماثلة في مقدرة حصيفة على الاستشفاف البصير ، والتهدي الى اخلص الجواهر الثمينة من معادن الخواطر والافكار ، حيث ختم هذه الروائع المنتقاة بقول نعيمة ، وهو ايضا ختام هذا الكتاب الحافل (من حديث الكتب) اذ قال نعيمة عن الكتابة الادبية :

(الكتابة عمل مرهق كسائر الاعمال البناءة ، الا انه عمل لذته لا تفوقها لذة ، وهي اذة قلما يتذوقها الكسالى وفاترو الهمة ، فان شئتم بلوغ القمم الادبية حيث (الخالدون) فعليكم الا تشركوا في محبتكم للقلم محبة اي سلطان سواه وان تنبذوا الكثير من ملذات العالم وامجاده ، فانتم اذا ادركتم اي مجد هو مجد القلم هانت لديكم من اجله كل امجاد الارض ، وصغتم اقلامكم عن التملق والتسفل والتبذل ، وما دامت اقلامكم عزيزة فانتم اعزاء) .

وهذا التوجيه الرائع يختم العامودي كتابة (من حديث الكتب) ليشير الى تفضيل الكتابة التي هي شغله الشاغل في حياته الحافلة حفظه الله .

وانا انصح قارىء هذا الكتاب الا يقراه في ساعات متتابعة ، فعليه ان يتمهل بين القراءة ليعطي نفسه فترة كافية لتذوق هذه المختارات وامتصاصها كي تتحول جزءا من كيانه الفكري لان كل فصل من فصول الكتاب يضم حديثا وعرضا وافيا لكتاب ممتاز ، وصعب ان يلم القارىء بعدة كتب دسمة في مجلس متصل . ولا يعلم كم عانى الاستاذ العامودي في تلخيص هذه الروائع الا من بذل مثل جهده في القراءة المتصلة ثم في الاختيار الدقيق ثم في الاستيعاب الشامل ثم في التوجيه السديد والتعبير الهادىء ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، والاستاذ العامودي يعرف جيدا حبي الشديد للكاتب الكبير الاستاذ احمد امين لذلك ادعوه ان يراجع ما قاله عن ابن خلدون في ضحى الاسلام ليعرف ان من نقل كلامه قد تجنى عليه حين اكتفى بلا تقربوا الصلاة وسكت عن بقية الآية الكريمة ، فالاستاذ احمد امين لم يلق قوله القاء عائما دون تدليل ، بل ذكر وجهة نظره الواضحة ، وعلى معارضه ان يناقش حجته المنطقية بعيدا عن المغامز المنكرة اذ كلنا طالب حقيقة ، ولا يوجد من يشك في حب احمد امين لابن خلدون بعد ان يقرأ ما كتبه عنه في الجزء الثالث من ظهر الاسلام ، ولا ادري لماذا يحاول بعض الناس ان يعمي القول تعمية ان دلت على تسرع البحث فقد دلت على الاجحاف الاليم ، ولماذا نحاول ان نخلق للفيلسوف العربي الكبير خصوما من اصدقائه المعجبين لنكون وحدنا المحبين ! مع ان ابن خلدون في عليائه لا يهتم الا بآراء النقدة الفاهمين من امثال احمد امين .

المنصورة ــ كلية اللغة العربية **محمد رجب البيومي**

* * *

ديوان الابيوردي

تحقيق الدكتور عمر الاسعد ــ مجلدان من الحجم الكبير ــ ١٠٨٠ صفحة ــ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ــ مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ــ العامان الهجريان ١٣٩٤ و ١٣٩٥ ، والميلاديان ١٩٧٤ و ١٩٧٥

اهدى الي الاديب الكبير الدكتور عمر الاسعد ديوان الابيوردي ، الذي درسه دراسة شاملة ودقيقة ، تشعر القارىء انه امام احد عمالقة الادب المعاصرين ، البارعين في تحقيق المخطوطات القديمة ، والذين اتبعوا اساليب المستشرقين الدقيقة ، وغبروا عليهم في بعض الاحيان .

وقد حقق المؤلف « العراقيات » في الجزء الاول ، وبقية « العراقيات والنجديات » في الجزء الثاني .

والابيوردي ينتمي الى الامويين ، وقد اجمعت المراجع على ان جده الاعلى هو ابو سفيان ، الذي قال فيه مفتخرا :

واقرع أبــواب الملوك بوالــد حوى بأبي سفيان اشرف منتمى

ولد الابيوردي نحو سنة ٤٥٧ هـ. وتوفي في شهر ربيع الاول سنة ٥٠٧ مسموما بأصبهان ، كما يقول ابن خلكان ، فيكون قد عاش نحو خمسين سنة . وفي ديوانه نحو ستة آلاف بيت ، خمسة آلاف منها للعراقيات ، وهي قصائد شبابه التي نظمها قبل الاربعين ، وجلها في الخليفتين المقتدي والمستظهر ، ووزرائهما ، وكبار القوم في عصرهما . اما الالف بيت الباقية ، فقد اطلق عليها اسم النجديات ، وهي قصائد صغيرة في الغزل ، نظمها تلبية لرغبة صديقين له ، كانا يرتاحان للنسيب الرقيق .

واعتمد الدكتور الاسعد احدى عشرة نسخة مخطوطة هي :

نسخة دار الكتب المصرية . ومكتبة عاشر افندي في «رئيس الكتاب» . ومكتبة متحف طوب قبو . ومكتبة باريس الوطنية . ومكتبة الفاتح . ومكتبة دير الاسكوريال . ومكتبة كوبرولي . والمتحف البريطاني . ومكتبة ليدن . ومكتبة بودليان . ونسخة مكتبة توبنجن .

وكثرة المخطوطات هذه ، واسلوب معالجة موادها يدلانا على علو كعب الدكتور عمر في تحقيق المخطوطات . وهنالك مخطوطات ثمان اخرى غير معتمدة ، لان في كل منها نقصا ، وبين المخطوطة الاولى والاخيرة نحو ستة قرون .

اما اسلوب التحقيق فانني الخصه بما ياتي :

(١) حرص المؤلف على المحافظة على ما في نسختي الاصل ــ وهما نسخة دار الكتب للعراقيات ، ونسخة كوبرولي للنجديات . وحرص على شكل شعر الديوان بما شكل به في هاتين النسختين ، ما لم يكن غلطا او سهوا في النسخ .

(٢) وراعى في النسخ ما تواضع الناس عليه من اصول الكتابة الحديثة :

(أ) اهمل طريقة الناسخ في اثبات ثلاث نقط تحت السين ، ونقطتين وسط الياء .

(ب) اعاد رسم بعض الكلمات بشكلها الجديد : «الحيوة ــ الحياة» .

(ج) التزم بكتابة الالفات المقصورة والقائمة ، بقواعدها المعروفة .

(د) اثبت الهمزات المسهلة : « بشايره ــ بشائره » .

(هـ) اثبت الف الوصل المحذوف ، والف « اذا » المحذوفة : « كما هتز ــ كما اهتز ، اذ لاح ــ اذا لاح » .

(و) اسقط الف (ابن) وامثالها حيث وجب اسقاطها .

(ز) اشبع الضمائر المتصلة المحذوفة ، والمدلول عليها بحركاتها : « اجزل ــ أجزلوا » .

(٣) اهمل الاشارة في نسختي الاصل ــ وفي النسخ كافة ــ الى الاخطاء الاملائية والنسخية ، واخطاء الشكل .

(٤) اثبت الابيات التي سقطت من نسختي الاصل ، ووردت في بقية النسخ ، ودلل على سقوطها بحاصرتين كبيرتين ( ) .

(٥) اشرك في المقارنة الحرفية نسخ الديوان كافة في عملية التحقيق ، ومعها الديوان المطبوع ، متجاوزا اغلاطه المطبعية والنسخية الكثيرة ، وذاكرا من رواياته الاوجه المحتملة .

(٦) سجل حواشي النسخ كافة الا ما لم يتبينه ، نتيجة طمس ، او بلل ، او دقة خط ، واشار الى ذلك بما يدل عليه من نقط (....) .

(٧) لم يحرص على اثبات هوامش نسخة الاصل حرصه على اثبات نصها .

(٨) قوم في هوامش النسخ وشروحها وتعليقاتها كثيرا من العبارات المضطربة ، دون الاشارة الى الخطا ، اي الاصل الذي ذكرت تلك العبارات على صورته .

(٩) حافظ على نصوص الهوامش والتعليقات .

(١٠) خرج الشواهد الشعرية والابيات الضائعة المجهولة ، وبقيت

ابيات قليلة ، لم يتوصل الى معرفة ناظميها ، او ردها الى مظانها .

(١١) والعبارات التي وقعت في حواشي مستقلة ، دون ان يشار اليها بشيء هي من وضع المحقق .

(١٢) رجع الى معاجم اللغة للتثبت من الشروح والمعاني الواردة في الحواشي كافة ، فان كانت صحيحة سكت عنها ، والا نبه الى ذلك فصححه ، او زاد عليه ، دون ذكر اسم المعجم ، الا اذا نقل حرفيا نصا منه .

(١٣) حرص على ان تتسع حواشي بعض ديباجات القصائد لترجمة الاعلام انهامة الواردة فيها .

(١٤) واخيرا ، اهتم بالحاق فهارس متنوعة لكل من جزأي الديوان لتسهيل مراجعته والنظر فيه .

ثم يضع الدكتور عمر ستة نموذجات لست صفحات مخطوطة من الديوان ، تبين الجهد العظيم الذي بذله المحقق الدقيق جدا للوصول الى اقصى ما يمكن من الاصل الحقيقي ، الذي أراده الشاعر الابيوردي .

اما ملحوظاتي اللغوية فهي قليلة جدا بالنسبة الى هذين الجزأين الكبيرين ، منها : انه قال : الى قسمين رئيسيين ، والاحسن : رئيسين ، وان كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اجاز رئيسيين ايضا .

وقال : الباء الموحدة ، والدال المهملة ، والياء التحتية . ولست ادري لماذا ذكر (الموحدة ، والمهملة ، والتحتية) ، وهل هناك باء غير موحدة ، ودال غير مهملة ، وباء فوقية غير تحتية ؟ ولئن كان الاجداد قبل مئات السنين قد اضطروا الى ذلك ، قبل الاعجام ، فنحن لسنا في حاجة الى هذا التفصيل ، وطلابنا في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية يعرفون كيف تكتب الباء والدال والياء .

وقال : كرس اكثرها ، والصواب : خص اكثرها ، لان الفعل (كرس) لاهوتي .

وقال : متحف طوب قابي ، والصواب : متحف طوب قبو في الاستانة ، ومعنى (قبو) بالتركية باب ، وطوب (مدفع) .

وقال نماذج ، والصواب : نموذجات ، لان النموذج اسم خماسي لم تذكر له المعاجم جمع تكسير ، لذا يجب جمعه جمع مؤنث سالما .

ولا بد لي هنا من ان اورد عددا من الابيات ، التي نظمها الشاعر الابيوردي ، الذي تميز من شعراء عصره بوجهه العربي الاصيل ، وترفعه عن المديح الرخيص ، ليرى قراء « الاديب » اية قمة بلغها هذا الملهم الكبير .

فمما جاء في ديوان « العراقيات » :

وقد خلف الدهر الغواني ، فصرفه ... كالحاظها في منزل الحي مغتال
ولم أدر من أدنى الى الغدر: صاحبي ... أم الدهر، أم مهضومة الكشح مكسال
من العربيات الحسان ، كانها ... ظباء تناغيها بوجرة اطفال
يباهي بها الليل النهار ، فشهبه ... عقود ، ومن عين الغزالة احجال

ومما قاله في مدح الخليفة العباسي المستظهر بالله :

ذو همة بالعلا مشغوفة ، جمعت ... من المكارم ابكارا الى عون
لم يرض بالارض، فاختار السماء لها ... حتى اطمانت بربع غير مسكون

ومن اقواله الخالدة :

متى ترد الثراء ، فلست مني ... وخدني غير من سال الرجالا
فلا تصحب من اللؤماء وغدا ... يكون على عشيرته عيالا
وشايعني ، فاني لست أبدي ... لمن ينوي مخالصتي ملالا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٢٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Dir. 223819
Dle. 225139

الادارة : ٢٢٣٨١٩
المنزل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

أنـا ابن الاكرمين أبـا وأمـا ... وهم خير الورى عمـا وخـالا
أشدهـم اذا اجتلـدوا قتـالا ... وأوثقهـم اذا عقـدوا حبـالا
وأرجحهـم اذا قـدروا حلومـا ... وأصدقهم اذا افتخـروا مقـالا
وأصلبهم لـدى الغمرات عودا ... اذا الخفرات خلـين الحجـالا

ومن روائعه :

بيض سلبن المها لحظا تمرضه ... ثم استعرن من الغزلان أجيادا
منهن ليلى ، ولا أبغي بها بدلا ... تجـزي المحبين بالتقريب ابعادا
انـي لاذكرها بالظبي ملتفتا ، ... والشمس طالعة ، والغصن ميادا
وقد رضيت مـن المعروف تبذله ... أن ينجز الطيف في مسراه ميعادا

ومما قاله في مدح الخليفة العباسي المقتدي بامر الله :

ولاحـت تباشير الصباح كانهـا ... سنا المقتدي بالله في آل عباس
حمى بيضة الاسلام ، فاستحكمت به ... عراه ، وقد شدت لديه بأمراس
يلـوذ الرعايـا آمنـين بعـزه ... لياذ عتاق الطير بالجبل الراسي
فيلحفهم ظلا مـن العدل وارفا ... ويرعاهم بالنائل الغمر والباس

ومما جاء في ديوان « النجديات » :

مهفهفة يشكـو الوشاح ازارها ... فقد سيم ظلما ، وهي لي منه أظلم
وأشرق خـد لاح موقع لثمـه ... وقد كدت لولا خشية الله ألثم

وجاء فيه ايضا :

خطرت لذكرك يـا أميمة خطرة ... بالقلب تجلـب عبـرة المشتاق
وتذود عن قلبي سواك ، كما ابى ... دمعـي جـواز النـوم بالآماق
لم يبق مني الحب غير حشاشة ... تشكـو الصبابة فاذهبي بالباقي
أبيل مـن جلب السقام طبيبه ... ويفيق من سحرته عين الراقي
ان كان طرفك ذاق ريقك فالذي ... ألقى من المسقي فعل الساقي
نفسي فداؤك من ظلوم أعطيت ... رق القلوب وطاعـة الاحـداق

وقال فيه :

نأت أم عمرو ، قرب الله دارها ... وأظهر دمعي ما تجن الاضالع
فوالله مـا أكرهت جنبي بعدها ... على السر حتى تستشار المدامع

ومن نجدياته :

وهيفاء لا أصغي الى من يلومني ... عليها ، ويغريني بها ان يعيبها
أميل باحدى مقلتي اذا بـدت ... اليها ، وبالاخرى اراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ، ولم يدر أنني ... أخذت لعيني من سليمى نصيبها

ومنها ايضا :

كيف السلو ، وقلبي ليس ينساك ... ولا يلـذ لساني غـير ذكراك
أشكو الهوى لترقي يا أميمة لي ... فطالمـا رفـق المشكو بالشاكي
ولست أحسب من عمري،وان حسنت ... أيامه بـك ، الا يـوم القاك
وما الحمى لك مغنى تنزلين به ... وليس غير فؤاد الصب مغناك
يشقى ببعضي بعضي في هواك فما ... للعين باكيـة ، والقلب يهواك
ان يحك ثغرك دمعي حين أسفحه ... فانـني جـدت للمحكي بالحاكي
ومن عقودك مـا أبكي عليك به ... وهـل عقودك الا مـن ثناياك
مـا كنت أعلم ان الدر مسكنه ... يكون جيدك ، أو عيني ، او فاك

ولا بد لنا في الختام من تحية هذا المحقق الكبير ، الذي نشد الكمال في مؤلفه الضخم النفيس ، فتتبع الاخطاء المطبعية التي وردت في الديوان ، المضبوط بالشكل الكامل ، وافرد لها بضع صفحات وضع فيها صوابها في نهاية الجزأين الاول والثاني .

والى اللقاء في تحقيق ديوان مخطوط خالد آخر .

محمد العدناني

حديقة الحيوان
في لزوميات ابي العلاء المعري

٢٩٢ صفحة ــ قطع كبير ــ مطبعة المجد ــ دمشق

منذ اكثر من ثلاثين عاما والاستاذ الياس سعد غالي عاكف على موضوع شائك صعب ، هو « دانتي ما بين المعري وفرجيل » ليثبت رأيا قد يخالف فيه الكثيرين من ان دانتي لم يعرف ابا العلاء ولم يقتبس من رسالة غفرانه شيئا ولا سيما فكرة « الكوميديا الالهية » ، ولم يقف الى جانبه في هذا الرأي الا الدكتورة بنت الشاطىء « عائشة عبد الرحمن » لقد بين ان جميع من تبنوا فكرة الاخذ والاقتباس هذه انما كانوا ناقلين عن غيرهم نقلا عشوائيا ، لا تبصر فيه ، متبنين الرأي الذي أتى به الراهب الاسباني اسين بلاسيوس كأنه نصر قومي او سبق منقدم لمآثر العرب في ابداعات الفكر الانساني .

ليس هذا هو الموضوع الذي اريد ان اعالجه الآن وانما أتيت بهذه المقدمة لأبين الجهود القيمة التي بذلها الاستاذ الباحث الياس سعد غالي على مدى اكثر من ثلاثين عاما يقرأ ويبحث وينقب ويفتش في بطون الكتب والمجلات والصحف عن كل ما يعرف انه يخدم موضوعه حتى كتب ثلاثة مجلدات لم يتح له ان ينشرها ... وان كان قد نشر بعض فصولها في مجلات مختلفة في القطر وخارجه . وهذه الفصول هي اقرب الى الدراسات والبحوث العلمية منها الى المقالات الادبية ، منها « دانتي بين المعري وفرجيل ١٩٤٦ » ، « آدم ولغته في نظر المعري ودانتي ١٩٧٤ » ، « دانتي وفرجيل ١٩٧٥ » ، « المعري ولوقيانوس السميساطي ١٩٧٥ » مقارنا بينه وبين هذا الاديب الفيلسوف الفراتي القديم في كتابه مسامرات الاموات ، الذي ترجمه الياس غالي ونشرته الاونيسكو عام ١٩٦٧ ، « أويديك اسهاقيان وابو العلاء ١٩٧٦ » ، « دانتي ١٩٧٧ » ، « ترجمة رسالة الغفران ١٩٧٧» ، «غفران المعري وضفادع اريستو فانيس ١٩٧٨»، « صدق المراة الحميم ابو العلاء المعري ١٩٧٨ » .

وقد فتحت ملازمته الطويلة لابي العلاء ذهنه على الآفاق الرحبة لهذا الشاعر العظيم فقام بمشروع ثقافي مفيد لم يخطر لأحد في بال باقدامه على اخراج سلسلة كتب او « حدائق لزوميات ابي العلاء » كما سنبين فيما يلي .

لقد استرسل الاستاذ غالي في بحوثه وقام منذ عام ١٩٧٤ في جمع كل ما قاله ابو العلاء بخصوص الحيوان ولا سيما في اللزوميات حتى غدا بحثه كتابا هو موضوع هذه الكلمة العجلى ، وقد رأى النور منذ ايام ، وهو يقع في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، اهداه الى كل من كانت له يد في تربيته وتعليمه ، وقد نشره على نفقته الخاصة بعد ان تنكبت جهات رسمية مختصة عن تولي نشره ، بالرغم من اهمية الهدف الذي يرمي اليه ، ألا وهو تحقيق مجد عظيم لشاعر العرب الخالد ابي العلاء المعري ، ونفع معنوي لبني قومه على المستوى العالمي كما يقول .

ويشير المؤلف في بداية الكتاب الى ما حداه على التساؤل لماذا لا يكرم ابو العلاء عالميا في نطاق دولي وهو اول من دعا الى الرفق بالحيوان بقوله :

أرفق به ، فشهدت انك ظالم ... في ظالمـين اباعـد واقـارب

فسبق بهذه الدعوة بمئات السنين جميع المؤسسات العالمية في بريطانيا وفرنسا التي راحت تدعو الى الرأفة بالحيوان والعطف عليه لانه لا يستطيع ان يفصح عما يعاني من ألم وجوع وتعب ... لذلك اخذ المؤلف يسعى الى تحقيق هذا الهدف منذ عام ١٩٧٤ فأخذ يراسل الجمعية الملكية والجمعية الدولية للرفق بالحيوان في لندن ، والاونيسكو في باريس ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عارضا الفكرة حاثا على تكريم ابي العلاء الذي دعا منذ اكثر من الف عام الى الرفق بالحيوان كحيوان . وعلى اثر هذه المراسلات قبلت الجمعية الفكرة ، مرحبة بما قدمه اليها من معلومات هامة ومفصلة عن ابي العلاء ومؤلفاته ، ووعدت ان تدرس لجنتها المختصة الموضوع بعد الاطلاع على ما كتبه ابو العلاء في هذا الخصوص ، ولذلك لم يكد يسلم اول نسخة من المطبعة حتى كانت في طريقها الى هذه الجمعية .

ولكي يكون الموضوع وافيا فقد وضع للكتاب مقدمة احتلت خمسا وسبعين صفحة ، تحدث فيها عن كل ما يتعلق بالرفق بالحيوان . متتبعا النظر اليه عبر التاريخ لدى الوثنيين وفي التوراة والعهد الجديد والقرآن والحديث ، وفي الوقف الاسلامي الرائع ، واخيرا في القوانين الانكليزية والفرنسية والسورية ، متوقفا عند النظريات الفلسفية كالبرهمية وغيرها ، محاولا ان يعرض المصادر التي يحتمل ان يكون ابو العلاء قد استقى منها مبدأه في تركه اكل اللحم .

لعل اطرف ما جاء في هذه المقدمة الطويلة هو ذكره لما انشاه الاقدمون من اوقاف للرفق بالحيوانات ، ورعاية المريضة العاجزة منها التي تخلى اصحابها عنها فلم تعد تجد ما تاكله ، وقد وصل بهم الامر الى اعلى درجات الاجر والمغفرة ، حتى ان بعض الواقفين اشترط وضع آنية في رؤوس المآذن تملأ بالحب فيلتقط منها الطير ما يشبعه ايام القحط والبرد الشديد فالامير ناصر الدين القيمري الذي انشأ مدرسة القيمرية الجوانية جعل فيها مكانا للقطط المريضة او العاجزة المشوهة وقد خصص لها من الريع ما يكفي هذه القطط والقائمين عليها من الخدم ، كالحسكي الملقب « ابو القطاط » الذي كان مولجا بتأمين اللحم لها من المسلخ . وقد ظلت تلك المدرسة تستقبل الوافدين اليها الى عهد قريب . وقد وقف نور الدين الشهيد عقار « مرج الحشيش » الذي يقام عليه معرض دمشق الدولي حاليا على رعي المواشي العاجزة .

واشار الى اتفاق كلمة المذاهب في الاسلام بخصوص معاملة البهائم على تحريمها على مالك الدابة تكليفها ما لا تطيق من ثقيل الحمل او ادامة السير ، او وسم الدابة وكيها في مكان يؤلمها وخاصة في وجهها ، اذا كان ذلك لغير العلاج ، وتحريمها عليه ضربها ونخسها ، ونتف صوفها ، وحلبها اذا كان علفها قليلا ، او اذا كان ولدها يحتاج الى هذا الحليب ، ومنعت تحريض الديكة والثيران للعراك . وقد يجبر مالك النحل ان يبقي شيئا من الكوارة ، وفرضت على من يريد ان يذبح دابته أن يحد شفرته عند الذبح ، ويريح الدابة قبل السلخ . اما الحيوان المؤذي فاما ان يقتل ، واما ان يخلى سبيله ولا يجوز حبسه حتى يموت جوعا .

ويتساءل المؤلف ، بعد ان عرض رفق السلف بالحيوان ، اين نحن اليوم من ذلك السلف الصالح ؟ ليت الذين يعيشون في هذا العصر — عصر الحضارة والمدنية — يهتمون بالانسان اهتمام القدماء بالبهائم ، اذن لكانت البشرية في اسعد حال ؟ ! ...

ثم يتحدث عن صوم الدهر عند ابي العلاء ، فيذكر انه ما اكل شيئا من حيوان طوال خمس واربعين سنة ، وقد ابى الله عليه ان ياكل لبن الضان :

ابى الله اخذي در ضأن وماعز وادخالي الامر المضر على السخل

ودعا غيره الى عدم طلب القوت من الذبائح ولا مما اخرجه الماء :

فلا تاكلن مـا اخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح

وعدم اكل عسل النحل الذي ما جنته مبكرة الا غذاء لها ولاطفالها :

ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب مـن ازهار نبت فوائح

وظل متشددا في ذلك حتى مات وقد بلغ من الكبر عتيا ، مقتصرا في اكله على الفول والعدس المطبوخ وخبز الشعير والتين ... اذن يمكن اعتبار ابي العلاء اول من دعا الى الرفق بالحيوان بقوله « ارفق به ! » وقد بنى على فلسفته الاخلاقية التقشفية مذهب محبته للبشر ، حتى للحيوانات ، فكلاهما متشبث بالحياة ، وكثيرا ما يفضل الحيوان الانسان كقوله :

كلاهما يتوقـى ، والحياة لـه حبيبـة ويـروم العيش مهتاجا

وقوله :

فيا طائر الممني ويا ظبي لا تخف شذاي فمـا بيني وبينكما فرق

ولم يضن ابو العلاء على الحيوانات بالجنة في كتابه «رسالة الغفران» اذ حشر فيها الحيوانات الصالحة مثل اسد القاصرة الذي صادفه ابن القارح — بطل الغفران — وهو يفترس من قطعان بقر الجنة فلا تكفيه منها مئة ولا مئتان . ومثل الذئب الذي كان يقتنص ظباء فيفني قطيعا منها بعد قطيع . وكلما فرغ من ظبي او ظبية عادت بالقدرة الى الحال المعهودة ... الى آخر ما هنالك من مشاهد الحيوانات الكثيرة المبثوثة في ثنايا هذه الرسالة الرائعة الخالدة .

لكن الاستاذ غالي يعلق على ذلك بان ابا العلاء ما كان جادا ابدا في شيء مما ذكره عن الحيوان في رسالة الغفران . وقد اشار الى اهم ما جاء عن الحيوان في رسالة الملائكة وسقط الزند ورسالة الصاهل والشاحج والى ما قاله المعري في كتابه الفصول والغايات الذي لا يخرج في معناه عما جاء في اللزوميات التي صب فيها معظم آرائه الفلسفية .

ثم يقف وقفة طويلة عند سبب ترك ابي العلاء لاكل اللحم ، واختلاف الآراء في ذلك ، فقد نسبه بعضهم الى التبرهم كابن حجر ، اما ابو الفداء فقد نسبه الى الزهد الهندي ، ورأى رأيه طه حسين وفؤاد افرام البستاني وغيرهما من المستشرقين ، وعلى رأسهم فون كرومر ، اما الدكتور زكي المحاسني فيرى انه كان متأثرا بفيلسوفين يونانيين عرفهما العرب هما ميثاغورس وديوجين الكلبي ، ثم يورد آراء كل من بنت الشاطىء وسليم الجندي وغيرهما ... ولا يشك المؤلف في ان مبدأ ابي العلاء وان كان خاطئا لمخالفته للقانون الطبيعي : قانون تنازع البقاء وبقاء الاقوى اذ لو تركت الحيوانات وشأنها لما بقي للانسان حبة قمح يقتات بها ولا عشبة تمسك رمقه ولا موطىء لقدمه على سطح الارض ، فانه يدل على نبل عاطفة ابي العلاء ورقة شعوره وترفعه حتى عن ايذاء الحيوان مما يدعو الى الاعجاب بتلك النفس الطيبة الكبيرة .

لقد اثمرت صحبة المؤلف الطويلة لابي العلاء عن تاليف عدة حدائق كان اولها حديقة الحيوان في لزومياته التي تحدثنا عنها باختصار ، وستتلوها حدائق اخرى كحديقة المراة وحديقة النسل وحديقة الخير والشر ، وحديقة القضاء والقدر وحديقة الروح ... واكثرها جاهز للطبع ، وهي كلها تدل على قدرة الاستاذ غالي على البحث وصبره على التنقيب والمراجعة وادامة النظر وسعة الافق ، والتقصي الدقيق ، فلم يفته اي شيء يتعلق بموضوعه ، وكان يرد كل عبارة استعان بها الى المصدر الذي اخذ عنه عربيا كان ام اجنبيا ، بامانة علمية دقيقة ولذلك كثرت هوامشه وتعليقاته على النصوص .

عسى ان يمد الاجل في حياة الاستاذ غالي ، هذا الانسان الدؤوب ، ليواصل اصدار كتبه الباقية التي انفق فيها جهده ووقف عليها راحته وماله ، لانه يريد ان يضع جهوده المكثفة في متناول الشبيبة القادمة ، ويوفر عليها بذل الجهد والوقت والغوص في بطون المصادر الشاردة بحثا عن الحقيقة ليقدمها اليهم على صينية من ورق .

دمشق عيسى فتوح

٤٨ قصور — كزبري



خليل مطران

صورة من الحياة.. لخليل مطران

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

دراسة في نص . . لشاعر القطرين خليل مطران (١٨٧٢ — ١٩٤٩) المطلع على ديوان الخليل ، الذي نشرته دار الكتاب العربي ببيروت ، في طبعته الثالثة (١٩٦٧) يقع على قصيدة بعنوان : « المرآة الناظرة » التي قدم لها الشاعر بقوله : « في حديقة الجيزة ، اصيل يوم هبت فيه ريح السموم فرايت فتاة تنظر بعيني امها ، وتصلح شعرها »(١) فكانت تلك الابيات ، التي نقل الينا الشاعر من خلالها صورة ناطقة من صور الحياة العصرية :

عاجت أصيلا بالرياض تطوفها ... كمليكة طافت معاهد حكمها
حسناء أمرها الجمال فانثنت ... في أيكها الاطيار تخطب باسمها
والحسن أكمل ما يكون شبيبة ... في بدنها ، وملاحة في تمها
سترت بأخضر سندسي جيدها ... فحكى المحيا وردة في كمها(٢)
وتمايلت في ثوب خز مورق ... غصنا، وهل للغصن نضرة جسمها ؟
فاذا دنت في سيرها من زهرة ... همت بأخذ ذيولها وبلثمها
أو جاوزت فرعا رطيبا لينا ... ألوى بمعطفه ومال لضمها
وتحف أبصار بها فيخزنها ... بحيائها ، ويشكنها في وهمها(٣)
كالنحل طفن بزهرة فلسعنها ... ورشفن منها ما رشفن برغمها
حتى اذا حلى العياء جبينها ... بندى ، وأخمد جمرة من عزمها
جلست تقابل أمها ، وكأنما ... كلتاهما جلست قبالة رسمها
لكن عاصفة أغارت فجأة ... بالهوج من لدد الرياح وقتمها(٤)
فاهتزت الغبراء حتى صافحت ... عذبات سرحتها منابت نجمها(٥)

وتناثرت ضفر الفتاة غمائما ... سترت عن الابصار طلعة نجمها
فتحيرت فيما تحاول وهي قد ... أعيت بلا مرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت ... بعيونها ، وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة اذا ابتغت مرآتها ... فتعذرت . نظرت بعيني أمها

— ١ —

كان خليل مطران — كما اثبت الدكتور اسماعيل ادهم في دراسة له عنه — يهوى من البحور : الكامل ، فالطويل ، فالخفيف ، فالمتقارب ، فالمجتث ، وذلك يدل دلالة اكيدة على قيام ذلك الناقد بعملية استقراء واسعة لشعر مطران ، وذلك جهد يذكر له فيشكر بلا شك .

والكامل : يتسع لأغلب الموضوعات الشعرية وعلى الاخص القصص .

والطويل : يتسع لكثير من المعاني ، وبخاصة الرثاء ، والوصف ، والتاريخ .

والخفيف : بحر قريب الى النفس ، طيع في المعالجة والمعاناة ، حتى يقرب اسلوبه من الاسلوب النثري .

والمتقارب : بحرفيه رقة ونغمة مطربة ، على شدة مأنوسة ، وهو اصلح للعنف ، والسير السريع(٦) .

واذا كان بحر الكامل يتسع لأغلب الموضوعات الشعرية ، وعلى الاخص القصص ، واذ يؤكد الدكتور اسماعيل ادهم ان مطران كثيرا ما استخدم هذا البحر ، فذلك يعد في راينا مؤشرا خطيرا ، ذا دلالات كثيرة على اثر مطران الكبير في شعرنا العربي المعاصر ، وبخاصة في الشعر القصصي ، الذي كان له — بلا شك — دور كبير فيه .

ونحن لا نرتاب في ان القرن العشرين قد شهد تحولا خطيرا في تاريخ الادب العربي ، حيث نهضت فيه الفنون الادبية نهوضا كبيرا ، وكان نصيب الشعر القصصي لا يقل نضارة وازدهارا عن باقي فنون الادب الاخرى ، حيث تطلع الشعراء الى هذا الفن ، وشجعه النقاد ، واشاروا الى خطورته في رسم الحياة ، بكل ابعادها ، بما يضفيه عليها

---

(١) — ديوان الخليل . الجزء الاول ص ٢١ ط بيروت .

(٢) — الكم (بكسر الكاف) : وعاء الثمر ، والكم ايضا : كل ما يكم اي يغطي والجمع اكمام .

(٣) — يخزنها : من الوخز ، وهو الالم الذي تحدثه رؤوس الابر . ويشكنها : من ألم الشوك .

(٤) — لدد الرياح : اشدها عداوة وضراوة . وقتمها (بفتح القاف وتسكين التاء) : سودها .

(٥) — الغبراء : الارض . عذبات سرحتها : اطرافها الظاهرة . والنجم من النبات : ما نجم اي نبت من غير ساق .

(٦) — انظر : مقدمة البستاني لترجمة الالياذة ، واصول النقد الادبي للاستاذ احمد الشايب ص ٣٢٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ظلال واضواء ، وما يوفره لها من نضارة وبهاء في مجال الحديث عن خوالج النفس ، ودقائق الشعور والحس ، ومشكلات المجتمع ومعالجة قضاياه التي هي في مسيس الحاجة الى بذل الجهد ، ومضاعفة العمل من اجل نهوض الوطن ، وسموه ورفعته وازدهاره .

ولقد كان مطران من السباقين الى كتابة القصة الشعرية في ادبنا العربي الحديث ، وان كان استاذه الشيخ خليل اليازجي قد سبقه بروايته التمثيلية الشعرية : « مروءة ووفاء » ، غير ان غزارة انتاجه في تلك الناحية جعلته جديرا بتلك المنزلة ، ومن اهم قصائده القصصية : « نابليون الاول وجندي يموت » و « يوسف افندي » و « ان من البيان لسحرا » التي ترجمها بنفسه الى الفرنسية ، و « السور الكبير في الصين » و « النرجسة » و « شهيدة المروءة وشهيدة الغرام » و « العصفورة » و « الوردة والزنبقة » وغير ذلك مما يعج به ديوانه الضخم .

والقصيدة التي معنا من بحر الكامل التام ، الصحيح العروض والضرب ، وتفاعيله « متفاعلن » تتكرر ثلاث مرات في كل شطر ، وهي في مجموعها صورة حية مترابطة الاجزاء ، وقد تمكن الشاعر من نقل تلك الصورة المتحركة في هذا الاطار الموسيقي ، وهي لقطة ذكية بارعة تشير الى انه في ابسط مشاهد الطبيعة ومرائيها ما يفجر ينابيع الحكمة والشاعرية في نفس الشاعر المفتن .

لقد ادار الشاعر آلته المصورة ، وسلطها على تلك الصورة الموارة بالحركة ، العاجة بالحياة ، بكل ما لها من حدود ، وما تنطوي عليه من ابعاد ، وبكل ما يحيط بها من ظروف وملابسات ، وقد اسعفه « بحر الكامل » بمرونته المعهودة ، على نقل تلك الصورة متألقة واضحة .

وموسيقاه الداخلية — هنا — بل في الكثير من شعره تقريبا اقرب الى « الهمس » منها الى « الرنين » و « الجهارة » فهو شعر يقرأ ولا يلقى ، واثارة شعره انما تكمن في صدقه وحياته ، لانه شعر تنفسه صاحبه ، وعاش فيه ، وفي جوه ثم نقله الينا في دقة واستيعاب .

— ٢ —

والشاعر — هنا — يسير على نهج ابن الرومي في التصوير ، وما يستلزمه من طول النفس والاسهاب ، والعناية بالتفاصيل ، والدقة في الوصف ، وغير ذلك ، فأبيات القصيدة تمثل صورة مكتملة الجوانب ، ولكنها صورة عاجة بالحياة ، موارة بالحركة ، وهي بهذا تختلف عن الصورة الصامتة ، التي يبدعها هواة الفن التشكيلي ويتأنقون فيها ، فخاصة الشعر تتجاوز التصوير الصامت الى التصوير المصحوب بالحركة والصوت ، بل واللون واللمس ، والشم والذوق وغير ذلك .

والشاعر — لهذا — يجهد نفسه في انتقاء اللفظ ، الذي يجسم هذه المؤثرات التي تدخل في تكوين الصورة ، او — ان شئنا الدقة — في اختيار الاساليب التي تجعل لصورته تلك الخاصة ، التي تميزها عن الرسم او « الشعر الصامت » .

وهنا في تلك القصيدة امور تدرك بحاسة البصر ، وفيها الى جوار ذلك عدة عناصر اخرى كاللون والصوت والحركة ، وذلك كله من الظهور والوضوح بما لا يحتاج الى بيان .

اما عن « التشخيص » الذي شغف به مطران ، وتعشقه فذلك ناجم عن رهافة حسه ، وسعة خياله ، وقد كان « التشخيص » وكذا « التجسيم » و « التجريد » من السمات البارزة في شعر المدرسة التي تأثرت بمطران ، ومذهبه في الشعر ، وهي مدرسة ابي شادي ، او مدرسة « أبولو » الشعرية ، ومن التشخيص في القصيدة ما نلمحه في البيت السادس — على سبيل المثال :

فاذا دنت في سيرها من زهرة همست باخذ ذيولها وبلثمها

وكذا ما نراه في البيت السابع :

أو جاورت فرعا رطيبا لينا ألوى بمعطفه ، ومال لضمها

— ٣ —

بدأ الشاعر قصيدته بعد ان مهد لها بمقدمة نثرية ، فحدثنا عن تلك الفتاة الجميلة التي عاجت بالرياض في اصيل احد الايام ، تطوف بها ، كما تطوف احدى المليكات بأرجاء مملكتها ، وبين ان الطيور في الأيك لم تتمالك نفسها حين رأت هذا الحسن ، الذي جعل من صاحبته اميرة مرفوعة الرأس في ابهاء وشموخ ، فأنشأت في الرياض تخطب باسمها ، وتتغنى بحسنها وجمالها ، ذلك الحسن الذي بلغ فيها نهايته ، ممثلا في شبابها النضر ، وملاحتها الباهية .

وقد زاد في جمالها ذلك الثوب السندسي الاخضر ، الذي سترت به جيدها ، فلاح وجهها منه وردة جميلة تفتح عنها كمها ، وانها لتتمايل مختالة في ثوبها الحريري المورق ، تماما مثلما يتمايل الغصن الرطيب ، غير ان الغصن لا تكون له تلك النضرة التي تعلو جسدها ، وتكسو محياها .

لقد جن الزهر بها ، وهام الورد بحسنها ، فما تقترب في سيرها من زهرة ، او تدنو من وردة حتى تهم باخذ ذيولها ، وتشرع في تقبيلها على استحياء ، وما تجاور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرعا رطيبا لينا الا مال عليها من عليائه ، محاولا ضمها اليه .

اما انظار الملأ من حولها فتحف بها على نحو جعلها تحس بوخز تلك النظرات في حيائها ، وبشوكها في خاطرها وخيالها ، فهي كالزهرة تطوف النحل بها فتلسعها ، وتمتص رحيقها ، تفعل ذلك قسرا ، وعلى الرغم منها .

وحين حلى التعب وجهها بندى عرقها ، واخمد جمرة من عزمها جلست في قبالة امها ، وكأن كل واحدة منهما تجلس امام رسمها ، غير ان عاصفة مفاجئة اغارت برياحها الهوج القاتمة على المكان الذي كانتا تقبعان فيه ، وقد اثارت تلك الرياح الارض ، وأمالت صغار النبات حتى لثمت ظاهر الغبراء ، وصافحتها ، وتناثرت جدائل الفتاة ، واصبحت تكسو وجهها كالغمام يستر وجه البدر في ليلة التمام ، او يغشى وجه النجم حتى لا يكاد يبين ، هنا تحيرت الفتاة في امرها ، ولم تمكنها تلك الرياح الهوج من نظم شعرها دون مرآة ، ولم تجد بدا من ان تجلس محاذية لأمها ، ناظرة في عينيها ، علها تتمكن من اصلاح ما افسدته الريح ، وتجلية ما علاها من سحب الهموم .

— ٤ —

والافكار تظهر مسلسلة ، وتلك سمة غالبة على شعره ، فهو يقسم قصيدته الى عناصر كل عنصر يسلم الى تاليه ، وهو لا يترك العنصر او الفكرة حتى يوفيها حقها من الابانة والوضوح .

ولهذه الدقة في التعبير ، والاحتفال بالفكرة ، امكن نقل الكثير من قصائده الى اللغات الاجنبية ، من غير ان تفقد كثيرا من روحها وامتاعها ، وقد قام هو بترجمة قصيدته « ان من البيان لسحرا » — كما سبقت الاشارة الى ذلك — الى الفرنسية واعجب بها السامعون اعجابا شديدا .

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

وفكرته متنوعة ، متجددة ، والقصيدة هنا يمكن ان نعتبرها من غزله الرقيق ، لان حديثه عن تلك الفتاة وحسنها الفائق ، وان اخذ جانب « القص » الا انه يوضح مذهبه في الغزل ، وطريقته فيه ، فغزله ليس من النوع المكرور ، ولكنه ممتع رفيع ، انه يحرك الطيور في الروض ، ويدفعها الى التغني بهذا الجمال :

حسناء امرها الجمال فانشات في ايكها الاطيار تخطب باسمها

والزهر — عنده — لا يتمالك نفسه من ان يلثم ذيلها ، حين تخطر دانية منه في سيرها :

فاذا دنت في سيرها من زهرة همت باخذ ذيولها وبلثمها

وما ابدع قوله بعد ذلك :

أو جاورت فرعا رطيبا لينا الوى بمعطفه ، ومال لضمها

انه يتعشق الجمال المعنوي ، ويهيم بالمراة حسنا ووجدا ، وحرقة وعذابا ، ولم تتحول المراة في شعره الى ذراع ملفوفة ، وساق عبلة ، وخصر اهيف ، وغير ذلك من الغزل الحسي ، الذي هام به الكثيرون من شعراء العربية في تاريخها الطويل .

وانه ليتعشق جمال الطبيعة كذلك، ويرتمي بين احضانها، على عادة كبار الشعراء الابتداعيين في الغرب ، وانه ليأخذ اخيلته وصوره منها ، وقد اثبت بذلك ، كما اثبت غيره من الشعراء الذين آمنوا بفكرة التجديد في الشعر ان لغتنا العربية ليست لغة سقوط على الحياة ، بل صدور عنها ، وانها لغة لا تفتقد العفوية والتلقائية كما اتهمها بذلك خصومها من المستشرقين من امثال « جاك بيرك » الفرنسي ومن لف لفه من نقاد الغرب ، الذين رأوا انها لغة سقوط على الحياة لا صدور عنها ، وانها لغة ذهنية تفتقد العفوية والتلقائية .. وحسبنا ان يقول مطران في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه :

« هذا شعري فيه شعوري .. هو شعر الحياة والحقيقة والخيال ، نظمته في مختلف الازمنة التي تخليت فيها عن العمل لرزقي ، نظمته مصبحا وممسيا متفردا ، ومتحدثا مع عشرائي .. وقيدت فيه زفراتي واحلامي ، وسجلت بقوافيه احداث زماني وبيئتي في دقة واستقصاء .

اما الامنية الكبرى التي كانت تجيش بي فهي ان ادخل كل جديد في شعرنا العربي بحيث لا ينكره ، وان استطيع اقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات ، اذا حفظت وخدمت حق خدمتها ، ففيها ضروب الكفاية لتجاري كل لغة قديمة ، وحديثة في التعبير عن الدقائق والجلائل من اغراض الفنون » .

للحديث بقية ..

القاهرة — محمد حسن فشوان

حول ديوان بدوي الجبل ومقدمة اكرم زعيتر

بقلم عجاج نويهض

* * *

« بدوي الجبل » المعروف بلقبه الشعري هذا منذ ما يقارب الستة عقود ، او منذ ايام الحكومة العربية الفيصلية في دمشق (من خريف ١٩١٨ الى اواخر تموز ١٩٢٠) هو الشاعر الفرد العلم محمد سليمان الاحمد من الجبل العلوي . ووالده كان « من اعلام الديار الشامية فقها ولغة وادبا » الشيخ سليمان الاحمد وزعيم قومه وولد « بدوي الجبل » في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية .

ونعلم ان على الغالب لكل شاعر من الشعراء الاعلام في العرب ، في هذا العصر والعصور السابقة ، لقبا نشا يجاري اسمه الحقيقي او قد يغلب اللقب الاسم . و « بدوي الجبل » من شعراء العربية في هذا العصر الذين غلب اللقب فيهم على الاسم الحقيقي : محمد سليمان الاحمد . وكيف كان ذلك ؟

اني سعيد ان اقول ان اول معرفة لي بمحمد سليمان الاحمد ، فتى الشعر ، المتوثب وطنية وروحا قومية كان في دمشق زمن الحكومة العربية ، وهو يومئذ يعتمر « الحطة والعقال » ، كآنق شباب العرب ، وهو في اول مطلعه الشعري اللافت للذهن ، ومثله قليل بعد امراء الشعر . وكنا اثنين من جملة افواج الشباب العربي الهازج بالاحلام القومية اثر ثورة الحسين بن علي ١٩١٦ في الحجاز ومن نهايات تلك الثورة دخول الجيش العربي الثائر مع (الامير) فيصل دمشق خريف ١٩١٨ وذانك الاثنان هما عبدالله النجار وكاتب هذه السطور فقد وقع التعارف بيننا وبين الاديب الشاعر محمد سليمان الاحمد وكان عبدالله النجار يقول الشعر . ثم بعد ١٩٢٠ ودخول غورو دمشق تبدلت الاحلام حقائق مرة ، وما كان ينبغي ان تكون مرة لو سلك العرب الجدد ، ، وما هنا موضع الاستطراد الى غير موضوع .

كيف نشأ لقب « بدوي الجبل » ، نأخذه من المقدمة للاستاذ اكرم زعيتر ، وهي مقدمة وعت فاستوعبت يمكنك ان تعلم منها لا ما يتعلق بشعر « بدوي الجبل » وكفى ، بل تمتد جنباتها الى الآفاق النفسية التي تجول في صدر الشاعر ، فتدرك اطواره التي لا يمكن أن تنتقل من حيز القوة الى حيز الفعل الا بعوامل عرفها فيه صفيه وخليله الاستاذ اكرم ، كما سنرى .

كان الشاعر الفتي احمد سليمان الاحمد يختص بقصائده الفرائد جريدة « الف باء » اليومية بدمشق لصاحبها الاستاذ الامام في الصحافة يوسف العيسى (هو ابن عم عيسى العيسى الفلسطيني شغل عملا في قصر الملك فيصل بدمشق ثم رجع بعد ١٩٢٠ الى وطنه يافا واعاد اصدار جريدة « فلسطين » المشهورة بمقارعة الصهيونية وكانت هذه الجريدة قد اصدرها في يافا يوسف العيسى وعيسى العيسى سنة ١٩١١) ومعاصرو تلك الايام وحوادثها يذكرون قصة « ماك سويني » محافظ مدينة كورك الايرلندي المشهور وبلاده وقتئذ (١٩٢١) آخذة بخناق الانكليز طالبة الاستقلال . فنذر مكسويني نفسه صياما حتى الموت ليخرج الانكليز من بلاده ، فتلفت العالم الى هذا الايرلندي الناذر هذا النذر ، وتحركت ضمائر ونفوس نحوه ، واكبر الخلق عمله . ووضع محافظ كورك الصائم ، والعالم انه ملاق الموت في النهاية ، صلاة لبني قومه يرتلونها في صلواتهم في الكنائس . فحياه كثير من شعراء العالم بالاكبار وهم يترقبون اخباره حتى قضى شهيدا .

ومن الآن الى تمام القصة ، قصة نشوء لقب « بدوي الجبل » ، ننقله بعباراته وكلماته من المقدمة ، لا اقتباسا موجزا . قال الاستاذ اكرم زعيتر :

« ... فنظم شاعرنا (احمد سليمان الاحمد) تلك الصلاة بالعربية (١٩٢١) وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد (القصيدة في الديوان) وفي اليوم التالي رأى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه : ان الناس يقراون للشعراء المعروفين ولست منهم . وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقراوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب ... وانت ابن الجبل » . واستمر الاستاذ اكرم يقول : وتوالت قصائد «بدوي الجبل» ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو خير الدين الزركلي ؟ أم هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هوذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الاحمد !! » .

ثم قال الاستاذ اكرم : « وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه . ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨

لاجل فلسطين ــ وكنت فيها ــ كان يتلقى لكل اجتماع او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيهما « سعادة النائب محمد سليمان الاحمد » ومما اذكره توكيدا للقول ان نفاسة الشعر تعلن نفسها ، ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتا من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الابيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهم شعراء العصر ، ادعو لها بطول العمر » وكنت اعلم ان تلك الابيات من قصيدة « اللهب القدسي » لبدوي الجبل (في الديوان) . وما لبثت المجلة حتى صححت اغلوطتها . ولكن عبارة صيدح جاءت على وجازتها تقويما عفويا لشعر من شاعر » .

اذا كان شعر « بدوي الجبل » هو في الغناء العربي سماعا وقراءة في الصحف منذ نحو ستين سنة دون ان تكون قصائده اتخذت شكل ديوان ، فظهور هذا الشعر منذ عدة اشهر في هذا الديوان المترف فنيا ، يعد في تاريخ الادب العربي حادثا كبيرا في العالم العربي المترامي الاقاليم، هذا على الجملة ، وحادثا اكبر في الشام والعراق ولبنان والاردن وفلسطين وامارات الخليج والسعودية وسائر الجزيرة واليمنين ، وهذا على الخصوص .

ذلك لان « بدوي الجبل » انما خلق في العقد الاخير من القرن الماضي لرسالة كتب له ان يؤديها ، فحمل الرسالة وبلغها في هذا الديوان فحق له ان يقول : اللهم اشهد اني وفيت بالرسالة وبلغتها ، وفي يميني هذا الديوان واخبار ما تحملته من عذاب في السجون والمعتقلات وقطع الفيافي والصحاري بين الشام والعراق ! واني انا القائل في بيت من قصيدة :

ليس بين العراق والشام حــد هدم الله مــا بنوا مــن حدود

ذلك لان شعر « بدوي الجبل » العالي في عظمة ينابيعه الابداعية ، الكوثري ، المنطلق من ملهمات نفسية وجيشان داخلي في آفاق ذاته ، يشتمل علــى مميزتين خالدتين ، ما بقي شعر ونفس ووتر على وجه الارض في آسية وافريقية ، وما زال قائما ما كتب على الامة العربية ان تصنعه نحو فلسطين الغالية الحبيبة ، سواء أمضت « كمب دافيد » الى غايتها ام اجهضت ، فالميزة الاولى « روحية » تشعر بها شعورا ولا تراها في الكلمات والابيات على وجه محسوس . وثاني المميزتين قيام شعر « بدوي الجبل » في رسالته برثاء من رثى وبكاء من بكى من الرعيل ، الذين تقدموا الصفوف وحملوا الرايات ، فشربوا الحتوف وانتهوا شهداء تحت الثرى من شمالي الحجاز الى شمالي حلب .

في وجه المستعمر ، الانكليزي في فلسطين والاردن والعراق ، والفرنسي في سورية ولبنان ، بين الحربين وبعد الحرب الثانية ، كانت صرخات اولئك الرجالات الابطال من الرعيل الاول « لا » ، تقصم الظهور ولا تثني مــن عزائمهم السجون والمنافي .

اذا كنت عربيا مؤمنا ، واعوذ بالله ان تكون عربيا جغرافيا ، واذا كانت عروبتك نقية صافية ، فمتى قرأت ديوان « بدوي الجبل » بعد مقدمته ، ستدرك انك قمت بسياحة فكرية خيالية جبارة ، هي عندي اهم من وصول الاميركان والروس الى القمر ، فقم وتجول في « سوريا هنانو » وصحبه وانصاره ، واجعل تجوالك بين « القبور والقصور » وابدأ بالقبور اولا ، واستمع الــى حديث الصفائح ، ثم انظر فانك تشاهد « العظام الرميم » تتحرك بغير مسيح يناديها ، وكأنك تسمعها تتكلم ، وقد انتفضت عنها الاكفان ، ونزل عليها بيان الجنان . ثم تحول الى المدائن والقرى وشاهد القصور المتناغية . اما الاحياء فهم الهوامد في القبور الناطقة . هنانو وصحبه سكنوا القبور بعد حمل الراية . فجاء « بدوي الجبل » يصف هذا الرعيل . وهم يسمعونه كما هو سمعهم .

الديوان كله ، المترف الطباعة الفنية ، في (٥٥٥) صفحة وقد شغلت المقدمة الرائعة (٦٠) صفحة منه ، ولم ار بعد في كل ما طالعت من دواوين ومقدماتها ، مقدمة جانست الديوان وآلفته ، وامتصت لبابه ، واعطتك صورة عن نفسية الشاعر ، كهذه المقدمة السلسة المباني العامرة بما دق وجل من المعاني ، وليس السبب على ما اعتقد عروة الاخوة الوثقى بين محمد سليمان الاحمد واكرم زعيتر . وفي الديوان اشادة بذكر اكرم وكريم خلاله موجهة « الى اخي الاعز الاعلى اكرم زعيتر » ، بل جاءت نفاسة المقدمة وجلالتها من الدقة الفنية في الباب ، وما أوتيه الاستاذ اكرم من براعة النسج واحكام في ابراز الصور النفسية في صدر الشاعر . فاذا قلنا ان سيرة « بدوي الجبل » على الجملة يمكن ان تؤخذ من المقدمة فنحسب هذا هو الواقع ، حتى اذا انتهيت من المقدمة وددت لو مضت بك امدا اطول ، فتزداد اطلاعا على آفاق الشاعر .

واختلط الصديقان معا اختلاطا نفسيا جعلهما كنفس واحدة ، في المودة الملتحمة . ومع هذا فجرى الاستاذ اكرم في المقدمة وهو يحلل « الشاعر » على نمط لا تدفعه الصداقة بل الحقيقة . وفي موضع من المقدمة (ص ٢٨ وما بعدها) يروي الاستاذ اكرم بعض ما له مع صاحبه من تجارب ذات قيمة ووزن ، والمعنيون بعلم النفس يعتبرون هذا داخلا في منطقة من مناطق هذا العلم .

قال الاستاذ اكرم ما هو حري بي ان انقله الى القارىء برمته والواقعة عن طريق الحكاية لذيذة دائما :

« في خريف ١٩٤٠ وقد احتل الالمان باريس ، قرر

نادي « المثنى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي اطلق الحسين بن علي رصاصتها الاولى ، واردنا تظاهرة عربية وحدوية ، ومناسبة لتجميع القوى القومية ، والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي ان يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فألححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، فهامست نفسي : « لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ... فرطت في اسكندرونة ... دمرت دمشق ... انت هنا مشرد تترشف رزقك مدرسا ، وابوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة الا يراك ... اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها ... الجزائر ... المغرب ... تونس ما فعلت فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وأبو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحودا ، وقبرا في جوار الاقصى ، وفي ذكرى الثورة انت انت الذي تنصفه ميتا كما انصفته حيا » .

وعلى هذه الوتيرة استمر ... فأمرر ... في ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم . وارق تلك الليلة ... وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النادي الى البدوي وارهفت الآذان فانطلق :

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا ... رق الحديد وما رقوا لبلوانا
خل العتاب دموعا لا غناء بها ... وعاتب القوم اشلاء وبركانا

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

انسي لاشمت بالجبار يصرعه ... طاغ ويرهقه ظلما وعدوانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها ... هلا تذكرت يا باريس شكوانا
عشرين عاما شربنا الكاس مترعة ... من الاذى فتملي صرفها الآنا
تغضي عن الذل غفرانا لظالمها ... تانق الذل حتى صار غفرانا

انتهى كلام الاستاذ زعيتر بعد ان اعلمنا ان هذه القصيدة طارت كل مطار في سائر الاقطار العربية .

لما انتهيت من قراءة الديوان للمرة الثانية قراءة مستوعبة تمنيت لو كان اثنان من رجالات الرعيل قد رثاهما بدوي الجبل شعرا ، وهما ياسين الهاشمي ورشيد طليع ، وكلاهما الرائد القائد . والديوان قسمان : العباب ، وهذا يشغل ٤٢٩ صفحة ثم ما سماه « البواكير » وهو يعني بهذا القصائد التي قالها في النهج الاول من حياته الشعرية الى حد سنة ١٩٢٥ ، وهي لا تشغل اكثر من ١٢٦ صفحة .

فبدوي الجبل من وجهة القومية العربية الهابة اليوم في كل رقعة ورياحها الى مزيد عاصف ، ليست رسالة « هواية » بل رسالة « روح » وحياة باقية بعد الموت ، فهي خلود ومن الخلود . وكما خالد عظماء شعراء العرب الفاتحين ، هكذا ايضا خالد بدوي الجبل ، ما اصح قول الاخطل الصغير فيه وهو طالع في السلم : « ان شعر البدوي ارجح من عمره » وقول الشيخ الميزان عبد القادر المغربي : « انه الشاعر الذي تمرد على ناموس التدرج » .

والامة العربية الكبرى اليوم ، التواقة بكل اشواقها الى التماسك العملي لتدرأ عنها الدخيل ، وتسهم في نسيج الحضارة ، في جميع مواطنها في آسية وافريقية ، حري بشبابها المناضل ، الحكيم ، الخبير ، ان يرى في ديوان « بدوي الجبل » ضالة منشودة من اية جهة من جهات الجهاد والنضال المشترك . هذا الديوان بروحه هو للعرب كافة ، لا لقطر او قطرين . هو معلم ، ومدرسة ، ومهذب ، وتاريخ روحي لنضال الرعيل الاول في الشام . هذا الديوان لا تجثم طيوره على اشجار الشام ونخيل العراق وكفى ، هو لموريتانيا والسودان والصومال في افريقيا ، كما هو للسعودية واليمنين والخليج ، او هو بتعبيرنا الثقافي من المحيط الى الخليج .

لم تكن حياة بدوي الجبل منذ ١٩٢٠ ، منذ دخوله هيكل الشعر ، او منذ اطلق عليه يوسف العيسى « بدوي الجبل » على النحو الذي علمناه ، حياة رفاه واستقرار ونعمة الدنيا . بل كانت في مهب الريح ، والاستعمار الفرنسي والبريطاني كبلا العرب تكبيلا ، والاجنبي المستعمر قلما يتعامل مع احرار العرب الا بالمعتقلات والسجون والمنافي والمطاردة ، وهذا كان نصيب بدوي الجبل منه عظيما . واحيانا كان يدنو من النهاية المسماة بالموت فتنقذه العناية . وعندما صفت لسوريا الايام واستقلت كان بدوي الجبل النائب الفائز في كل الدورات عن اللاذقية في البرلمان وتقلد منصب الوزارة مرارا في دمشق ، والآن مملكته ديوانه . اعز الله به امته العربية .

رأس المتن ــ لبنان **عجاج نويهض**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقعة عين جالوت

من المعارك التاريخية الفاصلة التي انتصر بها العرب على التتر

عدنـــان مـــردم بـــك

*

يتصرم الماضـي حيالـك والغـد ... وتليـد مجـدك كالزمـان مخلـد
سطر الفخار علـى ثراك ملاحما ... تروى علـى كـر الزمان وتنشد
في مسمـع الدنيـا تـرن زمازم ... عـن غابـر أطيافـه تتجـدد
وجحافل للمجد دونك لـم تـزل ... راياتهـا خفاقـة تتـاود
الـق المروءة ساطـع بوجوهها ... والفجر مـن أسيافهـا يتوقـد
طلعت كمنبلج الصباح على الربى ... والليـل أشمـط ناحـل يتنهـد
تجـري فيعصف للمنيـة زاخـر ... ويمـده للهـول آخـر مزبـد
والريـح تجـار بالعويـل كانهـا ... ثكلـى تعالـج زفـرة وتصعـد

تاريخـك النصر الاغـر تألقـت ... صفحاتـه بثواقـب لا تخمـد
(بيبرس)(١) شيد للبطولة سامقا ... هيهات يومـا أن يطاوله غـد
مهـر العلـى بكتائب في مثلهـا ... مـا كان يصعب عن مجد مقصد
قـاد الجحافل للمكارم وانبـرت ... بجنـاح نسر في الفيـافي تنجـد
لـم يثنـه وعـث الطريق ووعره ... عـن غايـة مثلـى لـه تتمـرد
ألفـت مصاحبة الحوادث نفسه ... والمـرء في دنيـاه مـا يتعـود
واستعذبت مر الشقاء على النوى ... في كـل مرتحـل تـروم وتقصد
واستأنست ملـن وحشة بشجونها ... أنس النزيف(٢) اذا تغنى منشد

وافتـك كالقـدر المتـاح عصابة ... بقواضـب مسلولـة لا تغمـد
صفـر الوجوه كأنمـا قسماتها ... مـن دونها علـل الضنى تتجدد
شحبت ، ولم يك عن سقام او أذى ... منهـا الشحوب ، وشرها يتوعد
والسم اصفر ناحـل ، وبـلاؤه ... جلل ، تقوم لـه النفوس وتقعد
عصف المفـول بركبهـم كجوائح ... أطباقها الالـم الـذي لا ينفـد
يتسارعـون وللمنيـة حولهـم ... يـم يزمجـر غربـه ويعربـد
وكـان اطبـاق القتـام وراءهم ... ليـل يجيـش جناحـه المتلبـد
جاؤوك(٣) للامـر العظيم كأنهم ... كسف العذاب او البـلاء الاسود

سطعت مشعشعة شفار سيوفهم ... وكأنهـا تحـت العجاجة فرقـد
أو أنهـا بـرق يسيـل عقيقـه ... مـن حالق والليل أبكـم مقعـد
ونبالهم رسـل المنـون تساقطت ... في شاسـع تفـري ولا تتـردد
ورماحهـم منصوبـة كأساود(٤) ... أو أنهـا أشطـان بئـر تقعـد
برمت بهـم سبل الفجاج وشفها ... ليـل لهـم دون الحمى متوطـد
وعلى الديار مـن الخراب شواهد ... بلسان حـال أعربـت تتشهـد
وعلى الوهاد من الفواجع سيرة ... سطـر الفواجع بالدمـاء مهنـد
وبكـل نفس مـن جوائح مكرهم ... علـل تضيـق بحملهـن الاكبـد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصفت كتائبهم عليك مغيرة ... وكأنها بحر يمور ويزبد
أمواجهم زبر الحديد تلاطمت ... فهوت مصفقة ترن وترعد
والناس من هول المصاب وريبه ... مزق يطيح بها الردى ويبدد
حتى أتى (بيبرس) في ثوب الدجى ... يطوي الفجاج كعاصف يتوعد
صدم المغول برحب صدر والضحى ... خلف الغمائم وجنة تتورد
ساق الجوائح جحفلا وكتائبا ... تجري على شطط وحينا تقصد
ورمى الزعازع بالزعازع مشهرا ... من رأيه شهب الردى تتوقد
وجرى الى ورد المنون مهرولا ... كالهيم لاح لها بقفر مورد

قصف المغول بثاقب من بأسه ... سال الحديد له ولان الجلمد
وجرى كعاصفة يشد على العدى ... بصواعق نيرانها لا تخمد
نسج الرجال من الحديد مغافرا ... ودروعه نسج اليقين ، تجلد
ما خام من خدر الردى في مشهد ... ضنك يضيق به ويعيا الفدفد
نصب الجبين دريئة يوم الوغى ... ليصأن تاريخ هناك ممجد
ورأى بحبل الصبر خير مساعد ... ان عز في يوم الكريهة مسعد
لا سيفه في مأزق متردد ... أو رأيه في مشهد يتردد
هانت بعينيه الحياة ولم يجد ... غير العلى في الارض شيئا يخلد

نشر الغبار سحائبا من غيهب ... أطباقها كسف الاذى تتبلد
ريعت لها كبد الكمي وشفها ... أن الدجى بأوافح يتوقد
والخيل ما تنفك تصهل عن جوى ... كالمستغيث وليس ثمة منجد
تشكو محمحمة برجع صهيلها ... وقع النصال وللنصال تجدد
والأرض وشاها العذاب بريطة ... من عبقه حمراء ليست تعقد
جثث كأوراق الخريف تساقطت ... تترى وليس لجرحهن مضمد
هصر الحمام فروعها فتناثرت ... أوراقها بيد الردى تتبدد
نثرت مبعثرة بأطباق الثرى ... في شاسع كالبم أو هو أبعد
ودم تقاطر صوبه متدفقا ... وكأنه الغمر الذي لا ينفد

لما رأى الدخلاء كل كتيبة ... طلعت لهم ذودا يساق ويطرد
عادت أمانيهم شبا بحلوقهم ... تفري بمخلب كاسر يتصيد
وتراجعوا حذر المنون القهقرى ... كسوائم حيرى جرت تتشرد
وجدوا الفنيمة في الفرار من الردى ، ... والموت حتم لا يرد ويبعد
و (بيبرس) في الحبر السوابغ دونهم ... يرمي بسهم للمنية تقصد
متبسم والليل داج سجفه ... متهلل والرعب دان يرعد
ما زال يرميهم بكل عظيمة ... ويجزهم جز الهشيم ويحصد

غادى سراياهم بكل ثنية ... فيئا تقاسمه الحمام الاسود
وأعاد للاذهان صورة ما انطوى ... (لأمية) عن غابر لا يجحد
أو لم يصن (بيبرس) اكرم حرمة ... في مثلها يحلو الفداء ويحمد
وغفت عيون كان أرقها الاذى ... زمنا وقرت عن وجيب أكبد

ما (عين جالوت) بخاف يومها ... وحديثها ملء المسامع ينشد
لله يومك في الزمان فانه ... يوم أغر على الزمان مخلد

---

(١) ــ بيبرس : هو الملك الظاهر بيبرس الذي هزم جيوش التتر في معركة عين جالوت. (٢) ــ النزيف : صريع بنت الحان . (٣) ــ الخطاب الى بيبرس . (٤) ــ الاساود : الخبيث من الافاعي .

من مشاهير علمائنا في الغرب

السمعاني والغزيري

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

بين لبنان والكتاب تفاعل موصول تم على ايدي فريق كبير من اوائل اللبنانيين البررة ، على مدى الدهور ، فأدى بعد تطوره الصاعد الى ما ينعمون به من سبق حضاري وفكري وثقافي وما تم لهم من تجل مشرق تبدى في هذا العطاء الكامل وهذا البذل الكريم والجود السخي . وهو تفاعل لم ترتسم صورته بعد على وجهها الاكمل لان تاريخ الفكر اللبناني لم يقم من يضعه بعد ولا قام بيننا من يؤرخ لهذا التفاعل الذي بدأ مع التاريخ ، بين الكتاب واللبنانيين ، وان بدت ، هنا وهناك ، بعض ومضات يبرز منها شيء من جمال الصورة وقسماتها الاخاذة .

يمتنع علي في مثل هـذا المجال الضيق استعراض الصورة البارزة لهذا التفاعل وذكر اسماء الرعيل من عباقرة اللبنانيين الذين كهنوا ، منذ القدم ، وما زالت ذراريهم تكهن لهذا الكتاب ، فعملوا على رفع قبابه عالية والتسبيح حوله والتعريف به ونشره بين الملأ والسهر على جمعه ، في ما وصل الينا خبره من ربائز صور وجبيل ، وفي غيرهما من مراكز المحفوظات ، شرقا وغربا ، قديمـا ووسيطا وحديثا ، فكانوا للكتاب خداما بررة نعموا برفاقته العذبة وعملوا على الترفيه عنه ممهدين له سبل الانطلاق والانتشار والذيوع ليبلغ نوره الساطع الملأ الاعلى والعالم الارحب .

هذا العمل اللبناني في خدمة الكتاب ، وهذا التفاعل المتبادل بين الكتاب واللبنانيين ، يؤلف وحده ، لو عرف السادرون في غيهم وغفلتهم ، ملحمة مـن أعف واشرف واوقع الملاحم على القلوب والعقول ، من اكرم اي ملحمة طلع بها علينا التاريخ عبر الاجيال . فمن للبنان ، يجلو لنا هذه الملحمة التي نسجت خيوط لحمتها وسداها من نار ونور وهي حبكة الملهمين في الجبل الملهم ، فأطلقوها في مهب الارياح الاربعة ، فغمرت الشرق القديم واستضاء بسناها الاقوام الواقعة على شطآن البحر الابيض المتوسط ، البحر اللبناني الفينيقي ، مدة الف سنة ونيف .

قلت ليس في وسعنا ان نستعرض للمشاهير من هؤلاء اللبنانيين الذين تولوا سدانة الفكر وكهنوا للكتاب منذ القديم حتى اليوم . الا اننا سنقف هنيهة نتملى النظر في العمل المشرف الذي قام به بعض اللبنانيين ، في حقل الكتاب ، والتعريف له في القرن الثامن عشر ، في مكتبات اوروبا ولا سيما في بعض مكتبات ايطاليا والاسكوريال في اسبانيا وفي المكتبة الملكية في باريس . فهم لبنانيون اقتحاح رأوا النور في لبنان واكتحلت عيونهم بأنواره وغبوا مـن مائه القراح ونعموا بهوائه وجوه الحليم ، فصقل الغرب عقولهم وامن لهم تهذيبا عاليا وخرجهم في مذاهب العلم حتى اذا ما تم لهم ما تم من عدة وعتاد ، انصرفوا كالمتقدمين من السلف الكريم ، لحمل مشعل الثقافة وخدمة العلم فبذلوا الاكرمين من نور العين والوقت الثمين ، فاستحقوا شكر العاملين وخلدوا على الدهر مع هؤلاء الخالدين .

السمعاني ، يوسف شمعون ١٦٨٧ — ١٧٦٨

لـع عدد من السماعنة في خدمة الاستشراق والعمل في مكتبات اوروبا ولا سيما المكتبة الفاتيكانية . اشهرهم جميعا العالم يوسف السمعاني .

ولد علامتنا الكبير في طرابلس عام ١٦٨٧ من اسرة ، اصلها من حصرون ، أرسل الى روما وله من العمر ٨ سنوات ليتلقى فيها تعليمه . امتاز بثقافته الموسوعية واتقن على ما قيل نحوا من ٣٠ لغة مختلفة ونال الملفنة في الفلسفة واللاهوت . ارسله البابا اقليمس الحادي عشر الى مصر عام ١٧١٥ في سبيل الحصول على المخطوطات العربية والقبطية واستطاع بعد سنتين ان يحمل معه عددا طيبا من هذه المخطوطات ، كما نسخ عددا كبيرا منها . واخذ منذ ذلك الحين في اعداد كتابه « المكتبة الشرقية » .

ارسله البابا عام ١٧٣٦ ممثلا لـه لـيرئس المجمع اللبناني الذي تم عقده في اللويزة سنة ١٧٣٦ . وهذا المجمع هو اكبر واهم مجمع تم عقده في تاريخ الكنيسة المارونية . ويؤلف هذا المجمع بأعماله وقراراته ، الدستور الاول للطائفة المارونية بعد ان اقره الكرسي الرسولي في اول ايلول سنة ١٧٤١ .

ومكافأة له ، وتقديرا للجهود العظيمة والعمل الكبير الذي قام به السمعاني ، عينه البابا رئيسا لكهنة القديس بطرس وحافظا لمكتبـة الفاتيكان ومستشارا في مجمـع البروباغندا ، كما عينه ملك نابولي والصقليتين مؤرخا لمملكة نابولي كما منحه لقب مواطن شرف لنابولي . وسيم عام ١٧٦٦ ، مطران شرف على مطرانية صور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حدث له في سنواته الاخيرة ما نغص عيشه اذ شب حريق في شقته التهم الكثير من مؤلفاته المخطوطة . وقد اثرت هذه الكارثة تأثيرا كبيرا على صحته وعجلت في وفاته . فعمت الحسرة زملاءه المستشرقين في اوروبا لوفاته .

خلف السمعاني الكبير نحوا من ٤٨ اثرا علميا بين مطبوع ومخطوط بينها ما لم يسبقه اليه من قبل . واشهر مؤلفاته واسيرها اسما وذكرا هو كتابه المعروف بـ« المكتبة الشرقية » وهو كتاب ضخم يقع مطبوعا في ٤ ملجدات كبيرة تم نشره بين ١٧١٩ ــ ١٧٣٦ ، فهرس فيه للمخطوطات التي دخلت المكتبة الفاتيكانية في عهد حبرية البابا اقليمس الحادي عشر وعرف بها ووصفها وصفا علميا كما ترجم لمؤلفيها من كتاب العرب والسريان والكلدان والاقباط واليونان وغيرهم مع ما كان مجهولا من تراجمهم حتى ذلك العهد ، فأدى بهذا العمل اكبر خدمة للعلماء شرقا وغربا . ويذكر لنا الكردينال ماي الذي ترجم للسمعاني ووضع لنا قائمة مفصلة لمؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ان التصميم الاول « للمكتبة الشرقية » خطط لاثني عشر مجلدا .

وقد عرف هذا الفهرس الضخم المستشرقين بكنوز الشرق وحملة الفكر فيه .

ثم قام بعده ابن شقيقته المطران اسطفان عواد (١٧٠٩ ــ ١٧٩١) فوضع فهرسا آخر لمخطوطات المكتبة الفاتيكانية طبع في روما بين ١٧٥٦ ــ ١٧٥٩ بعنوان « فهرس مخطوطات المكتبة الفاتيكانية » يقع في ثلاثة مجلدات ، وصف منها ١٧٤٣ كتابا مما لم يدخل في فهرس السمعاني .

الغزيري ، مخائيل ١٧١٠ ــ ١٧٩١

هذا عالم لبناني آخر عمل في خدمة المكتبات وفهرس لمجموعة المخطوطات العربية الموجودة في خزانة دير الاسكوريال الواقع على مقربة من مدريد .

ولد علامتنا الغزيري في بلدة غزير ، من اعمال كسروان عام ١٧١٠ ، وارسل الى المدرسة المارونية في روما ، حيث درس الفلسفة واللاهوت . سيم كاهنا عام ١٧٣٤ ، وانتدب لمرافقة السمعاني الى المجمع الماروني الذي عقد في اللويزة عام ١٧٣٦ .

عمل مدة استاذا للاهوت في المدرسة المارونية في روما واستدعي عام ١٧٤٨ ، الى اسبانيا للعمل في فهرسة مجموعات المخطوطات في دير الاسكوريال التي كانت تعتبر اذ ذاك اغنى مجموعة من نوعها للمخطوطات العربية في اوروبا كما عين حافظا لهذه المكتبة بعد وفاة امينها عام ١٧٥٦ ، الدعو اندريس دي سان جان .

وضع الغزيري كتابه « فهرس المكتبة العربية الاسبانية » في مجلدين كبيرين فهرس فيه ل ١٨٥١ مخطوطا عربيا ، ظهر مطبوعا بين ١٧٦٠ ــ ١٧٧٠ . فكان اول فهرس علمي لهذه المجموعة المهمة من المخطوطات .

وعلى هذا الفهرس اعتمد المستشرق الفرنسي هرتويغ ديرنبورغ في وضع فهرسه الجديد لمخطوطات الاسكوريال ، في مجلدين لم يكتمل ثانيهما اذ فاجأ الموت صاحبنا قبل ان يظهر المجلد الثاني بكامله وقد اكمل عمله المستشرق الفرنسي المعروف ليفي بروفنسال ، كما صدرت تكملة له عام ١٩٢٨ في ٣٣٠ صفحة .

كتب سيرة الغزيري وترجم له ترجمة مستفيضة المؤرخ العلامة الاب ميشال بريدي ، احد كهنة كنيسة مار مارون في طرابلس ــ سابقا في بحث له باللغة الفرنسية ، بعنوان : « المستشرق اللبناني ميخائيل الغزيري » ــ حريصا ، مطبعة الآباء البولسيين ، ١٩٥١ ، ص ٣٨ .

هذه لمحة خاطفة في بعض اعمال اللبنانيين في خدمة المكتبات وفهرسة المخطوطات ، في القرن الثامن عشر . ولنا عودة ثانية الى الموضوع في مناسبة اخرى والله الموفق .

يوسف اسعد داغر

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٣٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلسا
مصر	٢٥٠ مليما
عدن	٤٥٠ فلسا
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٢٫٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٢٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

المنجنيق ، المنجوق ، المنجليق

آلة الحصار التي ترمى بها الحجارة الكبيرة على المدن والحصون ، يخطئون من يطلق عليها اسم المنجليق (بفتح فسكون ففتح) ، ويختلفون في الصواب ، هل هو المنجنيق (بفتح الميم) ، ام بكسرها ، ام المنجوق ، والحقيقة هي :

(أ) المنجنيق (بفتح فسكون ففتح) : ابن الاعرابي ، والصحاح ، والمحكم ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح (في مادة مجن) ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) والمنجنيق (بكسر الميم) : ابن الجواليقي ، والنهاية ، والمصباح (ربما كسر اوله لانه آلة) ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط .

وذكر القاموس والتاج ان فتح الميم اعلى .

(ج) والمنجنوق (بفتح الميم) : الليث بن سعد ، وابن الاعرابي ، والمصباح ، والقاموس ، وصبح الاعشى ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(د) والمنجليق (بفتح الميم) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والوسيط .

اما المتن فقد ذكر المنجليق دون ان يضبط حروفه بالشكل .

والمنجنيق واخواتها الثلاث كلمات مؤنثة كما قال زفر بن الحارث الكلابي :

لقد تركتني منجنيق ابن بجدل أحيد عن العصفور حين يطير

وفي الصحاح : « من العصفور » . وقد ورد الفعل (حاد منه) مرة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في الآية ١٩ من سورة (ق) . وكلا حرفي الجر (عنه ومنه) جائزان .

وهنالك اجماع على ان كلمة المنجنيق واخواتها من اصل فارسي . وروى صبح الاعشى في الجزء الثاني ، في باب « آلات الحصار » كلمة خامسة هي المنجميق (بفتح الميم) .

وتجمع المنجنيق (بفتح الميم وكسرها) على منجنيقات ، ومجانق (بفتح الميم) ، ومجانيق . والمنجوق على منجوقات . والمنجليق على مجاليق .

وتصغر على مجينيق ، ما عدا المنجليق فان تصغيرها هو : مجيليق (بضم ففتح) .

اما فعله فهو : جنقه (بفتح النون) يجنقه (بكسرها) جنقا (بتسكينها) : رماه بالمنجنيق فهو : جانق .

وهنالك الفعلان مجنقه (بفتح فسكون) ، وجنقه (بتضعيف النون) ، وارجح ان الفعل الثاني يعني المبالغة في رمي الحجارة بالمنجنيق .

وهنالك :

(١) جلق (بفتح اللام) الاعداء : رماهم بالمنجنيق .

(٢) منجق (بفتح فسكون) الحجر : رماه بالمنجنيق .

(٣) الجنق (بضم فضم) : (أ) حجارة المنجنيق .

(ب) اصحاب تدبير المنجنيق .

جن عليه الليل ، أجنه ، جنه

ويخطئون من يقول : اجنه (بتضعيف النون) الليل ، بمعنى : ستره ، ويقولون ان الصواب هو : جن (بفتح فتضعيف) عليه الليل ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية ٧٦ من سورة الانعام ، وعلى ما جاء في النهاية (وفي الحديث « جن (بفتح فتضعيف) عليه الليل » اي ستره) . وروى اللسان ايضا هذا الحديث .

ولكن :

اجاز استعمال جملتي : جن عليه الليل ، واجنه الليل كلتيهما : معجم الفاظ القرآن الكريم ، وادب الكاتب ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتحمل جملة : جنه (بفتح فتضعيف) الليل معنى الجملتين : جن عليه الليل ، وأجنه الليل ، اي : ستره .

وفعله جنه يجنه (بضم الجيم) جنا (بفتحها) وجنونا (بضمها) ، وجن عليه يجن (بضمها) جنونا .

أجن الله فلانا و جننه

ويخطئون من يقول : أجن الله فلانا (بفتح الجيم وتضعيف النون) ، اي : اذهب عقله ، ويقولون ان الصواب هو : جننه (بفتح فتضعيف) . وكلا الفعلين المتعديين صواب .

والفعل (أجن) يأتي لازما ومتعديا ، ومن معانيه :

(١) أجن فلان : فقد عقله . (٢) أجن الشيء عنه : استتر .

(٣) أجنت المراة جنينا : حملته . (٤) أجن الشيء : ستره .

(٥) أجن الميت : كفنه . وفي الحديث : « ولي دفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واجنانه علي والعباس » .

(٦) أجن صدره الشيء : أكنه .

ونقول عمن أصيب بالجنون : جن (بضم الجيم) يجن جنا (بفتحها) ، وجنة (بكسرها) ، ومجنة (بفتح ففتح فتضعيف) ، وجنونا .

اما جن (بفتح فتضعيف) فلان بمعنى : فقد عقله ، فهي من اقوال العامة .

جهده ، أجهده

ويخطئون من يقول : اجهده (أرهقه) ، ويقولون ان الصواب هو : جهده (بفتح الهاء) ، يؤيدهم ما جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم ، والاساس الذي اكتفى بقوله : جهد نفسه .

ولكن :

يجيز جهده وأجهده كليهما كل من ادب الكاتب (باب ابنية الافعال) ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمغرب (أجهد لغة قليلة)، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

وفعله : جهده يجهده (بفتح الهاء) جهدا (بفتح فسكون) .

الجهـــود

ويخطئون من يجمع الجهد (بضم الجيم وفتحها) على : جهود ، معتمدين على اهمال المعجمات وضع جمع لهاتين الكلمتين التوأمين . ولكن المعجمات ايضا لا يذكر واحد منها ان الجهد (بضم الجيم) والجهد (بفتحها) لا يجمعان . وليس هنالك ما يمنع جمعهما على جهود ، لان كل اسم ثلاثي ، ساكن العين ، مضموم الفاء يجمع على فعول (بضم الفاء) دائما ، بشرط ان لا يكون معتل العين مثل حوت ، ولا معتل اللام مثل مدي (بضم فسكون) وهو نوع من المكاييل ، ولا مضعف اللام مثل مد (بضم الميم) .

ولما كان الجهد او الجهد (بضم الجيم وفتحها) لا يبذلهما دائما شخص واحد ، بل يأتيان من مصادر مختلفة القوة والنوع والحماسة .

ولما كان مصدر الطاقة المبذولة (الجهد) واحدا . او لو فرضنا انه كذلك ، فان هذا الواحد لا بد له من ان يختلف ، من حيث قوته ، وتأثيره ، في كل مرة عن المرات التي سبقتها ، والتي ستليها ، مما يشكل مجموعات متباينة من الطاقات ، يتيح لنا المنطق ان نجمعها لانها قوية ، وذات تأثير فعال .

لـذا اقترح على مجامعنا الاربعة في مصر ودمشق وبغداد وعمان ، ان تقرر ابراز هذا الجمع (الجهود) ، في جميع الطبعات المقبلة من معجماتنا الرائدة ، مع موافقة مجمعية يستند اليها الادباء والنقاد قاطبة .

جهر بالقول وأجهر به

ويخطئون من يقول : أجهر بالقول (اي اعلنه) . ويقولون ان الصواب هو : جهر (بفتح الهاء) بالقول ، اعتمادا على قوله تعالى في الآية السابعة من سورة طه . وقد وردت جملة (جهر بالقول) ثلاث مرات اخرى في آي الذكر الحكيم، وجملة (لا تجهر بصلاتك) مرة واحدة .

ويعتمدون ايضا في تصويب جملة (جهر بالقول) على معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار .

ولكن :

يجيز لنا قول جملتي : جهر بالقول وأجهر به كلتيهما كل من ادب الكاتب في ابنية الافعال ، وابن الاثير في النهاية ، والصاغاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

وهنالك : جهر الكلام وأجهره (اي : اعلنه) : اللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما جهر الشيء فمعناه : ظهر (الاساس ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط) .

واكتفى الصحاح ، والاساس ، والمختار بالاتيان بالفعل الرباعي (أجهر) متعديا .

وفعله : جهر (بفتح الهاء) يجهر (بفتحها) جهرا (بتسكينها) ، وجهارا (بكسر الجيم) .

الجهـاز (بكسر الجيم وفتحها)

ويخطئون من يقول : جهاز (بفتح الجيم) العروس نفيس ، ويقولون ان الصواب هو : جهاز (بكسر الجيم) العروس نفيس .

ولكن :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلتا الكلمتين صحيحة ، وتطلقان على ما يأتي :

(أ) جهاز (بكسر الجيم وفتحها) كل شيء : ما يحتاج اليه . يقال : جهاز (بكسر الجيم وفتحها) العروس ، والمسافر ، والجيش ، والميت .

(ب) في الحيوان : ما يؤدي من اعضائه غرضا حيويا خاصا . يقال : جهاز التنفس وجهاز الهضم (بكسر الجيم وفتحها) .

(ج) الجهاز (بكسر الجيم وفتحها) : الاداة تؤدي عملا معينا . يقال : جهاز التقطير ، وجهاز التبخير .

(د) اطلق مجمع اللغة العربية بالقاهرة كلمة الجهاز (بكسر الجيم وفتحها) على الطائفة من الناس تؤدي عملا دقيقا .

يقال : جهاز الدعاية ، وجهاز الجاسوسية .

ويجمع الجهاز على اجهزة (بفتح فسكون فكسر) .

كانت الجياد من نسل عربي اصيل
او كان الجياد كلهم من نسل عربي اصيل

ويخطئون من يجري ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بني آدم ، ويقول : كان الجياد كلهم من نسل عربي اصيل ، ويرون ان الصواب هو : كانت الجياد كلها من نسل عربي اصيل .

والحقيقة هي ان الجملتين كلتيهما صحيحتان ، كما جاء في الآية ١٨ من سورة النمل ، والآية ٤٥ من سورة النور . ومن سنن العرب تغليب ما يعقل كما يغلب المذكر على المؤنث اذا اجتمعا .

لبس جوربه او جوربيه

ويخطئون من يقول : لبس جوربيه (بفتح فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو : لبس جوربه ، اعتمادا على قول محيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ولكن ابن السكيت ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد يجيزون لنا ان نقول : لبس جوربه او جوربيه .

والجورب مأخوذ عن الفارسية (كورب) ، واصله كور يا (قبر القدم) .

وجمعه : جوارب وجوارب (بفتح الجيم فيهما) : الصحاح ، والاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجيز لنا قول : تجورب (لبس الجورب) كل من ابن السكيت ، والصحاح ، والتاج ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويقول اللسان والتاج : جوربه فتجورب : البسه الجورب .

ونجد الجورب في مادة (ج ر ب) في الصحاح ، والاساس ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن محيط المحيط والوسيط شذا عن المعاجم الاخرى ، ووضعا الجورب في مادة (ج و ر ب) .

الجوعان (بفتح فسكون)

ويخطيء الصاغاني في كتاب « الذيل والصلة » ، والخفاجي في « شفاء الغليل » من يقول : هو جائع وجيعان (بفتح فسكون) ، ويقولان ان الصواب هو : جوعان (بفتح فسكون) . وقد عثرا حين خطأا من يقول : جائع ، لان جميع المعجمات تذكر اسم الفاعل هذا ، ولان اسم الفاعل يصاغ من الثلاثي السالم على وزن (فاعل) ، ومن الاجوف على وزن (فائل) .

واصابا حين خطأا من يقول : جيعان (بفتح فسكون) ، وحذا التاج والمد حذوهما . والصواب هو الجوعان (بفتح فسكون) ، كما قالا ، وقال المتنبي في قصيدته الشهيرة التي هجا بها كافورا :

جوعان ياكل من زادي ، ويمسكني لكي يقال : عظيم القدر مقصود

وذكر الجوعان ايضا : الراغب الاصفهاني في مفرداته، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جاع يجوع جوعا (بفتح فسكون) ، او جوعا (بضم الجيم) في نسختين مخطوطتين من الصحاح ، او مجاعة ، او جوعة (بفتح فسكون) ، فهو جائع وجوعان (بفتح فسكون) ، وهي جائعة وجوعى ، وهم وهن كما جاء في اللسان : جوعى (بضم فسكون) ، وجياع كما قال القطامي :

كان نسوع رحلي حين ضمت حوالب غزرا ، ومعي جياعا

وجوع (بضم فتضعيف) كما قال الحادرة قطبة بن الحصين الغطفاني :

ومجيش تغلي المراجل تحته عجلت طبخته لرهط جوع

وجيع (بضم فتضعيف) . وزاد المصباح والمتن : جياعى (بفتح الجيم والعين) .

وجاء في القاموس ، في مادة (سوع) ان الجائع يجمع على : جاعة . وهو جمع قياسي ، وان لم تذكره المعجمات ، لان الجمع فعلة (بفتح ففتح) مقيس في كل وصف على وزن (فاعل) ، لمذكر ، عاقل ، صحيح اللام ، نحو : كامل وكملة، وكاتب وكتبة ، وجائع وجوعة ، وبائع وبيعة .

وحين تتحرك الواو والياء ، ويفتح ما قبلهما تقلبان الفا ، فتصبح الجوعة (بفتح ففتح) ، جاعة ، والبيعة (بفتح ففتح) : باعة .

ويجوز — طبعا — ان نجمع الجائع ايضا على : جائعين ، والجائعة على جائعات .

ويجيز بنو اسد تأنيث فعلان (بفتح فسكون) على فعلانة ، مما يسمح لنا بأن نقول : هي جوعانة ايضا .

بيروت — شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣
محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الفن

*

احلى الطيور حمامة وكناري ... وأرق لحن أنه القيثار
أرأيت روضا ضاحكا الا اذا ... غنت بلابله على الاشجار
التقر في عيني ازهى منظرا ... من روضة تخلو من الاطيار
والنار احلى موردا من جنة ... لا تزدهي بعجائب الاوتار
يا من يلوم على البشاشة شاعرا ... أرأيت فنانا أليف وقار
العبقرية لا تدين بمنطق ... هي فوق ما نجلوه من اسرار
لم يجر فنان على سنن الورى ... الا كبا في اول المضمار
ليس العبوس ، كما زعمت ، فضيلة ... كلا ، ولا ألق الوجوه بعار
ايقاس ليل قاتم محلولك ... بضحى يموج بضاحك الانوار
ما العمر الا ساعتين فلا تكن ... عبئا على الاسماع والابصار
متع شبابك بالمحاسن واجن من ... كرم الحياة يوانع الاثمار
لم يخلق الله الازاهر والربى ... عبثا ... اتعرض عن عطايا الباري
لو شاء ان تحيا شقيا عابسا ... خلق البسيطة شعلة من نار

يا من تنادينا الى تكريمهم ... العيد عيدي والمزار مزاري
جمعت صلات الفن بين قلوبنا ... ووشائج الآمال والاوطار
فاذا بكيت فدمعكم في مقلتي ... واذا شدوت فصوتكم مزماري
مرحى بني امي لأنتم مفزعي ... في النائبات وانتم اظفاري
الغوطة الخضراء مهد طفولتي ... والارز في شرع المحبة داري
وزعت بين الجنتين صبابتي ... ونثرت في حرميهما ازهاري
ليت الذين تجاهلوني ادركوا ... اني وقفت عليهم اشعاري
احببتهم ملء الفؤاد ولم ازل ... ارنو لهم بالحب والاكبار
في ظلهم نبتت خوافي شهرتي ... وزها جناحي واستطار غباري
بالامس باريت الورى بسخائهم ... واليوم أهتف باسمهم وأباري
تأبى علي مروءة عربية ... ان اجحد المعروف في الاحرار
انا من يغض الطرف عن جبل الاذى ... ويرى حصاة الفضل بالمنظار
الحب ديني والوفاء شريعتي ... فليستجب غيري لداعي الثار
لم ادفع العمل القبيح بمثله ... الا شعرت بخستي وصغاري

يا من اقمتم للفضيلة والندى ... عرسا يموج بقبلتي آذار
ان قصرت عن شكركم اقلامنا ... وبدت عليها لكنة المحتار
فقلوبنا ابدا ترفرف حولكم ... وعيوننا خلف القلوب جوار
في كل جارحة بنينا هيكلا ... لكم .. ونمنمنا حديقة غار

بوانس ايرس ــ الارجنتين

زكي قنصل



الدكتور يوسف عز الدين

من هو رائد الشعر الحر

بقلم عبد الامير مهدي حبيب

* * *

اريد في مقالتي هذه ان اذكو جذوة الصراع مجددا بين انصار الشعر العمودي وانصار الشعر الحر ولا اريد ان ابارك لأنصار الشعر الحر ثباتهم بثقة امام العموديين في جولاتهم المستمرة والتي ما زال لظى رحاها على شاشة التلفزيون او في احضان الندوات الادبية او التي الفنا صليل سيوفها عبر الاثير فقد كثر الخائضون في هذا الباب واشبعوه او كادوا حيث ارى انه لا بد لكل ولادة جديدة فكرية او عاطفية من جدال ونقاش وكر، كي يستطيع الوليد الجديد ان يلبس ثوبه اللائق به والذي غالبا ما يعاد نسجه بين آونة واخرى ليتبلور على الصورة التي تضمن له العيش الرغيد في المستقبل ويستقر هيكله سليما بعيدا عن كل ما يعكر صفو عيشه او يسطو على ما كنز له انصاره من حقائق ثابتة راسخة متينة الاركان تمكنه من الوقوف على قدميه طاردا كل ما يضعف نموه ويعيق ازدهاره .

والذي اريده ان الباحث المتتبع لتاريخ ادبنا العربي في عصرنا الحديث لا بد ان توقفه بعض التأملات عندما يحاول ان يرسم بريشته بعض الحقائق عن الشعر الحر لان الحركة الجديدة لا تقل ان لم تزد اهمية عن الحركات التي سبقتها كالموشحات الاندلسية والبند والشعر المرسل لكونها احداثا جديدة زاحمت تكوين الشعر العربي التقليدي الذي طبعت عليه نفس الشاعر العربي . حقيقة لا بد من معرفتها وتدوينها في عصر نمو هذا اللون من الشعر هذه الحقيقة التي ستظل اقلام الباحثين تتأمل بسكون وتقف شاخصة عند الاقتراب منها او محاولة نبش جوهر فحواها ومحتواها هذا السؤال الذي سيبقى يلح في طلب الجواب عليه من هـــو رائد الشعر الحر في العراق او في البلاد العربية ؟ ومن هو اول مكتشف او مخترع له ان صح هذا التعبير ؟ وما هي اول قصيدة حرة الوزن تفتحت براعمها في اجواء الشعر العمودي فتصارعت مع قوافيه وسبحت في بحوره راقصة بلا انتظام لان عصرنا هذا عصر التسجيل والتدوين لاعصر الحفظ والنقل عن طريق الرواية والسماع كما كان يفعل اجدادنا الاولون في تدوين عواطفهم وافكارهم وايامهم .

والذي لمسته او كدت المسه ان دور ال ــ انا . وال ــ هو قد برز جليا وظهر واضحا لكل راء ومتفحص عند الاجابة على من هو رائد الشعر الحر في العراق حيث كثر الرواد له ونشرت الملابسات اجنحتها عليه شأنه شأن كل حركة فنيـــة او عاطفية لان وسيلة اللمس والبدء في العواطف والاحاسيس تكاد تكون واهنة الحدود ان لم تكن معدومتها .

والآن لا بد لنا ان نحوم حول فطاحل الشعراء الذين اجادوا في نظم الشعر الحر ولندع الشاعرة الكبيرة السيدة نازك الملائكة تطـــرح رايها في منشأ الشعر الحر ورائده (كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧ في العراق ومن العراق بل من بغداد زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله)(١) وقولها (وكانت اول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة الكوليرا)(٢) واشارت بأنها نظمتها عـــام ١٩٤٧ وارسلتها الى بيروت ونشرت ووصلت الى بغداد في نفس السنة وقالت بأنها وصفت فيها وباء الكوليرا الذي اجتاح مصر وقد ساقتها ضرورة التعبير الى اكتشاف الشعر الحر ثم اشارت الشاعرة الملائكة الى صدور ديوان ازهار ذابلة(٣) للشاعر المرحوم بدر شاكر السياب الذي حوى بين صفحاته قصيدة من الشعر الحر ــ والذي اصدر في نفس السنة والذي اعقبه صدور ديوان الشاعر عبـــد الوهاب البياتي سنـــة ١٩٥٠ (ملائكـــة وشياطين)(٤) وفيه قصائد حرة الوزن .

اذا يستنتج الدارس ان الملائكة ترى انهـــا رائدة الشعر الحر وانها اول من نظمت فيه حيث ذكرت بأن قصيدتها الكوليرا هي اول قصيدة تمشي في درب الشعر الحر وان العراق اول قطر عربي زحف منه هذا اللون من الشعر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طلع الفجر(٥)
اصغ الى وقع خطى الماشين
في صمت الفجر ، اصغ ، انظر ركب الباكين
عشرة اموات ، عشرونا
لا تحصى ، اصغ للباكينا
موتى موتى ضاع العدد
موتى ، موتى ، لم يبق غد

ولنعد الى المرحوم بدر شاكر السياب الذي تغنى بالشعر الحر ردحا من الزمن حيث يرى الاستاذ عبد الجبار البصري بأن قيادة الشعر الحر كانت بيد السياب وان السياب هو الرائد الاول له والمربي والمنظم للوليد الجديد (هذا هو الشعر الحر من حيث الوزن والقافية ويعتبر السياب الرائد الاول له ومقرر اسلوبه ونظرياته)(٦) ولنقلب صفحات من ديوان صغير لشاعر هجر الشعر بعد ان اطاعته قوافيه صاغرة وركعت بحوره هاوية هو ديوان لهاث الحياة للشاعر الدكتور يوسف عز الدين فاننا سنجد قصيدة حرة الوزن نظمها الشاعر بتاريخ ١٩٤٣/١٠/٢٨ :

غمغمة لحن(٧)
انا ....
في انغام شعري
شقيت نفسي
وعمري
من رضاب الدهر اسقي
شجن العيش المر
انا ريان ولكن
من اسى خمري دهري

وعدت اقلب حروف القصيدة والفاظها متسائلا والحيرة تأخذ مني مأخذها اذن لماذا لم يدون هذه القصيدة الدكتور يوسف عز الدين في كتابه (في الادب العربي بحوث ومقالات) الكتاب الذي سد الفراغ الذي كان يجده الباحث الادبي في العصر الحديث حيث لا يمكن ان يستغني عنه كل طالب ادب وعلم لانه سجل خالد حوت بحوثه مواضيع جمة الفائدة . وتتكشف ناحية اخرى هي ان الدكتور يوسف عز الدين كان قد نظم في الشعر الحر قبل الشعراء الذين اشتهروا به كالملائكة والسياب والبياتي . وهنا يقف سؤال لا بد من طرحه وهو هل ان القصيدة قد نظمت بهذا التاريخ وبقيت نائمة على صفحة الورقة البيضاء ام انها نشرت ؟ هذا ما لا يعلمه الا الشاعر نفسه . والقصيدة كان لا بد من الاشارة اليها على اعتبارها حدثا جديدا في الادب العربي .

ومع ان الدكتور يوسف قد ارجع تاريخ نظم الشعر الحر الى سنة ١٩١١(٨) ولكنه يرى بأن اكتمال التطور لم يصل ذروته وانه يرى (ان الزهاوي اول من دعا الى هذا الشعر)(٩) وهذا راي جديد بالنسبة الى نشأة الشعر الحر وقد يكون الدكتور الفاضل مصيبا في رأيه على ما عرف عن الزهاوي من ميل في اسلوبه الى النثر من حيث المعنى وخلو كثير من قصائده من الرنة الموسيقية والايقاع المتين الذي يكسب القصيدة قوة وحيوية .

ثم استطاع الدكتور يوسف عز الدين ان يدون لنا نصوصا لهذا اللون من الشعر سواء اكانت من العراق ام من البلاد العربية(١٠) . ولكنني لا اتفق معه فيما يراه (الثورة الجديدة ارادت ان تتخلص من الشكل والمضمون العربيين القديمين)(١١) والذي اظنه واميل اليه انه يمكن للشاعر ان يتخلص من الشكل حينما ينظم في الشعر الحر او المرسل او البند او اي لون جديد يختاره اما انه يتخلص من المضمون ، فلا . اذ كيف يتم له ذلك ؟ هل يأتي بمعان طابعها اجنبي ؟ ام انه يرسم صورة بعيدة عن مجتمعه ؟ مع علمنا بأن الشاعر مرآة المجتمع وانه نبتة نامية من نباته وحفنة تراب من ترابه اذا كان صادق الشعور والاحساس ، وهل ان التجارب الانسانية قد وضعت بينها الحواجز جزافا ؟ فالبكاء بكاء والفرح فرح كلها عواطف انسانية ترد عند كل الناس .

ولا يفوتنا ما يراه الدكتور صفاء خلوصي من (ان الشعر الحر بضاعة اوربية والفضل الاول في الدعوة اليه لشعراء المهجر فليس هو باختراع جديد في دنيا الشعر العربي واشك كثيرا في دوامه وازدهاره)(١٢) واغلب الظن ان الشعر الحر هو بضاعة اجنبية وصلنا كما وصلنا الشعر التمثيلي ولكن الشعر التمثيلي قل الناظمون فيه لصعوبة قيادته من قبل الناشئين ولهذا لم ينم كما نما الشعر الحر ولم تستمر الضجة حوله لابتعاد من هب ودب عنه .

اما الشعر الحر فقد كثر الناظمون فيه من الشباب لاستطاعتهم مضغ واجترار اسلوبه ولهذا كثر الخلط بين جيده وركيكه ، وتهجم معظم الشعراء والادباء على هذا اللون من الشعر الذي لا بد للايام الآتية من تحديد عيشه او موته .

واخيرا من هو اول من نظم الشعر هل الدكتور يوسف عز الدين ؟ ام الزهاوي ؟(١٣) .

---

(١) ــ قضايا الشعر المعاصر ص ٢٣ (بغداد ط ٣) مطبعة دار التضامن ١٩٦٧ . (٢) ــ نفس المصدر ص ٢٣ . (٣) ــ قضايا الشعر المعاصر ص ٢٤ . (٤) ــ نفس المصدر ص ٢٥ . (٥) ــ نفس المصدر ص ٢٤ . (٦) ــ بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر ــ عبد الجبار البصري ص ٥٢ بغداد ١٩٦٦ . (٧) ــ لهاث الحياة ص ٧٥ . (٨) ــ في الادب العربي بحوث ومقالات ص ٢٣٥ بغداد ١٩٦٧ وفيه مقال طويل عن الشعر الحر في العراق . (٩) ــ المصدر السابق ص ٢٣٧ . (١٠) ــ نفس المصدر ص ٢٥٠ ــ ٢٧٤ . (١١) ــ نفس المصدر ص ٢٨٢ (١٢) ــ فن التقطيع الشعري صفاء خلوصي ص ٤١٢ ط ٣ بيروت ١٩٦٦ . (١٣) ــ سبق ان نشرت الاديب الغراء مقالا للمرحوم الشاعر صالح جودت عن الدكتور يوسف عز الدين وتطرق فيه الى هذه الريادة .

جامعة السليمانية ــ العراق عبد الامير مهدي حبيب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

مدخل الى الادب ــ تأليف اميل فوجيه ، ترجمه مصطفى ماهر ، راجعه مصطفى فوده ، القاهرة ، سلسلة الالف كتاب باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ، ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي ١٩٥٨ .

١ ــ العنوان الاصلي Initiation littéraire يعني : توجيه ادبي ــ ولا بأس بالترجمة التي ثبتها المترجم للعنوان .

٢ ــ كتب اسم المؤلف اميل بكسر الالف والصحيح فتحها ، وكتب فوجيه وفيه اكثر من خطأ فلا موجب لكتابة الجيم بثلاث نقاط لانه كاف فارسية او جيم مصرية ، ولا موجب للياء لعدم وجود ما يقابلها في الاصل . ولو اننا اردنا ان نرجع لفظ المترجم الى الاصل الفرنسي لجاء Fojier او Faujier او Fogier ... وهذا غير صحيح لان الاصل Faguet فهو فاكه (بالكاف الفارسية) او فاجه بالجيم المصرية ولا يمكن ان يكون فاجيه بأية حال من الاحوال .

٣ ــ كتب المراجع كلمة تقديم جاء فيها تحت اسم المؤلف ١٨٥٧ ــ ١٩١٦ وهو خطأ مطبعي صحيحه ١٨٤٧ ــ ١٩١٦ .

٤ ــ اثنى المراجع على المؤلف بما هو اهله ، ولكنه قال : « وقد عالج في اخريات ايامه الموضوعات التي طرقت الاذهان وشغلت العقول في زمانه : مذهب الاحرار ، الاشتراكية ، مذهب السلام ، الحركة النسائية الخ ... ونشر ايضا في مجموعة « المداخل » هذا « المدخل الى الادب » الذي اختاره الاديب الشاب مصطفى ماهر لينقله الى العربية . وهو اختيار موفق ولا شك ... » .

ا ــ ويمكن ان يفهم من هذا الكلام ان « المدخل الى الادب ، مما عالجه المؤلف في اخريات ايامه ... » وهذا غير صحيح لان المعروف انه من اعمال المؤلف الاولى ، ولك ان ترده الى عمل الشباب . ولا يصعب ذلك كثيرا ، فقد ذكر المترجم في اكثر من حاشية ان فاكه الف « المدخل » سنة ١٩١٣ . واذا طرحنا من هذا التاريخ تاريخ الميلاد يكون الناتج (٣٤) هو عمر فاكه عند التأليف ، ولا يمكن ان يكون ذلك من اخريات ايامه لانه عاش (٦٩) عاما .

ب ــ لم يكن اختيار الاديب الشاب ... موفقا ، لان الكتاب ليس بذي قيمة ، وهو غير معدود في بابه وفي مؤلفات فاكه نفسه ... وكان المفروض بالمراجع ان يكون صريحا ، وبادارة الثقافة ان تكون عارفة ...

٥ ــ ص ٨ الثلمود : التلمود .

٦ ــ ص ١٠ « وكان العلماء في بدء القرن التاسع عشر يظنون ان هوميروس لم يوجد قط ، ولكنهم يعودون الآن الى الاعتقاد بأنه لا يوجد سوى هوميروسان : احدهما مؤلف الالياذة والآخر مؤلف الاوديسا » .

ا ــ لم يكن ذلك اجماعا .

ب ــ سوى هوميروسان : سوى هوميروسين .

٧ ــ ص ١٦ « مؤلفوا التراجيديات » : مؤلفو التراجيديات .

ص ٤٧ « معلموا البلاغة » : معلمو البلاغة .

ص ٧٨ « فياضوا الكلمة » : فياضو الكلمة .

٨ ــ ص ١٧ « ارسطوفان الذي بقيت لنا مؤلفاته » : بقيت لنا منه مؤلفات ، لان مؤلفاته لم تصل الينا كلها . لقد ألف نحوا من اربعين مسرحية وصل الينا منها احدى عشرة .

٩ ــ ص ١٩ « هيبوقراط ... انشأ الطب » : الكتابة العربية ابو قراط أو ابقراط أو بقراط ولم يرد يوما مبدوءا بالهاء .

١٠ ــ ص ٢١ « أرسطو ... اهم مؤلفات ارسطو هي ... « البلاغة » ، « الشعر » : الصحيح « فن الخطابة » ، « فن الشعر » ...

١١ ــ ص ٣٢ « مات جوليان صغيرا ولعله لو قد عاش لاصبح من عظماء الرجال » : لا وجه لقد هنا ، فهي تفيد التحقيق في الوقت الذي يقوم الكلام على « لو » .

١٢ ــ ص ٦٧ « الكوميديا الالهية ... ثلاثة اجزاء : الجحيم والمطهر والسماء » : المألوف الذي يتبناه المترجمون الثقات : الفردوس .

١٣ ــ ص ٨١ « كان جيه وبلزاك ... اطفى على الجملة الفرنسية ... انسجاما » : كان كي وبالزاك (كي بالكاف الفارسية) ... اضفى ... وهو بالفرنسية ... Guez

١٤ ــ ص ٩٧ « وينبغي الا ننس ان في العصر نيوتن ولوك اللذان يدخلان اولهما في تاريخ العلوم وثانيهما في

تاريخ الفلسفة وانما نشير اليهما لان كلاهما كان يجيد الكتابة ... » — وتكررت ص ١٠٩ .

الصحيح : ... الا ننسى ... اللذين ... لان كليهما ...

١٥ — ص ١٢١ « اشهر الشعراء الملحميون هم ... » : ... الملحميين .

١٦ — ص ١٢٨ « الهزيادة ... التي انشأها فولتير في الجزء الاول من القرن الثالث عشر » : الصحيح : الثامن عشر .

١٧ — ص ١٧٤ « لومونوف . ويعتبرون لوومونوزوف الاب الحقيقي للادب الروسي » : هو بالحرف اللاتيني كما يكتبه الفرنسيون : Lomonossov لومونوسوف .

١٨ — ص ٢٢ « لانهما كانا ذا اثر كبير » : كانا ذوي .

١٩ — ص ٧٨ « لم يعيش ... » : لم يعش .

٢٠ — ص ١٢٧ « لخص الياذة هومير في اثني عشر انشودة » . الصحيح : « في اثنتي عشرة انشودة » .

٢١ — ص ١٧ « اعظم مؤلفات اسخيل هي ... بروميتيه المغلولة » . الصحيح : المغلول او مغلولا ...

٢٢ — ص ٤٠ ، ٤١ يكتب « سيسيرو » والمعتاد ان نكتبه « شيشرون » . ص ١٣٧ يكتب هللينية والصحيح هلينية (بتشديد اللام) ، ويكتب ص ١٤٤ مريميه وهو مريمه . ص ١٥٢ شيرانو : سيرانو .

٢٣ — والخطأ المطبعي كثير منه :

ص ١٥ فقلد : فقلده ، الحزرون : الحذرون . ص ١٧ ايزبيد : ايربيد . ص ٢٢ ماكز : مراكز . ص ٢٥ حلف : خلف . ص ٢٨ سير كبير الرومان والاغريق : سير كبار . ص ٥٤ اقل متاعا : اقل امتاعا . ص ١٣٧ راسيف : راسين . ص ١٤٥ معصر : العصر . ص ١٤٨ واقعته : واقعية . ص ١٤٢ « تيري الذي استحيا الازمات الميروفتجية » : الازمان الميروفنجية . ص ١٤٦ فرانسوا كوبيه : فرانسوا كوبه . ص ١٨ « الصفادع » : الضفادع . ص ٢٨ خطوة : حظوة . ص ٣٤ بوردالود : بوردالو . ص ١٨ ميناتدر : ميناندر . ص ٤٤ اصغى : اضغى . ص ٥٨ جربيان : اجربيان . ص ٩٢ الجنوب : الجنون . ص ١٤٣ انوربه : انوريه . ص ١٤٩ خطى : حظي . ص ١٥٢ لاقيس : لافيس .

٢٤ — خطورة الخطأ — من اي نوع — في هذا الكتاب انه صادر من جهة رسمية محل ثقة ، وانه مما يقرؤه المبتدئون .

(٢)

معنى الواقعية المعاصرة — تأليف جورج لوكاتش — ترجمة دكتور امين العيوطي — القاهرة ، دار المعارف (دراسات في الآداب الاجنبية) ١٩٧١ .

١ — لم يذكر المترجم اللغة التي ترجم عنها الكتاب . لقد الح في المقدمة الى اللغة الالمانية ، ولكن كلمات في النص يمكن ان تشير الى انه ترجمه عن الانكليزية .

٢ — وردت جورج بالجيم الفارسية اي الجيم بثلاث نقاط ، وهذا غير صحيح ، وقد اشرت — وسأشير — مرارا الى ان المصريين يتبنون ذلك مجاملة للهجتهم العامية ، وهذا غير صحيح .

ومثل جويس ، جيمس ، جيد .

٣ — ص ١٦ « انه اختلاف ملفت للنظر » — وتنظر ص ٥٧ . الصحيح : لافت ، لان الماضي لفت ثلاثي ...

٤ — ص ٢٠ « التعليم العاطفي لفلوبير » ، وتتكرر ، والترجمة غير صحيحة ، لان الصحيح ان نقول « التربية العاطفية لفلوبير » ، والتعليم غير التربية . ورواية فلوبير هذه مترجمة الى العربية بعنوان سليم هو « التربية العاطفية » .

٥ — ص ٢٧ « وفي حديث له حدد ميوسيل فترة روايته ... » .

تركيب الجملة غير سليم ، والصحيح ان يكون : حدد ميوسيل ، في حديث له ، فترة روايته ...

٦ — ص ٥١ : « وفي هذه الرؤية يبدو التاريخ لا على انه التحقيق التدريجي للخلود ، ولكن على انه عملية تحلل حتمي » .

تركيب غير سليم ، ويمكن ان يكون هذا : « وفي هذه الرؤية يبدو التاريخ عملية تحلل حتمي وليس تحقيقا تدريجيا للخلود » .

٧ — ص ٥١ : « ... الكتاب الرومانسيون ... عبروا عن فهمهم لا تعبيرا نظريا فحسب ، ولكن تعبيرا فنيا ايضا » .

تركيب غير سليم ، يمكن ان يكون صحيحه هكذا : « ... عبروا عن فهمهم تعبيرا نظريا وفنيا » او « ... لم يعبروا عن فهمهم تعبيرا نظريا فقط ، وانما (عبروا) تعبيرا فنيا ايضا (او كذلك) » .

٨ — ص ١٣٩ « ولا يجب ان ننتظر من الكاتب ... » — ويجب الا ننتظر من الكاتب .

٩ — ص ١٤٠ « حتى أن » — بفتح الهمزة : الصحيح بكسرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠ ــ ص ١٨٥ « انسن » : خطأ مطبعي ، صحيحه معروف : ابسن .

١١ ــ ص ٢٠٦ « كانت مدام بوفاري اولى اعماله ... » .

الصحيح : ... اول اعماله ــ وتنظر ص ٢١٢ .

١٢ ــ ص ٢١٠ « لورانس ... من اعظم الروائيين الانجليز على الاطلاق » .

التعبير غير منسجم ، فاما ان نقول « لورنس ... اعظم الروائيين الانجليز على الاطلاق » او ان نقول « من اعظم الروائيين الانجليز » .

١٣ ــ ص ٢١٣ « فهو يؤمن ان الفن والادب يجب ان يسخران لخدمة الحياة » .

الصحيح : وهو معروف جدا : ان يسخرا .

(٣)

السريالية ــ تاليف ايف دوبلسيس ، ترجمة بهيج شعبان ، بيروت ، دار بيروت ١٩٥٦ .

١ ــ ص ١١ « وقد طرحت على الخصوص في مجلة « الآداب » ، وهو عنوان سحري لنشرة ضد الادب » .

ا ــ الآداب : ادب ــ لانها هكذا وردت في الاصل مفردة من غير ال وتنظر ص ١٢ .

ب ــ سحري : سخري او ساخر لان الاصل ironique ، وقد يرد الخطأ الى المطبعة .

٢ ــ ص ١٢ « لم يصل تزارا Tzara الى باريس الا في سنة ١٩١٦ ... » .

ــ الصحيح : ١٩١٩ ــ كما هو صريح في الاصل .

٣ ــ ص ٩ « ولم تكن حياته سوى تحريض دائم على جميع الاصطلاحات البورجوازية » ، ص ١٤ « وبيانات الداديين المدوية ، وشتائمهم المستمرة للمجتمع واحتقارهم للاصطلاحات ... » .

يترجم بالاصطلاحات كلمة Conventions ، والمناسب هنا ان نقول : الاعراف .

٤ ــ ص ١٥ « وتبع الفضيحة تمرد اسلوبي عما هو سريالي ... » .

يترجم باسلوبي كلمة méthodique والمعقول ان نقول : منهجي .

٥ ــ ص ١٨ « ولكن جميع اعضاء السريالية السابقين قد دفنوه قبل الاوان ... » .

الصحيح : قد دفنوها . وسبب الخطأ ان الضمير يعود على السريالية ، و « السريالية » مذكر بالفرنسية .

٦ ــ ص ١٨ « فقد عاد لويس اراغون من مؤتمر خاركوف سنة ١٩٣٠ » .

الصحيح ١٩٣١ ــ كما هو صريح في الاصل .

٧ ــ ص ٤٤ « جونغ Jung » .

الصحيح « يونك » وقد الفته العربية هكذا ، والـ J الالماني يلفظ ي ، وهو على رسم المترجم يونغ .

٨ ــ ص ٤٨ « عقليتنا المقوننه » يريد المقننة التي ضبطها القانون Codifiée

٩ ــ ص ٧ « وهو فريسة للتيهان في عالم اللانهاية » .

يترجم بالتيهان كلمة vertige والاولى ان يكون معناها : الدوار .

١٠ ــ ص ٨ « وقد وجه هذا الفيلسوف الانتباه ، قبل فرويد ، الى الاحلام ، وظاهرات التلبسي (الشعور مع الغير عن بعد) ... » .

يريد الـ télépathie وذكر الكلمة ص ٣٠ بحروفها الاجنبية .

١١ ــ ص ١٠ « وكان دادا Dada قبل الرسالة يملك جدارة ان لا يكتب شيئا » .

يترجم بـ «قبل الرسالة» avant la lettre والصحيح ان تكون « قبل الحرف » والاصح ان تكون قبل ان توجد حروف دادا ، والاحسن قبل ان توجد الكلمة ... والضمير في « يملك » لا يعود الى دادا وانما يعود الى جاك فاشه . يريد : ان جاك فاشه ، قبل ان توجد كلمة دادا (او حركتها) يملك جدارة ... الخ فهو دادي قبل ان توجد الدادائية .

١٢ ــ ص ٢٥ ، والضمير يعود على ماكس ارنست في كلام لأندره بريتون : « ليس هناك من شيء اكثر كمالا واكثر نموذجية من تلك الروايات الثلاث معا : ... » .

لا يوجد في الاصل مقابل لكلمة « تلك » وانما وجد «ses» قبل الروايات ، وعلى هذا تكون الترجمة « ... من رواياته الثلاث ... » .

١٣ ــ كثيرا ما ترد في النصوص العربية « فاء » تلقة ، من ذلك ص ٤٠ « وبين الامراض العقلية العديدة فان احدها ، البارانويا دال على الهدف » ، وص ٤٥ « ولكن المصاب ... فانه يستعمل » ، وص ١٤٦ « ولكنهم بدلا من ان يظلوا ... فقد راوا ... » .

١٤ ــ جمع المترجم في هامش ص ٤٣ بين قد ولا فقال « قد لا يجد القارىء ... » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ ــ ص ١٥١ « كاموس Camus » ــ الصحيح ان كامو من غير « س » .

١٦ ــ ص ١٥٧ « ان البقاء في حالة التهيؤ ... هو الحظ الوحيد ... » .

ربما كان الاحسن ان نقول « ... هــو الفرصة الوحيدة ... » .

(٤)

في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٦٥ انتهى طبع كتاب لجان بول سارتر بعنوان : Les Mots اي الكلمات ، صدر عن دار « غاليمار »بباريس مقسما الى قسمين يشير اليهما بأرقام رومانية : I قراءة ، II كتابة .

نقله الــى العربية الدكتور خليل صابات بمراجعة الدكتور محمد مندور ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، فبراير ١٩٦١ وقد حول الارقام الرومانية الى « القسم الاول » و « القسم الثاني » ...

وكانت قد صدرت ببيروت ــ قبل ذلك ــ ترجمــة للدكتور سهيــل ادريس بعنــوان « سيرتي الذاتيــة » ١ ــ الكلمات ١ ــ القراءة ٢ ــ الكتابة . دار الآداب ، كانون الثاني ١٩٦٤ . ومعنى هذا انها صدرت قبل الطبعة الفرنسية ، وهذا صحيح ، ويفهم من كلام على الغلاف الاخير لهذه الطبعة ان مشروع جان بول سارتر في الاصل اوسع مــن « الكلمات » والحديث عــن الطفولة او ان « الكلمات » جزء اول من كتاب ضخم . فقد جاء في ذلك :

« تفخر دار الآداب بأن تقدم هذه الترجمة ... وقد اشترت دار الآداب مــن دار غاليمار الفرنسية حقوق الترجمة العربية لهذا الكتاب ... وهذه الترجمة تصدر في بيروت قبل ان يصدر الكتاب بلغته الفرنسية الاصلية في باريس ...

ويروي سارتر في هذا الجزء من « سيرتي الذاتية » طفولته الاولى ... » .

يبــدو ان جان بول سارتر عدل عــن مشروعه « سيرتي الذاتية » واكتفى « بالكلمات » كتابا مستقلا .

(٥)

جان بول ساتر ــ ما هو الادب ؟ ترجمة جورج طرابيشي . بــيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، الطبعة الاولى ، نيسان (ابريل) ١٩٦١ فيه : مقدمة الازمنة الحديثة . ما هو الادب ؟ ما الكتابة ؟ لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟

وصدر عــن دار الآداب ببيروت لجان بول سارتر بعنوان صغير : مواقف ١ . وعنوان كبير : الادب الملتزم بترجمة جورج طرابيشي نفسه متضمنا الموضوعات الاربعة : ما هو الادب ؟ ما الكتابة ؟ لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟ وموضوعا جديدا هو موقف الكاتب الملتزم عام ١٩٤٧ ــ كانت الطبعة الثانية التي صدرت عن دار الآداب سنة ١٩٦٧ .

وبود القارىء لو عرف في مقدمة صغيرة لهذه الطبعة الاسباب المؤدية اليها ، واسباب الخلاف والمترجم واحد .

وصدر الكتاب نفسه بمصر بعنوان : مــا الادب . ترجمة الدكتور محمد غنيمي هــلال ، القاهرة ، الانجلو ١٩٧١ ولم يشر الا خفيفا الى « ما هو الادب » البيروتي .

الخلاصة ان كتابــا واحدا يترجمه مترجم واحــد بعنوانين لدارين بيروتيتين ، ويترجمه مترجم آخر متفقا مع عنوان مختلفا مع آخر ...

فما السبب ؟ اذا تركنا عامل الفوضى وما اليها يبقى ان نذكر ان جان بول سارتر لم يضع عنوانا لكتابه ، وانما هو حلقة اولى من سلسلة تصدر بعنوان عام ، تحمل كل حلقة فيها رقما رومانيا . العنوان العام هو Situtaions التي ترجمناها بـ « مواقف » وقــد صدرت منها سبع حلقات ، وقد عزمت دار الآداب على ترجمة حلقات مواقف وسارت في المشروع ولكنها لم تلتزم بمنهج المؤلف وانما جعلت « مواقف » مرقمة ، عنوانا عاما ثم جعلت لكل حلقة عنوانا خاصا تكتبه بحرف كبير مواقف ١ ــ الادب الملتزم . مواقف ٢ ــ ادباء معاصرون . مواقف ٣ ــ جمهورية الصمت ... الخ .

(٦)

ستيفان تسفايج ــ بناة العالم (هولدرين ، دوستوييفسكي ، بلزاك) ترجمة محمد جديد (عن الالمانية) ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٠ .

جاء على الغلاف الاخير : « هذه ثلاث دراسات للكاتب الالماني ستيفان زفايج ... » .

الصحيح ان الكاتب نمساوي (ولد في فينا سنة ١٨٨١ ويكتب في الاصل هكذا : Zweig) .

(٧)

اسطورة سيزيف ، البير كامو ، نقله الى العربية انيس زكي حسن ، بيروت ، دار مكتبة الحياة . د.ت.

ترجم الكتاب نفسه سالم نصار ، بيروت ، منشورات دار الاتحاد . د.ت. ، ولكنه جعل عنوانه « العبث » وهو تصرف مــن المترجم لان المؤلف اتخذ عنوان « اسطورة سيزيف » . وقد كتب المترجم في المقدمة « تنبيه » لم يذكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيه السبب الموجب ــ او غير الموجب ــ لهذا التصرف .

الترجمتان صدرتا دون ذكر لتاريخ صدور الترجمة العربية ــ وهذا نقص يتكرر لدينا ، زيادة على العيوب الاخرى !

(٨)

من الكتب التي نقلت الى العربية مرتين بعنوانين مختلفين ، قصة لمكسيم كوركي . الاولى : مكسيم جوركي ــ « في معترك الحياة » ، ترجمة دار الهنا . د.ت.

الثانية : مكسيم جوركي ــ « بين الناس » ، ترجمة ليان ديراني . دمشق ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية . سلسلة عيون الادب العالمي ١٥ (النسخة التي بين يدي غير مؤرخة) . « بين الناس » هي الصحيحة او الاصح .

ومن الملاحظات : ١ ــ ان هذه القصة هي الثانية في التسلسل الزمني من القصص التي يعرض فيها المؤلف اطرافا من حياته ــ لقد سبقتها « الطفولة » .

٢ ــ جاء في صدر الترجمة المصرية : « كلمة المترجم » بتوقيع : سعد توفيق . لماذا ؟ وقد كتب على الغلاف اسمان !

٣ ــ كتبت الترجمة السورية اسم كوركي بالجيم (الجيم ذات النقاط الثلاث) ولا موجب لذلك ويزيد الامر تعقيدا في الابتعاد عن الاصل . لقد كنا نضيق بالجيم المصرية (جوركي) والغين اللبنانية ــ السورية (غوركي) ونرجو ان نتبنى لفظا يقربنا الى الصحة مثل الكيم ــ الكاف الفارسية فجاءت الجيم ذات النقاط الثلاث في غير محلها .

(٩)

ومن الكتب التي نقلت الى العربية مرتين بعنوانين مختلفين مختارات من تولستوي عملها وقدم لها ستيفان تسفايج .

واحدة بعنوان « نصوص مختارة من تولستوي » ، تقديم ستيفان تسفايج ، ترجمه شكري محمد عياد ، راجعه علي ادهم ، القاهرة ، الادارة العامة للثقافة ــ وزارة التربية والتعليم ــ الاقليم الجنوبي ، سلسلة الالف كتاب (٢٨٦) ، مطابع دار القلم . د.ت.

وثانية بعنوان « ستيفان زفايج يقدم افكار تولستوي الحية » ترجمة احمد عصام الدين ، مراجعة عبد الرحيم سرور ، القاهرة ، مختارات الاذاعة والتلفزيون ، مذاهب وشخصيات ، د.ت.

من الملاحظات ، ان الترجمتين صدرتا دون تاريخ ، وهذا غير صحيح ، ولا سيما اذا كان الصدور عن جهات رسمية . وقد تكرر هذا الخطأ ، ويا حبذا لو تنبهنا جديا اليه . اننا لا نعرف ــ هنا ــ مثلا اي الترجمتين اسبق .

ومن الملاحظات ان ترجمة احمد عصام الدين التزمت بالعنوان الاصلي ، وتصرف الدكتور شكري عياد مع انه ثبت العنوان الاصلي (باللغة الانكليزية)
The Living Thoughts of Tolstoi
فما كان اجدره بالبقاء عنده .

ومن الملاحظات ان احمد عصام الدين لم يحتفظ في ترجمته بالمادة الاخيرة من الافكار الحية وقد وردت في ترجمة الدكتور عياد بعنوان «ما به حياة الناس» ص ١٤٣ ــ ١٨١ ، فاذا كانت هذه المادة في اصل كتاب تسفايج ــ وهو ما يبدو صحيحا ــ فلم لم يترجمها ؟ ولم لم يذكر السبب ؟ ثم ان وراءه كما ينص الكتاب في غلافيه مراجعا هو عبد الرحيم سرور ... فمن الذي راجع المراجع في هذه الحال ؟ الاستاذ سرور لم يراجع الفصل الاخير ، والاستاذ ادهم لم يراجع العنوان ، فلم المراجعة ؟ وكيف ؟

(١٠)

ومن الكتب التي ترجمت بعنوانين مختلفين الكتاب الذي الفه بالفرنسية كارلوني وفيو بعنوان « النقد الادبي » ، ترجمه « جورج سعد يونس » باسم : « تطور النقد الادبي في العصر الحديث » ، صدر في بيروت عن دار مكتبة الحياة ١٩٦٣ ، وصدر بترجمة كيتي سالم ومراجعة جورج سالم باسم « النقد الادبي » في بيروت ، منشورات عويدات ١٩٧٣ . وهو العنوان الصحيح الدقيق . ويمكن ان يدل الفرق بين العنوانين على الفرق بين الترجمتين .

بقي ان الترجمتين سميتا احد المؤلفين فيللو ، والمعقول ان يكون فيو ، لانه ، Filloux ــ اما وجود اللامين في اللفظ العربي فهو خطأ لا غبار عليه .

وكان المفروض بالمؤلفين ان ينصا في عنوان كتابهما على انه « النقد الادبي في فرنسا » ، لانه لا يخرج عن هذا الاطار .

(١١)

ترجم محمد بدر الدين خليل عن الفرنسية اعترافات جان جاك روسو كاملة جاءت في خمسة اجزاء من مطبوعات كتابي ، القاهرة د.ت.

ثم صدر بعد ذلك كتاب اعترافات جان جاك روسو ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦١ وقد ذكر المترجم في مقدمته انه ينقل هذا الكتاب عن الانكليزية في ترجمة منقحة .

وعجيب ان ينقل عارف بالفرنسية كتابا فرنسيا عن الانكليزية ، سبق له ان ترجمه كاملا عن لغته الاصلية !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما التنقيح فكان من الممكن — اذا رآه ضروريا — ان يقوم به هو في ضوء التنقيح الانكليزي ثم مباشر ترجمة النص عن اصله !! ولم هذه المباشرة الجديدة وقد سبق ان ترجم الاصل ، وما عليه الا ان يرجع الى ترجمته وينقحها في ضوء النص الانكليزي اذا لم يرد ان يحكم ذوقه وذوق القارىء العربي . لا اظن احدا قبلنا عمل هذا الذي عملناه ، فهل من سر لا ندركه ؟ لقد اطال المترجم في « تبرير » عمله دون ان يكون مقنعا .

(١٢)

فن السيرة الادبية — تأليف ليون ادل ، ترجمة صدقي خطاب ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي (مع فرانكلين) ١٩٧٣ .

١ — ص ٣٧ « فهم يعتبرون ان كاتب السيرة صنو لشارلوك هولمز » : فهم يعتبرون — والاحسن يعدون — كاتب السيرة صنوا ...

٢ — ص ٤٢ « قد لا تكون ... » ص ٦٣ « وقد لا تعدو ... » : قد ولا ، لا يجتمعان ...

٣ — ص ٧٥ « عندما يتحدثون عن النص الادبي يستبدلونه بالسيرة وبالتاريخ الادبي» : ... يستبدلون به .

٤ — ص ٨٣ « سان بيف Sainte-Beuve » : سنت — بيف .

٥ — ص ١١٤ « مؤلفات فرويد وونج » : ... يونج .

٦ — ص ١٧٥ « دعونا الآن نرجع البصر في الطريق التي سرناها » : لا نقول : سرنا الطريق وانما نقول سرنا في الطريق ... والطريق التي قطعناها ...

٧ — ص ٨٨ « اسم كتاب اليوت الكامل فائدة الشعور وفائدة النقد » : الصحيح ، فائدة الشعر — وهو من الخطأ المطبعي .

٨ — ص ٧٩ «قصيدة لميلتون رثا فيها صديقه ...» : رثى .

٩ — ص ٦٨ « ان الكاتب ... ليس مضطرا لان يلقي لنا ... » : ... ليس مضطرا الى ...

١٠ — ص ٨٨ « اننا نستطيع احيانا ان ننفذ الى هذه الاعماق وننعم النظر فيها » : نمعن النظر .

ملاحظة عابرة : ان المؤسسة الامريكية التي تشارك في النشر هي هي في مصر ولبنان ، ولكن المطبوعات المصرية تكتبها فرانكلين ، والمطبوعات اللبنانية تحذف الالف وتكتبها فرنكلين .

(١٣)

مهمة الناقد بقلم وليام هازلت ، ترجمة نظمي خليل ، القاهرة ، المؤسسة العامة للانباء والنشر والتوزيع والطباعة ، مختارات الاذاعة والتلفزيون ، سلسلة « كتب ثقافية » ، العدد ١٤٣ ، د.ت.

اول ما يفهم من المعلومات الصريحة على غلاف هذا الكتاب انه عنوان لكتاب من مؤلفات هازلت او انه يتضمن — في الاقل — مقالا او بحثا له بعنوان « مهمة الناقد » — ولا يهم اختلاف رسم اسم المؤلف الانكليزي بين الغلافين فهو مرة وليام ومرة وليم .

تفتح الكتاب وتقرأ على الصفحة الاولى : هدف هذا الكتاب ، فتعرف ان الكتاب يضم فصولا منها الذي الفه نظمي خليل ومنها الذي ترجمه عن الانكليزية لهازلت ولغيره ، ولا ترى في هذه المعلومات ما يدل على ان « مهمة الناقد » لهازلت بل ان الكلام يدل على ان « مهمة الناقد » لنظمي خليل نفسه وليست لهازلت .

يبدأ الفصل الاول من الكتاب بعنوان « مهمة الناقد » وتسير في قراءته فاذا هو كلام نظمي خليل مذيلا بقطعة مترجمة من مقال لأوسكار وايلد عن « الناقد كفنان » ، ولا رائحة في الفصل من هازلت .

والفصل الثاني والثالث والرابع والخامس لنظمي خليل نفسه .

ثم يأتي الفصل السادس فاذا به « الشعر » لوليم هازلت . انه لهازلت ولكنه عن « الشعر » وليس عن « مهمة الناقد » . يليه الفصل السابع « دفاع عن الشعر » لشلي . وينتهي الكتاب ص ١٠١ . وتسأل : ما دخل هازلت بمهمة الناقد ؟ وتجيب : لا شيء . وتسأل : لم جعلت مهمة الناقد في عنوان الكتاب منسوبة اليه ؟ وتجيب : لا ادري .

لقد كان جديرا بالمترجم ان يسيطر على فن التأليف ، وكان جديرا به كذلك ان يخبرنا انه ترجم مقالتي هازلت وشلي من زمن غير قريب . فقد ذكر الدكتور محمد يوسف نجم في الفصل الذي كتبه بعنوان « الفنون الادبية » من كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦١ ص ٣٦٢ « وقد اسهم الجامعيون في تطوير الحركة النقدية ... اذ ترجموا عددا من كتب النقد الاوروبي منها : مقالة شللي (شلي) « الدفاع عن الشعر » ترجمة نظمي خليل (القاهرة ١٩٣٣) ومقالة هازلت في « الشعر » ترجمة نظمي خليل (القاهرة ١٩٣٤) ... » .

وهكذا يبدو المسوغ للعتاب على الفوضى التي ظهر عليها الكتاب . فالمترجم جامعي ، يعرف الانكليزية وليس مبتدئا ، والكتاب صادر عن جهة رسمية تقصد الى التثقيف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخلاصة : ان « مهمة الناقد » ليست لهازلت وانما هي لنظمي خليل ...

(١٤)

من الكتب التي نشرت بعنوانين مختلفين كتاب لكوركي نشر مرة بعنوان حياتي واخرى بعنوان طفولتي .

لقد قررت « دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق » ان تصدر ــ في الخمسينات ــ « سلسلة عيون الادب العالمي » وان تدخل ضمن هذه السلسلة « المؤلفات الكاملة لمكسيم جوركي » وشرعت في التنفيذ . وكان مما اصدرته له كتاب بعنوان «حياتي ــ السفر الاول» ترجمة فؤاد ايوب وسهيل ايوب يكون المجلد السابع من المؤلفات الكاملة ، والثاني والثلاثين من سلسلة عيون الادب العالمي ، وقد جاء في (١٩) فصلا بـ (٥٢٤) صفحة . د.ت.

لم اطلع على السفر الثاني . ولعله لم يصدر .

الذي اعرفه ان لا يوجد بين مؤلفات مكسيم كوركي الكثيرة كتاب بعنوان « حياتي » ، لقد الف الرجل كتبا (قصصا) تناول فيها مراحل من حياته : الطفولة ، بين الناس ... جامعاتي . فهل كانت « دار اليقظة » تعتزم اصدار هذه القصص لهذه المراحل تحت عنوان عام هو : « حياتي » ؟ لو كانت ، لاشارت الى ذلك في مقدمة صغيرة او ملاحظة عابرة . ثم اننا نعلم انها نشرت « بين الناس » بترجمة ليليان ديراني ، فماذا سيتضمن السفر الثاني ؟

تقرأ في « حياتي » فتلاحظ ان مكسيم كوركي يتحدث عن طفولته منذ وفاة والده ... اذن ، فهو كتاب «الطفولة» بعنوان جديد لم يضعه له مؤلفه .

وتتذكر ان « الطفولة » مترجم الى العربية ... وها هوذا بعنوان « طفولتي » ترجمة سهيل ايوب المحامي ، بيروت دار القلم ... الطبعة الاولى ١٩٦٧ ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ، الطبعة الثالثة ــ وهي التي بين يديك ــ ١٩٦٩ . ولا بأس ، فسهيل ايوب هناك وهنا . ولعله رجع الى الاصل في عنوان الكتاب ، فترك عنوان « حياتي » الى « طفولتي » ، لعله ، ولكن شيئا من هذا لم يرد في مقدمة او سطر من ملاحظة عابرة .

ثم تقابل . ان « طفولتي » هو هو « حياتي ــ السفر الاول » مع ملاحظة بارزة هي انه ينتهي بانتهاء الفصل الثالث عشر (ص ٢٧٢ مقابل ص ٣٦٠ من حياتي ، علما ان حرف حياتي اكبر من حرف طفولتي وان سطور صفحتها اقل) ولا يثبت الفصول الستة الاخيرة . انه يبدأ بوفاة والده وينتهي بوفاة والدته .

ولم تكن « طفولتي » نسخا حرفيا عن الفصول الثلاثة عشر من « حياتي » ، وانما اجرت تغييرات طفيفة كأن تستعيض عن كلمة بمرادفها وان تحول اسم الفاعل الى فعل ...

تبدأ « حياتي » هكذا : « كان ابي مستلقيا على الارض تحت نافذة غرفة صغيرة عاتمة مزدحمة بالغبار ، يلوح لي طويلا بشكل يسترعي الانظار ويبعث على الدهشة ، مكتسيا البياض من قمة راسه حتى اخمص قدميه » .

وتبدأ « طفولتي » هكذا : « كان والدي يستلقي على الارض ... يبدو لي طويلا بشكل يلفت الانظار ... وقد اكتسى البياض ... » .

وينتهي الفصل الثالث عشر من « حياتي » هكذا : « بعد ايام قليلة من تشييع امي قال لي جدي :

ــ حسنا ... فقد آن لك ان تخرج الى ما بين الناس ... وهكذا خرجت الى ما بين الناس » .

وتنتهي « طفولتي » هكذا : « بعد ايام من وفاة والدتي ... وهكذا خرجت الى العالم » .

والحقيقة ان « الطفولة » تنتهي بانتهاء هذا الفصل الثالث عشر ، لان الفصل الرابع عشر من « حياتي » هو بدء للقصة الثانية التي عنوانها « بين الناس » .

(١٥)

اثر العرب في الحضارة الاوروبية ــ بقلم عباس محمود العقاد . القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٦ .

ص ٦٧ ــ ٦٨ « وقد كان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها الى اللغات الاوروبية اول القرن الثاني عشر اثر ... » .

الصحيح : اول القرن الثامن عشر ، ومعلوم ان اول ترجمة لها كانت الى الفرنسية ، عملها كالان Galland سنة ١٧٠٤ ... ــ ولا بد ان يعزى الخطأ في كتاب العقاد الى المطبعة ، وخطورة وجوده هنا كونه منسوبا الى العقاد وصادرا عن دار محترمة ولم يكن الخطأ المطبعي مألوفا لديها في زمن الطبع .

بغداد ــ كلية الآداب **علي جواد الطاهر**

الملاح التائه

جئتك سائلا
شاطئا لملاح تاه
وأبلاه الرحيل
باحثا في ثنايا الرياح
عن مكانٍ للامان
يقيه بالحنان
آفات الزمان

*

سندباد أنا
افكاري بحار
ومحيطات مشاعري
تسرى بي
اليـــك
مع رياح الهوى
عبر طيات القفار

*

طفت مع الزبد
فوق كل موج
ضاربا شواطىء الصخور
صخور الفراق
عليها سفني كلها تحطمت
اشرعتها تمزقت
كأنها الاكفان
لآمال عراض

*

اين انت
في خضم العواصف الهوجاء
رحمـــاك
اقبلـــي
هـــدوءا
واحملـــي
ملاحك التائه
قوديه الى شاطىء
يغسل الهموم
يطهر الآلام
عنـــدك
راكعا خاشعا
في رحبك الحرام

الدكتور سهيل بديع بشروئي
الجامعة الامريكية في بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السهل الممتنع في شعر العقاد

بقلم الدكتور محمود الشهابي

* * *

في كتب البلاغة العربية كثيرا ما يتناول تعبير « السهل الممتنع » ويقصد به : ان النص الادبي في وضوح معناه ، وسلاسة الفاظه ، يبدو سهلا بسيطا يغري القارىء على محاكاته ، فاذا حاول ذلك تعذر عليه .

ولقد اشتهر « العقاد » بآرائه النقدية الصائبة ، وبحوثه العميقة في شتى الموضوعات ، مما جعل جمهور المثقفين لا يلتفتون الى شاعريته ، والذين يعترفون به شاعرا يرون في شعره تعقيدا وصعوبة ، ويعانون من محاولتهم فهمه .

واذا جاز ذلك في بعض قصائد العقاد ، فان في شعره الكثير من السلاسة والوضوح ، ومعظم هذا الكثير يدخل ضمن نطاق « السهل الممتنع » . والامثلة على ذلك وفيرة ، منها ما حكاه شعرا عن طفلة كان يداعبها :

ما كان أملح طفلة ... من غير شيء تخجل
ضاحكتها فتمايلت ... وشعورها تتهدل
ورجوت منها قبلة ... فأبت كمن يتدلل
فرفعت مرآة لها ... فتطلعت تتأمل
قلت انظري في وجهها ... أفانت أم هي اجمل
قالت وفيها غضبة ... أنا بالملاحة أمثل
ومضت تقول الى متى ... تنسى الجميل وتجهل
عطفت علي وكل محبوب ... يغار فيسهل

واذا كان الشعر في مثل هذه الامور من شأنه ان يكون ذا تعبيرات غير معقدة حتى تنسجم مع بساطة التجربة ، فسوف نجد السهولة ايضا لدى « العقاد » في الشعر الذي يتضمن نظرة التأمل العميق . من هذا القبيل : فلسفته للعاطفة بين الجنسين ، حيث الحياة لا تكتمل الا باشباعها ، فالرجل مكمل للمراة ، والمراة متممة للرجل ، والسعادة لا تتجزأ ، فهي اما ان تكون او لا تكون .

يا سائلي اين السعادة ... أين صفو العيش أين
ان السعادة لا تراها ... في الحياة بمقلتين
خلقت لاربع أعين ... تخلو بها ولمهجتين
لك مقلتان ومهجة ... أترى السعادة شطرتين

ومن تجارب « العقاد » العاطفية ، تلك التجربة التي كان يتوهم خلالها ان الكون كله بما فيه غير قادر على منحه السلوان ، ثم تبدل شعوره نحو محبوبته ، فصار يتأمل ما آل اليه ، ويعجب مما كان فيه ، ثم صاغ ذلك في بيتين فقط من الشعر يموج فيهما الصدق والوضوح :

لم ادر كيف يطيب لي نسيانها ... وخيالها في ناظري معلق
حتى نسيت فعدت اذكر انها ... كانت هواي فلا اكاد اصدق

ومن التجارب العاطفية ما تكون متشابكة النوازع ، معقدة الاهواء ، حيث تضطرم نفس الانسان في وقت واحد بأحاسيس مبهمة غامضة ، ومشاعر متضادة متناقضة ، وبالرغم من هذا يأتي تعبير « العقاد » عنها يفيض رقة وسلاسة : من ذلك قصيدته « هنت والله » التي يقول فيها :

هونت خطبك جدا ... وخلته لن يهونا
حمدا لكيدك حمدا ... حمدا يفيض العيونا
بدلت بالنار أمنا ... وبالحياة سكونا
اني أمنت الفتونا ... وانت ماذا أمنت
قد هنت والله هنت

كم دار في الكون رأسي ... حيران يطوي بقاعه
شكى يسائل حدسي ... أين اختفت منذ ساعة
سفينتي اليوم ترسي ... والركب يطوي شراعه
غيبي بغير شفاعة ... ما انت ويحك انت
قد هنت والله هنت

يا فرحة القلب لما ... رخصت بعد غلاء
خسري بذلك تما ... وتم منك نجائي
لقد حسبتك غنما ... فطال فيك شقائي
وغم قلبي بدائي ... لكن رحمت فخنت
وهنت والله هنت

ولا يقف شعر « العقاد » السهل الممتنع عند التجارب العاطفية فقط ، بل نجده في مختلف الميادين ، ومن قصائده المشهورة في هذا الصدد ما قاله في رثاء الاديبة « مي » :

أين في المحفل مي يا صحاب ... عودتنا ههنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب ... مستجيب حين يدعو مستجاب
سائلوا النخبة من رهط الندى ... أين « مي » هل علمتم أين « مي »
الحديث الحلو واللحن الشجي ... أين ولى كوكباه أين غاب

واذا كنا نجد معظم السهل الممتنع في الشعر العربي يدور حول الموضوعات الوجدانية ، فان « العقاد » قد طرق بشعره هذا اغراضا متعددة ، بل انه خاض غمار معان من العسير التعبير عنها نثرا ، فاذا به يصوغها قريضا يفيض رقة وعذوبة ، وذلك كالتحليلات النفسية ، ومن الامثلة ما قاله ابان حكم جائر في مصر ، وكانت القضية التي تشغل بال المفكرين وادهشتهم :ـ كيف اندمج فريق من اصحاب الراي مع هذا الحاكم وصاروا يدافعون عن مساوئه ؟ . ولقد سئل « العقاد » في جلسة خاصة عن تحليل نفسية هؤلاء فأجاب شعرا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المرآة

مشطت شعرها ، ففـاح العبير ... يـا لطيب بكـل عطـر يمور
ورأيت الربيـع يبسم فجـرا ... عـن زهور أنفاسهن العطـور
وعلى الغصن أنطق الوجد طيرا ... مـا احتوته مع الاليف وكور
فـاذا بالفـؤاد يضرم جمـرا ... هو جمر قـد أضرمته الثغور
والنسيم الشريد يخفـق قلبـا ... لمحـب بعـد التنائـي يـزور
ذرف الورد دمعة الطـل صبا ... لجميل يبكيـه دمـع غزيـر
صفحة النور صورت لي حبيبي ... كيف يبدو للحسن هذا النظير
قلت : لكن في وصفه لم تصيبي ... أي بـدر يضيء هـذا الغدير
ذكرتني ممـن أحـب نصيبي ... لي طيف تبديه في الحلم حور
عذبتني بموجـة مـن وجيبي ... بعد يأسي قـد خلتها لا تثور
بلبل الروض كنته حين يشكو ... وشكاتي لهـا الجواب الزئـير
شمعة العشق كنتها حين تبكي ... أخمدوها . وقيـل صبحا تنير
درة الشعر صفتها من دموعي ... فمحاها بـين العباب هديـر
منية القلب صنتها من ضلوعي ... فتمنـت أن يحتويني الحفـير
أوجع الوهم هذه النفس شكا ... فمنـى الوصل للغياب حضور
وسلكت الطريق ينبـت شوكا ... ولغيري الطريق هـذا الحرير
أيـن مرآة خافقي ، لهف نفسي ... فعليها مـن الهمـوم صخور
حطمت ثـم حطمت مثل قلبي ... وطوتها مـن التـراب ستور
كان للصبح ومضها في ابتسام ... ويرى الليل حولها وهو نـور
كـان لـلـدر ماؤها في قـوام ... يـا لدر مـا ان حوته البحور
أتراهـا فجرا لليـل شجوني ... ومهيض الجناح كيـف يطـير
أضيـاء بهـا ضيـاء عيوني ... فلتنله ، أدري بانـي الضرير
أسمـاء أسمعتها مـن لحوني ... لحباب ..... لحنـي الخرير
تلـك ذكرى ، وللغرام كتاب ... وهي فيه بعد السطور سطور
ان هـذا مـن الأمور عجاب ... سوف تبقى ، وسوف تفنى الدهور

القاهرة — حسين مجيب المصري

كـم ذليل عـن نفسه يدفـع الـذل بحـب لمـن سقاه الهوانا
يخدع النفس ان تسلم بالقهر فيجريـه في الضمـير حنانـا

والقضايا الفلسفية عـادة يصعب تطويعهـا للسهولـة الشعرية ، بينما ذلك بالنسبة « للعقاد » امر هين يسير .

يقف متأملا سخط البشر على الاقدار دائما ، وعدم الرضا في جميع الاحوال فيقول :

صغـير يطلـب الكبـرا وشيـخ ود لـو صغرا
وخـال يشتهـي عمـلا وذو عمـل بـه ضجرا
ورب المـال في تعـب وفي تعـب مـن افتقـرا
فهـل حاروا على الاقدار أو هـم حـيروا القدرا
شكـاة مـا لهـا حكـم سوى الخصمين ان حضرا

تلك لفتة عابرة الى شعر « العقاد » وهذا الذي ذكرناه قليل من كثير نجده لديه يزخر به تراثه الشعري ، ولعل الذين يصفون شعره بالتعقيد والصعوبة يعيدون النظرة اليه ، ليروا تراثا هائلا من السهل الممتنع .

لندن — محمود الشهابي



حسين علي محمد

الاسود والابيض

في شعر حسين علي محمد

بقلم مصطفى النجار

* * *

حسين علي محمد شاعر من القطر المصري الشقيق ، يمتاز بنشاطه الادبي المتعدد ، فمثلما يكتب الشعر يكتب الدراسة الادبية والنقدية ، وقد فاز بالجائزة الاولى في المسابقة التي اجرتها دار البحوث العلمية في الكويت عام ١٩٧٦ عن بحثه القيم « نظرة ايمائية للصراع الدرامي والشخصية في الادب المسرحي » ، وله نشاط في المسرح الشعري فقد اعد مسرحية للطبع بعنوان « الرجل الذي قال » ، كما انه يسهم كمحرر بارز في مجلة « صوت الشرق » القاهرية .

وفي هذا المقال عنه سأكتفي بجانب واحد ، اذ ساعرض على القارىء مجموعة من قصائده التي طالعتها عدة مرات ، وفي كل مرة اشعر بمتعة جمالية ، فالشعر من النوع البسيط العميق ، والغنائي الشفاف رغم ما يحمله من معاناة جماعية هي هموم كل انسان يعيش الواقع اليومي .

وان الحديث المجتزأ عن شاعر هو غبن له ، فالصورة الكاملة تعطي ابعادا كاملة ، وبخاصة عن شاعر شاب لم تكتمل بعد عنده الوان تلك الصورة . ولعل مجموعة شعرية كاملة لحسين علي محمد تساعدنا يوما في احاطة تجربته على مدى سنوات العطاء .

والقصائد التي بين يدي وليدة الزمن الاخير ما بين ١٩٧٥ — ١٩٧٦ وهي منشورة في مجلات مصرية (الكاتب — الزهور) وفي مجلات سورية (الثقافة — الفداء) .

ان قصائد حسين علي محمد وليدة الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر اذ ان بعضها يمتاز بالبساطة والوضوح والآخر يمتاز بالغموض . والنفس كالبحر بين مد الحزن وجزر الافراح ! وهذا عائد الى الصدق عند حسين .

فمضامين قصائده تأملية واقعية ، يحاول خلق معادل موضوعي لمشاعره فيبني من خياله الثر احلاما تتجاوز هذا الواقع ، ورغم ذلك فان شعره لا يخلو من نبرات اللوعة والاسى وحتى الخيبة والخوف من الغد . وقصيدته (نهاية الرحلة) تجسد المرارة والفراغ النفسي ، يقول فيها :

حينما رحلت في عيونك البحيرة
راكبا بساط الموجة المنطفئة
ماسكا زمام الماء والاعشاب والطحالب الملونة
كانت عناكب الخريف في انتظاري
تراقب انكسار الضوء في مدامع النهار !

هي تصوير دقيق لحالة الاحباط النفسي . فالعيون بحيرة . والموجة منطفئة . والطحالب ملونة ، والخريف ، والانكسار .

وتزداد الموجة حدة حينما يقول في القسم الثاني من القصيدة :

ومركبي في الوحل يا صديق
اخاف من عوائق الطريق
اخاف من غدي المجهول

وفي قصيدة (السقوط في الليل) وللعنوان دلالة نفسية مركبة تعمق من تلك الحالة النفسية التي أتينا على ذكرها .. انه يخاطبها ، تلك التي ينتظرها فتطلع عليه في الصباح فيقول :

والعاشق الذي القته في الطريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عواصف الحنين والاشواق

يظل مغمض العينين

حالما بقطرة من مائك اللجين

هي بين يديه ويحلم بقطرة من ماء ! وعندما يرى اميرته غمامة ساعة الظهيرة ، يشعر بالطمأنينة والامان هنيهات ، فلا يصدق هذا الانسجام الشاعري فيقول :

ترى كم يستمر ذلك الامان

في احضانك المظلة ؟

وصح ما توقعه ، فالنهاية واحدة مهما اخذت اشكالا وفي اي الاوقات :

اراك في المساء تخرجين من يدي

وتفلتين من اصابعي

يا فلتي البيضاء اين تذهبين ؟

وتحتدم المأساة حين يراها :

اراك تسقطين

فراشة محروقة في الليل

اراك تسقطين
والليل يستمر

ولعل القارىء يتساءل : ومن السبب ؟ فيأتي الجواب من الشاعر :

والخاطفون

انوارهم مثيرة

اموالهم كثيرة

عيونهم ضريرة

لا يبصرون العاشق المسكين في الظلام

بهذه اللفتة الذكية استطاع ان يعمق من مسار القصيدة فكريا وان يخلق عنصرا دراميا يثير فينا الحركة والانفعال .

الشاعر يسأل دائما ، ولا يرضى السكينة او هي التي تفر منه . ان في اعماقه الحركة ، والمشاعر المنطلقة ، لذا عندما كتب قصيدته « تأملات » التي تتألف من ثلاثة مقاطع اخذ الاول شكل القصة المكثفة والمرمزة قد شابها بعض التشويش في مضمونها . مثلا : كيف المارد يصبح قزما ؟ ثم يصبح القزم فارسا ثم يموت ؟ الحقيقة لم استطع الولوج في تكوين هذا المقطع ، وذلك بخلاف المقطع الثالث الجميل المنساب شكلا ومضمونا :

افتح صدري للآت

وهي كلمة تلخص افكارا وحالات . فهو يسمع ويشهد ويبحث — وهذا ديدن كل المفكرين في العالم ، ثم انه لا ييأس كما لمحنا ذلك في نبرات الخيبة الحزينة ، بل يقول :

انتظر الشمس تعود

انتظر عصافير الفجر ...

توشوش شجر الصبر بأحلى الهمسات

وحبذا لو توقف هنا ، ولم يشرح هذا الموقف ! . اذن ماذا تضيف على القصيدة تلك الكلمات :

انتظر الغد

ما احلى شمس الغد

تقتل ميكروب الخوف

وميكروب الحسرات !

والشاعر حسين يجرب تشكيلات مختلفة لقصيدة « الشعر الحديث » . منها ما يحتفظ بالقوافي وتنويعها مما يضفي جوا موسيقيا محببا يقترب بها من معمار الشعر العربي وما يسميه بعض المتطرفين الجدد (بالجديد الكلاسيكي) . ومنها ما يأخذ شكل (الرباعيات) ولهذا النوع نكهة تنتسب الى الشعر الفارسي والعربي شكلا .

وامامي الآن قصيدة (لماذا تظل العصافير تشدو ؟) تتألف من خمسة مقاطع . كل مقطع : طريقة كتابته ككتابة النثر وينتهي بروي الميم . مع ان المقاطع لا تأبه غالبا بالقوافي من داخلها ، وهذه كتابة مارسها بعض الشعراء عندنا كصلاح عبد الصبور في قصيدة « توافقات » التي نشرت في مجلة « الشعر » القاهرية عام ١٩٧٢ . ومارسها غيره تقليدا لبعض الشعراء الاجانب امثال (سان جون برس) ويمكن ان انسبها الى العربية اذا ما قورنت بالتشكيل الكتابي الذي قام به الشاعر ابو العلاء المعري في (الفصول والغايات) .

فالتشكيل نفس التشكيل سوى ان كلامه من غير ايقاع عروضي . والفت نظر الباحثين والدارسين لهذه النقطة بالذات مما يفتح النوافذ المضيئة على كنوز تراثنا الخالد وارتباطه بالعصر الراهن .

وشاعرنا حسين قام يجرب ووراء تجريبه ذخيرة من الموهبة والمعاناة وهذا ما يميز تجريب الاصلاء عن الدخلاء واصحاب الالعاب الشكلية والالفاظ الخلبية الذين ابتلي بهم شعرنا ، وكأنما شاعرنا حسين عناهم حين قال :

قد كرهت العشق ، والشعر واني

راحل يا نفس للارض البعيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جراح لبنان

فيم الندامة ، يا قدسية الوطن ، وبعض بوحك من شجوي ومن شجني
قد نكتم الدمع ، قد نبكي بلا سبب قد نخنق الآه ، قد نشكو من الزمن
نتيه في الغربة الدكناء ، يسألني من يسألونك عن شعبي وعن وطني
مسرى النبيين ما هان الشموخ به وموئل الارز لم يركع ولم يهن
كرامة الارض لا تعنو بلا ثمن ولا تباح دما شعب ، بلا ثمن
قدسية الحسن ، ما هذا أوان هوى كيما يفرد قمري على غصن
وقيل : من انت ؟ من أنماك رائعة حتى مررت على الاهداب كالوسن
أصفيت حبك رقراقا بلا منن وأنت تدرين ما حب بلا منن
مدائن الارز أدمتني مواجدها لما حننت الى قدسية المدن
قد كنت المثم في ذراتها وثنا فهاج نفسي أن داسوا على الوثن
هل لي اليك ، على الاشواق ، معذرة الم يذبني لهيب الروح والبدن ؟
جراح لبنان أدمت كل عاطفة فليس ينساق لي قلب الى الفتن
لا وقت للحب في أرض يموت بها شعب يهدهد في أرجوحة المحن

فوزي عطوي

لن تراني عاشقا امضي اغني قد كرهنا العيش يوما ونهانا

فالاغاني كلها اضحت بليدة اننا فيها ولدنا في الخنادق

او في قوله :

لا تقل نثرا ولا شعرا كهذا ولا اجد ما يبعث على استمرارية التغريد على افنان هذا العمر بكل جسارة الا ترديد المقطع الاول من قصيدة (الظل والموت) للشاعر حسين علي محمد المنشورة في مجلة (الكاتب) المصرية (عدد نيسان ١٩٧٦) ما يعطي للقارىء مفتاحا من مفاتيح شخصية هذا الشاعر ، وما يدل على اللون الابيض في اللوحة الرمادية :

لا تقل شيئا ففي الصمت النجاة

قد قضينا العمر تغريدا . فماذا

قد جنينا غير تنكيل الطغاة ؟

حين تلاقينا

واستلقى ظلك في وادي الصمت

كانت اغنية الحب السكرى النشوانة

تضحك في عينينا

تزرع في صحراء النفس

ورود الامل وفل الاحلام الريانة

كانت تقتل في داخلنا الموت

وفي قصيدة (لماذا تظل العصافير تشدو ؟) روح تساؤلية قلقة ، وشاهدة ومنتظرة ، ويمكن ان نفرد لها مقالة خاصة لدراستها وتحليلها ولعلي افعل ذلك تحت عنوان (شاعر وقصيدة) ان شاء الله .

اما رباعياته فهو يحاول فيها ان يفلسف الوجود من حوله فينقل شرائح مختزلة ناقدة للمجتمع وللحياة ، ومصورة لحيثيات الواقع واسرار الطبيعة الانسانية .

واقتصر على ذكر بعضها ، فان بعضها يغني :

هذه الارض سعير في دمانا

ولظاها في حنايانا حرائق

حلب

مصطفى النجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



علي المصري

الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية

بقلم علي المصري

* * *

ها هي قوافل الحداء في المملكة العربية السعودية ، ارض النبوة والبلاغة والامجاد ، التي سارت على وقعها يوما ، كتائب فتية ، ترفع رايات الحق والنور والهداية ، وتدفع حومة الباطل وتمزق سجف الظلام وتهتك ستر الكفر والوثنية ، تعود اليوم لترفع صوت الحق عاليا ، والنبرة العربية الاصيلة في ترانيم شعرية وتصانيف ادبية ، مسربلة بهالة من القدسية والجلال والمهابة والروعة ، لتجمع كل مآثر التاريخ في نبضة ندية تنثرها ادبا رفيعا وشعرا عبقريا خالدا على امتداد الصحاري والروابي والسهول والدساكر، ونغما شجيا يذر على الكون جدائل الخير والياسمين ، وتصويرا سحريا معجزا يحيل الدنيا العربية الى واحات جميلة نستظل ادواحها ، ومعاني سرمدية ينهل منها الفكر فلا يمل ، ويعتل منها القلب ولا يشبع ، وتعب منها الروح فلا ترتوي . ظماً دروب العطاء كلها على رمال المملكة العربية السعودية العزيزة .

رمال .. اجل رمال جزيرة العرب ، رمال الحجاز ونجد والهفوف وتهامة والعسير ، رمال كلمة ليست كباقي الكلمات .. ننطقها فتثير في خيالنا كل نواميس النبوة ، واحاسيس المجد والفار ، ومشاعر الايمان والاعتزاز والفخار ، وتنعقد فوق رؤوسنا ديم من مثار النقع في بدر واحد والخندق اكاليل مجد وانتصار . وتتساحب على شريط المخيلة المستثارة ، براعة الصور الشعرية للسلف الصالح مكللة بالعطر مزينة بالازهار .

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي في الورق القشيب
وخبر بالذي لا عيب فيه ... بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر ... لنا في المشركين من النصيب
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب في القليب
الم تجدوا حديثي كان حقا ... وأمر الله ياخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا : ... صدقت وكنت ذا رأي مصيب

وهكذا تستحيل كل حبة رمل الى نقطة عنبر تمور بالعطر والعطاء ، وتكتسي كل ذرة تراب بغلالة شوق تدفع بنا عبر مسارب الحب والحنين الى مرابع فاطم ، ومية ، وعزة ، وريا ، والرباب . لنتجول بين مضارب كندة في الدراج فالمتثلم ، او في مرابع ذبيان في العلياء فالسند ، او في منازل بني عامر مع لبيد بن ربيعة العامري في الغول والرجام بمنى ، او مع بشامة بن الغدير في خيام بني غطفان بالجزع والدوم بين بحار فالشرع ، او في مناهل بني تغلب مع عميد بن جعل في ديار الحي بالبردان .

شريط عبق ندي من الذكريات الباهرة ، تعيده اليوم الى مسامعنا ترانيم حداء قافلة الادباء في المملكة العربية السعودية . هذه القافلة الفتية التي استطاعت ان تغرس جذورها على ارضية ادبية فنية ثابتة ، لتعيد لارض العرب في جزيرة العرب مجدها الاثيل وعزها السامق ، فتعيد للشعر العربي صباه وجزالته واصالته ، وللبلاغة العربية اسها ورونقها ورواءها ، في ظل ادارة حكومية عربية سعودية تضطلع بأسباب النهضة الشاملة في مختلف الميادين ومرافق الحياة العامة ، وتدفع بقوة واصرار عجلة النهضة الادبية الى الامام ، جنبا الى جنب مع التقدم العلمي والاقتصادي والسياسي .

فالمملكة العربية السعودية في وثبتها الجبارة على مختلف الاصعدة ، ظاهرة متميزة فريدة تستحق التأمل والدراسة . ونخص في مقالنا هذا دراسة الصعيد الادبي والفكري ، الذي اولته الادارة العربية السعودية كل عناية ورعاية واهتمام . فأخذت بأيدي الادباء من كتاب وشعراء وصحفيين ، وفتحت امامهم سبل الدرس والتحصيل والتفرغ للتصنيف والتأليف ، وشيدت الكليات والجامعات ، وبنت المدارس والمعاهد في مختلف الاصقاع والجهات ، واقامت دور العلم والثقافة والمكتبات ، واسست النوادي الادبية والجمعيات ، وافتتحت دورا للصحافة اليومية والمجلات الدورية ، واستحضرت كل وسائل النشر والطباعة وصناعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب . واقامت المخابر والتجارب كأحدث ما هو متوفر في العالم ، وعممت شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية والاذاعة والتلفزة ومحطات الاقمار الاصطناعية ، وارسلت البعوث ، واستقدمت الخبرات العالية في كل ميدان . فتمخض ذلك عن ظهور جيل بل اجيال من اسماء لاعلام كبيرة لامعة في دنيا الفكر ، والادب ، والشعر ، والفن ، والاقتصاد ، والسياسة ، والعلم ، وكل المجالات . راحت تحتل مكانها اللائق بين امثالها في الاقطار العربية الاخرى ، والتي وان سبقتها فترة من الزمن الا انها تغذ السير لراب الصدع وتلافي مـــا فات . وبتضافر الجهـــود الفردية والحكومية ، يحتل الادب العربي السعودي اليوم مكانة تتعزز يوما بعد يوم .

واذا اردنا ان نتحدث عن بدايات هذه الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية بدقة وموضوعية ، وهذا ما نرمي اليه ، فلا مندوحة لنا من الحديث بادىء ذي بدء عن البيئة والمناخ الفكري والادبي الذي ساعد على نهوض هذه الحركة الادبية وانتصابها على قدميها ، مرحلة مرحلة ، ثم نتحدث عن التعليم ومراحله واطواره ، ثم عن الادب والادباء ، والاشكال الادبية ، راجين ان نوفي الموضوع حقه مهما كلفنا من بحث مستمر وعمل دؤوب ، متبعين في البحث المنهج التالي :

١ ــ نشأة وسائل الاعلام وتطورها :
الصحافة ، الاذاعة ، التلفزة .

٢ ــ وسائل التعليم ومراحلها :
المدارس ، المعاهد ، الكليات ، الجامعات .

٣ ــ المكتبات والنوادي الادبية .

٤ ــ الطباعة وصناعة الكتاب .

٥ ــ الفنون الادبية التقليدية :
ــ الشعر الديني ــ فن الغزل ــ فن المديح ــ فن الرثاء ــ الفنون الاخرى .

٦ ــ الفنون والاشكال الادبية المستحدثة :
فن المقالة ــ فن القصة .

٧ ــ حركة التجديد والانبعاث في الادب السعودي .

مراعين في كل ذلك موضوع فن المقالة وظروف المجلة الفنية ومصلحة القارىء العزيز ، في اتمام موضوع متكامل في المقال الواحد ما امكن ذلك .

نشأة وسائل الاعلام وتطورها :

الصحافة : ان التأريخ للنهضة الادبية الصحفية في المملكة العربية السعودية قبل توحيد البلاد على يد العاهل السعودي الكبير عبد العزيز آل سعود ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م . يكتنفه الكثير من الغموض لاسباب عديدة اهمها :

١ ــ ضياع معظم الصحف والمجلات التي صدرت قبل هذا التوحيد ، تحت عجلات التاريخ وغبار اسفاره المتراكمة على توالي السنين .

٢ ــ ان ندرة اهتمام الناس بجمع هذا النوع من الادب في تلك الحقب ، ساعد على ضياع الكثير الكثير منها ، وتلف المتبقي تحت غبار النسيان والاهمال .

٣ ــ قلة المؤرخين لهذا الفن ان لم نقل ندرتهم . اما من ارخوا له فقد جاءوا متأخرين لذا فان ما جاء في نقولاتهم لا يفي بالغرض ، نذكر منهم الاساتذة محمد حسين نصيف ، ومحمد سعيد العامودي ، وعبد القدوس الانصاري . وكل ما جاء بعد ذلك من تأريخ لهذه الحركة الصحفية ، كان معتمدا على ما ترك هؤلاء .

٤ ــ لان اي بحث لموضوع الصحافة في الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد السعوديين يعتبر ناقصا ، لعدم اشتماله على كل ما نشر في اصقاع اراضي الجزيرة العربية الشاسعة بحدودها الحالية المترامية الاطراف والتي تقدر مساحتها بمليونين واربعمائة الف كيلومتر مربع .

٥ ــ ونقطة مهمة اخيرة هـــي اضطراب الحيـــاة السياسية والاقتصادية والادبية والفكرية وعدم الاستقرار قبل الحكم السعودي ، ادى الى ضياع ما صدر من صحف ، وعدم امكانية استمرار صدور ما قام منها .

واذا اردنا ذكر بعض الشواهد عن نماذج من هذه الصحافة في مطلع هذا القرن لا نجد ادل على ذلك مـــن صحيفة « القبلة » الحجازية في العهد الهاشمي .

امـــا الصحافة في العهد السعودي .. او عهـــد الاستقرار السياسي والاقتصادي ، فيمكن تقسيمه تسهيلا للدراسة الى عهدين اثنين :

عهد صحافة الافراد .. حيث كان امتياز الصحيفة يعطى لفرد واحد او اكثر ، وقد استمر هذا العهد قرابة اربعين عاما (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م الى عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) وسميت هذه الفترة من حياة الصحافة بالصحافة الفردية .

وقد صدر في هذه الحقبة من الزمن ثلاث وثلاثون صحيفة ومجلة في ارجاء المملكة أرخ لها بكل دقة وامانة وتفصيل على غرار تأريخ الدول المتقدمة . ونذكر منها على سبيل العد لا الحصر :

ــ صحيفة ام القرى .. التي ظهرت لاول مرة بتاريخ ١٣٤٣/٤/١٥ هـ الموافق ١٩٢٤/٢/١٢ م بمكة المكرمة بدلا عن صحيفة القبلة التي توقفت عن الصدور . واتصفت هذه الصحيفة بأنها الجريدة الرسمية للدولة . وتعاقب على رئاسة تحريرها اعلام الفكر والادب في المملكة ، وما زالت تصدر حتى اليوم ، وكانت نبعا فياضا وموردا ثرا للفكر والادب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ صوت الحجاز .. التي صدرت بجدة سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ، تعاقب على تحريرها كثيرون من اعلام الادب في المملكة حتى توقفت عن الصدور في زمن الحرب العالمية الثانية ثم عادت بعدها للصدور ولكن لتدمج بجريدة اخرى بعد ان بدلت اسمها ، وصارتا تصدران باسم « البلاد » حيث اصبحت صحيفة يومية ، وقد اهتمت بالمقالات الادبية والاجتماعية .

ـ المدينة المنورة .. وهي اقدم صحيفة تصدر في هذه المدينة الكريمة ، وسميت باسمها ، وقد بدأت تصدر اسبوعية بتاريخ ١٣٥٦/١/٢٦ هـ الموافق ١٩٣٧/٣/١٠ م. ثم نصف اسبوعية ثم توقفت زمن الحرب الكونية الثانية عن الصدور . ثم عادت بعدها صحيفة يومية . وقد اهتمت بالاخبار اكثر من اهتمامها بالمقالات الاخرى والبحوث .

ـ مجلة الرياض .. وهي اول مجلة شهرية مصورة تصدر في البلاد ، ثم تحولت الى اسبوعية وقد حفلت بالصور والمواضيع الكثيرة المصورة .

الا ان تجربة الصحافة الفردية اخفقت ، ومنيت هذه التجربة بنكسة مؤلمة مريرة ، اذ اثرى بعض الافراد منها على حساب المضمون الفكري والادبي ، مما ادى الى انحدار المستوى الادبي والفكري لهذه الصحف ان لم نقل انحطاطه ، وضاع المتحذلقون من مدعي الادب والمعرفة وضيعوا الناس معهم في متاهات فكرية وجدل عقيم حول فتحة او ضمة او مسألة خلاف لغوية او ما شابه ذلك من منزلقات كانت وخيمة العاقبة . يضاف الى ذلك ضخامة هذا العدد من الصحف الذي لا يتناسب وعدد القراء في المملكة . هذه العوامل كلها متضافرة ، ادت الى التجني على الادب والهبوط بمستواه الفني ، كما مهدت السبيل الى الانتقال للعهد التالي من الصحافة وهو عهد المؤسسات الصحفية .

عهد المؤسسات الصحفية .. بعد الكارثة الادبية التي ادى اليها عهد الصحافة الفردي كان لا بد للادارة السعودية من اتخاذ بعض الاجراءات لتلافي النقص وسد الثغرة ، واصدار بعض التشريعات الناظمة لذلك ، حيث قرر مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٣/١١/٨ م بموجب القرار رقم /٤٨٢/ الغاء امتياز كافة الصحف الموجودة في المملكة ، ومنحه لشركات او مؤسسات اهلية خاصة مؤهلة للنهوض بهذا المرفق الهام من مرافق الحياة الفكرية والادبية .

وقد اوضحت الجهات الرسمية الاسباب التي حدت بالحكومة السعودية الى اتخاذ هذا القرار بأنها « ارادت ان تكون صحافتها رسالة ، لا حرفة ، تسمو على المادة وتسعى للتهذيب والاصلاح ، وتوجيه الرأي العام السعودي توجيها مثاليا ، تمد وجدانه ، وتخاطب ذهنه ، وتخدم المجموع ولا تنزلق الى ـ عبادة الشخصية ـ وخدمة ـ المصالح الفردية ـ اللتين ينبذهما الدين الاسلامي ، وان انفراد شخص واحد او شخصين بالحصول على امتياز الجريدة وتحريرها ، دون الاستعانة بعدد من المواطنين من ذوي التجارب والقدرة على الادارة والتوجيه ، امر لا يخلو من المساوىء ، كما انه لا يتيح للصحيفة القيام بمسؤوليتها قياما كاملا . لذلك رأت الدولة ان تعزز صحافتها وترفع مستواها ، فقررت ان تعهد بامتياز الصحف والمجلات الى مجموعة من المواطنين المؤهلين لمثل هذه الرسالة ، ويكون لكل مجموعة وجود منظم ، يأخذ شكل المؤسسة الاهلية ، او الشركة ، دون ان يكون للدولة ارتباط بها ، الا بما تمليه المصلحة العامة وفي حدود ما يقضي به النظام » .

ثم صدر المرسوم الملكي بنظام المؤسسات الصحفية الاهلية في الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٦٤/٢/٤ م الذي سمح بقيام ثمان مؤسسات صحفية والسماح بالاستمرار لخمس صحف سابقة ، وترخيص لخمس اخرى بالصدور .

وهكذا وبعد خمسة عشر عاما نستطيع ان نحكم على هذه الصحف بارتفاعها الى المستوى الفني الادبي الرفيع ، بعيدا عن مسايرة ممول او وجيه او الخضوع لنزوة شخصية او ما يتعارض مع قيم المجتمع الجديد والتمسك بأهداب الاخلاق التي تمليها مبادىء الدين الاسلامي الحنيف . كما ان رأس مال الصحافة الجديدة مكنها من دخول مجال العلم والتقنية المتقدمة في عالم الصحافة والنشر ، واهلها لان تنشىء لها فروعا ومراسلين في كثير من انحاء العالم مزودين بأعلى درجات الخبرة الفنية والعلمية والادبية وفي شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية والرياضية وغيرها ، يضاف الى ذلك جودة الورق ورقي الطباعة وروعة الاخراج ، فاستقطبت ارباب القلم من اصقاع العالم العربي كله ، كما ترجمت لاساطين العلم والبيان في هذا العالم الفسيح . ولا ادل على ذلك من دار مجلة الفيصل الغراء للثقافة التي لا توازيها دار اخرى في الوطن العربي ان لم نقل في العالم كله ، وهذا مثل للشاهد . ومثلها دور كثيرة للنشر .

لقد اهتمت صحافة هذا العهد ـ عهد المؤسسات الصحفية ـ بأهداف الجماهير الحياتية المختلفة ، ومعالجة القضايا والمشاكل الداخلية والخارجية ، بلغة عربية سليمة ، خلو من الركاكة ولغو القول ، متمسكة في كل ذلك بأهداب الفضيلة ومكارم الاخلاق ، بعيدة عن النعرات السياسية ، والهجمات الصحفية المسعورة التي تطغى على بعض الصحف في الاقطار العربية الاخرى ، وهذه سمة مميزة للصحافة في المملكة العربية السعودية ترفعها فوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستوى الصحافة في الوطن العربي .

وبفضل رعاية الدولة وما تقدمه لها من تسهيلات عديدة ، ارتفعت هذه الصحف والمجلات الى سدة المكانة المرموقة لها بين صحافة الوطن العربي والعالم اجمع ، بل وبزتها في كثير من المجالات العلمية والادبية والفنية وتفوقت عليهـــا .

فكثرت المقالات العلمية والفكرية والادبية ، وخصص لها الامكنة المحددة والزوايا الثابتة في كل صحيفة ومجلة ، عالجت القضايا الادبيـــة المختلفة ، والفنية المتعـــددة ، والقضايا النقدية العامة والخاصة ، والمشاكل اليومية الحياتية ، كمـــا راجت المقـــالات القصصية القصيرة ، والطويلة ، والمسلسلة ، فكثر القراء وتعلقوا بزواياهم الخاصة المحددة في كل صحيفة ومجلة .

كما وانه تخصصت بعض الصحف والمجلات بقضايا الفكر بصورة عامة والفكر الاسلامي بصورة خاصة ، لنشر الدعوة الاسلامية الرشيدة الموجهة الى داخل وخارج الوطن العربي والى اطراف العالم الاسلامي الكبير وانحاء القارات المسكونة ، تحمل الى العالم فكر الاسلام الكريم وروحه الصحيحة وهديه المبين .

كل ذلك أملى وجود جيل كامل من الكتاب والادباء والشعراء والمفكرين الذين دفعوا عجلة التقدم والبناء بحذق ومهارة لمستقبل ادبي وفكري افضل تغبط عليه . كمـــا وقامت افواج من المتخصصين بالطباعة والاخراج في عالم النشر ، حشد ذلك اجيالا مثقفة واعية لدينها ودنياها داخل البلاد السعودية وخارجها .

وبذلك تكون الادارة في المملكة العربية السعودية قد وفت التزاماتها ، وما هو مترتب عليها تجاه الدين والانسان في الفكر والادب والعقيدة .

الاذاعة والتلفزة : لا يستطيع احد في العالم اليوم ان يقلل من اهمية الدور الكبير الذي تلعبه شبكات التلفزة والاذاعة في نشر العلـــم والثقافة والوعي في المجتمعات البشرية ، وما تضطلع فيه من دور رئيسي هام في افشاء المعرفة والادب بين افراد الشعب على جميع المستويات بما تعرضه وتذيعه من برامج ثقافية وعلمية متنوعة ، وما تقدمه من انتاج يانع مختار للادباء والمفكرين والشعراء والباحثين ، واذاعتها على الملأ . ولن ننسى اهمية الدور البناء للاذاعة والتلفزيون خاصة حينما يكونان موجهين ـــ كما في المملكة السعودية ـــ في توجيه الاجيال ودفعها عبر مسارب الخير ودروب الفلاح والرشاد التي تتمشى مع سنن الدين الاسلامي الحنيف وقيم المجتمع الاسلامي الصحيحة . وكذلك اهمية هذين المرفقين بالنسبة للصحافة والاخبار ونشرهما وتعميمهما على الناس .

والاذاعة في المملكة العربية السعودية وان بـــدأت ارسالها متأخرة وذلك سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، الا انها اليوم قطعت اشواطا بعيدة في دنيا البرمجة والتنسيق وتحفل بفيض من البرامج الجدية الموجهة التي تساير تعاليم الاسلام وتحافظ على الاخلاق والحشمة . وقد خصصت منذ بداية ارسالها ركنا ثابتا للادب باسم « عالم الادب » تناوب كبار الادباء السعوديين الكتابة له او التحدث من خلاله مباشرة . وكذلك برنامج « مؤلف وكتاب » الذي عرض انتاج الاعلام والنخبة الممتازة مـــن داخل المملكة وخارجها ، وعرض انتاجهم وعرف بهم ، وكذلك البرنامج الطريف الذي ما زالت الاذاعة السعودية تختم به برامجها « آخر العنقود » .

ولم تكتف الاذاعة بذلك بل دعت الادباء والمفكرين ليقدموا الاحاديث الادبية والدينية والاجتماعية والتاريخية والشعرية والقصصية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، حتى تشكلت طبقة متخصصة من الادباء والمفكرين . ومع تقدم البرامج الاذاعية خصص اكثر من برنامج ادبي ، فهنـــاك برامج قصصية ، وشعرية ، وفنيـــة ، وفكرية وغيرها ، ولقاءات مع كتاب وشعراء ومفكرين وعلمـــاء وفنانـــين .

وقد استقدمت الاذاعة السعودية والتلفزيون اجـــل البرامج والندوات من جمهورية مصر العربية وغيرها ، بالاضافة الى مواد التسلية الفكرية الحديثة .

كـــل ذلك دفـــع الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية الى النشاط والانفجار وتشكيل ديم من الفن والادب تمطر زمردا وياقوتا على ادواح الادب وواحات الشعر في جزيرة العرب ، تستظل الاجيال اغياءها الوارفة وتقطف من ثمارها الدانية القطوف .

فمن منا لـــم يستمع الـــى البرنامج الادبي اليومي « سجا الليل » الذي يفيض عذوبة ورقة وادبا ، وكذلك البرنامج الاسبوعي « ساعة مع فنان » والذي يكون بطله في اكثر الاحيان شاعر او اديب سعودي ، وبرامج كثيرة محورها الادب والفكر تتجدد يوما بعد يوم .

ثم يأتي بعد ذلك الارسال التلفزيوني ليرفد الاذاعة ويدعمها في نشر رسالة العلم والادب بالاضافة الى التوجيه الخلقي والديني الذي تـــداب الادارة السعودية علـــى ترسيخه . وكذلك عرض البرامج الثقافية والتربوية بأثواب قشيبة رصينة ، كما وان التلفزيون تفنن بعرض مسلسلات لمواقف اسلامية وتاريخية تعيد الى الاذهان مجد الاسلام الرفيع وعظمة السلف الصالحين . بالاضافة الى التغطية الاخبارية والاعلامية المصورة للمواسم الدينية كالحج والتي تبثها الـــى انحاء العالم قاطبة بواسطة محطـــة الاقمار الاصطناعية التـــي بادرت المملكة الـــى تزويد اجهـــزة اعلامها بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتشرف وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية على داري الاذاعة والتلفزيون وتوجههما حسب خطة موضوعة تتفق ومصلحة المواطنين في المملكة بما لا يتعارض مع الاخلاق الكريمة والسلوك القويم ، وتستغلهما الدولة لغايات اعلامية توجيهية وثقافية وعلمية وتربوية . ثم خطت اكثر من ذلك حينما ادخلت بعض البرامج الترفيهية في حدود معقولة ومقبولة .

وهكذا نهضت الاذاعة والتلفزيون بالمهمة الموكولة اليهما في اداء رسالة التعليم والتوجيه ونشر الثقافة والمعرفة في المجتمع ، وهما في كل ذلك لا يقلان في مستواهما الفني والعلمي والتقني عن امثالهما في الاقطار العربية الاخرى . وساهما بايجابية في تعميم الثقافة وتعزيز مكانة الادب واللغة العربية ومبادىء الاسلام في العالم الاسلامي الكبير ، وتنوير الحركة الادبية على ارض المملكة العربية السعودية، وشحذ الهمم وتهيئة المناخ الملائم لخلق جيل من الادباء والمفكرين المؤمنين بدينهم وعروبتهم ليتخذوا من الكلمة سلاحا وسبيلا الى نشر افكارهم وتعاليمهم الحميدة الخصال . واننا لننتظر منهما الكثير الكثير .

وسائل التعليم ومراحلها

ان التعليم في الجزيرة العربية لم يكن تعليما بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة قبل قيام المملكة العربية السعودية على يد العاهل السعودي الكبير عبد العزيز آل سعود . ففي العهد العثماني كان التعليم باللغة التركية بما يتلاءم مع طبيعة الاجنبي المحتل ، حتى قواعد اللغة العربية كانت تدرس بالتركية ، ولم يتغير الحال في العهد الهاشمي القصير عما كان عليه .

اما التعليم بمعناه الحديث فلم يبدأ الا في العصر السعودي ، الذي بدأ فيه من الصفر ، وهو وان تعثر في بداية قيام المملكة العربية السعودية الا انه نهض من كبوته وسار في ركاب العلم تماما كما في بقية الاقطار العربية الاخرى ، بل وربما تفوق عليها من حيث توفر الامكانات المادية الهائلة .

واهم المعوقات التي اعترضت التعليم في بداية الحكم السعودي تتلخص في نقاط ثلاث :

ـ لم تكن هنالك موارد مادية للبلاد ، تمكنها القيام بأي مشروع ، غير موارد الحج التي لم تكن في حينها تسمن او تغني من جوع .

ـ عدم توفر الملاك والكوادر التعليمية والادارية المؤهلة للقيام بأعباء العمل التعليمي ووضع البرامج والكتب التعليمية في البلاد .

ـ واخيرا وجود بعض العقليات المناهضة لكل جديد في ذلك الحين ، والتي لم تكن لتقنع بنظريات العلم الحديث والتقدم العصري للحضارة الانسانية .

وقد واجه الملك عبد العزيز هذه المشاكل على الدوام الى ان استطاع بفضل عقليته المتفتحة وطموحاته العظيمة ومرونته المعهودة ، ان يوضح لتلك الفئات فائدة المدارس الحديثة التي تساعد على تفتح عقلية الجيل وتنور بصيرته مما يؤدي الى تقوية العقيدة الدينية في القلوب ، وبالتالي تنقل المملكة الى مصاف الدول المتحضرة .

ولم تمض سنتان فقط على قيام المملكة العربية السعودية الفتية ، اي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م حتى انشىء اكثر من اثنتي عشرة مدرسة ، لم يتجاوز عدد طلابها السبعمائة ، وخلال السنوات العشر التالية انشىء سبع وعشرون مدرسة في انحاء المملكة على الرغم من الظروف القاسية التي المحنا اليها .

وفي عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م افتتحت مدرسة « دار التوحيد » بالطائف لاول مرة بهيئة تدريسية تضم ثلاثة سعوديين والباقي من البلاد المصرية والشامية ، واخذت تدرس التفسير والحديث والفقه الحنبلي والاصول والمصطلح والتوحيد والفرائض ، بالاضافة الى الحساب والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والادب والتجويد . يتعلم فيها الطالب على مراحل ، وتمكنه من الانتقال الى « كلية الشريعة » بمكة المكرمة التي افتتحت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ، ويدرس فيها اربع سنوات يتخرج بعدها ليصبح قاضيا او مفتيا او مدرسا .

ثم توالى بعد ذلك افتتاح المدارس في مختلف انحاء المملكة ، واهم ما افتتح في ذلك الحين مدرسة « تحضير البعثات » بمكة وذلك لاعداد افواج الشباب علميا وفنيا ليتمكنوا من الالتحاق بمختلف الكليات في جامعات اوروبا وامريكا وبيروت ومصر . وبعد سنين قليلة راينا كيف عاد هؤلاء المبعوثون ليحلوا محل الاجانب والغرباء ويتسلموا مقاليد العمل الجاد واعلى المناصب في الدولة ويديرون دفة العلم والادب ويدفعون عجلة الحركة الادبية نحو التقدم والارتقاء .

ثم انشئت بعد ذلك مدرسة المعلمين الليلية في الرياض عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م ، واحدث كذلك اول معهد علمي في العاصمة ، وكذلك اسست الادارة العامة للمعاهد العلمية والكليات . وهكذا استطاعت خطة الادارة السعودية التعليمية ان تنجح وتحقق اغراضها ، وتقنع الناس بفائدة المدرسة العصرية ، فأقبل المواطنون بأفواج ابنائهم الى المدارس لتلقي العلم من مناهلها . وراحت الدولة تبث المدارس في كل حدب وصوب تلبية لرغبات المواطنين ، فالمال قد توفر ، والكوادر التعليمية قد نمت وتطورت ، وهكذا حققت الحركة التعليمية انتصارات باهرة . ولم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنته مهمتها الا عندما انشئت وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م ، وبدأت مهامها الضخمة تتزايد يوما بعد يوم . ولتقدير مدى ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق وزارة المعارف ، نلقي نظرة على ارقام موازنة هذه الوزارة التي لم تكن تتجاوز اثني عشر مليون ريال في بداية انشائها في حين انها تتجاوز اليوم الستمائة مليون ريال .

واما مناهج التعليم ومقرراته في عهد وزارة المعارف فقد اصبحت تضاهي مناهج ومقررات احدث ما في وزارات المعارف في الدول العربية الشقيقة ، وتسلحت بالعلم والتخطيط وبأعلى المستويات ، فقسمت رقعة المملكة المترامية الاطراف الى احدى وعشرين منطقة تعليمية مستقلة ماديا واداريا ، وقسمت التعليم الى فروع اهمها : التعليم العام ، والفني ، والجامعي في داخل البلاد وخارجها وهو من اختصاص وزارة التعليم العالي ، واعداد المعلمين، والتعليم الشعبي .

١ ــ فالتعليم العام .. يبدأ بمدارس الحضانة ورياض الاطفال ، وينتهي بنيل الطالب شهادة الدراسة الثانوية التي تؤهله دخول الجامعات داخل المملكة وخارجها ، ويغطي هذا التعليم كل بقاع المملكة بلا استثناء ولا يتسع المجال لحصره .

٢ ــ والتعليم الفني .. ويشمل المدارس الصناعية والتجارية والزراعية ، التي تخرج اعدادا كبيرة من الفنيين لتغطية حاجات البلاد المتزايدة منها .

٣ ــ والتعليم الجامعي .. ويتم في داخل البلاد وخارجها وتشرف عليه وزارة التعليم العالي التي بذلت نشاطا خارقا في هذا الميدان ، وقد اصبحت الجامعات والكليات تغطي مساحة هائلة من الاختصاصات بالكم والنوع وهي على النحو التالي حتى عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م :

اولا .. جامعة الرياض ومقرها الرياض وتتألف من اثنتي عشرة كلية هي : الآداب ، والعلوم ، والتجارة ، والصيدلة ، والزراعة ، والهندسة ، والتربية ، والطب ، وطب الاسنان ، وعلوم التمريض . ويتبعها كلية التربية في أبها ، ومعهد اللغة العربية .

ثانيا .. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وفيها خمس كليات هي : كلية الشريعة ، كلية الدعوة واصول الدين ، كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية ، كلية اللغة العربية والآداب ، وكلية الحديث الشريف .

ثالثا .. جامعة البترول والمعادن بالظهران وتحتوي على اربع كليات هي : كلية العلوم الهندسية ، وكلية الهندسة التطبيقية ، وكلية العلوم ، وكلية الادارة الصناعية .

رابعا .. جامعة الملك عبد العزيز بجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وتتألف من ثماني كليات ومعهدين هي : كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، كلية التربية ، كلية الاقتصاد والادارة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، كلية العلوم ، كلية الطب ، كلية الهندسة ، كلية التربية بالمدينة المنورة ، ومعهد الجيولوجيا التطبيقية ، ومعهد الارصاد الجوية .

خامسا .. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض والقصيم وأبها وتشتمل على معهدين وست كليات هي : المعهد العالي للقضاء ، المعهد العالي للدعوة الاسلامية ، كلية الشريعة ، كلية اللغة العربية ، كلية اصول الدين ، كلية الدراسات الاجتماعية ، كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم ، كلية الشريعة واللغة العربية بأبها .

سادسا .. جامعة الملك فيصل بالدمام والاحساء وتضم اربع كليات هي : كلية الطب والعلوم الطبية ، كلية العمارة والتخطيط ، كلية العلوم الزراعية ، كلية العلوم الزراعية والاغذية، كلية الطب البيطري والثروة الحيوانية.

سابعا .. ويتبع ذلك الكليات العسكرية ، وغيرها وهي :

- كلية الملك عبد العزيز الحربية بالرياض .
- كلية قوى الامن الداخلي بالرياض .
- كلية الملك فيصل الجوية بالرياض .

٤ ــ الكليات المتوسطة ومراكز العلوم والرياضيات وهي تتبع لوزارة المعارف وتتألف من خمس كليات متوسطة في كل من الرياض ومكة المكرمة والقصيم والمدينة المنورة وأبها ، ومهمتها اعداد معلمي المرحلة الابتدائية الجدد ، واعادة اعداد القدامى منهم . وكذلك يتبع لوزارة المعارف مركزان للعلوم والرياضيات احدهما بالرياض والآخر بالدمام .

٥ ــ واما التعليم الشعبي .. فهو يقوم على مدارس مكافحة الامية لدى كبار السن وذلك خلال مدة يتبعها المسن لا تتجاوز السنتين . والامر معقود على امل محو الامية خلال السنوات القليلة القادمة باذن الله .

هذه الثورة التعليمية الشاملة خلقت اجيالا من العلماء والمثقفين والادباء والشعراء والقصاصين الذين راحوا يغمسون اقلامهم في مداد قرائحهم ويصوغون ادبا وفكرا يحمل سمات المرحلة الحالية التي يعيشونها ، وينسجم بتطلعات شعب بأكمله نحو المستقبل الكريم ويصور آماله ويرسم احلامه في رؤى تتناسب مع البناء النفسي والروحي والفكري من خلال الموقع الذي حدده له المجتمع وتعاليم الدين الاسلامي من هذه الحياة ، ثم يتخذون من خلال هذه المواقع ، مواقف ايجابية تحدد شكل رؤيتهم لهذه الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي لا تعدو كونها دار اعداد يعملون فيها لاصلاح آخرتهم التي لا تصلح الا بصلاح سابقتها .

اجيال مؤمنة بالله ورسوله بعيدة عن شوائب الحضارة وقرفها وغيثانها ، بفضل قاعدة روحية دينية راسخة الجذور تعززها الاسرة والمجتمع وتدعمها الدولة ونظمها ، هذه الاجيال الصاعدة سلم المجد ، والتي سيسعدنا ان ندرس انتاجها فيما سيعقب ذلك من مقالات .

المكتبات والنوادي الادبية

لقد عرفت المدينتان المقدستان ، مكة والمدينة ، المكتبة في القرن السادس الهجري حين امر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، بانشاء رباط بمكة ، اوقف فيه كتبا كثيرة منها المجمل لابن فارس ، والاستيعاب لابن عبد البر . ثم راحت الكتب تتزايد في مكتباتهما حتى يوم الناس هذا .

ثم تتابع بعد ذلك اقامة المكتبات في المدينتين الحجازيتين حتى عد صاحب « مرآة الحرمين » ثماني عشرة مكتبة في المدينة المنورة في اوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي . ولعل افضل مكتبة فيها هي مكتبة « عارف حكمت » التي بلغت مخطوطاتها اربعة آلاف وخمسمائة مخطوط ، ومطبوعاتها الفين ، وجميعها من الكتب النادرة . اما فيما عدا هاتين المدينتين فلا نجد اثرا للمكتبة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اية رقعة من انحاء الجزيرة العربية .

الا ان المكتبة بمفهومها العصري الحديث ، لم تعرف في الجزيرة الا بعد قيام المملكة العربية السعودية ، وبعد ان تكونت وزارة الحج والاوقاف ، اذ اهتمت بشؤون تنظيم المكتبات ، فجمعت الكتب في مكتبتي الحرم بمكة والمدينة وجردت محتوياتهما وثبتتها في سجلات رسمية ، وفرغت لهما الموظفين المختصين للعناية بها .

اما في نجد فقد نبتت بذور المكتبة في قصور الامراء ، فقد تجمع في مكتبة المفتي محمد بن ابراهيم وغيره اعداد كبيرة من الكتب . وانشأ الامير مساعد بن عبد الرحمن ، اخو الملك عبد العزيز اول مكتبة عامة بالعاصمة سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م وخصص لها جناحا للمطالعة مستقلا في قصره ، واباح لكل راغب بالاستزادة من علمها ، وبذلك خطا الامير مساعد الخطوة الاولى في انشاء المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية كلها ، وكل شيء يبدأ بالخطوة الاولى ، وهكذا فتح الباب على مصراعيه امام المكتبات . ثم توالى بعد ذلك اقامة المكتبات الخاصة والعامة ، كالمكتبة السعودية بالرياض ، ومكتبة امانة مدينة الرياض بحي الملز ، حيث نقلت مقتنياتها الى دار الكتب الوطنية عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م بعد ان اخذت جامعة الرياض مبانيها .

وتعتبر دار الكتب الوطنية من احدث المكتبات في المملكة العربية السعودية حيث روعي في انشائها جميع الشروط الفنية والتنظيمية والفهرسية في المكتبات العالمية الحديثة منذ لحظة افتتاحها سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

ثم اخذت وزارة المعارف على عاتقها انشاء المكتبات في اكثر انحاء البلاد واصقاعها المترامية وخصت مدارسها التي يصعب حصرها كلا بمكتبة تفي بمتطلباتها وحاجاتها من كتب ومصورات ووسائل ايضاح ومخابر تنهض بانجاح العملية التعليمية على احسن وجه .

واما المكتبات الضخمة فهي تلك التي تعهدتها وزارة التعليم العالي برعايتها ، وزودت فيها الجامعات على كثرتها ، وخصت بالتالي كل كلية بمكتبة خاصة تتناسب مع اختصاصها وحاجاتها واستيعابها ، بالاضافة الى المخابر اللغوية والعلمية على اختلاف مناحيها ، وزودتها بأحدث المؤلفات والآلات وطرق الايضاح والتعليم في العالم ، بالاضافة الى اكفأ اجهزة ادارية تقوم عليها وتسهل سبل الاستفادة منها ، وتعتبر مكتبة جامعة البترول والمعادن بالظهران (ارامكو سابقا) احدث مكتبة في الوطن العربي والعالم الاسلامي قاطبة ، وتدار على افضل الطرق المتبعة في امريكا والعالم المتحضر ، ويشرف عليها حذاق ومهرة هذا العلم المستحدث في العالم ، وتشتمل على الكتب بطرق المكتوب ، والمقروء ، والمسموع ، والتصوير ، باللغات المطلوبة ، ومزودة بالافلام والصور والآلات واجهزة النسخ والتصوير والقراءة في كل جناح من اجنحتها وفرع من فروعها ، ومزودة بجناح تحفظ فيه كل الرسائل المعدة لنيل الدرجات العلمية منها .

وكذلك مكتبات النوادي الادبية الست المقامة على ارض المملكة والتي لا تهتم بجمع الكتب وتنسيقها فحسب بل تشرف على طبع كتب الادباء الاعضاء ونشر انتاجهم الادبي والفكري واصدار الكتب الدورية عن نشاطها والمناسبات الوطنية والقومية والدينية .

وهكذا نستنتج مما تقدم ان ظاهرة المكتبة عريقة الوجود في المملكة العربية السعودية وقد تطور مفهوم هذه الظاهرة مع الزمن ، ولكنه قفز هذه القفزة الجبارة على يد الادارة السعودية ليقف في مصاف المكتبات العالمية في هذا الميدان على صعيد واحد ، بعد سلسلة من التطورات الزمنية والاحقاب المرحلية التي انسجمت مع تطور عقلية ابنائها في كل اعصر الزمان . ومن الملاحظ من خلال ما سبق ان المكتبات في المملكة العربية السعودية تتبع ادارات مختلفة حسب اختصاصاتها .

ـ فمنها ما يعود الى وزارة الاوقاف والحج ، كمكتبة الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ومنها ما يتبع وزارة المعارف كمكتبة دار الكتب الوطنية بالرياض ، ومكتبات الاقاليم الاخرى كمكتبة بريدة وعنيزة وغيرها ، ومكتبات المدارس المنتشرة في كل حي وحدب وصوب .

ـ ومنها ما يتبع وزارة التعليم العالي كمكتبات الجامعات والكليات حسب اختصاصها ومكان وجودها .

ـ ومنها ما يتبع ادارة الفتوى كالمكتبة السعودية بالرياض وغيرها .

ـ ومنها المكتبات الوزارية والحكومية، وهي مكتبات خصوصية ، لانها ليست مفتوحة لسائر المواطنين وليست ملكا للجميع بل هي مكتبات ذات اختصاص معين يشتمل على الكثير من القوانين والقرارات والتشريعات بالاضافة الى المواد والكتب والمراجع الخاصة حسب الحاجة والاختصاص .

ـ ومنها مكتبات تابعة لرعاية الشباب كالمكتبات التي تخص النوادي الادبية وغيرها .

ـ ومنها المكتبات الخاصة التي تعود لافراد يحتفظون بها في بيوتهم ومكاتبهم ، وهي ظاهرة صحية تدعو للتفاؤل والسرور ، اذ يتسابق المواطنون لاقتناء الكتب واقامة المكتبات وتنويعها وتزويدها بكل جديد نافع وهي سمة مميزة للشباب على ارض المملكة العربية السعودية ، ويصعب حصر هذه المكتبات وعدها .

ومهما يكن من دوافع انشاء هذه المكتبات العامة والخاصة ، فلا بد من الاعتراف بفضلها في تثقيف الناس على مر العصور ورفع مستوياتهم الفكرية والادبية . اما وقد اخذت الدولة السعودية على عاتقها فتح ابواب العلم والمعرفة على مصاريعها امام جماهير المواطنين بمختلف طبقاتهم دون تمييز ، فانها بذلك تقوم بأشرف واجب في دفع المجتمع العربي السعودي في طريق الهداية والنور والتفتح والتلاقح مع الحضارة الانسانية والتقدم والارتقاء . وقد انعكس هذا كله على افكار الجيل السعودي من الرواد والشباب والشابات الذين نطالع انتاجهم كل يوم من فكر وادب وشعر رقيق اصيل . ويكفي ان نلقي نظرة على المطبوعات الغزيرة الجديدة للادباء السعوديين لنعرف مدى تأثير المكتبة والثقافة في هذا الجيل العتيد الذي يموج بالخصب والعطاء والاصالة المرتكزة على قاعدة صلبة من الايمان بالقيم الاسلامية والخلق القويم ، فتفجر زحف الحركة الادبية على ارض المملكة العربية السعودية بأدب جاد رصين هادف يحمل نصاعة الديباجة ومتانة الخلق وصلابة الايمان وطهارة الروح ونظافة النفس بفضل التربية الموجهة ومكابح المجتمع التي تشد عند اللزوم بالدعوة الى المعروف والنهي عن المنكر بعيدا عن قرف القشرة الحضارية ، والعري الروحي والغثيان الهمجي لبعض معطياتها السلبية الذي نلمسه في انتاج بعض دعاة الادب في اقطار اخرى .

كل ذلك تمخض عن زحف المكتبة السعودية لتشق طريقها وسط المكتبات العربية في الاقطار العربية الاخرى لتحتل مكانا متميزا من رفوفها على الرغم من ذلك السيل الجارف من المطبوعات التي تحوي الغث والسمين والذي علينا ان ندقق فيه قبل عرضه لما يحويه من سموم وحملات ظالمة على تراث العروبة والاسلام ، وتعتبر المملكة العربية السعودية الدولة العربية الاولى التي تنبهت لهذه الاخطار الجسيمة التي تهدد التراث والروح والعقيدة ، فاستجابت بحس ديني اصيل لمراقبة هذا السيل الطاغي فمنعت وسمحت ، وقدمت بالتالي البديل من عيون التراث وما يتناسب مع حاجاتها بما لا يتعارض مع التعاليم السمحاء ، فأخذت مطبوعاتها تحتل المكانة اللائقة على رفوف المكتبات العربية المختلفة ، في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، وتعمل الدولة جادة الى تأمين مختلف مراحل الطباعة بأنواعها محليا لتسهل على الادباء والمفكرين نشر انتاجهم بيسر وسهولة .

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر صفر عام ١٣٩٥ هـ / الحادي والعشرين من شهر مارس ١٩٧٥ م اثناء اجتماع مؤتمر احياء سوق عكاظ الذي دعا اليه الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، مع عدد كبير من الادباء السعوديين في مدينة الرياض ولدت فكرة تأسيس الاندية الادبية المنظمة والمسؤولة والمدعمة بكل الامكانيات المادية والمعنوية وهي : نادي جدة الادبي ، نادي الرياض الادبي ، نادي المدينة الادبي ، نادي مكة الادبي ، نادي جيزان الادبي ، نادي الطائف الادبي . تعمل هذه الاندية على تطوير رسالة الادب وتنهض مسيرته المظفرة معتمدة على تعاون اوثق بين الدولة والادباء والتي يرعاها بشكل جاد عاهل المملكة العربية السعودية الكبير الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، فحصلت على الاذن الرسمي رقم ١١/٤٢٣/١١/١/٣ تاريخ ١٣٩٥/٢/٢٩ هـ . وقد جاء في بيان نادي جدة الادبي الاول «ان الهدف الاساسي العام للنادي هو العمل الجماعي المشترك على رفع مستوى الفكر والادب هنا وتثبيت قيمة الادباء السعوديين في الخارج، وترقية العلاقات السامية بينهم وبين زملائهم هناك ، بوسائل انسانية ، وفنية ، واجتماعية تشمل تبادل الزيارات لتوكيد الصداقة ، وتبادل العون الادبي والمادي ، ونشر المؤلفات الجيدة للكتاب السعوديين الذين قد تكون لهم ظروف تعوق النشر ولا سيما الشبان من الصاعدين والصاعدات من الفئات النامية » .

وهكذا حذت بقية النوادي ، وبدأ انتاج اعضائها الادبي والفكري يتدفق على المكتبات ويزين رفوفها بكل جديد وناضج مشكلة رافدا ثرا من روافد الادب والحركة الادبية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المملكة العربية السعودية ، وانفتحت بذلك الابواب امام الادباء الشباب لينشروا انتاجهم على الملأ ويسهموا بدفع عجلة الادب والفكر على ارض جزيرة العرب لتعود مصدرا للاشعاع الفكري ، الذي ايقظ العالم يوما على وقع رسالة محمد السماوية عليه صلوات الله وسلامه ، فأخرجت الدنيا من الظلمات الى النور ومزقت ستر الباطل وهتكت سجف الضلالة وحطمت الاوثان ودعت الى وحدانية الله ، والمساواة بين الناس ، وشرعت لهم ما ينظم دنياهم ويحفظ آخرتهم .

وهكذا تكون المكتبة والنوادي الادبية في المملكة العربية السعودية قد ساهمت بقسط وافر وكبير في دفع الحركة الادبية هناك بحدة واصرار ، ووفرت للادباء من الشباب والشابات المراجع التي يعبون منها ويعتلون ، كما وهيأت لهم الفرصة للعطاء والتأليف وبالتالي نشر هذا الانتاج ، وهي فرصة ذهبية غير متاحة لغيرهم من الادباء في بقية الاقطار الاخرى من امتنا العربية ، الذين يعانون الكثير الكثير من مأساة نشر انتاجهم والذي ربما مات في عتمة الجوارير وتحت غبار الزمن يشكو الاملاق او البوار على اعتاب دور النشر في اكثر الاحيان . فهنيئا لاخواننا الادباء على ارض المملكة العربية السعودية هذا الاهتمام بهم وبانتاجهم من مختلف المؤسسات الحكومية والاجتماعية العامة والخاصة ، وانا لنأمل ان يزودونا كل يوم بالجديد الطريف ، فهذا عزاؤنا وغاية مناانا .

الطباعة وصناعة الكتاب

لقد تأخر ظهور الطباعة في الجزيرة العربية حتى اوائل الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي وذلك حين استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة تدار بالقدم وذلك سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ، ثم استحضرت بعد ذلك مطبعة متوسطة ، وبعد عدة سنوات من ذلك التاريخ جلبت مطبعة حجرية سمتها المطبعة الاميرية ، وفيها كانت تطبع جريدة الحجاز المكية .

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى صادرت تركيا مطبعة زحلة الفتاة ونقلتها الى الحجاز لتدعم المطبعة الاميرية وفي سنة ١٩١٩ م اسس الشريف حسين مطبعة صغيرة في مكة المكرمة لطبع جريدة القبلة . ولكن هذه المطابع كانت بدائية لا تفي بالغاية المرجوة من وجودها .

ولكن الامر تغير حين استتب الامر للملك عبد العزيز آل سعود ، ففي اول الامر استصلح مطبعة جريدة القبلة واطلق عليها اسم مطبعة ام القرى ، واستحضر لها عددا من خبراء الطباعة العرب وذلك سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م وعقد معهم اتفاقا لتعليم بعض الحجازيين هذا الفن وتدريبهم عليه . وكانت الخطوة الثانية للعاهل الكبير حينما ارسل سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م سبعة عشر موفدا الى مصر ليتدربوا على فن الطباعة في مطبعة بولاق ، واردف ذلك بادخال تحسينات على هذه المطبعة الاخيرة حتى اصبحت تساير ارقى المطابع في ذلك الحين ، وقد اصدرت الحكومة السعودية قرارا بتبديل اسمها من مطبعة ام القرى الى مطبعة الحكومة . وبدات تهتم بالمطبوعات الحكومية الرسمية ، ومجلة الحج ، والتقويم السنوي ، والانظمة ، والتعليمات بالاضافة الى جريدة ام القرى . ثم تلا ذلك انشاء اول شركة عربية للطباعة والنشر في المملكة العربية السعودية باسم « الشركة العربية للطبع والنشر بمكة » اذ اخذت على عاتقها طباعة جريدة « البلاد السعودية » وكافة المطبوعات التجارية ، ومن ثم بدات تطبع مجلة المنهل .

وفي اثناء ذلك ايضا تم انشاء مطبعة جريدة المدينة المنورة سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م وهي مطبعة اهلية يتم فيها طبع الجريدة المذكورة بالاضافة الى المطبوعات والاوراق الحكومية .. ثم توالى بعد ذلك انشاء المطابع ففي جدة تم انشاء مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، وهي مطبعة حديثة بكل امكانياتها الفنية وعمالها المؤهلين ، وبدأت عملها سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م واستطاعت ان تقوم بأعباء طباعة كافة الاوراق والمطبوعات الحكومية ، والتجارية ، والصحفية ، كمجلة الاذاعة ، ومجلة الحج ، والاضواء ثم المنهل ، واخيرا جريدة الرياض المصورة . وقد جهزت بآلات جمع الورق المعروفة باسم الليونيت . وفي الرياض تم بعد ذلك انشاء اول مطبعة حديثة وذلك سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م . وتوالى بعد ذلك انتشار المطابع في عواصم المملكة العربية السعودية التي نشطت الحركة الادبية فيها ، بما قدمته من تسهيلات يومية في طباعة الصحف اليومية والاسبوعية والنصف اسبوعية والمجلات الكثيرة مما دعا الى وجود رعيل كامل من الادباء يملؤون صفحات هذه الجرائد والمجلات بما يدبجون من مقالات دينية وادبية واجتماعية وعلمية واخبارية وسياسية واقتصادية وابحاث فكرية وتربوية وفقهية ولغوية ، وقصائد شعرية ، وقصص نثرية وما الى ذلك من نشاطات قلمية اخرى ، وبالتالي فقد ترتب على ذلك ظهور حركة نقدية ادبية فكرية تغربل هذا الانتاج الغزير الذي راح يهمي كالسيل ويحتل مساحات كبيرة من هذه الصحف والمجلات ويملأ مساحات لا يستهان بها من رفوف المكتبة العربية السعودية بتوالي الايام وتعاقب الشهور .

ان للمطبعة السعودية فضل كبير على الادب ، لانها ساعدت على طباعة ونشر الانتاج الادبي المحلي وافشاء المعرفة واذاعة الثقافة بين الناس ، واعطاء صورة صادقة عن نهضة البلاد ونقل صورة حقيقية عن تقدم المملكة العربية السعودية في مختلف الميادين الفكرية والادبية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية والسياسية والدينية التي تبقى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت اهواها

رأوني ارشف الماضي من نور محياها
وقد ولى زمان الحسن والحب الذي تاها
وسيل « عصيفر »(1) يجري غزير الماء تياها
وفوق رصيف شارعه جلست اعب مرآها
واقرأ فوق جبهتها حكايات كتبناها
واشواقا نظمناها واشجانا روياها
وفي عيني ما برحت تثير الوجد عيناها
وقد وقف الزمان بنا فما شبنا ولا شاها
فلا تستغربوا ولعي فاني كنت اهواها

عصيفرة ــ تعز

علي محمد لقمان

(1) ــ عصيفر : اسم واد في تعز ص.ب. رقم ٤٨٠٦ تعز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحور الذي تستند عليه القاعدة الاخلاقية لاي انتاج فكري على ارض المملكة العربية السعودية .

وفي السنوات العشر الماضية قفزت الطباعة في المملكة قفزات جبارة لتغطي انفجار الثورة التعليمية على مختلف مستوياتها في كافة انحاء البلاد ، فاستوردت الحكومة السعودية احدث المطابع الآلية في العالم بأعداد كبيرة وممتازة ملونة ومصورة وانفقت المبالغ الخيالية في هذا المجال ولم تأل جهدا في رفع كفاءة المطابع ، وهي ساهرة على دفع حركة الطباعة والنشر في المملكة الى الامام فسنت القوانين والتشريعات التي تنظم شؤونها وتكفل سير عملها وتحرص على تقدمها المطرد ، ولم تغفل عن مراقبة ما يتم طبعه فيها حرصا منها على مصلحة الوطن والمواطن وسلامته العقلية والروحية من سقيم القول وغث الكلام . ولكي تبقى ضمن المخطط الرسمي الذي اختطته الدولة لها في حدود بينها القانون .

رافق ذلك جانب مهم من جوانب الطباعة الا وهو جانب صناعة الكتاب الذي يعتبر جزءا متمما لها ، فقد ارتقى موضوع صناعة الكتاب في المملكة ليساير ركب الحضارة فيها في مختلف الميادين ، فقد اصبح يتم اخراج الكتب بأبهى الحلل واجود الطباعة وانتقلت العدوى الى الصحف والمجلات خاصة ، واستعمل فيها ارقى انواع الورق واحدث وسائل التلوين فبزت مثيلاتها في الوطن العربي الكبير .

كل هذه العوامل متضافرة ــ الاعلام ، والتعليم ، والمكتبات ، والطباعة ــ خلقت جوا مناسبا ومناخا ملائما لقيام حركة ادبية رائدة على ارض المملكة العربية السعودية ، فشحذت القرائح واثارت الهمم وحركت الخواطر والهمت المشاعر ، فتهيأت الفرص الملائمة للاديب كي يبدع ويعطي من فيض خاطره وومضات فكره وخلجات روحه وخفقات قلبه ، فماذا كتب ؟ . وكيف عبر ؟ . وما هي المواضيع التي طرقها ؟. اهي تقليدية ؟. ام تجديدية ؟. وما هي الاشكال الادبية التي اختارها ليصب فيها عصارة فكره ؟ . وما هي المناهل التي رادها واعتل منها ونهل ؟ . وما هي الينابيع التي صدف عنها وابتعد ؟ . هل ابتكر وجدد في الشكل والمضمون ؟ . ام ظل ينسج على منوال من سبقوه ؟ .

هذه اسئلة واخرى غيرها ، سنحاول ان نجيب عليها فيما سيعقب ذلك من دراسات باذن الله .

دمشق

علي المصري



فاضل السباعي

خواطر في ظل زمن منجمد

بقلم فاضل السباعي

* * *

ان تسافر بالسيارة من حلب الشهباء الى دمشق الفيحاء ، او من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، قاطعا الطريق بساعات اربع او خمس او ست ... فأنت ان انطلقت في الساعة السادسة مثلا ، بلغت غايتك في العاشرة ، او الحادية عشرة ، او الثانية عشرة ، حسب التوقيت المحلي . تلك عملية حسابية بسيطة !

ولكني ارى الامر قد اختلف عندي اختلافا بينا . في سفري هذا ، الذي لم اتحلل بعد من وعثائه .

انه ، حقا ، لعجيب ان تقلع بك الطائرة في ساعة من ساعات النهار ، من مطار ما في احدى العواصم ، فتقطع بك الفيافي والقفار ، بل لنقل : انها اجتازت بك محيطا رحيبا ، طوال ساعات وساعات ... فلما حطت بك ، في البلد الذي تقصد اليه ، وقعت عينك على ساعة المطار ، فاذا عقاربها تشير الى الساعة ذاتها التي غادرت بها مطارك الاول ! فكأن عقارب الساعة قد توقفت عن الدوران ، او كأن الزمن قد تجمد خلال ساعات الطيران . . .

وهل يتجمد الزمن ؟

امس ساورني اعتقاد بأن الزمن قد تجمد عندي سبع ساعات !

اقلعت بنا الطائرة من « مطار شارل ديغول » في باريس ، وساعة المطار — ومثلها ساعتي — تشيران الى السابعة مساء . اجتازت بنا المحيط الاطلسي باتجاه القارة الامريكية ، طوال سبع ساعات . فلما حطت في « مطار كندي » في نيويورك ، كانت عقارب ساعتي تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، ولكني رأيتها في ساعة المطار تشير — ما تزال تشير — الى السابعة من مساء اليوم الذي انقضى !

في البيت ، الذي نزلت فيه في حي « بروكلن » ، دعيت ، في الساعة التاسعة ، الى تناول طعام « العشاء » ... قلت وانا اتطلع الى ساعتي :

— قد تعشيت في الطائرة . أتريدونني ان اتناول وجبة في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ؟ انه « السحور » اذن !

ضحكوا وقالوا :

— ذلك عشاؤك الباريسي . والآن تحين ساعة عشاء نيويورك !

تجمد الزمن عندي سبع ساعات فطال يومي هذا ساعات بعددها ، فتعين علي ان اتناول وجبة يومية رابعة !

في منتصف الليل ، قام الجميع الى النوم . قلت لهم :

— لو اني كنت الآن في باريس ، لنهضت الساعة من نومي . فانها السابعة صباحا !

لم استطع النوم ، رغم حاجتي الى النوم .

ثم اني غفوت ...

ولكني صحوت ساعة الفجر ، وكأن يدا ايقظتني . ها هي ذي الشمس الازلية تطل علي ، عبر النافذة العريضة . أراها ، وانا في سريري ، من خلال قمم الاشجار السامقة ، مقبلة الي عبر المحيط الاطلسي . لقد اشرقت على باريس قبل سبع ساعات ، واشرقت قبلها على اهلي في دمشق . صباح هنا ، وصباحان قبله هناك وهنالك ، وفرق الساعات بين هذه الاصباح ، هو الذي جمده سفري نحو الغرب .

تساءلت : ترى الم تفقد الشمس ، في اجتيازها هذه

امـــاه

أماه ... أول مـا يفوه فمي ... ونشيد حـب رائـع النغـم
فيـه مـن الشكوى حلاوتها ... ومـن القساوة رقـة الالـم
حـب يمـازج كـل عاطفـة ... بـين الجوانح راسخ القيـم
أماه ... يـا نغما على شفتي ... عـذب المقاطع راقص الحلـم
رمـز المحبـة فيـك مكتمـل ... وقداسـة الايمـان والحكـم
أعطـى حنانـك كـل أمنيـة ... أهفـو لهـا بفؤادي السقـم
يـا روعـة الدنيـا وبهجتهـا ... يـا صورة الالهـام في قلمـي
روح الفضائـل منـك آتيـة ... وعلـى يديك حضارة الامـم
تهبـين عمـرك دونمـا أمـل ... يجزى ، وذلـك غايـة الكرم
قـد خصـك الرحمن منزلـة ... محفوظـة الحرمات في الذمـم
تتكرمـين وكـل مكرمـة ... تترافعـين بهـا الـى القمـم
أماه ... يـا نفسا أردده ... حتـى يفارقني الـى العـدم
صـوت يؤجـج نـار عاطفتي ... فـوق المحبـة ساكن بدمـي

حماه ــ سورية — وليد حجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآفاق المديدة ، شيئا من دفئها وحنانها ، في هذا الربيع الطالع ؟

قلت : ان الزمن قد « تجمد » عندي ساعات سبعا .

ولكن الامر لم يكن ، في الواقع ، كذلك .

ما كان هو اني ، في سفري غربا ، باتجاه مسيرة الشمس ، قد أسلفت سبع ساعات . ولسوف يتعين علي ان أرد هذه « السلفة الزمنية » يوم عودتي الى المشرق .

في ذلـك اليوم الآتي ، في اتجاهي عكس مسيرة الشمس ، سأخسر اربـع عشرة ساعة . لسوف ارى عقارب الساعة في مطار الوصول ، وهي تؤكد لـي ان السلفة الزمنية قد استردت . وعندئذ ، لا اكون كسبت زمنا ولا خسرت . والوجبات الاربع ، التي تناولتها ذات يوم ، ستنخفض في يوم آت الى وجبتين اثنتين .

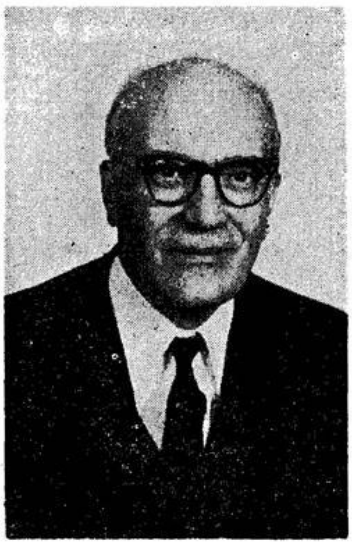
اذن ، فالزمن ، في ذلك اليوم الذي مضى ، لـم يتجمد عندي .

ولكن الزمن ــ فيما اعلم ــ يتجمد عند الامم التي تسكن فيها رياح التطور والتغيير . وتجمد الزمن يعني التراجع والتخلف .

ومن الامم من يسرع في خطوه الى الامام ، مذللا الصعاب ، متجاوزا العقبات ، مسابقا الزمن . وكذلك فعلت أمتنا حين هبت عليها رياح التغيير ، فملكت روحا جديدة ، اتجهت بها غربا باتجاه مسيرة الشمس ، وشرقا بالاتجاه المعاكس لمسيرة الشمس ، ففتحت البلاد ، ونشرت لغة وقيما ما تزال ضاربة بجذورها حتى الاعماق في كل مكان اشرقت فيه شمس العروبة والاسلام .

واليوم ، كم علينا ان نفعل حتى ننهض من كبوتنا ، فنستعيد تلك الروح الوثابة متآلفة مع روح العصر ، وقد ملكنا الطاقة البشرية والمادية ، والارض والموقع ، فضلا عن ارادة التغيير ، وذلك جل ما تطمح اليه الامم الراغبة في النهوض والاسهام في بناء صرح الحضارة الانسانية .

نيويورك — فاضل السباعي



سعيد ابو الحسن

سعيد ابو الحسن من خلال شعره

بقلم اسماعيل عامود

* * *

ان الدخول في عالم كاتب متنوع الانتاج الادبي من قصة ومقالة وشعر وخواطر يكون في الغالب صعبا الى حد ما ، وربما خطرا . ذلك عندما يكون القصد من هذا الدخول سبر واقع انتاجه ، ثم اعطاء هذا الواقع درجات معينة ذات ارقام صحيحة ، على ارضية الادب والنقد الادبي معا ، او رصد ما اعطاه — هذا الكاتب — من مواضيع انتجها فكره ، وقدمها الى الحياة الثقافية حتى يتمكن القارىء المثقف او الناقد الادبي من معرفة المكان الذي يقف فيه المؤلف من القضايا الادبية ، والمستوى الذي وصل اليه في سلم الابداع .

وقد لا اكون وجلا او في وضع مربك عندما اتحدث — الآن — عن الاستاذ « سعيد ابو الحسن » بالرغم من انتاجه الادبي المتنوع الاشكال المتعدد الاساليب ان في الشعر او في المقالة او في القصة او في الخاطرة الادبية والاجتماعية والسياسية ... مسافة اكثر من ربع قرن من الزمان ... ذلك لانني عرفت هذا الاديب عن كثب وكان لي شرف النشر في المجلة التي اصدرها — مع لفيف من الادباء والكتاب — في مدينة القامشلي اوائل الخمسينات وكان اسمها « الخابور » ثم قلب اسمها الى « المواكب » كما كان لي شرف اللقاء الادبي معه في دمشق في اوائل السبعينات عندما عين معاونا لوزير الاشغال العامة والثروة المائية في القطر العربي السوري — ولا يزال حتى تاريخ كتابة هذه السطور — تلك المعرفة التي حفزتني ، بل حرضتني ، على الدخول في عالمه كأديب أنتج العديد من القصائد الشعرية ، والقصص القصيرة ، والمقالات الاجتماعية ، والقانونية والسياسية ، والخواطر الادبية ، والترجمات لشعراء فرنسيين نشرها في الدوريات ولا يزال ، واخرج منها في كتب مطبوعة — كما سنرى — .

بيد ان المتتبع لما نشره هذا الكاتب منذ بدايات المرحلة الابتدائية عام ١٩٢٤ — ١٩٢٥ الى يومنا هذا — لا بد له ان يسأل عن تلك الطاقة الفكرية او الكتابية الهائلة التي يختزنها هذا الرجل الفذ في فكره وعقله ، وعن تلك القدرة القوية في الاستمرار بالانتاج الادبي ، وعن هذه الاستطاعة في ولوج اكثر من نوع من انواع الكتابة .

صحيح ، ان هذا الكاتب سعيدا ، لم تتناوله اقلام النقاد — عندنا — عبر اكثر من جيلين منذ بدئه في نشر اعماله على الناس ، كي يصبح من المشهورين جدا . ولم يأخذ حقه من التعميم الادبي في جيلي — الوسط — والمعاصر الراهن ، في الخمسينات وحتى السبعينات القائمة ، فذلك مرده الى ان الرجل ، بتواضعه الجم ، ورغبته في عدم الظهور ، لا يحب الشللية ، ويمقت (العراضات) الادبية ، قد أدى به — اي هذا السلوك الاخلاقي الرصين الرائع ، وهو الذي كان باستطاعته جمع ما يريد حوله من المطبلين والمزمرين — الى هذا الوضع من الشهرة ، شأنه شأن كل عبقري ومخلص يعمل بصمت ويتحرك بهدوء يقينا منه ان — الاعمال الجيدة تبقى وتعيش الى الابد ، ولا بد من يوم سيأتي ومعه الحق والخير والجمال .

وصحيح ان نقادنا العرب — حتى يصلوا الى الحقيقة — لا بد لهم من مسح عام لجميع الاعمال الادبية التي على ارض الوطن ، والا سيظلون في وضعهم الضيق . وان اجادوا بعض الاجادة فيما قدموه عن بعض الاعلام او المشهورين اسميا لكثرة ما رددوا عن اصحابهم والمقربين .. تاركين وراءهم الاعمال الادبية الهائلة التي انتجها اولئك الافذاذ الذين يعملون بصمت وسكون امثال الاستاذ سعيد ابو الحسن .

هذا ، ولما كنت من المهتمين بشعر مرحلة ما بين الجلاءين (جلاء العثمانيين عام ١٩١٨ وجلاء الفرنسيين عام ١٩٤٥) او ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية عن ارض الوطن — العربي السوري — فقد تكشفت لي اعمال ادبية رائعة جديرة بالكتابة عنها تحليلا او عرضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

او تاريخا ، وها أنذا اقدم فخورا هذا الانسان سعيد ابو الحسن الى القراء العرب الاعزاء كشاعر .

.. وحسبي ن اكون قد اديت لرجال المرحلة الشعراء منهم — الآن دينهم الذي علي ، او وفيت حقهم على جيلي من خلال قلمي الضعيف وأملي ان يرضى هؤلاء عن اسلوبي ولكن (هذا سويقي ومنه أجدح — كما في المثل العربي) .

وككل شاب طرير يبدأ دربه في الشعر ، بدأ سعيد ، ففي العام الدراسي في المرحلة الابتدائية عام (٢٤ — ١٩٢٥) دون في دفتره المدرسي أولى أبياته الشعرية ثم تابع في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، اذ كان لبعض اساتذته المشجعين تأثير كبير في توجيهه الى الكتابة امثال الاستاذين : كرم البستاني وفؤاد افرام البستاني ، في لبنان بين عامي (٣٠ — ١٩٣١) الجامعة اليسوعية ، و في المرحلة الثانوية نظم بعض قصائده باللغة الفرنسية .. اما ما يمكنني ذكره هنا — من شعره فهو الذي نشره بدءا من عام ١٩٣٧ في صحف دمشق الدورية بعد ذلك .. وكمرحلة نضالية كانت البلاد العربية السورية واللبنانية تجتازها ضد المستعمر الفرنسي نرى (سعيد ابو الحسن) ينخرط في صفوفها ليكافح ويقاوم بسلاح الشعر ، في اسلوب انساني نضالي يطالب بالحقوق الطبيعية التحريرية وبالاستقلال الشرعي لشعبه :

سح يا دمع ، حطمت كبريائي — حطمتها مآرب الاعداء
كبريائي .. روحي وينبوع شعري — لهف نفسي عليك يا كبريائي
ويح قلب لم يعرف الذل امسى — وهو اللعوبة بكف .....
ويح نفس تروم كل عزيز — ضاق في وجهها فسيح الفضاء
ويح جسم نجا من الداء كبرا — كيف يغدو فريسة الادواء
كبريائي تحطمت ؟ ذا محال — ذاك حلم قد راقه ايذائي
انا ما زلت موغلا في عتوى — انا ما زلت في أعالي السماء
لن ينال الاعداء مني منالا — لن يحطوا من قوتي ومضائي(١)

انها صرخة المظلوم ، ضد المستعمر الظالم ، ضد القهر ، لقد أرادها الشاعر سعيد في البداية ان تصدر ندابة فاختار الدموع كاحتجاج على تحطم كبريائه ولكن ممن ؟ انه العدو الذي أراد لهذه الكبرياء ان تتحطم ؛ وكبرياء من ؟ كبرياء الشاعر الوطنية باحتلال الفرنسيين بلاده في نهاية الحرب العالمية الاولى ، واجتياحهم الارض العربية ، كما اختار الاسلوب الحزين للافصاح عن مرماه ضمن شعور متمرد في تلافيف القصيدة ولكنه مخنوق بسلاسل المحتل ، وتارة متأرجح كألعوبة بكف الاقدار ، وككل مبتدىء شاب لا بد وان ينطلق الشاعر من فرديته ليعبر عن المجموع ، الشعب ، الوطن ، ذلك لان رؤياه للامور لما تتوسع وتأخذ مداها التام بعد ، ولم تتضح التجربة عنده ايضا ، فيأخذ ما هو قريب منه او ملتصق به كقلبه ونفسه وجسمه ادوات ليعبر من خلالها عن مشكلته وتجربته .. وسعيد فعل ذلك في هذه القصيدة ولكن بمستوى مقبول وشبه مقنع ، بيد انه سرعان ما ترك الندب ليقرر في النهاية ان الاعداء لن ينالوا منه — ويعني بلاده — اي منال ما دام قوي الحجة وصاحب حق .. كالوطن .. !

وككل شاعر فتي ، معبأ بالحيوية ، مشحون بالانفعالات ، محمل بالمشاعر القوية والاحاسيس الفياضة نجد سعيد ابو الحسن .. فهو دائما متحفز ، ينتبه الى وضعه كشاب ليستثمره في مجالات خدمة وطنه ، هذا الوطن الذي يريد له السؤدد والمجد ، فيقدم شبابه فداء سيادته وعلاه :

ما شبابي ؟ اذا تماديت في الضعف وصار الخنوع ملء اهابي
ما شبابي ؟ اذا اكترثت لتهديد وأمر من الامور الصعاب
ما شبابي ؟ اذا ثناني عن العزم مصاب يجيء اثر مصاب
ما شبابي ؟ ان لم تكن في عروقي ثورة تغمر الملا بالشباب
ما شبابي ؟ اذا رضيت لنفسي ان تكون السماء فوق طلابي
ما شبابي ؟ ان لم ترافقني الآمال في بسمتي وفي تصخابي
ما شبابي ؟ قولوا اذا حارب الدهر بلادي ولم اضح شبابي
ما شبابي ؟ اذا قضيت ليالي مكبا على الملاهي العذاب
ونسيت الآلام ، آلام شعب يتلوى على ضرام العذاب
ما حياتي ؟ ما لذتي ؟ ما شبابي(٢)

ان سعيدا يؤمن بالادب الذي يخدم الوطن ، الشعب، وليس العكس ، كذلك يجب ان يكون الشكل خاضعا للمضمون وليس العكس ايضا ، فالمضمون هو الذي يحدد شكل التعبير عنه ، فاذا اردنا التعبير عن ثورة عاصفة فاننا نستعمل الفاظا وجملا تختلف عن الالفاظ والجمل التي نستعملها حين نصف نهرا هادئا ، وكذلك حين نعبر عن عاطفة جياشة بقصيدة فان الوزن والموسيقى يأتيان عفوا وبدون قصد مناسبين لحركة النفس التي تكون — عندك مثلا — حين تجسد عاطفتك .. لهذا كان التقيد بوزن وقافية كمبدأ لا يجوز التخلي عنه ، وعد مهذا « التقيد » يرفضه سعيد ابو الحسن .. وهو يرى ان المضمون هو الذي يتطلب وعاءه ، قصيدة او مقطوعة ذات تفاعيل او مقطوعة ذات وتيرة موسيقية معينة ، او مقالة نثرية مكثفة ، حسب الحال ، وهو ايضا يؤمن بوحدة « القطعة » نثرية كانت او شعرية ، قصة او قصيدة او مقالة .. لقد كان يحلو له ان يشبه القطعة الادبية بالكرة المتينة المتماسكة ، اذا ضربت بها الجدار اخترقته ولم تنكسر ، كان يقول لنفسه حينما ينتهي من قطعة رضي عنها : (تستطيع الآن ان ترمي بها الجدار وأنت واثق) .

والسؤال الآن ؟ هل استطاع الشاعر سعيد تحقيق هذا المبدأ ، وهل كيف الشكل لصالح المضمون .. أم انه العكس .. اذن لنقرأ له هذه القطعة الوجدانية التي نجا بها منحى الاسلاف العرب في الاندلس ، بعض الشيء من ناحية الشكل ، واتجه في نظمها جهة الشعراء في المهجر من ناحية المضمون الوجداني مع شيء من الحداثة او المعاصرة بالنسبة للمرحلة التي كان يعيش فيها شاعرا طليعيا آنذاك ، هذه القطعة التي وضع لها عنوان (انا والصوت) أجتزىء منها الآتي لطولها :(٣)

في هجعة الليل الحنون الظليل والكون لاه بمناجاته
الله ، اذ صوت حزين عليل ينغص العيش بآهاته
ويفسد الجو على القانتين
ويحك ، يا صوت ، ألم يكفنا بكاء هذي الانفس الآثمه
حتى أتيت اليوم ذا .. أرضنا تذري بها آهاتك القاتمة
تسترجع النوم من النائمين

الصوت :

يا شاعرا يلصق بالارض ويرضى بالحياة بين البشر
قم وانج من سجنك ، يا شاعر من قبل الفوات قبل السحر
قم وانج واصحبني ، والليل بهيم ، وهات قيثارة الكدر
نرسل في ذا الجو من ألحاننا الخالدات ما يحزن الحجر

الشاعر :

أنا بالارض لاصقا ، انشر الافراح حولي يا صوت أرفع منكا
لست أهوى تلك الاثانية الصفراء حتى اسيح في الجو معكا
لست أرضى بترك اخواني الناس صراعى من النوائب هلكى
بل بشعري الطروب أمسح دمعا وبلحني الشجي أطرد ضنكا

الصوت :

انك يا شاعري لغريب الطباع
كم شاعر جاهل مثلك قد ضاع
حاول تخفيف ما يجري بلا انقطاع
فلم يكن نصيب أتعابه الا الضياع

الشاعر :

ما حاول الشعراء قبلي محو آلام البشر
الا بحزن أو بضعف أو بوصف للضجر
أنا شاعر الافراح والقوة والامل النضر
لا أمسح الدمع بدمع مثله قد انهمر
بل بحواشي النور تبعث في دجى قلب كسير
أنا لا أعزي الضعف بالضعف الكذوب المبتسر
بل ابعث القوة في النفس ، وفي القلب الكبر

ان مثل هذه القطعة كانت تأخذ مجراها بين الناس جودة واتقانا بالاضافة الى ان موضوعها الحواري كان من حيث التجديد خلال المرحلة التي كان يمر فيها الشعر العربي في سورية برتابته وبطئه ، وحيرته بين القديم الذاهب والجديد الوافد ، يعتبر تجديدا مقبولا بل ويصفق له بالاكف ويعلق على صدر قائله الوسام .. ولكننا لو قرانا هذا الشعر ــ ومنه هذه القطعة ــ بثقافة الستينات او السبعينات ــ لما هزنا منه شيء ، بخلاف الموضوع .. الصوت .. ولا ادري لم لم يتعمق سعيد في موضوع الصوت ، والصوت باعتقادي هو اسمى الفنون التعبيرية لان الانسان الاول عبر عن اول احساس اعتراه ب/الصوت .. والطفل الرضيع اول ما يعبر بالصوت .. وبالصوت وحده تلبى حاجاته الملحة ، والحيوان يعبر عن ذاته بالصوت ، والاشياء ايضا ــ حتى الجمادات اذا انهارت او مسها خطب فانها تشير الى (نفسها) بما تحدثه من جلبة ، وصوت .. ولذا نجد ان الصوت ــ هنا في تلك المقاطع لم يكن ليوظف ــ عند الشاعر ــ لصالح التعبير عن الشخصية/الانسان . هل لقصور عند المؤلف في تلك الايام أم لان جيله لم يستوعب مثل هذه الابعاد . لا ادري ... على كل حال فان الشاعر استطاع الى حد ما ان ينجح في حواريته تلك وكان نجاحه اكبر لو استعمل فيها ادوات ومفردات اسلس .. ولذا فان الجواب عن السؤال الذي يطرحه من ان المضمون هو الذي يحدد الشكل ، لم يكن ناقعا ومن ثم موازيا للمبدأ والاعتقاد .. في رأيي هنا .

ولننتقل الى قصيدة تالية ، كان كتبها سعيد ونشرها في ١٩٣٩/١٢/٢٣ بعنوان « فناء » :

يا حياة النفوس ، يا شعلة الحب انيري هذا الوجود ، انيري
كل خيط من نورك السمح ذوب لفؤاد جم الكلوم كسير
أو لنفس نالت مناها فعافت كل حب غير الفناء الكبير

يغمر الحب كل نفس طموح فهو منها بقاؤها والفناء
يهجر الارض والغنى والسكون النذل فالعيش في السكون ارتماء
تتغذى ببعضها وهي تسعى نحو سامي الذرى ولا اعياء
طهرت فهي قطعة من سنا الله وصارت يضيق عنها الفضاء
كلما ارسلت شعاعا مدى الكون وذابت من جسمها أجزاء
أصبحت لا تطيقها أعين الناس وعادت لا تحتويها السماء
فهي في نقصها تزيد سطوعا وهي في سعيها الجهير ضياء
وكمال النفس المحبة حال فذة اسمها العجيب ، فناء

يا حياة النفوس يا شعلة الحب انيري هذا الوجود انيري

اننا نجد شخصية الشاعر وقد تبلورت او هي في طريقها الى ذلك ، لانه اخذ يحيا في دنيا من الحركة والالوان ، شأنه شأن اكثر الشعراء في الثلاثينات ، فقد غطن الشاعر العربي الى مكانه الصحيح من الركب الانساني .. وراح يحيا في عالم يموج بالمشاعر العامة . « متطلع منفتح ، ملهوف الرغبة ، عريض الآمال ، نهم الاحساس ، ظمآن النظر ، طامح الروح ، حار الاشواق . والحياة بدورها تعكس على هذا السائر المشوق صورها على اختلافها فيعكسها في شعره مستغنيا بما فيها من صدق الواقع وحرارة الصدق ونبض الحياة .. »(٤) .

وسعيد ابو الحسن في هذه القصيدة يتجه الى وحدة القطعة ــ الموضوع ، وهذا الاتجاه نادى به الشعراء الجدد « فلم يعد البيت هو وحده القصيدة بل اصبح الشاعر الحديث يؤمن بمذهب علم النفس الذي يرى ان القصيدة تتألف من وثبات لا من ابيات .. »(٥) وهو ــ اي ابو الحسن ــ يؤمن ايمانا قويا بهذه الوحدة ، في الشعر والقصة والمقالة .

كما انه لا يقبل بالادب الجامد الخالي من العاطفة ايا كان الموضوع وله تعبير استعمله كثيرا وهو « فكر له قلب وقلب يفكر » بمعنى ان الفكر لا بد له من عاطفة تدل على ايمان المفكر بما يقول واستعداده للرهان على كل كلمة يقولها كما ان العاطفة ــ في رأيه ــ يجب الا تكون جامحة متجاوزة حدود العقل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا ، كما نجد في « فناء » بعض « التجسيم » وهو من خصائص الاسلوب التي ظهرت في الشعر العربي الحديث . والذين اكثروا فيه هم شعراء لبنان ، ولما كان سعيد من اولئك الذين تعلموا ودرسوا المراحل الاعدادية والثانوية والجامعية في الجامعة اليسوعية في بيروت ، فانه لا بد وان يتأثر باللبنانيين الذين استهوتهم بعض الالفاظ مثل « الصدى الباكي ، الفجر الطري ، الظلمة السكرى » ، وغيرها الى حد الفتنة ، فساق لنا ابو الحسن « السكون النذل » و « العيش المرتمي » ــ هذه الالفاظ التي كان يسميها الياس ابو شبكة ، الالفاظ الجبرانية(٦) .

ويسير سعيد ابو الحسن في درب الشعر جادا تحدوه الامنيات الكثار وتدفعه الرغبات الشعرية لاكتشاف نفسه ووضعها في دائرة الخلق ، وهو المؤمن بأن الادب من معنى الخلق والابداع ولذلك يسمونه « الانشاء » ، والانشاء ــ في نظره ــ هو الخلق من لاشيء ، ومن هنا وجب ان يدل الادب على صانعه ، اي ان يكون للاديب اسلوبه الاصيل الشخصي ، لا يقلد به احدا ، ولا يمكن ان يقلده احد ، ومن هنا قال احد الكتاب الفرنسيين (الاسلوب هو الرجل) ، وهو يؤمن بالالهام ، وبمصادر الالهام ، فالحق ملهم ، والايمان ملهم ، والجمال ملهم ، والبطولة ملهمة ، والشعب ملهم ، والنضال ملهم ، والثورة ملهمة ، ولكن الالهام ذاته يربى ويصقل ، بمعنى ان الالهام يتطلب ثقافة شاملة متجددة تكون ارضية له فتستقبله وتتمثله ، وترده ملونا بلونها حاملا صفاتها ومميزاتها ، تماما كما يستقبل الجسد انواعا منوعة من الطعام فيهضمها ويتمثلها ويحيلها دما ولحما من لحمه ، وعبارة (يتمثلها) بعيدة الدلالة : اي يجعلها مثله ، يجعلها منه ، يجعلها اياه ... والى جانب الالهام وكشيء متمم له ، فان سعيدا يؤمن باللقاح الفكري والعاطفي فحين يشعر ، بشيء من الجفاف او القحط الفكري او الروحي ، تجده ، بصورة لاشعورية ، يأخذ بيده كتابا « نهج البلاغة للامام علي بن ابي طالب » كرم الله وجهه ، او « البيان والتبيين للجاحظ » او كتابا لمفكر او شاعر فرنسي ، او معجما كلسان العرب ، ويطالع صفحة لا على التعيين ، فيزول الجفاف ويتوارى القحط ، وتعود اليه القابلية والرغبة فيتابع ما هو فيه .

وكما ان الشعر العربي الحديث ، احتفل بالطبيعة وازداد قربا منها واحساسا بها وتجاوبا معها « وحاول الشعراء المحدثون النفاذ الى اسرارها المبثوثة في الكون فما يكاد يخلو ديوان من التفاتة اليها او صلاة في محرابها »(٧) فان سعيد ابو الحسن شارك في هذا الاحتفال ، ولم لا ، وهو من معاصري الشعر الحديث ، اذن لنقرأ له هذه القطعة (نشيد السنابل) :(٨)

يا نشيدا ، سنابل الحقل غنته على مسمع الضحى المفتون
رجعته الآفاق ترجيع اعجاب بما فيه من شجى وحنين
وتهادت له الطيور سكارى حالمات بما مضى من سنين
في ربانا سنابل الحقل قالت منشدات في ثورة وجنون
يا عروس الاحلام ، يامنية النفس ، ويا بهجة السنا في عيوني
انت يا مجد امتي مرقص الكون ازدهارا على ممر القرون
عد الينا بالعز يا مجد ، والعدل اعده للعالم المفتون
وابعث الروح في دنى من حديد اصبحت بعد عهدك الميمون
انقذ الكون من دياجير دنيا ما تعزي صارت بغير الانين
يا نشيدا ، سنابل الحقل غنته على مسمع الضحى المفتون

لقد كان الشعر في سورية في المرحلة التي بدأ منها سعيد وهي مرحلة النهضة الفكرية العربية بعد الحرب الكونية الاولى في هذا القرن « يكاد يكون في مدرسة واحدة هي « المدرسة العربية » ف/محمد البزم وخير الدين الزركلي وخليل مردم وشفيق جبري وبدوي الجبل وعمر ابو ريشة ، وعمر يحيى وامجد الطرابلسي وبدر الدين الحامد ، وجميل سلطان ، وسليم الزركلي ، وآخرون في المحافظات دمشق وحماة وحمص وحلب ودير الزور واللاذقية والسويداء ، هم جميعهم من هذه المدرسة على اختلاف فيما بينهم في اصالة الملكة الشعرية وفي نقض الشعور الصحيح في اللفظ الجميل ، وآية ذلك انك اذا قرأت شعر الشاعر من هؤلاء لم يمهر توقيعه في ذيله فلن تستطيع ان تحزر من هو على الضبط قائله لان شخصيات الشعراء في سورية متشابهة في الاغلب الاعم ، قريب بعضها من بعض ... »(٩) ولكننا نجد خلاف ذلك عند شعراء الخط الثاني ــ الشباب في ذياك الزمن امثال : انور الجندي ، سلامة عبيد ، حامد حسن ، نديم محمد ، وصفي قرنفلي ، احمد الجندي ، زهير ميرزا ، انور العطار ، سليمان العيسى ، عبد السلام العجيلي ، بديع حقي ، عمر النص ، احمد علي حسن ، وجيه البارودي ، محمد الحريري ، مدحت عكاش ، رفيق فاخوري ، محي الدين الدرويش .. وآخرون كثيرون .. منهم سعيد ابو الحسن ، ذلك لان هؤلاء الشباب بحكم ثقافة معظمهم الغربية ، وبالاخص منها الفرنسية ، قد نوعوا في موضوعات الشعر الحديث ، فكان لهم الشعر الرمزي ، والشعر القصصي ، والشعر العقلي ، والشعر الفلسفي والاجتماعي والوصفي مستمدين من حركة شيوع العلم الحديث ونظرياته بحكم الحضارة العلمية المادية ، وعلم النفس الحديث وغيره من العلوم العصرية ، افكارهم وموضوعاتهم ... ! فجاء شعرهم متنوعا كثير الاغراض والفنون والالوان .. يسجل اهتزازات النفس وخلجات الروح الداخلية ــ ان صح التعبير ــ حتى انهم عندما كانت الاحداث الوطنية تقع وتجتاح البلاد يلجأون الى الشعر العاطفي او الغزلي او الوجداني ليعبروا من خلاله عن احساسهم بوطأة الاستعمار والكفاح في سبيل الاستقلال .. وما قصيدة « نشيد السنابل » المذكورة لسعيد الا البرهان القاطع والدليل الواضح لهذا اللجوء .. فمن خلال مدلولات كلمات الابيات وايحائها الشعري والنفسي ينفذ الشاعر الى الغاية الكبرى في ان يتخلص الوطن من الاستعمار ويعيد مجده التليد .. بثقة وثبات وتقدم :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هاجمت أوتاري أيا حادثات لا تطمعي انـي عظيـم الثبـات
هاجمتهـا تبقـين تحطيمهـا فحطمتـك النغـم الساحـرات
لـو ساورت آلام هذا الورى قلبـي لعادت كلهـا خائبـات
أو حاولت تغيـير مـا عندنا من مبدأ عادت لـه خاضعات
مـا أنـا ممـن ينثنـون ولا مـن معشر تغريهـم المغريـات
جبالنـا بالمجـد مكسـوة ، وهادنـا تلفـى بنـا شامخات

ـ السويداء عام ١٩٣٩ ـ

لقد آمن سعيد بالالتزام من جميع وجوهه ـ ولم يؤمن بنظرية الفن للفن ، ذلك لانه وجد ان هذه الاخيرة لا تليق بالاديب المناضل ، الاديب الملتزم ، انه وجد في مجتمعه العربي ، بصورة اجمالية ، وفي مجتمعه الريفي ، بنوع خاص ، ان يكون الادب هادفا ، وان يكون له ـ الى جانب وظيفته الجمالية ـ وظيفة تغيير المجتمع ، وظيفة السعي الى حياة افضل ، السعي الى مثل اعلى .. انه يؤمن بالالتزام بأخلاقية معينة ، باعتبار ان الذي يكتب يعتبر مسؤولا عن كل كلمة يقولها ، فلا يجوز ان يدعو ـ الذي يكتب ـ الناس الى النزاهة وهو غير نزيه ، ولا الى الامانة الزوجية وهو غير امين ، ولا الى الصوفية الوطنية وهو غـير وطني .. الى آخر سلسلة الاخلاق العالية التي ترد على لسان الاديب مباشرة او على لسان اشخاص قصصه ، ولسان حال سعيد في هذا كله قول الشاعر :

يـا أيها الرجل المعلم غـيره هـلا لنفسك كـان ذا التعليم

من هذه المنطلقات كانت المواضيع التي عالجها سعيد ابو الحسن سواء في المقالات الصحفية او المعالجات الادبية او القصة القصيرة ، او الشعر ، كانت مواضيع هدفها تغيير المجتمع الـى الافضل ، محاربة الفساد ، تحقيق المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، محاربة التفاوت بين الطبقات ، التمسك بالقيم الاصيلة الدائمة وازدراء القيم المزيفة العابرة . الثورة على التجزئة الوطنية والقومية ، الثورة على العادات البالية ، الانتقال بالوطن والامـة الـى مستوى العصر بقفزات تختصر المسافات والمراحل ...

ان الاديب عند سعيد ان يكون صاحب رسالة ، يسبق زمانـه ويشرف علـى المستقبل بكـل نواحيه الاجمالية والتفصيلية ، لذلك يجب الا يكتفي بوصف ما هو كائن ، بل يجب ان يضيف ما يجب ان يكون برؤية واضحة ورؤيا مستقبلية .

في عـام ١٩٤٣ ـ صدرت اوامـر مـن السلطة الفرنسية ـ وكانت سورية العربية لا تزال ترزح تحت وطأة الانتداب الفرنسي ـ الى الدوريات بمنع نشر اي مقال باسم (سعيد ابو الحسن) في اي مناسبة .. فكتب هذا الشعر الى (قلمه) :

طويتـك في نقمـة الثائـر ومثـل احتضار الهوى العاثر
وكنـت الـوفي وكنـت الصبـور وتعزيـة الخاطـر الحائـر
فجـاروا علـي وجـرت عليـك ولسـت وحقـك بالجائـر
ونحـن علـى موعـد شائـق نعـود ونوقـع بالغـادر
فلست لانسـاك يـا صاحبـي وانـت المجسـم في خاطـري
وانـت الحبيب وانـت الرجاء وانـت السلاح لـذا الثائـر
وانـت الغناء بقلبـي الطروب وانـت الجناح لـذا الطائـر
وانـت الربيع بقحـط الحياة ، وانـت الجمال لـذا الناظـر
لنـا عـودة والفضـاء فسيـح يرحـب بالشاعـر الثائـر
وكـل الانـام لنـا مسعـف فـلا تكـترث للهـوا العابـر

السويدان ١٩٤٣/٥/٧

وبعد ، هذا هو الشاعر سعيد ابو الحسن الذي دخلت عالمه الرحب في هذه الدراسة المتواضعة ، عالمه الشعري فقط ، ذلك لان عالمه او بالاصح محيطاته : من قصة ومقالة وخواطر وآراء ـ وهي كثيرة ـ فتحتاج الى زورق آخر او الى باخرة كبيرة تستوعب اعماله الفكرية العديدة والمتنوعة ، آمل ان احظى بها في مجالات مقبلة .

بقي علي ان اعرف القارىء العربي العزيز بهوية هذا الشاعر الطليعي الذي بدأ خلال النهضة الادبية في سورية بين الحربين الكونيتين .. ولا يزال الى اليوم ينشر انتاجه الادبي في الدوريات العربية :

فقد ولد سعيد ابو الحسن بن محمد ، والدته فهدة المتني ، فجر يوم الاربعاء ٣ ذي الحجة ١٣٢٠ هـ ـ ١٣ تشرين الثاني ١٩١٢ في قرية (عرمان) منطقة صلخد ـ محافظة السويداء ، من اسرة لبنانية الاصل ، ما تزال تقيم حتى اليوم في لبنان ، منطقة المتن الاعلى ـ وكان الجبل (جبل السويداء) يومها يدعى (جبل حوران) وهو اسمه الجغرافي المعروف ثم سماه الفرنسيون (جبل الدروز) بقصد التمييز الطائفي ، ومنذ عام ١٩٣٧ اطلق عليه ابناؤه اسم (جبل العرب) ردا على التسمية الطائفية وهذا هو الاسم الذي يعرف به حاليا في القطر العربي السوري .

بدأ سعيد دراسته الابتدائية الاولية في (كتاب) القرية وكانت مقتصرة على القراءة والكتابة والحساب ، ثم بدأ الدراسة الابتدائية الرسمية من اولها بعدما احدثت المدارس الحكومية عام ١٩٢٢ ، انقطع عن الدراسة عامي ٢٥ ـ ٢٦ و١٩٢٧ بسبب نشوب الثورة العربية السورية عام ١٩٢٥ ، وفي العام ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ بدأ الدراسة الاعدادية ثم الثانوية في الجامعة اليسوعية في بيروت نظرا لفوزه بمنحة دراسية ، حيث نال الشهادة الثانوية ـ قسم الفلسفة عام ١٩٣٦ وانتسب الى معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ايضا ـ وهو فرع من جامعة (ليون) في فرنسا ، ولعدم تمكنه من التفرغ للدراسة عمل بالتعليم من تشرين عام ١٩٣٧ حتى كانون الثاني عام ١٩٤٠ ثم ابعد عن التدريس بأمر من السلطة الفرنسية لنشاطه الوطني ، وحول الى ديوان المحكمة ليعمل (كاتب ضبط مترجم) من ١٩٤٠ الى نهاية عام

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر والقضية

يا أيها الشعر قد غامت مراعينا ... وأظلمت بعد اشراق لياليا

ما الشعر ان لم يكن، والحرب دائرة ... نارا تموج... أعاصيرا... براكينا

ما الشعر ان لم يكن، والركب منطلق ... الا ضميرا أبيا مغضبا فينا

فالشعر أقوى سلاح ، وهو قافلة ... تشجي تراتيلها الصيد الميامينا

الارض أرضي، وأرضي قط ما عرفت ... معنى الهوان، وفي التاريخ ماضينا

الارض أرضي ، وهذي حرة أبدا ... وليأخذ المجد ما يبغي قرابينا

حلب ــ كلية الآداب ... ممدوح مولود

١٩٤٢ ــ نال اجازة الحقوق في شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٢ واثناء دراسته الحقوق انتسب الى معهد الآداب الشرقية في بيروت فحصل في ايار ١٩٤٢ على شهادة خاصة في تاريخ الادب العربي . وبعد حصوله على شهادة الحقوق استقال من الوظيفة ليعمل بالمحاماة بدءا من عام ١٩٤٣ حتى آخر نيسان ١٩٤٨ اذ عين قاضيا (معاون نائب عام) في بلدة القامشلي ــ الجزيرة السورية ــ في تموز عام ١٩٤٩ استقال وعاد الى المحاماة ومارسها في القامشلي حتى عام ١٩٦٠ حيث نقل مكتبه الى دمشق ــ العاصمة وبقي الى ١٩٦١/٢/١٥ حيث عين مديرا للشؤون الادارية في وزارة الاشغال العامة والثروة المائية ــ وفي ١٩٧١/١/١ رقي الى وظيفة معاون وزير الاشغال العامة والثروة المائية وما يزال الى الآن .

اما آثاره الادبية فهي كثيرة منها المؤلف ــ المنشور : بنو معروف بين السيف والقلم ــ طبع في السويداء عام ١٩٤٤ قدم قسم منه كرسالة الى معهد الآداب الشرقية في بيروت عام ١٩٤٢ للحصول على شهادة خاصة في تاريخ الادب العربي ــ ومقالات وقصص نشرتها مجلة المكشوف من ٣٧ ــ ١٩٤٠ ومقالات وقصائد نشرتها مجلة « الاديب » البيروتية من عام ١٩٤٤ الى العام ١٩٧٨ وكذلك فقد نشر بعض انتاجه الشعري في جريدتي الجبل عام ١٩٤٢ ــ والحضارة بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

في عام ١٩٥١ ــ اصدر مجلة شهرية باسم (الخابور) في مدينة القامشلي وهي مجلة قانونية زراعية علمية حيث ظلت تصدر شهريا حتى نهاية العام ١٩٥٥ اذ بدل اسمها فصارت تدعى (المواكب) وكانت تبحث في الآداب والعلوم والاجتماع وتصدر شهرية حيث توقفت عن الصدور في نهاية عام ١٩٥٦ بعد ان صدر منها (١٢) عددا متتاليا . هذا وقد ترجم العديد من قصائد الشاعر الفرنسي الفريد ديفيني ونشرها في مجلة الثقافة التي تصدر حاليا في دمشق ، وكذلك نشر في مجلتي « العربي » و « النهضة » في الكويت الشقيق وفي ملحق العلم الثقافي في المغرب وفي كثير من الدوريات التي كانت تصدر في سورية كالاحرار ، والصباح ، وبردى ، والاخبار ، وصوت الجزيرة ، والنصر ، والايام ، وفي العراق نشر في : الزمان ، وعالم الغد ، وفتى العرب ، والعرب ، والحارس ، والبيان في النجف ، ومجلة التراث الشعبي .. وفي الثلاثينات والاربعينات ساهم في انشاء رابطة الجبل الادبية ...

دمشق ... اسماعيل عامود

المراجـــع :

(١) ــ جريدة « الاستقلال العربي » يوم ١٩٣٨/٧/٧ ــ دمشق وهذه القصيدة كتبت صباح ١٩ حزيران ١٩٣٨ .

(٢) ــ جريدة « الاستقلال العربي » في دمشق عام ١٩٣٨ .

(٣) ــ كتبت في ١٩٣٧/١١/٢٥ .

(٤) ــ من مقالة « خصائص الشعر العربي الحديث » بقلم نعمات احمد فؤاد ــ القاهرة ــ نشرته في العدد الاول من مجلة ــ الآداب ــ البيروتية كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ ــ العدد الخاص بالشعر الحديث .

(٥) ــ المصدر السابق .

(٦) ــ المصدر السابق وكتاب « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » لأبي شبكة .

(٧) ــ نعمات احمد فؤاد ــ مجلة الآداب ١٩٥٥ .

(٨) ــ جريدة « الاستقلال العربي » يوم ١٩٣٨/٧/١٣ ــ دمشق .

(٩) ــ محمد روحي فيصل ــ مجلة اصداء الدمشقية العدد (٨) تاريخ ٢٢ شباط ١٩٤٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة.. وقصة

بقلم رستم كيلاني

لم افق من اثر المخدر الا بعد مضي ساعات من اجراء عملية جراحية في عيني اليسرى ، ولم يخب ظني فقد وجدت نفسي كما خيل لي ، معصوب العينين بالشاش ، ويحيط بي الظلام من كل جانب ، واستبد بي الضيق والضجر ...

وفيما أنا على هذه الحال شعرت بيد رفيقة امسكت بيدي وقالت في صوت هادىء :

— لا بأس عليك .

— شكرا .. من انت ؟

— أنا الممرضة الخاصة بك .. أتريد شيئا ؟

— .. اذا احتجت لشيء فانا طوع امرك وبجانبك جرس يمكنك أن تستدعيني به .

وقبل ان تغادر الغرفة ناديتها . فلبت ندائي قائلة :

— اتريد شيئا ؟

— اعذريني يا آنسة اذا كانت لهجتي معك جافة فأنا كما تعرفين .

فقاطعتني قائلة وهي تربت على يدي :

— تصبح على خير .

— وانت من اهله .

وثقل راسي من أثر التخدير فرحت في نوم عميق .

مضت ثلاثة اسابيع متتالية ترددت فيها اكثر من مرة على غرفة العمليات .. وفي خلال تلك الفترة الطويلة توثقت بيني وبين « سميحة » ممرضتي الخاصة التي تقوم بخدمتي والتي لم ار وجهها بعد صداقة عجيبة ، كان لها صوت حنون عذب شفوق كنت اصغى اليه فأشعر بالامل يغمر نفسي وآمنت بالمثل الذي يقول « الاذن تعشق قبل العين احيانا » .. كنت لا احتمل خلال تلك المحنة اية حقنة من يد غيرها ولا اطيق دواء من يد غير يدها ، كانت تتحمل معي آلامي وتخفف عني سهادي بعبارات رقيقة عذبة ، كما كانت تقضي معظم ساعاتها معي في غرفتي تقرأ لي الصحف . وبعض الكتب .

وتتولى كتابة القصص التي أمليها عليها .

كنت اشعر وهي بجانبي بطمأنينة لم اشعر بها في حياتي ... واستبان لي على مر الايام انني لم اعد اطيق عنها بعدا .

وكانت عشرات الاسئلة تحوم حول ذهني .. كنت اسائل نفسي مرارا .. هل هي تبادلني نفس شعوري ، او انها تقابل حبي بالعطف علي والاشفاق والرافة بي ولم اصل الى جواب الا انه فيما بعد ادركت انها تحبني ...

ولكن كثيرا ما تنتابني الدهشة وأسائل نفسي .. ما هو سر هذا الحزن العميق الذي يغلف فؤادها انها غامضة دائما ، ولما اجهدني التفكير ولم اخرج بنتيجة .. سألتها ذات ليلة ..

— انني اتألم لاني احس بحزنك . فلماذا لا تحدثينني عن سبب هذا الحزن ؟

وصمتت وطال الصمت ولكني احسست بأنها تبكي فتسللت يدي الى يدها وضغطت عليها برفق قائلا لها :

— أنا آسف يبدو انني جددت آلامك ...

— بالعكس سيجيء اليوم الذي ستعرف فيه سبب حزني .. دعنا من هذا الآن .. هيا بنا نكمل القصة .

بهذا كانت «سميحة» تحاول دائما ان تتهرب من تساؤلي بأسلوب رقيق عذب لا يجعلني ألح في سؤالي .

طال بنا السمر والحديث العذب ذات مساء ودقت الساعة تعلن منتصف الليل .. وقالت وهي تقوم من جلستها انها قررت السفر الى بلدتها يوم الاحد يوم عطلتها — وكنا ليلة الاحد وسألتها :

— ومتى تعودين ؟

— صباح الاثنين .

وتركتني .. وشعرت بشيء في صدري وهامس يهمس في اعماقي بأنني لن التقي بها مرة اخرى ...

وجاء صباح ومساء الاثنين ولم تحضر « سميحة » من اجازتها الاسبوعية وتراكمت عشرات الاسئلة امام عيني المعصوبتين ، لماذا لم تحضر ... لماذا ؟ اي شيء منعها عن الحضور ، واحسست بوحشة غريبة تعتصر قلبي ولم أنم هذه الليلة الا بعد اعطائي « حبة منومة » استعفتني بها الممرضة التي تقوم بعمل « سميحة » حتى اكتم بها افكاري السوداء .

وجاء صباح الثلاثاء ولم تحضر كالليلة السابقة ، لقد اختفت فجأة بلا مقدمات .. وانتظرت عودتها ، ولكنها لم تعد .

كنت اسأل يوميا عنها زميلاتها ، او عن عنوانها .. فكان جوابهن بالنفي .

وبعد اسبوع .

حضر الطبيب الى غرفتي ليحل عن عيني تلك الضمادات التي ما ان رفعها حتى وجدت نفسي أرى بعيني اليسرى كاليمنى تماما ، لقد كتب الله لي الشفاء وفرحت لذلك ، وكم كنت أود ان تنفتح عيناي بعد تلك المحنة على رؤياها .

وكتب الطبيب لي تصريحا بالخروج ، فارتديت ملابسي واخذت حاجاتي وودعت الممرضات جميعهن . وكم كنت أود ان تكون معهن « سميحة » .

وعند خروجي من بهو المستشفى وقد أحاطني من كل جانب ابي وامي واختي رأيت ممرضة تجري نحونا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منادية باسمي .. فالتفت اليها وقلت لها :

ـ اتريدين مني شيئا ؟

ولم تنطق ... ولكنها تركت في يدي رسالة وغابت عن وجهي تماما.

ولما وصلت منزلي فضضت المظروف بسرعة وعدت الى الكلمات من اولها ، ورحت اقرأ آخر ما تبقى لي من (سميحة) ..

« عزيزي ...

اكتب هذه السطور وانا في اشد الحاجة الى رؤياك ، لقد حاولت ان احضر في اليوم المحدد ، ولكن شيئا ما جعلني امتنع عن الحضور ربما يكون الخوف الذي جعلني ابتعد عنك وعن مقابلتك ، لا تحنق علي .. لقد خفت ان اواجهك بالحقيقة المرة التي عشت عمري اخفيها ، خفت في بادىء الامر ان اواجهك بها لانني كنت لا احتمل بعد ذلك بعدك عني .

انني اليوم سأصارحك بالحقيقة التي اخفيتها عنك وسأجيب عن سؤالك الذي طالما سألتني عنه ، وما كنت اجيب وهو سبب حزني كنت اتهرب من هذا السؤال ولكن اليوم لن احاول التهرب بعد ان تعرف قصة حزني من خلال سطور هذه الرسالة التي بين يديك الآن .

كان ذلك منذ سنوات ...

كانت لي اخت وحيدة عبث بشرفها ذئب مناها بالزواج ، ولكن هذا الذئب اللعين تخلى عنها فكانت النتيجة الانتحار .. لقد انتحرت وبكيتها كما لم تبك فتاة اختها ، ومنذ ذلك اليوم وقد نذرت ان انتقم من جنس الرجال .

وبدات بالفعل اخوض المعركة فرحت اوقع كل رجل اصادفه في حبائلي واخدعه بحبي حتى يشعر بانني اصبحت ملكا له في حين انني اضمر له في نفسي شرا مثل ما يضمره عدو لعدوه .. وعندما التقي به في خلوة على انفراد اظهر له ضعفي كانثى فيتقدم نحوي ويحاول ان يغلبني على امري .. ولكن هيهات فلا اتركه يلمس من جسدي شيئا ، وعندما يرى مني ذلك الجفاء يحاول ثانيا وثالثا .. ثم يخر تحت قدمي ذليلا معذبا امام كبريائي يبثني غرامه وحبه واخلاصه وكأنه يخدرني بكلماته المعسولة فكان ذلك يزيدني يقظة وانتباها ، وحرصا وانا انظر اليه باحتقار شديد ثم افر من وجهه ساخرة منه وعلى شفتي ابتسامة الانتصار .

ومضيت في هذا الطريق الى آخره .. تنتهي معركة لتبدأ معركة اخرى ، وكنت أجد اللذة في ذلك ، وظللت انتقم من هؤلاء الرجال حتى وجدتك شابا يتمتع بنشوة الحياة .. فحاولت التغرير بك فلم اتمكن من مقاومة طيبتك التي ظهرت في معاملتك لي ، وشفقتك التي غمرتني بها كلما وجدتني ساهمة شاردة الفكر .. لذلك خشيت ان اهدم حياتك تلك كما هدمت حياة غيرك من قبل انتقاما كنت اشعر بقوة تدفعني اليك .. الى حبك وصدقني يا عزيزي لقد احببتك .. نعم احببتك فوق ما يستطيع البشر ان يحب رغم انني عشت حياتي حتى اللحظة التي عرفتك فيها محرومة من الحب وحيدة بلا قلب ، وما اقصر تلك الايام التي عرفتك فيها والتي نعمنا بها ومرت مرور السحاب ...

حقا كان حبي لك اقوى من الحقد الذي ملأ قلبي ...

أعذرني يا عزيزي .. فكلما كنت اراك واتذكر اختي المسكينة يتسلل الى قلبي كراهية الرجال وتغرقه في فيض من الحقد والرغبة في الانتقام فخفت ان انتقم لروح اختي الطاهرة منك .. انت الانسان الذي احببته لذلك حاولت ان اهرب من امامك بل من نفسي ، فكرت في الانتحار فخفت من الله وفي الوقت نفسه خشيت ان اكون قد خدعتك بحبي ، كما خدعت من قبل اكثر من رجل .. وانا لا ارضى لك ان تضحي بحياتك وحبك مع انسانة عاشت فترة من الزمن تعبث بالنار لتنتقم من الرجال ، بل من الذئاب الذين يلبسون ثياب البشر .. فلم أجد اي سبيل الى انقطاع تلك العلاقة الا بأن اختفي من حياتك عاجلا او آجلا من اجل حبي لك ورحمة بمستقبلك .

هذه هي قصتي في سطور .

واخيرا ارجو منك الا تأسف على حبك اياي .. وان تذكرني دائما عندما تأوي الى فراشك تحلم وتتأمل، حتى تسطع شمس النهار وترن في اذنيك زقزقة العصافير فوق الاشجار وهي تستقبل في فرح مولد اليوم الجديد واطلب من الله وقتذاك ان يغفر لي ويصفح عني كما ارجو منك ان تكتب قصتي هذه .. قصة احزاني واخرجها الى النور .. وضعها امام الناس ليقرأوها .

اتمنى لك السعادة ، وارجو لك الهناء ...

« سميحة »

طويت الرسالة في جيبي واخرجت قلمي واحضرت ورقة وبدأت اكتب رسالة وبعد ان انتهيت منها نظرت اليها ثم وضعتها في مظروف ازرق ولم اكتب على المظروف شيئا سوى اسم سميحة ، وبحثت عن عنوانها فلم اجده وجمد نظري فوق المظروف وراحت اناملي تعبث بالرسالة تمزقها .

واحضرت ورقة اخرى .. ورحت اكتب بلا توقف حتى سطعت شمس النهار ورنت في اذني زقزقة العصافير وهي تنتقل فوق اغصان الاشجار من كل جانب تستقبل في فرح مولد اليوم الجديد فانحدرت على الرغم مني فوق خدي دمعة كبيرة من خلف نظارتي السوداء ولم اشعر بنفسي حينما رفعت راسي الى السماء اطلب لسميحة الغفران .

وحينئذ كنت قد انتهيت تماما من كتابة القصة .. قصة احزانها .. واحزاني ..

القاهرة **رستم كيلاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشوة موسيقية

ليلى السايح
الكويت



تعال الى أحضاني
ففي هذا التصعيد السماوي
اراك تقتحم عالمي
ذروة من فرح
كنقرات شجية فوق شراييني
تهزني
تخمر دمي
أصبح فراشة
ترفرف فوق روض من أزاهير الخلود
أسبح في فضاء أخضر
عبر سديم مضيء

*

و .. تخمرت أدمعي
انساب نهر من نشوة كياني
ينقلني الى السماء
اتلاحم مع الطبيعة
أتحول جملة من نغم
تعزف لتجدد وجودي
ينحدر نبع النشوة
أرتعش
ارتعاشة فراشة قرب قنديل
تموت
ولكن ، بلذة
تموت
ولكن ، ذلك الموت المتلىء بالحياة ..
يفرح الحياة كلها
لذة طهور
تعانق طهر الملائكة
تلتحم الطفولة ــ الطبيعة ــ الموسيقى
لتحملني الى غابات منسية
لا يطأها بشر
لا تدنسها يد انسان

*

تعال الى أحضاني
فنشوة الموسيقى تمزجني بك
نصبح ثلاثة
أنت .. أنا .. النغم ..
متحدين ، متفردين
في فضاء أخضر
لا بداية له ..
لا نهاية له ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى فتوح

المعلم جبر ضومط

(١٨٥٩ — ١٩٣٠)

بقلم عيسى فتوح

* * *

ولد في بلدة صافيتا بسورية عام ١٨٥٩ ، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ، عين معلما صغيرا في مدرستها ، لكنه لم يلبث ان غادرها الى مدرسة عبيه العالية في لبنان . وبعد ان امضى فيها سنتين ، انتقل الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) فأقام فيها اربع سنوات ، نال في نهايتها سنة ١٨٧٦ الشهادة العلمية ، ثم توجه الى طرابلس عاقدا النية على ان يتخذ التعليم مهنة لـــه .

تطوع سنة ١٨٨٥ في الحملة البريطانية التي ذهبت الـــى السودان مترجما ، فخبر بنفسه اهوال الحروب الاستعمارية ، ولما عاد من السودان اقام في بيروت يدرس اللغات السامية كالسريانية والعبرانية والكلدانية التي كان يتقنها كالعربية ، ثم وضع كتابه المشهور (الخواطر في اللغـــة)

غادر لبنان الى انكلترا ليدرس اللغات السامية لكنه لم يلبث ان عاد اليه . اذ راى ان وطنه اولى بخدمته من سواه ، فتولى تدريس الصفوف العلمية في مدرسة كفتين الارثوذكسية عدة سنوات ، الى ان دعي عام ١٨٨٩ الى الكلية السورية الانجيلية ليحل محل استاذه وزميله الدكتور يعقوب صروف في التدريس ، بعد ان نقل مجلته « المقتطف » من لبنان الى مصر ، ثم اصبح مديرا للدروس العربية فيها .

نشر ، بالاضافة الى كتابه المذكور ، كتابا في البيان سماه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ، وآخر في النحـــو سماه (الخواطر العراب في النحـــو والاعراب) و (خطاب في اللغة) ، و (فك التقليد في علم الصرف) بالاشتراك مع بولس الخولي ، و (فلسفة البلاغة) واخيرا كتاب (فلسفة اللغة العربية وتطورها) الذي يعتبر اهم كتبه على الاطلاق .

اما المقالات التي نشرها والخطب التي القاها فـــلا تحصى ، وقد امتاز بأسلوبه الجديد في تدريس العربية ، وعدم اتباعه لمن تقدمه من علمائها ، فقد كان يعترض على الكثير من احكامها ، وينتقدها ، ويعيب بعضها ، مستندا الى البراهين الفلسفية واللغوية ، فأحدث ذلك ضجة كبيرة في المحافل اللغوية العربية ، وتصدى له المحافظون بالنقد والرد والتعليق .

قضى العلامة جبر ضومط خمسين سنة في تدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية وغيرها ، فكان حجة في اللغة . واماما في البيان . والمستشار الذي يرجع اليه في المعضلات . درس عليه آلاف الطلبة ، فألف لهم كتبـــا جديدة عصرية في المعاني والبيان والنحو والبلاغة امتازت بأسلوبها العلمي المنطقي ، وكانت هذه العلوم تدرس من قبل في كتب صفراء قديمة ومعقدة . اما اسلوبه في التدريس فكان يقوم على الاكثار من الامثال ، والابتداء ببحث الجزئيات قبل التفصيلات التي اذا قراها الطالب استنتج منها القاعدة .

لـــم يقصر جبر ضومط جهوده على اللغة العربية واشعارها ومفرداتها وقواعدها ، بل ضرب بسهم وافر في سائر العلوم ، ولا سيما في تاريخ العرب والاسلام ، تشهد له في ذلك الرسائل والمقالات العديدة التي نشرها في المجلات العلمية في موضوعات تاريخية شتى ، وكلها بأسلوب مبتكر لا يعتمد على النقل او التقليد ، ولم يطرق موضوعا تاريخيا استوفى غيره بحثه ، بل كان يعمد الى المسائل الغامضة في التاريخ ، فيمحصها ويعمل نظره الثاقب فيها .

تفوق في الحجة والاقناع ، وداب على تحكيم العقل في كل ما يكتب ، فيخرج من الجزئيات الى الكليات بأسلوبه المنطقي السليم .

احب اللغة العربية ، وهام بها الى حد بعيد ، وكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلى

شاهدت ليلى في الظلام حزينة ... وعيونها مذعورة النظرات
فسألتها كم عاشق غنى لها ... وقصائد المجنون كالشذرات
شاخ الزمان ولا تزال كعهدها ... فوق الشفاه ، نقية الكلمات
قالت وآثار الهموم صريحة ... عن نفسها ، تبدو على القسمات
أنظر في المجنون بين ثيابه ... وفؤاده في الحل ، والسفرات
فاذا تغنى صادقا ، واذا هفا ... فالحب مجدول على الخطرات
والنوم لا يأتيه الا زائرا ... مستطرقا في رهبة الفلوات
فاذا رأى ليلاه طيفا عابرا ... عاف المنام وضج بالعبرات
هل فيكم أحد تعلق بالهوى ... وثيابه بالطهر كالعبقات
فأجبت ان العصر غير زمانكم ... ما عاد عذريا بكل صفات
حتى اذا انكشف الظلام تبدلت ... ليلى . وزال الحزن في البسمات
وتباعدت عني يودعها السنا ... وتشير باليمنى مع اللفتات

الكوت ــ العراق — كاظم محمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتفجر غيرة عليها ، وعلى كل ما هو وطني او عربي او شرقي . وكان يعتقد ان اللغة كائن حي يجب ان تنمو بنمو ابنائها ، وان معاجمها تتسع ، واساليب التعبير تتعدد كلما اتسع افق ادراكهم ، وتعددت وجهات نظرهم في الحياة ، فتخرج اللغة حينئذ عن كونها احد المتحجرات التي تصلح لان تحفظ في المتاحف ، وتستخدم في قضاء حاجات النفس ، والافصاح عن معاني الحياة .

وكان لا يرى بأسا في التساهل ببعض الحركات الصرفية والاعرابية ، وفتح ابواب الاشتقاق والقياس على مصراعيه ، وتطبيق قاعدة النحت للعبارات المركبة ، فاللغة يجب ان تتكيف مع متطلبات العصر .

ومما يدعو للاسف انه لم يؤلف عن هذا العلامة حتى الآن اي كتاب يدرسه دراسة علمية وافية ، ويقف عند بحوثه اللغوية المتطورة التي سبق فيها علماء زمانه ، ولا يسعني الا ان اذكر طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية ــ ولا سيما المهتمين بقضايا اللغة وفلسفتها ومقارنتها بأخواتها السامية ــ بهذا الرجل الفذ الذي انجبته صافيتا ، وكان رائد علمائها ، واول مثقفيها الذين تعتز بهم ، وتفاخر بأمثالهم ، ولذلك تألفت لجنة في كل من دمشق وصافيتا قوامها الدكتور جورج جبور ، والاستاذان عيسى فتوح ، وعبد العزيز دقماق مدير المركز الثقافي العربي في صافيتا ، لاقامة اسبوع ثقافي عنه في العام الجاري ، بمناسبة مرور نصف قرن على وفاته ، وقد أجرت اللجنة اتصالات واسعة بوزيرة الثقافة ، ورئيس مجمع اللغة العربية ــ الذي كان عضوا فيه ــ والرفيق جورج صدقني عضو القيادة القومية للاعداد لهذا الاسبوع ، والسعي لتأليف كتاب عنه ، فترجو اللجنة من المهتمين به ، ويودون المشاركة بهذا الاسبوع ، الكتابة الى الاستاذ عيسى فتوح لتنسيق العمل ، علما بأنه لم يحدد موعد هذا الاسبوع التكريمي بعد ، ونرجو من الاستاذ اميل جبر ضومط الاتصال باللجنة ليأتي العمل متكاملا .

٤٨ قصور ــ كزبرى ــ دمشق — عيسى فتوح



من معجم المتنبي

تاليف الدكتور ابراهيم السامرائي — ٢٥٨ صفحة — منشورات وزارة الاعلام العراقية — دار الحرية للطباعة — بغداد — ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

بينما كنت في آخر الربيع الماضي ١٩٧٨ استجم نفسي من ارهاق عنيف نزل بي ، بعد عمليتين جرحيتين ، واريح قلبي ليصبح قادرا على تحمل العملية الثالثة ، ثالثة الاثافي ، اذ حمل الي البريد المسجل كتاب الاديب الكبير ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، الاستاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد ، وهو حبيب الى لبي ، لانني أجد في مقالاته في مجلات المجامع اللغوية العربية ، غذاء ترحب به النفس ، وترتاح له الروح ، لانه — على ما يخيل الي — صافي السريرة ، نقي القلب ، فتاتي عباراته واضحة مثله .

تناولت كتاب « من معجم المتنبي » ، الذي ألفه هذا الاديب اللغوي النابه ، لاقرأه ، على ان لا تتجاوز قراءتي اليومية فيه ساعة من الزمن ، لم يسمح لي الاطباء باكثر منها ، فاذا بي لا أترك هذا المعجم النفيس حتى وصلت الى آخر كلمة فيه . فآليت ان اجعله احد مصادر معجمي الجديد « معجم عثرات الادباء » ، الذي سيباشر بطبعه قريبا ، بعد ذكر بعض المواد ، التي بحث فيها الدكتور السامرائي بحثا شاملا .

قال ان جمع المتنبي اسم الجمع (ابل) على (آبال) ، في قوله من قصيدة يمدح بها أبا شجاع فاتكا :

تجري النفوس حواليه مخلطة منهـا عداة ، وأغنام ، وآبال

لم يرد في المعاجم ، التي بين أيدينا ، عدا « التهذيب » للازهري ، لان (ابل) هو اسم جمع .

وحاول المؤلف ايجاد عذر للمتنبي ، لجمعه الابل على : آبال ، فوجد له عذرين ، هما الضرورة الشعرية ، وعطفها على (أغنام) وزان (أفعال) .

وفي الحقيقة كان المؤلف الفاضل في غنى عن اختلاق هذين العذرين ، لان خمسة عشر مصدرا — عدا الازهري — قد جمعت الابل على : آبال ، هي : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، والقاموس ، والتاج الذي استشهد بقول الشاعر :

وقـد سقـوا آبالهم بالنـار والنار قـد تشفي من الاوار

والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

ويقول التاج : تسكن باء (ابل) للتخفيف على الصحيح ، كما قال الصاغاني وابن جني .

وجوز كراع ، والمصباح ، ومحمد الفاسي ان تكون ابل (بتسكين الباء) لغة مستقلة .

ويخطا السامرائي ، لانه اورد كلمة (أول) في فصل الهمزة وباب اللام ، لان الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، اوردوها في مادة (وأل) .

ويذكرها الراغب الاصفهاني في مفرداته ، والمتن ، والمعجم الكبير في كلتـا المادتـين (وأل وأول) .

ولتعليل ذلك قال اللسان : « فمنهم من يقول : (أول) تاسيس بنائه من همزة ، وواو ، ولام ، ومنهم من يقول تاسيسه من واوين بعدهما لام ، ولكل حجته » .

وقال المصباح : ان اصل أول هو وول (بفتح فتضعيف) او أعول (بفتح فسكون ففتح) ، لكنه ذكر ذلك في حرف الهمزة .

وقال التاج : « في أصله اربعة أقوال هل هو (أوأل) على أفعل أو فوعل ، أو (ووأل) بواوين ، أو (فعأل) ، وصحح أقوام (أوأل) لجمعه على أوائل ، وله ثلاثة استعمالات أو اربعة .

ويقول الوسيط : أصلها (أوأل) أو (ووأل) .

ويؤيد السامرائي بذكر هذه المادة منفردا في (أول) كل من معجم القرآن الكريم ، والتهذيب ، والاساس ، والنهاية ، والمصباح .

وقال الراغب الاصفهاني ان ذكرها في (أول) افصح ، وقال المتن ان ذكرها في (وأل) ، اعتمادا على ان اصلها هو (أوأل) ، هو قول ضعيف .

ولكن الدكتور السامرائي لم يذكر سوى جمعين اثنين لكلمة (أول) هما : أوائل و أوالي ، مع ان هنالك ثلاثة جموع آخر ، هي :

(أ) الاولون : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(ب) والأول (بضم ففتح) : قال بشير بن النكث (بكسر فسكون) :

عـود على عـود لاقوام أول يموت بالترك ، ويحيا بالعمل

وقال المتنبي الذي كان ديوانه المحور الذي دار حوله كتاب السامرائي (من معجم المتنبي) :

ليـت المدائح تستوفي مناقبـه فما كليب وأهل الاعصر الاول

وممن ذكر الأول (بضم ففتح) ايضا : التهذيب ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمعجم الكبير .

(ج) والألى ، قال ابو تمام :

ان القوافي والمساعي لم تزل مثل النظام اذا أصاب فريدا
من أجل ذلك كانت العرب الألى يدعون هـذا سؤددا مجدودا

أراد الأول (بضم ففتح) فقلب .

وممن ذكر الألى ايضا : اللسان ، والتاج ، والمعجم الكبير .

وقد احسن المؤلف الفاضل حين ذكر ان كلمة (بطحه) ، التي يظنونها عامية ، هي فصيحة ، واستشهد ببيت المتنبي :

يخطو القتيل الى القتيل أمامه رب الجواد ، وخلفه المبطوح

ثم قال ان الفعل (بطحه) اليوم ، هو من اقوال العامة وحدهم . والحقيقة هي ان كثيرا من الادباء المعاصرين يستعملون الفعل (بطحه) ، وحسبنا استعمالنا كلمة البطحاء اليوم ، عانين بها المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار . وشبيهة بها كلمة الدقعاء ، التي تعني التراب او الارض التي لا نبات فيها . وهذا جعلنا نقول : فقر مدقع ، اي يرمي صاحبه على الارض من شدة الجوع ، الذي يجعل المرء غير قادر على النهوض .

اما الذين ذكروا ايضا ان الفعل (بطح فلانا) معناه : ألقاه على وجهه ، فكثيرون ، منهم الخليل بن احمد الفراهيدي ، والليث بن سعد ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمغرب ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ودوزي ، والمتن ، و « من معجم المتنبي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما أجاد الدكتور السامرائي انتقاءه لمعجم المتنبي من ديوانه ، استعمال شاعرنا الفعل (بقى) بفتح ففتح ، بدلا من (بقي) بفتح فكسر ، في قوله :

فتعطي مـن بقي مالا جسيما وتعطي من مضى شرفا عظيما

وممن استعمل الفعل (بقى) قبل المتنبي ، زيد الخيل الطائي ، القائـل :

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقى على الارض قيسي يسوق الاباعرا

والفعل المقصور (بقى) هـو لغة طيء ، التي تجعل الافعال المنقوصة بقي ، ورضي ، وفني وأشباهها ، افعالا مقصورة : بقى ورضى ، وفنى .

ويقول السامرائي : « يبدو ان الشعراء التزموا بهذه اللغة (بقى) ، كلما اضطرهم وزن الشعر الى ذلك ، وان لم يكونوا من طيء .

اما الذين اجازوا استعمال الفعلين المقصور (بقى) ، والمنقوص (بقي) كليهما ، فمنهم : الجامع للكرماني ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وقد اختلفوا في كتابة الفعل المقصور (بقى) ، فبعضهم كتبه بالالف المقصورة بقى : التهذيب ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والقاموس ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وكتبها بعضهم بالالف الممساء (التي يسميها بعضهم صحيحة) بقا : الصحاح ، والمختار ، والمصباح ، والتاج .

وقد اجاز مد القاموس كتابتها بالالف المقصورة والممساء كلتيهما ، ويرى ان كتابتها بالمقصورة (بقى) أعلى .

وأرى ان نكتفي بالفعل المنقوص (بقي) في نثرنا ، وان نحجم عن استعمال المقصور (بقى) في شعرنا الا اذا فرض الوزن علينا ذلك .

واحسن السامرائي ايضا ، حين ذكر ان الفعل (تفل) بمعنى : بصق ، ليس من اقوال العامة فحسب ، بل هو فصيح ايضا ، ويستشهد بقول ابو الطيب :

لـولا الجهالة مـا دلفت الى قـوم غرقت ، وانمـا تفلوا

اي : لولا جهلك ما تعرضت لقوم يهزمونك بادنى قتال ، لانهم — لكثرتهم — لو تفلوا عليك لاغرقوك .

وقد روى السامرائي بيت المتنبي بتاء المتكلم (دلفتُ) و (غرقت) ، والصواب : بتاء المخاطب (بفتح التاء) ، كما يقول اليازجي والبرقوقي شارحا ديوان المتنبي الشهيران .وليس شرح ديوان المتنبي لابن جني في متناول يدي ، لاذكر ما جاء فيه . ولعل الدكتور السامرائي يرشدني الى المصدر ، الذي نقل منه هذا البيت .

وممن ذكر ايضا ان الفعل (تفل) معناه : بصق : التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد معجم مقاييس اللغة بقوله : « تفلت بالشيء : اذا رميت به من فمك منكرها له » .

ولا اوافقه على ذلك ، لان الاساس ، والنهاية ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط تقول ان الصواب هو : تفل الشيء .

واجاد المؤلف حين قال ان استعمال الفعل حبه بدلا من (أحبه) شاذ ، وذكر ان المتنبي استعمله في قصيدة ، قالها في مـدح كافور الاخشيدي ، وجاء فيها :

حبيتك قلبي قبـل حبك من نأى وقد كان غدارا ، فكن أنت وافيا

وقد سبق السامرائي الى ذلك الاعلام والمعاجم الآتية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وسيبويه الذي قال ان كلا الفعلين بمعنى ، والفراء (لغة) ، وشمر بن حمدويه (لغة) ، والمبرد ، والتهذيب (لغة) ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار واللسان (لغة) ، والمصباح والقاموس (شاذ) ، والتاج (لغة شاذة) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (شاذ) ، والوسيط (قليل الاستعمال) .

اما أنا فلا أرى فرقا كبيرا بين حبه وأحبه ، لان حبه القليل النادر الشاذ ، يكون اسم المفعول منه هو الفصيح المشهور (محبوب) ، بينما اسم المفعول من أحب : (المحب) هو النادر الشاذ . قال عنترة :

ولقد نزلت — فـلا تظني غيره منـي بمنزلـة المحـب المكرم

وكلمتا المحب الاخيرتان هما بضم ففتح فتضعيف .

والفعل (خلى) بفتح فتضعيف فالف مقصورة ، الذي استعمله المتنبي بمعنى (ترك) ، بقوله :

وخيال جسم لم يخل له الهوى لحما ، فينحله السقام ، ولا دما

يقول السامرائي : « ان هذا الفعل (خلى) بمعنى (ترك) ، أوشك ان يزول من الفصحى في عصرنا ، ولا تستعمله الا العامة . ومعناه في الفصحى اليوم هـو بمعنى : اخلى الدار ، اي جعلهـا خالية » . والحقيقة هي :

(أ) انفرد الدكتور السامرائي بقوله ان جملة (خلى الدار) تعني : اخلاها ، وقد عدت الى الصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ، فلم اجد واحدا منها ذكر ان جملة خلى (بتضعيف اللام المفتوحة) الدار تعني : اخلاها .

(ب) اجمع هؤلاء على ان جملة : خلى الامر ، تعني تركه .

وفي حديث ابن عمر في قوله تعالى : (ليقض علينا ربك) ، قال : فخلى عنهم اربعين عاما ، ثم قال : اخساوا فيها ، اي تركهم ، واعرض عنهـم .

(ج) لا يزال كثير من الكتاب والشعراء المعاصرين ، في البلاد العربية كافة ، يستعملون الفعل خلى بمعنى : ترك .

واحسن السامرائي بقوله : ان كلمة (الدون) بمعنى الخسيس الحقير ، التي تستعملها العامة هي فصيحة ايضا ، واستشهد بقول المتنبي في قصيدته التي مدح بها أبا الفرج احمد بن الحسين القاضي المالكي :

ولست بدون يرتجى الغيث دونه ولا منتهى الجود الذي خلفه خلف

ومعناه : الجود مقصور عليك ، لا يرتجى دونك ، ولا يتجاوز عنك .

وممن ذكر ايضا ان (الدون) تعني الخسيس الحقير : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والفراء ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

واستشهد الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، ومحيط المحيط بقول الشاعر :

اذا مـا علا المرء رام العلاء ويقنع بالدون مـن كان دونـا

ويقول السامرائي ان كلمة سواسية كانت تعني التساوي في الشر ، ويستشهد بما قاله ابو عمرو الشيباني :

وكيف ترجيها وقـد حال دونها سواسية لا يغفرون لهـا ذنبا

ويقول السامرائي ان الذي روى هذا البيت هو ابو عمر ، والصواب هو : ابو عمرو الشيباني ، لاننا لا نعرف بين الرواة من كنيته : ابو عمر .

ونقل انشاد ابن بري لذي الرمة :

ولولا بنو ذهل ، لقربت بينكم الى السقوط اشياخا سواسية مردا

اي : لضربتكم ، وحلقت رؤوسكم ولحاكم .

ولكن : جاء في معجمي الاول « معجم الاخطاء الشائعة » ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الناس كلهم سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لعربي ولا لعجمي ، وانما الفضل بالتقوى . وهذا يدل على ان كلمة سواسية يجوز ان تستعمل في الخير ايضا ، لان التحلي بالتقوى خير عظيم .

والنبي سبق عصره عصور جميع الذين استشهد السامرائي باقوالهم من اجدادنا ، وهذا يرينا ان استعمال سواسية في الشر والخير كليهما ، كان منذ القديم ولا يزال الى الآن ، واشهد ان استعمالها في الشر كان اعلى ، ولا يزال .

ويحذرنا الصحاح ، والعباب ، والمختار ، واللسان من ان نقول : شلت (بكسر الشين) الشيء ، بمعنى : رفعته . ويقول المتن ان شال الشيء يشيله هو من اقوال العامة . ويرى الدكتور السامرائي انه من اقوال العامة في العراق ، وربما كان من اقوالهم في غير العراق .

ولكن :

هنالك من يقول ان الصواب هو : شال بالشيء او الشيء (بفتح الهمزة) يشوله ، وانا شلت به وشلته (بضم الشين فيهما) ، وهم : العباب ، واللسان ، والمصباح (شلت به افصح من شلته) ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن (كالمصباح) ، والوسيط .

وهنالك من اكتفى بذكر شلت (بضم الشين) به : الصحاح ، والمختار ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط .

اما المتنبي في قوله :

أمرت بان تشال فارقتنا وما المست لعادتة الفراق

فقد يكون الفعل المبني للمجهول (تشال) من : شال يشول او شال يشيل . وعندما علق السامرائي على هذا البيت في كتابه « من معجم المتنبي »، لم يشر الى اصل عين الفعل (شال) .

ويجيز آخرون يشيل به ويشيله بمعنى يرفعه : مستدرك التاج (لغة رديئة) ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد (لغة رديئة)، والوسيط .

ونستطيع ان نقول ايضا : اشلت الشيء : رفعته .

هذا ما عن لي انتقاؤه من مواد هذا المعجم النفيس الدسمة ، التي جعلتني اختاره مصدرا من مصادر الكتب ، التي اعتمدت عليها في تاليف معجمي الثاني « معجم عثرات الادباء » ، كما ذكرت في صدر هذه الكلمة .

وختاما أحيي الدكتور السامرائي تحية ادبية ابوية ، في هذا اليوم الذي دخلت فيه عامي السابع والسبعين الميلادي ، واشهد انه كان كالنحلة ، لانه استطاع ان يشتار خير ما في ديوان المتنبي من زهر ، فسكبه عسلا في كتابه « من معجم المتنبي » ، الذي ارجو ان اكون أنا قد احسنت بدوري الاختيار منه ، كما احسن المؤلف الاشتيار .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني ــ رقم ٣

محمد العدناني

* * *

الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة

تاليف فوزي عطوي ــ (؟) صفحة ــ دار الكتاب العربي في بيروت ــ ١٩٧٩

شرعت في مطالعة هذا الكتاب ، والاوضاع المحزنة التي آل اليها المجتمع اللبناني ، ومن ورائه المجتمع الانساني عامة ، تذكرني بكل انواع الاجتماع الانساني التي اشار اليها ابو نصر الفارابي ، ما عدا اجتماعا واحدا هو الذي تمثله « المدينة الفاضلة » او الذي مثلته من قبل « جمهورية افلاطون » ، فقلت في نفسي : انها لشجاعة متناهية من صديقنا الدكتور فوزي عطوي ، مؤلف « الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة » ان يتصدى لموضوع مثالي ، كهذا الذي تصدى له ، في زمن كادت تضيع فيه المثاليات ، فيما تقلقلت قيم الانسان ، وتزعزعت مقاييسه وموازينه .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة ، اذا نحن قررنا ، منذ البدء ، ان هذا الكتاب يستطيع ان يؤدي دور الكتاب الرائد ، ليس في موضوعه وحسب ، بل في مجال التصدي لمؤامرة اسقاط الانسان خلال هذا الزمان ، في كل مكان تسنى لناسجي خيوطها ، ان يحيكوا النسج ، وان يعقدوا من شؤون الناس ما كان شانه ان يبسط ، وان يفجروا من مكامن النفوس ما كان حقه ان يهدأ ويتئد .

لقد عرفنا ، قبل اليوم ، ما اتصف به المؤلف الباحث ، من نزاهة البحث الحقوقي فيما صنفه من دراسات ومحاضرات ، في النظم الادارية والدستورية والسياسية ، وفي القانون الدولي العام ، وفي التشريع المضربي ، كما عرفنا فيه الثاني في التاليف الادبي ، على كثرة ما الف في هذا المجال ، شعرا ، ونثرا ، وتحقيقا وتعريبا ، فكان ادنى ما يستحقه مهاجه الاكاديمي المتزن من تقدير ، ما قدمه له لبنان وفرنسا حين نال وسام الارز الوطني ، ووسام الانجازات الانسانية الفرنسي .

واذا كان من حسنات هذا الكتاب ، انه يعكس تجربة مؤلفه ، واضطلاعه بتدريس تاريخ الفلسفة العربية ، فان محاولة تبسيط الاسلوب في ايضاح النظريات والنصوص الفلسفية هي رأس المزايا التي تيسر على القارىء غير المتخصص في الفلسفة ، سبيل استيعاب ما قد يستغلق عليه من آراء الفارابي ، فضلا عما تيسره الخطة الرشيدة التي التزمها المؤلف حين جعل لكل فصل من فصول الدراسة ، فصلا رديفا يرتكز على الاستشهاد بالنصوص الفارابية المقتبسة من مصنفاته ، والمتعلقة بالموضوعات الرئيسية التي تدور عليها دراسات هذا الكتاب ، فان مثل هذه الخطة تحرص من جهة على امانة البحث الفلسفي ، والعلمي اجمالا ، كما تحرص من جهة ثانية ، على ارضاء اذواق المتخصصين في هذا العلم ، وبذلك يكون المؤلف قد ادرك الغايتين معا ، ويسر لكتابه ان يصل الى اوسع قطاع ممكن من قراء العربية .

واقد احسن المؤلف الدكتور فوزي عطوي صنعا حين اورد التفاصيل الضرورية المتعلقة بالمحاولة التوفيقية التي قدمها لنا الفارابي ، عندما اتجه نحو الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون وارسطو ، اذ توصل المؤلف الى الاستنتاج المنطقي بان استناد الفارابي الى كتاب « الربوبية » الذي وضعه افلوطين والذي نسب الى ارسطو خطأ ، جعله يصل الى النتيجة غير السليمة لان منطلقه كان منطلقا فاسدا ، هذا فضلا عن تنويه المؤلف ، في غير ما موضع من الكتاب ، بالصعوبات التي اعترضت الفارابي ، وهو يقوم بذلك المحاولة التوفيقية ، كما هو الامر بالنسبة لنظرية المثل « لان فلسفة افلاطون تدور حول هذه النظرية ، بينما فلسفة ارسطو تسخر من النظرية وتسفهها ، ولا سيما في كتاب « ما بعد الطبيعة » على حد تعبير المؤلف .

وكان من حسنات هذا الكتاب ايضا ، ان مؤلفه حاول الاحاطة بمختلف جوانب الفكر الفارابي ، فلسفة ، ومنطقا ، واخلاقا ، وسياسة ، فلم يقصر بحثه حول فكرة واحدة او حول كتاب واحد من كتب ابي نصر ، بل قدم للقارىء صورة تكاد تكون كاملة ، عن اهم الخطوط الرئيسة والاتجاهات الفكرية التي تميز بها « المعلم الثاني » . وفي مقدوري ان اذهب الى ابعد من هذا المدى ، بعد ، فاقرر ان استناد المؤلف في بحثه عن السياسة المدنية ، لدى الفارابي ، الى كتابيه « آراء اهل المدينة الفاضلة » و « رسالة في السياسة » التي اصدرها الاب لويس شيخو عام ١٩٠٨ في مجموعة بعنوان « مقالات فلسفية قديمة » ، وطبعها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت يدل على ما يتصف به المؤلف من بعد النظر ، ورجاحة الرأي ، في الربط المحكم ما بين المجتمع والسياسة ، لا سيما وهو القائل في مقدمة الفصل الذي يحمل عنوان « المدينة الفاضلة ومضاداتها » ان « السياسة ، في الاصل ، هي فن ادارة المجتمع ، وفق اصول وشرائط تنتهي به الى حياة فضلى » . فضلا عن بلوغ المؤلف محجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصواب في البحث ، حين ابرز النواتيء والتناقضات ، في مواقف الفارابي من خلال المصنفين الشهيرين .

واذا كان ما ذكرته ، الى الآن ، هو بعض حق المؤلف علي وعلى القارىء ، في آن معا ، فان بعض حقي ، وبعض حق القارىء معي ، على المؤلف المستمسك بعرى الدقة ، والعمق ، والاتقان ، في البحث المنهجي ، ابداء اعتراض ارجو الا يساء فهمه من جانب من ينبغي ان يفهموا الاعتراض حق فهمه ، وان كنت على ثقة مطلقة بان المؤلف كان في غنى عن مثل هذا الاعتراض ، وهو الحريص منذ فاتحة الكتاب حتى نهايته على استكمال مسيرة التصدي لمؤامرة اسقاط الانسان ، خلال هذا الزمان ، كما نوهت في اوائل سطور هذه الكلمة .

كنت اتمنى على المؤلف لو انه اسقط من كتابه النص الفارابي المتعلق بعلاقة المرء بالرؤساء (البند الثالث من فصل « السياسة والاجتماع ») . وما احسبني في حاجة الى التبسط في هذه النقطة اكثر مما فعل الفارابي نفسه ، او اكثر مما فعله المؤلف حين اثبت النص المعترض عليه ، في كتابه وعلق عليه مفندا ، وحسب القارىء الذي يطالع ذلك النص ان يدرك ما فيه من دعوة فارابية الى التزلف ، والمصانعة ، والرياء والتذلل المريض ، وهي دعوة لا تأتلف مع مجمل فلسفة الفارابي ومنحاه الاخلاقي ، في حال من الاحوال .

واني منذ هذه اللحظة ، اكاد اسمع ردا مقبولا من المؤلف الصديق ، بان امانة البحث العلمي ، تقتضي ابداء ما للشخصية الفلسفية وما عليها ، لكن المهمة الصعبة التي اصطفاها لنفسه ، وهو يضع هذا الكتاب القيم في ظروف زمانية ومكانية شديدة الصعوبة والتعقيد ، تجعل رده المقبول موضعا للنقاش والجدال .

لا يبدلان شيئا فيما يستحقه الكاتب من التقدير ، لقاء الجهد الملحوظ الذي بذله في الدراسة ، والتحليل والمقارنة ، والنقد ، والاستنتاج المتئد المتزن . وللمؤلف الصديق امتنان المكتبة العربية اذ يستمر في اتحافها بالجيد الجديد من انتاجه الفكري .

صبحي المحمصاني
مدير كلية الآداب والعلوم ... في الجامعة اللبنانية

* * *

رسيس الحب

شعر فطينة النائب ـ وزارة الثقافة والفنون ـ ١٠٢ صفحة
دار الحرية للطباعة ـ بغداد

الرومانسية عمل محبب في شعر المرأة لانها تحس بالحياة اح... روحها بالحب والجمال والفرحه فهي تعشق الزهرة الندية في البراعم والموجة المترقرقة في النهر والضحكة المعبرة على شفاه الاطفال .

وفطينة النائب شاعرة رومانسية كانت تنشر قصائدها في الخمسينات ثم اختفت الى ان ظهر صوتها في ديوانها الذي اصدرته وزارة الثقافة والفنون « رسيس الحب » .

يضم الديوان اثنتين واربعين قصيدة موزعة على مائة وصفحتين نقول من قصيدة لها بعنوان « الموعد » :

اسكب الحب شرابا عطرا ... واسقني منه كؤوسا مترعات
خمرة تنسي فؤادي الحذرا ... وبها نرتاد أعماق الحياة
نشوة تنسيك ما قبل جرى ... وبها نغرق ما بالامس فات
فاذا ما كنت تخشى الخطرا ... فارتشفها ثم دع لي قطرات

تصميم الغلاف نضال الآغا ... التصميم الداخلي محمد هاشم .

الكوت ـ العراق — كاظم محمد حسين



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في انحاء مختلفة : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

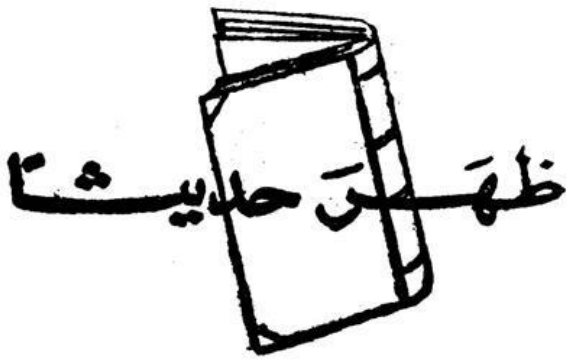
الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● دنيا الحكايات ـ تاليف انجل كارايتف ـ ترجمة عيسى فتوح ـ الغلاف للفنانة بتول ملاطيه لي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة دار الثقافة بدمشق .

● صفحات من لبنان ـ تاليف جوزيف نعمة ـ الجزء الاول ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ازهار برية ـ تاليف عبدالله كنون ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة ديسبريس في تطوان بالمغرب .

● الوان والحان ـ مجموعة شعرية ـ زكي قنصل ـ ٢٥٦ صفحة دار ميسلون للطباعة والنشر في بوانس ايرس بالارجنتين .

● في قلب المأساة ـ تاليف فاضل سعيد عقل ـ ١٦٨ صفحة ـ مطابع العقل في بيروت .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ـ تاليف فؤاد مطر ـ الجزء الاول : الشرارة ـ الطبعة الثانية ـ ٢٣٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ دار القضايا للنشر (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ـ تاليف فؤاد مطر ـ الجزء الثاني : المخاض ـ ١٧٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ دار القضايا للنشر (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سقوط الامبراطورية اللبنانية ـ تاليف فؤاد مطر ـ الجزء الثالث : الانقسام ـ ٣٠٤ صفحات ـ مع عدة صور ـ دار القضايا للنشر (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ لبنان الحديث ـ تاليف الدكتور كمال الصليبي ـ الطبعة الرابعة ـ ٢٧٢ صفحة ـ دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ـ تاليف الدكتور يوسف الحوراني ـ ٤٣٠ صفحة ـ دار النهار للنشر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصص من بلدي ـ تاليف مقبولة الشلق ـ المقدمة بقلم سعد صائب ـ صممت الغلاف السيدة اسماء الفيومي ـ ١٢٠ صفحة ـ المطبعة العمومية بدمشق .

● عظماء بلادي : محمد علي الحامي ـ تاليف رشيد الذوادي ـ ٤٨ صفحة ـ دار النجاح للطباعة والنشر في تونس .

● يوميات اندلسية ـ تاليف ماجد ذيب غنما ـ ١١٢ صفحة ـ الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان الاردن .

● مع الشعراء : دراسات وخواطر ادبية ـ تاليف محمد بن علي السنوسي ـ ١٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات نادي جازان الادبي بالسعودية ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

● الحان الغروب ـ شعر ـ الياس قنصل ـ صمم الغلاف نعيم اسماعيل ـ ١١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ـ دار الانوار للطباعة في دمشق .

● سيمفونية البكاء والفناء ـ شعر ـ صلاح والي ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الفجالة الجديدة (القاهرة) .

● غزة هانوي تشرين ـ شعر ـ سعيد ابو الحسن ـ صمم الغلاف المهندس راتب الاسود ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فيليب لطفالله شاعرا وانسانا ـ تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ٨٠ صفحة ـ مؤسسة بلادي للطباعة والنشر في سان باولو بالبرازيل .

● اللهب الاحمر ـ شعر ـ عدنان قيطاز ـ صمم الغلاف نزار قطرميز ولوحتان لفسان صباغ ومحمود حماد ، الخطوط لعبد الرحمن فاخوري ـ ١٦٨ صفحة ـ المطبعة الحديثة في حماة سورية .

● القائد الصغير ، قصص للاطفال ـ تاليف عبد الهادي طبل ـ الغلاف والرسوم الداخلية لعادل جلعوط ـ تقديم محمد منذر لطفي ـ المطبعة الحديثة في حماة سورية

● نفحات شامية ـ ديوان شعر ـ عدنان مردم بك ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الطفل والمغامرة ـ قصص ـ تاليف محمد نديم ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة دار اللواء السايب في القامشلي سورية ـ نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● رجل من لبنان ـ تاليف حنا دعبول ـ موسوعة من القصص النادرة المثيرة التي لم يقصها انسان حتى الآن ـ طبع باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة الامريكية نقله الى العربية فيليب لويس داغر ـ تقديم الدكتور توماس بلوسم ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة مجلة المراحل في سان باولو البرازيل .

● الخولة بنت الازور ـ تاليف عبد العزيز الرفاعي ـ الغلاف لبيار صادق ـ ٥٦ صفحة ـ الكتاب ٢٤ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ مطابع الزايدي بالمملكة العربية السعودية .

● رحلة في كتاب من التراث ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ الغلاف لعلي الخرجي ـ ١٧٦ صفحة ـ الكتاب ٢٥ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الحسن بن اسد الفارقي : حياته والصبابة من شعره ـ جمع وتحقيق هلال ناجي ـ الغلاف لممدوح آنور ـ ١٣٢ صفحة ـ الكتاب ٢٦ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ مطابع اليمامة في الرياض .

● الامام الشافعي ، الفقيه الاديب ـ تاليف احمد العربي ـ ٩٢ صفحة ـ الكتاب ٢٧ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● معركة الوادي ـ تاليف عبد المجيد بنجلون ـ الغلاف لنور الدين بناني ـ ١١٠ صفحات ـ شركة الطبع والنشر (؟) ـ (الكتاب صدر عن الرباط بالمغرب) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

ولقد ذكرتك

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

اكثر الكتب المدرسية تختار لشاعر الاقطار العربية خليل مطران قصيدة المساء في مجال التدليل على عبقريته ، والاشادة بتجديده ، والقصيدة رائعة حقا ، ولكن كثرة الاستشهاد بها دون نظائرها الرائعات مما يسيء الى الاساتذة المؤلفين اذ اولعوا بالترديد المتكرر حين ينقل السابق عن اللاحق ، واخال اكثر هؤلاء الافاضل حين يتحدثون عن الشعراء لا يرجعون الى دواوينهم المشتهرة بل يتذكرون ما حفظوه ايام الدراسة فينقلونه من الذاكرة في غير عناء ، وربما تفضلوا بنقل الشرح المحفوظ ايضا ! وهو داء يتطلب العلاج .

اقول ذلك لان اكثر الادباء يحفظون قصيدة المساء من عهد الدراسة ، وهي قصيدة تجمع بين وصف الالم الجسمي والالم النفسي او قل انها تصف الما جسميا سببه الم نفسي ، وقد عناهما الشاعر الكبير حين قال :

يا للضعيفين استبدا بي وما ... في الظلم مثل تحكم الضعفاء
قلب اذابته الصبابة والجوى ... وغلالة رثت من الادواء
والروح بينهما نسيم تنهد ... في حالي التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نوره ... كدري ويضعفه نضوب دمائي

وبعد ان توجه الشاعر العاشق بالخطاب الى حبيبته ليتحدث عن عمريه اللذين وهبهما اياها ، عمر الفتى الفاني بجسمه وعمر الادب الباقي على الزمن مخلدا حديثها العاطر ، اخذ يصفها الوصف الحي الذي تمتزج فيه الاحاسيس الرفيعة بما يومىء اليها من مظاهر الكون ، ثم انتقل الى تشريح خوالجه الدفينة حين تفرد عن الناس بصبابته وكآبته شاكيا الى البحر اضطراب خواطره فيرد عليه بالريح الهائجة العصوف ، ثاويا على صخر أصم يتمنى لو يرزق قلبا في مثل قسوته ، وتغلغل بنظره الفلسفي الى الغروب وما به من عبرة للمستهام ، اذ كان نزعا للنهار وصرعة للشمس بين مآتم الاضواء ، وطمسا لليقين ، وبعثا للشك ، ومحوا للوجود الى مدى محدود حتى يكون البعث الجديد في الصباح ، والقصيدة على عمقها الدقيق من اوائل ما نظم الشاعر في الجزء الاول من ديوانه ، وقد ختمها بقوله المبدع :

ولقد ذكرتك والنهار مودع ... والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري ... كلمى كدامية السحاب ازائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعا ... بسنى الشعاع الغارب المترائي
والشمس في شفق يسيل نضاره ... فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا ... وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكان آخر دمعة للكون قد ... مزجت بآخر أدمعي لرثائي
وكانني آنست يومي زائلا ... فرأيت في المرآة كيف مسائي

وكان لنا زميل يحفظ المأثورات من الشعر ، ويضم النظائر الى النظائر ، فأخذ حين جلسنا نتدارس هذه المقطوعة الساحرة ابتداء من قول الخليل (ولقد ذكرتك) اخذ ينشد ابياتا كثيرة من محفوظاته الغزيرة ابتدئت بقول الشاعر (ولقد ذكرتك) فأوقفنا على خوالج عاطفية ذات وهج ، اذ من الطبيعي ان يذكر الشاعر من يحب ، يذكرها في سروره المغتبط وفي المه المبرح ، واذا كان السرور لا يكتمل الا بالقرب ، فكل مشهد جميل من مشاهد الطبيعة يدفع الشاعر العاشق الى ان يحرص على اللقاء في اطاره البهيج المونق ، فاذا لم يتح له كما يريد ، هتف من اعماقه بمثل ما هتف به القائل :

ولما نزلنا منزلا طله الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا ، فكنت الامانيا

فقد نزل الشاعر العاشق منزلا أنيقا في بستان ناضر الزهر ، وشاهد من حسن المكان ما جعله يتمنى ان يكون مع حبيبته لتصبح جمالا ناطقا يضاف الى الجمال الصامت ! هذا في اوقات البهجة ، وهي نادرة في حياة العاطفيين التي تفور بالالم ، وتمج بالحرمان ، ولهذا كانت اكثر ذكريات هؤلاء نائحة شاكية ، وكان اكثر ما بدىء منها بقول الشاعر (ولقد ذكرتك) مما يصور لواعج الوجد الدفين .

اذكر اني نشرت منذ اكثر من عشرين عاما قصيدة اقول فيها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد ذكرتك والمشارط في كف الطبيب تذيقني الويلا
ويداه مرعشتان أرعدتا خوفا فحير خوفه الاهلا
ودمي تساقط من يديه ، وعن يمناه أمي زلزلت هولا
وأبي يتمتم بالدعاء ولا ينفك يسأل ربه المولى
وأخي وأختي ساهمان أسى وكلاهما يصلي الذي يصلى
ويقول قومي : ما تراح به فأقول : مشتاق الى ليلى

والتجربة صادقة ، لم أزد عن ان عبرت عنها كما كانت ! اذ أغنت واقعيتها الصريحة عن كل اضافة يرفدها الخيال ، ولكن صاحبنا الذي روى لنا كثيرا من محفوظه الادبي ، قال في ابتسام ينبىء عن نقده المستتر : ان خاطري قد اتفق مع خاطر حفني ناصيف حين قال :

ولقد ذكرتك والطبيب بجانبي والجسم فوق فراشه مطروح
وجفون عيني بالملاقط فتحت وبها المباضع تفتدي وتروح
والخيط يجذب في الجفون بابرة جذبا تكاد تفيض منه الروح

واتفاق الخاطر في منطقه الخاص فقد يوحي بالسرقة ، او بالاحتذاء المقلد ، اذا عمد الناقد لتلطيف المأخذ ، مع ان تصوير التجارب المتشابهة لا يمت الى الاحتذاء بسبب ، اذ لكل شاعر منحاه في التصوير والتعبير ، فنحن في هاتين المقطوعتين نرى اتفاقا في الاطار الخارجي لا في الصورة الداخلية ، فصاحب المقطوعة الاولى كان يجري عملية جراحية في جسمه ، وكان طبيبه مرتعشا يتخوف العاقبة في وجل ، ودمه متقاطرا يتساقط من مبضعه ، فجعل الام والاب والاخوة يتضرعون الى الله في اشفاق تارة ، ويلوذون بالوجوم تارة اخرى ، اما الشاعر الثاني فمكان الجرح في عينيه حيث سلطت الآلة الجراحية على جفنيه تمزيقا وكشطا ، وتعاقبت شكات الابرة بخيطها الممتد رتقا والتئاما ، فلكل منهما اذن جوه الخاص ، وتجربته الشخصية ، ذات الحس الصادق ، والمعاناة الاليمة ، على ان المسألة بعد ليست مسألة جزئيات ، تختلف في اطار متفق ، لأننا نرى انه لو اتحدت هذه الجزئيات كما اتحد الاطار ما كان ذلك مدعاة نقص يلحق المتأخر ، ويصمه بالتقليد ، اذ ان الامر موقوف على الصدق الفني في تصوير التجربة — حقيقية او متخيلة — مهما كانت متحدة الوقائع والاحداث ، اذ من الممكن ان يمر كلا الشاعرين بعملية جراحية متفقة ، وان يحيط بهما من الملابسات ما لا يفترق لدى احدهما في شيء ثم يعبر كلاهما عن نفسه تعبيرا حيا لا يسمح لأحد بالقول بالتأثر ، فلكل شاعر نبضه وتصويره وموسيقاه ، واذا كان توارد الخواطر حقيقة نفسية ماثلة فلماذا نجعله اداة انتقاص تشين المجيد وتوقفه ظلما موقف الاتهام ! ان الظريف المضحك ان عشرات الكتب لدينا قد وضحت مسألة السرقات الشعرية في النقد القديم والنقد الحديث بما يكشف الالتباس ، ولكننا بعد هذه الكتب المتعددة ندور في حلقات مفرغة ونتناول ما درس من القضايا وكأنه شيء جديد ؟ أفلا يرجع هؤلاء المندفعون الى القول بالتقليد او السطو الى ما قاله المتخصصون ؟

على ان مما يمنع الظن الراجم بالسرقة في التجارب المماثلة ان نرجع الى الحقيقة الانسانية الناهضة بازاء كل تجربة ، هذه الحقيقة التي تعلن — في موضوع تذكر الحبيبة — ان فترات الهول على اختلاف بواعثها ، تجعل صاحب المأساة يفكر في آماله الضائعة وأحلامه العازبة ، فالمريض في ساعة الهول اذا كان عاشقا ملتاعا فان تذكره الحبيب ضرورة حية من ضرورات كيانه الانساني ، لأن حبه اقوى وآكد من سواه ، وتذكره في المحنة القاسية صرخة هائلة من نفس تعاني من لهيب البعد ما تعانيه من مبضع الجراح ، وتعدد هذه الصرخات الصادقة لا يدل على الاحتذاء ولكن يدل على تماثل الاحساس .

نعرف ان عبدالله بن الدمينة شاعر عاشق ، وقد سجن في قضية قتل نسبت اليه ، وكانت البراءة ابعد ما يتوقع ، وقد سيق الى السجن ، وكبل بالاغلال الثقيلة ، واخذ السجان يضرب على يديه بالحديد تعذيبا وايجاعا وعيون الشامتين تراه فريرة هائنة فتزيده ألما وحرقة ، ولكنه مع ذلك يتذكر صاحبته ويهفو اليها فاذا ما تركه السجان وقتا قصيرا جاشت خواطره فنقل عن احساسه الصادق قوله مخاطبا حبيبته :

ذكرتك والحداد يضرب قيده على الساق من عوجاء باد كعوبها
فقلت لراعي السجن والسجن جامع قبائل من شتى ، وشتى ذنوبها
ألا ليت شعري هل أزورن نسوة مضرجة بالزعفران جيوبها
وهل القين بالسدر من أيمن الحمى مصححة الاجسام مرضى قلوبها
بهن من الداء الذي أنا عارف ولا يعرف الادواء الا طبيبها
عليهن مات القلب موتا وجانبت بهن نوى غب ، أشب شعوبها

فالسجن والقيد وعذاب الحداد مما لم يحل دون تذكار الحبيب ! وقصة قيس مع اهله شاهد آخر ، فقد سلب المجنون عقله فما يرجع اليه الا في فترات قليلة ، وعز على اقاربه ان يفقدوه هكذا دون جدوى ، فاحتالوا عليه في بعض أوقات صحوه حتى اقنعوه بأن الله قادر على شفائه ، وما عليه الا ان يحج البيت العتيق ويطوف بالكعبة ، ويدعو الله مع الضارعين ! وقد سار قيس مع ابيه ورأى الموكب الحاشد يعج بالتلبية والتكبير والتهليل ، فدعا ربه ان يثوب عن كل شيء الا عن حب ليلاه ! لقد فر هاربا منها الى ربه ، فحين أزفت ساعة الدعاء تذكرها فاستثنى حبها من ان يتوب عنه ، وحفظ له رواة الشعر قوله :

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فأما عن هوى ليلى وتركي زيارتها فاني لا أتوب

وبعض المتشككين ينكر قول قيس هذا ، ويزعمه من افتعال الرواة ، ولكن ما ينكره هذا المتشكك احساس بشري شائع ان لم يقع من قيس فقد وقع من سواه ، الم يقل كثير عزة ؟

أناديك ما حج الحجيج وكبرت بفيفا غزال رفقة وأهلت

ثم الم يقل عمر بن ابي ربيعة ؟

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لـولا التحرج عارم

بل الم يقل الشاعر الفقيه المتشدد عروة ابن اذينة ؟

ولهـن بالبيت العتيـق لبانـة والبيـت يعرفهن لـو ينكلـم
لـو كان حيـا قبلهن ظعائنا حيـا الحطيم وجوهن وزمـزم

ثم الم يقل قيس نفسه مرة اخرى ؟

ولم ار ليلى بعد موقف ساعة مع الركب اذ ترمى جمار المحصب
ويبدي الحصى منها اذا قذفت به من البرد اطراف البنان المخضب

على ضوء هذا الفهم يمكننا ان نشير الـى وقائع مماثلة في عالم التذكر لنرى كيف تتجه العواطف الصادقة في مواقف الخطر وجهة المعشوق تتساءل عنه في لهفة ، وتطرب الى ذكراه في حنين ، وقد كان عنترة العبسي من اشهر من عبروا عن هذه الحالة اذ قال في معلقته الذائعة :

ولقـد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيـل الرماح لانهـا لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسم

اذ ان المعركة ذات الرماح والسيوف لا تقل خطرا عـن العملية الجراحية ذات المباضع والمشارط ، وقد اتجه عنترة الى حبيبته في ساعة الهول ولكنه سمح لخياله ان يشتط في التصوير حين زعم انه كان يود تقبيل السيوف حين ذكره بريقها الساطع بثغر حبيبته ، مع ان تذكر الثغر ومحاولة التقبيل في هذا الموقف بعيد بعيد ، فالشاعر العاشق يذكر حبيبته في موقف الهول لمعنى انساني لا للذة حسية ، واذا كانت خطورة المعركة قد استجاشت ذكرى عبلة في نفس عنترة ، فكم من مخاطر استجاشت ذكريات الابناء والآباء والاخوة في وقت الضيق دون ان تكون هذه الذكرى مقصورة على الحبيبة وحدها !! ومن اصحاب الشعور الراقي من يتذكر عدوه في ساعة الضيق اذا كان قد كابد ما كابد من الهول ، ولا ادري اية قصة قرأتها في الزمن البعيد تدل على هذا المغزى حيث صاح البطل في لحظاته الاخيرة حين فاجأه الم السيف الهاوي على جسده : اكذا احس غريمي ما احسه من الكرب حينما فرحت بمصرعه ! يا لنا الله ! كلنا نتعادى على الفتات ولا نعقل ولا نفيق آ!

على ان ذكر الحبيبة هو الاسبق دائما ، ولا اعني انها مفضلة عن الابن ، بل اعني انها غالبا تكون في الحياة قبل ان يولد الابن فتتفرد بالحب والهيام ، ولابن رشيد القيرواني موقف مماثل لموقف عنترة اذ ركب السفينة في بحر هائج مضطرب ، وقد اخذت الريح تعصف والمطر يهمى ، وصراخ الراكبين يرتفع ، وهنا تلوح الحبيبة في ذهن الشاعر فيناجيها قائلا :

ولقد ذكرتك في السفينة والردى متوقـع متلاطـم الامـواج
والجـو يهطل والرياح عواصف والليـل مسـود الجوانب داج

والامتحان ! ما اشق الامتحان على الطالب الجامعي في سنته الاخيرة ! كان معنا زميل ينظر الى الاسئلة في شرود ثم لا يجيب عنها ! وهو من الذين يجتهدون ويحرصون على النجاح ، وقد خرج من الامتحان دون ان يجيب ، فحدث اصحابه ان خصام صاحبته قد كدر مزاجه ومحا ذاكرته فما تذكر شيئا ، ولو كان الطالب شاعرا لسجل ذلك في مقطوعة ولكن هل كل الاحبة شعراء ؟

ولا اجد ختاما اروع واشجى واوقع مما قرأته للشاعر البلجيكي (موريس ماترلنك) حين قال على لسان فتاتين ، احداهما محبوبة تحتضر ، والاخرى شقيقة تتألم :

الشقيقة : ماذا اقول له لو عاد يوما ؟

المحتضرة : قولي لـــه : انتظرته حتى قضى علي الانتظار

الشقيقة : واذا استوضحني كيف جـدت بالنفس الاخير

المحتضرة : قولي له : لقد تبسمت كيلا يبكي اذا علم اني جزعت

فموريس ماترلنك يجعل الحبيبة المحتضرة لا تكتفي بذكر حبيبها ساعة النزع فقط ، بـل تجبر نفسها على الابتسام ليعرف حبيبها انها ودعت الدنيا سعيدة مبتسمة فلا يجزع ! اي سمو هذا ؟

لقد طال بنا التطواف استيحاء لقصيدة مطران وما ظننت حين البدء اني سأجمع هذه الشوارد ، وكان قدماء المؤلفين يرحبون بهذا الاستطراد ؟ فهل يتقبله القارىء الحديث ؟

المنصورة ــ كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديـــب

من الباعة والمكتبات

الموجه الكيفي والموقف

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

اكـدت دراسة العلاقات المواقفية التي بـين السلوك الشخصي ، ومواقف الحياة على الخبرة الشعورية كفعل ، وبالتالي على الظاهرة المواقفية كظاهرة صيغية وظيفية ، هي فعل (الانا) في تلاؤمها مع الحياة والواقع .

ويطلق مصطلح ـ سيتياسيونيسم ـ ، اي التنظير المواقفي ، على هذه الدراسات المواقفية ، والتي يعتبرونها وجها منهجيا لنظرية المجال ، نظرا للصلة الوثقى بـين النظريتين ، وخاصـة دراسة السلوك علـى ضـوء (الموقف) .

وقد ذهب المنظرون المواقفيون الى انه لا سبيل الى دراسة ظواهر النفس الا عبر مجال الحياة ، اي المجال النفسي الحيوي الذي للموقف الراهن ، والذي بواسطته يمكن تحليل العلاقات بين الكل والاجزاء ، وابراز ما وراء انماط السلوك من توجيه قصدي ، وقوة محركة .

دافعية المواقف

ومن المفاهيم العلمية الرياضية التي اصطنعها الصيغيون والمواقفيون ، مفهوم (الكمية الموجهة) في التوجيه ، كبلوغ للهدف(١) ، انها في نظرهم قوة دافعة ، وتمثل دافعية المواقف ، وهي التي تحدث التحرك نحو مثير ، او بعيدا عنه .

وكورت ليفين يعتبر (الموجه) كيفية ، وليس كمية ، اي انه ينقله من مجاله الطبيعي والاجتماعي الى مجال الخبرة المواقفية كفعل ، كما يعتبر (نظرية الموجه) جزءا مـن نظرية المجال ، وبالتالي جزءا مـن علم النفس التخطيطي ، الطوبولوجي .

ومن وجهة نظر مواقفية ، هناك دائما واقع نفسي يظهر ، ويتحقق ، اي (الظاهرة المواقفية) ، ثم الواقع الكامن ، او الامكانية كممكن مواقفي ، والذي يستدل عليه بآثاره ، او عند حدوثه .

وذلك هـو الجانب الهام ، والحساس في التنظير المواقفي ، لانه جانب الحرية والخلق ، او لنقل جانب التعلم والاستبصار ، والـذي يدرسونه في دافعيته ، واتجاهه ، وامكانيته ، مؤكدين على دور (الأنا) فيه(٢) .

وكنا عرضنا في دراسات(٣) سابقة آراء (كورت ليفين) في السلوك ، والمجال النفسي ، والموقف الكلي ، ونتحدث فيما يلي عن المعاني الاساسية لتصور المجال النفسي ، وهي : القوة النفسية ، والوضع النفسي ، والامكانية .

لقـد استعمل كورت ليفين مصطلح (معنى) ، كونستركت ، في مقابل مصطلح (مفهوم) ، كونسبيت ، تدليلا منه على الناحية التجريبية التأليفية في هذه الظواهر المواقفية ، وانه من تركيب العقل في هذه الافعال ، وليس مجرد نسخة فكرية عن الموضوعات .

القوة النفسية

القوة النفسية هـي العنصر الموجه ، ومعناها يتضمن الافكار التجريبية التي للاتجاه ، والحركة ، والتغاير ، والتمايز . ان (معنى القوة النفسية) هو المعنى الذي للميل الى العمل في اتجاه ما ، وهو الذي يميز الاتجاه ، وشدته ، بحيث ان القوة النفسية تتخذ اشكالا في تصرفها حسب المجال الذي لها ، اي حسب مواقف الحياة .

ان اتجاه الميل الى التغير ، وشدته ، هما اللذان يحددان معنى القوة ، في نقطة ما من المجال الحيوي . وكورت ليفين يتصور السلوك تصورا حركيا ، ديناميا ، يتضمن تأثيرات الهد ف، وتظهر التمايزات المصاحبة للتغير الذي تجلبه القوة ، في التكيف ، ثم في البناء الادراكي للمجال الحيوي .

(التكيف) في نظر ليفين هو مجاراة الجو الراهن ، بمعنى التناغم مع الجو المحيط ، ان الانسان بتكيفه مع وسطه يجعل استجاباته من نوع المنبهات الواردة اليه ، فيرد على الحنان بالحنان ، وعلى العدوان بالعدوان ، وعلى هذه الشاكلة يتسامح مع المتسامحين ، ويعيش اجواء العدالة الاجتماعية كافة .

ويتحقق التكيف بسهولة ، وبالتدريج ، والمنهـج التدريجي فيه هو منهج الخطوة خطوة ، والذي يمكن مشاهدته في العائلة ، او في الحياة العامة ، في العائلة بين افراد اسرة واحدة ، وفي الحياة العامة بين المدير ، ومرؤوسيه ، او بين الباعة وزبائنهم .

ومن الامثلة عليه في المجال السياسي ، (الراي العام) وتغييره ، اذ يمكن خلق جو من التكيف مـع الحرب ، بواسطة تأثيرات من التوتر الخارجي ، فيستجيب لهـا الشعب ، ويقدم على الحرب ، ويحارب مرتاحا لعمله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعرف (الهدف الاجتماعي) بأنه ميل للانضمام الى جماعة ، بحيث يضع الانسان نفسه داخل جماعة ما ، او خارجها . وان الشعور بالانتماء من اهم العوامل التي تبعث الطمأنينة في النفوس ، ولـه اكبر الاثر في تنظيم الاتجاهات الفكرية للاشخاص(٤) .

البناء الادراكي للمجال

فاذا اخذنا (مجالا حيويا ما) ، اي (شخصا في بيئة) ، نجد انه يحوي على مناطق جذب ، وطرد ، كما يحوي على العلاقات التي بين الشخص وبين هذه المناطق .

ان البناء الادراكي للمجال الحيوي يتغـير ، لان مواقف الحياة تثير في كل لحظة سلوكا معينا ، يؤثر بدوره على العلاقات القائمة بين المناطق والشخص ، ويؤثر بالتالي في بناء المجال الحيوي في ادراك الشخص .

وعادة يقولون ان الذكاء هو القدرة على المرونة ، دون التمسك بموقف واحد ، وفي مجال حيوي يحوي على حواجز ، وعقبات ، الوصول الى الهدف يفرض ما يسمى بالاستبصار ، اي رؤية الشخص للجانب الخفي للمسائل .

والصيغيون يعتبرون (الاستبصار) تغيرا مفاجئا في البناء الادراكي للموقف . لان هذا التغير هو الذي يؤدي الى الحل . وينطبق الاستبصار على مجال المعرفة ، اي ادراك العلاقات بين الاشياء ، وايضا بين المعاني .

والانسان يتعلم ، او يمكنه ان يتعلم من مختلف تجاربه ، و (الحل) عادة هو اكتشاف وظيفة جديدة لشيء قديم ، والسلوك يكون قابلا للتنوع ، نتيجة الاطلاع على المناطق التي يتكون منها المجال ، وايضا نتيجة اكتشاف دلالة هذه المناطق(٥) .

وفي نظر ليفين ان (التعلم) نوع من الاتجاه ، هو يرسم هدفا ، وما يؤدي اليه من وسائل ، ولا توجد نظرية واحدة في رأيه تفسر جميع حالات التعلم ، اذ الانفعال يؤدي الى تضييق المجال النفسي ، كما ان المقاومة هي بمثابة التغير في الهدف ، وهلم جرا .

ويرى كوفكا ، في كتابه : ــ نمو العقل ــ ، ان (التعلم) يجب ان يفسر في ضوء (الاستبصار) . ولذلك هو يطبقه على التعلم الحركي ، والتعلم الادراكي ، والتعلم الاجتماعي ، وغيرها من مجالات عملية ، ونظرية .

معنى القوة وقوة المجال

ان بناء المجال الحيوي اذن ، هو الذي يعين حركات التنقل الممكنة ، داخل هذا المجال في وقت ما . وان تغير السلوك يتوقف على تنظيم (القوة النفسية) ، داخل المجال .

والقوة النفسية هي التي تحدد لنقطة ما في المجال ، اتجاه الميل الى التغير ، وشدته ، وان تداخل تركيب عدد من القوى التي تؤثر في نقطة واحدة ، في وقت واحد ، تعرف بالقوة الناتجة .

والعلاقة بين القوة النفسية والسلوك ، يمكن التعبير عنها على النحو التالي :

ــ كلما وجدت قوة ناتجة ، مختلفة عن الصفر ، وجدت حركة انتقال في اتجاه هذه القوة ، او تغير في البناء الادراكي للموقف ، وهذا التغير الادراكي مساو لحركة الانتقال اياها .

والعكس ايضا صحيح ، يمكن التعبير عنه فيما يلي :

ــ كلما توجد حركة انتقال ، او يوجد تغير في البناء الادراكي توجد قوة ناتجة تعمل في هذا الاتجاه ، اي اتجاه حركة التنقل .

ومن هذه الزاوية ، يمكن تعريف (القوة النفسية) بأنها علاقة بين منطقتين او اكثـر في المجال الحيوي ، والتعريف هنا يقوم على فكرة التوجيه الاساسية في بحث الهدف ، وتحقيقه ، فالقوة النفسية هي الصلة التي تربط بين منطقة الشخص ، ومنطقة الهدف .

والقوة النفسية التي تدفع الشخص نحـو تحقيق هدفه يسمونها : (قيمة ايجابية) ، والتي تدفعه بعيدا عـن هدفه يسمونها : (قيمة سلبية) . ان (القيمة) خاصية ذهنية للهدف ، او لمنطقته في المجال الحيوي ، او هي قيمة الشيء ، الهدف او منطقته ، عند الشخص(٦) .

والهدف من طبيعته له صفة جاذبة ، في حين ان الحاجز له صفة منفرة(٧) ، والسؤال يصير : ــ ما هي الصلة بين قيمة القوة ، وشدتها ؟ ! . وعادة ، هـم يدرسون هذه الصلة من زاوية (المسافة) بين منطقتي الشخص وهدفه ، ويبحثونها في التوتر الانفعالي(٨) ، والصراع مما سنفصل القول فيه بعد .

نماذج القوى

ان الشخص عندما يقترب من الهدف تضعف شدة قوته النفسية ، ويرى (كورت ليفين) ان الشخص (ش) في حالة عمله لبلوغ آخر منطقة من المناطق التي تفصله عن هدفه (هـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ، فانه عندما يصل الى منطقة (هـ ٤) تصبح قوته النفسية (هـ هـ) ، وليس (ش هـ) ، بمعنى ان الشخص في دائرة الهدف يخاف تجاوز الهدف ، او فواته .

ان شدة القوة النفسية تضعف عندما يقترب الشخص من الهدف . ناهيك ان وجود الشخص في منطقة الهدف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يفيد ان (الهدف) اصبح في متناوله ، ولكنه لا يفيد استيلاءه على الهدف ، او ايضا الاتصال المباشر به .

وهذا يفسر لماذا تفقد الاشياء رونقها ، وجاذبيتها بعد ان تصبح مملوكة للشخص . كما انه يفسر لماذا تكون اللذة في السعي الى الامتلاك ، اكثر منها في الامتلاك .

(القوة النفسية) تتغير شدتها تبعا للمنطقة التي يوجد فيها الشخص(٩) ، في حين (القيمة) شيء يعود الى الحاجة ، والرغبة عامة . القوة تتغير بتغير الحركة ، والاتجاه ، ولكن قيمتها شيء يتعلق بالامكانيات ، وطبيعة الامور .

ونماذج القوى خمسة : دافع ، ومانع ، ومثار ، ومطابق ، ولا شخصي .

١ ــ (القوة الدافعة) هي التي تدفع نحو الهدف ، او بعيدا عنه ، وتؤدي الى حركات تنقلية .

٢ ــ و (القوة المانعة) هي التي تحول القوة الدافعة عن تنقلها ، فهي بمثابة حاجز يؤثر في التحرك ، واتجاهه ، ويكون ذلك حسب العلاقة الموجودة بين الشخص ، وهدفه .

٣ ــ و (القوة المثارة) هي التي تتولد من حضورية شخص او اشخاص ، وتشبه العدوى ، او الاغواء ، او النفوذ ، اذ هي استثارة مثارة كما يولد التيار الكهربائي في الجهاز الخالي من الكهرباء تيارا مثارا .

٤ ــ و (القوة الذاتية) ، او المطابقة لحاجات الشخص ، هي التي تتعلق بالحاجات العضوية ، كالجوع والعطش ، ولكن كورت ليفين وسع مدلولها ، واطلقها على جميع الميول والنزعات ، ومنها الاخلاقية ، مثل الحاجة الى الامان ، والامن وما اشبه .

٥ ــ و (القوة اللاشخصية) هي ما يقال عنه الامر الواقع ، او القوة الخارجة عن ارادتنا ، فهي لا تطابق رغبة الشخص ، ولا رغبة من يحيطون به ، ولكن لها صفة لاشخصية ، وتعود الى الظروف .

الوضع والامكانية

(الموجه) ، في نظر كورت ليفين ، قوة في المجال النفسي صادرة من الفرد الى شيء ذي قيمة ايجابية ، الاولوية في هذا التعريف للعلاقات الحركية ، الدينامية التي بين الشخص ومجاله ، حيث نرى الى الدور الذي تلعبه (القيمة) في تحديد السلوك الشخصي(١٠) .

ان الشيء الموافق يجتذب ، والمنفر يطرد ، واذا لم يتحقق اي من هاتين الحالتين كان الشخص غير مكترث للشيء ، او كان اللااكتراث . ان (قيمة) الاشياء الموجودة في البيئة الخارجية للشخص مرتبطة بحاجاته ، واشباعها(١١) .

واستنادا الى الاتجاهات المختلفة داخل المجال ، او ما فيه من مناطق جذب ، وطرد يمكننا اذن توضيح بقية (المعاني الاساسية) ، وخاصة الوضع والامكانية والزمان .

هناك في المجال الحيوي مجالات فرعية متشابكة ، تنبثق عنها مواقف فرعية متشابكة ، مثل احوال النشاط الابداعي ، او السلوك المنحرف ، في علاقتهما بظروف الشخص ، وبيئته ، وبالنسبة لوضع الشخص أهو في منطقة أمان او خطر ، يمكن تصوير ما هو نفسي تصويرا مكانيا ، وقد رأينا كيف ان (الانتماء) ، كوضع شخصي ، هو بمثابة مناطق امان وطمأنينة ، واحيانا قلق وخطر .

والامكانية هي القدرة الكامنة ، و (معنى الامكانية) هام بالنسبة للوضع الذي يكون فيه الشخص ، اذ انه يشير الى اهمية بعض المناطق في المجال الحيوي ، دون اخرى ، وبالتالي ترجيحها بعضها على بعض ، بفعل ما يصدر عنها من جاذبية ، او تهديد .

ولمعنى الامكانية قيمة خاصة في (المواقف المتداخلة) ، والتي تجعل نشاط الشخص موزعا ، كما تجعل اهتماماته العملية ، او ايضا اتجاهاته الفكرية مشتتة ، هذه المواقف المتداخلة تعود الى اوضاع الشخص ، كما في اهماله تنظيم انتمائه ، او نشاطه عامة ، ولكن الامكانية تفسح المجال للاختيار ، وتعقل الامور .

وهناك ايضا معنى الزمان ، والذي يتحدث عنه (كورت ليفين) من حيث هو حركة في المكان ، ويمثله بالتالي تمثيلا مكانيا . وحقا ان المجال الحيوي مجال مكاني ، وقد يكون ممتدا او محصورا ، وقد يتسع او يضيق ، ولكن هناك المجال الزماني ، او مجال الديمومة الذي يتسع مع نمو الشخص ، بحيث يصبح بامكانه ان يرتد الى الخلف بذاكرته ، او ان يستبق الاحوال في المستقبل .

وفي دراسة الطفل يظهر تشابك هذه المعاني ، اذ ان توسيع المجال الحيوي ، مكانيا وزمانيا سيعقد السلوك ، وينوع تراكيبه ، بحيث تتاح الفرص لدراسة ذكاء الطفل ، وارتباطه باتساع المجال الذهني والعملي عنده . ويكون اتساعهما في القدرة على ضم مناطق اوسع ، من التفكير والعمل والتطبيق .

وقد لاحظ (كورت ليفين) انه كلما كبر الطفل تكون العابه اطول في مدتها ، واكثر تنظيما ، وكذلك الامر بالنسبة للفنان ، والذي يسير في نوع من اللعب الراقي ، وهو يحقق الهامه في اعمال ضخمة ، وجليلة ، مما يدل على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احلى دراريه

يرافقني انى ذهبت خيالها ... فما حيلتي فيها وما حيلتي فيه
وددت لو اني استطيع سلوها ... وانزع من قلبي هواجس تضنيه
ولكنني ازداد فيها صبابة ... واهرب من نفسي فأفضي الى التيه
انام على شوك واصحو على لظى ... وافقي عبوس داجيات حواشيه
اذا دق بابي قال قلبي لعلها ... وهرول يستجلي ... فخابت امانيه
شقيت ، ولكن لا احتجاج على الهوى ... لأزهى من الصبح المنير دياجيه
سرى الحب في الوادي فنور زهره ... وفي طيره الشادي فطابت اغانيه
فداء لعينيها حنيني ولهفتي ... وما سال من جفني وما بت اخفيه
اذا ضحكت فالقفر يضحك حولها ... وان عبست في الروض تعبس اقاحيه
رثيت لمن لم يعرف الوجد قلبه ... ولم تتضرج بالسهاد لياليه
انا في فضاء الله اصدق عاشق ... وغلواء في عيني احلى دراريه
الى النار شعري ان هجست بغيرها ... وعطرت الا في هواها قوافيه
قصارى رجائي ان اموت صبابة ... ويؤنسني طيف ألفت تثنيه
فان خاب ما ارجو فيا سوء طالعي ... ويا ويح هذا القلب ، كيف اعزيه

بوانس ايرس ــ الارجنتين — زكي قنصل

اتساع مدة النشاط مع اتساع مجال التفكير ، والابتكار . وفي الاعداد القادمة نتحدث عن الحاجة ، والتوتر الانفعالي ، والنكوص ، والصراع ، وغيرها ، والى اللقاء .

(١) ــ وهناك ايضا مفاهيم التخطيط ، والبنية ، والتاريخية ، والموقف الراهن وغيرها ، كشفوا بواسطتها عن الجانب الصميمي للظواهر النفسية كأفعال ، هي اجزاء في كل وظيفي متكامل .

(٢) ــ وقد رأينا في دراسة سابقة ، كيف ان (الانا) جزء وظيفي من الموقف الكلي ، ولم تكن في البدء ، مما يساعد على حصر عوامل تكوين الشخصية .

(٣) ــ راجع دراساتنا في الاديب الغراء ، مايو ١٩٧٨ ، الشخصية والموقف ، وديسمبر ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، ونحن في هذه الدراسات نولي اهمية خاصة لأمالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ، وشروحه العلمية القيمة المختلفة .

(٤) ــ والشعور بالانتماء يختلف في الجماعة الديمقراطية عنه في الجماعة الاوتوقراطية ، ولرونالد ليبيت دراسات تجريبية في الموضوع تصف الصلة التي بين الزعيم والافراد في الجماعتين ، وكيف ان الشعور بالانتماء هو اقوى في الجماعة الاولى منه في الجماعة الثانية ، مع رسوم ومقارنات .

(٥) ــ وذلك امر يمكن ملاحظته على الكبار ايضا ، كما في مواقف المشتركين في ناد ثقافي ، اذ يكون المجال عليهم في بادىء الامر غامضا ،

(٦) ــ تحدد القيمة (فالانس) اتجاه السلوك ، وهي قوة نفسية فينكمشون على انفسهم ، ثم مع الاطلاع على نشاطات النادي يصيرون تتنوع سلوكاتهم ، وتزداد مرونة .

تعبر عن التأثير الجاذب ، او الطارد الذي لشيء من الاشياء ، فهي قيمة الشيء عند الشخص ، وتسمى بالموجه الكيفي ، تمييزا لها عن الكمية الموجهة .

(٧) ــ وكورت ليفين يرمز الى القيمة الايجابية ، باشارة زائد (+) ، والى القيمة السلبية باشارة ناقص (ــ) ، وموقف الشخص (ش) في الحالة الاولى ، كما في الرغبة في شيء هو (ش + ه) ، وموقفه في الحالة الثانية حيث عليه ان يتجنب الحواجز هر (ش ــ ه) ، انظر المتن فوق .

(٨) ــ والمسافة المادية غير المسافة النفسية ، اذ قد تكونان متعاكستين ، الاولى قريبة والثانية بعيدة ، وقد اجريت تجارب متنوعة في ذلك سنعود اليها فيما بعد .

(٩) ــ يقولون عادة ان (نقطة الارتكاز) ، او العمل ، او التنفيذ هي المنطقة التي فيها الشخص ، او ايضا هي (الشخص) نفسه ، الا انها يمكن ان تنتقل الى اشياء اخرى كما في احوال القوى المثارة ، او اللاشخصية ، وهي غير (نقطة الانطباق) ، او الاستنفاد ، والتي تعبر عن نهاية اشواط عمل ما .

(١٠) ــ هذه التحديدات من (اوراق مختارة) لكورت ليفين ، نظرية حركية في الشخصية ، ١٩٣٥ ، انظر ميادين علم النفس ، باشراف جيلفورد ، ج ٢ ، ص ٩٩٩ وما بعدها ، وانظر موسوعة علم النفس ، والتحليل النفسي ، لعبد المنعم الحفني ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .

(١١) ــ وقد قدم كورت ليفين تحديدا مستقلا للحاجات ، يمكن من اساسه الاستدلال على ما للاشياء من قيمة نفسية ، سنعود اليه عند بحث الحاجة قريبا ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل



احمد حسين الطماوي

عبد المسيح حداد

(١٨٩٠ ــ ١٩٦٤)

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

تعتبر جريدة « السائح » كبرى الجرائد العربية التي ساهمت بنصيب كبير في نشر الوية الضاد في العالم الامريكي المهجري واقتحمت هذا الميدان بقلب يملأه الايمان والاطمئنان . وكان صاحب هذه الجريدة هو الصحافي الكاتب : « عبد المسيح حداد » موضوع دراستنا .

نشأته : ولد عبد المسيح حداد في حمص عام ١٨٩٠ من ابوين ارثوذكسيين وكان دوره في التعليم كدور كل صغير . فدرس في المدرسة الابتدائية . ثم واصل الدراسة فدخل مدرسة المعلمين بالناصرة عام ١٩٠٤ . وقد كان والده من الموظفين الصغار بمدينة حمص ، وكان هذا الوالد ملما باللغة التركية والعربية . وكانت امه من اسرة عريضه اسرة الشاعر المهجري الكبير نسيب عريضه .

وقد تعلم اللغة العربية في مدينة حمص على يد « يوسف شاهين » استاذ ادباء المهجر من مدينة حمص . وتعلم ايضا اصول اللغة الانكليزية سنة ١٩٠٥ على يد « خليل الخوري » وحتى هذه السن المبكرة يكون قد الم بأصول وقواعد اللغة العربية واللغة الانكليزية . وفي عام ١٩٠٧ غادر حمص الى امريكا حيث كان اخوته قد سبقوه اليها . وفي هذه البلاد عمل في التجارة . ولكن التجارة لم تصرفه عن الدرس والعلم . فقد كان يتردد على المدارس الليلية الامريكية وسرعان ما استهوته الصحافة والكتابة وشغف قلبه بالتحرير الصحفي فأصدر وهو في سن مبكرة جريدة « السائح » عام ١٩١٢ وهو في الثانية والعشرين من عمره التي استمرت حتى عام ١٩٥٧ . وفي عام ١٩٢٠ كان من مؤسسي « الرابطة القلمية » التي كان زعيمها جبران خليل جبران . وفي عام ١٩٢١ كتب ملاحظاته وانطباعاته عن حركة الهجرة في كتابه « حكايات المهجر » وفي عام ١٩٢٢ تزوج من فتاة لبنانية بالمهجر الامريكي وانجب منها الاطفال فاستقر في حياته واستمر في مواصلة الكفاح ليجني ثمرته النجاح .

هذا بعض الشيء عن نشأته . ومراحل حياته بين سوريا وامريكا او بين حمص ونيويورك التي مات فيها عام ١٩٦٤ .

اعماله : تعتبر جريدة « السائح » هي اكبر اعمال هذا الاديب المهجري والصحافي الخالد فهو اكبر صحافي المهجر دون مبالغة . فقد اصدرها عام ١٩١٢ ولم يكن يمتلك ثروة طائلة حتى يوطد بها الجريدة ويدعم مركزها ، ولكن القراء رحبوا بها واقبلوا عليها يقلبون صفحاتها ويقرأون ابوابها ، فراجت بينهم ، واخذت مكانتها اللائقة بين الصحف ، لما كان يبذل فيها من مجهود محمود ولما كان ينشر فيها من الانباء الثابتة الصادقة . وقد كانت في البدء تصدر في اثنتي عشرة صفحة من القطع الكبير وفيها صفحتان للادب واخرى لانباء الوطن العربي وللسياسة الدولية .

وقد مرت بالجريدة عدة ازمات كانت تعرقل مسيرها . فقد صدرت في عام ١٩٢٧ يومية وانتظمت فترة من الزمن ولكن هذه الفترة لم تطل فاضطر صاحبها ان يوقف مسيرها بسبب الازمة المالية التي استحكمت في ذلك العام بالولايات المتحدة ، غير ان عبد المسيح جاهد حتى بعثها من جديد في ثوب قشيب رحيب سنة ١٩٣٦ مرتين كل اسبوع وقد بلغ ما يطبع ويوزع منها ما يقرب من ١٣٠٠ نسخة .

وهناك ازمة اخرى ــ اجل واعظم ــ حلت بالصحيفة وهي موت كتابها الذين كانوا يمدونها بثمرات عقولهم وبانتاجهم الشعري والنثري مما كان يدفع بعجلتها الى الامام مما ساعد على نموها وازدهارها . فقد مات جبران عام ١٩٣١ وغادر ميخائيل نعيمه المهجر بعد ذلك ثم مات نسيب عريضه وامين الريحاني ورشيد ايوب وندره حداد واحمد زكي ابو شادي . والذي لا شك فيه ان الصحيفة اصبحت اقل مما كانت عليه قبل موت هؤلاء .

وقد كانت الصحيفة تصدر اعدادا ممتازة « كالسائح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الممتاز » الذي صدر عام ١٩٢٧ وقد تضمن الكثير عن الرابطة القلمية . ادبها وكتابها . وكان عبد المسيح يكتب بابا اسمه « الحان واشجان » زيادة على الافتتاحية التي يطالع بها القارىء . وقد قال هو عن هذه الصحيفة « انها كانت في بدء ظهورها تنفس انسان ، يريد ان يعبر عن مكنونات صدره وعن مشاعره ، وعن حنينه الى الوطن » .

ومن المشاكل الكبيرة التي شغلت الصحيفة وشغلت صاحبها هي مشكلة فلسطين . فقد اثرت الصحيفة بكثرة المقالات في توعية الشعب الامريكي بحقيقة الموقف في فلسطين وفي هذا يقول عبد المسيح :

« فقد استطعت ان ادخل في روع كثير من السكان في الولايات المتحدة ان الصهيونية تسمم افكارهم وان حقيقة القضية العربية لها اصول رسمية وانسانية تؤكد عدالتها » .

وظلت الجريدة تقاوم حتى آخر عام ١٩٥٧ فباع عبد المسيح حداد حقوق جريدته الى « راجي الظاهر » صاحب جريدة « البيان » . اما عن اعمال عبد المسيح حداد الاخرى فهي قليلة وضئيلة اذا قيست بجريدة السائح واهم هذه الاعمال :

١ ــ حكايات المهجر : صدر هذا الكتاب في ١٩٢١ وهو عبارة عن « تصوير الحياة السورية بأسلوب القصص الصغيرة » وبدأ بكتابة قصة « عبد الفطرة » ثم اخذ يكتب الثانية والثالثة وقد شجعه على هذا العمل عميد الرابطة جبران فقال له :

« اريد ان أقرأ لك من هذا النوع في كل عدد من اعداد جريدتك . ولا عذر لك عن عدم القيام بذلك العمل . فأمامك ميدان واسع ولجته فتعمق في حناياه وغص الى قاعه وجئنا بما تغوص عليه » .

وهذه الحكايات التي نشرها في جريدة السائح وجمع البعض منها في هذا الكتاب تعتبر صورة حقيقية واقعية لما كانت تجري عليه حياة هؤلاء الناس في بلاد المهجر . فقد صور فيها اخلاقهم ومكانتهم واتجاهاتهم . ويعتبر هذا الكتاب اول الكتب التي حاولت ان تتعمق حياة هؤلاء الذين هاجروا الى شرق امريكا الشمالية . وقد قال عندما زار سورية في عام ١٩٦٠ :

« وعندي منها ــ اي من هذه الحكايات المهجرية ــ بعد ذاك الكتاب ما يمكن جمعه بكتاب آخر او اكثر من كتاب واحد . وسوف انصرف لهذا الجمع بعد عودتي الى مكتبي في نيويورك » . وله في كتاب مجموعة الرابطة القلمية الصادر عام ١٩٢١ قصتان هما « الله يسعده ويبعده » ، « ست الميت » .

٢ ــ شعره : وله عدة قصائد شعرية لم تنشر ولكن احمد زكي ابو شادي ذكر عدة قصائد في احد كتبه ، وقد بينت هذه القصائد مذهب عبد المسيح الفلسفي فمن شعره :

ان جسمي للباس ... ولباسي لبسني
جئت من آدم لكن ... آدم يخلفني

وقال ايضا :

اني على بساطي ... امامي الاسفار
كالملك في البلاط ... تحسده الابصار

ويمتاز شعره برقة الالفاظ وسهولة العبارة غير ان هذه الاشعار قليلة ولم تجمع . ولعبد المسيح عدة آراء في الادب العربي المعاصر فهو لا يحب شعر « شوقي » لانه شعر المناسبات ولان « هذه المناسبات تقتل ملكة الابداع لديه » ولذلك فهو يفضل خليل مطران على شوقي لانه لم يهتم كثيرا بشعر المناسبات . اما عن رأيه في جبران وميخائيل نعيمه فهو يعتقد ان لكل منهما مقامه المرموق في ادبه الخاص . فلكل منهما عالمه . وفي الحديث الذي عقده معه الاستاذ الاشتر يقول : « انا معجب بالمازني لاني احب الفكاهة والنقد ، وربما كان ذلك اصيلا في لاني كنت اعقد في السائح بابا باسم « الحان واشجان » اضمنه نقدا فكها » .

وقد كان عبد المسيح يتطلع الى انشاء حكومة نيابية لسورية . فلما تكونت لجنة تحرير سورية ولبنان برئاسة الدكتور « ايوب ثابت » قبل عبد المسيح ان يكون عضوا فيها . وكان برنامج هذه اللجنة انشاء حكومة نيابية تحت رعاية فرنسا وانفصال سورية عن الحجاز . وقد كان صاحبنا من المؤيدين للحماية الفرنسية على سورية ولكنه عاد فحمل على الداعين الى تقسيم سورية الى اقاليم متفرقة فكتب في ١٩١٧ يقول :

« تبا لكل مفرق . وقبح الله من يسعى لغاية له خصوصية غير مكترث بغاية الامة عامة . نحن اليوم ننتظر نعمة سماوية وموعدنا بها المستقبل القريب ... ولكن ارباب الفتن في هذا المهجر اصحاب الغايات الصغيرة الذين يقودون هذا الشعب كما تشاء اطماعهم . هؤلاء يفرقون بين المجموع ليسودوا ... » .

وفي عام ١٩٦٠ زار عبد المسيح حداد سورية مسقط راسه بعد غيبة كبيرة « ٥٣ » سنة في المهجر الامريكي . وطبيعي ان هذه السنين الكثيرة قد غيرت من معالم سورية عندما غادرها في شبابه . وعندما عاد رأى غير ما رأى فراح يسجل هذه الانطباعات التي انطبعت في نفسه ووقعت على حسه . فأصدر كتاب « انطباعات مغترب » وقد زار في هذه الفترة لبنان ومصر وسورية . وقد هللت المجلات والجرائد لمجيئه وراح الادباء يستجوبونه عن المهجر وحكايات المهجر وادبائه وشعراء الرابطة القلمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلم

رحلت فيك .. في ابتسامة منيرة خضراء
تضيء وجهك السماء
انا الذي اجيء في الصباح والمساء
كي انقش الدفاتر .. النجوم .. بالقصائد
وانفخ الرجال السمر في مسارب الضياء
وابعث العرائس ــ القلائد
فكيف تبعدينني عن بابك .. وتغلقين دوني النوافذ ؟

انفخ فيك .. في الرمال والصحراء
روحي التي تهيم بالبحيرة التي تكتظ بالامواج ...
والاشواق للحدائق الغناء
فمذ رحلت وقلب ناقتي معلق بالواحة الفيحاء
وانت يا صديقتي البلهاء
اراك تضحكين للمروج .. والسنابل ــ الخواء !

متى يجيء الخير ؟ متى يفيض النهر
وانت يا اماه تبذرين
وهذه السماء بخيلة ... شحيحة بالقطر .
الصوت يقطع الفضاء والصحراء : يا سماء
القيظ يملأ الارجاء ونحن لا نريد غير قطرة من ماء .

الزقازيق ــ مصر — حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اجاب على كل ما وجه اليه من الاسئلة وقد سجلت هذه الاسئلة والاجوبة في هذا الكتاب . كما ان الكتاب يعتبر مرجعا هاما لدراسة الشعر العربي والشعراء العرب في المهجر لانه روى ذكريات واحداثا غير معروفة لدى كل الذين تناولوا ادب المهجر بالدراسة . فهذا الكتاب مادة جديدة لدراسة هذا الادب .

ولقد انتهج له منهجا لا ينفصل عما كان يحس به شعراء وادباء المهجر وقد لخص نظراته الى الحياة بقوله :

« لقد ادركت من كل ما درسته في حياتي ان كل واحد منا نقطة من نهر الحياة ما دمنا احياء . لنكون نقطة من بحر الوجود بعد ان يصبنا النهر في بحر الوجود الذي تتبخر منه حياة الافراد مرة بعد اخرى . وانا اعتقد بالحياة ودوامها ذلك ما استقر في دماغي ونفسي . وعليه ثبت معتقدي » .

هــذه بعض الخطوط العامة الهامــة في شخصية عبد المسيح حداد وقد رأيت ان اختمها بما قاله عنه احمد زكي ابو شادي فقد عاش معه في المهجر الامريكي بعد هجرته من مصر : « واذا كان عبد المسيح حداد مقلا في نظمه فنثره غير قليل وهو في الحالين اديب خلاق واسع الافق يتجلى في نثره ونظمه معــا روح التقدم الانساني المتواصل . انه بحق الرمز الباقي الحي للرابطة القلمية . ودراسة آثارها التي تستوعب الكثير منها مجلدات السائح تمتعنا بالتفاعل الناضج مع خير ما وهبه الفكر الامريكي والمجتمع الامريكي لــلادب العربي ولابنــاء العروبة في المهجر » .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

الشعر الخالد

الاهداء : الى روح نعوم مكرزل (١٨٦٣ ــ ١٩٣٢)

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *



عنوان هذا المقال ولا الاهداء من عنديات ، بل هو عنوان واهداء التمس « جميل بطرس حلوة » (١٨٨٣ ــ ١٩٤٦) بنفسه ان يتصدرا خمسين قصيدة عربها هو شعرا عن اللغة الانكليزية ــ اذا كتب لها النشر مجموعة .

« الهدى » (النيويوركية) كانت ، ولا تزال ، معرضا لأدب المهاجرين ، وسجلا في تاريخهم ينقل الى السلف مشاهد من جهادهم واخلاقهم ونزعاتهم وآدابهم . وكمرآة تعكس ما اكتسبوه من المعرفة والاختبار والتأثيرات في محيطهم الامريكي العظيم .

ولذلك فقد رأيت من الواجب اتحاف العالم العربي على صفحات هذه الجريدة بمقاطع شعرية جادت بها قرائح شعراء الغرب اللامعين ، وحبذا لو عكف ادباؤنا على ترجمة مؤلفات الغرب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والادب من شعر ونثر ...

انني سأنشر في « الهدى » ــ كما تسمح أوقاتي ــ سلسلة طويلة من مقاطع شعرية سأنقلها عن الانكليزية الى العربية ، مازجا روحي بأرواح مبتدعيها الموهوبين والموهوبات ، ساكبا اياها في قوالب عربية اتمنى ان تجيء عند رضى القراء واستحسانهم ، وان تبقى لي أثرا في الادب ــ بعد انسدال الستار الاخير ــ شاهدا على كوني اجهدت النفس لاستثمار موهبة الشعر التي لازمت طبيعتي ، وخدمتها لمجرد هيامي بها ــ لا طمعا بشهرة او بمال . واذا صدف الامر وطبعت هذه المجموعة الشعرية فرجائي ان تهدى لروح صديقي نعوم مكرزل ، الذي كان أبدا يستثيرني لمتابعة النظم .

والتمس ان تنشر هذه المعربات تحت عنوان « الشعر الخالد » .

هذا ما كتبه حلوة الى صديقه سلوم مكرزل (١٨٧٩ ــ ١٩٥٢) في رسالة مؤرخة ١٩٣٣/١١/١٧ . فبناء على هذه الوصية ، ونزولا على ارادة صاحبها ، واحتراما له ، كان العنوان والاهداء أعلاه ــ وهو أقل ، بل اسهل ، واجباتي نحو هذا الاديب المهجري المجهول .

سأقدم اذن للقارىء خمسين معربة (مجموعها ٤٥٦ بيتا) ، نشرت مسلسلة بين ١٩٣٣/٩/٩ و ١٩٣٤/٥/١٠ ، ملحقا بها اربع معربات اخرى (مجموعها ٦٠ بيتا) عثرت عليها اثناء جمعي لأشعار حلوة ، تاريخ نشرها هو ١٩٠٧ (٥١) ، ١٩١١ (٥٢) ، ١٩٢٤ (٥٣) ، ١٩٤٥ (٥٤) . وهذه المعربات الاربع ــ واسباب اخرى لا مقام لذكرها هنا ــ تدفعني الى الاعتقاد ان المعربات الخمسين لم تنظم جميعها في بحر ثمانية اشهر ، بل في بحر ٢٧ سنة او اكثر ، وفي اوقات متفرقة كانت بين عام ١٩٠٧ ــ او قبله ــ وعام ١٩٣٤ . اما ترتيب نشر المعربات فاني استبعد ان يكون هو نفسه ترتيب نظمها .

على ان صعوبة ــ وربما استحالة ــ تأريخ وترتيب كل معربات حلوة ترتيبا زمنيا حسب نظمها لا تمنعنا من محاولة ربط عدد من هذه المعربات ببعض الاشخاص المعروفين في حياة شاعرنا ، والذين نظنهم لعبوا دورا في تهيئة المناخ المناسب له لاختيارات خاصة من الشعر الامريكي والبريطاني .

فـ « ماري » أخته ، ربما هيأت له تعريب (١٩) « طولي ، يا فراشة » التي « قرأ فيها تاريخ الصبا ... ايام كان مطاردا وشقيقته سرب الفراش » ، ولكن ما لا شك فيه ان وفاة هذه الاخت ، عام ١٩٠٧ ، هيأت له في العام نفسه تعريب (٥١) « لكائنة في الفردوس » .

و « ادما » زوجته ، لعلها مهدت له تعريب (٢١) « عبادة الحب » فبث فيها مشاعره نحوها قبل زواجه بها ، ولعلها مهدت له ايضا تعريب (٤٣) « الحبيبة ايفا » ، بعد ان اصبحت له زوجة عام ١٩٠٥ ، ولكن ما لا شك فيه ان جميلا وجد في (٣٥) « لدى سرير الموت » وصفا طابق حال ادما وحاله وحال الاولاد ، في تلك الليلة السوداء من عام ١٩١٤ التي فاضت روح ادما فيها ، فقام بتعريبها .

اما « ماري » زوجته الثانية ، فلا بد انها أوحت اليه بتعريب ثلاثيته : (٢٣) « هل اسمك مريم ؟ » ، و (٢٤) « راعوث » ، و (٢٥) « وداع الحبيبة ماري » . اذ بامكاننا ان نتصور جميلا في (٢٣) وهو يتقرب الى ماري قبل زواجه بها عام ١٩١٨ ، وكذلك في (٢٤) ، اذا اعتبرنا البيت الاخير في الاصل الانكليزي لهذه القصيدة ــ وهو بيت اهمله حلوة ، وترجمته الحرفية : « تعالي شاركيني حصادي وبيتي » . اما (٢٥) فبعض كلماتها تشير الى ان تعريبها كان بعد زواج جميل بماري .

معربات حلوة اذن ، ان دلتنا على اشياء ، فهي تدل ــ اولا وقبل اي شيء آخر ــ على بعض ما شغل فكر حلوة وهمه في حياته الخاصة والعامة ، ثم على شغفه بالشعر ، وعلى سعة اطلاعه على الادبين الامريكي والبريطاني ، وعلى تضلعه من العربية والانكليزية ، وعلى مقدرته الشعرية ، وعلى ذوقه الرفيع .

والذي يقارن معربات حلوة بأصولها الانكليزية سيلاحظ ان حلوة نجح في تعريبه ــ احيانا اكثر من احيان اخرى ــ اذا اعتبرنا قيود الوزن والقافية التي قيد هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسه بها . لقد كان حلوة أمينا في تعريبه للقصائد التي اختارها ، أمينا لأنه احيانا التزم بحرفية النص الانكليزي على قدر ما ساعده النص ، وعلى قدر ما سمحت له به العربية وقيوده الشعرية ، وأمينا ايضا لأنه احيانا اخرى خشي الا يعطي القصيدة الاصلية حقها ، فاكتفى باقتباس معناها العام وروحها ، وعلى هذا المعنى وهذه الروح نظم . قال وهو يقدم (١) « النفس والبحر » : « قرأت ليلة امس قصيدة خالدة للشاعر الانكليزي المشهور « الفرد تنيسون » هيجت عوامل نفسي ، ولم أشأ تعريبها خوفا من ضياع درر معانيها ، ولكن بوحي منها فاضت روحي في المجاري نفسها » .

ولا اعرف مجموعة معينة من الشعر الامريكي او البريطاني اختار منها حلوة للتعريب ، وانما كان اختياره — كما ظهر لي بعد تخريج النصوص الانكليزية لهذه المعربات — من كتب المختارات ، ومن المجلات ودواوين الشعراء .

ولمن قد يهمه دراسة المعربات دراسة مقارنة الحقت بالمعربات تخريجا موجزا بأصولها الانكليزية . وبرغم تخصصي القديم في الادب الانكليزي الذي سهل علي هذا التخريج ، فقد تركت للمتبحرين في الادبين الامريكي والبريطاني سبع قصائد صعب علي تخريجها . ستا منا لشعراء مجهولين — حسب ما ذكر حلوة — وهي القصائد ١٦ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، والقصيدة ٣٦ للامريكي وليم ونتر .

بخصوص هذه المعربات راجعت ايضا « ببليوغرافية ترجمات عربية من الشعر الانكليزي والامريكي (١٨٣١ — ١٩٧٠) » التي اعدها محمد عبد الحي ، ونشرتها « مجلة الادب العربي » (لايدن) في المجلد ٧ (١٩٧٦) . وجدت ان سبعا من القصائد التي عربها حلوة عربها آخرون ايضا . فالقصائد ٢ و ١٤ و ١٩ عربت كل منها مرة ، والقصيدتان ٢١ و ٥٣ عربت كل منهما مرتين ، والقصيدتان ٥ و ٣٥ عربت كل منهما اربع مرات . فيكون حلوة بمعرباته قد اضاف الى الادب العربي جديدا من الادبين الامريكي والبريطاني . هذا ، ويدل الاحصاء على ان حلوة عرب لـ ٨ شعراء امريكيين ، بينهم شاعرة ، ولـ ٢٢ شاعرا بريطانيا ، بينهم شاعرة ، ولـ ٨ شعراء — او اقل — مجهولين ، امريكيين وبريطانيين .

فيما يتعلق بنصوص المعربات ، أود ان اذكر اولا ، ان المعربة ٥٢ وردت اصلا بدون عنوان ، وثانيا ، ان المعربات ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٤٥ ، ٥٠ وردت ابياتها اصلا ناقصة القوافي . سبب هذا النقص تلف اصاب اطراف الصفحات التي بها هذه المعربات . ولكن اعتمادا على قافية الشطر الاول من مطلع المعربة ، او على المقاطع الاولى الباقية من الكلمات القوافي نفسها ، او على سياق الكلام ، او على الاصل الانكليزي ، حاولت ترميم قوافي هذه المعربات ، الا قوافي المعربتين ١٢ و ٥٠ — فقد استعصى علي ترميمها ، لذا جاءت هاتان المعربتان هنا بدون قوافٍ كما وجدتهما . ●

أمر اخير احب ان اشير اليه يتعلق بحلوة نفسه . هذا الامر هو ان حلوة كان واحدا من الادباء المهجريين المعدودين الذين درسوا الادب الانكليزي (الامريكي والبريطاني) دراسة مدرسية منظمة ايام الحداثة . ولعله الاديب المهجري الوحيد الذي حافظ على صلته بهذا الادب حتى آخر ايامه . فلا غرو اذا غدا هذا الادب احد الروافد الرئيسية التي غذت روحه وادبه بالكثير الجميل الذي نجده في شعره ونحسه في شخصيته . وقد دل حلوة على هذا ، فقال :

« أكتب هذه السطور وافكاري تحوم حول زمن حداثتي ، لما كنت انصب بكليتي على اعمال المتنبي ، وابو العلاء ، وزهير ، واليازجي ، والاديب ، والحداد ، وشكسبير ، وهوغو ، وكولوريدج ، وبوب ، وبو ، ووردزورث ، ولونكفللو(*) ، وكثيرين غيرهم . واشعر بواجب فضل وجميل عظيمين لهم علي . فقد صقلوا طبيعتي ، ورققوا شعوري ، ورفعوا آرائي ، وهيأوني لمصادمة الحياة بجد وثبات . فيا لهم من اصدقاء مخلصين ، واساتذة بارعين ، يغذون القلوب من دماء قلوبهم ، وينيرون الافهام من ضياء عقولهم ، وتأكد ان الحب والاعتبار اللذين ابتدأ بمعرفتهم سينتهيان معي فقط بانتهاء الحياة » .

١ — النفس والبحر

عزة البحر ترامت
عند أقدام الصخور
لم ينل منها مراما
منذ تأسيس الدهور
موجه بعد جهاد
عاد بالقلب الكسير
مسمعا انات يأس
هي انات الصدور
يا لساني ، آه ، لو تفصح
عما في شعوري
عظم الحزن ، وعادت
ذكرياتي للظهور
وبكت آمال نفسي
لانخذالي وقصوري
آه ، كم لي من امان
طويت دون نشور
آه ، كم لي من حبيب
قد ثوى طي القبور
فهنيئا لجهول

● (الاديب) : حاولنا ترميم قوافي المعربتين المذكورتين .

مـــا درى كنـــه الامـــور
والتهـــى فيمـــا يـــراه
بصفـــــاء وحبـــــور
فهـــو كالمركب يجـــري
جاهـــلا امـــر المصـــير
قـدك ، يـا قلـب ، خفوقا
لسـت بـالشـيء الخطـير
ان تكـــن نفسـي بحـــرا
فلهـــا حـــظ البحـــور

٢ ــ سهمي ولحني

ارسلـت سهمـا في الفضـاء
بخفـــة تعيـــي البصـــر
فغـاب عنـي حيـث شـاء
لمـــا الـــى الارض انحـدر
وانشـدت روحـــي غنـــاء
طـار كسهمـي ثـم خـر
فغـاب عـن عـين الرجـاء
وضـاع مـــا بـين البشـر
وبعـــد ان دار القضـــاء
اطلقـت سعيـي في الاثـــر
فبـــان سهمـــي بمضـــاء
في السنديـان ، مـا انكسـر
ولحـــن روحـــي بجـــلاء
في مهجـــة الخـــل استقـر

٣ ــ نجمتـي

كـل مـا اعرفه عـن نجمة
انهـا كالماس تزهـو بالشعاع
فاحمرار النـار منهـا ساطع
وازرقاق البحـر منهـا باندفاع
ذاتها كون صغير ، قـد حوى
كل حسن من ذرى الافلاك شاع
ان روح الطـير فيهـا خافق
وهي كالزهرة منها الطيب ضاع
قـد انـارت سبلـي هاديـة
ما على نفسي خوف من ضياع
هـام بـ « المريخ » غيري كلفـا
وانا حبي لهـا في الارض ذاع
فاتركوا الافـلاك في أمجادهـا
وانظروا في نجمتي حسن الطباع

٤ ــ العنكبة الصامتة الصابرة

عاينتهـا صامتـة صابـره
وحيـــدة تحـــرك البـادره
عنكبـة تبـدو علـى شاهـق
تنظـر فيمـا حولهـا حائـره
تريـد أن تسبر غـور الفضا
وتفقـه الغرائـب الظاهـره
فأرسلت خيطـا عليـه امتطت
ولـم تـزل في خيطها سائره
وانت ، يا نفسي ، في مشهد
لا اول لـــه ، ولا آخـــره
يروعـــك الجـــو برحباتـه
وتستبيـك الابحـر الهـادره
وتمتطين الفكـر نحـو السهى
بأعـــين ساهيـة ساهـره
قومي ابتني جسرا لقطع المدى
والعود من دنياك ، يـا زائره
وامشي عليه نحو شمس العلى
واستطلعي اجرامهـا الدائـره

٥ ــ موسيقى الاصوات العذبة بعد فواتها

عذوبـة اصـوات الأحبـة تنقضـي
والحانها في النفس تصـدي وتطرب
ألست تـرى زهر البنفسج ان ذوى
يـدوم شذاه في الانـوف ويعـذب
واوراق ورد الروض امـا تناثـرت
لهـا في فراش الحب عطـر مطيب
وفكرك يحيـا بعدما العمـر ينطوي
وحبـك يبقـى الدهر وهـو مطوب

٦ ــ يـا وطني

أيـا وطنـي ، مـا دمت فيـك منازل
تعـــود وتحميهـا الرجـال البواسـل
تعـود اليهـا كلمـا يومهـا انطـوى
وفيـه انقضـت حاجاتهـا والشواغـل
ومـــا دامـت الولـدان في عرصاتهـا
تنشئهـا الغيـد الحسـان الغـوازل
فقل لعوادي الدهر : ما شئت هاجمي !
فكـل بـــلاء عنـك لا شـك زائـل
ويـا وطني ، مـا دمت ، والزاد حاصل
لـدورك ، والنـيران فيهـا شواعـل
ومـــا دامـت الانـوار ليـلا تضيئهـا
ومـا دام فيهـا الديـن والحـق ماثـل
فـــلا خطـر يخشـى عليـك كأمـة
ولـــو نـاب مكـروه وحلـت نـوازل
مغانيـك ، عـــين الله تحـرس اهلهـا
وانـــك بســم الله للمجـــد نائـــل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ ــ العش والمهجة

علقت طائرة بغصنة
فتغاوى الزهر فيها طربا
وعليها رفرفت وزقزقت
بهجة ، وا عجبا ، وا عجبا
وابتنت عشا بديعا ، أودعت
كنزها فيه ، كما الحب حبا
هكذا الغصنة صارت مسرحا
للأناشيد ، وصارت ملعبا
أقدم السعد ، فيا طائرتي
مرحبا ، أهلا وسهلا ، مرحبا
عطفت سلطانة الحسن على
مهجة كانت تعاني الوصبا
فاستحال اليأس فيها أملا
وغدا السعد لها مصطحبا
زارها الحب صفاء ، وابتنى
فوقها عرشا يمس الشهبا
هكذا للحب صارت مهبطا
ولعرش الحسن صارت منصبا
فهنيئا ، فاخري ، يا مهجتي
كل قلب ذاب شوقا وصبا

٨ ــ استفيقي ، يا شقيقتي

من فراش الورود والازهار
نهض الفجر يحتفي بالنهار
مثل حسناء في الرياض تهادت
يا لحسن يشع بالانوار
فانهضي ، يا شقيقتي ، ان عين
الشمس ترنو سريرنا بازورار
لكرانا تحمر غيظا ، وترمينا
بنار ــ من نافذات الدار
فاستفيقي ، واسرعي ، واصحبيني
قد دعانا صوت الربى والبراري
قد دعانا الربيع ، هيا نحيي
حسن هذا الوجود في الاسحار

٩ ــ زهرة في الجدار المشقوق

يا زهرة قلعتها
من شق ذياك الجدار
وفي يدي قلبتها
معمقا في الافتكار
لو كنت أدري كيف ذا
ك الحسن في الزهرة صار
لكنت أدري من هو الـ
ـه العظيم الاقتدار

١٠ ــ الحق

يشدد نفسي أن ترى الحق خالدا
ولو كان جسمي في الطبيعة بائدا
فيا خطواتي ، ان تزلي وتشردي
فما انفك قلبي للحقيقة ناشدا
ويا نفس ، اما استعبدتك يد الهوى
الا اذكري فالحق ما زال سائدا

١١ ــ عبور البحر

هوذا الشمس آذنت بالغياب
وبدا في الدجى شعاع الشهاب
ودعاني اليه صوت صريح
لا تنوحوا ، ان رحت فوق العباب
يا لمد جرى كحلم وجزر
أمر الموج خلسة بانسحاب
هكذا البحر مرجع ما تعدى
عن حماه بروحه الجواب
خيم الليل ، والنواقيس دقت
مصديات بين الربى والهضاب
وسأعلو الخضم عنكم نزوحا
فوداعا ، لا تحزنوا ، يا صحابي
فوق هذا التيار أجري بعيدا
عن حدود الوجود دون اياب
ورجائي اني أرى وجه ربي
يتجلى وراء ذاك الحجاب

١٢ ــ الحياة

تصاحبت ، يا نفسي ، واياك مدة
وسيان طقس سيىء وجميل
اذا ما رحلنا فالأحبة للأسى
لهم زفرات بعدنا وعويل
لذلك قومي نترك الدار خلسة
ليؤلمنا هذا النوى ويطول
ولا تهتفي : ليلا سعيدا ، وانما
اذا ما التقينا في النعيم نقول
وقولي : صباح النور ، عدنا الى الحمى ،
وليس لنا من بعد ذاك رحيل

١٣ ــ الوداع

أسرعي للبحر ، يا ساقيه
فهو ملك يعشق الجاريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولديه قدمي موجة
حملتها نفسك الصافيه
وداعا ، انني راحل
نحو بحر ذاته خابيه
فاذكري حبي ، فلن تسمعي
وقع اقدامي بذي الناحيه

وتجاري فوق سهل ، وفي
غابة اشجارها عاليه
واجمعي ما شئت من جدول
ضل ، او من نبعة باكيه
ثم صيري النهر مستعظما
هادرا ينساب في الهاويه
واذكري حبي ، فلن تسمعي
وقع اقدامي بذي الناحيه

شجرات البان مهتزة
سوف تبقى ههنا ناديه
وطيور الأنس ما فوقها
سوف تبقى في الهوى شاديه
وترين الشمس في حينها
ونجوم الليلة الداجيه
فاذكري حبي ، فلن تسمعي
وقع اقدامي بذي الناحيه

١٤ ــ نصيبي وحبيبي

اذا ساء حظي ، واختجلت من الورى
خلوت بنفسي اشتكي وانوح
وازعج بالشكوى السماوات صارخا
ولكن ضجيجي في الهواء يروح
واكره نفسي لاعنا سوء طالعي
وقد هاج قلبي سؤدد وطموح
واغبط من قد حقق الدهر حلمه
وقد وفرت صحب له وصروح
ومن بات مشهورا بروعة فنه
وآخر عطر الحمد منه يفوح
ولم يقتنع روحي بعقلي وقسمتي
وهل للفتى مثل القناعة روح
ولما اعتراني اليأس والقلب ذلة
تسكع في الديجور ، وهو جريح
تجليت في فكري ، فأيقظني الهوى
واحبب بمرآك البهي يلوح
فطل على الفجر ، والنفس حلقت
كقبوة فوق الغيوم تسيح
ميممة باب السماء تيمنا
تردد ترنيماتها وتصيح :
هو الحب يغني النفس عن كل منية
ويسعد من قد ناله ويريح
وانعشت آمالي بذكر حبيبتي
ونهج نعيمي بان وهو صريح
رويدا ملوك الارض اني لقانع
وحالي على حالاتكم لرجيح

١٥ ــ الاغاني أو رسل العواطف

زمن اللهو القصير الاطيب
راح عنا ، يا اغاني ، فاذهبي
يا بنات الحزن ، حياك الاسى
والاماني ، يا بنات الطرب
قد مضى ما منك بالامس انقضى
وغدا منك ضروب العجب
فاذهبي ، انا اذا الليل دجا
وسلكنا في عسير المذهب
يستجير الهم بالانس الذي
كان في الماضي لقطع الغيهب
يا لأيام حلت فيما مضى
قد شربناها بمر الكرب
ان تناءينا ، فلا ، لا ترجعي
والتقينا في الاعالي فاصحبي
واذا سوئلت : لم قدر أن
تفرحي في الارض او تكتئبي
فأجيبي : كان يومي محزني
وغدي قد كان دوما مطربي

١٦ ــ يا زمان الحب

مثل عنقود زهور
من غصين يتدلى
في الربيع الحلو بالشكل
وباللون تحلى
هكذا الحب وقلبي
طائر طار وعلى
واليه عاد مجذوبا ،
وعند الزهر حلا
ناشدا فيه الاغاني
بهواه مستقلا
انما لما عدا فصل
شبابي وتولى
وتعرى ذلك العنقود
في البرد وشلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طـــار قلبـــي نائحـــا في
تيهـــــه لا يتسلـــــى
يـا فـؤادي ، هـل تـرى
منـك ربيـع الحـب مـلا
آه ، هـــل تذكـر ليـــلا
صـــار في الخاطـر ظـــلا
حينمـــا بالسعـــد وافـت
والكـــرى عنـــا تخلـــى
وردة الحســـن ارتنـــي
في جمـــال الصـدر فـــلا
وفـــؤادي في الهـــوى
بـــات علـى الـوردة ظـلا
وضممـت الحسـن حتـــى
فلـــق الصبـــح تجلـــى

١٧ ــ دعني في غمي

ترحل ، وقـل عني الذي انت قائل
فمـا انـا مجنون ، ولا انـا جاهل
فشلت بطرد الغم عنـي ، فسحره
تملك نفسي ، وهـو للنفس شامل
الفـت دياجيه ، ولسـت براغـب
سواه ، وما لـي غـير همي شاغل
فدعني وشأني ، ان فيـه سعادتي
ومـن زفراتي ضـوء فكري شاعل
فلا تنتهب كنزي من اليأس والاسى
فقـد عجزت عـن مشتراه العواهل

١٨ ــ فصل الخطاب

لـم تستفد من طويل الشرح والجدل
فاقصد سريرك واصمت فيه واعتزل
حصـن الجهالـة معتـز بحارسـه
كم قد هجمت ، ومنه عدت بالفشل
طـال احتجابـك والافهـام مغلقـة
فالنـور ليس يـراه ارمـد المقـل
تعبت فاهدأ ، ودع من ليس يفرق ما
بـين النسور وبـين البط والحجل
كم حقروك ، وكم جاروا عليك ، وكم
زادوك سفسطة مـن اجل الجمل
فاذكر ــ هديت ، ففي التذكار عزية ــ
مـا كابـدت انبيـاء الاعصر الاول
كـم اطلقوا طلقات الوحي فاندفعت
ثـم انثنوا ، وقضوا خالين من امل
تلـك الفصاحـة لا تجديك منفعـة
فـان قحمت اقتحم بالصمت والعمل
حتى اذا دك حصن الجهل وانتصر
الحق المبين علـى الكفران والخلل
بـت الشهيد لـدى الانقاض جثتـه
وخلـدوك بذكـر المصلـح البطـل

١٩ ــ طولي ، يا فراشة

ظلي بقربي ، يـا فراشة ، طولي
حتـى تقـر بحسنـك الابصـار
انـي لأقـرأ فيـك تاريخ الصبـا
فلنـا علـى صفحاتـه اخبـار
لا تهربـي عـن ناظـري ، ورفرفي
فلقاؤنـا يحيـا بـه التذكـار
رجعت الـي بروعها صـور الصبا
أهلـي الكـرام ومـا حوتـه الدار
واهـا لأيـام الصبـا ، فرياضـه
تزهـو بهـا الازهـار والاطيـار
أيـام كنـت مطـاردا وشقيقتـي
سـرب الفراش ، وللفراش فـرار
بغنيمتـي فرحـا ، وقلـب شقيقتي
متفطـر ، فلهـا الحنـان شعـار
تخشـى ملامسـة الفراشة خيفـة
مـن أن يزول عـن الجناح غبـار

٢٠ ــ الصـدى

بربـك ، أي صـوت قـد تعالـى
فصيحـا نستطيـب لـه مقـالا
عميقـا صافيـا ، يجـري وحيـدا
يجاوبنـا ، ولـم يسـأل سـؤالا
يـردد هاتفـا صوتـا بصـوت
وحجـب الـذات اكسبـه جـلالا
الا ذاك الصدى ، فاسمعه واخشع
لقـد مـلأ الاباطـح والجبـالا
فيـا لله ، نفـس دون جسـم
تجـول ، وانمـا عـزت منـالا
تبلـغ مـا عليهـا الدهـر أملـى
وتبـرزه تمامـا واكتمـالا
ونحـن بنـي المنون ، أمـا كفانا
نعمـق في غوايتنـا ضـلالا
عبيـدا للتطـوح والملاهـي
تعشقنـا التنـازع والنضـالا
الا ذاك الصدى يحيـي ، فسمعـا
ضمائرنـا لـه اضحـت مجـالا
يـردد في النفـوس حديـث قـوم
لقـد نزحـوا عـن الدنيـا ارتحالا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عظمات من وراء القبر لكن
قد احتلت طبائعنا احتلالا
صدى صوت الاله بكل نفس
فسمعا للصدى ، اما تعالى

٢١ ــ عبادة الحب

هي لفظة علوية ولطالما
هزاوا بها ، وبهزئهم لا اقتدي
لا تزدري ذاك الشعور ، وان يكن
أزرى به قلب السخيف المعتدي
فاليأس فيه والرجاء ، كلاهما
لا تخمدي نار الرجاء الاوحد
عطفا على المضنى ، فعطفك عنده
اغلى واثمن ما يروم ويجتدي
انا لست أحبو ما يسميه الورى
حبا ، ولكن فاسمعي لتنهدي
قلبي يقدم في الغرام عبادة
ان السماء ترق للمتعبد
يهفو الفؤاد الى جمالك مثلما
تهفو الفراشة نحو نور الفرقد
واليأس يرتقب الرجاء كأنه
ليل يبشر بالصبيحة في الغد

٢٢ ــ قلبي يثب في صدري

كلما ارنو الى قوس قزح
لائحا في الافق قلبي وثبا
رجلا ادهش منه بفرح
مثلما قد كنت في عهد الصبا
واذا ما الشيب في راسي اتضح
لم ازل انظر فيه العجبا
دهشي باق ، وان عني نزح
قلت : زر يا موت ، انسي ذهبا
اصبح الطفل غلاما ، ومرح
ثم اضحى بعد اعوام أبا
اشتهي عمري ــ اذا الله سمح ــ
طاهرا كالطفل يهوى اللعبا

٢٣ ــ هل اسمك « مريم » ؟

ما اسم المليحة ؟ هل انادي « مريما » ؟
فالقلب شاء كذاك ان يترنما
خير الاسامي في الورى والذها
وافقته ، وعليك حل محكما
هوذا سميتك التي دعيت به
لهجت بها الدنيا واجواق السما
احبب بذاك الصوت شنف مسمعي
وبحسن ذاك الثغر منك تبسما
وبذلك الشعر الذي في ليله
عودت قلبي ان ينام ويحلما
حسن به شرك لأرباب الهوى
قلبي فداؤك ، ما له ان يسلما
لا تأسريه ، فليس نسرا هائجا
او لم تري فيه الهزار منغما
رفقا بصبك ، وانصتي لأنينه ،
فالحب علمه بأن يتألما
واذا الدجى ارخى عليك سدوله
وخلوت وحدك ترقبين الانجما
فخذي قريضي ، عل فيه شفاعة
ان تقرئيه تلطفا وتكرما
واذا غضبت علي فانسيني ، ولا
تدعي العذول بذلتي ان يعلما

٢٤ ــ راعوث

بدت بين السنابل في الحصاد
مهفهفة وضوء الفجر باد
تهادت بالمحاسن اقحوانا
ترافقها السنابل في التهادي
وضمتها الاشعة لاثمات
ونور الشمس يلثم عن بعاد
ففاض النور في الخدين يهدي
قلوب العاشقين الى الرشاد
ولكن في الغدائر عتم ليل
يضل المستهام عن التمادي
وقبعة تحجب من سناها
والا عم اطراف البلاد
وعيناها على صرعى هواها
توشحتا بأثواب الحداد
فألحاظ واهداب وشعر
سواد في سواد في سواد
الا لله من صبح وليل
قد اجتمعا على غير اعتياد
جمال ما رايت له نظيرا
يمجد حسنها رب العباد

٢٥ ــ وداع الحبيبة « ماري »

هاتي (...) ، يا حبيبة ، (...)
(...) الهوى ، ثم اجلسي (...)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلقد دعا الوطن العزيز ، وأنت لي
وطني العزيز ، فليس لي من مهرب
تلك السفينة بانتظاري ، انها
تهتز من نغم الحماس المطرب
والريح هب من الخضم مناديا :
حان الفراق ، دع الحبيبة واذهب
سمعا ! صدى الابواق يدوي ، وانظري
خفق البيارق في الهواء الارحب
وتحضرت بيض الحراب كأنها
شهب السماء تشق جوف الغيهب
صعقات روح الحرب صرمت المدى
وبدا العجاج مع الدم المتصبب
لا البحر هاج ، ولا الشواطىء زمجرت
تغري فؤادي بالبقاء الاطيب
كلا ، ولا هول الوغى ، لكنما
ذعر الفؤاد من الفراق المرعب

٢٦ ــ مركب الوطن ومن بناه

ارخ الشراع على اللجج
ومر الرياح ، فلا حرج
يا مركب الوطن الذي
في « الاتحاد » قد اندمج
سر ، يا عظيم ، بمجد ذا
تك ، فالخضم لك انفرج
سر ، فالخلائق أودعت
فيك البصائر والمهج
فعلى مصيرك بؤسها
يبدي الزمان أو الفرج
فلأنت للبشرية الصـ
ـبح البديع قد انبلج
لك هيكل من فكر قبـ
ـطان بصنعته ابتهج
أعلمت من قوى ضلو
عك ؟ أو حبالك من سرج
أعلمت من نسج الشرا
ع لجري مجدك فانتسج
أي المطارق ، اي سنـ
ـدان بشغلك قد وهج
أو اي آتون مرا
سيك المحكمة اختزج
كم من فؤاد كالحدي
د بصدرك السامي اندرج
لا ترهب الهزات أو
صوتا اذا ما الصوت ضج
لا ، لن تصادمك الصخور
وانها لطم اللجج
بل انها خفق الشرا
ع بعصفة الريح اختلج
بالرغم من هول العوا
صف حي مقبلة الحجج
شق العباب مقوما
ما في مرامك من عوج
نفديك بالارواح ، يا
ملقى الاماني والمهج

٢٧ ــ ليس لنا بل لها ، يا رب

ليس ــ يا رب ــ لنا ، ليس لنا
مأمن الليل ، ولا أنس النهار
لا ، ولا الوحي السماوي الذي
يوقظ النفس بنور وبنار
أو فؤاد الحزم أو صوت العلى
أو مآتي الجد تولينا الفخار
كلها منك ، اذا شئت همت
واذا شئت تلاشت كالبخار
قد حرمناها ، وقد أعطيتنا
أثر الجرح بتعذيب وعار
وتسلطت على انفاسنا
وكما تأمر نجري وندار
قد طوت ايدي الاسى أعمارنا
والردى يقضي بانزال الستار
فاسترد الروح ، واسلب نورها
وليكن في الارض والجو انفجار
يا الهي ، انما احفظ ذاتها
وجمالا منك ، يا رب ، استنار
واحم كنز الحب ، لا تسمح بأن
يختفي ، أو يعتري الحب اندثار
ما شقائي في جحيمي ان تدم
في سماء العز يعليها الوقار

٢٨ ــ هلموا وارجعوا

عودوا على زبد تطاير
فوق لجات البحار
أصواتكم رنت من الـ
ابعاد في هذي الديار
ناداكم الوطن العزيز
فقد براه الانتظار
هوذا شوارعه ازدهت
كي تلتقيكم بافتخار
آمالكم ، لا ، لن تموت
فلا تقولوا : الفكر حار
عودوا ، وما أحلى الرجوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى صروح الافتكار
تدعوكم ساح الجها
د والاختراع والابتكار
فاستأنفوا حرث الحقول
على اناشيد الهزار
واستصحبوا الشعراء حلما
فالنجوم لهم جوار
عودوا الى عقد الزمان
وحللوها باصطبار
تلك الانامل لن تخيب
وان تخب ، ما ذاك عار
حسب النفوس جهادها
ولئن تلاها الانكسار
عودوا على ظهر السفينة
وامتطوا متن البخار
جمع الدخان جيوشه
في كل مرحلة ، وسار
تلتف حول بنودكم
طي الهواء لها انتشار
محروسة تلك السفينة
قلبها بالشوق طار

٢٩ ــ الشيخوخة

هياج البحر يعقبه سكون
اذا ما اقلعت عنه العواصف
وارواح الانام لها هدوء
متى سلمت المطامع والعواطف
تحقق بطل ما ركنت اليه
وتذكر ان ما اغواها تالف
ضباب الحب يقشع والاماني
فتتضح المناهج والمواقف
وتنظر ما حواليها فراغا
وطول العمر للمستور كاشف

الا للروح مأوى من ظلام
تعتقه حوادثه السوالف
وفي جدرانه تجري شقوقا
ومنها النور يدخل بالمعارف
اليس الجسم ان امسى ضعيفا
من الايام اضحى المرء ثاقف
وحين الروح تدعوه الاعالي
ويصبح من وداع الارض واجف
يرى الدارين : تلك على سلام
وهذي في التنازع والمخاوف

٣٠ ــ الشهيد الحقيقي

احق فتى بأن يدعى الشهيد فتى
في عمره لم يرق بين الانام دما
هو الذي روحه تحتج معلنة
قبح الشرور التي تستهلك الامما
وانه ابدا للحق مطلب
يسعى ، ولو كان يلقى سعيه عدما
بعزمه يخلق الاصلاح مؤتمنا
على مبادئه يرعى لها الذمما
ما ثبط البطل في الدنيا عزيمته
بل كلما جار اضنى النفس واعتزما
بالله ايمانه ، يبغي مشيئته
تراه في عصره بين الورى علما
وكيف تحرقه نار العدى ، وله
قلب ذكا في سبيل الحق ، واضطرما

٣١ ــ أنشودة الصباح

هجر البلبل صبحا عشه
نافضا جنحيه من قطر الندى
حسب المشرق في شباكها
فاهتدى بالنور وجدا وشدا
ليس من فجر اذا لم تطلعي
فاستفيقي ، جئت كي امجدا
يرقب الموتى في ابحاره
نجمة الصبح ، ويطوي الامدا
ولها التاجر يحني راسه
املا يسعى على طول المدى
ويرى الحارث في الشمس منى
راجيا من ارضه ان يسعدا
انما العاشق قد حيره
كيف قد ساروا على غير هدى
شغلي الحب واصباحي ، اذا
لاح في وجهك فجري وبدا
فاستفيقي ، واطردي حجب الكرى
عن محياك ، وحيي الاكبدا
ولدى الشباك لوحي ، وابداي
فجر نفسي ، فلك النفس فدا

٣٢ ــ « أبوللو » أمام رسم الحبيبة

تنشد الشعر ناعما في الاعالي
جالسا فوق عرشك المتلالي
نائيا عن عواصف حاويات
بصفير الرياح لست تبالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـا « أبوللو » ، مـا ظللتك غيوم .
عـش سعيـدا بروعـة وجـلال
وارانـي في هالـة مـن بهـاء
عكستـه علـي ذات الجمـال
يـا لنور مـن عرشها حف نفسي
فتسامت الـى أعالـي الاعالـي
حيـث قلبي ــ الا بشغل هواها ــ
صـار حقـا مـن البليـة خالـي

٣٣ ــ أحياك شعري

كـم مـن غـوان تتجنـى
تيهـا علـى قلـب المعنـى
في مركبـات العـز تجـري
محسنـة في الغنـج فنـا
لـم ينشـد الشاعـر لحنـا
في حسنهـا الا تغنـى
تنسـى هواهـن الليالـي
كـأنهـن مـا فتـن
وأنـت قـد أطلقـت شعري
فسـار في الدنيـا ورن
وحـين هـذا العصر يطـوى
كـأن مـا كـان وكنـا
كـم تشتهيـه ملكـات
لـو انـه منـي لهـن
وان تلـت شعـري العذارى
كـذاك راحـت تتمنـى
لـو عاصـرت قـدا بديعـا
حتـى تـراه يتثنـى
معتـزة فخـرا بحسـن
لقـد سبـا انسـا وجنـا
أحياك شعري ، وهـو يروي
دومـا حديـث الحـب عنـا

٣٤ ــ المروج المهجورة

كنـت تزهـين جـدة واخضـرارا
بجمـال مملـوءة ازهـارا
كنـت في الامس مسرحـا للاماني
تصرف الوقـت في حمـاك العذارى
حينمـا جئـن بالسلال ، وراحـت
كـل حسنـاء في الهـوى تتبـارى
واحتملـن الزهـور مبتهجـات
لتزيـن بالزهـور الديـارا
حينمـا درن في الحمـى راقصـات
وتغنـين فاستبـين الهـزارا
كـل عـذراء كللـت بالخزامـى
وكنبـع مـن صفوهـا تتجـارى
آه ، واليـوم ، لا نراهـن يلعبن
وينشـدن في الهـوى أشعـارا
هجرتك الاقـوام كالفضة الزهـراء
والشعـر في الهـواء استطـارا
انـت عندي كمسرف فقـد المـال
وأخـوى بعـد الثـراء افتقـارا
نائحـا ، لا يريـد أن يتعـزى
ووحيـدا ، لا يستطيـب الجـوارا

٣٥ ــ لدى سرير الموت

ليلـة بـين الليالـي
أبـدا تكسـف بالـي
قـد سهرنـاها قيامـا
وهـي ملقـاة قبالـي
لـم يخـل السقـم منهـا
أثـرا غـير الخيـال
صدرهـا يهبـط حينـا
ثـم يعلـو بالتتالـي
يـا لـه مـدا وجـزرا
يـا لحـل وارتحـال
وتخـاطبنـا بهمـس
وحـركنـا بانسـلال
وأعرنـاها قوانـا
عـل تبقـى في المجـال
انمـا العمر وهـول المـوت
كـانـا في نضـال
أشكـل الامـر علينـا
بـين هـدي وضـلال
فـرجـاء مستفيـض
وقنـوط متـوال
وحسبنـا انهـا ماتـت
وكـانـت في خبـال
وحسبنـا انهـا تحيـا
وكـانـت في زوال
وأتـى الصبـح ولكـن
لـم يكـن بالنـور حالـي
أظلـم الجـو وهلـت
مـن مآقينـا اللآلـي
أغمضـت أجفانهـا تـزري
بسقـم واعتـلال
ورأت صبحـا بديـع الـ
حسـن في دار الاعـالـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٦ ــ يتراءى لي بعض الاحياء

تراءى لنفسي على ساح امسي
غلام له قد حفظت الذمام
من اللعب عاد واذكر اني
انا كنت في الحي ذاك الغلام
فقلت : سلام على طيف شخصي
غبات يلاحظني بابتسام
فهل خاب ظنا غداة رآني
ولم اك ما شاء بين الانام

٣٧ ــ الماضيات

دقت الساعات من أبراجها
بطنين كنسيج العنكبات
فهي انات ليال قد مضت
وشكايات الامور الجاريات
رددت في خاطري اخيلة
واثارت في فؤادي الذكريات
كنجوم الليل ايامي ازدهت
واختفت عني لما الليل فات
كشموع قد انارت هيكلا
برهة ، ثم تلاشت ذائبات
والاماني في رماد اومضت
بعدما في الصدر ضاءت لاهبات
من معيد انجم الحب التي
في سماء العمر كانت ساطعات

٣٨ ــ حب عميق

رددت نفسي انغام الغرام
مدة طولى ، فملتها الانام
سحرتني ، يا لها من ساحر ،
وابتلت جسمي بآلام السقام
قلت : يا نفسي ، اهجري ترديدها
فأجابت : ما تعودت الفطام
من دواعي الحب ما لي مهرب
لذة الدنيا غرام وهيام
فله صوتي ، وفيه قلمي
ابدا ينشد منظوم الكلام
ايها الحب ، اهانوك ، وكم
وجهوا نحوك لوما واتهام
وادعوا انك مر ، كذبوا ،
ثمر الحب لذيذ (. . . .)
كل لذات الوجود اجتمعت
وتناهت فيك ، يا مغنى السلام
انا ادريك ، وقلبي طائع
وحياتي في سوى الحب حرام
لك عندي هيكل ادخله
(. . .) ، اتلو (. . .) باحترام

٣٩ ــ في غادة حسناء

يا جدولا ينساب في غابة
حلوا ، رعاك الله من جدول
تحكي جمال الطهر في غادة
تهوى جوار الروض والبلبل
من مهرجان الخلق مالت الى
سعادة الحياة في معزل
حازمة باللطف ، لا تنثني
عن قصدها للشرف المعتلي
باركها الخلاق من عرشه
لجريها في المسلك الامثل
في وجهها السماء معكوسة
كعكسها في وجهك المنجلي

٤٠ ــ روح الوجود

عضد الوجود الخادم المتطوعا
واحب في الخلق الهمام الاروعا
وتضى باهلاك الضعاف مآمة
حتى يجدد في الخلائق مبدعا
فهو (. . .) يعز (. . .) القوى
ويزيح من تحت السقيم الموضعا
فارفض مراحمه ، وحقر جوده
حتى يمد اليك منه الاذرعا

٤١ ــ بعض الطير في الربيع

ان بعض الطير في فصل الربيع
يطرب الاوراق باللحن البديع
ومتى بهجتها زالت ، جفا
وتناءى قاصدا غير ربوع
فهو قلاب ، وقد خادعها
ما صفا ، ما رق للقلب الوجيع
في خريف العمر قد خلفها
ولكم حنت الى وقت الرجوع
وانثنت شاحبة مهزولة
في ضياء الشمس والنجم الرفيع
وانا آنستها حتى قضت
وهوت للارض من عالي الفروع
لم تزل اناتها في مسمعي
وهي صرعى تحت اقدام الجموع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٢ ــ أنشودة ايطالية

احبب بحسن الروض في وادي الحمى
حيث الهزار أوى وصاح مرنما
في الحي عن كثب روى قصص الهوى
للعابرين من القرى متظلما
حيث اعتلى السنجاب أشجار الغضا
باللوز يلهو قارضا متنعما
وسقى الحيا تلك البساتين التي
بالزهر عطرت النسيم مهينما
وتنورت بالبرتقال حيالها
غار الكهوف ، وقد تصبي المغرما
ولكم سحرت هناك ساعات الرضى
بلذيذ الحان الهوى متألما
وضفرت ملتهيا اكاليل العلى
للفائزين متى النهار تصرما
كم هاجني الراعي بصرخة بوقه
حين الصباح بدا ، واخفى الانجما
ولكم طربت برقص غادات الحمى
لما دعا داعي الغرام ونغما
واها لألحان سرت وترحبت
بحلول انس الليل لما اظلما
قلبي له بالذكريات سعادة
أبدا أحن اليك ، يا وادي الحمى

٤٣ ــ الحبيبة « ايفا »

انت يا ذات المعالي في النساء
لحظك الفتان في الدنيا استضاء
مثل لحظي من مصابيح السماء
ان وجداني بهذا مخبرزي
هاك روحي ، فعليها سيطري
فهوانا علوي المصدر
فاسمحي لي أن أجيل النظرا
بجمال هو ملكي في الورى
ان قلبي هكذا قد شعرا
لا ابالي ان ذكت نار العيون
فهي تحمي رائع الحصن المصون
تشعل الحب ، وتقضي بالفتون
انها نار الهدى نحو النعيم
لفؤاد المستهام المستقيم
وذوو الشك لهم فيها جحيم

٤٤ ــ الفرد والمجموع

لا شيء يصلح أو يحلو على حدة
فالبعض بالكل قد تمت معانيه
رايت طيرا شدا فجرا على فنن
فخلت من جنة سالت اغانيه
فرحت أقصده في العش مقتنصا
لما سرى الليل ، واحتلت دياجيه
وعدت ، وهو أسيري في حمى قفص
يا لوعة الطير ان ضاقت مناحيه
غنى ، ولكنه ما عاد يطربني
وكيف يطرب من ضاعت أمانيه
لم أجلب الوحي من صدر السماء له
وفاته الروض ، فاتته سواقيه
هناك غنى لسمعي ، والوجود شدا
لأعيني ، وانبرت نفسي تناجيه

٤٥ ــ الجمال الحقيقي

أين التي حسنها بالعقل معتصم
رقت وراقت فحاكى لطفها النسم
يا شين حسناء بات العقل ينقصها
فانما هي في شرع الهوى عدم
وأين مثرية في الغيد ارغبها
لم يمتلك وجهها التعكير والورم
تسوم نفسي تحقيرا بصحبتها
فما الذي في هواها القلب يغتنم
وان طلبت ذكاء لم أجده بلا
نفس مخادعة بالغيظ تحتدم
أعوذ بالله ، ان صحت عزيمتها
فهي السلاح ، ومنها الجرح والالم
وان أرم غادة شاقت لطافتها
فالريح أثبت منها حين تنهزم
فحبها ليس لي وحدي ، يشاركني
بحسنها ذا ، وهذا ، أنتم ، وهم
هاتوا لي امراة في الحب مخلصة
فالحسن فيها ، وفيها الوفر والنعم
تحوي خلاصة مجد الكون أجمعه
وهي السعادة ، وهي الفهم والكرم

٤٦ ــ لا تهزأ بأناشيد الشعراء

للشعر مجد ، فلا تهزأ بدولته
واذكر محاسنه من سالف الحقب
لولا مفاتيحه ما كان أدهشنا
نهى « شكسبير » بالابداع والعجب
يهدي نفوس بني الدنيا بحكمته
الى انتصاراتها في الفضل والادب
فالشعر عود ، وكم « بتررك » داعبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستخرجا بلسما من صوته العذب
وكم على نايه « تاسو » أثار منى
وهز أرواحنا من شدة الطرب
بالشعر « كامنز » في منفاه نال أسى
مهمدا نار قلب فيه مضطرب
وشعر « اسبنسر » بالسحر يكشف عن
بدائع الجن بين الجد واللعب
وراس « دانتي » (. . .) الشعر كلله
بغار اكليله من روضه الرطب
قد جال بالروح ما فوق الخيال الى
عوالم تعتلي حتى على الشهب
وقلب « ملتون » لما خانه بصر
وبات من يأسه في غيهب الوصب
أسال في بوقه من شعره نغما
يسمو بأنفسنا (. . .) في الكتب

٤٧ ــ أقسمت ، ولكن على عجل

أقسمت ، في الزمن الاخير ، على عجل
اني عدلت عن الصبابة والغزل
لما نظرت الى مسرات الهوى
كيف انقضت ومضت مصرمة الاجل
أقسمت لما البغض بات مسلطا
وأمات في صدري الاماني والامل
وعدلت عن قسمي لضعف طبيعتي
لما تولتني السآمة والملل

٤٨ ــ حلم هي الحياة

قلت : اقبلي لثمات ثغري ، فوق وضاح الجبين
فلقد دنا ــ والهفتي ــ يوم الوداع ، فودعيني
اني لأقسم بعد منا امعنت في ماضي شؤوني
ان الذي قد قلته حق ، فلا ، لا تعذليني
ضيعت آمال الصبا واعتضت عنها بالحنين
دب المشيب بمفرقي وخلطت شكي باليقين
هذي الحياة أظنها حلما ، وقد خابت ظنوني

موج الخضم يروعني متلاطما حول السفين
متدافعا نحو الشوا طىء ، مثل آساد العرين
ملأ الزمان مسامعي رعبا ، أما تكفي شجوني
فسألت رمل البحر عن حظي ، وما قد كن حيني
وأخذت منه قبضة ووثقت بالكف المكين
فتناثرت حياته فكأنها دمع العيون
الفت هدير البحر ، وا عجبا ، أروعها انيني
لم أستطع انقاذ وا حدة من الموج الخؤون
الله من فشلي ومن ضعفي ، أمالي من معين
هذي الحياة أظنها حلما ، وقد خابت ظنوني

٤٩ ــ البساطة الخلابة

أبدا وشاحك قد غلا
أبدا تعشقت الطلا
أبدا أراك كأنما
تيها دخلت المحفلا
منك العطور تضوعت
والوجه بالصنع انجلى
مهلا ، بعثت الشك في
من قد راى وتأملا
تحت اصطناعك من درى
ماذا اختفى وتعطلا
ما كل ذلك صالح
ما كل ذلك قد حلا
اهوى المحاسن مثلما
شاء الاله وشكلا
احبب بوجه واضح
من كل تطرية خلا
ببساطة الهندام ، بالشعر المرسل
ما ابدع الحسن الطبيعي الصريح المهملا
يغري التبرج اعيني
أما الفؤاد فلا ، فلا

٥٠ ــ القطاة في الثلج

تناثر دمع المزن وهو مجنح
فراح ببطء في الجهات يدور

وهام جمال الطقس من برج مجده
بحسن قطاة في الفلاة تطير
على الارض القاها الغرام وحيدة
ومن شوقها بين الضلوع سعير
فأهدى اليها فضة الثلج علّه
الى قلبها بعض العزاء يعير
فطارت ثليجات الى عش صدرها
لتبريده لو ان ذاك يصير
ولكنها عادت دموعا واجلدت
كحبات ماس بالشعاع تمور

٥١ ــ لكائنة بالفردوس

كنت لي ، يا حبيبتي ، كل شيء
مستحب ، اليه نفسي تتوق
فكجزر خضراء في وسط بحر
وكنبع يفيض منه العقيق
ولقد كنت مذبحا كللته
ثمرات على زهور تروق
وبتلك الزهور كان هنائي
يا لحلم ، ما لاح يوما ليبقى
ورجاء ، ما كان منه شروق
كالدراري ، الا ليحجب عني .
ان صوتا وعاه قلبي الرقيق
بي ينادي : الى امامك ! فالسنة
بل الحي للخلود طريق
بئس ماضي الحياة « وادي الشقاء »
آه آه ، قد انطفا نور عيني
فالذي نام سوف لا يستفيق
كلمات تجمد البحر فوق الرمل
هولا ، وهو المحيط العميق
كيف ، من ايكة لقد جففتها
صاعقات ، يرجى غصين وريق
كيف نسر يهب بعد الضناء
بشرود الافكار تمضي سريعات
اليك الايام بي ، وتسوق
ولياليّ كل احلامها ، فهي
حنين الى بهاك وشوق
لأثير ترنو لحاظك فيه
حيث رجلاك من خطاها بروق
حيث عدن انهارها بصفاء

٥٢ ــ الخالدات المنيرة

الا كل هاتيك المساعي نحثها
على شهرة في ارضنا مستطيره
وما هي الا باطلات لهائم
بحسن معان خالدات خطيره
معان علت بالحق وهي حقيقة
وليست كأوهام تغر حقيره
تئز تجاه الفكر في غفواتنا
ولا تنثني الا رمتنا بحيره

بلى ، ان روحي وهي جوابة الفلا
يعز عليها الحصر وسط حظيره
وليست على الدنيا تعلق مطلبا
اذا لم يشر للخالدات المنيره

٥٣ ــ مزمور الحياة

لا تردد بقنوط :
انما الدنيا منام
فخنوع الروح ــ لو تدري ــ
هو الموت الزؤام
ضل من يزعم ان الـ
قبر للعيش ختام
كتب الخلد على الروح
ولو تبلى العظام

ليس شأن الله في خلـ
ق نعيم واغتنام
بل صلاح كل يوم
بعد يوم باعتزام
فاغتنم الاوقات ، فالـ
أعمار مرت كالسهام
وقلوب الناس دقت
منذرات بالحمام

والورى حرب عوان
فازدحام واقتحام
كن بسوق الحرب ليثا
لا تسق سوق النعام
وادفن الماضي
ولا تحفل بما سوف يقام
واعتمد ربك في الـ
حاضر ، واجهد للمرام

واقرأ التاريخ وادرس
سير القوم العظام
تاركا مثلهم
آثار مجد للأنام
يهتدي من ضل فيها
كمنار في الظلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتعين السفن في الـ
يم الى شط السلام

ايها الناس ، جهادا
باصطبار للأمام
وانشروا العمران في الـ
أرض على طول الدوام

٥٤ ــ افتراء على القرود

قصدت يوما غاب جوز الهند
أمشي الهوينا في حماها وحدي
فلاح لي قرد على الاغصان
وخلفه قردان آخران
وقد جرت بينهم الابحاث
عما به قد جاءت الاحداث
فقال قرد منهم مرتاعا :
هلا سمعتم افك ما قد شاعا
ويح بني الناس ، ادعوا التسلسلا
من شعبنا الاشرف ــ لا ، وألف لا
فهل رأيتم بيننا من قد هجر
قرينة ، أعطاه اياها القدر
فهاج من هجرته بلبالها
وهالها مجوعا أطفالها
او هل شهدتم في القرود والده
عن بيتها تظل دوما شارده
فتترك الاولاد عند الجاره
وغيرها ، للنوم والاداره
حتى اذا مرت عليهم السنون
لا يعلمون امهم من من تكون
ما في حمى القرود من ضل وجار
وحول جوز الهند قد شاد جدار
محرما مأكله على الجياع
ولو هوى معظمه منه وضاع
ما قولكم ، لو حول اشجاري أنا
بنيت سورا صد عن جوزي المنى
الستم ترمونني بالجشع
وتلعنون في الحياة طمعي
فرب جوع قادنا للسرقه
لوخصام سيء وتفرقه
ونحن معشر القرود في الورى
لا نسكر الليل ونستحلي السرى
وبالعصي لا نبالي والسلاح
لقتل قرد بيننا يهوى الصلاح
يا صحب ، ان الناس قد تحدروا
لكنهم ضلوا بما تصوروا
لئن هم من السماء نزلوا
فلا يقولوا من قرود نسلوا
فاننا نحيا بأمن وسلام
لا شر فيما بيننا ولا خصام

أ ــ تخريج القصائد

1. Tennyson. Break, break, break.
2. Longfellow. The arrow and the song.
3. Browning. My star.
4. Whitman. A noiseless patient spider.
5. Shelley. Music, when soft voices die.
6. Crowell. There are homes.
7. Browning. Misconceptions.
8. Anonymous. Sister, awake !
9. Tennyson. Flower in the crannied wall.
10. Lowell. From: Elegy to the death of Dr. Channing.
11. Tennyson. Crossing the bar.
12. Aikin. From:Life.
13. Tennyson. A farewell.
14. Shakespeare. Sonnet no. 29.
15. Thompson. Envoy.
16. Anonymous.
17. Rogers. Go—you may call it madness.
18. Arnold. The last word.
19. Wordsworth. To a butterfly.
20. Wordsworth. The scho.
21. Shelley. One word is too often profaned.
22. Wordsworth. My heart leaps up when I behold.
23. Holmes. L'inconnue.
24. Hood. Ruth.
25. Burns. A farewell.
26. Longfellow. The ship of state.
27. Anonymous.
28. Burns. Come back, come back !
29. Waller. Old age.
30. Wade. The true martyr.
31. Davenant. Aubade.
32. Hood. Verses in an album.
33. Drayton. Idea no. 6.
34. Herrick. To meddowes.
35. Hood. The death-bed.
36. Winter.
37. Galsworthy. Past.
38. Anonymous. Devotion.
39. Cowper. To a young lady.
40. Emerson. From: The world-soul.
41. Landor. Very true, the linnets sing.
42. Rogers. An Italian song.
43. Emerson. To Eva.
44. Emerson. Each and all.
45. Beaumont. True beauty.
46. Wordsworth. The sonnet.
47. Anonymous.
48. Poe. A dream within a dream.
49. Jonson. Simplex munditiis.
50. Anonymous.
51. Poe. To one in paradise.
52. Anonymous.
53. Longfellow. A psalm of life
54. Anonymous.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا شاعري

سيان ، قلبك في نهاري هاجري ... أم طيف حبك في الليالي زائري
يتحدثون ! وأنت أدرى بالذي ... يتحدثون ، اذا عبرت بخاطري
من أنت ؟ ود الحاسدون لو اهتدوا ... ولأنت ، لو علموا ، ضياء الناظر
فاذا أذعتك تمتمت نيسانة ... ورنا العبير الى الربيع الزاهر :
« يا شاعري ! » ووددت لو رجعته ... نغما يتمتم ، عاتبا « يا شاعري »
طوفت في جزر العيون ، مسائلا ... عن موجة رقت لجفن ساهر
فقرأت في عينيك ما كتب الهوى ... ولثمت نمنمة الجمال الآسر

أشقى نساء الارض اهمالي لها ... منذ ائتلقت على سطور دفاتري
لم تعنني امرأة عداك ، أروقها ... اني ربيت على هواك الطاهر

أوحيت لي ، في الحب ، ما أوحيته ... فالعبقرية بعض ذوب مشاعري
أزريت بالاقلام ، فانساقت الى ... قلمي تبايع كابرا عن كابر
فالناثرون يدللون معاطفي ... والشاعرون يجررون مآزري

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ــ بياء باسماء الشعراء وارقام قصائدهم

(١) الامريكيون

Crowell, (Mrs.) Grace Noll (1877-1969): 6
Emerson, Ralph Waldo (1803-1882): 40, 43, 44
Holmes, Oliver Wendell (1809-1894): 23
Longfellow, Henry Wadsworth (1807-1882): 2, 26, 53
Lowell, James Russell (1819-1891): 10
Poe, Edgar Allan (1809-1849): 48, 51
Whitman, Walt (1819-1892): 4
Winter, William (1836-1917): 36

(٢) البريطانيون

Aikin, (Mrs.) Anna Letitia (1743-1825): 12
Arnold, Matthew (1822-1888): 18
Beaumont, Francis (1584-1616): 45
Browning, Robert (1812-1889): 3, 7
Burns, Robert (1759-1796): 25
Clough, Arthur Hugh (1819-1861): 28
Cowper, William (1731-1800): 39
Davenant, William (1606-1668): 31
Drayton, Michael (1563-1631): 33
Galsworthy, John (1867-1933): 37
Herrick, Robert (1591-1674): 34
Hood, Thomas (1799-1845): 24, 32, 35
Jonson, Ben (1573-1637): 49
Landor, Walter Savage (1775-1864): 41
Rogers, Samuel (1763-1855): 17, 42
Shakespeare, William (1564-1616): 14
Shelley, Percy Byssche (1792-1822): 5, 21
Tennyson, Alfred (1809-1892): 1, 9, 11, 13
Thompson, Francis (1859-1907): 15
Wade, Thomas (1805-1875): 30
Waller, Edmund (1606-1687): 29
Wordsworth, William (1770-1850): 19, 20, 22, 46

(٣) المجهولون

Anonymous: 8, 16, 27, 38, 47, 50, 52, 54

(*) زهير ، هو زهير بن ابي سلمى الشاعر الجاهلي .
اليازجي ، هو ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ــ ١٨٧١) .
الاديب ، هو اديب اسحق (١٨٥٦ ــ ١٨٨٥) .
الحداد ، هو نجيب سليمان الحداد (١٨٦٧ ــ ١٨٩٩) .
شكسبير (انظر المعربة ١٤) .
هوغو ، هو الفرنسي Victor Marie Hugo (1802-1896)
كولوريدج ، هو البريطاني Samuel Taylor Coleridge (1772-1834)
بوب ، هو البريطاني Alexander Pope (1688-1744)
بــو (انظر المعربتين ٤٨ و ٥١) .
وردزورث (انظر المعربات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٦) .
لونكفللو (انظر المعربات ٢ ، ٢٦ ، ٥٣) .

واشنطن — جورج ديمتري سليم



اميل توفيق

تكامل الشخصية

عن طريق اللعب ابان الطفولة

في مناسبة عام الطفل

بقلم اميل توفيق

* * *

ان الشخصية المتكاملة للطفل هدف تربوي ، يدعو اليه علماء النفس والتربية باهتمام ، ويركزون دعوتهم على اساس تطبيق مبدأ المفهوم التكاملي ، اي العناية بالجوانب العقلية والوجدانية واللغوية والاجتماعية والنفسية للطفل ... والعمل على تكاملها .

ان هذا التكامل سيكون منطلقا الى تنمية الشخصية في الاتجاه الفردي ، وانمائها في الاتجاه الجماعي ، في وقت واحد ، اي ان الشخصية تجمع « انا الفردية » الى جانب « انا الجماعية » ، وبذلك تتكون الركيزة الاخلاقية بحيث يتوازن في الفرد تحمسه لنفسه ، وتحمسه للجماعة في نفس الوقت .

ولهذا فيجدر بنا ان ننظر الى موضوع التكامل ، منذ الوقت الباكر في الحياة ... اي منذ الحضانة وما بعدها ... او الوقت الذي تكون فيه التأثيرات مجدية ، والتوجيهات الاولى عميقة الاثر . ولاننا الآن في زمن الاحتفال بعام الطفل ، وزيادة الرعاية لأدب الاطفال ، والعناية بأن يتمثل الاطفال الافكار والاتجاهات السليمة ، يحق لنا ان نلتفت اكثر الى حاجات الطفولة .

ان وراء التكامل هناك حاجتين اساسيتين يجب ان يجدا الاشباع عند الطفل . الحاجة الاولى هي حاجته للامن او الطمأنينة ، والحاجة الثانية هي حاجته للمغامرة وبتعبير أعم الحاجة للحرية ... وهما في الواقع حاجتان متعارضتان .

واحسب ان الظاهرة النفسية الهامة التي تندمج فيها هاتان الحاجتان — بدون تعارض — ويظهر فيها الاشباع اجلى ما يمكن هي ظاهرة اللعب . ففي اللعب مغامرة الطفل او حريته ، كما ان فيه أمنه او طمأنينته . ان بدون الطمأنينة لا تظهر الحرية ، وبدون الحرية لا يؤدي الطفل دوره كما ينبغي اثناء اللعب .

ان المجال العاطفي (او الانفعالي) السوي الذي يحيط بالطفل انما يختلف باختلاف عمره — وكذلك الحال بالنسبة لمجال حريته . ومع ذلك فلا بد ان يتوازن المجالان ، يتوازن اشباع الحاجتين . فاذا ما اشبعت حاجة منهما اكثر من الاخرى ، كانت تنميتها على حساب الاخرى ، اي انه اذا احيط الطفل بالحنان والتعاطف والامن لدرجة زائدة قلت حريته ، او كانت استجابته العاطفية اشد من استجابته لاشباع حاجته للمغامرة .

في اللعب الجماعي الذي يجب ان نشجعه ونوليه اهتمامنا ، تنمو العلاقات التي تتميز بالالفة الروحية الحميمة . ليس فقط بين الاطفال ووالداتهم ، بل بين الاطفال وآبائهم ، او بينهم والرواد الذين يشرفون على توجيههم . ان في اللعب تأثيرا متبادلا بين الطفل وزميله ، بل بين الطفل والرائد المشرف . من هنا فنحن نقول ان على المربين ايضا ان يؤدوا عملية الاشراف او التربية بروح اللعب ، اي ان يلعبوا دورهم القيادي بشغف وحرية وبلذة وطمأنينة . لا بد ان يطوروا ادوارهم مع نمو الاطفال بما يناسب اعمارهم . وفي هذا النوع من اللعب هناك التناسق والتوافق فيما يختص بحركات الجسم ، او بتبادل الافكار او تعميق المشاعر ، او بخبرات متعددة لمواقف كثيرة هي الاساس في انماء الصداقات السوية والعلاقات الصحيحة التي تذيب فيما بعد الحدود الجامدة التي تقف عائقا دون تفاهم الاجيال . ربما يكون اللعب مقصودا لذاته في وقت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللعب ولكن المهم ان تستمر الروح الرياضية العالية ، اثناء الدراسة والتحصيل ثم اثناء العمل والانتاج .

ان في اللعب ترويحا وتنفيسا ، ولكن الجدية فيه هي الالتزام بقواعد اللعبة .

ان الحرية هي العنصر الذي يصعب ممارسته ، اذ ليست هناك حرية مطلقة . هناك بالضرورة الحاجة لان نربي الناشىء لان يكون مواطنا صالحا .. وفي نفس الوقت لان ينمو في اتجاه الفردية المستقلة . ان للمواطنة شروطها وضروراتها ، كما ان لتنمية الفردية شروطها وضروراتها ... وهذان الهدفان يتعارضان ... ما لم تنسق بينهما التربية ... وعلى عاتق التربية يقع العبء ، وان تكون البداية ابان الطفولة متمثلة في تلك الالعاب التي يشترك فيها الاطفال في تمثيل الادوار الوطنية ، فيما يسمى **باللعب التمثيلي او المسرحي** . وفي هذا النوع هناك فرصة لتمثيل الرواية التاريخية . او الرواية المستمدة من التراث القومي او الوطني ، او الفرصة لوضع الحوار لقصة ادبية او دينية يشارك الاطفال في مناقشتها وتمثيل شخصياتها ، واثناء ادائهم يتدربون على اجادة اللغة ونطق مفرداتها نطقا سليما . كما يتعودون على ما يقتضيه التمثيل من حركات وسكنات وايماءات او من ارتفاع في درجة الصوت او انخفاض فيها الخ .

يعتقد « الفرد ادلر » ــ رائد علم النفس الفردي ــ ان اللعب هو اعداد للمستقبل ، وهو ما يتوافق مع الحقيقة النفسية التي اكتشفها عالم التربية كارل جروس فالعاب التقليد ، تتضمن اختيار الاطفال لادوار مختلفة يؤدونها (مثل ادوار الاب ــ الام ــ سائق القطار ــ الجندي ــ الطيار ــ ناظر المدرسة الخ) وفي هذه الادوار يتقمصون تلك الشخصيات ، ويعبرون ويتعلمون ويناقشون . فاللعب فهم للحياة الاجتماعية والإعداد للمراكز التي يطمح الابناء الى تقلدها في المستقبل . واللعب يفرق بين نوعيات الاطفال فمنهم من يشعر بالتفوق ومنهم من يشعر بالنقص . منهم الشجاع المشارك المتعاون ومنهم المرتاب والمتخوف والهارب من الحياة الاجتماعية . ومن هنا يجد المربون فرص التوجيه والتوعية .

ولما كان اللعب هو نوع من الطاقة الزائدة او الفائضة ــ على حد تعريف هربرت سبنسر ، فانه يتيح الفرصة للتنفيس عما يشعر به الطفل من ملل او من مشاعر سلبية او هموم . ومن هنا ايضا كان **اللعب الحر** الذي يترك للطفل حرية النشاط ــ في بيئة حانية مرحة يشعر فيها بالثقة الكاملة . مؤديا الى ان يعبر تعبيرات حرة عن احاسيسه التي تؤرقه ، فيعمل على اسقاطها على العوباته وعرائسه او خاماته واوراقه ورسومه . ولذلك يسمى هذا النوع من اللعب **باللعب العلاجي** (وهو المبني على اللعب الاسقاطي) .

من صور الحرية ، حرية الحركة الجسمية كما في **اللعب العضلي** ــ كالجري والقفز والتسلق والسباحة والانزلاق ، وما اليها وهي العاب فردية ، ويمكن ان تكون جماعية في حالات التسابق . وتتضمن هذه النوعية الالعاب المنظمة التي تحكمها قواعد وقوانين تتميز بها كل لعبة مثل كرة القدم ، والكرة الطائرة الخ ... وهي تعتبر الاساس في تكوين الروح الرياضية في المدارس والاندية والساحات الشعبية . واعرف ان هناك العديد من المؤسسات بل من الحكومات (لا سيما الغربية) التي تأخذ في الاعتبار عند تعيين موظفيها ، ان يكونوا من المشاركين في تلك الالعاب الجماعية ، او ان يتميزوا بهذه الروح الرياضية الى جانب المهارة او القدرة المطلوبة في العمل . ولذلك وجب ان تكون البداية ، منح هذه الحرية وتوجيهها منذ الصغر .

ولبعض الاطفال ولع باللعب اليدوي ويتضمن تناول الاشياء المختلفة من اجل كشفها ومعرفة دقائقها ... ويجب مراعاة هؤلاء الاطفال وتشجيعهم بتوفير ما يشبع هوايتهم وانمائها .

على ان اهم صورة من صور الحرية هي فيما يمثله اللعب **الانشائي او الابداعي** ، ويجب ان يعنى المربون باكتشاف هؤلاء الاطفال ، اي كشف ظاهرة الخلق والابداع والحاسة الفنية الابتكارية لديهم .

المهم ان يتحول اللعب الى طريق للتعلم ، وان تظل روح اللعب او الروح الرياضية ترافق المتعلم طوال الحياة .

واذا كانت للغرب مدارس تربوية ارتكزت على محور اللعب (كما عند منتسوري وفروبل) فاننا نأمل ان تتبلور الدراسات التربوية ، والمناهج التطبيقية في مصر ، وفي كل بلد عربي عن منهج يعنى بتطبيق اللعب من اجل التكامل ، تتميز به المدرسة العربية الحديثة .

مصر الجديدة — **اميل توفيق**

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

يعلم الناس ان ندوة الادب العربي في الارجنتين — على خلاف المؤسسات التي تماثلها — ليس لها رئيس . ولعل هذا من الاسباب الرئيسية التي مدت حياتها . نعم ان سيادة المطران ملاتيوس صويتي هو عميدها ، الى حكمه نرجع في اختلافاتنا ، وعلى رأيه نعتمد في ازماتنا ، ومن غيرته نستمد سواء السبيل ، ولكنه ابعد من يكون عن الجلوس على قاعدة الرئاسة وتذكيرنا بأن الفضل عائد اليه في المركز الذي تحتله الهيئة التي تضمنا.

وليس المعنى مما سبق ان الندوة تتخبط في بحر صاخب من التشويش . في كل جلسة يختار الحاضرون عضوا يتولى ضبط المناقشات وتخويل الكلمة لمن يطلبها وصونها من الابتذال او التطويل ، ونحن نسمي العضو الذي نعينه « رئيسا » جريا مع العرف ومسايرة للاصطلاح .

قلت ان الامر في الندوة قصي عن الفوضى ، وليس هذا صحيحا كله ، فلا يكاد يعلن انتهاء الجلسة الرسمية حتى يحتل الاجتماع صهصليق من الاصوات المتباينة مطالبة بأن يتلو احدنا قصيدة من قصائده العديدة التي ينظمها بالجملة ويصبح « الشريد المريد » من يتفنن في الطلب فواحد يلح بأن تكون القصيدة غرامية حماسية ، وثان يصر على ان تكون اطول من شهر الصوم ، وثالث يلحف بأن ينشدها واقفا بدون حذاء ، ورابع يود منه التوقف عند كل بيت ، ولا غرو ان تهز الشاعر اعاصير الحيرة ، لان هذه الرغبات تتهاطل عليه كلها دفعة واحدة ، ولك ان تسمي العبارات التي تعلولي — وكلها تعلولي — اضطرابا لا محل له من الاعراب ، لك ان تسميها خروجا على مستحسنات اللياقة ، اما انا فلا ارى فيها الا النافذة التي ينقذف منها « الكبت » الذي ران اثناء المناقشات الرتيبة التي تستغرق ساعة على وجه التقريب .

وهذا الفصل لا بد منه في نهاية كل جلسة ، والمطالب لا تنهال رغبة في استذواق الشعر ، فليس من يصغي اليها متى بدأت التلاوة . ومتى بدأت التلاوة صاح الجميع او صاحت الاكثرية — في اخف الحالات — ان الوزن مكسور . وليس المهم ان تكون ابياتها صحيحة فهذا غير ذي شأن عندنا ، واكد الجميع او اكدت الاغلبية — في اضعف الاوضاع — ان معانيها مسروقة من شاعر آخر — هو المتنبي او صاحب المتمردات — لا فرق . درجة الشاعر المسروق كذلك لا تهم .

وتذكرني نهاية الجلسات في الندوة « بالفكاهات العائلية » .

اكاذيب صادقة

ندوة الادب العربي في الارجنتين
رئيس لكل جلسة
بقلم الياس قنصل

لكل عائلة نوادر مخصوصة يرددها افرادها كل يوم سواء اكانوا وحدهم او كانت في بيوتهم زيارات . وهذه النوادر تكون عادة ، « بائخة تافهة » غير انها تثير ضحك قائليها او بكلمة اصح ضحك « مالكيها » لانها تغدو من اموال العائلة كالكراسي والموائد والطناجر والسكاكين وما اليها وتدخل في لوائح الارث التي ينالها الابناء والاحفاد .

نادرتنا او بالاحرى نادرة عائلتنا نحن ، هي هذه :



من نسيباتنا امرأة نلصق فيها التخلف عن الحضارة الحديثة ، فان اكلت ابصرنا في طريقة اكلها ما يدعو الى السخرية وان لبست ثوبا جديدا لاحقناها بالهزل ، وان جلست عثرنا في جلستها على نبو عن المدنية .

وتنتهي المسألة بقولنا لها ، انها لو ذهبت الى اوغندا لهتف بها عيدي امين « اهلا وسهلا بأختي العزيزة ، لماذا اطلت الغياب علينا ؟ » .

ولا يلفظ احدنا هذه العبارة حتى ننفجر جميعا بالقهقهة . وما على القارىء ليدرك مقدار ما رددنا هذه النكتة الا ان يحسب: نحن نقولها ثلاث مرات كل يوم وقد مر على امتلاكنا اياها سبعة اعوام .

وجربنا هذه النادرة امام اصحابنا وزوارنا فلم يجدوا فيها الا الفهاهة مجسمة وزرنا هؤلاء في بيوتهم فاذا هم يملكون نوادر اسخف من نادرتنا تتبعث لها ضحكاتهم طويلا .

ما لنا ؟ — اننا نترك هذه الفلسفة لاربابها ونرجع الى الموضوع الاصيل : رئاسة الندوة :

في الاجتماع الذي عقد في الاسبوع الماضي وقع اختيار الحاضرين علي لاكون رئيسا للجلسة ، وممانعت ، اول اول ، ثم خفتت ممانعتي ازاء تلحح الحاضرين علي .

واعترف اني رضيت اعتبارا بأن ما اقوم به هو تضحية على عرفات هذه المؤسسة الادبية وتقديرا بأن رئاستي قصاص لذنب سابق ارتكبته دون ان ادري .

ولم اكن قبلها قبلت اية رئاسة ، واعلى وظيفة رضيت بها في جميع اللجان والجمعيات التي اسهمت فيها — وقد مضى على عملي اكثر من ثلاثين سنة — هي العضوية الاحتياطية البسيطة ، وما ذلك لان مقامي في الجالية من الهوان بحيث لا تسند الي المهام الخطيرة بل لاني افهم معنى الاستقلال الذاتي على غير ما يفهمه غيري ولاني اقيس الخدمة العامة بمقياس لا يتناوله سواي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاني ارى ان مهمتي في الهيئة الاجتماعية اعظم بكثير من ان تقتصر على شؤون صغيرة يقدر ان ينوب عني فيها اي مواطن مهما خلا دماغه من المادة الرمادية .

ورضيت بالتضحية — عفوا اردت ان اقول اني رضيت بالرئاسة على مضض .

وشخصت الي الانظار بالاحترام فقابلتها برنوة الشكر .

وامتدت الي الاصابع تطلب الاذن بالحديث ، فأبحته للبعض ومنعته عن البعض الآخر .

والغاية من تشجيل هذه الاسطر ليست توضيح الصلات بين الرئاسة والاعضاء بل جلاء شعور الرئاسة ازاء المرؤوسين .

لا اكتم القارىء اني تضايقت اول الامر فقد جرت العادة في الندوة ان تكون تبعة الرئيس ادارة الاحاديث فحسب ، فالكلام عليه ممنوع ، والاشتراك في النقاش محظور — خطة جرينا عليها ، عندما نريد عقاب اي عضو نختاره للرئاسة فيتحول — باذن ربك — الى صفر على اليسار ، ونتخلص من جداله ساعة او بعض ساعة .

وتقدمت مرة منذ زمان باقتراح مؤداه ان نتولى جميعا الرئاسة في كل جلسة فأدرك الحاضرون نيتي — وهم اذكياء خبثاء — فرفضوا .

ونعود الى موضوع رئاستي : فقد شعرت بعد ان توليتها بانقباض وضيق واوشكت ارجو من الحاضرين ان يعفوني منها على ان اتبرع للندوة — مقابل ذلك — بمبلغ لا بأس به من المال ، ولكن عبارة « يا حضرة الرئيس » التي كانت تنهال علي من كل صوب خففت من حدتي ثم بدأت اجد فيها شيئا لا يمكنني تحديده ، ولا شك في ان كثيرين من الذين يترأسون الجمعيات لا يتمكنون من تحديده ، فان دعوته « غرورا » لم تخطىء . والغرور ككل فضيلة في الحياة — اجناس . والنوع المقبول منه هو ان تكون قيمتك مائة فتظن انك تساوي مائتين اما النوع الذي يفلق النفس فهو ان تكون قيمتك مائة فتظن انك تساوي مليونا . وكم من الناس على ما اصف وان كنا نحاول ان نعيدهم الى الصراط القويم بكل ما وهبنا الله من قساوة في الخلق وصلابة في التقريع وسلاطة في اللسان .

والى الموضوع من جديد :

واخذت احس بعد انقضاء بريهة على رئاستي بشكل من اللذة فالعيون كلها مسلطة علي ، والايدي ترتفع خجولة فان اذنت تكلم صاحبها وان تغاضيت عنه وتظاهرت بعدم الانتباه ظل صامتا .

ولم تنته تلك الجلسة حتى كانت خمرة الرئاسة قد اسكرتني بنشوتها .

وفي مكنتي الآن وقد فاتت على تلك الجلسة ايام — ان اعلن سرا خلاصته اني انا الذي جاهدت لاطيل تلك الجلسة ، فتتمطى بذلك رئاستي ، فقد كاد الموضوع يكون منتهيا ، فأعود الى طرحه بلباقة على البحث فينفتح باب النقاش مجددا .

ورجعت الى بيتي امسية الرئاسة — وقد أمست حياتي مقسومة الى قسمين من يوم مولدي الى يوم رئاستي ومن يوم رئاستي فما بعد — والدنيا لا تسعني من الفرح او من الكبرياء ، لا ادري وكل ما اديه ان احلامي تلك الليلة كانت عبارة عن جلسة استمرت شهرا كاملا كنت انا رئيسها .

وادركت اذ ذاك الدواعي الجوهرية لاستقتال فريق من المواطنين على الرئاسة .

انهم على حق في فعلتهم ، فاللذة التي يشعر بها الرئيس وهو على منصة الرئاسة لا توازيها الا اللذة التي يشعر بها رئيس ثان وهو على منصة الرئاسة .

اني اعتذر اليكم ايها الاخوان الذين كنت الومهم ، اني اعتذر اليكم فقد كان من الواجب ان اجرب ما جربتم قبل ان الومكم .

ورحم الله المثل :

« ان الذي يأكل العصي ليس كالذي يعدها » .

وما دامت القضية قضية اعترافات ، فاني اسجل سرا آخر .

عندما بدأت اتمتع بسعادة الرئاسة اثناء الجلسة تولاني الخوف ، الخوف من ان يحدث علي انقلاب فأنزاح عن مركزي .

حدقت الى وجوه البعض من اخواني فلمحت نقمتهم في قسماتها وشهدتهم يعرورفون للتآمر علي فقابلتهم بالدهاء اذ ميزت من هم الذين يمكن ان اعتمد عليهم اذا جرى الانقلاب فرحت اساير هم وامنحهم الاذن بالكلام فورا وان يكن ليس دورهم وقدرت انهم يكونون دعامة لي اذا اعصوصب الامر .

وكان ربك رحيما فقد تمكنت من الانتهاء على خير وسلامة .

الآن :

وبعد ان ذقت متعة الرئاسة امسى صعبا علي التنازل عنها ، فما العمل ؟ ومن نظامات الندوة ان الرئاسة لا تكون الا مناوبة بين الاعضاء ؟

انا فتى عنيد الى آخر حدود العناد ، وقد قررت ما يلي :

عندما يختارني اخواني للرئاسة في جلسة قادمة وعسى ان يكون ذلك قريبا فسأعلنها « دكتاتورية » على طول الخط ، وسأسعى لفصل كل من يقف في وجهي من الاعضاء ولن ابقي فيها الا الموالين لي .

ولي اسوة بالامارين الذين استغلوا تساهل بلدانهم وطيبة قلوبها وسأتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا يصيبني مصيرهم .

على اني ارجو القارىء الكريم ان لا يطلع احدا من اعضاء الندوة على تصميمي لئلا تنفضح نيتي فيتغدوني قبل ان اتعشاهم .

وعلى الله الاتكال ، والى رئاسة قادمة دائمة .

بوانس ايرس **الياس قنصل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

الجوقة

ويظنون ان اطلاق اسم الجوقة (بفتح فسكون) على مجموعة من الناس يشتركون في تمثيل او غناء ، هو من اقوال العامة .

ولكن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، في المادة رقم ١٠ ، ان المؤتمر اطلق على تلك المجموعة من الناس اسم : الجوقة (بفتح فسكون) .

وكان قد جاء في متن اللغة : الجوق (بفتح فسكون) : كل خليط من الرعاء امرهم واحد : الجماعة من الناس ، وهي الجوقة « وقيل هي دخيلة او معربة » . ثم استعملت في الجماعة الواحدة لمسارح الغناء ، والتمثيل المسرحي ، وغير ذلك .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ، عام ١٩٧٢ ، جاء فيها : « الجوق والجوقة : الجماعة من الناس . وكل خليط من الرعاء امرهم واحد . الجمع : اجواق وجوقات » .

جال في البلاد لا تجول فيها

ينقل دوزي عن رحلة ابن جبير قوله : « تجول (بفتح فتح فتضعيف) في البلاد » . و « فصار بأرض الجوف وتجول في ارض البرابر هناك » و « برسم التجول عليها ، والنظر في مصالحها » .

وابن جبير الرحالة الاندلسي ، المتوفي سنة ٦١٤ هـ ليس مرجعا لغويا ، ويقال انه لم يصنف كتاب « رحلته » ، وانما قيد معاني ما تضمنته ، فتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه .

ولم اجد في المعجمات من ذكر الفعل (تجول) ، ولكنهم ذكروا الفعل (جال) : كالصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في الحديث : « لما جالت الخيل اهوى الى عنقي » .

ويجوز ان نقول ايضا : (١) جول (بتضعيف الواو) البلاد وفيها تجويلا وتجوالا .

(٢) انجال في البلاد .

(٣) اجتال في البلاد .

وجميعها تعني : طوف فيها كثيرا . اما فعله فهو : جال يجول جولا (بفتح الجيم وضمها) ، وجولانا (بفتح ففتح) ، وجؤولا (بضم فضم) ، وجيلانا (بفتح فسكون) ، وجيلالا (بكسر الجيم) .

طفحت جام غضبه

ويقولون : طفح جام غضبه (الجام : اناء للشراب والطعام من فضة ونحوها) . والصواب : طفحت جام غضبه ، لان الجام مؤنثة كما يقول ابن سيده ، وابن بري ، واللسان ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والوسيط .

وقال اللسان ، والتاج ، والمتن ان (الجام) كلمة عربية صحيحة . وقال الوسيط انها معربة . وقال المد : يقول بعضهم انها فارسية الاصل ، والبعض الآخر يقول انها عربية صحيحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر المطرزي في المغرب ان الجام طبق ابيض من زجاج او فضة ، ويشهد على ذلك مـــا انشده ابو بكر الخوارزمي لعضد الدولة بن بويه الديلمي :

كانها ، وهي على جامها لالـــىء في جـــام كافـــور

وتجمع الجام علـــى : جامات ، واجوام ، وجوم (بضم الجيم) ، وجوم (بفتح فسكون) ، واجـــؤم . وتصغيرها : جويمة (بضم ففتح فسكون) .

ويقول ابن بري : الجام : مؤنثة ، وهي جمع : جامة ، وجمعها جامات ، وتصغيرها : جويمة .

الجون (الاسود والابيض ، والظلمة والنور)

ويخطئون من يقول ان الجون (بفتح فسكون) هو الابيض . ويقولون : الجون هو الاسود . والحقيقة هي ان الجون كلمة من الاضداد ، تعني : الاسود والابيض ، والظلمة والنور . وشاهد الجون الابيض قول الشاعر :

فبتنـــا نعيـــد المشرفية فيهـــم ونبدىء حتى أصبح الجون أسودا

وشاهد الجون الاسود قول الشاعر :

تقـــول خليلتـــي لمـــا رأتنـــي شريحـــا بـــين مبيض وجـــون

وذكر ان الجون يعني الاسود والابيض كل من ابن قتيبة ، وابن الانباري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج (اضاف الى الاسود والابيض اللون الاحمر الخالص) ، والمد ، ومحيط المحيط (اضاف اللون الاحمر والنهار) ، والمتن (اضاف الظلمة « مجاز » والضوء « مجـــاز ») ، والتضاد ، والوسيط (اضاف الظلمة والضوء) .

وجاء في النهاية : (أ) (في حديث انس رضي الله عنه « جئت الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وعليه بردة جونية (بفتح فسكون فياء مضعفة) » منسوبة الى الجون ، وهو من الالوان ، ويقع على الابيض والاسود) .

(ب) (ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « لما قدم الشام اقبل على جمل ، وعليه جلد كبش جوني (بضم الجيم) » . اي اسود . قال الخطابي : الكبش الجوني : هو الاسود الذي اشرب حمرة . فاذا نسبوا قالوا جوني بالضم ، كمـــا قالوا في الدهري (بفتح الدال) دهري (بضم الدال) . وفي هذا نظر ، الا ان تكون الرواية كذلك) .

(ج) (وفي حديث الحجاج « وعرضت عليه درع تكاد لا ترى لصفائها ، فقال له انيس (بضم ففتح فسكون) : ان الشمس جونة (بفتح فسكون) » . اي بيضاء قـــد غلبت صفاء الدرع) .

وقال ابن دريد ان الجون (بفتح فسكون) يكون الاحمر ايضا . وقال ابن سيده : الجونة (بفتح فسكون) : الشمس لاسوادها اذا غابت ، وقـــد يكـــون لبياضها وصفائها .

واكتفى الاساس بقوله : شيء جون (بفتح فسكون) : اسود فيه حمرة .

وانا انصح بالاكتفاء باستعمال كلمة الجون (بفتح فسكون) للـــون الاسود والظلمة ، واجتناب المعنيين الآخرين .

الجواهر لا المجوهرات

ويقولون : اضاعت السيـــدة مجوهراتها في السوق . والصواب : اضاعت السيدة جواهرها ، لانني لم اجد في المعجمات التي لدي من ذكر كلمة المجوهرات .

عبير طويلة الجيد او طويلة الاجياد

ويخطئون من يقول : عبير طويلة الاجياد ، لان للناس جيدا (بكسر الجيم) واحدا . والجيد هو العنق . ولكن :

روى ابن السكيت ، والسيوطي في المزهر عـــن الاصمعي ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة ان الجيد ورد بصيغة الجمع ، فقيل : عبير طويلة الاجياد ، مع ان الانسان ليس له سوى جيد واحد .

وانا ـ لغويا ـ لا استطيع تخطئة من يقول : هي طويلة الاجياد ، بدلا من الجيد ، ولكنني استطيع ان اوصي الادباء باهمال استعمال هذا الجمع في النثر ، بدلا من المفرد ، لان في استعمال الجمع خطأ علميا ، يبعدنا عن الحقيقة ، دون ان يوجد مسوغ لغوي لذلك .

اما الشعراء ففي وسعهم ان يقولوا : هي طويلة الاجياد ، عندما تفرض عليهم ذلك الضرورة الشعرية ، اقامة لوزن ، او مراعاة لقافية ، وان كان هذا يجعل البيت الذي ترد فيه كلمة الاجياد ، بدلا من الجيد ، ركيكا .

الجيلانـــي

جـــاء في « عثرات الاقلام في اللغة » للشيخ عبد القادر المغربي : « الجيلاني (بكسر الجيم) نسبة الى بلاد جيلان (بكسر الجيم) ، ويقال لها كيلان (بكسر الكاف) ايضا . والناس يفتحون اولها خطأ » .

واعلام الزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحاله يؤيدان راي المغربي . ويؤيده ايضا معجم البلدان الذي يقول ان جيلان (بكسر الجيم) اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . والنسبة اليها : جيلاني وجيلي ، والعجم يقولون : كيلان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكـــن :

يقول معجم البلدان ان هنالك ما يسمى ب (جيلان) بفتح الجيم ، وهم قوم من ابناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر ، فنزلوا بطرف من البحرين ، فغرسوا وزرعوا وحفروا واقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل فدخلوا فيهم . قال امرؤ القيس :

اطافت بـــه جيلان عند قطافه وردت عليـــه الماء حتى تحيرا

(جيلان : بفتح الجيم) .

وقال المرقش الاصغر ، ربيعة بن سفيان :

وما قهوة صهباء ، كالمسك ريحها تعل على الناجود طورا وتقدح
سباها تجار من يهود تواعدوا بجيلان ، يدنيها الى الشوق مربح
باطيب من فيها ، اذا جئت طارقا من الليل ، بل فوها الذ وانصح

(جيلان : بفتح الجيم) .

فمن كان ينتسب الى هؤلاء القوم جيلان (بفتح الجيم) ، قلنا انه جيلاني ، ولكن يبدو ان من عرفناهم من مشاهير الاعلام ينتسبون الى جيلان (بكسر الجيم) الواقعة وراء بلاد طبرستان .

الخبرة ، الخبر ، المخبرة

ويخطئون من يقول : له خبرة (بضم فسكون) في فحص الدم ، اي : معرفة به وعلم بكنهه . ويقولون ان الصواب هو الخبرة (بكسر فسكون) ، اعتمادا على الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والمصباح .

ولكـــن :

اجاز الراغب الاصفهاني قول الخبرة (بضم فسكون) ، واجاز الخبرة (بكسر الخاء وضمها) كل من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

واجاز الخبر (بضم فسكون) كل من معجم الفاظ القرآن الكريـــم ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والوسيط .

واجاز الخبر (بفتح فسكون) المد والوسيط .

واجاز الخبر (بكسر الخاء وضمها) والمخبرة (بفتح فسكون ففتح) والمخبرة (بفتح فسكون فضم) كل مـــن اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط (نسي الوسيط ذكر المخبرة (بضم الباء)) . قال ابو الطيب المتنبي :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبـــل لقائـــه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

(بضم فسكون) .

اما حركات فعله ومصادره فهي كما جاء في المد : خبر (بفتح فضم) الامر بالامر يخبره (بضم الباء) خبورا (بضم الخاء) . وخبره (بفتح الباء) يخبره (بضم الباء) خبرا (بفتح فسكون) . وخبره (بكسر الباء) يخبره (بضمها) خبرا (بضم فسكون) وخبرة (بكسر فسكون) : اختبره .

والخبر (بضم فسكون) ، والخبر (بكسر فسكون) ، والخبر (بفتح فسكون) ، والخبر (بفتح ففتح) ، والخبرة (بضم فسكون) ، والمخبرة (بفتح الميم والباء) ، والمخبرة (بفتح الميم وضم الباء) : العلم بالشيء .

واكتفى اللسان بقوله : خبره (بفتح ففتح) يخبره (بضم الباء) خبرا (بضم فسكون) ، وخبرا (بكسر فسكون) ، وخبرة (بضم فسكون) ، وخبرة (بكسر فسكون) ، ومخبرة (بفتح الميم والباء) ، ومخبرة (بفتح الميم وضم الباء) .

اخبره النبأ ، اخبره بالنبأ

ويخطئون من يقول : اخبره النبأ ، ويقولون ان الصواب هو : اخبره بالنبأ ، اعتمادا على ما جاء في الصحاح ، والمختار ، والمصباح ، والوسيط .

ولكـــن :

اجاز الجملتين (اخبره النبأ) و (اخبره بالنبأ) كلتيهما كل من اللسان ، والتاج ، والمد (اجاز ايضا : أخبره عن النبأ) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

واكتفى القاموس ومحيط المحيط بذكر : اخبره النبأ . واجمعا مع اللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد على الاستشهاد بجملة (أخبره خبوره (بضم الخاء) ، اي : انبأه ما عنده) .

واجاز محيط المحيط واقرب الموارد لنا ان نقول : خبره (بفتح فتضعيف) النبأ ، وخبره بالنبأ . واكتفى الوسيط بقوله : خبره (بفتح فتضعيف) بكذا : لذا قل :

(أ) اخبره النبأ . (ب) اخبره بالنبأ . (ج) خبره (بفتح فتضعيف) النبأ . (د) خبره بالنبأ .

الختام ، الخاتم ، الختم

ويخطئون من يطلقون على ما يختم به اسم الختم (بفتح فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو : الختام (بكسر الخاء) (وهو الطين او الشمع الذي يختم به) ، اعتمادا على ما جاء في الآية ٢٦ من سورة المطففين ، وعلى ما جاء في معجم الفـــاظ القرآن الكريم ، وجامـــع الكرماني ، والازهري ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توبي لربك

ذوت الطهارة ، من يعيد ... للورد رونقه الفريد
أو من لبيب في الورى ... يحمي الفضيلة أو رشيد
رقص المجون على الخدود ... ونام ما بين النهود
ما الورد يبعث نشره ... فابك البنفسج والورود
أين الفضيلة من حلى ... عقدت على صدر وجيد
حتى غدت معبودة ... بعيون شبان وغيد
يا بنت أكرم والد ... خنت الفضيلة والعهود
وغدوت أرخص سلعة ... بيعت بأسواق العبيد
توبي لربك والبسي ... ثوب الطهارة من جديد
وتتبعي سنن الهدى ... والفضل والرأي السديد
ان الحياة قصيرة ... والموت يكمن في الوريد
جشع فلا يبقي على ... ملك ولا قرم عنيد
ووراءه ابدية ... للفسق مسعرة الوقود
عودي لربك واضرعي ... والله يقبل من يريد

بكاسين ــ لبنان — جرجي نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وقد ذكر المتن ان مجمع مصر اطلق اسم الختام (بكسر الخاء) على الشمع الاحمر المعروف للختم في الجدول رقم ١١٥ . ولكن : قال ابن الفارض :

ولو نظر الندمان ختم انائها لاسكرهم من دونها ذلك الختم

(بفتح الخاء) .

وذكر ايضا ان الختم (بفتح فسكون) هو كل ما يختم به محيط المحيط واقرب الموارد ، اي الاداة التي توضع على الشمع او الطين .

وهنالك اسمان لما يوضع على الشمع او الطين ، تذكرهما المعجمات اكثر من الختم ، هما :

(١) الخاتم (بفتح التاء) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٢) والخاتم (بكسر التاء) : الازهري ، والتلخيص لابي هلال العسكري ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

المخدع

ويخطئون من يقول : المخدع (بكسر فسكون) ، ويقولون ان الصواب هو المخدع (بضمها) ، ومعناه الحجرة في البيت . والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول : المخدع (بضم الميم وكسرها وفتحها) .

وقد اجاز استعمال المخدع (بضم الميم وكسرها) : الفراء ، والازهري ، والصحاح ، والنهاية ، والعباب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وتذكرة علي راتب ، والوسيط .

وقال الفراء : استثقلت العرب الضمة في مخدع فكسرت ميمه ، وأصله بالضم .

ويجيزون المخدع (بفتح فسكون) ايضا ، وقد اكتفى الراغب الاصفهاني بذكره في مفرداته ، وقال اللسان انه لغة ، بينما قال المتن انه افصحها .

ويجمع المخدع على : مخادع .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني ، رقم ٣
محمد العدناني

الشـهـداء

عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد

من مداين صالح الى عاليه ١٩١٦

بقلم عجاج نويهض

* * *

في الكلمة التي تفضلت مجلتنا الحبيبة « الاديب » بنشرها في عدد يوليو ١٩٧٨ حول الكتاب النفيس « جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين » لسيدة الكاتبات عنبرة سلام الخالدي ، ذكر عاطر لفريق من الشهداء ، في طليعتهم عبد الغني العريسي وعارف الشهابي وعمر حمد رحمهم الله . ومن طبائع البحث عندنا في موضوعات الشهادة والشهداء في سبيل الوطن والامة ، ان ننظر الى كل ما يتعلق بشهداء سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ على يد القائد الطوراني احمد جمال السفاح نظرا لمنزلة التقديس ، ونحن على حق مطلق في هذا ، لان الامة التي لا يكون ذكرى شهدائها طراز عمامتها ووشي عصابتها ، حري بها الا تلز في مصاف الامم المستولية على الحضارة في هذا العصر الذي اصبح الانسان العربي فيه امام خيارين : فاما ان يكمل عدته لخوض المعمعان هو واهله جميعا ، واخوه وجاره ، واما ان ينقلب مخلوقا بشريا فسيولوجيا معدته في وسطه وهي عاصمته ، بدلا من قوى عقله ومداركه في دماغه ورأسه . ونعوذ بالله من ان يجعل احدا من العرب من هذا الفريق الثاني .

فكانت اشارة منا في حاشية تلك الصفحة الى هؤلاء الشهداء الابرار ، اننا سنستعين بالله في عرض ما لدينا من خبرهم المتعلق بكيفية القاء القبض عليهم في « مداين صالح » على سكة حديد الحجاز ، وقد تضاربت الرواية في ذلك ، ليعلم قصتهم اهل لبنان والحمى القريب ، بل الجيل العربي طرا في الخافقين على اجنحة مجلتنا « الاديب » الغراء . ومدار كلامنا الآن في هذا المقال فرار الجماعة تغمدهم الله برضوانه الى « جبل العرب » اولا ، ثم الى « حايل » عاصمة ابن الرشيد في شمالي نجد ، بعد ان اجتازوا في الرحيل مسافة طويلة من جبل العرب فالازرق جنوبا ، فوادي السرحان وبعده « سكاكه » و « الجوف » وهذه كلها منازل عرب الرولى .

فلما وصلوا حايل في ديار شمر وحلوا ضيوفا على ابن الرشيد ، اكرمهم غاية الاكرام كما سيجيء ، ثم توجهوا غربا الى سكة حديد الحجاز حتى وصلوا الى محطة « قلعة المعظم » فركبوا القطار الى « مداين صالح » ، وهنا قضت مشيئة الله ان يقع المحذور ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

تمكنت في اثناء مقامي في الاردن من ١٩٤٨ — ١٩٥٩ من الوقوف على اخبار عدد كبير من الرعيل الاول ومنهم هؤلاء الشهداء الابرار من عدة مصادر كلها ثقة ، ولكن المصدرين الينبوعين هما الامير فايز الشهابي وعبد الرحمن الرشيدات وكلاهما من سروات العرب ، وكلاهما اخ حبيب للشهداء . اما الشهابي فبعد تخرجه من الآستانة مع زملائه واقرانه رجال الرعيل ، عمل في الادارة العثمانية ولما دخل فيصل بن الحسين دمشق خريف ١٩١٨ وانشئت « الحكومة العربية » عمل فيها الشهابي وكان عنصرا بارزا في ثورة الشيخ صالح العلي مقاوما الفرنسيين ثم جاء الاردن وعمل فيه موظفا شديد العلاقة بالبادية وكانت وفاته سنة ١٩٥٧ رحمه الله . وكانت له ذاكرة قوية وهو واسع الاطلاع على التاريخ العربي . واما الرشيدات فمن خريجي الآستانة ومن رجالات الرعيل وكان عضو المؤتمر العربي السوري في دمشق ١٩١٩ — ١٩٢٠ ممثلا اربد وعجلون . وشغل اعمالا حكومية عديدة في الاردن ، وكان لسنوات عديدة عضوا او عينا في مجلس الاعيان الاردني . وكما كان الشهابي يشغل « مدير ناحية » في « جبل العرب » اواخر ١٩١٥ كذلك الرشيدات فانه « مدير ناحية » وادي موسى يوم وصل الشهداء الى مداين صالح واخذوا بالشبهة واعتقلوا ، فجاء « معان » مركز المتصرفية التابع لها وادي موسى ليسعى في امرهم فكان قد سبق السيف العذل . الشهابي من حاصبيا والرشيدات من اربد .

اما الشهيد عمر حمد فانه عند الامير فايز احد الاربعة لجأوا الى « جبل العرب » واما عند الرشيدات فليس مذكورا في عداد الاربعة ولعل عدم ذكره عند الرشيدات كان نسيانا او ان عمر حمد لم يذهب الى حايل ، كما سترى في المساق . وعلى كل فان الامر يتضح بمقارنة كلامنا مع كلام غيرنا في هذا الموضوع .

سمعت من الامير فايز الشهابي الحديث ، وكنت ادونه فورا في جلسة الاستماع في عمان سنة ١٩٥٣ ، قال :

« اتفق او اجتمع عبد الغني العريسي والامير عارف

الشهابي ، وعمر حمد وتوفيق البساط وفروا الى جبل العرب اواخر ١٩١٥ واختبأوا في الجبل متنقلين بحذر . وفي احدى المرات لما كانوا في قرية « حبران » جاءت قوة من الدرك بقيادة زكي قدري (اخي احمد قدري وتحسين قدري) بصفته قائمقام « السويداء » وكبست القوة قرية « العفينة » . ولما كانت « حبران » على مقربة من « العفينة » فقد علم الشهداء بهذا ففروا الى « سهوة الخضر » ــ تابعة لقضاء السويداء ــ ومنها ذهبوا الى قرية « سالا » في « المقرن الشرقي » وصاروا يتنقلون في قرى هذا المقرن . ومكثوا على هذا نحو شهرين ، وكانوا كلما اتاهم خبر بكبسة انتقلوا الى قرية اخرى ، وهكذا دواليك ، حتى اتوا قرية (بهم) « بفتح الباء والهاء » في المقرن الشرقي ايضا ، وهذه تابعة لناحية (ملح) « بفتح الميم واللام » وكنت انا مدير هذه الناحية ومرجعي مركز « امتان » وقد حضرت الى امتان قوة كبيرة من الدرك بقيادة شعبان جاويش وهو كردي ، فأدركت ان المقصود كبسهم وكان عندي خادم من بني معروف حاصبيا اسمه محمود خالد فأرسلته فورا الى « علي بن فارس صياغة » وهو من اهالي امتان واهله من حاصبيا واعلمته سرا ان يعلم الجماعة بمجيء الكبسة ، ففروا الى قرية « طليلين » في المقرن الشرقي وهي جنب « بهم » ، ولما وقعت الكبسة على « بهم » لم يجدوا احدا ، اذ كان الشهداء قد برحوها قبل هنيهة لا تزيد على عشر دقائق والكبسة وقعت قبيل الظهر ، ولولا قلة خبرة القوة بالطريق التي سلكوها الى « بهم » لكانت القوة وصلت الى هناك والقت القبض عليهم .

حينئذ وجد الشهداء ان لم يبق لهم مجال آمن في الجبل ، مع كل حرص الاهالي على ايوائهم والمحافظة عليهم ضيوفا مكرمين ، فقرروا الانتقال الى الجنوب جهة الحجاز بدلالة غالب بن فواز شيخ عرب السردية . وعلمت بعدئذ ــ يقول الامير فايز ــ انهم وصلوا عند شهاب الفقير شيخ « عشيرة الفقراء » في جهة تبوك . وشيخ السردية هو الذي هيأ لهم الزاد والرواحل ، والمسافة التي اجتازوها من جبل العرب الى منازل الفقراء عند تبوك لا تقطع بأقل من عشرين الى خمسة وعشرين يوما . والشيخ سعود بن فواز لا يزال حيا الى اليوم (١٩٥٣) وهو شيخ السردية ويأتي عمان احيانا وهو تابع لسوريا وكان عضوا في مجلس النواب السوري في عهد « شكري القوتلي » انتهى كلام الامير فايز .

اما عبد الرحمن الرشيدات ، وكان مدير ناحية « وادي موسى » فيقول :

« فر الشهداء عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط من دمشق الى جبل العرب وبقوا هناك مدة ثم ذهبوا الى الجنوب في البادية حتى وصلوا « سكاكة » ، بعد آخر وادي السرحان شرقا وبقرب « سكاكة » يقع « الجوف » ، وكل هذا في البادية التي يسيطر عليها عرب الرولى .

ومن سكاكة ، حلوا جنوبا الى حايل عاصمة ابن الرشيد وقتئذ في ديار شمر « جبل آجا قديما » ومن حايل ذهبوا غربا قاصدين سكة حديد الحجاز حتى وصلوا محطة « قلعة المعظم » فركبوا القطار الى محطة « مداين صالح » وفي مداين صالح اشتبهوا بهم وهم بلباس بدو فقبضوا عليهم .

وشوهدوا وهم موقوفون يرتدون البسة بدوية على شكل واحد ، واحذيتهم « لميع » كأحذية اهل المدن ، واطلقوا لحاهم ، وكان للامير عارف الشهابي سن ذهب (قلت : في رواية اخرى ان سن الذهب هذا كان لعبد الغني العريسي واهل الشهيدين عندهم الخبر اليقين من حيث السن) .

اما ابن الرشيد فعاملهم معاملة حسنة ، واعطاهم مالا وارفقهم بدليل عندما تركوا حايل ووجهتهم المدينة المنورة ، بعد ان مكثوا عنده نحو شهر ضيوفا اعزة . ولما وصلوا قلعة المعظم ، وهي قبل مداين صالح ، ركبوا القطار الى مداين صالح ونزلوا في مؤخر المحطة متظاهرين بأنهم بدو ، وذهبوا الى « الكنتين » فاشتروا طعاما اذ هذا « الكنتين » يبيع الطعام للموظفين وعند الحاجة للاهالي ايضا » .

رآهم هناك ، وربما عند الكنتين ، الدكتور احمد الميداني من الشام وهو رجل طيب وصديق عارف الشهابي . ولكن الميداني لم يعرف هوية هؤلاء الثلاثة غير انه لاحظ انهم ليسوا ببدو ، كما لاحظ سن الذهب والاحذية واللباس . فظن ان من الممكن ان يكونوا جواسيس مصريين من قبل الانكليز . وبعد ان تركهم ومضى لشأنه رأى مدير الناحية وهذا تركي فأبدى له شبهته ، فانتبه المدير الى هذا ، اذ كانت عند الموظفين الاتراك اوامر سرية من احمد جمال باشا بالمراقبة والقاء القبض وهذه الاوامر كانت موجهة الى جميع الانحاء .

ثم جاء رجل من معان ، جندي ، واخبر المدير ان احد الثلاثة هو الامير عارف الشهابي ، اذ يعرفه شخصيا لما كان الامير عارف في معان يعمل وكيل قائمقام ، فألقى القبض على الثلاثة .

الدكتور احمد الميداني صديق الشهابي ، ولو كان يدري انه هو لكان بوسعه ان يخفي الثلاثة في المحطة دون ان يكتشف امرهم البتة ، ولكن لم يقدر ان يتصور من يكونون على الحقيقة ، مع ميله الى الظن انهم قد يكونون جواسيس من مصر ، ولذلك قال ما قال لمدير الناحية التركي بكل حسن نية . اما المدير فأبرق الى المتصرف في الكرك واسمه « آصف بك » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان عبد الرحمن الرشيدات مدير ناحية في وادي موسى ، والآن ما ابعد وادي موسى عن مداين صالح ! ولكن وادي موسى تابعة اداريا لمعان ، فجاءه البريد الرسمي من معان ، واعلمه « المراسل » ناقل البريد بقصة الشهابي الامير عارف ورفيقيه وقد اصبحوا في معان في طريق ارسالهم الى دمشق والامير عارف الشهابي صديق حميم للرشيدات اذ هما رفقة طلب في دمشق على مقعد واحد عدة سنوات فصمم الرشيدات على ان يصنع شيئا اذا امكن لتخليص صديقه ورفيقيه . وهاله الامر . وعلم ما وراء هذا من خطر . فجاء معان ، مركز « المتصرفية » وسيرى حينئذ كيف الله يفتح عليه سبيل العمل في الحلقة المفرغة — هذا اذا كان ما اخبره به المراسل صحيحا .

فجاء معان ، وفي الظاهر لملاحقة شؤون رسمية تتعلق بوظيفته وفي الحقيقة لكي يسعى سعيه الخفي من وراء ستار اذا امكن .

فأتى دار الحكومة فوجد « المتصرف » في الديوان في الطابق العالي وعنده الامير عارف الشهابي ولا غيرهما احد ، واما عبد الغني العريسي وتوفيق البساط فمحجوزان في الطابق السفلي . فلم يدخل على المتصرف وانما جعل يتمشى في الشقة التي خارج الديوان ، والشباك مفتوح وبوسعه اذا احسن التنصت ، امكنه استراق الحديث الدائر بين المتصرف والامير عارف الشهابي . فاستطاع ان يسمع ما كان يقوله المتصرف للامير عارف من انه (المتصرف) يعرفه تلميذا في الآستانة ، ويمدح اخلاقه وفضله ويسأله عن الغاية السياسية التي يسعى اليها . كل هذا بأسلوب ناعم رقيق . واستطاع عبد الرحمن ان يسمع استراقا اجوبة الامير عارف ، وصفوتها ان كل شعب يبتغي الحرية والكرامة والرقي ، وهو يريد هذا لبلاده لا اكثر لتنطلق في مدارج العمران الحقيقي . قال عبد الرحمن ان كل هذه الاجوبة من الامير عارف كانت صادرة عن نفس ابية رصينة قوية الايمان بقضية بلادها . ولا شيء مـن الخوف او الخشية عند الشهابي .

فمضى وقت على عبد الرحمن وهو على حاله هذا من التمشي حتى لاحت التفاتة من المتصرف من خلال الشباك فوقع نظره عليه فسأله من انت فأجاب انا مدير ناحية وادي موسى اتيت للمراجعة الرسمية بأمـور فأجابه المتصرف ، وقد وقع في نفسه الريب ، يستحسن الا تقف هنا في هذا المكان . فانصرف عبد الرحمن دون ان يستطيع ان يصنع شيئا مما كان في نفسه نحو الشهداء .

ويقول عبد الرحمن في النهاية : أما من حيث الزي وعدم اتقان التخفي فهناك ملاحظات :

اولا — التظاهر بأنهم بدو وهذا يتناقض مع هيآتهم .

ثانيا — كانت البستهم بدوية في الظاهر ، حضرية في اشياء اخرى .

ثالثا — كان مع كل منهم دفتر وقلم كدفتر الآخر وقلمه وكانوا يقيدون في هـذه الدفاتر ملاحظاتهم في رحلاتهـم والمشاهد التي تروق لهم مع بعض الاشعار والاخبار . وضبطت هذه الدفاتر معهم .

اخبرني صديقي المربي صاحب الجغرافيا المشهورة سعيد الصباغ رحمه الله ، وهو صديق توفيق البساط وابن بلده صيدا ، كما هو في الوقت نفسه صديق الآخرين من العريسي والشهابي وعمر حمد ، ولكن الصداقة التي بينه وبين البساط عميقة الجذور ، ان هؤلاء الشهداء الابرار بعد القبض عليهم بقوا نحو شهر في القلعة ، وذهب الصباغ الى احمد قدري يبتغي ان يعلم منه أمن سبيل لكي يواجه البساط ، فنصحه احمد بأن يقلع عن هذه الرغبة لاستحالة تحقيقها .

وقال لي الصباغ في عمان سنة ١٩٥٥ انه كان في شهر آذار ١٩١٦ ذاهبا من دمشق بالقطار الى بيروت فصيدا ، واذ يقع نظره فجأة مذهلة لم ينسها في حياته ، على الشهداء الاربعة وهم جنب بعضهم بعضا في محطة البرامكة مصفدي الايدي وبسرعة اوتوماتيكية انخطف الى توفيق البساط يقبله . ورآهم هكذا ، اما توفيق البساط فمتلفع بعباءة سوداء تناثرت اكمامها ، واما الباقون فجميع ما عليهم من لباس امسى لباسا للوقاية لا اكثر ، ولكنهم الاربعة متى ابصرت عيونهم ابصرت اسودا مكبلة بالحديد ، وروح البطولة تغمر حركاتهم وسكناتهم . وتبادلت النظرات معهم وادركت انهم يعلمون الى اين هم ذاهبون . وتوفيق البساط اوصى الصباغ بأن يطمئن والديه في صيدا واما عمر حمد — يقول الصباغ — فراح يمزح معي على الطائر ! وكل هذا في دقائق ثم غابوا عن بصري وكان هذا آخر العهد بهم .

من ذكر عمر حمد هنا ، نرجح ان عدم ذكره عند عبد الرحمن الرشيدات كان ضربا من النسيان ، لا اكثر ، كما نعتقد . فالامير فايز الشهابي ذكرهم اربعة في جبل العرب ، والآن يذكرهم الصباغ اربعة وقد القي القبض عليهم في مداين صالح ، وفوق كل ذي علم عليم .

اخبـار محاكمات الشهداء في عاليـه في المجلس العسكري الذي يطلق عليه المجلس العرفي ، تؤلف كتابا براسه في وصف ما بدا من كثير منهم من قوة بشرية فائقة في رباطة الجأش ، ومتانة الاستمساك والاعتصام بأسرار الحركة . ونعتقد ان هذه المناحي المهمة في تراجم شهدائنا سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ لم تزل غير مدونة الا قليلا منها في ذلك الكتاب الصغير القيم « مؤتمر الشهداء » .

اخبرني عبـد الغفار السندروسي وسعيد الصباغ رحمهما الله ، ان توفيق البساط بقي يتجرع فنون التعذيب ثلاثة ايام بلياليها دون ان يحرك لسانه بحرف واحد جوابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عما كانوا يسألونه عنه ، فعمدوا اخيرا الى طريقة مطاولة الاستنطاق له وهو واقف الساعات الطوال لعل تنهك قواه النفسية فينهار فما خرجت سلتهم منه الا بخفي حنين ورتبوا له ان يظل الحراس من حوله لا يدعونه يجلس ولا يقعد ولا تغمض له عين ، فاذا تلوى وهو غير شاعر بتلويه ، لكزه الحراس برؤوس الحراب في لحمه . هذه آيته الاولى ، ويعرفها الكثيرون . واما الآية الثانية فان اخاه كامل البساط كان وقتئذ من الحراس في المجلس العسكري على الموقوفين رهن المحاكمة ، فاستطاع بطريقة عميقة ان يسهل له طريق الفرار فأبى .

كما ان مواقف الشهداء في المجلس العسكري في عاليه كانت رائعة في الرجولية الفريدة ، وقد ذكرنا موقف توفيق البساط مثالا ، كذلك كانت لهم مواقف رائعة وهم يصعدون المشانق في « ساحة البرج » في بيروت (سميت ساحة الاتحاد بعدئذ) . وعار ثم عار علينا نحن الذين يهمهم امر ذكرى الشهداء سنتي ١٥ و ١٦ الا تقوم فينا الهيئات الكفية لاستقصاء اخبارهم ، ما دق منها وجل ، وتزين بصورهم ورسومهم وتطبع في كتاب انيق .

فلما نقلوهم من عاليه الى بيروت ليلا ، بطريقة مكتومة مخفورة بقوة مسلحة مكبلي الايدي ، ليعلقوهم مع الفجر في الصباح التالي ، ووضعوهم في غرفة منفردة مطوقة بالجند ، ريثما يؤخذون اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة الى المشانق المهيأة شبه دائرة ، انطلقوا بالاناشيد العربية ، وهم واضعوها وملحنوها ، كالرعد يشق بقايا الليل البهيم ، كأنهم يسمعون من لهم آذان للسمع :

نحن ابناء الألى شادوا مجدا وعلى

ويعسوبهم في صرخة النشيد الشهيد عمر حمد الشاعر المتوقد . وهذا النشيد الوطني القومي المثير هو للشهيد سليم الجزائري (ابن اخي الشيخ طاهر الجزائري باعث عصر النهضة في سوريا ولبنان وفلسطين) وضعه « للمنتدى العربي » في الآستانة يضاهي به نشيدا تركيا طورانيا يسري في تحريك الايقاظ هذا المسرى(١) . « ولما وصل الشيخ الى عبد الغني العريسي وقال له : اشهد يا عبد الغني (قل كلمة الشهادة) وقف ذلك الشاب الشهيد واجابه بصوت جهوري : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، واشهد ان الخلافة للعرب ان شاء الله »(٢) .

ولما جاء الجنود بثلاثة جدد الى المشانق هم عمر حمد وعبد الغني العريسي وعارف الشهابي ، وكان البوليس قد طلب من عبد الغني ان يخرج من الدائرة الى الساحة مع عمر حمد وحدهما ، فقال له عبد الغني : اذهب وقل لرئيسك ان عبد الغني يطلب ان يموت ورفيقه الامير عارف ولا يحب ان يفترق عنه حتى في الموت . فذهب البوليس ثم عاد وقال له : حسن ، فسيذهب معك (راجع مؤتمر الشهداء) وخرج الثلاثة معا في تلك الساعة من الليل الى ساحة المشانق وهم ينشدون الاناشيد بصوت واحد له هيبة وجلال كأن المنشدين جوقة ملائكة .

ولما جاءت نوبة الشهيد عمر حمد لصعود كرسي المشنقة تهيأ ونادى بسقوط السفاح بملء صوته ، فاضطرب المولج بأمره فضرب الكرسي من تحته قبل احكام الحبل في عنقه فهوى الى الارض وشج رأسه فأمسى بين ميت وحي ، فما كان من ذلك الشرطي الوحش الا ان شك عمر بالسيف وتعاون على عمر شرطيان رفعاه حتى وصل عنقه الى الحبل وقضى شهيدا (راجع مؤتمر الشهداء) .

وكان موقف عبد الغني العريسي النبل والاباء ، والشجاعة والايمان ، فلما جاءت نوبته واراد ان يتكلم عارضه البوليس وقال له من يسمعك في هذا الليل فلم يأبه له فأخذ يخطب فقال بصوت له دويه : بلغوا جمال باشا ان الملتقى قريب وان ابناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم اعناق ابنائك الاتراك .

---

(١) ــ الاناشيد القومية هي جلجلة التاريخ آتية من وراء الشمس والقمر ، وقد كان « المنتدى العربي » في الآستانة قفير نحل دويه لا ينقطع بالاناشيد المنعشة للروح . وعلى ذكر اناشيد الشهداء هنا قبل اخذهم الى المشانق لا بأس ان نورد هنا ما اخبرنيه الامير فايز الشهابي من هذه الناحية ، وهو نفسه كان يروي معظم الاناشيد العربية التي وضعها الشهداء في الآستانة وله ذائقة موسيقية واذن قناصة : والقصة هنا تتعلق بالنشيد المشهور بالعربية منذ ايام « المنتدى » واوله :

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن
ما لنا غير ارتداء العز او لبس الكفن

كان نابغة الموسيقى وديع صبرا قد اكمل تخرجه في فنه في باريس ، وهو عالي الجبهة رفيع الرأس يريد مجالا لممارسة نبوغه في بلاد عربية اذا أمكن . فجاء الآستانة ومما في جعبته « نوطة » لنشيد يريد له كلاما . فأخذ يعرض بضاعته على المراجع المختلفة ولا سيما العسكرية . وليس « للمنتدى العربي » علم بوديع صبرا وطموحه بعد . فلما ذاع امره في بعض المحافل اطلع « المنتدى » على شأنه فاتفق معه على ان الرصافي يضع كلمات عربية للنشيد فوضعها الرصافي موفقا توفيقا تاما . وحصل ان « توفيق شكرت » شاعر الترك برقته ، وهو عندهم كشوقي او حافظ عند العرب ، وضع كلمات تركية للنشيد تتلاقى وكلمات الرصافي لانهن جميعا على لحن واحد . واشرف صبرا على العمل كله . واتفق العرب مع مسؤولي الجيش العثماني على أن يكون اعلان هذا النشيد بأصوات جوقة العرب واصوات جوقة الترك معا في ميدان « التقسيم » وهو اعظم ميادين الآستانة . فلما تقابلت الجوقتان والموسيقى العسكرية القائدة ، و « المايسترو » بثوبه العسكري وانطلق العزف والنشيد ، عربيا من هذه الناحية ، وتركيا من الناحية المقابلة تذبذب الجو على الايقاع الموسيقي ، والجيش والخلائق يسمعون وختم الامير فايز كلامه بوصف الشعور العربي فقال : لقد خال كل شاب عربي منا ساعتئذ انه ابن اليرموك والقادسية .

(٢) ــ راجع « مؤتمر الشهداء » ص ١٦٧ وما بعد . وجاء تعريف هذا المؤتمر تحت اسمه في صفحة الوسمة هكذا : « المؤتمر الذي اذاع الاماني القومية وجر اعضاءه الى المشانق » ثم جاء تحت هذا الكلام : « بقلم عصبة من الكتاب الاحرار . مهد له يوسف ابراهيم يزبك » .

ان الدول لا تبنى على غير الجماجم وان جماجمنا ستكون اساسا لاستقلال بلادنا (راجع مؤتمر الشهداء) .

ولما جاء دور الامير عارف لم يتركه الجند والشرطة يتكلم اكثر من بضع كلمات اذ عاجلت الحبال عنقه .

وقال توفيق البساط لما دنا من الارجوحة : مرحبا بأرجوحة الشرف ! مرحبا بأرجوحة الابطال ! مرحبا بالعمد التي تستند اليها الامم في استقلالها ! مرحبا بالموت في سبيل الوطن ! فقضى شهيدا مثل اخوانه (المرجع نفسه).

في ١٩٦٣/٥/٧ اصدرت جريدة الحياة في بيروت عددا تاريخيا في ذكرى الشهداء الكرام الذين علقهم السفاح في سنتي ١٥ و ١٦ في بيروت ودمشق . ومما تضمنه ذلك العدد ، مقال مهم فريد لاحمد العريسي ، ابن عم الشهيد عبد الغني . وكان احمد في نحو الثامنة عشرة وقتئذ ، وهو يصف في هذا المقال المشاهد كلها وقد شهدها ورآها ، وخاصة كيفية نقل الجثث ودفنها في حفرة واحدة صباح ٦ ايار ١٩١٦ في المحل المعروف « بتلة الدروز » في رأس بيروت . وكل عربي استطاع قبل ١٦ سنة ان يحتفظ بنسخة من ذلك العدد من « الحياة » فقد احتفظ بكنز ثمين فريد ، ولماذا ؟

لقد تمكن احمد العريسي ، بواسطة احد اقربائه من اهل الشجاعة ومعاونة اهل المحلة ، ان تنبش الحفرة في اول ليلة وتستخرج الجثث المتراكم بعضها فوق بعض ، وتسلم كل جثة الى اهلها لتدفن في قبر منفرد في التلة نفسها . ولما عثر على جثة الشهيد عبد الغني العريسي ، كان « فرمان الاعدام » لم يزل معلقا على صدره وعليه آثار الدم والرطوبة ، فنزع هذا « الفرمان » ووضعه احمد العريسي في صندوق ولم يعلم احدا بهذا . وثاني يوم علمت السلطة بنبش الحفرة واستخراج الجثث ودفن كل شهيد في قبر منفرد ، فلم تحرك ساكنا .

ونشرت «الحياة» في العدد المذكور صورة زنكوغرافية « لفرمان الاعدام » للشهيد عبد الغني العريسي ، وهو الفرمان المبني على قرار المجلس العسكري في عاليه ، وهو في الجريدة بحجم ٢٦ × ١٨ سم. ومثل هذا لعمري نعتقد انه يحدث لاول مرة في تاريخنا .

وهناك ناحية اخرى في المقال ذات بال نلفت اليها النظر ، وهي ايراد ثلاث روايات او اربع لكيفية وقوع الشهداء بيد السلطة العثمانية في مداين صالح سنتئذ ، ثم نقلهم الى دمشق ثم الى عاليه ، وهذه الروايات التي اوردها السيد احمد العريسي ، ويشكر على ذلك من باب الحرص على جمع اخبار الشهداء تاريخيا ، وان كان بعضها يتقارب من الرواية التي جئنا بها اليوم مدونة عن لسان عبد الرحمن الرشيدات فيما يتعلق بالقاء القبض على الشهداء ، غير ان روايتنا الحالية لعلها اقرب الروايات الى الواقع الذي لا ريب فيه .

ونكرر ايضا : ان ما يتعلق بوجود الشهداء في جبل العرب لاجئين اواخر ١٩١٥ لم يسبق بعد ، ان احدا استطاع اعلامنا تفصيل ذلك وانتقال الشهداء الى سكاكة والجوف بعد وادي السرحان في طريقهم الى ابن الرشيد في حايل ، ومقصدهم النهائي « المدينة المنورة » غير الامير فايز الشهابي كما بينا هذا في محله . كذلك تفصيل عبد الرحمن الرشيدات يعطينا معلومات واضحة جدا رحم الله هذين السيدين العربيين رحمة واسعة واسكنهما مع الشهداء فراديس الجنان .

ونتمنى ان يعتنى بأخبار الشهداء عناية عملية تفضي الى تأليف هيئة كفية تتخذ على عاتقها القيام بهذا العمل ، والقيام به اليوم أيسر منه بعد مدة اذ كلما تباعدت الايام تنوسيت الحوادث وغابت الاذهان ، وامة بلا تاريخ شهدائها امة خرساء . والله فعال لما يريد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

رأس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٣٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلسا
مصر	٢٥٠ مليما
عدن	٤٥٠ فلسا
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٣،٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٣٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٣٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلسا
الامارات العربية	٤ دراهم



عيسى فتوح

ادب الاطفال في سورية
نشأته وتطوره

في مناسبة عام الطفل

بقلم عيسى فتوح

* * *

نشأ ادب الاطفال في سورية في ظل المدارس ، وكانت الغاية منه التعليم والتهذيب وتربية الاخلاق ، والحث على الفضائل ، والتمسك بالقيم ، والسعي للوصول الى المثل العليا ... ولذلك كان كتابة الاوائل من المعلمين خاصة ، وتركز في معظمه على الاناشيد والمحاورات والقصائد الغنائية والتمثيليات التي تحمل الطابع الوطني والقومي ، وتهدف كلها الى تكوين الطفل وبناء شخصيته ، وتلقينه اسس المبادىء السامية ، وتعويده على ممارستها كالمحبة ، والتضحية ، والرافة بالضعفاء ، وحب الوطن ، والتمسك به ، وهي بالاجمال ذات طابع تعليمي صرف .

لا اعرف من عمل في هذا الميدان قبل عبد الكريم الحيدري ونصرة سعيد في حلب ، والدكتور جميل وانور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني في دمشق ، فقد اصدر هؤلاء الثلاثة مجتمعين كتاب « الاستظهار المصور » في ادب البنين والبنات عن المكتبة الهاشمية بدمشق عام ١٩٣٧ فجاء في حلقتين ، لا يزيد عدد صفحات كل حلقة عن ثلاثين صفحة ، ساروا فيهما على نهج الشاعر المصري محمد الهراوي ، فتحدثوا عن البطيخة والقبرة والاعتماد على النفس والابرة واليراعة والديك والدجاجة ومكارم الاخلاق والعلم والفلاح والقلم وكرة اليد والمصباح والنحل والكتاب والارنب والعمال الصغار والهرة النظيفة ... بالاضافة الى عدد من الاحجيات والاناشيد ... وقد طغى عليها جميعا طابع الوعظ والتعليم والارشاد ، وقلت فيها الحكاية والاقصوصة ، وقد اختيرت لقصائدها الابحر السهلة المطربة المرقصة كالهزج ومجزوء الرمل ، ومجزوء الكامل ، او الغنائية كالرمل والوافر ... من هذه الاحجيات التي تروض ذهن الطفل ، وتدفعه الى التبصر والتفكير قول جميل سلطان في المنديل تحت عنوان « احزر ؟ » :

ماذا الذي ينشأ في الـ	تراب تحت قدميك
تفزله الآلة أو	ينسج ما بين يديك
وهو بكل صبح	مقبل لوجنتيك
احزر ! هو ... قد	خصص في البيت اليك

وتعتمد قصائد الاستظهار المصور على الوصف الدقيق ، وبعث روح الهمة والعمل والنشاط ، ومن انشط من النحلة ليضرب بها المثل في الدأب والمثابرة والصبر والكفاح ؟ يقول جميل سلطان تحت عنوان «نحن والنحل» :

النحلة المبكرة	تطوف حول الزهره
خارجة من معمل	لروضة منحدره
ساعية عاملة	عن ساقها مشمره
ولا تراها أبدا	عن عمل مقصره
ونحن نمضي في الصبا	ح للدروس بره
نكسب في العلم وفي الرضاء خير ثمره	
للنحل شهد ولنا	في كل درس سكره

فقد جعل النحل قدوة لنا ، وربط العمل بالمكافأة ، فالنحلة تكافأ على جدها بالشهد ، والطفل يكافأ على الدرس والجد والاجتهاد بقطعة السكر .

وفي قصيدته « اغنية الصغير » حث على الاجتهاد وحب الادب ، والتمسك بالقومية العربية ، واحترام المعلمين ، والتفاني في سبيلهم :

أنا في سن الصغر	لست أعرف الضجر
همتي فوق البشر	واجتهادي لا يلين
أنا في سن الصبا	بت أهوى الادباء
وأحب العربا	خير قوم أكرمين
أبذل الروح لمن	علموني في الزمن
ولمن يهوى الوطن	بين أضلاعي حنين

نهض بأدب الاطفال في حلب شاعران ساهما به مساهمة فعالة ، هما عبد الكريم الحيدري ونصرة سعيد ، فقد نظم الحيدري ديوان « حديقة الاشعار المدرسية »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطبعه مرتين ، ويضم عددا من القصائد والمحاورات والاناشيد والتمثيليات التعليمية والتهذيبية التي نشر قسما منها في « مجلة الطفل » ، ولما رأى تهافت المعلمين والمؤلفين عليها ، واقبالهم على تدوينها ، عمد الى جمعها في ديوان ، لتكون بين ايدي الاطفال والمعلمين على السواء . وقد تحدث فيها عن الوطن والقراءة والبضائع الوطنية والام في المنزل ، والعصفور والطفل ، ونشيد المنسف ، واحدوة الجمال ، والملعب ، ومحبة الوالدين ، والشجرة ، والخريف ، والطيور والصيف ، والمطر ، واجتناب الاشرار ، وعيد الام ، والعلم ، وحيوانات الفلاح ، وعيد الجلاء ، والربيع ، وضرورة الاتحاد ... يقول في قصيدة « العصفور والطفل » :

أمانا أيها الطفل ودع ما يفعل النذل
اخي ، لا تمش كالوحش
تمد الكف للبطش
بافراخي ، وبالعش
فعيشي ، بعد لا يحلو فرفقا ، أيها الطفل

وهي كما نلاحظ تعلم الطفل الرأفة بالطيور الصغيرة ، فلا يلجأ الى تخريب اعشاشها ، وتبصره بالعاقبة المحزنة اذا اخفى فراخها عن أماتها ، ويضعه موضعها ، ويصور له بكاء أمه وتفجعها عليه اذا اخفاه احد عن انظارها ...

ويحدثنا عن ملعب المدرسة ، فلا يدري أهو ساحة للهو ، أم مسرح ، حين يرى الاطفال يلعبون بخفة ورشاقة ومرح ، وقد خلت اذهانهم من تبعات الحياة ، كما يقول شوقي ، في براءة ووداعة ولطف :

أساحة للهو في مدرستي أم مسرح
نلعب في انحائها بخفة ونمرح

فهنا طفل يمثل دور حصان يرفس برجله ، وقد راح فارسه يزجره حينا ، ويشد لجامه المصنوع من خيط دقيق حينا آخر ، وهناك اطفال يجرون كالقطار ، تطفح وجوههم سعادة وبشرا :

ومن مضى ممثلا دور حصان يرمح
يزجره فارسه من خلفه ويكبح
مقوده خيط دقي ق ، لا يكاد يلمح
وصبية قد نظموا صفهم ، واصلحوا
يجرون كالقطار وا وجوه بشرا تطفح

وقصائد الحيدري تعليمية بشكل عام ، يغلب عليها التنبيه والتوجيه والارشاد ، كقوله ينصح الاطفال بالا يشوهوا منظر الحدائق العامة :

صنها بني وارعها كما تصان الجوهره

ويبدو الطابع التعليمي بشكل واضح في قصيدته « حيوانات الفلاح تستيقظ » التي أراد ان يعلم فيها الاطفال اسماء اصوات الحيوانات كالحصان والدجاج والحمام والبقر والحمار والكلب والهر والغنم ... فيقول :

فهب ما في الخم والاصطبل من طائر وحيوان أهلي
وارتفع الصهيل والنقيق والسجع والخوار والنهيق
واختلط النباح بالمواء في الدار ، والهدير بالثغاء

وهذا الشعر خال من الفن ، يفتقر الى الصورة والخيال ، يعسر هضمه حتى على الكبار .

اما الاستاذ نصرة سعيد فقد اهتم بأدب الاطفال منذ الاربعينات ، اذ اصدر لهم ست مسرحيات مدرسية هي : « مصرع الباغي وخيم » ، وهي مأساة في ثلاثة فصول ، و « لتحي الامة » ، وهي مأساة تاريخية في ثلاثة فصول ايضا ، و « السارق والمسروق » ، وهي اوبريت في فصل واحد ، وضع الحانها الاستاذ ابراهيم الدرويش ، و « احكام قراقوش » ، وهي ملهاة في ثلاثة فصول ، اراد ان يجسد فيها شخصية الحاكم المستبد قراقوش ، ويمثل احكامه الجائرة على المسرح ، بغية اضحاك المشاهدين ، من تغلب الباطل على الحق بشكل تبدو فيه الاسباب الموجبة معقولة ، في حين انها تناقض كل منطق .

ومن مسرحياته التي كتبها للصغار مسرحية « فوق الجرح ملح » ، وهي ملهاة في فصل واحد وتليها في الكتيب نفسه مسرحية « خليل وجليل » ، واخيرا « بنت المفتشة » وهي مسرحية تربوية في خمسة فصول ، ألفها خصيصا لمدارس البنات ، لانه لم يجد في الادب العربي — كما يقول — مسرحية واحدة كل اشخاصها من الاناث ! .

الا ان ديوانه « اغاني الطفولة » الذي صدرت طبعته الاولى في حلب عام ١٩٤٥ فهو اول ديوان صدر في مجال التأليف للاطفال ، وقد بين في مقدمته ان أدبنا العربي ، على سعته وأصالته ، لم يعن بالطفولة الا عرضا ، وقد استهدف فيه تربية النشء على دعائم متينة من الاخلاق الرفيعة ، كالصدق والاستقامة ، والشجاعة والثبات ، وعلى اسس مكينة من المثل العليا ، كالتضحية والايثار والمروءة ، والتعاون وحب الحرية ، والقوة والجمال والانصراف الى المرح ، واللهو البريء ، والتعلق بالاسرة والوطن ، واجلال العلوم والفنون ، والاعتزاز بالقومية العربية ...

وكانت غايته فوق ذلك كله ان يستغل ميل الاطفال الى الغناء ، والتكلم بالفصحى لاعتبارها الرباط المقدس الذي يشد العرب بعضهم الى بعض ، وان ينشأ الطفل مطبوعا على حب اللغة العربية ، لذلك بذل قصارى جهده لكي تأتي كلمات الاغاني سهلة مألوفة ، والعبارات خالية من التعقيد ، فيستسيغ الطفل انشادها ، وقد تم ترتيبها من الاسهل الى السهل ، سواء من حيث الموضوع والتعبير ، أم من حيث الموسيقى والالحان ، كقوله في انشودة « لعبتي » :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لعبتي الحلوه — انت لي سلوه
وجهك الباسم — شعرك الناعم
فامكثي قربي — فاتن ساطع
اشقر لامع

اما الجزء الثاني من الديوان فقد خصصه للفتيان ، ليثير فيهم الهمة والنخوة والرجولة ، بما كتبه لهم عن الجبان ، والوطن الحبيب ، والجيش العربي ، والشباب ، والقوة ... مما لا يدخل في نطاق هذا البحث ، والديوان مصور ، والى جانب كل قصيدة نوطتها الموسيقية ، مما يسهل انشادها وحفظها . واكتفي بهذا النموذج من الجزء الثاني الذي يتحدث فيه عن الجيش قائلا :

ايه يا جند البلاد — جيشكم حصن العروبه
قد خلقتم للجهاد — وتملكتم دروبه

لا اعرف كتابا آخر صدر للاطفال بعد هذه الفترة الا مسرحية « الفصل الجميل » للاستاذ عادل ابو شنب ، التي صدرت عن دار مجلة الثقافة عام ١٩٦٠ ، ولم يكن غرضها تعليميا ، وهي مسرحية ذات فصل واحد ، كتبها ليسد بها فراغا بينا في ادب الاطفال — كما يقول في مقدمتها — وليجيب على كثير من التساؤلات الملحة : « لماذا لا يكون للاطفال مسرح خاص بهم ؟ لماذا يعرض كتابنا عن هذا الضرب من الادب ... من اجل الاكباد التي تستحق التعهد والرعاية منذ الصغر ؟ » .

تصور مسرحية « الفصل الجميل » مشهدا لا يمكن وقوعه في العالم المألوف ، كما ان الاشخاص الذين يمثلونها رموز لمدلولات معنوية في اغلب الاحيان ، فهي اذا مسرحية اسطورية ، ابطالها الشتاء ، والفتاة ، والبستان ، والمدينة ، والغابة ، والربيع ، لذلك يؤكد المؤلف على ان يكون الديكور فيها منسجما مع الحوادث الاسطورية التي تعالجها ، وعلى ان تكون الملابس منسجمة ايضا ، وقد كان يظن ان الاقدام : « على مثل هذا الضرب من المسرحيات امر سهل يسير ، وان مسرحية صغيرة كهذه ، لن تستغرق اكثر من يوم وليلة في ابعد الحدود ، ولكن تبين ان التقهقر الى عالم الطفولة ، وانتقاء الكلمات التي يمكن ان تنطق وتفهم بسهولة ، واصطفاء فكرة مشوقة يهتم لها الاطفال ويتابعونها ، امور صعبة جدا » .

كتب حوار المسرحية بلغة قريبة من السجع ، ربما ليمنحه شيئا من التنغيم الموسيقي ، ويبدو قريبا من الشعر ، فيسهل على الاطفال حفظه ، الا انه لم يكن يلتزم ذلك دائما ... يقول على لسان الشتاء : « انا الشتاء ، صانع الخيرا ت، حامل البركات ، لولاي ما جرت في الربيع الجداول ، لولاي ما كانت في الصيف السنابل ، لولاي ما غنت العصافير والبلابل ... » .

ثم يجب ان ننتظر اربع سنوات اخرى ، حيث يطالعنا ديوان « اغاني الاطفال » للشاعر ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي) الذي اصدرته مكتبة اطلس بدمشق عام ١٩٦٤ ويضم سبع عشرة قصيدة وانشودة كلها من نظمه ، ما عدا انشودة « ديكي احبه » التي اختارها للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، وقد وضع الى جانب كل قصيدة نوطتها الموسيقية ، باستثناء القصائد الخمس الاخيرة .

يذكر ابو سلمى في مقدمة ديوانه الصغير الدوافع التي حملته على الكتابة للاطفال ، فيجعل في طليعتها خلو مكتبتنا العربية من هذا اللون الموجه للصغار ، والى ان الادب العربي القديم قد اهملهم كليا عدة قرون ، فعاشوا في عالم عابس صارم ، خال من البهجة والسرور ، وقد توخى « ان تكون الفاظ هذه القصائد الغنائية سهلة ، واوزانها خفيفة ، وموضوعاتها مشوقة ، وان تحمل افكارا بسيطة ونبيلة ، وان تحبب اطفالنا بالطبيعة ، والوطن ، وعمل الخير ... كذلك جاءت الحانها سهلة منسجمة ومنسقة ، تتعاون مع الكلمات والموضوعات على تهذيب وتوجيه تلك النفوس البريئة الصغيرة التي اهملها ادبنا العربي طويلا » .

ولما كان يعرف ولع الصغار بالحيوانات والطيور ، ولا سيما الاليف منها ، فقد نظم لهم اناشيد راعي الغنم ، والببغاء ، والبلبل ، وحدثهم بأسلوب لطيف رشيق عن القطة والديك والعندليب والعصفور ، وحاول ان يكحل اعينهم بمفاتن الطبيعة الجميلة ، ويبصرهم بمحاسنها ، ويطلعهم على اروع ما فيها من بهجة واشراق في : نسيم الربى ، والنهر ، ولم يفته ان ينمي فيهم الاحساس بالقومية العربية ، فكتب لهم : جنة الدنيا بلادي ، ويا رفاق السلاح ، ونشيد الحرس ، وعيد الجلاء ، والوحدة العربية ، ويلفت انظارهم الى واقع اخوانهم اطفال فلسطين الذين نزحوا عن ارضهم وديارهم عنوة في قصيدة الشريد ، كما حاول من خلال قصائده ان يرشد الاطفال الى القيام بواجباتهم ويحثهم على الدرس والاجتهاد ، فيخاطب الطفلة (ليلى) بهذه الكلمات المأنوسة العذبة قائلا :

هيا اكتبي — درسك يا ليلى
ثم العبي — وقطتي ليلا
وحاذري أن تغضبي

ثم يتحدث بلسان ليلى الى القطة الا تأكل عصفورتها حبيبتها ، وان تنتظر لترى المستقبل الباهر الذي تتوقعه ، ما دامت تسير في دروسها سيرا حسنا ، وترجو القطة الا تشعر بالضجر والملل ، اذا لم تستطع ان تنصرف اليها وتلاعبها ، ففي البيت أمها وأبوها ، وهي تؤثر كتبها على كل شيء :

يا قطتي — لا تاكلي عصفورتي
يا قطتي — عصفورتي حبوبتي
تنشد لي في ملعبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد كان ديوان اغاني الاطفال اول لبنة وضعت في بناء شعر الاطفال الحقيقي الصحيح في سورية ، وجمع بين دفتيه كل براءة الاطفال ، وعالمهم الملون الزاهي المليء بالخيالات المجنحة والاحلام الوردية العذبة .

لاحظنا من النماذج التي مرت بنا ــ باستثناء اغاني الاطفال والفصل الجميل ــ انها كانت تخاطب الصغار بلغة الكبار الذين ابوا ان يترجلوا عن خيولهم الخشبية ، ليداعبوا طفلا بأنشودة ، او يضعوا على ثغره اغنية او اقصوصة او حكاية ، وهي اقرب الى الانشاء ، منها الى ادب الاطفال . والحقيقة ان هذه المحاولات لم يتح لها ان تتبلور الا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ، وصدور مجلتي « اسامة » عام ١٩٦٩ ، « ورافع » عام ١٩٧٠ للاطفال ، حيث توجه بعض الشعراء ، وكتاب القصة والمترجمين بانتاجهم للاطفال ، كسليمان العيسى ، وزكريا تامر ، وعادل ابو شنب ، وعبدالله عبد ، وايوب منصور ، ودلال حاتم ، واسكندر لوقا ، وليلى سالم ، ووليد معماري ، ومحمد قرانيا ، ونصري الخوري ، ونزار نجار ، ومصطفى عكرمه ... ومن المترجمين ميخائيل عيد ، وعيسى فتوح ، ونجاة ابو سمره ، وليان ديراني ، وهاشم حمادي ، ورباب هاشم وغيرهم ، وقد احتضنت وزارة الثقافة كل ما نقلوه الى اللغة العربية ، في حين تولى اتحاد الكتاب العرب طبع الانتاج المؤلف للاطفال .

يقول سليمان العيسى(١) وذات يوم افاقت امتنا العربية على كارثة من كوارثها المتلاحقة ، على نكسة حزيران ... في هذه الزوبعة السوداء الخانقة ، التفت الى الاطفال ، رأيت في عيونهم غد الامة العربية ومستقبلها فتساءلت : لم لا اتجه اليهم ؟ لم لا اكتب لهم ؟ لم لا انقل اليهم همومي كلها ؟ الشهيد الذي يسقط على ارض المعركة ، وهو يقاتل الغزو الاسود ، لا استطيع ان انتقم له بأحسن من اغنية تحمل قطرة من دمه ، وتتردد حارة على شفاه الاطفال ... نتوارى نحن نيبس ، نجف ، ويأتي اطفالنا امواجا متلاحقة ترفد المد العظيم ... من ايماني بهذه الحقيقة الصغيرة الكبيرة ، المتواضعة الشامخة ، بدأت رحلتي مع الصغار ، اخذت اكتب لهم ، اغني معهم ، انفق الساعات الطويلة بينهم ، اختار لهم الكلمة المشرقة ، والصورة الموحية ، والموسيقى المعبرة » .

كذلك يربط القاص زكريا تامر بين نكسة حزيران واتجاه الشعراء والكتاب نحو الاطفال ، غد الامة العربية المشرق ، ليغرسوا في قلوبهم معنى الايمان والصمود ، ويجسدوا في اذهانهم الغضة فكرة البطولة الحقة ، فكأنهم قد يئسوا من الكبار ، فمالوا الى الصغار ، لعلهم يغسلون عار حزيران ، بعد ان يصبحوا شبانا ، يتفجرون عزما وقوة ومضاء فيقول :

« عندما جاءت حـــرب حزيران ونتائجها ، ازداد ارتباطي بالواقع ، وصار اكثر حدة وصرامة ، وابتدات انظر الى الصغار نظرة مختلفة . انهم الجيل الذي سيطلب منه في المستقبل ان يجابه عدوا شرسا ، ولذا فلا بد من منحه الوعي وارادة التحدي ، والرغبة العميقة في التغير والحفاظ عليه ... لا بد من ان يكون جيلا قادرا على التضحية في سبيل العدالة والحرية والفرح » .

وقد تكون هناك حوافز اخرى للكتابة للاطفال ، منها خلو مكتبتنا العربية من هذا اللون المحبب الممتع الذي يدور في معظمه حول الحيوانات ، وابطال حكاياته الطيور والانهار ، والاشجار والبحـــر ، والسماء ، والريح ، والعصافير ، والقطط وباقي الحيوانات الصغيرة ، اليفة او غير اليفة .

الا ان وجود مجلات للاطفال كان العامل الاهم على تطوير ادب الاطفال ، فأقبل الكتاب على نشر انتاجهم فيها اقبالا شديدا ، ليسدوا نهم الاطفال الى القراءة ، ذلك ان الطفل قارىء ممتاز اذا وجه ودرب ، وذو طاقة جبارة على الحفظ والاستيعاب والنقد ايضا ، يلتقط بسرعة كأنه رادار عجيب ، ويعكف ساعات طويلة على القراءة بلا ملل او كلل ، ولا سيما اذا كانت المادة التي يقرؤها جذابة ، تخاطب مشاعره ، وتداعب احاسيسه ، وتروي ظمأه الى المعرفة وحب الاستطلاع .

يعتبر الشاعر سليمان العيسى من الشعراء القليلين الذين برزوا بشكل واضح في ميدان الكتابة للاطفال ، فقد كرس لهم معظم انتاجه الشعري الاخير ، ففي المسرح الف لهم عام ١٩٧١ مسرحية طويلة بعنوان « النهر » ثم عاد فأصدر لهم عام ١٩٧٣ ـ تمسرحيات غنائية في كتاب واحد ضم : الاطفال يحملون الراية ، والشجرة ، والاطفال يزورون المعـــري ، والصرصور والنملـــة ، مستشفى الاطفال ، والاطفال يبنون مدرسة ، ثم مسرحية المستقبل .

يرى سليمان العيسى انه « كما لا تتفتح ازهار الربيع الا بالشمس والهواء والماء ، كذلك لا يتفتح الاطفال على كل جميل ورائع الا بالموسيقى والحركة والغناء » . ويقول ايضا : « دعوا الطفل يغني ، بل غنوا معه ايها الكبار ... ان الكلمة الحلوة التي نضعها على شفتيه ، هي اثمن هدية نقدمها لـــه ... لكي يحب الاطفال لغتهم ، لكي يحبوا وطنهم ، لكي يحبوا الناس والزهر ، والربيع والحياة ، علموهم الاناشيد الحلوة ، اكتبوا لهم شعرا ... » .

كتب سليمان العيسى ، بالاضافة الى المسرحيات التي ذكرتها ، طائفة من الاناشيد الغنائية صدرت عـــن اتحاد الكتاب العرب تحت عنوان « اناشيد للصغار » عام ١٩٧٥ ، ثم « غنوا ايها الصغار » عام ١٩٧٧ ، كما صدر له في منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية« القطار الاخضر » وهو رحلة غنائية شعرية تتألف من واحد وعشرين

---

(١) ــ مجلة الموقف الادبي العدد (١١) آذار ١٩٧٤ .

نجوى الطفولة

ساغني .. لحفيدي حبنا ... ساغني لصغيري شوقنا
يا حبيبا لحناني .. قدرنا ... (يا علاء الدين) . يا اغلى المنى
أنت أزهار بعطر وجنى ... أنت اشراق ، بنور حوانا
أنت ارهاص ، بخير عمنا ... أنت في دنيا الاماني فكرنا
يا أنيسا لفؤادي كلما ... لاح نجم ، بهموم أو دنا
يا عبيرا في ثنايا ايكنا ... يا ملاكا في الحنايا مسنا
بحديث الروح قرت اعين ... بسرور القلب تغزو افقنا
تحتويني يا حبيبي بهجة ... عندما تثغو ، وتبكي كالغنا
فمتى تمشي وترمي ماهنا ... أي شيء في زوايا عشنا
ومتى تنطق (بابا) معلنا ... كنشيدي عبقري .. شاقنا
ومتى تحرز نصرا بيننا ... ونجاحا ، مستفيضا هينا
والامتي ، كم تهادت بيننا ... مثل صبح مظهر أحلامنا
لبلادي أنت ليث باسنا ... لبلادي أنت غيث وغنى
والليالي حين تمضي بالسنا ... أنت حبي يا حبيبي يا هنا

مصر الجديدة — نعمت عامر

نشيدا ، يطوف بها على عواصم الوطن العربي كلها ، ويرسم فيها للصغار طريق المستقبل العربي ، كما ترجم اساطير ايسوب اليوناني شعرا حديثا فلنسمعه يغني مع الاطفال الصغار « نشيد ماما » الحانا لا اعذب ولا احلى قائلا :

ماما ماما ... يا انغاما
تملأ قلبي ... بندى الحب
انت نشيدي ... عيدك عيدي
بسمة أمي ... سر وجودي

ولنسمعه يغني معهم نشيد « فلسطين داري » ، حيث يهتف جميع الصغار بصوت واحد ، يفيض نبرة وحماسة ، ويتفجر نخوة وحمية :

فلسطين داري ... ودرب انتصاري
تظل بلادي ... هوى في فؤادي
ولحنا أبيا ... على شفتيا
وجوه غريبه ... بأرضي السليبة
تبيع ثماري ... وتحتل داري

كذلك استطاع الشاعر حامد حسن ، من خلال عمله مدة في مجلة اسامه ، ان يكتب وينشر عددا من القصائد التي لم تجمع حتى الآن في ديوان ، نذكر منها : بلادنا في الربيع ، والبندقية ، وعربي التي يقول فيها :

علمتني في الصبا امـ ... ـي واوصاني ابي
عش لهذا الشعب عش لا ... ـلم عش للادب

وهناك شعراء آخرون جربوا الكتابة للاطفال فنظموا قصائد قليلة ، لكنهم لم يستمروا ، نذكر منهم : سلامه عبيد ، خليل خوري ، محمد الحريري ، احمد الجندي ، نصوح فاخوري ، محمود السيد ، احمد دحبور ، شوقي بغدادي ...

ولعل المقام يطول بنا اذا رحنا نحصي جميع من كتبوا للاطفال في مجلتي اسامه ورافع وصحيفة تشرين ، ونضيف اليها البعث الآن ، لذلك اكتفي بذكر اسمائهم ، وبينهم من اصدروا اكثر من كتاب ، كمراد السباعي ، واسامه دعبول ، وموفق ابو طوق ، ونجاة قصاب حسن ، ولينا كيلاني ، وعبد اللطيف الارناؤط ، وظافر عبد الواحد ، وسعد صائب ، وحمد ابو خضور ، ويوسف حلاق ، ودعد حداد ، وهالة النابلسي ، ووليد معماري ، وحسيب كيالي ، ونادیا خوست ، وفارس زرزور ، ووليد مدفعي ، ونصر الدين البحرة ، الا ان اكثر الكتاب تعاملا مع الاطفال هم : زكريا تامر ، وعادل ابو شنب ، وليلى سالم ، ودلال حاتم ، وايوب منصور ممن تقدم ذكرهم في هذه الدراسة .

دمشق — عيسى فتوح

هل سبق العرب كولمبوس الى اكتشاف اميركا

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

قد يكون كولمبوس لقي « مؤازرة » عربية ، محسوسة ، عندما أبحر عام ١٤٩٢ بعمارته المؤلفة من ثلاث سفن وضعها تحت تصرفه ملك اسبانيا للكشف عن طريق جديد للهند باتجاه الغرب يكون اقصر واسلم من الطريق الشرقي ، فأدت به الاقدار ، الى اكتشاف اميركا او العالم الجديد . وقد يكون استمد معلوماته الجغرافية والملاحية ، حول العالم الجديد من ملاحين وتجار عرب . وليس من المستبعد قط ان يكون العرب اسبق من كولمبوس الى اكتشاف اميركا .

هذا هو الراي والفكرة التي طلع بها الدكتور هوى لن لي الاخصائي بعلم تصنيف النبات رئيس دائرة علم النبات في جامعة بنسلفانيا . وكان من اثر نظريته هذه ان جعل السنة العلماء في العالم اجمع تردد بعد النظرية القائلة ان التجار العرب هم اول من اكتشف اميركا ، بعد الفينيقيين ، وقبل كولمبوس ببضعة قرون .

والدكتور لي ، هو من علماء النبات وليس من علماء التاريخ ، ومع ذلك فهو يعتقد اعتقادا وطيدا امكان النهوض بهذه النظرية ودعمها بالادلة القاطعة ، من خلال التفرغ لهذا البحث والتحري عن اوثق المصادر الدفينة في خزائن المخطوطات العربية ومطاويها الدفينة . فأسمعه يقول : « في العالم العربي كنوز مخبوءة لا نظير لها ولا مثيل في هذه المخطوطات الدفينة التي لم تصل اليها بعد ابصار الباحثين والمنقبين . فالتعريف بهذه الكنوز ونفض الغبار عنها ، عملية يعجز اي فرد مهما أوتي ، من صبر جميل وجهد وعلم ونفاذ بصر ، ولا يستقيم الا بالبحث الدقيق والتقصي العميق ، على اساس من المشاركة العلمية ، وفقا لعمل فريق من الباحثين الاكفاء يتجندون لهذا الكشف المديد الذي يستطيع وحده رفع الحجب المسدولة على معرفة الازمنة التاريخية الصحيحة التي فيها تم بالفعل اكتشاف اميركا على يد العرب » .

نشر الدكتور لي نظريته هذه وآراءه الجريئة في المجلة الاميركية نيوزويك من بضع سنوات . ومنذ ذلك الحين راحت الرسائل ترد عليه ممن يهمهم الامر من اساتذة التاريخ والباحثين المحققين في اميركا والعالم وكلها تبدي اهتمام اصحابها الكبير بهذه القضية . ويبدي الدكتور لي اسفه لعدم استطاعته الانصراف لهذه الناحية من هذا البحث الطريف المشوق والمثير معا ، اذ انه منقطع بكليته لاعماله العلمية في منبته الذي يتألف من ١٦٠ فدانا من الاراضي حولها الى منابت ومشاتل ومغارس زراعية ، الا انه واثق كل الثقة بأن العرب الذين يعنيهم الامر ، في الدرجة الاولى ، هم مدعوون ، قبل غيرهم من الناس ، لعملية النبش والتحري على نطاق واسع ، ولهم من سعة الثراء والغنى اليوم ، ما يمكنهم من تجريد حملة من الباحثين للكشف في الخطوطات العربية عن هذا الامر الخطير والانجاز العلمي المنقطع النظير مما يعود على العرب بالمجد الاثيل لهذا السبق العلمي والكشف الجغرافي العظيم .

ولد لدكتور لي في مدينة سوشو ، في الصين وتخرج من جامعتها ومن جامعة بن تشنغ في بكين ، ثم قصد جامعة هارفرد في اميركا عام ١٩٤٠ ، حيث نال الدكتوراه بعلم النبات ثم التحق بجامعة بنسلفانيا يعمل مع فريق من الباحثين .

عاد الى الصين ، عام ١٩٤٦ ، ومنها انتقل الى فورموزا حيث قام بعمل جبار رمى منه الى تصنيف الانواع النباتية والاشجار الحرجية فيها . وفي هذا السبيل نال منحة من المؤسسة العلمية الوطنية ليقوم بعملية تصنيف لاكثر من ١٠٠٠ نوع من انواع النباتات ووصفها وصفا علميا . وعاد الدكتور لي ثانية الى اميركا ، عام ١٩٥٠ وانتسب الى هيئة التدريس في جامعة بنسلفانيا بوصفه خبيرا بتصنيف النباتات واستاذا مساعدا في هذا العلم . وهو متزوج من احدى الصينيات المثقفات التي كانت استاذة لعلم الاحياء (البيولوجيا) ، في احد المعاهد الصينية . ولهذا نراه يصرح :

« هوايتي المفضلة التأريخ للنباتات من حيث نشأتها واصلها ومواطنها وانتشار انواعها المختلفة وهو موضوع مثير حقا ويحظى بعناية الكثيرين ويثير فضولهم » .

وعن طريق اهتمامه بالنبات واقتفاء مراحل تطور عروقه عبر التاريخ ، لفتت نظره نظرية اكتشاف العرب للعالم الجديد وسبقهم كولمبوس اليها بقرون . فقد كان يطالع كتابا لاحد علماء الصين في القرن الثالث عشر للميلاد يدعى « تشو جو كوا » ، ترجم الى الانكليزية ، عام ١٩١١ ، على يد اثنين من الالمان ، هما فريدريك هيرث ، و. روكهيل نشرته الاكاديمية الامبراطورية للعلوم في الصين .

وكان مؤلف الكتاب المذكور جو ــ كو ، تشده اواصر القربى بالاسرة الامبراطورية « صونغ » احدى سلالات الصين التي تولت السلطة والحكم في تلك البلاد ، وقد رئس مدة ، مصلحة الموانىء الصينية ولا سيما الاشراف على السفن الاجنبية التي كانت ترسو في ميناء تشيان شو الواقع في ولاية فوكيان ، وهو مرفأ كان من اكبر وانشط

وكأنما في شعرها قمر

وامتعتي بالصدر والعنق ... وبوردة في شعرها اللبق
وكان وردتها بخصلتها ... قطفت من الغيمات في الافق
وكانما في شعرها قمر ... أنواره تفتر في الغسق
وفم كان الفجر لونه ... او أنه لمع من الشفق
راحت تحدثني وتغمرني ... وأنا أموت بغمزة الحدق
فالحب رغم اللطف يقتلني ... كم فيه من متع ومن حرق
أحببتها وكتمت عاطفتي ... في الحب طي القلب في العمق

زحلة ــ لبنان

رياض المعلوف

مرافىء الصين البحرية اذ ذاك ، الا انه شاخ واصيب بالهرم في ما بعد . وقد امتازت السفن العربية على الاخص التي كانت ترسو في المرفأ المذكور ، بالنشاط العارم والحركة المحمومة . وكان جو ــ كو يضبط بدقة ويقيد المعلومات التي كان التجار العرب القادمون الى الصين ، يزودونه بها حول البلدان التي يتجرون معها .

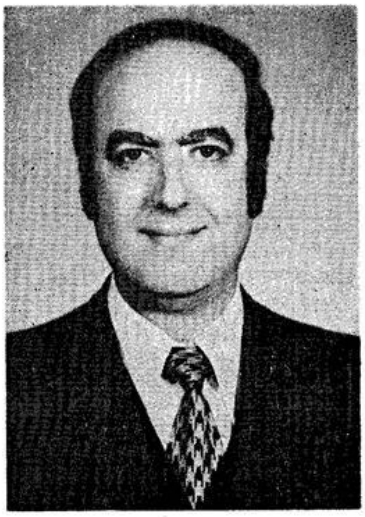
وعلى اثر قراءته وصفا جغرافيا خيل اليه انه يقع وراء جنوبي اسبانيا ، تبين له ان الحياة النباتية والحيوانية في هذا القطر كما جاء وصفها في الكتاب يشكو بعض الشيء من البلبلة والاضطراب لما تحويه من فروق واختلافات ، جاءت مجلة نيوزويك على ذكرها بالتفصيل ، ومن الاوصاف الجغرافية التي تركها جو ــ كو وصف « بحر له رائحة » كان التجار العرب يمخرون عبابه خلال رحلاتهم البحرية التي تدوم مائة يوم وكانوا يفضون بعدها ، الى قطر عجيب يقع في بقعة ما على شواطىء اميركا الجنوبية ، وهذا البحر ، قد يكون في نظر الدكتور لي « بحر سرغاس » كما يؤكد الدكتور لي .

وعن المصادر العربية التي ساعدت الدكتور لي على تكوين نظريته هذه حول امكانية سبق العرب لكولمبوس الى اكتشاف اميركا ، كتاب الشريف الادريسي ، الجيوغراف والرحالة الغربي المشهور (١٠٩٩ ــ ١١٥٣ م) اي في القرن الثاني عشر للميلاد الذي ترك لنا وصفا لافريقيا ولاسبانيا في زمانه ، وهو كتابه الموسوم « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وفيه وصف البلاد التي جابها وزارها من بلاد الروم واليونان ومصر والمغرب وفرنسا وجزر بريطانيا . وقد وضعه بتكليف من روجار الثاني ملك النورمان في صقلية . وفي كتابه هذا وصف لبلاد تقع وراء « بحر الظلمات » اي ما وراء اسبانيا وافريقيا الى الغرب ، كما يصف المحاصيل الغريبة التي تنبتها جزرها . وفي الكتاب وصف لرحلة قام بها ثمانية من البحارة العرب انطلقوا من لشبونة وادركوا البحر ذا الرائحة ، كما وصفوا جزيرة نزلوا اليها ثم وقعوا في اسر سكانها الى ان افرج عنهم فيما بعد .

وقد وصفو هذا الشعب اسمر الجلد ، لا لحى لهم ، يبدو النساء والرجال متشابهين ، كما يصفون طائرا بحريا احمر اللون قد يكون طائر الفلامنكو المعروف جيدا بجزر الهند الغربية .

والذي يهتم له الدكتور لي بالاكثر ، ليس اكتشاف اميركا بالذات بقدر ما يهتم بانتشار الثقافة . والسائد لدى العامة ان كولمبوس هو اول من اكتشف اميركا مع العلم ان البحارة الدانماركيين بلغت سفنهم في القرن العاشر والحادي عشر شطآن شبه جزيرة لا برادور الواقعة الى الشرق من سواحل كندا . ولكن بعد هذا الذي اتينا على ذكره هنا ، يتساءل كثيرون ، ونحن منهم ، الى اي حد عرف كولمبوس ان يفيد من المعلومات الجغرافية التي تركها الرحالة العرب وتجارهم ، قبل ان يقوم برحلته التي ادت الى اكتشاف العالم الجديد .

يوسف اسعد داغر



الدكتور وليم الخازن

كتابي الجديد : الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية

بقلم الدكتور وليم الخازن

* * *

لماذا

سمحت لنفسي بأن يطبع كتابي « الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية » ؟ هل كان من الضروري ان ينشر هذا الكتاب ؟ اليست المكتبة العربية مكتظة بالكتب حتى لم يبق فيها متسع لمزيد ؟

اقول هذا لاقتناعي بأن الكتب الكثيرة التي تنشر في بلادنا تقسم الى ثلاثة اقسام تعود الى ثلاث فئات من الكتاب : القسم الاول ينشر في سبيل الشهرة بقطع النظر عن قيمته ، والقسم الثاني لجهل صاحبه قيمته الحقيقية وانعدام النقد العادل ، والقسم الثالث لافادة الناس والباحثين من قبل علماء نذروا نفوسهم للعلم والمعرفة .

وما يقال في اصناف الكتب يقال ، ايضا ، في اصناف الشهادات العالية التي يسعى اليها قسم كبير من الهواة في سبيل اللقب والشهرة ، وحياتهم بعيدة عن حياة العلماء ، بل هم غير مقتنعين ، أصلا ، بأهمية العمل الذي يقومون به .

قرأت يوما ، شعرا يصنف الشعراء اربعة اصناف ، ويقسو على المقرزمين منهم ، ويقول :

الشعراء ، لو علمت ، اربعه فواحد يجري ولا يجرى معه
وواحد يجول وسط المعمعه وثالث لا تشتهي أن تسمعه
ورابع لا تستحي أن تصفعه

وبعد ، أما حان الاوان للمصارحة في بلادنا ؟ أما آن لنا ان يفصل النقد بشدة وحزم بين العمل الناجح والعمل الفاشل ، وان ندع المسايرة في نشاط الفكر والاعمال العامة ؟ لن انادي بعرض كل مؤلف ، قبل نشره ، على لجنة رسمية عليا للحصول على اذن مسبق ، اذ ان ذلك قد يذكر بمكاتب التفتيش في السلطنة العثمانية التي تحدث عنها سليمان البستاني في مقدمة كتابه « عبرة وذكرى » ، ولكن ، يريد القارىء ان يفيد من كل كتاب يعرض في واجهات المكتبات ، واظن ان جودة الانتاج هي معيار مهم من معايير كثرة القراء في الغرب وقلتهم عندنا ، بل دعوني أصرح بما منع الحياء من التصريح به ، وهو ان كثيرا من الكتب التي تهدى الى اهل العلم والباحثين تشكل عبئا على مكتباتهم ، ولا يجدون حاجة لقراءتها .

ولن اتراجع عن التحدث عن كتابي ولو اتهمت بحب الذات او الدفاع عن النفس .

« الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية » في خمسمائة واربعين صفحة من القطع الكبير — منشورات دار المشرق ، وتوزيع المكتبة الشرقية في بيروت — قضيت اكثر من احدى عشرة سنة في تأليفه . واذ كان ، اساسا ، أطروحة للحصول على دكتوراه دولة في الآداب من جامعة القديس يوسف ، رافقني فيه واشرف عليه الدكتور جبور عبد النور ، البحاثة الذي يشهد كل من عمل تحت ادارته ، بعلمه وقساوته . وقد صرح الدكتور عبد النور خلال المناقشة بأنه لو لم يطلب مني التوقف لاندفع قطاري احدى عشرة سنة اخرى ، لأن اللقب والشهادة لم يكونا هدفي اصلا ، وانما ما هدفت اليه هو الاسهام في سد نقص ادبي ووطني ، وفي تأليف كتاب مفيد . والآن ، هل سددت هذا النقص كما ادعي ؟

على النقد ان يجيبني بصراحة وانصاف . وانني اعتب على من يكتفي بالاشادة والتنويه اكثر مما اعتب على الذين يبينون نواقص الكتاب ، فأتلافاها في طبعاته وفي مؤلفاتي اللاحقة .

وهل يعني عملي بالكتاب احدى عشرة سنة انني قاسيت فيه ما قاسيت من تعب وضنى ؟ قد يظن ذلك من لم يمارس البحث الادبي عن طبع وهوى . اما الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقاء في الربيع

هنـا في روضة الوادي التقينا ... وغنانـا الهـوى وبهـا مشينا
وكفك في يـدي والحب يروي ... احاديـث المنـى في مسمعينـا
حكايات تكـاد لهـا الروابـي ... تهش وترفـع النجوى الينـا
وينفحنا النسيم بكـل عـرف ... فتأتلـق الكمائـم في يدينـا
كـأن شذى الربيع لـه فؤاد ... يحس بنـا اذا سرنـا الهوينا
فيسكب في جوانحنـا شميمـا ... بـه في روضة الحب انتشينا
رحيـق يسكـر الارواح لكـن ... شربنا مـن جناه ومـا اكتفينا
الا يـا حلـوة العينين مـاذا ... علينا لـو مـن القبل ارتوينا
حريـق النـار تعرفـه قلوب ... تقـول اذا احترقنا مـا علينا

البحرين — احمد محمد الخليفة

اعتاد البحث ، وصبر عليه ، فانـه ، وان لاقى بعض المشقة في تقميش مراجعه ، تبقى لذته بالاكتشاف ، وغبطته بوضوح الرؤية وبلوغ الهدف ، اقوى واشد .

وكثيرا ما يطرح السؤال التالي : ما هو مدى الابتداع والابتكار في الدراسات ؟ اليس الادب الانشائي اهـم واجمل ؟

لا شـ كفي ان حرية التأليف وصولة العبقرية أوفر وابين في الادب الانشائي ، ولكن الدراسات الادبية تتطلب دربة ودراية واسعة في التأليف بما هو تبويب وتفصيل وتنسيق وربط ومعالجة واستنتاج . ثم ان التفاعل مع النص الادبي ، وتفسيره بتفهم وعمق ، وربطه بمختلف التيارات الثقافية ، محـك لشخصية الباحث وسليقته الادبية .

وقد يكون الادب الانشائي اقرب منالا اذ يرتكز على الايحاء والانطباعية ، بينمـا الدراسة الادبية ترتكز ، خصوصا ، علـى المنطق والحجة والاسلوب الواضح السليم . وما دام التفاعل بين الكاتب وموضوعه متوفرا ، فلا سبيل للطعن في القيمة الادبية . واذ كان للاديب ان يختار موضوعه حيث شاء ، فماذا يضير الباحث ان كان موضوعه الادبي مستمدا من مختلف المصادر والمراجع التي يتأثر بها ويحاورها بصدق واصالة ؟

والآن ما هي موضوعات كتابي الاساسية ؟

يحتوي الكتاب على حوالي مائة وتسعين عنوانا مقسمة على محاور معدودة واضحة :

اولا : تفاعل الادب والسياسة في الغرب خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وهذا المحور هو المعين الذي نهل منه الادباء والمفكرون في النهضة العربية الحديثة .

ثانيا : تأثر الشرق العربي بحالة الغرب في السياسة والادب . وقد اثبت في هذا المحور البواعث التي انتقل التأثر عن طريقها ، والتيارات الوطنية في العالم العربي وتفاعلها مع الشعر العربي عموما .

ثالثا : معالم الوطنية في الشعر اللبناني الحديث . وهو الفصل الاطول في الكتاب . وفيه ، عدا البواعث ، تفاعل الشعر والوطنية في لبنان بحدوده الحالية ، مـن عهد الامير بشير الشهابي الكبير (١٧٨٨ ــ ١٨٤٠) الى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) . وفي هذا المحور اثبت كل التيارات الوطنية التي اثر فيها الشعر اللبناني او تأثر بها .

ومما اعتبره مفيدا في كتابي معجم الشعراء اللبنانيين الذي يضم مائة وسبعة وستين شاعرا ، معرفا بهـم ومثبتا آثارهم الشعرية .

وبعد هذا العرض السريع لمحتويات الكتاب ، ارجو ان اكون قد احسنت التبليغ والمعالجة والاستنتاج ، وآمل ان يرى القارىء فيه لذة وفائدة . والاقرار بالتقصير والنقص من مستلزمات البحث العلمي وشروطه الاساسية .

وليم الخازن

تركت حلبة السباق وخرجت الى الطريق مزهوا بنفسي ، ولم لا !! وقد تخلصت من داء المقامرة اللعين .. تمثلت الصراع بين الجوادين الاحمر والابيض وسقط الضوء في داخلي على احراش الغابة .. القوي يفترس الضعيف ، والفائز يقهر المندحر .. احسست بعشب اخضر ينمو في داخلي ، ودارت في ذهني مقارنة سريعة .. ايهما افضل !! بعثرة النقود في الرهان تعرضا للكسب والخسارة ام امتاع الاولاد بقدر ضئيل من الرفاهية كقضاء يوم في احدى المتنزهات لا شك ان الثانية افضل وربحها مضمون ، واستقر عزمي على قضاء يوم العطلة في حدائق القناطر الخيرية الشاسعة بين الخضرة والماء والوجه الحسن .

*

تخيلت الحدائق منذ عهد قريب عندما كنا نخرج اليها ، ونجد انفسنا منطلقين في مرح ، بعضنا يلعب ، بعضنا يرقص ويغني ، بعضنا يركب الدراجات والحمير ، وبعضنا الآخر يجوس خلال الحدائق ممتعا نفسه بالانتقال من حديقة الى اخرى ، ومن قنطرة الى اخرى . وكم من الاحداث والنوادر تدور بخلدي .. انها تضحكني وتدغدغ حواسي .. ذكريات جمة تعيد الى البدن شبابه ، والى الفكر نقاءه وصفاءه .. دائما وابدا قبل اي رحلة بأيام نعد انفسنا الاعداد الكافي .. يختص احدنا باعداد الطعام ، وآخر باعداد ادوات التسلية كالكرات والمضارب والطاولة وورق اللعب والحبل ، ويهمني في المقام الاول آلة التصوير وكنا نستأجرها من صديق يشتغل بالتصوير ، وفي الصباح الباكر ليوم الرحلة نستيقظ في ميعاد موقوت ، ونجتمع في بيت معتاد .. نعبىء الحقائب ، ونخرج قبل الثامنة متوجهين الى الباخرة ان كانت رحلتنا نيلية ، او العربات ان كانت برية .

كانت رحلات جميلة دون ادنى شك اذ كنا نشعر بالبهجة ونضحك منذ خروجنا .. كان لنا صديق يردد دائما مع بداية كل رحلة « تحللوا من عقدكم ، تناسوا مشاكلكم واوجاعكم » .. وكان هذا المتوقع دائما اذ يندر ان يسمع المرء عن انسان يخرج الى نزهة متجهم الوجه .. كذا يندر ان تثار اي مشكلات عائلية او بين الاصدقاء في مكان خلوي تحيط به انسام هفهافة تداعب القلب والروح .

ويبدا اليوم حافلا بالبهجة .. الصغار يلقون بأحذيتهم ويهرولون فوق العشب الاخضر وراء بعضهم

الجواد الاخضر

بقلم جمعه محمد جمعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البعض .. يتقافزون ، يتشقلبون ، الكبار يتحللون من ملابسهم ويرتدون ملابس اللعب .. الكرات تخرج من الحقائب والمضارب كل يفعل ما يحلو له .. وبعد ساعتين او ثلاث ساعات يجتمع الشمل للغداء .. وبعد الغداء يمضي الوقت كأحسن ما يكون .

كان هذا يجول في راسي كذكريات، وكان ايضا يداخله تخيل للرحلة التي وطدت العزم على دعوة الاصدقاء والصديقات للقيام بها ابتهاجا ببرئي من داء المقامرة اللعين .

*

عدت الى البيت كالمعتاد .. انصرفت زوجتي الى اعمال لم تكن اعمالا بالفعل وانما تظل كذلك حتى تقف على ما في نفسي اما سرورا او غضبا .. تلعن في سرها دائي اللعين .. ظلت تروح وتجيء وانا ارقبها وقلبي هو الذي يضحك .. تكنس الارض النظيفة .. تعيد ترتيب الفراش المرتب.. تفتح زجاج النوافذ لتهش الذباب رغم عدم وجوده .. واحيانا تلوذ بالمطبخ لتغسل الاواني النظيفة .. كل هذه الاعمال تتم قبل عودتي كما عودتها منذ سنين لكن الضرورة لها احكام .. فحتى تتبين حالتي تظل ترهق نفسها وتخلق من لا شيء اعمالا .

لا ادري كيف تسللت الابتسامة الى شفتي في لحظة ، ولا كيف اتفق في ذات اللحظة رؤيتها لابتسامتي .. هدأت انفاسها وتركت ما في يدها وجلست بجواري وابتسامة شاحبة مرتجفة تحتضر على شفتيها .. وضعت ذراعي حول كتفيها مهدئا وقلت :

— ارى فيك اليوم جمالا غير معهود .

قالت بعد ان تنهدت في شبه ارتياح :

— قل ان نظراتك اليوم هي الغريبة .. انا هي انا على الدوام .

ثم اردفت وهي تضع راسها على صدري :

— يبدو انك ربحت اليوم .

قلت : ابدا .

شعرت برجفة انتابت جسدها كله وكأن زلزالا حدث لثوان رفعت راسها وقالت مضطربة :

— يعني ...

قاطعتها بسرعة : ابدا .

قالت مندهشة : لا هذا ولا ذاك فما الخبر ؟

امسكت بوجنتيها وقلت : لـــم اراهن .

قالت في نبرة يختلط فيها الخوف بالحزن بالسرور : الحمد لله .. اخيرا تحقق املي .. اخيرا ربحت بيتـي الذي كان يسبح فوق بحيرة بنزين .. اخيرا عدت الينا يا حبيبي .

وامسكت بذراعي ودموع تتألق في عينيها : دعني اقبلك عن شوق .

وبعد ان قبلتني قلـت : أتودين معرفة الحكاية ؟

قالت مستعينة بيديها : كلا .. فلينزل الستار على الماضي .

قلت ضاحكا : ينزل الستار .. اترينا كنا في مسرح ؟

قالت متنهدة : واي مسرح !!

*

تناولنا طعام الغداء ثم أويت الى فراشي للقيلولة .. لكنها سرعان ما لحقت بـي واستلقت على الفراش بجواري .

لا ادري اخذتني سنة نوم أم كنت في يقظة .. وجدت امامي جـوادا اخضر اللـون ، لعلهـا معجـزة المعجزات .. او غاية المستحيلات ان يوجد ، او يمكن العثور على جواد اخضر اللون لكنه وجد على ايـة حال .. هـز راسه واوما الي ان اتبعه .. قلت متسائلا في دهشة :

ـ اتبعك .. الى اين ؟

قال في صوت اظنني ما سمعت مثله ابدا : نشق عصا الطاعة ونتشبه بالعظام .

قلت متسائلا : ولمـاذا قررنـت العظمة بشق عصا الطاعة ؟

قال : لان اصحاب العظمة فوق القانون .

قلت : بديهي لانهم المنفذون له .

ضحك في هدوء ، وعقب : ربما .

قلت : المهم انـك قلـت نتشبه بالعظام .. فيما نتشبه بهم ؟

قال محاولا بث الخوف في نفسي : وتتحمل وزر ما تفعل ؟

قلت شاهقا : وزر ! اذن فهناك ذنب ! لا يا جوادي الاخضر ما اظنك تودي بـي الى التهلكة ، ولا اظنك تبغي لاولادي الضياع والتشرد .

قال : انك خائف .. كـن اذن حيوانا اخرس .

اختفى جوادي الاخضر .. تلفت حولي فرأيت زوجتي تبحلق في وجهي قائلة :

ـ ماذا بك ؟ ايقظتني بانتفاضك . ماذا بك ؟



جمعه محمد جمعه

ـ لا شيء .. لا شيء .

كان لزاما علـي ان اغير دفـة الحديث .. ادركت انـه ينبغي الا تدرك زوجتي اننـي كنت خائفـا ارتعد .. قلت وشبح ابتسامة ارسمه على شفتي :

ـ اتخمنين فيما كنت افكر ؟

ـ لا ادري .

ـ استقر رأيي على قضاء يـوم العطلة في حدائق ...

لم تدعني اكمل اذ هتفت :

ـ احقا .. احقا ما تقول ؟

ـ أجـل .

ـ كم انا سعيدة ! وكـم سيفرح الاولاد بذلك !

نهضت وتأكدت من سلامة هندامها في المرآة واستطردت وهـي تهـم بمغادرة الحجرة :

ـ سأزف اليهم هذا النبأ العظيم .

سرعان مـا سرت الفرحـة في البيت .. هاج الاولاد بالحركة وجاؤوا الي ظائطين .. التفوا حول فراشي والفرحة تكـاد تذهـب بعقولهـم الصغيرة .

*

كان استعدادنا طيبا للرحلة .. كلنا فرحون وخاصة اولادي الذين لم اصحبهم معي من قبل الى رحلة ما .. فبعد ان شبوا عـن الطوق كثرت الاعباء ، وازددت تبرمـا بالحيـاة واصبت بداء المقامرة الذي كان يذهب بكل مدخر ويتطاول احيانا كثيرة على ما هو ضروري .. لذا كانت فرحتهم طاغيـة .. وحمدت لـي زوجات اصدقائي هذه الفكرة فهن واولادهن ايضا محرومون مـن التنزه او اي تغيير في نمط الحياة اليومية المقيت ، وهكذا اجتمـع للجميع ان يكونـوا سعداء في مطلع ذلك اليوم .

ركبنـا الاتوبيس النهـري الـى هنـاك .. سبقتني افكاري الـى الحدائق تفتش وتختار احسن الاماكن لنزولنا .. حيـث الحديقة فسيحة يلعب الاولاد امامنا ، وبعيدة عن اي اخطار ، واخترت المكـان ووضعت نظاما لليوم كلـه .. موعد الافطار عندما نستقر في مكاننا ، موعد الغداء وموعد الرحيل ، اخترت ايضا الاماكن الجميلة لالتقـاط الصور التذكاريـة والتي كنـا نأخذ فيها منذ سنوات صورا رائعة .

غادرنا الاتوبيس النهري وصعدنا تلا صغيرا مغطى بالعشب يفضي بنا الى الحدائق ، كان التل مزدحما على غير العادة اذ كنا نادرا ما نجد اسرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تختاره مكانا لقضاء يومها .. انتهينا منه ووجدنا امامنا الشوارع التي تفضي الى بقية الحدائق ، وكان اول ما راعني اسوار السلك الشائك حول الحديقة الكبيرة التي واجهتنا.. قلت في نفسي « مكاننا هناك ولا اظنه محاطا بالاسوار » .. وامتد بنا السير حتى فوجئنا بمن يستوقفنا قائلا :

— ممنوع .

قلت متسائلا في انزعاج : ما هو الممنوع ؟

قال : الدخول الى الحدائق .

قال صديق معنا : وأين نقضي يوم نزهتنا ؟

قال : هناك حديقة مفتوحة للجمهور .

واشار الى الحديقة التي فوق التل والتي تركناها وراءنا مكدسة بمن اتعسهم حظهم مثلنا وخرجوا لقضاء يوم ممتع في الهواء الطلق .

اشتد غضب صديقي فألقى بحقيبة الادوات على طول ذراعه خلف سور من السلك الشائك واخذ يردد :

— كلام فارغ .. كلام فارغ .

قال الحارس وهو يرفع الحقيبة ويعيدها الينا :

— اننا ننفذ الاوامر ولا داعي لاثارة المتاعب .

هدأت زوجة صديقي من ثائرته واخذت الحقيبة من الحارس ، عدنا ادراجنا نفتش عن بقعة صغيرة تضمنا جميعا .. جلسنا في مكان يحف به الطين من جانب والحصى من جانب آخر .. قدمنا للاولاد الشطائر ليفطروا اما الكبار فكفاهم مرارة الحلق افطارا .. تبدد كل ما رسمته في خيالي ليوم جميل وسط الخضرة والماء والوجه الحسن .. نظرت الى آلة التصوير متحسرا .. وازدادت حسرتنا جميعا والاولاد يتساءلون عن مكان يلعبون فيه الكرة ، ويجرون ويمرحون . ويتساءلون عن سبب احاطة الحدائق بالاسلاك الشائكة ولا من مجيب وفي مخيلتي يدور المثل القائل «من ترك داره قل مقداره» .. ترى ما موقف اولادي بعد ان أملتهم بمتعة قضاء يوم في الجنة .. لا شك انني قد قل مقداري كراسم للاحلام . قل مقداري كمحقق لآمال اولادي الصغار .. قلت في نفسي وانا احاول الفرار من نظرات صديقي « لعل داء المقامرة اهون في شره من هذا الشر على الاقل لا يعرف اولادي عنه شيئا » .. التقت نظراتي بعيني صديقي الذي قال :

— هذه واحدة من المآثر الحاضرة .

بدوت اخرس اللسان .. فلا محل للجدل والنقاش .. الواقع تحت اعيننا يؤيده والدفاع في هذه الحالة باطل الاباطيل .. تضرج وجهي بالدم فالمعروف عني انني اشد المدافعين عن الحاضر الذي خلصنا من حياة الظلام وأمنا الفولة والخفافيش .. ولكن صديقي يستفزني متسائلا :

— ما قولك ؟ اين يقضي الناس المساكين يوم عطلتهم ؟

قلت اداري خجلي متصنعا المزاح :

— امام شاشات التليفزيون في البيت .

بعد ساعتين لا اكثر رحلنا عن الحدائق التي كانت حدائق وانكمشت الى ربوة اعدت لتكون كحائط المبكى عند اليهود .. اجل كدت اذرف الدمع ونظرات صديقي تلهبني بسياط من نار ولا اجد حجة واحدة تشد من ازري وتصلب عودي .. كدت اذرف الدموع ندما على فكرتي بقضاء يوم بين الحدائق وتحول الى ساعتين من الندم والاسى والحزن .. رحلنا والصمت يلفنا جميعا حتى الصغار اعلنوا عن تبرمهم بطريقة او بأخرى .. والكل يرى انه لم يكن يوما ممتعا بل كان يوما شاقا .

جلست في المساء انفث دخان سيجارتي الخامسة عشرة منذ عدنا. ارى بعين صديقي وقد امسك علي زلة يجهض بها اي دفاع يمكن ان اشهره حين يتطرق الحديث الى الماضي او الحاضر او المستقبل .. فهو يدافع عن الماضي بكل حرارة . وانا ادافع عن الحاضر بكل قوة . وفي كل حديث تكون لي الغلبة وقليلا ما كنا نتساوى في النقط ، اما الآن فقد تبدل الامر وتغير .

طلبت من زوجتي ان تلقي اعقاب السجائر والرماد المتبقي الذي ملأ المنفضة .. مددت يدي لاتناول سيجارتي السادسة عشرة واذ بي أجده امامي ينظر الي .. يردد في تلاحق :

— تكلم .. انطق .. ارفع صوتك .. افتح فمك .. اكتب .

قلت في اسى : دعني ارجوك .. دعني .

قال : خائف .. الم اقل لك ! اكتب اذا كنت شجاعا ؟

هتفت مغتاظا : لست خائفا .. لقد كتبت من قبل الجواد الفائز .. كتبت عنك .

قال في ارتياح : عظيم .. تكلم اذن .. انفث غضبك في الكتابة .. ها أنت ترى بنفسك .

قاطعته ثائرا : لن اكتب شيئا .

هز رأسه موافقا وعقب : آه فهمت .. ستكون كحيوان اخرس .

صحت فيه : لا .. لا .. سأكتب .. سأكتب .

صاح صيحة عظيمة تبينت من خلالها كلماته : اذا لم تكتب فهي واحدة عليك.. واحدة عليك .

صحت انا الآخر وهو يختفي : ماذا تعني ؟ ماذا تعني ؟

ولم يأتني الجواب ..

القاهرة — جمعه محمد جمعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ناجي معروف العبيدي : حياته وآثاره

تاليف عدنان الخطيب ــ ٣٢ صفحة ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ــ مطبعة الحجاز بدمشق ــ ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م

كنت في احدى الحفلات الرائعة ، التي اقامها مجمع اللغة العربية بدمشق . في تشرين الثاني ، عام ١٩٧٦ ، احتفاء بذكرى مرور مئة عام على ولادة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، مؤسس المجمع العلمي العربي ، فاذا بكهل يفيض النور من قسمات وجهه ، يترك صديقي الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، ويندفع الي بحرارة وقوة ، أوقدتها صواريخ عاطفته ، ويمد الي يديه ، ويمسك بيدي ، ويهزهما هزا عاطفيا عنيفا ، ثم يقول :

ــ ناجي معروف .

فاجبته فورا :

ــ محمد العدناني .

وما كاد يسمع اسمي ، حتى بدأت هزة يديه المتاججة تخف بسرعة ، الى ان نفد الزيت في خزان عاطفته ، ثم قال لي :

ــ أعتذر ، لانني ظننتك ، استاذي الذي لا انسى فضله في بغداد ، الاستاذ محمد خورشيد .

فجاء دوري لانقض عليه ، وأعانقه عناقا حارا جدا ، ودموعي تطفر من عيني ، فرحا بلقاء تلميذ ، بل ابن علمته منذ بضعة واربعين عاما ، لان تلاميذي جميعا هم ابنائي ، ثم قلت له :

ان محمد العدناني هو محمد خورشيد نفسه .

ثم حدثته بقصة تغيير اسمي من محمد خورشيد الى محمد العدناني عام ١٩٣٨ ، وهي قصة يعرفها مؤرخو الادب العربي المعاصرون .

وانضم الينا بعد ذلك الدكتور عبد الكريم خليفة ، فعرف انني استاذ الدكتور ناجي معروف العبيدي ، فنظر الي من رأسي الى اخمص قدمي ، وقال :

ــ ان الدكتور ناجي هو استاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ، والدكتور الدوري استاذي ، وانت استاذنا الاكبر . يا للصدفة الغريبة .

ومرت الشهور ، واذا بي أقرأ في البرقيات الادبية لهذه المجلة الرائدة نبأ وفاة الدكتور ناجي معروف في جدة ، في ١٥ آب (اغسطس) ١٩٧٧ ، بعد تأديته مناسك العمرة ، فصدع النبأ الفاجع اعصابي المتداعية ، واطلقت لدموع قلبي العنان ، دون ان تكفكفها الشغاف ، وانصرفت روحي الى مناجاة حبيبها ناجي .

ومنذ اسابيع حمل الي البريد المسجل ، من اخي الاديب الخالد الدكتور عدنان الخطيب ، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، الذي لا يفلت من يده كتاب نفيس طبعه مجمع دمشق ، حتى يرسله الي ليؤنسني في عزلتي المختارة ، ويمرهم جراح نفسي القلقة على امتي العربية في أحلك ايامها .

أقبلت على قراءة الكتيب ، اقبال النحل على الزهر ، والمهمه القفر على ديمة القطر ، والموظف الشاعر الاديب على قبض روح راتب الشهر .

والدكتور عدنان الخطيب عالم في اسلوبه من حيث تركيز المادة ودقتها ، واديب من حيث نصاعة الديباجة ومتانة السبك . وقد جلت في روضته كلها ، فجنيت ما يأتي :

الدكتور ناجـي معروف أبواه عربيان ينتميان الى قبيلة عبيد العراقية ، التي ترجع في اصولها الى بلاد اليمن .

ومما قاله عنه الدكتور عدنان : دفع الدكتور ناجي عن الحقيقة ما علق بها من وهم ، وقع فيه ابن خلدون صاحب المقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ . ثم جاء من بعده حاجي خليفة ، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ يردده في كتابه « كشف الظنون » . ومن بعدهما تلقفه بعض الشعوبيين والمستشرقين ، الذين يكرهون اللغة العربية ، ويدأبون على تشويه الحضارة العربية الاسلامية وتلويث تاريخها .

لقد زعم ابن خلدون : « ان حملة العلم في الامة الاسلامية اكثرهم من العجم ، الا في القليل النادر . ومن كان منهم عربي النسب ، كان عجميا في لغته ومرباه ومشيخته » . وعلل ذلك بقوله : « واما العرب فشغلتهم الرئاسة في الدولة ، وانفتهم انتحال العلم ، لانه صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ، ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين » .

لقد هالت آراء ابن خلدون المهلهلة الفجة ، واستغلال المستشرقين واعداء العروبة في الدس على العرب ، والانتقاص من قدرهم ، لقد هالت العالم العربي الدكتور ناجي معروف العبيدي ، فراح يبحث في بطون التاريخ ، ويلاحق الانساب العربية عشرات السنين ، بصبر عجيب ، وهمة شماء ، حتى كشف الوهم الشنيع الذي وقع فيه ابن خلدون ، ومن تابعه في زعمه .

لقد اثبت في موسوعته الفذة الضخمة « ان حملة العلم في الملة الاسلامية جلهم من العرب » مفندا نظرية ابن خلدون التي انتحلها حاجي خليفة تقليدا علميا دقيقا ، وهو برسم مخطط انتشار القبائل العربية في البلاد التي فتحها المسلمون ، محددا المهاجر التي اتخذها ابناء الاسر العريقة موطنا لهم ، مبينا ان العرب ما زالوا يهاجرون ، فينسبون الى البلاد التي هاجروا اليها ، اذا ما تركوها الى بلاد أخرى .

لقد تجمع لدى الدكتور ناجي ، رحمه الله ، اكثر من الف اسم لعالم او عالمة في المشرق الاسلامي وحده ، كلهم من العرب الاقحاح ، رغم نسبتهم الى بلدان اعجمية ، وبين هؤلاء الفقيه والمفسر والمحدث واللغوي والفلكي والطبيب والمؤرخ والفيلسوف . وقد جاء في مقدمة موسوعته : « لقد ادهشني ان اجد مثلا ان الائمة الستة الكبار ، اصحاب الصحاح الستة ، ينقون باسرهم الى بلدان اعجمية ، حتى ظننت ، كما ظن غيري ، انهم جميعا من الاعاجم . ولكن الذي سرى عني ، وخفف من دهشتي ، ان اجدبينهم ثلاثة من اصول عربية صريحة ، وواحدا يرجح انه عربي هو الامام النسائي ، واثنين منهم عربا بالولاء هما : الامام البخاري الجعفي ، وابن ماجة القزويني الربعي ، أما الائمة الثلاثة العرب فهم :

١ ــ مسلم بن الحجاج النيسابوري ، وهو عربي من قشير .

٢ ــ وابو عيسى الترمذي ، وهو عربي من سليم .

٣ ــ وابو داود السجستاني ، وهو عربي من الازد » .

ووجد الدكتور ناجي ايضا ان الصحابي الجليل (صهيب الرومي) ينتمي الى بني النمر بن قاسط ، من ربيعة القبيلة العربية الشهيرة ، وان مغيثا الرومي ، الذي شارك في فتح الاندلس ، عربي من نسل ملوك الغساسنة العرب في الشام . وان جلال الدين الرومي ، صاحب المثنوي المشهور انما هو عربي من سلالة ابي بكر الصديق .

ووجد ايضا ان الاعلام الذين صيغة اسمائهم فارسية هم عرب اقحاح ، فنفطويه عربي من نسل المهلب بن أبي صفرة الازدي ، وابن راهويه عربي من تميم ، وفنجويه عربي من ثقيف ، وابن زنجويه عربي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الازد ، وابن عمويه هو ابن النجيب السهروردي ، من ذرية ابي بكر الصديق ، ومردويه البلخي ، من سلالة عمر بن الخطاب ، وهو الوطواط الشاعر ، وابن شبويه ، وهو احمد بن محمد بن ثابت المروزي ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، وهو عربي من خزاعة ، وسعدويه ، وهو سعيد بن سليمان ، ابو عثمان البزاز الواسطي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، روى عنه البخاري ومسلم ، وهو عربي من ضبة .

ومما قاله الدكتور عدنان الخطيب : « ان كتاب ناجي معروف ليس من كتب الدعاية التي تخلط حقا بباطل ، انما هو كتاب صدق يجلو حقائق علمية موثقة ، بدراسة مستفيضة واحصاءات دقيقة ، الا انها خفيت — في زمن مضى — على كثير من الناس ، وحتى على علماء وادباء ومثقفين ، كان في مقدمتهم العلامتان ابن خلدون واحمد امين ، وهي حرية اليوم ان لا تخفى على احد من العالمين » .

ويرد الدكتور ناجي اسباب الوهم الى عوامل متعددة تتصل بطبيعة العربي الاصيلة ، وبمبادىء الدين الذي يعتنقه ، مما يحمله على الاندماج بسهولة في اي بيئة اعجمية مسلمة اذا استوطنها ، ويعلل هذه السهولة بقوله : « ان العربي المسلم لا يتطرف في عنصريته ، بل لا يجد فرقا بينه وبين اي مسلم آخر يدين بدينه ، ولان العرب لم يفرقوا بين الشعوب التي حكموها ، وانما زودوها بكل ما لديهم من مثل سامية ، ومبادىء شريفة ، وخصال حميدة ، وهذبوا نفوس الناس بتعاليم الاسلام ، وعلموهم لغة القرآن ، ولم يستعلوا عليهم ، بل جعلوهم كانفسهم يجبر عليهم ادناهم ، وعملوا على خدمتهم وخدمة الانسانية جمعاء ، وقضوا على التمايز الطبقي والعنصري ، وانفتحوا على كل ما هو خير للانسانية ، واصبحوا هم واياهم بنعمة الاسلام اخوانا » .

وقد كشفت دراسة الدكتور معروف للدكتور الخطيب حقيقة جديرة بالتتبع والاستزادة من وجوهها ، هي ان عددا كبيرا من العلماء كانوا من ابناء الملوك والخلفاء ، او تحدروا من اصلابهم . وان آخرين حملوا اسماء اعجمية تسترا على نسبهم ، واخفاء لأرومتهم ، في اوقات كانت ملاحقة ابناء من سبقت له الرياسة ديدن من اغتصبها منه .

وذكر الدكتور عدنان الخطيب ان الدكتور ناجي كان يتحلى بصفات العلماء ، وضرب مثلا لذلك حين اعترف الدكتور ناجي بأن محمد كرد علي كان قد سبقه بزمن طويل في الاشارة ، الى عروبة اثني عشر عالما من اعلام العرب المنسوبين الى البلدان الاعجمية ، في كتابه « امراء البيان » . فابن العميد الذي اجمعوا على انه فارسي من اهل (قم) ، لا يبعد ان يكون هو ، او اجداده عربا اقحاحا ، نشأوا في تلك الارض فنسبوا اليها ، وقد حدثنا التاريخ بأن مئات من علماء المسلمين وابناء الانصار والمهاجرين ، هاجروا الى البلاد التي فتحت على ايدي العرب في الشرق والغرب ، فنسبوا الى اوطانهم ، لا الى آبائهم ، كما كانوا من قبل ، فضاعت بذلك اصولهم .

ومما جاء ايضا في « امراء البيان » :

« نسبوا صاحب الاغاني الى اصفهان ، وهو اموي عربي ، ونسبوا صاحب القاموس الى فيروز اباد ، وهو بكري عربي ، ونسبوا القزويني صاحب آثار البلاد الى قزوين ، وهو عربي من سلالة بن انس ، ونسبوا ابن حيان البستي ، صاحب التآليف العظيمة ، ومن طبقة البخاري ، الى بست ، وهو تميمي ، ونسبوا ابا حيان التوحيدي الى شيراز ، وهو من صميم العرب . وكان ابو داود السجستاني صاحب السنن من الازد ، وابو العباس النسوي ، مصنف المسند ، من بني شيبان ، وابو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب المسند ، من بني قشير ، والهروي المفسر ، من ولد ابي ايوب الانصاري ، وابو الوليد النيسابوري ، فقيه خراسان ، اموي من ذرية سعيد بن العاص الاكبر ، والفخر الرازي ، المفسر ، عربي .

وقال ابن قتيبة : ان خارجة بن مصعب هو من بني شجنة من ضبيعة ، وكان أفقه اهل خراسان ، وكان ابوه مصعب بن خارجة مع علي بن ابي طالب .

اما تاريخ حياة الفقيد الكبير فهو كما يأتي : ولد في الاعظمية ، قرب بغداد في نهاية عام ١٩١٠ م. فاز باجازة في الآثار من معهد «اللوفر» ، وبالدكتوراه في التاريخ من جامعة باريس « السوربون » . اشترك سنة ١٩٤١ في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، ثم اعتقل ثلاث سنوات . شغل مناصب علمية كثيرة ، احدها عمادته لكلية الآداب بجامعة بغداد . وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق ، ثم في المجمع العلمي العراقي . وله خمسة وخمسون مؤلفا نفيسا ، ولو لم يؤلف سوى موسوعته « عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الاعجمية » لكفته الدخول الى « الخلود » من اوسع ابوابه .

ولا بد لي من ان اختم كلمتي عن هذا الكتيب الرائع النفيس ، تشبها بمؤلفه العظيم الكتور عدنان الخطيب ، الذي ختمه بما نقله عن المغفور له الدكتور ناجي معروف العبيدي ، القائل في صدر موسوعته :

« لو لم اكن عربي الابوين لتمنيت ان اكون عربيا ، لان من يطلع على ما قام به العرب من خدمات للانسانية والعلم والحضارة الانسانية ، ليقف ، اجلالا للعلماء العرب في عصورهم الزاهية وامبراطوريتهم الواسعة.

« ولو لم اكن عربي الابوين نسبا ، لتمنيت ان اكون عربيا بالولاء ، ذلك لان المسلمين قديما ، على اختلاف الوانهم واجناسهم ، قد انتسبوا الى قبائل عربية ، واسر عربية ، واعلام من العرب رجالا ونساء ، واصبحوا منهم ، لا يختلفون عنهم في حق ولا واجب ، اعتزوا بالعرب ، وعلت مكانتهم بهم وبالاسلام .

« ولو لم اكن عربيا نسبا او ولاء ، لتمنيت أن اكون عربيا بالثقافة ، ذلك لان اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، كوننا شعوبا واجيالا من الناس ، ما زالت مخلصة للعرب ، تحبهم كانفسهم او اكثر حبا ، لان العربية ، لغة القرآن الكريم ، هي لغة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولغة اصحابه وهم من العرب . وعروبة الثقافة كعروبة النسب » .

رحم الله المؤلف العربي العبيدي الخالد ، وأطال عمر اديب الضاد والعروبة الكبير اخي الدكتور عدنان الخطيب ، لكي يظل واقفا بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالنيل من شعبي العربي الخالد ، ومجده الباذخ ، ولغته المضمخة بالرقة والايقاع والسحر والفتنة .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

* * *

القضية في شعر الامارات

تأليف واصف باقي — تقديم نديم مرعشلي — ٨٤ صفحة — مطبعة (؟)

أهداني الاستاذ واصف باقي ، منذ اكثر من خمسة اشهر كتابه « القضية في شعر الامارات » . فتلقيت هديته شاكرا . ولا ريب اني مطالب بقراءة الكتاب ، واعلان الرأي فيه . فأخذت في قراءته ولكن ظروف قاهرة حالت دون اتمام قراءته ، ومضت ايام كنت منصرفا فيها الى ما ينصرف الناس فيه من امور الحياة ، فيها ما يحب ، وفيها ما يكره . وهذه سنة الحياة ، والحمد لله على الحالين . وكنت اثناء ذلك ، أقرأ ما يكتب عن الكتاب ،

وأسمع احاديث الناس عنه . فكان منهم المادح ومنهم القادح . ولولا مقدمة الاستاذ نديم مرعشلي لقلت ان الكتاب لم يدرس دراسة موضوعية من اي كاتب ناقد متخصص ، ذي مؤهلات وكفاءات ادبية . واليوم أريد ان اتحدث عن الكتاب ، بعد ان اتممت قراءته .

الاستاذ واصف باقي كما يقدمه لنا ناشر الكتاب من مدينة حلب الشهباء ، مربع الحمدانيين ، ومقر صاحب المتنبي ، سيف الدولة الحمداني ، وكفى الشهباء فخرا ان تكون ذلك المربع ، وهذا المقر . ويقول الناشر ان المؤلف « له ممارسات ادبية ونقدية ونشاط ثقافي واسع في مجال الكتابة في الصحف والمجلات والاذاعة منذ اوائل الستينات » ويقول عنه ايضا بانه « أصدر كتاب « ملخص تاريخ العرب المعاصر » طبع في حلب ١٩٦٦ وله ايضا كتاب « امين الريحاني واثره في النهضة الادبية الحديثة » طبع في دمشق ١٩٦٨ والآن يعد رواية « عزيز » للنشر » .

هذا التعريف كاف ، لالقاء اشعة كاشفة ، للقارىء ، على خلفية المؤلف الثقافية . وبها نستطيع ان ننتقل مباشرة الى الكتاب نفسه . يقع الكتاب في ٨٤ صفحة من القطع الوسط . يفتتحه الاستاذ نديم مرعشلي بمقدمة شيقة ، وضافية ، في اسلوب فني بديع ، فيه من رقة الشعر حلاوة ، ومن جزالة النثر عذوبة ، حيث يقول عن الكتاب « وبعد أين نحن من الموضوع وما بذله فيه المؤلف من جهد ، وسبر من اغوار ، وهو يجمع وينسق ، يعلل ويحلل .. لقد اغترفنا غيضا من فيض ، ورسمنا ظلا لشجرة في زحمة الدوح من مترامي اطراف الغابة ، وزمالة القلم ما كانت لتعرف الاثرة وانما سجيتها الايثار ، وان كان في النفس منزع للقول الكثير عما كتبه السيد المؤلف في شعر الامارات وما سيكتبه عن شعر الخليج ، ومن انطباعات اثرت في حول هؤلاء الشعراء الذين حدثنا عنهم وعرفنا بشعرهم وما اشد متعتي حين لقيتهم وعرفت عنهم حيث استجليت ملامحهم عبر شفافية الحرف ممن ذكرتهم او لم اذكر وهيهات لمقدمة ان تغني عن كتاب » .

ونقول : ان كتاب القضية في شعر الامارات جديد في موضوعه ، وليس في تناوله شعراء الامارات بالتعريف .. اذ ان المرحوم عبدالله الطائي ، وكان من المقيمين فترة من الزمن في الامارات ، قد سبقه في التعريف بهم في كتابه « الادب المعاصر في الخليج العربي » وهو مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة « معهد الدراسات العربية » . ويمكننا القول بعد هذا : ان كتاب الطائي كان السباق في التعريف بشعراء الامارات . وكتاب الاستاذ واصف هو اول دراسة من نوعها عن قضية فلسطين في شعر شعراء الامارات . ولم يسبق الاستاذ واصف ، كما يظهر لي ، في ذلك احد من الكتاب .

يشتمل الكتاب ، بعد المقدمة ، ونبذة تاريخية عن القضية الفلسطينية على ست عشرة دراسة ، غير الخاتمة ، عن تسعة من شعراء الامارات . تناول فيها المؤلف كل شاعر على حدة ، واعطى نبذة عن حياة كل واحد منهم . واظهر بأسلوب رقيق ، وتعبير فني رشيق تأثير القضية في شعرهم ، سواء كان ايحاء او مباشرة . واختار في ذلك المنهج الابداعي في دراسته للقصائد التي تتناول موضوع القضية . فهو يدرسها ، ويحللها ، ويطارد حركة المضامين فيها ، وينثرها في اجزاء صغيرة ، ويرصد تجربة كل شاعر في تجربته النقدية ليربط النص الابداعي بموضوع القضية ، ويختم دراساته بعد ذلك « ان شعراء الامارات في الخليج قد شاركوا بصدق في القضية العربية وجعلوا من انسانها وارضها محور نضال مستمر لا يهدأ توهجه وأواره .. كيف تمكنوا من ذلك ؟ بالطبع حين عرف هؤلاء الشعراء ان ثمة اخوانا لهم في الارض المحتلة ، يعانون ويقاومون ويضحون ، فكتبوا مثلهم ما اسعفهم المجال باقلام مضمخة بالدماء ، عارمة بالشوق والحنين ، وبكل ما في قلوبهم من معاني الصدق والوفاء ، اضف الى ذلك ان لهم في كل ما يجد بالساحة العربية من احداث سهما كبيرا ، وموقفا متميزا بالمشاركة الوجدانية الخالصة ، والا لما نبست شفاههم بما تفطرت به قلوبهم ، مما اسمعونا اياه ، ومما قرأناه من نماذج لأشعارهم في القضية مثلا ، كما مر معنا ، لماذا ؟ لان الشعر مخاض ، وليست هذه العملية بالسهولة التي نتصورها » .

وكتاب القضية يسد نقصا ظاهرا فيما وضع من مؤلفات وأبحاث عن شعراء الامارات المحدثين منهم والقدماء . اذ ان مثل هذه الابحاث قليلة قلة ظاهرة ، وذلك لاسباب لا مجال لذكرها هنا . وعلى الرغم من وجود المواد الاولية ، فان معظم ما كتب الكتاب عن شعر الامارات ، في مقالات خاطفة لم يتصف بالجدية والمعرفة الا قليلا منهم ، ومن هؤلاء القلة ، عبدالله الطائي ، والبحيري ، وواصف .

وللكتاب الذي بين ايدينا خاصية نحب ان توجد في كتابات الدارسين لأدب الامارات قصة وشعرا ونثرا ، وهي الاعتماد المباشر على المصادر الاولية مع فهم وادراك للنصوص . وتظهر هذه الخاصة في دراساته حيث تناول المؤلف ، كما المحنا الى ذلك ، الشعراء الذين لهم انتاج منشور ، فقدم لكل واحد منهم دراسة جامعة ومانعة كما يقول المناطقة .

بعد هذا العرض الموجز للكتاب بقي علينا ان نورد ملاحظة على الكتاب ، وهي اني لو كنت مكان واصف لأتبعت التسلسل الزمني في منهج الدراسة ، فبدأت اولا بالعقيلي ثم بسالم العويس لانهما من قدماء شعراء الامارات الذين تناولوا قضية فلسطين في شعرهم ، وكانا متعاصرين .

واننا اخيرا نتمنى لمن يتوفرون على مثل هذه الدراسة التوفيق كله فيما هم بصدده من خدمة الادب العربي في شتى بقاعه ومختلف اقطاره .

سطوة ــ دبي
الامارات العربية المتحدة

احمد امين المدني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ماذا يقول القبس الاخضر ؟

شعر مصطفى احمد النجار ــ ٨٨ صفحة ــ المطبعة العربية بحلب

يواصل الشاعر السوري المبدع مصطفى احمد النجار ، مسيرته الادبية ، ويطلع علينا بمجموعته الشعرية الجديدة « ماذا يقول القبس الاخضر ؟ » . وقبل ذلك اتحفنا بـ « شحارير بيضاء » ثم « الخروج من كهف الرماد » . علاوة على مجموعته المشتركة مع شاعرين مصريين «حوار الابعاد الثلاثة» .

وتتميز اشعار النجار بالفنائية المحببة ، وحلاوة الجرس ، وسلاسة التعبير . ويضمن اشعاره اشواقه ، وتفاؤله ، وحبه للحياة . حتى اننا نستشعر في شعره الحانا شجية تصور لنا اجمل ما في الحياة . انه حريص على تجاوز القبح واظهار الجمال . وأجده اشبه بجراح يستأصل ببضعه بؤر الآلام من النفوس ، ويحررها من اسار الحزن .

وحين يتطرق في شعره الى التأمل والتفلسف ، فانه يمس هذا الجانب بخفة ، حريصا على روح الشعر . ففي قصيدته « الله وقابيل » ، يتساءل عن كنه الوجود وجذور الخير والشر . ومثل هذه التساؤلات دارت على السنة الشعراء والفلاسفة باختلاف منابتهم ومشاربهم ، لكن الشاعر يعالجها بطريقته الجذابة ، فيبدأ قصيدته معلنا انه جاء الى الحياة محملا باعبائها واسرارها ! . فيقول :

حملت ــ يا الله ــ دالية الوجود
وبلابل الصحراء
رفرفة العيون

تشوق العنب المدمى بالخلود
وتراكض الامل الملفع بالشباب
كن لي الدليل برحلة الفوضى
من ندي أمي للتراب ؟ .

كما يتساءل عن السر الذي أودعه الله في الانسان :

هل للسماء يفر من جسدي الضياء
أم فيه ينسكب الضياء ؟ .

هل تأتينا اسرار الحياة من خارج نطاق الجسد ، أم تكمن بذرتها داخله ؟ . هل نحن مظهر من مظاهر الحياة ، أم سبب لوجود ما حولنا من موجودات ؟ . والتساؤلات عديدة ومتنوعة . وكلمات شاعرنا اشبه بخلايا ضوئية مركزة ، ترسل اشعتها في كل اتجاه . وصيغة التساؤل يحرص عليها الشاعر حتى نهاية قصيدته ، حيث يطرح سؤالا اخيرا عن نزعة الشر ومغزاها :

يا رب أنصفت الوجود
وخلقت انسان الوجود
لكن يحيرني سؤال
من أين أبدأ بالسؤال
(قابيل) يسرقني السؤال ؟ !

ثم نعيش معه لحظات صوفية ، يتسامى فيها على نزعات الجسد المادية ، واذا الذي يربطه بالحياة ومضات ضوء سماوية يجد فيها البقاء والخلود . وتعد « ومضة روح » من اروع قصائد المجموعة ، لولا قصرها ، وكان الامل المرجو هو الاسترسال في خواطره الصوفية الجميلة ، تعميقا للفكرة الجيدة ، واشباعا للتذوق . يقول في قصيدته :

ساعيش الآن فلا حزن ويرف شراع تابوت
فالموت مضيء وجميل وخلود ان نحن نموت
يا رحلة حب ابدي يتحرر قلبي المكبوت
يا رحلة اشواق عليا يا يونس اخرجك الحوت
تتوضأ احنائي فهنا صلوات خضر ملكوت
اتذكرها دنيا أسنت هدر العمر « الكبريت »
اتسامى .. اتفيأ نورا كم عانيت آلاه شقيت
واردد : يا شوق الروح ، يا ظمأ .. وسقيت سقيت
لا يفنى من عشق الله . وتموت الاهواء تموت .

وأهم ما يميز الشعراء هو انسلاخهم من واقعهم المادي ، وتمردهم عليه ، وتحليقهم في سماوات الخيال ، فنعبر معهم اجواز الفضاء ، متعايشين مع خيالاتهم التي تشكل لنا الحياة بتكوينات فنية زاهية الالوان ، رائعة النغمات . وشاعرنا يعزف على وتر « التسامي » ، ويحمل لواء « التمرد » على واقعنا المادي ، او جسدنا الترابي ، وهو في تضاعيف قصائد المجموعة يبث في نفوس قارئيه هذه النزعة ويلونها بالوان مختلفة ، من قصيدة لأخرى ، وها هو بعد ما عشنا معه « ومضة روح » الصوفية ، نجده في « القراءة الثانية » يبحث عن ابجدية جديدة ، ارقى من تلك المتداولة على السنتنا :

اتعبتني لغة ما وعاها منطقي
فاقرئي لي لغة ترتقي .. وترتقي
للاعالي خلقت ألف احساس نقي

ويتطرق الشاعر لفكرة « الموت » ، فيبث خواطره في تضاعيف قصائده ، ويهمني هنا ان استعرض تلك الخواطر :



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩

Dir. 223819
Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١

بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في قصيدة « الله وقابيل » يتساءل :

هل للربيع ...

تقوم دالية الحنان

هل للرحيل المشتهى

يرتاع ايقاع الزمان

وفي هذه الصورة مقابلة بين الربيع او الحياة ، وبين الرحيل المشتهى او الموت . والموت هو رحلة الى عالم المجهول ، يهجس للشاعر هاجسه بانها لحظة يضطرب فيها بندول ساعة الزمان ، اشتهاء لعناق تلك الحقيقة المجهولة . ودائما يثيرنا المجهول بغموضه وأحاجيه .

وفي « ومضة روح » يتمنى لو يتحرر من اسار الجسد الفاني ، متساميا ، متجها الى الله ، حيث الخلود والبقاء :

ساعيش الآن فلا حزن ويرف شراع تابوت

فالموت مضيء وجميل وخلود ان نحن منوت

وفي « نشور » يقول :

انني أحيا بموت ، ان في الموت نشوري

مؤمنا بأن ما يبقى من الانسان بعد موته هو اجمل ما فيه ، وأبقى من جسمه الترابي ، تبقى مبادئه واعماله ، تشع الضوء وتمهد الطريق .

الرحلة عبر مجموعة « ماذا يقول القبس الاخضر ؟ » رحلة شائقة ممتعة ، نقرأ فيها كلمات خضراء من نفس صافية ، اشبه بطائر حب يرفرف في سماء حياتنا ، ويغرد باصوات ملائكية رائقة عذبة . وتتميز هذه الاشعار باليسر والسلاسة ، وملاءمتها للذوق الفني . فلا نعثر على كلمة نشاز ، او تعبير مجاف . كما تمرد شاعرنا على تلك الآفة التي وصمت شعرنا العربي في حقبة الستينات ، ولما يزل بعض الشعراء يصرون عليها ، الا وهي آفة الغموض . ومثلما نجا الشاعر من ذلك الغموض ، وتلك التهويمات التي جرحت القصيد العربي ، ايضا حرر نفسه من الرمزية الموغلة في التعقيد ، ولم يشأ التعريج على « الرمزية المحببة » ايضا ، وشاء ان تكون كلمات قصائده واضحة سلسة طيعة ، ولهذا اتسمت بطابع الغنائية ، مما جعله اقدر على بث اشواقه ولواعجه ، وعزف ألحان أغانيه .

كما أجد شاعرنا مثلما قلت عنه في مقال سابق(١) ، متذبذبا بين الشعر التقليدي والحديث . ولو انه يحاول الدفاع عن نفسه ، بانه يضع فكرته في الاطار المناسب لها ، ويكره ان تكون بحور الشعر التقليدية قيدا على افكاره ومشاعره .

وللشاعر الحق في الدفاع عن وجهة نظره . لكنني كقارىء محب لأشعاره ، أجده في قصائده التي يلتزم فيها الوزن والقافية ، اقرب الى نفسي ، وأجد أبياته هذه أوقع في النفس ، وأخلد في الذاكرة ، وتكون الغنائية المحببة اسلس وأعذب وأرق من سواها من أشعار . الس ذلك في قصائده : ومضة روح — القراءة الثانية — نشور — حب لا يعرف اليأس — جمال بلا حدود — للغد الثاني . وان كنت لا أنكر اجادته في قصائده الاخرى .

وقد لاحظت ان بعض قصائد الديوان ، مركزة في ابيات قليلة ، وهذا لا يعيب الشعر ، ورب بضعة ابيات تغني عن ديوان كامل . ولكن اذا صاحب هذا التركيز ، عدم اشباع لفكرة الشاعر ، او تجربته الشعورية ، فان هذا يقلل من العمق المنشود لفكرته او تجربته . فمثلا اجد قصيدة رقيقة مثل « للغد الثاني » ، ولكن الشاعر ينهيها قبل ان تشبع بفكرته ، وقبل ان اتذوق حلاوة ابياته . مثل الحبيب الذي يجالسنا لحظات قصارا ، سرعان ما يبارح المجلس ونحن أشد شوقا للاطالة وامتاع النفس بمؤانسته . ولعل تلك العجلة في صياغة القصيدة دون اشباع ، تعكس روح العصر ، واضطراب نفس الانسان ، وتوزعه بين امور شتى ، او قل تعكس روح القلق التي تواكب مسيرة حياتنا . وان كنت أناشد الشاعر — واضرابه من شعرائنا الاحباء الاصفياء — ان يتمردوا على منطق العصر المادي ، وان تتزاوج اشعارهم باقمار الحب في امسيات حلوة صافية لا يشوبها كدر ، ليوقدوا قناديلهم الزيتية ، ويتسامروا بكلماتهم الخضراء الشجية . فالشعراء هم عزاؤنا فيما نعاني من آفات العصر ، وهم سلوانا فيما تبتلينا به اقدارنا ، وهم الواحة التي نتفيأ بظلال نخيلها ، ملتمسين النبع الصافي للوجدان .

(١) — مقال (شاعر الاشواق مصطفى النجار) — مجلة (صوت الشرق) — أبريل ١٩٧٧ .

القاهرة — حسني سيد لبيب

* * *

أناشيد البعث

شعر علي الحلي — وزارة الثقافة والفنون — ١٠٠ صفحة — دار الحرية للطباعة — بغداد

كتابة الاناشيد مهمة تتطلب اختصار الفكرة وسلامة التعبير واختيار المفردة الموسقة ذات المدلول السليم في اسلوب غنائي يطرح نفسه طرحا على اوتار الموسيقى وقد نجح الاستاذ الشاعر علي الحلي في هذه التجربة الفريدة نجاح الشاعرين الاستاذين محمد جميل شلش وعبد الجبار العاشور .

يضم الديوان اربعة عشر نشيدا موزعا على مائة صفحة بضمنها نشيد باللغة الانكليزية وهو تحية الى عام المرأة الدولي اداء فرقة الاتحاد العا مالنساء العراق لحن الاستاذ فؤاد عثمان .

تولى تلحين بقية الاناشيد الاساتذة كنعان وصفي ووليد غلمية والياس رحباني وسعيد شابو وفرسان خليفة وروحي الخماش وجمال حجازي .

من نشيد « اطفال الغد » :

نحن أطفال الغد

من زنود العمل

من شموس الامل

في ضحى المستقبل

ورفاق العرب

في دروب الشهب

نحن أطفال الغد

المجموعة من تصميم نضال الآغا وصبحي الحبوري وخطوط خالد الخالدي واشراف محمد هاشم .

الكوت — العراق — كاظم محمد حسين



الدكتور محمد رجب البيومي

من احاديث الصداقة عند ابي حيان

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

حديث الصداقة يمس أرق الاوتار في القلوب ، ولكل انسان هشاشة اليه وارتياح ، اذ ان الصداقة تجربة عامة باشرها كل فرد ولو في بعض فترات حياته ، ومن كتبوا الصحائف في نبذ الصداقة وايثار الوحدة لا بد انهم جربوا — لسوء حظهم — صداقات مجدبة لافحة فأنحوا باللائمة على الصداقة والاصدقاء ، ولكن ذلك لا يمنع ان تكون الصداقة حاجة ضرورية لدى الناس ، فهي مدعاة انس ، وباب مسرة وانشراح ، وكم من رجل كدره الهم ، وعبست في وجهه الحياة حتى صارت اضيق من حلقة الخاتم في عينه ، ثم سعد بمؤانسة صديق عاقل ، فشكا اليه شكاية المتأوه الملتاع ، فوجد عنده من مجاذبات الانس ، وملاطفات القول ، ما اعاده الى صفوه ، واسعده بتنفيس مريح ، وبأمل منعش ، فعاد من مجلسه هادىء النفس ، قوي الاحتمال .

اجل ، ان حديث الصداقة يمس اوتار القلوب دون ريب ، وهو حديث مؤنس ناضر ، اذا صدر عن قلب كبير ، وعقل نافذ ، وصاحب حديث اليوم هو ابو سليمان المنطقي العالم المتأمل الفيلسوف ، وهو واحد الآحاد في مجال التحليل العقلي والنظر الفلسفي بين معاصريه ، شهد له بذلك أولو البصر والحكم من كبار المتضلعين ، وهي شهادة متعددة المصادر ، مختلفة الاشخاص ، وليست مجاملة فردية يوجهها صديق لصديق ، وما بين ايدينا الآن من آثاره الحكيمة ، وآرائه الجدلية المدونة بنوع خاص في اكثر ما كتب ابو حيان التوحيدي مما يشهد بعمق الرجل ، وبعد غوره ، وغوصه الملح على ادق المعاني ، وتفسير المستوعب لأعقد الظواهر .

وفي رجال الفكر من عرفهم الناس عن طريق تلاميذهم اكثر مما عرفوهم ، مما بقي من مؤلفاتهم فاحتلوا بذلك مكانة علمية مرموقة ، فأبو الفلاسفة سقراط لم تعرف افكاره الخلقية ومراميه الفلسفية ، الا من كتب تلميذه افلاطون ، والنظام النظار المتكلم البحاثة لم تتعارف آراؤه الا عن طريق تلميذه الجاحظ ، وكذلك ابو سليمان المنطقي قد متعه الله بأبي حيان التوحيدي ، ولأبي حيان ولع بتسجيل الحوار العلمي ، وتدوين النقاش الفكري ، وقد وجد في مجلس ابي سليمان طلبته المنشودة فجعل يسجل ما يقدر على تسجيله من افكاره ، ومنها الدقيق الذي لا يفهم الا بعد عسر ومشقة كبعض ما حكاه عنه في كتابي المقابسات والهوامل والشوامل ومنها السهل الذي يقرب سريعا من ذهن قارئه كبعض ما نقله في كتابي الامتاع والمؤانسة والصداقة والصديق .

ومن حسن حظ القارىء مع ابي سليمان انه تحدث عن الصداقة عمليا ونظريا ، تحدث عنها عمليا حين تكلم عن تجربته الخاصة فيها مع قاض فاضل من قضاة عصره فشرح كيف تتحد المشارب وتتفق الميول بين الصديقين شرحا لا يتأتى الا من باقعة مقتدر ذي احاسيس تدق وتدق ثم تشف وترق ، وكلام الفيلسوف المنطقي عن صاحبه ترجمة امينة لخواطر عزيزة تشبه خواطر الاوفياء من ذوي النبالة السرية ، ونحن نسعد بقراءتها اذ نجد فيها صدى لنفوسنا ، بل نجد فيها ما نحسه دون ان نقدر على التعبير عنه كما عبر ابو سليمان ، هذا بعض الالماع الى ما جاء عن حديثه العملي عن الصداقة ، اما حديثه النظري فما اكثر ما تردد في كتب ابي حيان ، وهو حديث عميق ذو ابعاد ، ولا بد من الالمام بذرو منه بعد ان نتحدث عن تجربته العملية الرائعة مع القاضي الكبير ابن سيار لنرى كيف تتجاذب الارواح وتتعانق القلوب .

قال ابو حيان التوحيدي لاستاذه ابي سليمان المنطقي(١) (بتصرف لا يطفىء بريق الاصل) :

— اني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خلقية ، فمن اين هذا وكيف ؟

فرد ابو سليمان يقول : يا بني اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طمأنينة وسكونا ، لا يرثان على الدهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع مشاكلة عجيبة ، حتى اننا نلتقي كثيرا في الارادات والاختيارات والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد افترافنا من قبل ، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لي في ذلك الاوان حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأنني هو فيها ، او هو أنا ، وربما حدثته برؤيا فيحدثني بأختها رآها كما رايتها .

قال ابو حيان : كيف يصح هذا ؟ وأنت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وجعبتك مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذلك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلانس ، ومخاضه الظاهر الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السواد الاعظم ؟

والاعتراض وارد لا محالة ، ولكن مثل ابي سليمان لا يعجز عن رده ، فقد اندفع يقول :

هذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابدا مخالف للفرع ، لا خلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل .

فابتدر ابو حيان يقول : هذا والله طريف ، ومما يزيد من طرافته انك من سجستان وهو من الصيرة !

فقال ابو سليمان : الامكنة في الفلك(٢) اشد تضاما من الخاتم في اصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده في المسافة الارضية من بلد الى بلد ، بفراسخ تقطع ، وجبال تعلى ، وبحار تخترق ؟

اطرق ابو حيان قليلا ثم سأل : وهل تجد عليه في شيء ؟ وهل يجد عليك في شيء ؟

فقال الاستاذ : وجدي به في الاول ، قد حجبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكتفي فيما خالف هو اي باللمحة الضئيلة ، واكتفي انا ايضا منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة ، وربما تعاتبنا على حال تعرض عن طريق الكناية كأننا نتحدث عن قوم آخرين (ليلتفت القارىء الى هذه الروائع العجيبة) ويكون في ذلك لنا مقنع ، واليه مفزع ، وقلما نجتمع الا ويحدثني عني بأسرار ، ما سافرت من ضميري الى شفتي ، ولا ندت من صدري الى لفظي ، وذلك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حمر النعم ، واذا كنت اعشق الحياة لاني بها احيا ، فكذلك اعشق كل ما وصل الحياة بالحياة ، وجنى لي ثمرتها ، وجلب الي روحها ، وخلط بي طيبها وحلاوتها .

هـذا تصوير دقيق لتجربة انسانية عاشها عالم فيلسوف فرصد ملامحها الظاهرة ، ونوازعها الخافية في ايجاز لامـح ومنطق دال ، وحوار يغني عـن التفسير والتعقيب .

فاذا تركنا هذه التجربة العملية على نفاسة ما تحتويه من رصيد ثمين ، الى آراء ابي سليمان النظرية في الصداقة والاصدقاء ، فاننا نجد هذه الآراء الفكرية هي التي ساعدت على نجاح التجربة العملية ، حيث كان يجل الصداقة فكريا ، ويرى لها ثقلها الراجح في ميزان الحياة ، حتى اذا اسعفته الايام بمن يأنس بمؤاخاته ، ويستروح بمصافاته مد عليه اسبغ الظلال من مودته ، فعاشا معا في نسيم يتراوح باللطف ، وتحت غصون تتساقط بأشهى الثمار .

والحق ان ابا حيان التوحيدي كان التلميذ الحصيف الذي استطاع ان يمتاح من بئر ابي سليمان المنطقي اعذب النمير ، واصفى الزلال ، وكأني به وقد لمس جلال الصداقة بين الرجلين ، فلم يقصر في اهتبال الفرصة فأخذ يستدرج استاذه الى احاديث خلفية تفسر خوافي الصداقة ، وطوايا المودة ، فكان بأسئلته المتشعبة كمن يلقي الشبكة في محيط زاخر ، يعج بالمستطاب من مشتهيات الصيد ، وابو حيان كان على غزارة ادبه وعظيم فضله ممن فشلوا في مضمار الصداقة والاصدقاء ، اذ لم تسمح له الايام بمودة ينعم باخائها المستطاب ، لذلك ارى ان اسئلته لاستاذه الكبير تعبر عن شوق ظامىء الى صداقة تسعف ، ومودة تسعد ، فهـي صراخ نفس تتعذب بأوصابها ، في نـار العزلة والايحاش ، واننا لننقل طرفا من اسئلة التلميذ ، واجوبة الاستاذ ، تتناثر في صفحات متباعدة من مؤلفات التوحيدي ، ولكننا نقارب بينهما بما يوضح الفكرة الخلقية في الصداقة الانسانية ، على ان نسلسل ذلك في حوار متتابع ، وان لم يكن كذلك فيما تفرق من آثار ابي حيان فلا علينا اذا جمعنا حبات العقد المتناثرة في سلك منتظم ، فذلك اتم لجماله ، وابهى لمرآه .

ـ سأل ابن حيان استاذه ، هـل يلاث مـا بين الصديقين ؟ وهل يفضيان الى هجر ؟ وهل يفزعان الى عتب ؟

فقال الاستاذ :

ما دامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية ، فقد يعرض هذا كله بينهما ، لكنهما يرجعان فيه الى اسس المودة ، والى شرائط المروءة ، والى ما لا يهتك حق الفتوة ، اما الهجر ان حدث فهو جميل غير مستقر ، لحوافز الشوق الى المعهود ، ومحركات النفس الى التلاقي ، واما العتب فربما اصلح ورم الفائت ، وشعب الصدع ، والاكثار منه ربما عرض بالحقد ، واحدث نوعا من النبو ، وقد قيل : وما صافيت من لا تعاتبه وربما كان العود الى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهدناه في الاول(٣) .

قال ابو حيان : سمع ابن عطاء رجلا يقول : انا في طلب صديق منذ ثلاثين عاما فلم اجده ، فقال عطاء : لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئا ، ولو طلبت صديقا تعطيه شيئا لوجدت فما رايك في هذا القول ؟

قال ابو سليمان متعجلا :

هذا كلام ظالم ، فالصديق لا يراد ليؤخذ منه شيء ، او ليعطي شيئا ، ولكن ليسكن اليه ، وليعتمد عليه ويستأنس به ويستفاد منه ، ويستشار في الملم ، وينهض في المهم ، ويتزين به اذا حضر ، ويتشوق اليه اذا سافر والاخذ والعطاء في عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم بلا حسد وبلا نكد ، ولا صد ولا حد ، ولا كلوح ولا تعريض بنكير ، ولا فكرة في تكدير(٤) .

فسأل ابو حيان : ما الفرق بين الصداقة والعلاقة اذن ؟ فرد ابو سليمان يقول :

الصداقة اذهب في مسالك العقل ، وادخل في باب المروءة ، وابعد من نوازي الشهوة ، وانزه عن آثار الطبيعة واشبه بذوي الشيب والكهولة ، وارمى الى حدود الرشاد ، وآخذ بأهداب السداد ، وابعد عن عوارض الغرارة والحداثة ، اما العلاقة فهي من قبيل العشق والمحبة والكلف والتهيم والهوى والصبابة ، والترافق والتشاجي ، وهذه كلها امراض او كالامراض بشركة النفس الضعيفة ، والطبيعة القوية ، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص ولهذا تسرع هذه الاعراض الى الشباب ، وتنال منهم ، وتملكهم ، وتحول بينهم وبين انوار العقول ، وآراء النفوس وفضائل الاخلاق ، وفوائد التجارب ، ولهذا واشباهه يحتاجون الى الزواجر والمواعظ ليفيئوا الى ما فقدوه من اعتدال المزاج ، والطريق الوسط(٥) .

قال ابو حيان : فهل لك ان تفسر قول ارسطو : صديقك هو انت الا انه بالشخص غيرك ؟

فقال الاستاذ : هذا رجل دقيق الكلام ، بعيد المرام ، صحيح المعاني ، وقد اشار بكلمته هذه الى آخر درجات الموافقة التي يتصادق المتصادقان بها ، الا ترى ان لهذه الموافقة اولا منه يبتدئانها ، كذلك لها آخر ينتهيان اليه ، واول هذه الموافقة توحد ، وآخرها وحدة ، وكما ان الانسان واحد بما هو انسان ، فكذلك يصير بصديقه واحدا بما هو صديق ، لان العادتين تصيران واحدة ، والارادتين تكونان ارادة واحدة(٦) .

قال ابو حيان : ذلك بعيد ! !

فاحتد ابو سليمان يقول : ليس يبعد هذا الا انكم لم تروا صديقا لصديق ، ولا كنتم اصدقاء على التحقيق ، بل انتم معارف ، يجمعكم الجنس ، وينظمكم النوع ، ويؤلفكم ذلك البلد او الجوار او النسب ، ثم انتم في ذلك الذي اجتمعتم عليه ، على غاية الافتراق ، للحسد الذي يدب بينكم ، والتنافس الذي يقطع علائقكم ، فلو ثبتم على الصراط المستقيم ، وعلقتم جل العقل المتين ، واعتصمتم بالعروة الوثقى من الهدى والدين ، كنتم كنفس واحدة في كل حال ، ذلت او صعبت ، تجمعت او تشعبت(٧) ، تعرفت او تنكرت ! ومضى الاستاذ في تحليل لا نستطيع التعقيب عليه اذ من الجائز ان نضل مرماه ، ومن الذي يزعم لنفسه انه يقف على دقائق ابي سليمان الا ان يكون ذا وهم بعيد .

لقد فطن الاستاذ الى لباب الصداقة حين سعد بمودة القاضي ابن سيار ، فوقع الطير على شكله ، وانجذب الشبيه الى الشبيه ، وقد أوحت له هذه الصداقة من لطائف الخواطر ، ورقيق المشاعر ما كاد به يصبح شاعرا يحلق ، لا منطقيا يغوص وقد عنونت هذا المقال بأنه من احاديث ابي حيان ، وربما كان الاحرى ان يعنون بأنه من احاديث ابي سليمان ، ولكني اعلم مذهب التوحيدي في الكتابة وطريقته في تشقيق المعاني ، وتسلسل الحوار ، فرايته يفوز في هذا المضمار بجانب كبير ، على ان مما يرضي استاذه ان يكون التلميذ الامين موضع الحظوة والتبجيل .

---

(١) ــ الصداقة والصديق ص ٢ بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .
(٢) ــ هكذا يعتقد ابو سليمان آراء فلكية ضاعت منزلتها الآن !
(٣) ــ الصداقة والصديق ص ١٠١ .
(٤) ــ الصداقة والصديق ص ٥٤ .
(٥) ــ ص ١٠٣ .
(٦) ــ ص ٥٥ .
(٧) ــ ص ٥٦ .

المنصورة **محمد رجب البيومي**

شارع النصر المتفرع من شارع الجلاء

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الأديب

من الباعة والمكتبات

عدنان مردم.. شاعـرا

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

عرفت عدنان مردم منذ سنين طوال ، من دواوينه الثلاثة التي صدرت له : نجوى (١٩٥٦ ــ دار المعارف بالقاهرة) ــ صفحة ذكرى (١٩٦١ ــ عن الدار نفسها) ــ عبير من دمشق (١٩٧٠ ــ بيروت ــ عويدات) .

وقرات له مسرحياته الشعرية بعد ذلك : غادة افاميا (١٩٦٧ ــ بيروت) ــ العباسية (١٩٦٨) ــ الملكة زنوبيا (١٩٦٩) ــ الحلاج (١٩٧١) ــ رابعة العدوية (١٩٧٢) ــ مصرع غرناطة (١٩٧٣) ــ فلسطين الثائرة (١٩٧٤) ــ فاجعة ميرلنغ (١٩٧٥) ــ ديوجين الحكيم (١٩٧٧) ــ وكلها من طبع بيروت .

وبين يدي ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي صدر في بيروت عام ١٩٧٩ ، مضمخا بعبير الحب للشام ، ولمدينته العريقة دمشق ، ذات التاريخ الطويل الحافل .

وعدنان مردم بك من اسرة المرديين ذات الماضي العريق في التاريخ والادب واللغة والشعر وعلوم الدين . وبحسبنا والده خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق من قبل ، وصاحب الآثار الادبية الخالدة المشهورة ، والذي يكتب عنه صديق لنا رسالة للدكتوراه ، وهـو « خير الدين كم الماز » .

وعدنان مردم من طبقة جيل الرواد في الادب السوري الحديث من امثال : ابو ريشه ، وامجد الطرابلسي ، وانور العطار ، وزكي محاسني ، وسواهم . وهـو شوقي النزعة ، ينتمي الى مدرسة البعث الجديد ، ويشبه عزيز اباظه في الشعر المصري المعاصر ، وفي انتماءاته الفنية والادبية ، وموسيقاه الحلوة ، وخياله التصويري البديع ، شهود له على رفعة محله في الشعر ، وتميزه فيه .

وسأكتفي في هذه الكلمة بالحديث عن ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي يمثل الكلاسيكية الجديدة خير تمثيل بكل خصائصها وسماتها الفنية والفكرية .

« نفحات شامية » يمثل شاعرنا الكبير عدنان مردم بك خير تمثيل ، فهو يحمل روحه الوطنية المتأججة ، ويحمل طابعه الشعري البديع الجديد ، ويحمل موهبته التصويرية الرفيعة الاصيلة ، ويحمل منهجه في نظم القصيد وموسيقاه ، ويحمل قبل كل شيء فكره وثقافته وطابع فهمه للحياة .

وابواب الديوان الكبرى هي : الوصف والطبيعة ــ صور فنية ــ المعذبون في الارض ــ شيء من القلب ــ تأملات ــ صور من التاريخ .

١ ــ فالوصف والطبيعة تسع قصائد جميلة مؤثرة : دمشق التاريخ ــ الليـل في دمشق القديمة ــ سـوق الحميدية ــ برك المـاء في بيوت دمشق ــ قاسيون في الثلج ــ وصف ليالي الحسوم النارجيلة ــ القريـة في الليل ــ وصف الجفاف والمحل .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد لنتعرف اليها والى الشاعر ، ولتكـن قصيدته « الليل في دمشق القديمة » بأبياتها الثلاثين ، وبموسيقاه الحلوة التي ترجع الى بحر الخفيف ، وبقافيتها الدالية المدودة ، وبخصائصا الفنية المتميزة .

القصيدة تدل على ملكة الشاعر الرفيعة في التصوير والوصف والخيال ، ويكاد الشاعر يمثل لنا الليل في رهبته وسطوته في دمشق القديمة اروع تمثيل . ودمشق القديمة قد تختلف عن الجديدة في هبوط الليل عليها ، فلا شك ان لقدمها واطلالها وحاراتها وشوارعها الضيقة ، ولاهلها المكافحين اثرا متميزا بالليل ، ومن منا لا يقف مذهولا امام روعة الليل في حي الحسين بالقاهرة ، وهو الحي القاهري الفاطمي القديم ، الذي يأخذ بالليل زينته وجماله وبهاءه كأنه عروس تتزين في ليلة زفاف ، مما لا نجد شبيهه في ليل القاهرة الجديدة ، من احياء الزمالك او جاردن سيتي ، او مصر الجديدة او مدينة المهندسين مثلا .

والشاعر يبدأ قصيدته بوصف الظلام ، الذي يلقيه الليل على الكون رهيبا ذا سورة وسلطان :

عصف الليل في الفضاء البعيد ... بفواش ملء البسيطة سود
وترامى في شاسع كعبـاب ... تترامى اطباقه عـن وعيـد
وقتام الظلام في كـل افـق ... يتـراءى (كبيرق) معقـود
نشر الرعب في النفوس فجاشت ... خـوف رعـب اضالع كبنود

وهو هنا يمثل رهبة الليل وسطوته ، وحلوله على الكون ، وكأنـه البحر اللجي تثـور امواجه بوعيدها وتهديدها . وسواد الظلام يبدو في كل افق ظاهرا مرفوعا ، وكأنه العلم المرفوع والراية المعقودة .

ثم يعود الشاعر الى دمشق التي لا تهرم ابدا ، ولا تعرف في الليل الرهيب غير الوداعة والسكون والمهادنة .

واستكانت دمشق تحـت جناح ... لظـلام علـى الورى ممـدود
نعمـت دونـه دمشـق بشـيء ... من ظلال ، واستسلمت لهجود
من رآها في غمرة حين القت ... بذراع علـى التراب ، وجيد
خالها الـرود اطبقت بجفـون ... لنـام علـى سراب الوعـود

الى ان يقول :

وتـراءت دمشق خلـف نقـاب ... مـن جـلال لغابر مـن جلود
جثمـت كالقضاء ماثـم ريـب ... وهـي ترنـو بمقلـة لبعيـد

فدمشق تستسلم للسكون في الليل ، وتنام مـلء

جفونها ، كأنها الغادة الهيفاء ، تستسلم للنوم في سراب الوعود .

وكنت اظن ان الليل في دمشق القديمة يبعث فيها الحياة والحركة والنشاط ، كما نرى في حي الحسين ، او حي السيدة مثلا في القاهرة ، ولكن الامر هنا بالعكس كما يصوره الشاعر الكبير .

ويستمر الشاعر في وصف الليل في دمشق القديمة ، فيصفه بالطرافة ، ويصفها بالصمت المطبق ، حيث يقول :

تجد الليل في دمشق طريفا ... يبهر العين بالطريف الجديد
ويطول الصمت العميق ويحلو ... بالاماني من طارف وتليد
تجد الصمت ضاربا بجران ... دون ليل اطباقه من حديد

ثم يعود الى دمشق وتاريخها التليد الحافل وكفاح ابنائها على طول العصور فيقول فيما يقول :

ودمشق التاريخ همس نشيد ... عبقري على شفاه الخلود
ذكريات من عبد شمس اراها ... بظنوني وخاطري ونشيدي
سطعت كاليقين فهي ضياء ... لنفوس حيرى وطرف جحود
واراها تلذ في كل سمع ... كلحون علوية الترديد
يا بلادي وما ترابك عندي ... برخيص ولم يكن بزهيد
طاب عندي (كالبيت) طهرا وطابت ... ذكريات عزيزة من جدود

وهنا ننوه بأمرين : موسيقى الشاعر الرائعة ، وملكته التصويرية الرفيعة ، ثم بطبعه الشعري الجميل وموهبته الاصيلة في نظم القصيد ، ونجد هنا قاموس الشاعر اللغوي ، هذا القاموس الذي ينم عن اعتداد بالتراث ورجوع اليه ، واعتزاز به ، وعن ثقافته اللغوية الواسعة ، واشير هنا الى ان المقطع الاخير في هذه القصيدة ، قد صدر به الشاعر ديوانه ، تحية لدمشق ولتاريخها الطويل العريق . وقصائد هذا الباب كله تعود الى بحر الكامل ، والخفيف والرمل والمتقارب .

٢ ــ وباب الصور الفنية يشتمل على ست قصائد هي : راقصة آه يا زين ــ المتحلقون حول النار ــ ثور السانية او الساقية ــ وصف هرة ــ مدرب الحمام ــ شارب النارجيلة .

ولنخص بالحديث هنا قصيدته « شارب النارجيلة » التي تعود الى بحر الوافر ، والتي يصف فيها سحب الدخان ، التي تخرج من فم شارب النارجيلة ، ويصف ما يعتريه من آلام وعذاب وادواء . ثم يصف طرحها في ركن من الدار ، ويصف رقة زجاجها وصفاءه وعزتها عند صاحبها ، ويصف القوم الذين يجلسون اليها للشراب .

يقول في مطلع هذه القصيدة :

اطال يعب من سؤر الندامى ... لظى ويمجها سما زؤاما

ثم يقول :

اعذبا عب شاربها وشهدا ... ام الاسقام يكرعها لماما
اطال عذابه بيديه لما ... عن الاصباح من عنت تعامى

ويقول فيها :

ثوت (نرجيلة) في عقر ركن ... وقرت كالاذى سكن العظاما
مطارفها الزجاج صفت وراقت ... كما صفت المدامع من يتامى
تكاد لرقة ولفرط صقل ... تسيل كغرب سارية ترامى

يريد كماء سحابة ممطرة يهطل .

وما ينفك شاربها جفيا ... كان بها يرى بدرا تماما

الى آخر هذا الوصف العميق الجميل ، ثم يسترسل الى شاربيها فيقول في وصفهم :

ترى سمارها رقوا ورائحوا ... بحلبتها على ضفن كراما
يطيلون الحديث بلا عتاب ... ويخفون العداوة والخصاما
رضوا بلدون من عمر ذليل ... وعاشوا دهرهم ابدا نياما

واذا عدنا الى قصيدته « النارجيلة » في باب الوصف والطبيعة ، التي تعود الى مجزوء بحر الكامل ، والتي مطلعها :

تاج « لها فوق الجبين » يذكو على كر السنين

ويقول فيها :

ضمت من البلور ثوبا ... سال من هيف ولين
شفت طرائق نسجه ... كاشعة الفلق المبين
بلورها من رقة ... همس الوساوس والظنون
والماء في احضانها ... صخب ، وطورا مستكين
يتلو اقاصيص الهوى ... ويقصها للسامعين
تلقاه يسهب تارة ... وتراه يوجز من شجون
هو واللظى متجاوران ... معا على كر السنين
ضمتهما « نرجيلة » ... ضم اليتيم باليمين
خرطومها عبق الشذا ... للطامعين الحالمين

ثم يتحدث عن شاربيها حديثا عذبا رقيقا رفافا وقد استوقف نظري في البيت :

انفاسها حكت السلافة ... رقة للظامئين

واظن فيه خطأ مطبعيا ، ولعله :

انفاسها حكت السلافة ... رقة للظامئين

تجد هذه القصيدة اكثر عذوبة ، واروع تصويرا ، واحلى موسيقى ، وان كانت مضامين القصيدتين واحدة .

وقصائد الباب الثاني تعود الى بحر الكامل والمتقارب والوافر ، ويشبه الباب الثاني في ــ الاعتزاز بالقاموس اللغوي ــ ويشترك معه في الطبع الشعري الاصيل ، وفي قوة ملكة الوصف والتصوير ، حتى لنكاد نحسبنا اما ابن المعتز الشاعر الخليفة العباسي (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) من جديد .

٣ ــ والمعذبون في الارض عشر قصائد هي : بائع الصحف ــ الجزار ــ موزع البريد ــ الخباز ــ الفلاح ــ الحداد ــ الراعي ــ ضاربة الودع ــ مسحر رمضان ــ بائع الصبار .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد ، ولتكن « الفلاح » ، لنتعرف عليها وعلى الشاعر من خلالها ، ولنرى كيف نظر شاعرنا الكبير الى هذا الرجل المسكين المعذب في الارض ، الذي عني بوصفه ، عنايته بوصف اشباهه من المعذبين في الارض في هذا الديوان ، وفي ديوانه الآخر ، عبير من دمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الشاعر الكبير في مطلع هذه القصيدة التي نظمها من بحر الرمل :

صامت والحقل همس ونداء وأجم والصبح نفح وعطاء

ثم يصف املاقه وكدحه وسقمه وكفاحه ، كما يصف بكوره وشقاءه بمحرائه وبالارض التي يزرعها فيقول فيما يقول :

هب يسعى ضاربا في شاسع بيمين هي والصخر سواء
ايقظ المحراث من غفوته فانبرى المحراث يحدوه الرجاء
نخب الارض ، ولم تال يد تنخب الارض له كيف يشاء
صدره في صدرها لا يأتلي عالقا ما كر صبح او مساء
كمحبين التقى ثغراهما بعد ان برح بعد وجفاء

ثم يصف الشاعر صبر الفلاح وهمته وعفته واسماله الباليات يقول :

تجد الفلاح لم تغرب له همة ما اشرقت يوما ذكاء
لبس الصبر على المر ولم يعيه في العيش مر او بلاء
هو كالطير على السعي هوى كلما يخفق للفجر لواء
ما على الفلاح لو رثت له شملة ، والعرض في الطهر سماء

هذه القصيدة الرائعة التصوير لا حد لجمالها ولا لبلاغتها ولا لروعتها ، وفي آخرها يقول الشاعر :

يده العجفاء سالت في الربى رحمة ، فالنفح منها والعطاء
سقت الارض دما من جرحها بسخاء لا يدانيه سخاء
ونضت احلامها الغر التي فاح منها الطيب وانهل الضياء

وقصائد هذا الباب ترجع الى بحر الخفيف الكامل والرمل وموسيقاها حلوة ، وتتميز هي والقوافي بالرنين الجهوري الصدى ، لا الهامس اللحن .

٤ ــ وباب « شيء من القلب » يحتوي على ست قصائد هي : الشباب ــ على الطريق ــ دون الرصيف ــ المغنى المقفر ــ غصص الذكرى ــ الذكريات الاليمة .

ولنأخذ من هذا الباب قصيدته « الشباب » لنرى ما تحتوي عليه من قيم فنية او فكرية ولتكون مادة لفهم الشاعر كذلك ... فماذا فيها ؟ وما هو المعنى الخفي بين حواشيها ؟

يقول الشاعر في مطلع قصيدته هذه ، التي نظمها من بحر الخفيف :

زيف حلم ، وعالم مسحور ملؤه التيه والرؤى والغرور
تجد الصعب دونه غير صعب وسواء لديه ليل ونور
ولياليه فتنة وعطور وصحاريه جدول مسحور

ثم يستمر في وصف الشباب فيقول :

الشباب الفينان فيض نعيم فاح منه الشذى ، ورف العبير
يتراءى في اعين الغير حلما سرمديا ، لا ينتهي ويغور

ثم يقول في كفاح الشباب وجلاده للايام وسعيه في الارض :

والشباب الفينان جذوة نور وانطلاق الى العلا ومسير
جعل الارض حلبة لصراع مستمر يصول فيها المغير
واتى النجم غازيا حين ضاقت سبل الارض دونه والبحور
وتحدى الاقدار طيشا وجهلا وهو ذر في الكائنات صغير

ويتحدث عن قصر ايام الشباب ومعجزاته كذلك فيقول :

ما الشباب الفينان غير شهاب يتراءى لفترة ويغور
تتحلى به الحياة ويحلو شظف العيش والشقاء المرير
كيف اوفي الشباب حقا ومدحا وهو دنيا وعالم مسحور

والقصيدة تصويرية جميلة ، وفيها نغمة للحزن على ايام الشباب ، وفيها كذلك صور من كفاح الشباب ومعجزاته وعبقريته ، ولكنها تخلو من العنصر الذاتي المثير . والشاعر قلما يتحدث عن نفسه في شعره الا عرضا ورمزا .

وقصائد هذا الباب من الخفيف والوافر والكامل والرمل . ومن قصائده الجميلة الرائعة العميقة قصيدته (غصص الذكرى) التي يذكر فيها ماضي وصال مشرق بالحب والحنين واللوعة وهي قصيدة عالية الطبقة في الشاعرية . ويقول فيها الشاعر :

قدحت ذكراك في النفس لظاها واعادت لوعة طال شجاها
جئت مغناك ضحى اسأله عن ليال واد البين صباها
نشرت ذكراك ايامي لنا غالها ريب العوادي وطواها
ليس في الذكرى التي نشتاقها ما يسلي النفس او يشفي صداها

٥ ــ وفي التأملات ست قصائد كذلك : الشمس ــ السمكة السجينة في قفصها البلوري ــ عالم القمر ــ وصف ليالي رمضان ــ ايتها الارض ــ النبع المنقطع ــ وتعود هذه القصائد الى بحر الكامل والرمل ... وهي قصائد رقيقة دقيقة التصوير .

٦ ــ والباب الاخير في الديوان هو « صور من التاريخ » ، ويحتوي على ثمان قصائد هي : وقعة عين جالوت ــ جلنار ــ وهي زوجة الملك قطز التي حاربت معه المغول في عين جالوت وقتلت دونه لترد بنفسها عنه بسهم احد المغوليين فقضت شهيدة في ساحة الحرب ــ الحرب في الجولان ــ الدمار في القنيطرة ــ ابن زيدون ــ محنة بيروت ــ بيروت بعد عام من الفتنة ــ سقط تل الزعتر .

والقصائد من بحر الخفيف والوافر والكامل والبسيط الذي نظم منه قصيدة واحدة في الديوان هي قصيدة الحرب في الجولان .

وهذه القصائد يمتزج فيها وهج الفن بعبق الذكريات التاريخية الحافلة ، ولا نستطيع الحديث عنها لطول الدراسة ، ورغبة في الايجاز .

وبعد ، فماذا اقول عن شاعر بردى الكبير ، عدنان مردم بك ، هذا النغم الشجي ، الذي يعيش مع الالهام في ذرى الشام وذكرياته العبقات ، والذي يحول كل شيء في الحياة الى نغم جميل ساحر ، والذي امسك بعصا الشاعرية ، فتحولت في يده الى معجزة من معجزات الفن ، قل ان نجد مثلها عند الكثير من الشعراء .. ان ديوانه « نفحات شامية » وحي من السماء .

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افلت سلمى

حب عذري جارف ، فحظ كحظ قيس من ليلى ، فوفاتها ، فهذا الرثاء الذي أوحته الي روحي المفجوعة بافول توأمها :

محمد العدناني

*

الهي!قضى ابن الجنب، وانتحر الصبر ... وضـــاق بأحزاني وآهاتي الصـــدر
ودك مـــن الاحلام طود ، أشاده ... فؤادي ، ليغفو تحت أدواحه اليسر
وهيض جناح الوجد ، وهو محلق ... فاهوى ، كما يهوي متى صرع الصقر
وباتت أماني خافقي وهـــي جثـــم ... على السفح،تهمي فوقها الادمع الحمر
يكفكفهـــا منـــه شغـــاف مخضب ... بما في وتيني من دم ، دونه الجمر
وزازلت الاعصاب من هول نكبة ... دهتني بمد من أسى ، ما له جزر
وطـــار سباتي ، والسبات محرم ... علـــى شاعر ماتت أمانيه الغـــر
وأصبح مـــن آمالـــه في غدافـــد ... حوادثها ســـود ، وأوجهها غبـــر
وأمسى الضحى في عينه مثل حالك ... من الليل ، يلقى عنوة دونه الستر
وبات لديـــه بلبل الروض ناعبـــا ... فـــلا قوله شدو ، ولا لحنه سحر
ولا الزهر في أغصانه ينفـــح الدنى ... أريجا ، به بين الورى عرف الزهر
وأضحت عبوسا بسمة الفجر عنده ... وكـــم فتـــن الدنيا ببسمته الفجر
وتـــاه ببيـــداء المصائـــب فكـــره ... وما تاه يوما مـــن مصاب له فكر
وصار يعاف العطر من زهر الربى ... وقد كان يستهويه من زهرها العطر
وعشب المروج الخضر كان فراشه ... فامست قتادا عنده بسطها الخضر
لقـــد غربت سلمى ، وكان شروقها ... تفـــار ذكاء منـــه ، والانجم الزهر
لقـــد أفلت سلمى ، وكان ضياؤها ... يري نجل صدري أين يقتنص البشر
لقد ضم سلمى في الضريح ترابه ... فمـــا مسها حتى غدا رمسها التبر
وأصبحت الارض التي ووريت بهـــا ... سماء ، بهـــا في غفلة نـــزل البدر
وطوف قلبـــي حولها مثـــل هالة ... وآهاته نـــار ، وأدمعـــه غـــدر
. . . .
وان كتبـــت بالحبر كـــل قصائدي ... فقد صار يا سلمى نجيعي هو الحبر
رقمت بـــه قانـــي رثائي باكيـــا ... وفوق المحيا من دموع الاسى نهر

لقـــد حـــز في نفسي رحيل مبكر ... لسلماي عن قلبي، وضعضعني الهجر
فمن كان مثـــل الورد نفحا وعفة ... تحلى بتاج الحسن ، واختصر العمر
قضت في حزيران ، فأدبرت المنـــى ... وولى هدوء البال ، وارتحل الطهر
ومات جناني بعد ان غص بالشجا ... وجاءته من دهر الاذى الضربة البكر
وقد قـــف شعري حين وافى نعيها ... وما قف لي من قبل من نكبة شعر
وروضة آمالـــي تعرت غصونها ، ... ومصدر وحيي الحسن والغصن النضر
وغـــال الاسى فـــذ الضلوع بنبله ... ودب الـــى روحي وأعصابي الذعر
لقـــد كنت أرجو أن يجدلني الردى ... وتسعدك الدنيـــا ونائلها الغمـــر
فجـــاء حزيران لتقضي نحوســـه ... على أملي الباقي ، ويصرعك الدهر

فشهر حزيران هـو الشؤم كاسحا ... أرتني جحيم اليأس أرزاؤه الكثـر
وأنشب غـدرا في فؤادي نابـه ... ولـم ينصرف الا وفي كبدي الظفر
وروعني يأسا ، وقوض مهجتـي ... وأردى صوابي طبعه الشامس الوعر
وهدم مـا شادته آمـال قومنـا ... وزلزل جيش العرب في بدئه النكر
وعاد عدانا ـ والمخازي تلفنا ـ ... برأياتهم يشـدو لخفاقها النصـر
ولـم يكفه مـا أنتابنا في فنائـه ... من الذل ، حتى انقض جحفله المجر
وحطـم قلبـي والاماني عندمـا ... قضت فيه سلمى نحبها ، وانتهى الامر
فيارب!هب لي الصبر،واسمع تضرعي ... وخذني الى سلمى ، فأنت لي الذخر
ولملـم جراحـي بالتقائي بجنـة ... مليكة خفاقي ، ومني لك الشكر

تشبثـت بالدنيـا لأحيـا متيمـا ... بسلمى التي أستغنى بأنفاسها الزهر
وزينها الحسن اليتيـم ، وبسمة ... بها أحيت الوجاب ، وانقشع الضر
وقد بغصن البان يزري ، مهفهف ... به هامت الابصار ، وافتتن الدهر
وخلق قويم في اطار مـن التقى ... وقلب رحيـم بالورى كلهـم بـر
وصوت حسبنـاه أغاريـد بلبـل ... ورأي سديد دون أحرفـه الـدر
وكـف اذا أعطت تدفـق جودها ... وأضحى ازاء الجود كالجدول البحر
فأفنت يـد الاقدار فتان حسنها ... وغيبها في الترب من دهرها الغدر
قضت نحبها سلمى ، فعاف حراءه ... وحل بسفح الحزن والهلع الشعر
اذا عجـز فيـه تضـرج حسرة ... فمن قبله مـن لوعة نزف الصدر
فلا كانت الدنيا ، ولا انصبت المنى ، ... ولا كان لـي شعر يخلد أو نثـر
ولا غمرتنـي كالخضـارم بهجـة ... ولا رد عنـي نكبة عزمي الوغر
ولا راح يفديني بحـب قلوبهـم ... رفاق لهم من كـل مكرمة شطر
ولا ذاق طعم النوم طرفي ، ولا أوت ... الى صدري النعمى ، ولا طال لي عمر
ولا رددت شعري هزارات روضة ... ولا زان تاج الضاد والعرب لي ذكر
فيا رب ! أنقذني مـن اليأس قاتلا ... فقد جـاء يدعوني الى حضنه القبر

لقد أوطنت سلمى فراديس عدنها ... فبات ابن صدري لا يصان له سر
تفجر فيـه حزنه الجم ، فانبرى ... يذيع علـى الدنيا صبابته الجهر
ولـم أستطع كبت العواطف لهبا ... ولا كـم مذياع تغمـده الثغـر
ولا صـد وحـي جاءني متدفقـا ... على الطرس مثل اليم في موجه هدر
ولا حبس دمـع بالدماء مخضب ... كبحت به صبري الذي خانه الصبر
ولا حرق أوراقي ، وكسر يراعتي ... فلا حرقها يجدي ، ولا ينفع الكسر
كتبت مآسي القلب يـوم وفاتهـا ... فما فات مـن املاء الهامها سطر
وهبت لسلمى خافقي ، ولأمتـي ... فهذي لها شطر ، وهذي لها شطر

أيـا جدثا ضـم الجمال متوجـا ... بخلق عظيم ، وصفه ما له حصر
سأسقيك بالدمع السخين لترتوي ... وتنبت فوق الصدر أعشابك الخضر
سيصبح شهدا ، تشتهي الزهر رشفه ... اذا مس يوما تربها دمعي المـر
لئـن شتتت دنيـا النوائب شملنا ... ففي جنـة المأوى سيجمعنا قصر
ونتعـم في جنـات عـدن وطيبها ... ونفلت مـن دنيـا نوائبها كثـر
ويرتع في أرجائها الحقـد والاذى ... وينبت في جل الورى اللؤم والغدر
سيمتد مـا بيني وبينك يـا منى ... جناني الى فردوسك المرتجى جسر
سيبنيه في دنيـاي قلبي براحـة ... وعهد وفاء ، مـا لـه أبدا خفر
فصبرا الـى أن تنزل الروح وكنها ... وتغمـر روحينا الهنـاءة والبشر

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التطور اللغوي بين الجديد والخطأ

بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي

* * *

يؤمن المعنيون باللغة ان للغة حدودا ، وان لا سبيل الى ان نتجاوز تلك الحدود . ولا يعني جريا على هذه السنة ان نهدم اركانا ونتجاوز اصولا بحجة التطور . ولقد جرى الاوائل على شيء كثير من هذا على اختلاف بينهم في مبلغ التمسك بالاصول والانحراف عنها بعض شيء .

ولقد كان من تشدد المتقدمين انهم حجروا على المعربين الا يبتدعوا مجازا لم تعرفه العرب ، ومن اجل ذلك كانت الدعوة الى الحفاظ على « عمود الشعر » . وليس هذا « العمود » الا نمطا من الحفاظ على العربية الفصيحة محدودة باطار زمني معروف . غير ان الزمن فعل فعلته فلم يجد تشدد هؤلاء وجرى الناس يبتدعون ويجرون في عربية جديدة هي شيء من العربية الاسلامية . لقد منع الاصمعي مثلا ان يقال « زوجة » بالهاء جريا على قوله تعالى « امسك عليك زوجك » وقوله : « اسكن انت وزوجك الجنة » . غير ان المعربين تجاوزوا هذا من اجل ضرورات الحياة الجديدة ومن اجل ن تستقيم للشعر لغة خاصة فقال الفرزدق :

وان الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع الى اسد الشرى يستبيلها

وقال ذو الرحة :

أذو زوجة بالمصر ام ذو خصوصة اراك لها في البصرة اليوم ثاويا

قلت : ان ضرورات الحياة دفعت ذوي اللسن واهل العلم ان يفوا بالحاجات المتجددة ، ومن هذا كانت حاجة الفقهاء الى ان تكون « زوجة » بالهاء مؤنثة لئلا تلتبس بـ « زوج » مذكرا ، وذلك لان للزوج في حالي التأنيث والتذكير حقوقا فقهية ينبني عليها معاملة خاصة .

ونستطيع ان نعد من هذا ما جد من المصطلح الاسلامي طوال القرن الاول الهجري ، ان الحاجة في المجتمع الاسلامي الجديد اقتضت ان يكون من الارث اللغوي مادة جديدة يعبر بها عن مدلولات جديدة ذات لون حضاري جديد . ولقد اضافت العلوم المختلفة طوال العصور المتعاقبة مادة لغوية احالت العربية الى لغة حضارة جديدة لا نعرفها في العصور المتقدمة .

ولقد جاء العصر الحديث والعربية متخلفة بتخلف ابنائها ، وان العرب في سائر ديارهم عيال على الجديد الوافد من الغرب في العلوم المختلفة . ومن هنا كانت الحاجة شديدة الى ان تكون لنا ادوات لغوية وافية بهذا الوافد الجديد . لقد كثر الجديد في الكلمة ، وابنيتها وفي الجملة ونظامها ، وفي الاساليب وحقائقها ومجازاتها . وقد وقف المعنيون بالتاريخ اللغوي وقفات مختلفة فمنهم من انكر الجديد وعده خروجا بل تجاوزا ، ومنهم من آمن بالتطور وعد هذا الجديد شيئا من ثمراته ، ومنهم من وقف وقفة بين اولئك وهؤلاء .

غير ان اهل الحفاظ على الاساليب القديمة القويمة قد شددوا النكير على الجديد اللغوي الوافد ، فكانت حملاتهم على « لغة الجرائد » في كل بلد من البلدان العربية .

وكأنهم اعادوا الى الاذهان ان « الصحفيين » اصل « التصحيف » اشارة الى مقولة قديمة هي « ان العلم لا يلتمس عند مصحف » . لقد كثرت المصنفات في اخطاء الكتاب هنا وهناك ، ولو انك اردت ان تعرف جماع في هذا لرأيت انها جميعها متشابهة بعضه يعتمد على بعض آخر .

ثم تجاوز الحد في ايامنا هذه فراى المعنيون ان الخطأ كثير وان من اللغة يوشك ان يأتي بنيانه من القواعد ، وان عربية معاصرة يتقرر وجودها كل يوم . ان بناء هذه اللغة الجديدة ليشتمل على اجزاء غريبة مادة ومعنى . ومن اجل ذلك كان على اهل العلم ممن يضطلعون بتصنيف المعجمات في « العربية الجديدة » وفي « اغلاطها الشائعة » ان يتجاوزوا الحد الذي تختلف فيه اللغة المعاصرة عن الاساليب القديمة ، وهذا يعني الا يقتصر على ان « المعيار » الصوابي هو الاساليب القديمة . ومن هنا كان عليهم ان يفطنوا الى :

١ ــ الابنية الجديدة

٢ ــ نظام الجملة العربية الجديدة

٣ ــ النحو الجديد .

سم هذا الجديد ما شئت ، قل : انه خطأ وانه لحن وانه كيت وكيت ولكن ينبغي ان تعلم ان لا سبيل الى دفعه . وانه شيء قليل او كثير من امارات هذه اللغة الجديدة ، وقد نجد ما يسعفنا على ان نوطن انفسنا على هذه الرطانة الجديدة ما نقرؤه عن اللغات في العالم ولا استثني منها اللغات الغربية المتقدمة .

ثم ماذا ؟

لقد اشرت في هذه المقدمة الى اللغة المكتوبة فهل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تظن اننا لا نحسن القراءة ولا نحسن الاداء . لقد غم علينا الامر فليس في طوقنا ان نخرج الاصوات العربية « مخرجا سريا » كما قال اهل البيان . لقد حسبنا « التلاوة » و « حسن الاداء » ضربا من « السماع » او قل من « الغناء » . لقد وطنا انفسنا على قبول ان لا بد للآية الكريمة ان تؤدى بنغم الصبا والحجاز وشيء آخر من الالحان والانغام . تعالى الله ان يكون « الترتيل » شيئا من هذا . ان « التجويد » احسان اخراج الاصوات على نحو ما يلتمس ان يكون من آلة المتحدث او الخطيب اجادة اخراج الكلمة في اصواتها وفي احكام رصف هذه الاصوات ببعضها ليتأتى من ذلك وحدة من الاصوات محببة مونقة وان يحسن المرتل والمتحدث والخطيب والذي يتلو آيا من الذكر او طرفا من الحديث ، الوقف والابتداء والفصل والوصل وكيف يصير الى الادغام وغيره . وهذه جملة امور لا يعرفها المعربون في القراءة الخاصة والتلاوة الخاصة والحديث الخاص بله سائر المتكلمين .

ولنعد الى اللغة الجديدة فماذا في لغة الاذاعات المسموعة والمرئية كل يوم ؟

انك لتسمع وترى المتحدث يقول :

في حديثه الى مراسلي الصحف صرح السيد الوزير ...

لقد سمعنا هذا مرارا حتى خيل الى كثير منا ان الاسلوب عربي مبين ، وان لا ضير على ان يعود الضمير على متأخر عنه .

وبحسبك ان تعلم ان الاساليب الجديدة قد وجدت سبيلها فيلغة الجلة من اهل الفضل ممن يتوقع ان يكونوا في منجاة من هذا الجديد الوافد . لقد وجدت ان احدا من اهل العلم ممن يوصفون بالالقاب الدينية المفخمة قال في معرض فتوى من فتاواه :

ان الاكثرية الساحقة من العلماء يرون ...

لم يعلم هذا العالم الفاضل بل المرجع الديني الكبير ان « الاكثرية الساحقة » هي نقل للعبارة الاعجمية :

La majorité écrasante

لم يفطن الى ان « الاكثرية » هذا المصدر الصناعي شيء جديد في العربية ، وان هذا « الموصوف » لا يمكن ان يوصف باسم الفاعل من « سحق » في العربية ولكنها الترجمة العاجلة التي قذفت بالاساليب الجديدة في العربية .

اقول في آخر هذه اللمحة العاجلة ان الامر يحفزنا الى ان نسجل اشتات هذه اللغة المعاصرة مؤرخين وجودها وظروفها لا ان نكتفي بالاشارة الى الغلط . ولو انك عمدت الى ضبط هذه الاساليب الجديدة لتوفر لك معجم جديد يتناول الدلالة الجديدة للكلم ثم المجاز الجديد ، وقد يتجاوز الامر هذا الحد فتصل الى الابنية الجديدة .

قد تعجب ان قلت لك : لقد قمت بهذا العمل فكان لي كتاب كبير آمل ان يتسع له الوقت لانصرف اليه فأنشره ليكون بين الناس وثيقة من الوثائق التي نعتمدها في ضبط « اللغة المعاصرة » .

قلت : ان من الجديد ما يتصل بالابنية ولا تعجلن علي فتستغرب هذا الامر لاني اقول لك ان طائفة من الجموع الجديدة لا تعرفها العربية . لقد حفلت اللغة المعاصرة بـ « النجاحات » و « النشاطات » و « النقاشات » و « الصراعات » وكثير غيرها . ثم ان هذا العدد ليزداد كل يوم ، وانك تسمع في الاذاعات العربية وتقرأ في الصحف اشياء كثيرة من هذا الجديد المترجم .

اقول : ان في العربية ما يعين على ان نقبل هذا الجديد وذلك ان « المصدر » الذي يتحول الى الاسم جاز جمعه ، ومن اجل ذلك قالوا : فتوح وفتوحات ، وخصومة وخصومات . الم يأت من قوله تعالى : « فيهن خيرات حسان » ؟

وقد كانت حاجة العلوم الجديدة الى شيء من هذا الجديد فقالوا : « انفعالات » و « فعاليات » من مفردات علم النفس الجديد مثلا .

ان المواد التي اشرت اليها هي مواد اضيفت الى العربية بهذه الصيغ المجموعة نقلا من اللغات الغربية . لقد وجد الناقل العربي ان الكلمة Succès كلمة مجموعة في الفرنسية وهي مجموعة في الانكليزية فلم يكن منه الا ان صيرها « نجاحات » حفاظا على الاصل . ولم يعلم هذا الناقل انه ابتدع جديدا واحدث غريبا يقدح في صفاء العربية واصالة ديباجتها .

ومن المفيد ان اشير الى ان المغاربة مثلا قد ترجموا كلمة Cadres بـ « اطارات » وهم لا يريدون دلالة « الاطار » المادي كاطار الصورة او اطار آلة من الآلات وهو مجموع الخشبات الاربع التي تؤلف مربعا او مستطيلا ، بل يريدون بـ « الاطارات » مجموع الافراد العاملين في مؤسسة او معمل او اي مكان آخر ولهم صفة فنية في العمل . وهذا المعنى الاخير متوفر في الفرنسية ولكنه غير متوفر لهذه الكلمة « اطارات » في العربية .

وبذلك استحدث المغاربة مجازا جديدا غريبا ليس فينا حاجة اليه .

جامعة بغداد ــ كلية الآداب **ابراهيم السامرائي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متى يكون لنا معجم لشوارد الابيات

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

القدامى من ائمة اللغة العربية ، ورجال الادب . قاموا بمساهمة تذكر وتشكر . الا وهي جمع ما كان شاردا من قصائد وابيات الشعراء الجاهليين والاسلاميين والامويين والعباسيين .

وكانت اول محاولة تعتبر منظمة رائدة نافعة ذات قيمة . هي محاولة الشاعر العربي الذائع الصيت ابي تمام حبيب بن أوس الطائي . ولسنا ندخل في تفصيلات جمعه لكتابه « ديوان الحماسة » . والظروف التي احاطت به ودفعته لجمعه وتأليفه . فهي اخبار معادة مكررة .

لقد حفظ لنا (ابو تمام الطائي) الكثير من ابيات ومقطوعات ، كانت تبدو لنا مجهولة الناظم والشاعر ، واستطاع بذوقه الادبي الرفيع ان يلم شتاتها ، ويجمع اطرافها ، ويقدمها لنا غذاء روحيا وادبيا في طبق من اطباق المعرفة الانسانية .

وقلد ابا تمام الطائي قريبه الشاعر (البحتري) في حماسته . ثم توالت الحماسات للشجري ، والزوزني ، وابي الحجاج الاندلسي ، وشميم الحلي . وغيرهم ... وجاء فيها النافع الجميل المشرق ، وجاء بعضها بالمقلد المعاد .

وترى اليوم ان الكثير من دارسي الادب العربي ، والمهتمين بتراثه الرفيع . اذا مرت عليهم ابيات قديمة قد شكوا في نسبتها ، وتعيين اسم ناظمها . مدوا ايديهم لكتب الحماسة الشهيرة يطلبون في صفحاتها المعونة والنجدة ثم يعودون لامهات كتب الادب الشهيرة . كالبيان والتبيين ، وعيون الاخبار ، والاغاني ، ومعجم الادباء ، ووفيات الاعيان وتوابعه ، ويتيمة الدهر واترابها . يصلون بواسطتها الى غايتهم المنشودة ، ومرادهم المطلوب .

وربما تأتي ابيات فريدة ترددها الالسن وتعيدها الافواه ، وتتناشدها المجالس . فاذا اراد احدنا ان يعرف (من القائل) ؟ الرائد لهذه الابيات ، او لمعرفة واحد من نظامها . فلا يجد مصدرا او مرجعا واحدا عاما شاملا مفهرسا يدله على صاحب هذه الابيات . بصورة ترفع الشك عن نفسه ، وتثبت اليقين في ذهنه .

ولقد حاول الاستاذ الجليل الاخ الاديب الراوية (حسن الكرمي) في محطة الاذاعة البريطانية في برنامجه اللطيف « قول على قول » ان يبرد غلة من سأله عن قائل البيت الفلاني ، ومناسبة قوله .

والحقيقة ان الاستاذ (الكرمي) كان الى حد كبير موفقا في اجاباته ورده على السائلين . ولكنها في الاغلب كانت تأتي ايضا ذات روايات عديدة ، بين الشك واليقين . ويظل الاستاذ المسؤول حائرا بين بين ، وصارفا جهدا كبيرا في البحث والتفتيش لاشباع رغبة السائل ، بما وجده عنده من مظان في الحصول على البيت المطلوب والضالة المنشودة .

كما انني قرأت في مجلة « العرب » وفي سلسلة ابحاث الزميل الاستاذ الناقد الدكتور علي جواد الطاهر ، بأن الصديق الشاعر البحاثة الشيخ عبدالله بن خميس له كتاب باسم « الشوارد » . ولكني لم اطلع عليه مع الاسف . قد قام بمحاولة لجمع شوارد الابيات ومحاولة ارجاعها الى مصادرها واصحابها ، عن طريق النشر والاذاعة . وهناك جماعة من الادباء الذين جربوا وضع مجاميع شعرية بحسب الاغراض للابيات المرددة بين الناس . ولكنهم قصروا عن ارجاعها الى قائليها واصحابها الاصليين . ومنهم الاستاذ الفاضل المحامي العراقي ، المرحوم سليمان فيض في مجموعته الشعرية « المنتخب من اشعار العرب » .

كما وضع في بداية هذا القرن استاذ لبناني متذوق هو الشيخ المرحوم عبد الرحمن الناجم البيروتي ، كتابه « هدية الامم » ورتبه على المواضيع والابواب واهتم بحروف اوائل الابيات وسار به على طريقة الاحرف الهجائية . ولم يقتصره على الشعر بل اضاف اليه النثر . ولكنه لم يكمل حلقاته . وحالت ظروف نجهلها عن وصوله الى اتمام عمله النافع .

كم كنت اتمنى ان يكون لنا وبين ايدينا « معجم شعري » لشوارد الابيات العربية ، كما فعل الاوروبيون في فهارسهم النافعة في مختلف الاغراض والموضوعات لتراثهم ولتراثنا . على غرار المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ، والمعجم المفهرس للحديث النبوي الشريف ، ولمجاميع الامثال ، والشواهد النحوية ، والحوادث التاريخية والاماكن الجغرافية ، والاعلام ، والشخصيات العلمية . وان يوضع في هذا « المعجم » فهرس موجز لأسماء الشعراء المنسيين او غيرهم ممن نسبت اليهم هذه الابيات . واصبح من المؤكد بأنها لهم ، مع ترجمة موجزة قصيرة لحياتهم او سنوات ولادتهم او وفاتهم او تحديد عصرهم .

كما يكون في هذا المعجم ملحق لانصاف الابيات الشعرية التي لم تكن كاملة تامة . ومحاولة ارجاعها لصدورها او اعجازها ، مع اماكن تخريجها . وان توضع الابيات كذلك حسب مواضيعها واغراضها وابحرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الحبيبة المخطوبة

الخاتم الماسي .. كيف لبسته ؟ ... وحبيبك الولهان كيف نسيته
مخطوبة .. أنا لا أصدق مسمعي ... أكذاك أمرك طائعا أسلمته
وابست فستان الخطوبة زاهيا ... فيه عريسك واجد ما يشتهي
فاجأتني بالامر يصدم واقعي ... فمتى ؟ وأين ؟ وكيف ؟ أنت عرفته
ضاعت سدى أيام حب عارم ... ما بيننا .. لم أدر كيف أضعته
او لم يهمك أمر قلب نابض ... بهواك في نار الاسى أحرقته
ما زال يملكني الذهول تألما ... عن حبنا المظلوم .. كيف قتلته
ذاك الهوى الجبار كان صواعقا ... هوجاء عاصفة .. فأين دفنته
القلب منك وهبتنيه .. فما الذي ... بعدي الى هذا الخطيب وهبته
أم انك استرجعته مني .. لكي ... يعطى اليه .. بعدما استرجعته
ناشدتك الحب الصميم .. يشدنا ... بعضا لبعض ... هل ترى أحببته
وكؤوس ذاك الحب اذ كنا بها ... نسقى . أمن نفس الكؤوس سقيته
وحنان قلبك كان يغمرني .. فهل ... في نفس ذياك الحنان غمرته
لغة العيون .. وكم تحدثنا بها ... عما نكن .. فهل بها حدثته
نظراتنا الظمأى تزيد لهيبنا ... نارا .. أ بالنظرات تلك نظرته
قد كان لا يرضيك الا شاعر ... متوقد مثلي .. فكيف رضيته
الحب أثمن كل شيء في الدنى ... قولي : فحبك لي بماذا بعته
ان كان أمرك من هواي قد انتهى ... فهواك باق في الحشا لا ينتهي
ويظل قلبي حافظا عهد الهوى ... لك .. حيث أنت ملكتني وملكته
سيذوب وجدا من صبابته .. فلا ... تنسي : بانك أنت قد ذوبته

بغداد ــ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا نسي الباحث قافية البيت او رويه او بحره رجع الى الموضوع والغرض الذي يدور حوله ذلك البيت فيسهل عليه حينذاك الوصول الى غايته ، وهو مرتاح الفكر ، مطمئن النفس ، مصيب الهدف .

ان لهذه الكلمة (طريفة) . فقد سألني بعض الاخوة الافاضل عن البيت الشهير ومن قائله ؟ وهو :

فلما شربناها ودب دبيبها الى موطن الاسرار قلت لها قفي

فأجبته : انه لابي نواس الشاعر العباسي الشهير . فرد علي وقال لي : اني لم اجده في ديوانه . فرددت عليه بأنه مذكور في كتاب « البلاغة الواضحة » وفي باب من ابوابها . ولكنه ظل حائرا . فازلت حيرته ، بأنه قد يكون لشاعر صوفي ، وهو اقرب لشعر (الشيخ محي الدين بن عربي) .

اذن اذا كان البيت لا يوجد في ديوان (ابي نواس) وهو المورد الاساس . وذكر في كتاب « البلاغة الواضحة » للمرحوم الشاعر (علي الجارم) وجماعته . فأين اذن تكمن الحقيقة ؟ ومن اين جاء اصحاب « البلاغة الواضحة » به ونسبوه لابي نواس ؟ والكتاب يعلم اجيالا من طلبة العلم ، وتلامذة المعاهد . وهناك الكثير الكثير مما يدور على شفاه القوم والسنتهم من هذا القبيل . وهم في حيرة مما ينشدون .

هذا الاقتراح ، او هذه الفكرة ، لا زالت جذورها تمتد في نفسي . اتمنى مخلصا ان يتاح لنا وقت التنفيذ والاخراج لها الى عالم التحقيق . وهي في نظري الآن تحتاج الى روية ، وعمل متواصل ، وجهود مشتركة لا تقتصر على همة فرد واحد ، بل الى مساهمة افراد قد عرفوا بالصبر والبحث والتنقيب ، او يأخذ المبادرة فيها ، الاخوان العلماء والاساتذة الافاضل من اعضاء المجامع العربية في الوطن العربي،او الاخوة التدريسيين في الجامعات الانسانية ، او مجموعة من طلبة الدراسات العليا .

ربي ... حقق هذه الامنية ، قبل ان تذهب وهي حبر على ورق ، او تمر مرور الطيف الجميل ، على وساد النائم المتعب الوسنان ، او المحب العاشق الولهان .

جامعة بغداد ــ كلية الآداب — محسن جمال الدين

من وحي مذكرات الشاعر الياس فرحات

بقلم وليم صعب

صاحب مجلة البيدر

* * *

تعرفنا بالشاعر الياس فرحات في منزله في مدينة (بالو اوريزونتي) ــ الافق الجميل ــ سنة ١٩٤٨ عندما كنا نزور (البرازيل) . وبعد اكثر من لقاء احب ان يطلعنا على مذكراته المخطوطة التي بقيت بحوزتنا اياما ، فأخذنا منها هذه المقتطفات وهي تلقي ضوءا على هذا الشاعر الموهوب ، ونحن نثبتها في ما يلي :

« عندما كنت تلميذا في (دير القرقفي) ــ دير ومدرسة للكاثوليك في مشارف كفرشيما ــ صغيرا جدا كان الكاهن يكلفني قراءة (الرسائل) يوم الاحد والعيد ، فكنت آخذ (الرسائل) الى البيت ، واحفظها ، واتلوها غيبا في الكنيسة ، فيدهش الحاضرون .

وقبل ان أودع المدارس نهائيا كنت قد اصبحت في نظر اولاد المدرسة (قوالا) اي اني كنت اشتهرت بقول الزجل المعروف بالقرادي .

اشتغلت ، اولا ، في معمل كراسي في بيروت ، ثم ارسلني ابي مع (اولاد كنعان) الى زحلة ، واولاد كنعان جيران لنا في (كفرشيما) كانوا يشتغلون في زحلة نجارين ، وكانت لهم شهرة واسعة . ولكن زحلة بعيدة ، وانا يكاد الشوق الى (الضيعة) يميتني ، وذكر الحبيبة وخيالها يملآن كياني ، فرحت انظم الازجال والاشعار التي يعلم الله كيف كانت من حيث الصرف والنحو ، على انني اكاد أؤكد ، الآن ، انها ، من حيث الاوزان ، كانت (مضبوطة) ، لاني لا اذكر اني نظمت ، في حياتي ، شعرا مكسورا .

بقيت في زحلة شهورا كانت كأنها اعوام ، ولم يكن يصل الى يدي من المال ما يكفي لشراء جواز سفر الى كفرشيما . وكنت اتهيب الهرب اليها مشيا على الرجلين . ففي احد الايام كتبت الى المرحوم ابي هذه القرادية :

العصفور اللي بعدو صغير متشوق للضيعه كتير
في سجنو مش رح يبقى : بس يريش بدو يطير

ولما كان المرحوم من (اولا دالذكا) فهم حالا ما اريد .

ونزلت من زحلة الى كفرشيما ، ثم اشتغلت بتنضيد الحروف في جريدة (الوطن) التي كان يحررها شبلي الملاط ، ثم في جريدة (الحقيقة) لصاحبها الشيخ عباس الازهري .

وبعد صف الاحرف والمطالعة ارتقت لغتي بنظم الازجال ، وكانت دائرة شهرتي كقوال معنى وقرادي آخذة في الاتساع ، فبعد ان كانت محصورة بين اولاد المدرسة انتشرت بين اولاد الضيعة وشبانها ، فصار هؤلاء لا يعقدون مجلس طرب الا وانا معهم ، يأخذونني الى الافراح والاعراس لأنازل فحول القول . وكنت ذكرت ان المرحوم والدي كان في شبابه قوالا ، وعليه فان (مرضي وراثي) . ولكنني لم اسمع والدي يغني ولا مرة لانه ، اذ كنت انا صبيا ، كان هو قد تجاوز الكهولة الى الشيخوخة ، ولكني كنت اسمع عنه ما يزيد رغبتي في الفن ويحفزني الى مجاراته . واذكر انه ، اول مرة سمعني اغني على ضفة (نهر الغدير) قرب (الجسر) منازلا المرحوم سعيد الكلارجي وكان هذا قوالا مشهورا ، بكى سرورا .

وتعرفت ، ولا اذكر كيف ، الى القوال الشهير امين ايوب (من الشويفات) ، وكان صاحب دكان في (خلدة) فصرت اتردد عليه كلما سنحت الفرصة .

وكنت قد تعرفت ، قبله ، الى القوال الاشهر الياس الفران (من دير قوبل) ، وكان ، كذلك ، صاحب دكان عند نهر بيروت ، فكنت اقول ، احيانا ، مع هذا ، واحيانا مع ذاك ، في مجالس غير مهمة ، طبعا . واذكر انني كنت ، مرة ، في خلدة عند امين ايوب ، وكان في مجلسنا بعض الناس ، فقلت لامين :

مشربكني بحبال السحر وصايبني بسهام العين
فكرك بحر وحدك بحر وفي (خلده) (مجمع بحرين)

فوصلت هذه الردة الى مسامع الياس الفران ، فسر بها ، ومدحني عليها .

وفي خلدة كنيسة على اسم (العذراء) يحتفلون بعيدها احتفالا كبيرا في منتصف آب ، اذ يؤمها الوف من الناس من الجوار ومن الامكنة البعيدة . يجتمع الناس فيلهون ويأكلون ويشربون ويغنون ويسبحون في البحر ، وقل منهم من يعود الى بيته قبل مضي اسبوع ، او اكثر ، ففي يوم هذا العيد (من سنة ١٩٠٨ او ١٩٠٩) كنت في خلدة ، وكان فيها من الناس خلق كثير ، فجلسنا : امين ايوب وانا ، وحولنا حلقة كبيرة من الشبان الذين يحبون السماع ويحسنون (القول والرد) ، وكان عدد الحضور كبيرا جدا حتى لم يكن سطح (الخان) يسع احدا غير الذين كانوا هناك . ولأول مرة نازلت امين ايوب بصورة جدية في مجلس رسمي ، فبقينا ساعات وساعات نتجادل وننتقل من موضوع الى موضوع ، وانا معجب بنفسي ، والناس معجبون بهذا الفتى اليافع الذي يجادل احد شيوخ الفن واوسعهم شهرة ، فيرتجل الجواب المحكم الذي فيه النكتة اللاذعة .

ومما اذكره الآن ، اذكره لان الناس تناقلوه ، يومئذ ، وما زالوا يتناقلونه الى اليوم ، ان امينا قال لي :

بالاول كنت مفشوش وخمنتك انك ساوي
تاري بتسوى خمس قروش وما بتلحق زهراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما ان انهى ردته حتى سمع الجواب الصاعقي :

بـالاول خذتـك شريـك وعـدت لخلفـي رجعتـك
لـو عطيوني نحاسة ديك بكون حمار ان ما بعتك

وكان في يد امين ايوب دف يضرب عليه ، فألقى الدف من يده ، ونهض فحملني ، واخذ يرقص بي ، والناس يصفقون ويضحكون .

وتفرق الناس ذاهبين كل الى قريته ، حاملين اخبار جلستنا تلك ، فاتسعت دائرة شهرتي حتى كادت تعم الجبل كله .

ومرة كنت ، وفريقا من اصحابي ، على سطح الخان في خلدة ، فسمعت احدهم يقول : جاء منصور صافي ، ومنصور صافي (من الشويفات) ، كان قوالا ماهرا ، حتى انه كاد يكون شاعرا فصيحا . ولم اكن اعرفه . فلما وصل وجلس معنا استقبلته بهذه الردة :

ان كنك شاطر في الحساب وتكلـه في ضرب التعديل
عدلنـي قبالـك مـزراب وعدل حالـك نهـر النيل

فسر الرجل جدا ، وأجابني جوابا لا اذكره ، وانما اذكر انه كال لي من المديح الكيل كيلين .

ولقد لقيت هنا في البرازيل صديقا قديما كان رفيقي ايام كنا صغيرين في الوطن ، فأدهشني لفرط ما يروي لي من (رداتي) التي هي من النوع الذي تقدم . ادهشني لاني ما كنت اذكر منها شيئا ، حتى كأن ماضي لم يكن .

* * *

في اوائل سنة ١٩٠٠ رجع اخواي سليم وكريم من (جاميكا) في جزائر الهنـد الغربية ، فقامت الافـراح بوجودهما ، واستعاد الوالـد شبابه اذ كان ، فـوق السبعين ، يسير منتصبا كأنه ابـن ثلاثين . واذكر ان صديقنا امين ايوب زارنا في تلك الاثناء وقضى في بيتنا ليلة كانت سيدة الليالي ، فقد اجتمع عندنا فيها شبان الضيعة ، ودار قول القرادي ، والرقص ، وكانت ردة امـين في تلك الليلة :

يـا مـن عنـا تغربتوا وشربتوا صـافي الكؤوس
غبتـوا وتعبتـوا وجبتـوا جمـال ومـال ونامـوس

* * *

في اواخر سنة ١٩٠٩ دعاني صديق لـي ، اسمه الياس ياغي ، (من دمشق) ، حيث كان ينضد حروف مجلة البطريركية الارثوذكسية فيهـا ، فلبيت دعوتـه وسافرت الى دمشق حيث لبثت نصف سنة .

* * *

في (جويز دي فورا) ـــ البرزايل ـــ جاء للسلام علي اديب كان ساكنا تلك المدينة ، فقال لي ، في اثناء الحديث : علمت انك تنظم الشعر ، فهلا اسمعتني من منظوماتك شيئا ؟ وكانت ، في جيبي ، قصيدة حديثة النظم ، كنت اظنها آيتي ، فمددت يدي اليها ، واخذتها ، ونشرتها ، وقرأت :

ضروبا من الاهوال حملني دهري وجر علي الهم والذل والقهر

قرأت البيت وانا انظر في وجه محدثي لأرى كيف يكون تأثيره عليه ، فلما سمع (العجز) ضحك ضحكة جمدت الدم في عروقي ، على انه لم ينتظر ان أسأله عن سبب ضحكه ، بل بادرني بقوله : ان العجز كله غلط . فقلت : واين وجه الغلط ؟ فأفهمني ان الكلمات «الهم والذل والقهر» مفعول بها ، وبما انها كذلك وجب ان تكون منصوبة . قلت : وما يعني منصوبة ؟ قال : مفتوحة ، لان الفاعل يجب ان يكون مرفوعا ، والمفعول به منصوبا . ولا ادري ماذا قال لي عن المجرور . والذي أؤكده لقارئي ، الآن ، ان ما سمعته من ذلك الاديب ، آنئذ ، كان ، ولا يزال ، الدرس الوحيد الذي تلقنته في الصرف والنحو .

* * *

على اثر وصولي الى البرازيل ، بعثت الى صديقي المرحوم امين ايوب بمطلع (معنى) اذكر فيه ألم الفراق والشوق وما قاسيت في السفر من مشقات ، اوله :

يـا امـين ، الدهـر فرقنا وبسهامـو البـين خرقنـا
مـن بعد مـا كنا نصيد سباع قصر عـن العصفور خردقنـا

كذلك بعثت الى الوالد بـ (قرادية) طويلة ، تصورت فيها اني ارسل باخرة مشحونة شوقا ، مكلفا ربانها ان يفرق حملها على اهل الضيعة بالسواء ، وقد جاءت فيها هذه (الردة) التي ظلت عالقة بالذاكرة :

عا بيوت كفرشيما بـروم ودق بـواب المغلوقـه
واهدي شوقي للعموم : حنـا ومـرقس ولوقـا
مورانـي وكوتالـي وروم هـي عندي مش مفروقه
بس يكون واحد مهضوم وما يكونوا عقلاتو تخان . »

* * *

ولد الياس فرحات في كفرشيما سنة ١٨٩٣ ، وصل الى البرازيل سنة ١٩١٠ ، تزوج سنة ١٩٢١ ، توفي سنة ١٩٧٨ .

وقد نشرنا هذه المقتطفات من مذكراته لنبرز الموهبة الفائقة التي خصه بها الله وأسبغها عليه اذ انه ادرك قواعد اللغة العربية بدون معلم ارضي ، ونحن لمسنا هذا الامر المدهش في تحدثنا معه فكان يقرأ شعره بدون ان يلحن ، وكان عندما يسأل عن شيء في هذا الصدد يجيب : اني اضع الحركات الصحيحة في محلاتها دون ان اعرف قواعدها ، فاسمعوني ولا تسألوني .

بين اعلام اللغة العربية من الذين نظموا الشعر بشقيه : المشكل والعامي ناصيف اليازجي ، وولداه ابراهيم وخليل ، وابراهيم الحوراني ، وعبدالله البستاني صاحب معجم (البستان) ، ورشيد نخله الفائز بجائزة النشيد اللبناني ، ونعمه قازان ، ولكن ميزة الياس فرحات انه لم ينظم الا الشعر العامي في اول الامر ، وانتقل منه الى

الشعر المشكل . ويأتي بعده ، في هذا المجال ، الشاعر ايليا ابو ماضي الذي ترك مدرسة القرية في الحادية عشرة من عمره ، اي بتحصيل يوازي تحصيل الشهادة الابتدائية (السرتفيكا) ، وتوجه الى مصر حيث عمل مدة في بيع لفافات التبغ ، ومن مصر انتقل الى الولايات المتحدة الاميركية حيث لمع نجمه كشاعر في الطليعة ، وهناك اصدر جريدته (السمير) ، وعددا من الدواوين .

وفي سبيل المقارنة بين هذين الشاعرين اللامعين ، اللذين تشابها في المؤهلات الدراسية والعلمية ، نثبت ، هنا ، قصيدتين لهما نظماهما عندما قدما الى لبنان زائرين واقيمت لكل منهما حفلة تكريمية القى فيها قصيدته ، وكان قدوم ابي ماضي قبل سنوات من قدوم فرحات :

قصيدة ابي ماضي

وطن النجوم ، أنا هنا : حدق ، اتعرف من انا
الحت في الماضي البعيد فتى غريرا ارعنا
جذلان يمرح في حقولك كالنسيم مدندنا
المقتنى الملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الاشجار لا ضجرا بحس ولا ونى
ويعود بالاغصان يبريها سيوفا أو قنا
ويخوض في وحل الشتاء مهلهلا متيمنا
لا يتقي شر العيون ولا يخاف الالسنا
انا ذلك الولد الذي دنياه كانت ههنا
انا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنى
انا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
انا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى
كم عانقت روحي رباك وصفقت في المنحنى
للبحر ينشده بنوك حضارة وتمدنا
للشمس تبطىء في وداع ذراك كيلا تحزنا
للبدر في نيسان يكحل بالضياء الاعينا
للحقل يرتجل الروائع زنبقا أو سوسنا
للعشب جللته الندى للغصن اثقله الجنى
عاش الجمال مشردا في الارض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فالقى رحله وتوطنا
واستعرض الفن الجمال فكنت انت الاحسنا

قصيدة فرحات

سلست لي الاقدار بعد حران وأعاضني عما فقدت زماني
هذي ملاعب صبوتي أرتادها متنصتا فيها لهمس جناني
في كل منعطف حديث حداثة متسلسل منه معين معان
أشباح ماضي الامس قريبة مني تقابلني بكل مكان
وتضج في الذكريات مزيلة ما كان في الهجران من نسيان
لبنان يا نفس الخزام ضحى ويا قبل الندى للنرجس الظمآن
عاد ابنك الناني اليك وقلبه يروي حديث الشوق بالخفقان
عيناه تائهتان باحثتان في دنياك عن رفقائه الفتيان
يمشي هنا وهناك وهو محدق للناس والاشياء كالحيران
أين الذين تركتهم عند النوى في السفح بين الكرم والبستان
عاش المهاجر في المهاجر شاكيا بل حاسدا من مات في لبنان
باع الشقي شبابه بنقودها بيع المغامر حنطة بزؤان
لو عاد بالدنيا العريضة بعدما فقد الفتوة عاد بالحرمان

قال فرحات في مذكراته ان (مرض الشعر) انتقل اليه بالوراثة لان والده كان ينظم الشعر العامي . ونحن نتساءل : لنفترض ان الشعر يؤخذ بالوراثة ، فأول شاعر ممن اخذ وورث ؟

ينشأ اربعة اشقاء ، او اقل او اكثر ، في بيت واحد ، من والد واحد ووالدة واحدة ، فينظم احدهم الشعر ، والباقون لا ينظمونه ، وقد يكون الوالد شاعرا او لا يكون ، وقد يكون ناظم الشعر متصلا بالقربى بأنسباء ينظمون الشعر او لا ينظمونه ، فمن اين اتت الموهبة ؟ واذا كانت المسألة مسألة نسب وقربى فلماذا لا ينظم الاشقاء كلهم الشعر ؟

ان هذه التساؤلات تقودنا الى الحقيقة الثابتة وهي ان المواهب كلها هبات من الله وحده ، فلا يحق للانسان ان يتباهى بها وكأنها من صنعه ، كما لا يحق للناس ان يمجدوا الموهوب ، بل يحتم عليهم الحق ان يمجدوا الواهب .

قال بشارة الخوري (الاخطل الصغير) في حفلة تكريمه ومبايعته :

ان المواهب لا فضل لصاحبها كاللحن للطير او كالنشر للزهر

وكم هو صادق ونابع من صميم الحقيقة قولنا العامي الذي يطلقه الناس بعفوية عندما يشاهدون او يسمعون شيئا من شخص موهوب : « سبحان العاطي » — انهم يسبحون الله . ومن هذا المنطلق نحب ان نذكر هنا بأن كلمة « اكتشاف » يجب ان تحل محل كلمة « اختراع » او « استنباط » ، فالله اوجد كل شيء في هذا الكون ، والانسان انما هو مجرد مكتشف لا تنطبق عليه مطلقا صنعة المخترع والمستنبط .

وقال فرحات في مذكراته انه كاد ينسى كل ما نظمه في حداثته من شعر عامي « وكأن ماضيه لم يكن » — مع انه اشتهر بذاكرته المدهشة التي هي من نعم الله عليه ايضا — ولكن ذلك الماضي ، الذي تعمد ان يتناساه بالاحرى ، هو الذي كان يجب ان يحفظه ويذكره لان جذوة الشاعرية الاصيلة المتقدة توهجت وتألقت منه ، ولان ذلك الشعر العامي اللطيف ، الذي هو اساس موهبته ، اسبغ على شعره المشكل السلاسة والعذوبة والعفوية وجعله في سدة الفصاحة ، فما الفصاحة في معناها الرئيسي الا البعد عن التعقيد . ولولا عقدة النقص في التهرب الى الشعر المشكل من تحمل « تهمة نظم الشعر العامي » لكان لنا من الياس فرحات ديوان شعر عامي رائع يحتل مركز الصدارة بين الدواوين مشكلها وعاميها .

كان احمد شوقي يوما في زيارة رشيد نخله الذي قرأ له روايته (محسن الهزان) وعندما وصل الى هذا المقطع الوارد في مطلعها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسهل عشبو كان يموع موع الحرير والليل من ضو القمر قطعة رخام
والليل من ضو القمر لونو انمحى حتى الذهب خالط الفضه من الضحى
وراح النسيم عالسهل يمشي سوسحه واللولحه لردان محسن والكمام

قال شوقي وهو مترنح : اني اقايض بكل شعري مقابل هذا المقطع !

وهل اثرت على قيمة شعر ناصيف اليازجي المشكل قصيدته العامية التي مطلعها :

شابهت بدر التم بالخفه لما لبست الجبة الزرقا
انت القمر والشمس يا غندور لكن منينلو البدر هالمشقه

وهل حطت من مقام خليل اليازجي قصيدته العامية التي مطلعها :

يا طير ، صوب بلادهم خذني معك جسمي أخف من النسيم، شو بيمنعك
قللي : بتمنعني دموعك بالهوى بلكي تبلل جانحي من مدمعك

قال (موريس بارس) الكاتب الفرنسي الشهير ، موجها كلامه الى رشيد نخله :

« الآن عرفت ما كنت اجهله ، فأنتم ، جماعة الشعراء الشعبيين ، تعيشون في بيوت الناس ، ونحن نعيش في كتبهم ، فلا بدع ان نراكم اشد حرارة منا » .

وقال رشيد نخله :

« بقي شيء آخر أرى التبسط فيه ، اليوم ، لزاما علي ، وهو ما يقوم في الاذهان من ان الزجل بمثابة حرب على الفصحى ، فأستغفر الله الف مرة ! ما كان الزجل في الاندلس بالامس ، ولا في مصر ولبنان ، اليوم ، ليزج بنفسه هذه الزجة . فانما الزجل ، فخره ، كله ، في ان يرى وجهه في زاوية من مرآة الفصحى ويكون عليه شيء من روعتها وشيء من طلاوة الفاظها وحلاوة حواشيها ولباقة الاخذ بين خافيها وباديها . والعربية ، حين يقال ان الشاعر الزجلي يخرج فكرته وهي بعد حامية طلقة كما تمخضت بها قريحته ، فمحاسنها لا تعد ، وحسناتها الى صاحبها لا تحصى . واذا كانت هذه حسنة الزجل الى الزجال ، فما ترى يقال في حسنات الفصحى الى الشاعر وعنده منها كفتا ميزان العرب : البلاغة والفصاحة ؟

فالزجل ، اذا ، عيال على العربية من قديم الزمان الى اليوم ، فضلا عن كونها لسان الامة ، والزجل لسان طوائف منها يوم تترك فصاحتها بعض الحين وتقبل على عاميتها . واني ما اخترت العامية بدلا من الفصحى بل اراني أقبل على العامية حين اترك الفصحى ، واقبل على الفصحى حين أترك العامية ، ميلا مع الخاطر العارض او المناسبة الحاتمة » .

اننا نحارب حربا لا هوادة فيها فكرة تحويل عاميتنا الى لغة رسمية تحل محل لغتنا العربية الام ، وفي سبيل هذا عملنا وما نزال نعمل لجذب العامية الى المشكلة (الفصحى) فعقدنا المؤتمرات ونشرنا البحوث المستفيضة لاجل هذا الغرض ، ودعونا ، عاملين ، الى تطهير العاميات العربية من المفردات الاقليمية المستعملة في عامية دون الاخرى ، واستعمال المفردات التي يقرها قاموس اللغة العربية العام ليصبح الزجل المنظوم في احد اقطار العالم العربي مفهوما لدى سائر الاقطار .

والآن نعود الى الشاعر الياس فرحات لنثبت بعضا من ابيات نظمها بعد مرور خمسة عشر عاما على وصوله الى البرازيل وأخرجها باسم (رباعيات فرحات) ، وهي تعطي صورة واضحة عن شاعريته الاصيلة المتأثرة بالعفوية التي امتاز بها شعره الشعبي :

لو يعرف الكبش ان القائمين على تسمينه يضمرون الشر ما اكلا
والخد يعلم ما في الدمع من حرق وليس تعلم ما فيه المناديل
ان البكاء على قدر الشعور فكم تبكي الرجال ولا تبكي التماثيل
فاذا حكمت على امرىء لسواده فلقد حكمت على حسام مغمد
فلرب قلب كالحمامة أبيض للخير يخفق تحت جلد أسود
نشكو اذى الدهر شكوى لا اساس لها فالدهر لم يرتكب اثما ولم يجر
لا يقفل البشر الابواب ان رقدوا خوفا من الدهر، بل خوفا من البشر
أرى في شعبنا بعضا ذليلا وأخشى ان يصير البعض كلا
فان الخل ليس يصير خمرا ولكن قد يصير الخمر خلا

اشتهر فرحات بوطنيته وعزة نفسه وابائه وترفعه . عندما دعي سنة ١٩٣٣ ليتكلم في حفلة ذكرى الملك فيصل الاول باع عددا من حملان مزرعته الصغيرة ليسافر من البرازيل الى الارجنتين على نفقة نفسه . وعندما فاز سنة ١٩٤٧ بجائزة المجمع العلمي (اللغوي) المصري رفض تسلمها رغم حاجته الى المال وطلب تحويل قيمتها الى صندوق اغاثة فلسطين .

* * *

قال الشاعر ايليا ابو ماضي في احد مواقف حيرته الكثيرة :

افكر كيف جئت وكيف أمضي على رغمي فاعيا بالجواب
اتيت ولم أكن أدري مجيئي وأذهب غير دار بالإياب

وقال الشاعر الياس فرحات في احدى رباعياته :

فان كان (الشميل) و (المعري) ورهطما هنالك في السعير
فقد فضلت . . . . . .

لقد كان حريا بهذين الشخصين ، اللذين أغدق عليهما الله هباته الجمة السخية ، ان يعرفا الله معرفة تامة من خلال تعامله معهما ، فلا يبقى ذاك في حيرة وهذا في ضلال . واذا كان الموهوب يحسد واهبه وينفر منه جاحدا فضله ، وكلاهما من البشر ، فان هذا التصرف فظيع جدا من قبل الانسان الموهوب تجاه الله الواهب .

ما أضل الانسان الموهوب الذي يتوهم ، عندما يصفق له الناس ويثنون على مواهبه ، ان تفوقه من صنع يديه ! الا ينطبق عليه قول ايليا ابي ماضي ذاته :

نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد

وليم نجيب صعب

لـبنـان

*

لبنان ناجيت هل لـي غير لبنان ... عنـد المناجاة في سـري واعلاني
من جذع أرزك لي عود عزفت على ... أوتـاره كـل أنغامـي وألحاني
مـن جذع أرزك مهد في جوانبه ... هدهدت فيها فؤاد المدنف العاني
زوقتـه بتعاويـذ بمـا قطفـت ... كفي وما نمقت مـن زهر نيسان

لبنان يا سحر هذا الشرق واحته الا ... خضراء يـا جنة من غير رضوان
حشد مـن الصبوات الحمر متقد ... كانهـا في الحنايـا وقـد نـيران
وتحـت أرزتـه في مـد وارفهـا ... مـدت موائـد سمـار وندمـان
وفي زحيلـة في برذون عالمهـا الا ... سحري كـون تباهى بـين أكوان
علـى الخدود بهـا التفاح مؤتلق ... وفي الصدور تناهى غرس رمـان
من نبع باروكه البلور كـم نهلت ... روحي وبـل رذاذ النبـع أرداني
تهفـو اليـه شفاه الغيد ترشفه ... كما الى الورد يهفو سرب غزلان
أدمنت حبك يـا لبنان مـن قدم ... فحبذا بـك يـا لبنـان ادماني
لبنـان مـا أمتع اللقيا وأنضرها ... كما التقى بعد طول البعد صبان
تشدني بـك يـا لبنان رابطة الا ... قربى وطالع سعـد منـك حياني
فنصفي الحلو مـن لبنان مورقة ... بـه حياتي ومنه اخضر وجداني
دنيا مـن الذكريات السمر ماثلة ... أمـام عينـي مـن أزمان أزمان
دنيـا هـي العمر أوطار منغمة ... فكـم لهوت بظـل منـه فينـان
دنيا من الذكريات البيض تغمرني ... أحلامهـا راودت قلبـي وأجفاني
ناغيتها والصبا الريان يشفع لي ... وقـد وهبت لهـا حبي وتحناني
ايـام لبنـان لا مـرت بآهلـه ... الا سحائـب مـدرار وهتـان
ولا سرت في ربـى لبنـان عابقة ... الا ومـن عطرها فلـي وريحاني
لبنـان أيكـة أطيـار مغـردة ... قـد ثار مـن تحتها زلزال بركان
عوذت لبنان مما قـد ألـم بـه ... وما ألـم بـه في القلب أصماني
هـول تغـول لبنانـا تفولنـي ... وجـرح لبنـان أدمـاه وأدمانـي
فيـا مرابعـه الخضراء شاحبـة ... عوذتكـن بانجيـل وقـرآن
عوذتكـن بآيـات مذهبـة ... حلـى مقدسة في جنـب صلبان
مباخر حولها تذري البخور بهـا ... أكـف صفوة أشيـاخ ورهبـان

بغداد ــ ص.ب ٤٦٧

باقر سماكة



احمد حسين الطماوي

الصورة الادبية بين الكاتب والناقد

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

نستهل مقالنا بتعريف الصورة الادبية قائلين انها مجموعة الكلمات التي تصف مشهدا معينا من مشاهد الحياة ، ويستخدم الاديب في توصيف هذا المشهد الادوات البلاغية والبيانية المعروفة بالاضافة الى ادخال الخيال لتنوير الصورة . والالوان البديعية في ذاتها لا تعنى شيئا ولكنها تعطي قيمة اذا ما امتزجت بالصورة الادبية المجردة بنسبة لا تفسد المعنى الذي تحمله الصورة .

وتقوم الالفاظ بالدور الرئيسي في تكوين الصورة . فانه ليس امامنا الا الفاظ اللغة للتمييز بين الاشياء المختلفة والمتشابهة على حد سواء . واستخدام اللفظ في العبارة له خطورته البالغة . فاذا تعثر الكاتب في اختيار الالفاظ تعذر عليه بالضرورة توضيح ما يصبو اليه واختلطت عليه المعاني وضل الطريق الى هدفه واخفق في مسعاه . فجميع الالفاظ تنتظم خلال عملية التوفيق والايلاف فتخلق الصورة التي بدايتها اللفظ ونهايتها المعنى ، ولهذا فتوافق المفردات مع الفكر يجلو الصورة ويبرز مضمونها ، ومن هنا فالالفاظ توصل الصور . لانه لا يمكن انكار العلاقة بين المشهد الموصوف والكلمات التي تنقله وتعبر عنه .

ومشاعرنا الرهائف ، وملكاتنا المتيقظة ، هي التي تلتقط جزئيات الصورة ثم تنتظم هذه الاجزاء والمدركات وتأتلف في وحدة متكاملة . ومن هنا فالصورة تتأثر بدرجة المشاعر ومدى حساسيتها ؛ وتتوقف على الملكات ودرجة تفوقها .

والمشكلة هنا ليست مشكلة تكوين الصورة ولكن كيفية وضعها ، وما هو الدور الموكول اليها ؟ وما هي طريقة نقل فكرة من الفكر بصورة او بمجموعة من الصور ؟

فالمؤلف يحاول دائما ان يوفق بين صور مختلفة تهدف في النهاية الى اظهار فكرته او تصوره عن هذا الموقف الذي يتناوله بالتوصيف ومن ثم تكون هناك علاقة وطيدة بين الصور الادبية والبنيان الموضوعي الذي ترد فيه . لان الصور جزئيات لا يمكن ان تعيش بمفردها وتنهض بالدور المسند اليها .

فمهمة الكاتب في هذه الحالة هو ان يجعل الصور معبرة عن طبيعة الموضوع وتحديد دور كل صورة منها في هذا المضمون . ومهمة الناقد ان ينظر في مدى صلة الصورة بالموضوع .

اما الدور الذي تؤديه الصورة فهو انها تنقل المضمون الذي في ذهن كاتبها والذي يريد نقله الى القارىء بواسطة هذه الصور الادبية وهنا تؤدي الصور دورها الدقيق والهام وهو تقريب المعنى وتوضيح العلاقة بين الاشياء في عالمنا والايحاء الى القارىء بأفكار معينة وهذا هو الجانب الفني فيها .

وعلى هذا فانه يمكننا تحديد المراحل التي تمر بها الصورة :

المرحلة الاولى : وهي مرحلة بناء الصورة وكيف يتم وما هي الوسائل والادوات .

المرحلة الثانية : هي مرحلة ما تؤديه الصورة الادبية من دلالات وايحاءات ومهمتها في تحديد وتحقيق اهداف الكاتب .

المرحلة الثالثة : هي مرحلة صلة المضمون المعنوي او الفحوى الكلامي او المعنى الذي يريد ان ينقله الكاتب الى القارىء بالصور الادبية التي تتخلله .

ومن هنا فالصورة الادبية تبدأ في الذهن او بما يمكن ان تطلق عليه « الصورة الذهنية » وهي المدركات التي تتحقق بواسطة الشعور ثم تنتظم وتأتلف في وحدة متكاملة ومتى احسسنا بهذا الانسجام بين وحداتها الذي يولد المتعة اصبحت الصورة متكاملة في اذهاننا ، ثم تنتقل الصورة من الشكل الذهني الى الشكل الادبي ، فتنتقل المشاعر الرهيفة والملكات المتيقظة وتمر بثقافة الاديب وخياله فتأخذ زخرفها وشكلها الاخير . ومن ثم فالصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكتبها الاديب حسب مشاعره ومدى حساسيتها ، وحسب ملكاته وقيمة تفوقها ، مضافا الى ذلك ثقافته ومقدار شمولها ، وخياله ومدى سموه . اذن الصورة والحالة هذه يكونها الذهن والمشاعر ثم تكتب فتحمل انشطة الذهن والوان المشاعر في وحدة واحدة .

وتأخذ الصورة الادبية عدة اشكال حسب كاتبها ، فتوجد الصورة التي نرى فيها الكاتب يروي مشهدا وينقله دون اضافة او حذف وهنا لا تحمل الصورة الكثير من سمات نفسية كاتبها وثقافته . وهذه هي الصورة البسيطة . وتوجد الصورة التي نرى فيها الكاتب وقد خلق من الواقع مشهدا جديدا بما اضفاه عليه من حسن تصوير وعرض لهذا المشهد . وهذه هي « الصورة المتطورة » ثم اخيرا الصورة التي يبدعها كاتبها من عالم خياله ويصور فيها احداثا تبدو كما لو كانت حدثت بالفعل في الواقع المنظور ، فيرتب اجزاءها وينظمها ويوجد علاقة بين ابعادها ولا يستطيع اتيان هذا الا بعد تدريب واجتهاد وهذه هي « الصورة الادبية الفنية » التي لا يقصد بها ان تكون اكذوبة او اسطورة ، وانما هي التي ادى فيها الخيال دوره المؤثر ، وقد يطالعنا بين الحين والآخر عند القراءة كثير من الصور الادبية التي تأخذ النفس وتستوقفها ، والصور الميتة المنطفئة وهذا يرجع الى منطق الخيال .

وان ما قاله « وليم بليك » الشاعر والفنان الانجليزي من ان الصور الادبية ليست نتيجة تأمله في الطبيعة ولكنها توجد في نفسه وتأتيه عن طريق الخيال ، لهو الحقيقة في هذا الموضوع ، اذن فالخيال هو الذي يجعل الصورة فنية ونتيجة لهذا تكون الصورة ذات اثر في نفوسنا .

* * *

انه من الطبيعي ان الكاتب يعتمد على الصور في نقل افكاره . والناقد يعتمد عليها ايضا في تلقي هذه الافكار وتوليد المعاني في ذهنه ، ومن هنا كانت للصور اهميتها في دنيا الادب . فالاديب يتصل بالواقع او بالمشهد نفسه ، والناقد يتصل بالصور الادبية التي امامه في قصة او مسرحية او قصيدة غنائية او ملحمة اسطورية ... الى آخره . وهنا يتنبه الناقد الثاقب الذي يتصل بالواقع عن طريق هذه الصور الى مدى صلة الصورة بالواقع او للصور التي تبدو كما لو كانت قد حدثت بالفعل في عالم الواقع .

فالناقد ينظر الى الصورة التي وصلته عن طريق الالفاظ ليتبين هل الصورة ادت المهمة الموكولة لها ام ان الصورة اختلت ومضى عنها نظامها ولم تف بما تتطبع عليه من ابراز للحقائق بين الاشياء والشخوص في الحياة .

لا شك ان الناقد هنا هو الذي يستطيع ادراك كل هذا وليس دور الناقد كله ان ينتهي الى معرفة حدود نجاح الكاتب وفشله في رسم الصورة التي يريد ان يضعها بين ايدينا . فالناقد اديب بطبعه ، والنقد هو نتاج ادبي بطبيعة الحال . ولهذا فعلى الناقد ان يوجد الصورة الحقيقية او يرسم لنا الصورة التي عجز الكاتب عن رسمها وصياغتها وليس من عمل الناقد املاء الاسس وارساء القواعد على المؤلف فحسب بل مشاركة وتعاون في توضيح ما هو غائم ، وتحليل ما هو معقد ، لان ملاحظات الناقد هي المنبهات الموقظة التي تحذر الاديب من المضي في الخلط بين الامور وتجنبه اخطاء يتعثر فيها دون دراية ذهنية .

وليس معنى هذا ان نطالب الناقد ان يعيد لنا كتابة المسرحية التي يتناولها بالنقد او ينظم قصيدة شاعر نظما جديدا حسبما يرى بل ان ملاحظاته ونقداته واسسه هي التي تقوم الصور الادبية المنقودة ، اي انه باضافة ملاحظات الناقد تتضح في النهاية الصورة الادبية المتكاملة .

ولو اخذنا انتقادات « العقاد » على شعر « احمد شوقي » كمثل لما نقول لرأينا كيف عدد عيوب شعر شوقي والتقليديين بصفة عامة من تفكك في قصائدهم وعدم الصدق في مشاعرهم ، والسقطات الاسلوبية في اعمالهم التي تزخر بها كتب العقاد النقدية ومقدمات دواوينه . ومع ذلك لم يقم باصلاح هذا الشعر ويعد بناء قصائده بل رأينا العقاد يجتهد كل الاجتهاد ليخلص شعره هو مما عاب به غيره من الشعراء . بل ان ملاحظات العقاد على شعر التقليديين لم يستفد منها شوقي ومدرسته فقط بل اثرت هذه الفصول النقدية في الشعر العربي الحديث كله الذي ظهر بعد نشر كتاب « الديوان في الادب والنقد » للعقاد والمازني وهنا يكون النقد خلاقا والناقد منتجا .

فالنقد اذن درجتان : درجة ملاحظة الخطأ والاشارة اليه مع ذكر ملابساته . ودرجة الابتكار وتخيل معان اخر للصورة الادبية برمتها . لان الخيال يعين الناقد على تفهم الموقف الذي يتحدث فيه الكاتب ويستحضره في ذهنه واضحا جلي المعالم بعد التركيز والتعمق ، وهذا هو ادراك الناقد لموقف الكاتب من الوقائع والاحداث .

وقد قلنا من قبل في مقال نشرته مجلة « قافلة الزيت » في عدد جمادي الاول ١٣٨٨ هـ (يوليو — اغسطس ١٩٦٨) تحت عنوان « النقد الادبي بين الذوق والعلم » ما نصه : « وللمرء ان يتساءل عن وظيفة الخيال في عملية النقد ، والجواب على ذلك ان الخيال يلعب دورا واحدا في عملية النقد وهو انه يحاول ان يضع البدائل لكل المتحققات الفنية التي تتمثل في العمل الفني وتتخلل اجزاءه ، فالخيال يضع امام الذهن كل احتمالات تحقق الفكرة او المعنى المراد التعبير عنه بانتاج العمل الفني ، والخيال هو الذي يرى كل الامكانات التي لا يتحتم بالضرورة ان تكون هي ما انتجه الاديب في عمله تعبيرا عن المعنى فالاديب يرى وجها واحدا لتحقيق المعنى في التعبير الفني هو الذي يؤديه ويبرزه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صنعة الادب

كل الصنائع للانسان فاتحة ... باب التجارة ، الا صنعة الادب
جربتها وأنا غض الاهاب فتى ... فما وجدت بها ربحا لمكتسب
كم يعصر الفكر انسان بوحدته ... ويصرف العمر بين الهم ، والكتب
وآخر يحسب الاموال طائلة ... بين الدفاتر ، والارباح في عجب
شتان بينهما في كل مسالة ... والامر في الناس موكول الى رتب
يشقى الاديب لأجل العيش من صغر ... حتى يشب على الارهاق والتعب
ويجمع المال أهل الجهل في شره ... جمع الغنائم أطباقا من الذهب
ان الذين على الغبراء في رغد ... الا الاديب فيشقى دونما سبب
من عهد عيسى وهم فيها سواسية ... توارثوا القهر مولودا وراء أب

الكوت ــ العراق

كاظم محمد حسين

اما الناقد فيرى مئات من الاوجه الاخرى التي يمكن ان تؤدي هذا المعنى في اعمال ادبية وهو يرى هذه الاوجه بخياله طبعا .

فالقصيدة التي تجود بها قريحة الشاعر في معنى معين لا يشترط بالضرورة ان تكون التعبير الوحيد عن المعنى المراد اداؤه فمثلا بيت المتنبي القائل :

انام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم

يمكن لشاعر آخر ان يسوق هذا المعنى بأساليب شتى وطرائق اخرى وبطبيعة الحال ان الخيال هو الذي يستطيع تصور احتمالات الاداء المختلفة وعلى الناقد الحصيف ان ينظر الى العمل الفني الذي ابدعه الشاعر في هذا المعنى وان يسأل نفسه : هل هذا اوفق واطيب ما يقال في هذا المقام ؟ ولكي يستطيع الناقد ان يبلغ هذا المدى ينبغي له ان يعدد اوجه احتمالات الاداء المختلفة ويزن القصيدة في ضوء هذه الاحتمالات بكل ظلالها » .

وجملة القول ان الخيال يفتح ناظري الناقد ويجعله لا يغفل شيئا له صلة ما بالموضوع المعروض فنفهم بهذا القيم الفكرية ونتجنب زلات ليس لها ما يبرر وجودها بل انه يحرر العقل من الافكار المبهمة حيث تمضي الصعوبة التي مصدرها الغموض والاغراق في الرمز .

وانه مهما يكن من امر فان دور الخيال في النقد ومهمته الكبرى لا بد ان تنهض دراسات اخرى تعضد هذه الآراء وتبين مقصدها ، لانه يجب اضافة نقطة جديدة الى النقد الادبي وهي ان النقد لا يؤسس على الذوق الشخصي وحده او على الخبرات النقدية القديمة المتوارثة وحدها التي تعاون الذوق ، بل يعتمد اعتمادا كبيرا على الخيال .

ونضرب مثلا ببيت المتنبي لنبين كيف يؤدي كل من الذوق والخبرة الموضوعية والخيال دوره في عملية النقد :

وما كمد الحساد شيء قصدته ... ولكنه من يزحم البحر يغرق

فالناقد الذي يستخدم الذوق في الاستحسان والاستهجان عندما يقرأ هذا البيت تأخذه الحماسة الملتهبة ويثني على الصور الادبية التي اشتملها هذا البيت بعد ان نبهت مشاعره وانفعالاته .

والناقد الذي يستعمل الخبرات العلمية والموضوعية في نقد الادب يروح في نشوة عندما تسعى اليه صور هذا البيت وقد طابقت القواعد البلاغية والنقدية التي درسها واتخذ منها معيارا لقياس الادب والحكم عليه .

اما الناقد الذي يستعين بالخيال في عملية النقد فان حالة الانسجام التي تشمله وهو يقرأ بيت المتنبي هذا ليست نتيجة تنبيه الصور لاحساساته ، وتوجيه انفعالاته ، وليست هي مطابقة هذه الصور لنظريات النقد التي تناهت اليه واقتنع بصحتها . ولكن نتيجة لعملية تخيل واسعة لصور ومعان انشأها ذهنه حتى يستطيع ان يدرك ــ في ضوئها ــ مدى قدرة الصور التي يشتمل عليها هذا البيت في تحقق المعنى الذي قصده الشاعر وعبر عنه بهذا الشكل الفني .

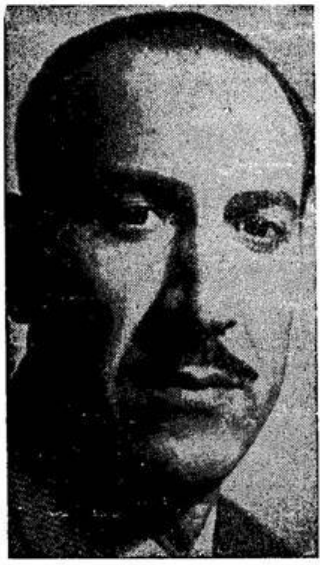
ان الصور الادبية التي يقدمها الكاتب توصل الينا ملامح شخصيته وتجاربه .

اما الناقد فانه يعيش هذه التجارب بخياله ولا يشترط ان يجربها في عالمه الواقعي .

القاهرة

احمد حسين الطماوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خطرات فكر

بقلم سعد صائب

* * *

(١)

لكم اجد في نفسي اشفاقا على « شعرائنا الجدد » حين ارى الى الحيرة وقد اخذتهم من كل جانب ، فأمسوا وكأنهم في دوامة ! .

ليس بمستغرب ان الثورة على « الشعر التقليدي » التي واتتهم من الغرب في منتصف هذا القرن ، قد علمتهم ان يثوروا ، بيد انهم بدوا وكأن « ثورتهم » ليست من شكل ثورة معلميهم ، فبدلا من ان يحفلوا مثلهم بقديمهم ، ويتثقفوا بـه ، ويكثروا من المدارسة له ، ويسيروا في « ثورتهم » سيرا لينا فيقيموا « جديدهم » عليه ، مضوا — لضعف بصيرتهم — مهتاجي الشعور ، يمعنون في رفض القديم ، ويصدون عنه ، ويغلون في التنكر له ، كأنما قد وقر في خلدهم ان هذا الاهتياج والرفض ، او هذا الصد والغلو في التنكر ، قد ماثلا مـع ثورة شعراء الغرب ، وانتهجا نهجها ، وما دروا انهما دلا على جهلهم معناها .

فأفضى هـذا الجهل المقيت الـى عجزهم عـن اقامة « جديدهم » الذي ثاروا من اجله ! .

ولكم ناجيت نفسي : ترى ... ما مأتى عسر هذه « الولادة الجديدة » التي خالوها تمثل « تحولا » في شعرنا وانبعاثه ؟ .

الأنهم لم يأخذوا « لثورتهم » اهبتها ؟

ام لان قيود التقليد التي رزحوا تحتها ، قد اثقلتهم فلبسهم الكلال ؟

ام لان ثقتهم « بثورتهم » قد زايلتهم فضلوا ، فاستقر في روعنا ان الحيرة التي اخذتهم ليست دليلا على انقطاع الصلات والاسباب بينهم وبين تراثهم فحسب ، بل دليلا على انهم لم يحيوا روح الثورة التي لا بد وان يحياها المجددون ، وان يحسوها في وجدانهم كذلك ؟

الا ليتهم علموا ان « من لا خير فيه لماضيه ، لا خير فيه لحاضره ومستقبله » وان الشعب « اذا ما اعرض عن تراثه الادبي ، ارتد الى الهمجية ، او كف عـن ابداع الادب ، وتوقفت فيه حركة الفكر ، وشل الشعور ، وصار دوران الحياة فيه الى سكون » ! ..

(٢)

ما ان لقيته وتبادلنا التحية حتى بادر الى القول :

قرأت رأيا لناقد غربي في « هملت » ما وقعت على كلام للنقاد اصدق منه !

قلت وأنا ارق له رقة شديدة : هاته !

قال وهو يرميني بمؤخر عينه : « ان مأساة « هملت » في صميمها ، انه رجل يسير بفكره المجرد في واد ، وبجسمه وحواسه وتجاربه في واد آخر ... هو رجل لا يبني تفكيره على تجاربه ... ومن هنا كانت متاعبه » ! .

قلت وقد رابني منه شيء وشت به نظرته ، فكشفت عن اربه ، ففطنت له : لقد غمض علي امر ايرادك هذا الراي ، فمن عنيت به ؟

قال كمن يتحدى : عنيت « شعراءنا الجدد » ... ثم اردف : اولا تشبه مأساة امتنا فيهم ، مأساة « هملت » نفسه ؟ .

قلت وأنا ادير في نفسي سؤاله : لكأني بك قد اعتدت ان تجعل مما تعثر عليه من آراء مادة مترفة لشعورك وخيالك ، ومجالا خصبا لازرائك على « شعرائنا الجدد » وغمزهم والعذل لهم ... اما آن لك ان تفضي عما يخطر في وهمك من مثالبهم فتتخيل فيهم الخير ؟ .

قال وهو يحدجني بنظره : لو انك تعي من خفي الآراء ما اعي ، وتسبر عما تعنيه مثلما اسبر ، اذن لتحقق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لك منها ما تحقق لي ، ولأرضيت عقلك وذوقك كما ارضيهما ! .

قلت وقد عيل صبري ، واوشك الملال ان يسرع الي : ماذا رأيت من مأساتنا فيهم ؟

قال مغضبا : أو لم تر اليهم — بعد ان ازلهم التقليد عن سليقتهم فأخرجهم مما هم فيه — يسيرون بنظمهم « المجرد » في واد ، وبأجسامهم وحواسهم في واد آخر ؟ . وانهم لا يبنون « شعرهم » على تجاربهم التي تعكس حال امتهم ومصيرها ومستقبلها ؟ . او لا يخطر في وهمك ان مأساتنا فيهم بلـه متاعبنا ، شبيهة بمأساة « هملت » ومتاعبه ؟ .

واذ فرغ من كلامه ، ولم اشأ ان يتمادى في الازراء على « شعرائنا الجدد » وغمزهم والعزل لهم ، رحت انشده مخففا من غلوائه :

لا تزجر الفتيان عن سوء الرعه يا رب هيجا هي خير من دعه(١)

ثم لم نلبث ان اخذنا نضرب في السير حتى ابعدنا ، وكلانا يصرف وجهه عن اخيه ، مواريا دموعا هملت من عينيه جزعا على مصير شعرنا ! ..

(٣)

سألته : الى اي فن من فنون الرثاء تعزو ما رددد شعراؤنا اثر « نكبة حزيران » ؟ االى الندب ؟ ام التأبين ؟ او الرثاء ؟

اجاب : الى الندب !

قلت : لمـه ؟

قال : لان شعراءنا لا يبرحون ينوحون علينا ويبكون « بالعبارات المشجية ، والالفاظ المحزنة ، التي تصدع القلوب القاسية ، وتذيب العيون الجامدة » ولا ينـون « يصيحون مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع » شأنهم في ذلك شأن شعراء الاندلس في عصر « ملوك الطوائف » كلما استخلص الاسبان مدينة ، او ضاعت بلدة ذرف الشعراء الدموع حارة سخينة »(٢) ...

الثانية — دار المعارف .

قلت : او لا يشبه رثاؤهم هذا بداية الرقص والغناء عند الهمجي ؟

قال وهو ينعم النظر في : وما وجه الشبه ؟

قلت : أو ليس الرقص عنـده « انتفاضات رعب وحركات توسل » ؟

قال : بلى !

قلت : او ليس الغناء لديـه « تأوهات وصرخات استجداء » ؟

قال : بلى !

قلت : كذلك اضحى شعرنا في اعقاب « النكسة » شبيها برقص الهمجي وغنائه ، بعد ان اعاره « شعراؤنا » انتفاضات رعبهم ، وحركات توسلهم ، وحملوه ما لا يطيق من تأوهاتهم ، وصرخات « معاناتهم » حتى لقد كادت هذه الظاهرة ان تتحكم لا في نفوسهم فتعذبها فحسب ، بل اوشكت ان ترسخ في نفوسنا فتعذبنا كذلك ! ..

قال كمـن اهمه الامر : وماذا كنت تبتغي مـن « شعرائنا » وتلك حالهم ؟

قلت : كنت ارجو ان يكتموا هذا « الرقص » ويخفوا عبء هذا « الغناء » ويجنبوا عنا هذه المرآة التي لا تتراءى في صقالها صورتهم على حقيقتها فتهيج اشجاننا ، وتسيل عبراتنا ! .

قال مخففا من غلوائي : أتراهم بعد ان اسرفوا في النحيب ، وتمادوا في النشيج ، وامعنوا في سكب الدموع ، يرتضون ان يتخلوا عما درجوا عليه ، والفوه ؟ ثم اردف : او لا يكفيهم « فخرا » انهم احزنوا احياءنا فضجت بحزنهم ارضنا وسماؤنا ، كما احزنوا موتانا ، فضجت بحزنهم قبورهم ؟ أليس ذلك هو القصد من « رقص » الهمجي ، والهدف من « غنائه » ؟

قلت : ولكن تصوير المأساة ، واستثارة الحمية ، او الهاب العواطف ، لا ينحو هذا النحو ، والا واد المأساة ، واضعف الحمية ، واخمد العواطف ؟

قال وهو يغرب في السخرية : حسبهم انهم افلحوا في ذلك ، فلم يميتوا الاحياء فحسب بل خابوا في احياء الموتى كذلك ؟

ثم ما لبث ان مضى وقد خانه تجلده ، وغلبه الحزن والشجن ، وراح يهتف مرددا :

أبديت مثل الذي أبديت من جزع
ولم تجنى الذي اجننت من الم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر
فالآن اقتحم حتى لات مقتحم(٣)

---

(١) — البيت لشاعر قديم ... والرعة : حالة الاحمق التي رضي بها.
(٢) — انظر : الرثاء ص ١٢ و ٤٩ للدكتور شوقي ضيف — الطبعة الثانية — دار المعارف .
(٣) — البيتان للمتنبي ... ابديت : اظهرت .. والجزع نقيض الصبر .. واجن الشيء : اخفاه .. لات : بمعنى ليس ، والاصل فيها لا ، فزيدت عليها التاء (انظر : العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب — للشيخ ناصيف اليازجي ص ٣١) .

دمشق — الروضة — جادة بدر الجمالي سعد صائب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

جورج صيدح كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

منذ شرعت اطل على عالم الادب المتراحب ، في استهلال الخمسينات ، اخذ يجتذب انتباهي ، وانا اقرأ الصحف والمجلات المستقرة بين يدي ، نشاط ادبي محموم ، تعززه اريحية ظاهرة ، يبديهما هنا وهناك ، شاعر مهجري ، لم يسبق لي به عهد ، ولو على صفحات الكتب المدرسية ، حتى لخيل الي انه برز الى الوجود الادبي فجأة ، يدعى جورج صيدح .

ولما صدرت محاضراته ، وقد القاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، في كتاب مستقل ، اطلق عليه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » اكبرت فيه منهج بحثه ، وجدة اسلوبه ، وثراء مادته ، اكبارا جعلني معه احرص على متابعة انتاجه الشعري كفنان ، واستشفاف مقوماته الذاتية كانسان ، على نحو من الانحاء ، من خلال ذلك كله .

ثم ما لبثت دائرة متابعتي لادبه ، واستشفافي لشخصيته ، ان اتسعت لاشاراته اللماحة الى بعض من آراء المستعرب التركي : اسماعيل احمد ادهم ، بصدد تطور الادب العربي ولا سيما المهجري وتجدده ، واستقلال الفنان في رؤاه ومنحاه ثم صلة هذا وذاك ، بتطبيقات العلوم المعاصرة ، خاصة علم النفس .

ببداية علاقتي الفكرية والروحية بشاعر « عبقر » : شفيق معلوف ، في خريف عام ١٩٦٤ ، انتهى الي منه . عنوان جورج صيدح ، هذا الذي نزل باريس ، واجدا بها الاطمئنان المنشود ، متخذا اياها مقامه المحمود ، بعد ان ضاق بغيرها من مدائن الدنيا ، ذرعا .

تلك كانت الفاتحة ...

فاذا انا الج محرابه الهادىء بتهيب وثقة ، واذا هو يجسد ترحابه بي اكراما واعظاما ، مكتسحا كل حدود تصوري وتوقعي .. لعل ذلك كله تمثل في جوابه المؤرخ بالعاشر من آذار عام ١٩٦٥ : « رحبت برسالتك الكريمة النافحة بشذا الادب ، وشكرت عاطفتك النبيلة نحوي ونحو زملائي في المهجر الاميركي معتزا بحسن ظنك بي وبهم . اكبرت همتك في محاولة جمع آثار الدكتور ادهم على قلة المراجع المتيسرة لك . ان القليل الذي عرفته استقيته من كتاب الدكتور محمد مندور « في الميزان الجديد » ودعمت به مكانة الشعر المهجري دون ان اسعى الى المنبع الاصلي ، لان اهتمامي كان محصورا بقضية الادب المهجري لا بأدب كل من شهد له او عليه . مع استعدادي لخدمتك في فرصة اخرى . ابثك تحياتي واخلص تمنياتي » .

هذا كله اغراني بالركون الى توهجات فكره وتفكيره ، ودلالات طيبته وطويته .

وكتحية متواضعة ترهص باللبنة الاولى في هيكل الصداقة الحقة ، تقدمت اليه بمطبوعات واعداد من مجلة « الاخاء » البغدادية ، التي افنيت طرفا من عمري في تحريرها وتطويرها .

على ان دهشة لفت صيدح ، وبصره يصافح مجلة نصفها عربي والآخر تركي .. تتهاوى حياله اطياف وذكريات من الزمن السحيق .. انما ترامت به العهود والحدود عن اللغة التركية ، وقد تعلم منها ما تعلم ، حتى دفعته دهشته هذه ، او بالاحرى اكتشافه كما يرى ، لان يكتب الي في مطلع صيف عام ١٩٦٥ ، من اسبانيا ، اذ يمم شطرها استمتاعا وانتجاعا : « احييك من ارض الامجاد الماضية والآثار الباقية شاكرا لك هداياك التي عرفت من باريس انها وصلت بعد سفري . اما مجلة « الاخاء » فستكون اجمل مفاجأة ابعث بها الى اخواني في المهاجر فأدهشهم باكتشاف ادبي طريف جديد ما كان يخطر في ظنهم وجوده في قلب الوطن العربي . دام لك هذا النشاط المثمر ودام لي رضاك .. » .

على اثره جاءتني منه نسخة من كتابه الموسوعي « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » في طبعته الثالثة والاخيرة .. هذا الذي سيبقى ذلك المصدر الحي الثر الذي يرفد بلا انقطاع ابحاث مؤرخي الادب المهجري : الشمالي والجنوبي ، على ترادف الاجيال .

فما كان لي ، وهذا السفر النفيس ، يتمثل بين يدي ، ان اقف ازاءه مكتفيا بتقليب صفحاته بتلقائية ، او الامعان في مطالعته ، بل كان تقييم عمل الدارس المؤرخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منهجيا ، وانصافه واقعيا ، هو ما بدأ يهيمن على تلافيف فكري طوال ايام ، حتى تمخض عنه مقال نشرته في مجلة « الاخاء » ثم ادرجته في كتابي « نظرات في الكتب » في اواخر الستينات .

وعن للمقال المنشور ان يبلغ صيدح ، اضافة الى مطبوعات اخر منها نسخة من كتابي « من ادب التركمان » .

من غير ان يدع تلك الفرصة الطبيعية ، تفلت من يديه ، حتى يرد : « حياك الله ورعاك ثوابا على تحيتك ورعايتك لي في ما نشرته في مجلة « الاخاء » وفي ما اهديته الي من نفائس الادب مما يعجزني وفاؤه وشكره . ورددت كلمات الشكر لمروءتك واحتفظت في مكتبتي بسفرك الغالي « من ادب التركمان » . اما اعداد مجلة « الاخاء » فقد وزعتها على ادباء نيويورك وسان باولو وبوينس آيرس واتوقع لها اصداء جميلة . ودمت يا سيدي العزيز صاحب الفضل ، وسيد القلم واخا الوداد .. » .

بدأت علاقتي بصيدح تنمو وتتطور .. تزدهر وتتجدد عبر زحف الايام تشحنها بطاقات ورسائل متبادلة .. حافلة بأرق مشاعر الولاء والوفاء .. عامرة بثقة واخوة ، كانتا خير معوان لنا في التوصل الى صيغة بناءة من التلاحم الفكري ، والتفاهم الوجداني .. كذلك يغذيها حوار مستدام وساخن حينا في منازع الدنيا من مجد وأمل .. وفي مباهج الثقافة من اطلالة وارتشاق .

وقد يكون من غير المقبول ان اطوي كشحا عن تأثير المطبوعات والمنشورات ــ وهي زاد العقل والقلب ــ التي كنا نتبادلها دواما بلا كلل وملل ، تأثيرا خطيرا وكبيرا في ترسيخ صداقتنا وضمان مسيرتها على درب الحياة واضفاء الاصالة على واقعها ، حتى لصار اطلاع كل منا الآخر ، على ما كان يجهله ويفضل عنه ، او على ما كان يمكن ان يفوته او يتجاوزه ، لولا صاحبه من شؤون الثقافة وابعادها ، ومسائل الادب وانواعه ، وشجون الخلصاء من الاصدقاء وطموحاتهم امرا مألوفا .. طبيعيا في اغلب الاوقات .

لقد كان صيدح يعنى عناية خاصة بما كنت اهدي اليه من كتب ، ولا سيما مؤلفاتي ، وبما كنت ارسل به اليه من رسائل وبطاقات ، حتى انه لم يكن يتردد في تقييم اي كتاب لي ، من الوجهة العلمية متى ما صدر ، وبمجرد ان تبلغه نسخة منه ، دون ان يتأثر بعامل الصداقة او المداراة .

حين تشرفت باهداء نسخة من كتابي « اعلام من الادب التركي » اليه ، استقبله بتواضعه المحبب ، واقفا منه ذلك الموقف المسؤول ، طارحا رأيه ، سائقا حكمه . حيث قال : « تحيات من القلب ونفثات من القلم ، ابعث بها اليك ساعة فراغي من مطالعة كتابك القيم « اعلام من الادب التركي » . هذا الكتاب يفرض على القارىء الاحترام لانه ثمرة جهد موفق مفيد يصلح نموذجا لادب السيرة بدقة التحقيق ورشاقة التعبير ، ويتدارك نقصا في المكتبة العربية التي تفتقر الى المزيد من المعلومات عن الادب التركي بينما هي تغص بالدراسات عن آداب الامم الاخرى ، ابعد الامم عن العرب ، فان اثنيت على المؤلف فثنائي يخرج عن المجاملات المألوفة في تقريظ الهدايا من الكتب » .

ودارت احوال .. فاذا صيدح يسترسل بعد مراجعته كتابي « كلمات في الرصافي » ناقدا وقائلا : « اما الكتيب « كلمات في الرصافي » فقد التهمته في دقائق معدودات ولم اشعر بسوء هضم لاني لم اجد فيه مادة اضيفها الى معلوماتي السابقة ولكني وجدت ترديدا لراي الاكثرية في شعر الرصافي مع حرارة في الدفاع عنه ، وتعصبا في الدعاوة له . اما المطرب المعجب فهو حسن البيان ، وصادق اللسان . مزيتان يتصف بهما كل ما تكتب وتنشر » .

تجلت سماحة الذات ، وسعة الصدر في اخلاقية صيدح بكل مظاهرها ...

كان يبتاع وفي احايين ، من جيبه الخاص ، كتبا ومصنفات من مؤلفيها ، ليضطلع باهدائها باسمه الى اوليائه واخوانه ، تجسيدا لآيات ولائه لهم ، واعترافا منه بمكانتهم في نفسه ، كما حصل بالنسبة الى كتاب « فلسطين في ضوء الحق والعدل » الذي الفه باللغة الانكليزية هنري كتن ، وترجمه الى اللغة العربية وديع فلسطين ، وكتاب « الادب العربي المعاصر في سوريا » لسامي الكيالي ، و « مصادر الدراسة الادبية » ليوسف اسعد داغر وكتاب « برتوكولات حكماء صهيون » التي ترجمها وعلق عليها عجاج نويهض ، وكتاب « من اعلام العرب في القومية والادب » لعبدالله يوركي حلاق وقاموس « لسان العرب » لابن منظور وغير ذلك .

في حين ان دواوينه الشعرية وموسوعته المهجرية ، كان يسخو بها على كل طالب او راغب .. قريب او غريب ، دون ان ينتظر مقابلا في يوم ما ، او يرجو المثوبة من احد .. اما بريده الادبي الذي يرده دائما من الوطن العربي وديار المهجر ويحيره في الوقت نفسه بضخامته ، فكان يسوقه الى معارفه وصحابه ويوزعه عليهم وهم في اقطار شتى ، اعزازا لهم وايغالا في اطلاعهم على ما استجد في مضامير الثقافة والصحافة ، بعد ان يكون قد عرج على هذا البريد واحاط به من كل جانب ، وافاد منه الى اقصى حد ممكن .

ثم اذا اتفق ان ادركت صيدح هدية ما من واحد من عباد الله ، قابلها بالضرورة بأحسن منها ، واذا صادف ان تلقى رسالة او مطبوعا من زيد او عمرو ، اجاب عنه سراعا وبأكرم منه دون ان يتريث او يتعاجز الا لضرورات هي فوق ارادته .. اتذكر كيف بعث الي في اواخر عام ١٩٦٩ حول قضية ادبية كانت تنتظر حلا حاسما منا ، بثلاث رسائل في خلال اربع وعشرين ساعة مما اسلمني الى موج من الدهشة والذهول .. لا لشيء الا لانه يأبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاباء كله ان يمسي المقابل اكثر تأدبا منه ، واكبر احسانا .. تلك فطرته .

وما اعرفه اوفر واعمق من هذا ...

صيدح كان شفيقا بأصدقائه الاقربين اليه .. حفيا بشؤونهم وشجونهم .. حريصا على مشاطرتهم ما هم فيه ، يواصلهم بمسراته ويناصرهم بمآثره ، ويناجيهم بلسانه وجنانه ، بباعث من شمائله الغر .

ولئن كان لصيدح اياد متتابعة على اوليائه واحبائه ، فما لا انساه ، ولا يمكن ان انساه ما حييت — اقول هذا للتاريخ والحقيقة — انه اسهم مشكورا في طبع كتابي « شخصيات من الادب المعاصر » الذي قامت مجلة « الضاد » الحلبية باصداره ، وقدم له صاحبها عبدالله يوركي حلاق بدراسة مستفيضة رائعة .

حري بالتنويه بأن كتابي هذا حوى فصولا تحليلية وتعليلية عن عشر شخصيات شهيرة في الوطن العربي والمهجر ، منها فصل بـ « جورج صيدح من خلال شعره » .

والظاهر ان صيدح ازمع على تلاوة الكتاب حين تلقاه من بدايته الى نهايته ، وهو راقد في احد مستشفيات باريس ، حتى دعاه ذلك الى توجيه رسالة مستعجلة الي بالرغم من نصيحة الطبيب له بالامتناع عن كل مجهود فكري وعضلي .. قال : « اما دراساتك فعلى العموم موفقة مركزة يفيد منها العالم والجاهل ، معلومات عن الشخصيات المذكورة ، مشهورة كانت او مغمورة . لاحظ ان المغمور عندي مشهور عند سواي . فأنا انتفعت من فصول قد لا تنفع غيري ، لاني كنت اجهل قيمة حسين فوزي وابراهيم نجا وحسين المصري مثلا ، بينما اطلاعي على آثار الادباء الآخرين يتجاوز بالسعة ما كتبته انت عنهم . اما الفصل المكتوب عني فلا يعيبه الا خلوه من اشارات تضع القارىء في جو القصيدة ، الذي عاشه الشاعر اثناء نظمها ، ومن يقرأ الشواهد المذكورة من شعري دون ان يعلم مناسبتها يستهجنها ويملها . اما لو عرف ان هذه المقطوعة نظمت لابنته الواقعة تحت مباضع الجراحين وتلك نظمت في الباخرة التي تنقل المهاجرين العرب الى مجاهل اميركا وتقاوم عاصفة تكاد تقضي عليهم وتلك ينظمها الشاعر امام شلال نياغارا ، وتلك قالها امام بحيرة ليمان ابان منفاه ، لاختلفت نظرة القارىء الى الشاعر والى المعلق » .

ويترامى الى صيدح انطوائي على ذاتي ، اهدهد ذكرياتي واعلك اشجاني ، لوفاة والدي وقد تركني وحيدا في معترك الحياة ، بعد ان علمني كيف اتسلح بالايمان .. بالعلم .. بالشجاعة .

فاذا هو يشاركني لوعتي مخففا من وطأة الخطب والفجيعة .. : « حزنت لحزنك وتعذبت لعذابك . كأني رافقتك في السفر الشاق ، ووقفت معك على قبر الوالد المرحوم المبرور ابكيه بمدمعك وارثيه باسم النبالة المتسلسلة من الجذع الى الفرع ذاكرا من حسناته ما اعرف دون ان اعرفه . وهو النسل الصالح المتمثل فيك وفي اولادك . دمت لهم وداموا لك عوضا عن الغالي الذي فقد وسلوة ترفه عنك مرارة الحياة الدنيا . وهذه الكلمة اليوم ليست الا مجرد عاطفة ترتسم على الورق لترى فيها مشاركتي لك في حدادك ومؤاساتي لزوجتك واولادك .. » .

ثم يزور ناجي جواد : السندباد العراقي المعاصر ، سويسرا كعادته في صيف ١٩٧١ ، فيتواصل عرى الفكر والوجدان بينه وبين صيدح ، نزيل باريس على اجمل ما يكون ، وهل تمثل ذلك كله الا في ما تبودل بينهما من بطاقات ورسائل .. ولكن صيدح يأبى الا ان يصبح ذلك القرين الثمين الذي يتدفق ما يسوقه مناغاة دافئة ، واشواقا عائدة .. وذكرا حميدا ..

اناجي الود في (ناجي الجواد) واسمع منه ما يهوى فؤادي
والهج بالسلام على صديق (وحيد) في الخصال وفي الايادي
ولا انسى (الخليلي) المفدى وهل تنسى غواديها البوادي

من بعد ذلك ، يصدر كتابي « مصطفى جواد : فيلسوف اللغة العربية ، وخططي بغداد الفرد » وابعث منه بنسخة الى صيدح هدية مزجاة ، فما منه الا ان يحتضن الكتاب احتفاء به ، وتكريما لصاحبه ، ثم يفزع اليه قارئا فاحصا توطئة لان يكون له فيه رأي بلا رياء ، حتى يزجي الى تحيته المشرقة بلا تكلف : « متعتني بكتابك عن المأسوف عليه : مصطفى جواد . فطيبت نفسي كما طيبت ذكره . وهي اطيب من كلمة ثناء على العاملين المخلصين ومن بادرة وفاء للراحلين الخالدين .. وليست هذه اولى المرات التي يتجلى بها بيانك الصراح بكل رشاقته واناقته في تاريخ سيرة جليلة لعالم جليل مثل مصطفى جواد : « قاضي اللغة العربية وشاهدها ومحاميها » . فقد تعددت آثارك ومآثرك من هذه الناحية ولكن مبرتك اليوم هي في نظري انفع المبرات تحاول فيها تعميم الفوائد التي اقتبستها من استاذك على جماهير من القراء انصافا له وخدمة لهم وقد توفقت في المسعى وبلغت الغاية بهذا الكتاب ، فحق عليهم شكرك والاعتراف بفضلك وانا اولهم .. » .

عبر العام ١٩٧١ نشر الشاعر القروي في مجلة « العرفان » اللبنانية مقالا — لم يكن له داع — نقد فيه صيدح بشدة ، لتغييره سهوا لا عمدا ، بعض الكلمات في ابيات شعرية له ، حين تناوله بالدراسة والبحث في كتاب « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » ، وقد مر على صدور طبعته الثالثة والاخيرة اكثر من سبع سنين ، من ما اثار حفيظة بعض النقاد والادباء على الشاعر القروي ، ناهيك بانزعاج صيدح منه الى انأى الدرجات .

تأكيدا للحقيقة الواقعة ، ووضعا للامور في نصابها رددت على الشاعر القروي بكلمة نشرت في صحيفتين

عربيتين ، ومجلتين مهجريتين(١) ، ما ان قرأها صيدح ، حتى بادر الى شكري بقوله : « عافاك الله وبارك لك في خلقك الرفيع وقلمك البديع . مقالك الموجه الى القروي آية في الاخلاص والانصاف من حيث العاطفة الاخوية وتحفة في التفكير والتركيز من الجهة البيانية . ان امثالك في الحمية والمروءة قليل . وكلهم يغنونني عن الكثير من الاصدقاء الادعياء ثم يستطرد : « ردك على المتحامل موفق كل التوفيق من حيث اللهجة والصيغة والشمول في ما قل ودل من الكلام » .

اذا كان صيدح قد اعجب بردي على القروي ، فانه كما تحقق لدي ، لم يكتف بذلك ، بل عمد في ما بعد الى نظم قصيدة حادة اللهجة صارخة الصورة ، اهداها الى القروي ، ساكبا فيها هواجسه الثائرة ، مشرحا بها بعض شعراء المهجر وادبائه الذين رموه لسبب او لآخر ظلما وعدوانا ، وقدحوا في موسوعته حقدا وحسدا . يقول في المقطع الثالث من قصيدته هذه :

أيا قلمي ان اضعت الرشاد ... فعذرك اني اضعت الرشاد
غمرت بحبي متاهات سربي ... أحيي المغاني واسقي البواد
فلم يرض عني طويل الذنابي ... ولم يعف عني طويل النجاد
وهبني رفعت الثرى للثريا ... فلست بمعطيه ما قد أراد
فمالي أحرك مستنقعات ... ضفادعها لصقت بالسماد
توهمت ان ديوك بلادي ... طواويس تعجب كل البلاد
فكذبني ريشها المستعار ... وكذبني نقها المستعاد
وشر البلية ان الغرابين ... تغدو شواهين غب المعاد
تبيت غدرا فتصمت دهرا ... وتنعق شهرا وشرق زاد
مزاعمها أنكرتها العقول ... ولو كان زاعمها « السندباد »
فلو شهرزاد روت ما روى ... لقلنا : قد انتحرت شهرزاد

من هنا خرج الشاعر القروي من صمته « المألوف » فأجاب عن قصيدة صيدح العنيفة بمقال(٢) كله عتبى وشكوى ، وضمنه تعريضا بي وبمشايعيه .

غير اني ، وقد بلغت الحال هذا المدى ، لم ارد ان اقف متخاذلا ، سلبيا ، بل افردت مقالا مسهبا جاعلا عنوانه « الشاعر القروي على حقيقته » ، لم يتح له النشر في حينه ، لعوامل كانت خارج الارادة ، في الوقت الذي وجه فيه صيدح الي ، على لسان انيس بقلة — وهو احد ادباء المهجر المغمورين — مقطوعة شعرية ، هذا مطلعها : (لان الاديب تعتذر عن عدم نشرها)

أفتيت صيدح يا وحيد الدين ... والآن دوري جاء ، هل تفتيني ؟

وتعاقبت السنون .

ونحن في شد وجذب من حيال الفكر .. اقبال وادبار من مرارة الحياة .. اخذ وعطاء من طبيعة الاشياء .

فاذا عيسى الناعوري يخرج على القراء بطبعة جديدة — وهي الثالثة — من كتابه « ادب المهجر » ، وقد حذف منه واضاف اليه .. عدل في بعض الموضوعات وبدل .. شذب هنا وهذب هناك .

وفي موضوع « جورج صيدح » اشياء جديدة .. وصف بها الناعوري شعره الجديد بالعنترية والخطابية والركاكة والنثرية وما الى ذلك ، من ما قام له صيدح ولم يقعد ، هائجا ثائرا ثورة تكتسح اي شيء .. وتنتهي على المدى القريب الى قصيدة قاذعة في هجو الناعوري ، لعلي اعود اليها في مناسبة اخرى .

على انه لم ينصر لصيدح في محنته التي نالت منه منالا الا بعض من اصدقائه الادباء والشعراء في الوطن العربي والمهجر ، بينما لسبب او لآخر تخلى عنه الآخرون ممن كان يعول عليهم ويثق بهم ويعتمد عليهم ، حتى عاتبهم ولامهم تلميحا وتصريحا عبر الرسائل المتبادلة ، وعلى صفحات مجلة « الاديب » اللبنانية .. بالذات .

بيد انني عندما لم استطع ان اهضم الاهانة الادبية الكبيرة التي حاول الناعوري الحاقها بشخصية صيدح ، وهو العليل المعتكف بدارته الغريبة يصارع الموت الزؤام في اخريات ايامه ، كذلك عندما لم استطع ان استسيغ المطاعن الحادة التي اراد الناعوري ان يسددها الى شعره الجديد اسرعت في الرد الايجابي عليه بمقال(٣) مندد بمزاعمه .. مفندا ادعاءاته .. منتصرا بالتالي للحقيقة .

من هنا فاجأني صيدح برسالة شكر وتقدير مؤرخة في ١٩٧٧/١١/٢٣ ، منوها بما توخيث دحضا للباطل ، وانصافا له . ها هوذا يقول بالحرف الواحد : « لست وحيدا باسمك فحسب بل انت وحيد في انسانيتك وفي اريحيتك وفي وفائك لخلانك وفي تلبية الفورية لاعوانك ما اكبر همتك واسرع نجدتك . ما كدت تعلم بافتراء كاتب على اخيك حتى نشط قلمك البارع لرده الى حدوده ببيان مهذب مؤدب يعطيه درسا في اللباقة القلمية بينما يلقمه احجارا منطقية لا يستطيع دفعها بخرافاته (...) والاغرب انه لم يزل يراسلني متشوقا متحببا كأن لم يرتكب اذا في حقي ، ولم يخن عهدي بطعنة في ظهري فجاء مقالك يكشف (...) ويغنيني عن الاسترسال بالدفاع عن نفسي امام القراء .

في نهاية عام ١٩٧٧ نشرت لي مطبعة « بلادي » بسان باولو بالبرازيل كتابا حاملا عنوان « فيليب لطف الله : شاعرا وانسانا » ، وتولت اهداء نسخ منه الى كثير من شعراء العروبة وادبائها في الاقطار العربية وعالم المهجر ، رغبة مني في اطلاعهم على ما استجد هنالك ، وتقديرا لما لهم من مواقع في نفسي .

وكان صيدح اول من كتب الي بتسلم الهدية الادبية

---

(١) — « الحياة » اللبنانية — العدد ٨٢٣ — ١٩٧١/١٢/٢٢
« حمص » السورية — العدد ٩٩١ — ١٩٧٢/١/٢٨
« المراحل » البرازيلية — العدد ١٦٣/١٦٢ —
« الحياة الجديدة » — العدد ٢ — شباط ١٩٧٢
(٢) — « حمص » السورية — العدد ١٠١٧ — ١٩٧٢/٨/٤
(٣) — « المراحل » البرازيلية — العدد ٢٥٧ — كانون الثاني ١٩٧٨
« الانباء » البرازيلية — العدد ١٤ — كانون الاول ١٩٧٧
« العرفان » اللبنانية — العدد ١ — كانون الثاني ١٩٧٨

من الناشر مباشرة معتزا بما اديته واؤديه من اجل الادب المهجري وتقييم مساعي اقطابه الفكرية والشعرية .. ثم الانسانية ، وموشحا ذلك كله بقصيدة من الطف ما نظمه :

الشاعر الانسان لطف الله — عزت شمائله على الاشباه
في ثوبه نوح وفي وجدانه — روح مرفرفة على الامواه
سارت شوارده تسابقه كما — دارت محامده على الافواه
ان جاز اشواط المنى نحو الغنى — ما كان بالعاتي ولا التياه
الطائر الحاكي تطرب باسمه — والابلق الفرد انحنى للجاه
اصبى (وحيد الدين) فهو متيم — متلعثم بالاه تلو الاه
اثنى على قيثاره ثم انبرى — يثني على ديثاره الرهراه
غيبت في ذهني سطور كتابه — لم انسه الا عن مرام الساهي
افدي المكرم والمكرم حبرا — عقلي باي الصاحبين اباهي
باركت حظي منهما ، واليهما — أرنو ، كان الفرقدين تجاهي
الله كم خلفت في دار النوى — من آمر في اصغري وناه
ولو استطعت خرجت من شيخوختي — أسعى الى ايوان ذات « الشاه »
ان اللطاف التائبين عن الطلى — لن يسكروا الا بلطف الله

منذ ربع قرن بدأت تتعاور صيدح امراض الشيخوخة حتى كبلته ثم أردته .

فقد المع الى هذه الظاهرة الكائنة في مطلع السبعينات مخاطبا اياي : « ثنيت مكرمتك بالكتابة الي ولما ارد على رسالتك الاولى ، كأنك عرفت عذري قبلما اصرح لك به ، فانا منحرف الصحة ، معتكف في منزلي بسبب مرض قديم ينتابني منذ عشرين عاما واعالجه بالمداراة او بالجراحات حتى اشتد وطؤه علي كما هو حالي اليوم . فللمرة العاشرة في باريس يحكم علي الاطباء باستئناف العملية لتنظيف المثانة وتحرير المجرى البولي . الخطر ليس في اهمية الجراحة بل في وقع التخدير على قلب يخفق متعبا منذ ثمانين عاما ، ويتعرض للمباضع خمس عشرة مرة منذ ١٩٥٣ » .

من هنا اكترب صيدح نفسا .. فساءت حالة وتلاشت احلامه ، وان لم يضؤل نشاطه العقلي وينضب عطاؤه الروحي ، وان لم تتقيد ايضا حركاته وسكناته .

ان حالة من القلق على صيدح والتأثر له ، قد انتهبتني على نحو دعاني معه الى تفقد وضعه الصحي العام في كل ما ابعث به اليه من رسائل ومطبوعات ، بالرغم مما كنت وما فتئت اعانيه من وطأة الضغط الدموي العالي ، واوجس خيفة من الطارئات عبر الايام والاعوام .

غير ان صيدح لايمانه العميق بقسمته في الحياة الدنيا ، وتقبله اي شيء في واقعه برضى وهدوء ، كان يسليني ويلهيني في مكاتباته الطريفة الواقعية ، وهو راضخ لمشيئة القدر ، منتظر ساعته الاخيرة .. يقول في رسالته ١٩٧٥/١/١٠ : « شكرت اهتمامك بصحتي . فاني على حال لا تشكر ولا تذم . اعالج عجزي بالترويح عن النفس واخدر اوجاعي بأوهام المعالجات الشافية وهي غير كافية لدفع الداء ومنع القضاء . كل هذا رغم اعتلالك الذي شغلني عليك اكثر من انشغالك علي . لان مرضي طرا في اوانه المنتظر لرجل في سني ، اما مرضك فيستلزم العناية القصوى لكي تبرا قبل ان يزمن . ولو حبست القلم موقتا وارحت اعصابك من هموم الحياة الى ان تستعيد العافية الكاملة ثم تحرص على الوقاية المستمرة لكان انجع من علاج الطبيب » .

هكذا اخذت الشيخوخة تقوده بسكينة الى مصيره المحتوم من جانب ، وتكثف الدنيا من حواليه قتامة من جانب ثان .. على انه ركز على ما جعل يشغل باله ويرهف حسه ويرغبه في معانقة الموت في رسالته ١٩٧٦/٩/٢٨ : « كنت قبلا تحدثني عن مرضك بالضغط الدموي ، فأخالك الآن مشغولا بما هو اهم . اسأل الله ان يريح بالك بعافية زوجك وعيالك ويرد البهجة والطمأنينة الى قلبك . اما انا فعبثا احاول رد العافية الى الجسم المتهدم المتألم . فكلما داويت جرحا سال جرح . وفي مثل سني كل يوم يأتي نوع جديد من الامراض والاعراض . فأحار ايا فيها اعالج . وتصبح امنيتي الخلاص من ربقة الحياة ، ما دامت عزلة وعقما وآلاما تفرضها الشيخوخة على طويلي الاعمار فتجازيهم جزاء سنمار .. » .

وفي اوائل عام ١٩٧٧ سقط صيدح وهو يعالج كعادته في مصح ناء سقطة مشؤومة مروعة كسرت عظما في فخذه وطرحته مسجى على الفراش ستة اسابيع ثم حملوه بعدها الى دارته بباريس في سيارة اسعاف . هناك واصل العناية وشرع بالتمرين على الحركة ثم على الخطو حتى صار يمشي خطوات بلا الم متكئا على عصاه ، مع الصبر على المحن .

هنا بادر بالرد علي في ١٩٧٧/٤/٢٦ بعد ايغالي في التطلع الى اخباره السارة وغير السارة والسؤال عن انقطاعه المريب . فقال : « في تلك الظروف توالت على رأسي صدمات النعوات من سان باولو فحطمت مناعتي الباقية وسلمتني الى الهاوية رغما عن ذلك نظمت في السرير رثاء فرحات ومعلوف كما ترى ، الامر الذي سحق عواطفي ورسم التشاؤم والجهامة على افقي اصبحت زاهدا في الحياة منطويا على نفسي لا استقبل احدا في بيتي » .

مع هذا فاننا لو تركنا الامراض التي طفقت تتألب على صيدح في اعوامه الاخيرة لرأينا ان رحيل اصدقائه من شعراء المهجر وادبائه وغيابهم الابدي عن الوجود ضاعفا شدة الامراض عليه،وضخما ارزاء الحياة المتلاحقة والمعتادة حياله ، وزادا نيران القنوط والآلام اشتعالا في اغواره . انظر اليه في رسالة له محررة في ايلول ١٩٧٧ ، وهو يصرح : « فقدت اربعين صديقا من ادباء المهجر منذ عودتي وما زالوا يتساقطون كأوراق الخريف :

تشيعهم عيني وكفي على قلبي — احاذر ان يستله الوجد من جنبي
تململ ما بين الجوانح سائلا — على وجل — ما للجوانح في حرب
وما لبنات الدهر راشت سهامها — على اجدر الاحياء بالعيش في رحب
تغير على الصدر الطعين وتبتلي — اخا الجسد العنين والقلم الخصب
لي الله : كم صحب تولوا ولم ازل — —على الرغم مني— لا اولي مع الصحب
وقفت بأزهاري على دربهم عسى — ارى بعضهم يوما وقوفا على دربي

ثم ان صيدح ضمن مرثيته لشفيق معلوف ، وقد اهداها : الى اخوانه في البرازيل احياء واموانا هذين البيتين :

يا ابا « عبقر » احسك قربي فاحيني نبوغك العبقريا
في حياتي سبقتني ومماتي عفوك الآن فالتلاقي تهيا

لكنه في ما بعد بقليل ، باغتني برسالة ، يطوف عليها طيف ماء من تفاؤل ، اذ يقول في رسالته ١٩٧٧/٥/٢٨ : « حالتي الصحية محتملة لا مكتملة والله اعلم بما في الغيب القريب من فرح او ترح ينتظرني . اني في دوامة العلل والمعالجات لا احسد طويلي الاعمار على اوضاعهم بل اعتقد لو خيروا لاختاروا الرحيل هربا من العذاب الطويل . امري وامرهم لله لا يحمد على مكروه سواه .

ثم يستطرد قائلا : « وجدت اني لم انظم في هذا العام سوى رثاء فرحات ومعلوف في قصيدة واحدة ثم اضفت حاشية اخيرة لها :

راح فرحات ثم معلوف قبلي رب هب لي آن اسبق « القرويا »

اما هذا البيت فيصور منتهى القنوط الكامن ويعبر عن الاصرار العجيب على وداع الدنيا : ما فيها ومن فيها .. ما لها وما عليها .

ومن الطرافة بمكان ان وديع فلسطين الذي طالما يخلط الجد بالهزل امعانا في التأثير والتكثيف ، علق على هذا البيت بقوله لصيدح : « الاعمار بيد الله . وانني قد اكون سابقا عليك انت والقروي والعجاج في « الرواح » . ولكننا اذا تأملنا الامر من ناحية الفائدة الادبية راينا ان القروي لم يرث فرحات ولا هو رثى معلوف بل لم يقل حرفا في المهزلة الاجرامية في لبنان . وهو بالتالي لن يرثي « صيدحا » اذا ما ازمع الرواح . فمن مصلحة الادب ان يبقى صيدح لكي « يقوم بالواجب » مع القروي ومعي حين يتجهم لنا عزريل » .

رسائل صيدح في عامه الاخير ١٩٧٨ باتت تتواتر ، وهي تنطوي عموما على اخبار غير سارة عنه . تدعو الى قلق متزايد عليه والتفات بالغ اليه .. ومن ما قاله في رسالته ١٩٧٨/٤/١٦ : « عدت من رحلتي الاستشفائية خائبا وهل يصلح العطار ما افسد الدهر . ولكني مستسلم لمشيئة ربي ، مستعد للرحيل الطويل بلا بكاء ولا عويل . لا يجدي خيال في مثل ازمتي ولا حيلة الاطباء ترد سني الى الوراء . المعيشة في بيتي او في المصح سواء . لا ابارح الغرفة هنا او هناك فعلام السفر والعناء » .

وعلى تواتر هاته الرسائل وضآلتها اتسمت بالايجاز والايحاء .. واذا ما تصرم شهر انهى الي صيدح ما كان يخالج خواطره الحزينة ، كما لو كان قد احس بعقله الباطن ، ان نهايته اقتربت ، وان موته قاب قوسين او ادنى .. « الآن اصبحت الكتابة عسيرة علي وقانا الله ما هو اقدح » .

والانكى من هذا الذي حدث ، تناهى الي منه بعد فلال من الايام : « اني لا استطيع الاستمرار في المراسلة الى ان يقضى الله امرا كان مكتوبا واسلم لاخيك .. » .

فما كان مني الا ان اوثر السكوت والانتظار على غير عادتي تحقيقا لرغبته ، وتفاديا لمضايقته واحراجه .. ثم رأفة بحاله الميؤوس منها .

مع ذلك ، وبلا ادنى توقع ، بوغت في ظهيرة الخامس من حزيران ١٩٧٨ برسالة مطولة من صيدح ، سرد بها : « .. كنت اتوقع من طبيبي اليوم السماح لي بالنزول من سريري الى الشارع ومنه الى البريد القي فيه رسائلي مع رزمة وضعت فيها كتابا ضخما اتاني من الدكتور عدنان الخطيب واعجبني مضمونه ، فآثرت ان تطلع عليه . آمال ذهبت ادراج الرياح . منذ ذهذا الصباح . لان الطبيب حكم علي بتمديد العزلة في عقر بيتي بعد الفحص الدقيق فلا امل بالافلات من سجني الا بعد الفحص القادم . عسى تكون النتيجة ارحم واكرم .

واليوم اضطررت بأن اكلف قرينتي بحمل الكتاب مع رسالتي الى مصلحة البريد امعانا في تحميلها ما لا يحتمل من شؤون معالجتي ليلا ونهارا ، ولكن هل في وسعي حيلة اخرى .. ومن كتبت عليه خطى مشاها ، دون ان يعلم منتهاها .. » .

وتلك كانت الخاتمة ...

* * *

في عصر يوم الجمعة العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٨ ، وهو اول ايام عيد الاضحى المبارك .. هاتفني يعقوب افرام منصور ، مزجيا الي بادىء بدء تهاني العيد ، ثم منهيا الي بهدوئه المعهود نعي صيدح ، وقد ادركه من احد اصدقائنا المشتركين .

بهت في مكاني لا اريم .. فاذا الكلمات على لساني ، واذا موجة من الكآبة والصمت تتلبسني .

وفي اليوم الثاني زرت جعفر الخليلي بمناسبة العيد ، فتساءل في غمرة الحديث اما جاءك نعي صيدح ؟ !

— بلى .. امس .

ومن ثم نعاه الي وديع فلسطين برسالة موجزة مستعجلة تقطر اسى واسفا .

هكذا تناهت الي وفاة صيدح .. لكن بعد شهر .

وابكيه واحزن على وداعه الابدي حزنا هو دائم متجدد .. وسيطول حزني عليه .

لقد كان انسانا قبل ان يكون فنانا .. في ذمة الرحمن يا انبل الخلان .

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

الحب الاول

*

مضت عشرون عاما يـا حياتي ... وطيفك في دمي في كنـه ذاتي
عيونك لا تـزال تـرف حولي ... نجومـا في الليالـي الحالكات
وثغرك بـارق البسمات جـرح ... بقلبـي نـازف أبـد الحيـاة
وشعرك لا يزال يلـف عمري ... كليـل مطبـق فـوق الفـلاة
وروحك لا تزال تبـث روحي ... حديثـا خافتـا كالمبهمـات
حـوار بيننـا لا زال يجـري ... كأنـا لا نـزال علـى صلات
حـوار عيوننـا لمـا تناجـت ... بتلـك الامسيـات الحالمـات
حـوار قلوبنا مـن غـير نطق ... سوى خفـق العروق النابضات
لغـات بيننـا شتـى تعالـت ... على كـل الحروف من اللغات
حديـث يهمس البسمات فيـه ... فنصغـي للشفـاه الهامسات
حديـث تشرق الاعماق فيـه ... بـآلاف النجـوم النـيرات

هوانـا لا يـزال بـه صبانا ... جديـدا كالـورود الناضـرات
سنين مـا درينا كيف مـرت ... كلمـع البارقـات الخاطفـات
احقـا مرت العشرون تتـرى ... علـى تلـك الليالي الدافئات
ومجلسنا وتبـغ أبيـك يعلـو ... بأنفـاس المسـاء العاطـرات
وأمـك في حكايـات الاماسـي ... سرت بـين القصور الشامخات
ونختلس التناجي مـن عيـون ... تغيـم بدمعهـا كالمجهشـات
ونستـرق ابتسامـات عذابـا ... كأزهـار الربيـع الناديـات

رنـوت الـي في شغف حزين ... بأعينـك الظمـاء الذابـلات
بليـل سوادها لمعـت أمانـي ... نجـوم عوالمـي في خاطراتـي
أمانـي عمرنـا الآتـي بانـا ... سنسعد في زمـان فيـه آت
أتى يـا حسرتي ومضى غبارا ... علـى وجـه السنين الغابرات
حلمنـا بالحيـاة معـا وعشنا ... خيـالا في الليالـي المؤنسات
وكانت يومهـا الاقـدار تلهـو ... وتسخـر بالامانـي المقبـلات
تسجل عكس مـا نبغي فراقا ... طويـلا كالليالـي الدامسـات
فراقـا بعـده العشرون قامت ... كأطـواد ضخـام عاتيـات
فراقا لـم يكـن فيـه لقـاء ... سـوى أحـلام ليـل زائرات

مضت عشرون عاما يـا حياتي ... وغض هواك يـورق في مواتي
وتسري نسمة الحسرات فيـه ... فتسقط منـه أعـذب امنياتي
خريفي لا يـزال بـه ربيعـا ... برغـم عواصف مـن كارثاتي
أفيء الـى الظلال بـه وأفنى ... بلحظات الهنـا مـن ذكرياتي
وحبك مـن شراب الخلد اجلو ... بـه طعم المصائب مـن لهاتي
أعيش علـى بقايا مـن غرام ... ستحيـا في بقايا مـن رفاتي

نزيل السعودية — علـي دمـر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المربية القومية
وداد المقدسي قرطاس

١٩٠٧ ــ ١٩٧٩

بقلم عجاج نويهض

* * *

يوم امس في التاسع من نيسان ١٩٧٩ فقد فن التربية الوطنية الصحيحة للبنات والبنين ، استاذة رائدة ، عربية لبنانية ، عالية الطبقة والمستوى ، امتدت شهرتها الى كثير من الاقطار العربية لسببين : اولا لما فطرت عليه من الاخلاق الرضية الممتازة ، ارثا وانسيابا اليها من والديها ، المربي المشهور في الجامعة الاميركية الاستاذ جرجس الخوري المقدسي ووالدتها الجليلة . وثانيا لعكوفها على ممارسة رسالتها اكثر من اربعين سنة شوطا واحدا ، منذ ١٩٣٣ ــ ١٩٧٤ في « مدرسة البنات الاهلية » في بيروت . وهي زوجة الاستاذ اميل قرطاس ولهما ثلاثة شبان وفتاة .

واليوم في ٢٠ نيسان سار موكب جنازتها المهيب من مستشفى الجامعة الى برمانا في الجبل حيث صلي عليها ودفنت في مثواها الاخير رحمها الله .

ولسنا نبتغي بكلمتنا هذه استيفاء سيرتها مفصلة ، وانما نقتصر على نواح من شخصيتها المليئة علما وادبا ، وحكمة وخبرة ، ولدينا مذكراتها التي طبعتها قبل نحو ١٧ سنة وهي مذكرات واعية غزيرة الملاحظات الطيبة ، تسري فيها الروح القومية العربية بغزارة . والفقيدة اهل لان يشملها التكريم على اوسع نطاق ممكن ، وتقام لها حفلات التأبين ، واول ما يتبادر الى الذهن من تخليد ذكراها وضع سيرة وترجمة لحياتها توضع بأيدي الناس والنشء من بنات وبنين ، وخاصة بأيدي المهتمين بأمور التربية والتعليم في لبنان ، وجدير برسمها ان يرفع في قاعة دار الكتب الوطنية اللبنانية . وقد مضت هذه الفقيدة العاملة الى رفيقاتها اللواتي رفعن مشاعل النهضة النسوية ، وكثير منهن كن يزرنها في المدرسة ، من سلمى صائغ صاحبة كتاب « النسمات » ، وماري عجمي صاحبة مجلة « العروس » ، ونازك العابد زوجة المؤرخ الاستاذ جميل بيهم ، وهي رائدة بخدماتها الوطنية الاجتماعية في دمشق وبيروت ، و « مي » زيادة حادية القافلة ، وجوليا دمشقية صاحبة مجلة « المراة الجديدة » ، الى غيرهن كثير . وتنضوي اليوم الى هذا الرعيل النسوي العامل المبارك ، فقيدة التربية ، الرائدة الماهرة ، وداد المقدسي قرطاس ، فلها لواء في التربية الوطنية هي حاملته .

عرفت السيدة وداد منذ ١٩٦٠ بعيد عودتي من فلسطين والاردن الى لبنان ، وهي مديرة « المدرسة الاهلية للبنات » معرفة لا سطحية عابرة بل عميقة واسعة . وكنت كلما ازددت علما بعناصر شخصيتها الكاملةكنت اكتشف مناحي في هذه الشخصية المتأثرة كثيرا بالهدى الذي كان يأتيها من ابيها الاستاذ جرجس المقدسي ، وكان رحمه الله مثلا اعلى في العلم الصحيح الخالي من التأويلات الفارغة ، وذا بساط واسع فريد في نقي الحديث ومختاره ونكتته ، وكل مؤلفاته تدل على هذا ، وتلامذته في العالم العربي يعدون بالمئات او بالالوف . وبعد ان جعلت اعرف الفقيدة بقليل ، اصدرت مذكراتها الانيقة الجميلة الترتيب جدا ، « دنيا احببتها » في ٢٢٨ صفحة بحجم واف وطباعة متقنة وغلاف فني . ويهمني ان اعلم القارىء الكريم بكل حرص ان شخصية المؤلفة انبثت في صفحاتها وعباراتها انبثاثا عجيبا ، فاذا كان الاسلوب والطريقة هما صورة ذهن الكاتب ، فالسيدة وداد قرطاس صفحاتها « لوحات » ذهنها في اي باب كان . فهي صادقة مع نفسها ، مع الميراث من ابيها وامها ، مع كل افكارها وآرائها .

وكما يؤخذ من تسجيلاتها في مذكراتها هذه المفعمة بالبراءة ، انها بدأت تستيقظ استيقاظا وطنيا قوميا عربيا ، وانسانيا منذ الحرب العالمية الاولى . فقد ولدت سنة ١٩٠٧ ، ويؤخذ من كلامها هنا وهناك ان مما اقتبسته من والديها الفاضلين ، النظر الى الانسان ، كائنا من كان ، من حيث هو مخلوق بشري انساني ، قبل النظر اليه من خلال حواشي العقيدة الدينية . واستطيع ان اقول ان الفقيدة استفادت هذا من والديها استفادة الطالب من الدرس الذي يستقر في ذهنه منقوشا ، فتأخذ هذا منهما عن طريق الملاحظة المناسبة مع الرغيف والماء صباح مساء ، وفي الغدو والآصال ، والحل والترحال . ولذلك كانت السيدة وداد تفهم عوارض المجتمع فهما علميا ، لا مؤولا بالعادات والتقاليد التي لا تلتئم مع حكم العقل . قالت في ص ١٦ و ١٧ ما ارى ان انقله بحروفه كما يقولون :

« سكن في حينا (رأس بيروت) اثنان اسم الواحد خليل والآخر حسن . كانت والدتي تبتاع اكثر لوازمها من حسن ، فعاتبها خليل قائلا : أتتركين ابن مذهبك وتشترين من الغريب ؟ فأجابته : ان ابن مذهبي هو من يخاف ربه ، وعنده ذمة ووجدان » . ثم قالت صاحبة المذكرات السيدة وداد ، ويظهر انها في ذلك الوقت كانت لم تزل في سن النشأة : « فاستفسرت من والدتي اذ ذاك عن كلمة « ذمة » و « وجدان » فأجابت هذا امين ، وذاك يتلاعب بالاوزان » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقيدة من متخرجات الجامعة الاميركية سنة ١٩٣٠ بشهادة ب.ع ثم تخرجت من جامعة ميتشغان (اميركا) بشهادة م.ع ثم تسلمت ادارة المدرسة سنة ١٩٣٣ حتى ١٩٧٤ اي ٤١ سنة شوطا واحدا في مضمار التعليم والتهذيب للبنات ، وللبنين المبتدئين (التعليم مختلط في الابتدائي) ولدي بعض الرسائل منها واجوبتي اليها منذ نحو ١٧ سنة ، واهدتني مذكراتها فاطلعت عليها بلذة وعناية واليوم قبل ان جئت اضع هذه الكلمة ، وحفلة دفنها تقام ظهرا في برمانا مقابل قريتي رأس المتن ، وما بيننا الا وادي « نهر الجعماني » ، راجعت مذكراتها وسابق مراسلاتها ، فوجدت ان خير ما اضع في نقل صورة من شخصيتها الروحية المعنوية الى القارئة والقارىء ، ولا سيما خارج لبنان في العواصم العربية ، على جناح « الاديب » الجواب للآفاق ، ان احدثهما عن انطباعاتها كما سجلتها في هذه المذكرات تتناول المدة من ١٩١٧ — ١٩٥٧ وهي قامت بسياحات في لبنان وسورية والاردن والعراق واوروبا واميركا .

واول صفحاتها سياحات الى وسوط لبنان واعاليه للمشاهدة او الاصطياف . ولكن وهي في السابعة من عمرها تذكر خروجها مع رفقة « للتفرج » على الطيارين العثمانيين « فتحي وصادق » اللذين جاءا بيروت ثم عادا الى دمشق وتوجها الى فلسطين فلما وصلت بهما الطيارة الى قرب سمخ جنوبي طبرية ، هوت في جيب هوائي فتحطمت فتوفيا فورا ، فكانا اول شهيدين عثمانيين في عالم الطيران وذلك في شباط ١٩١٤(١) . ثم تذكر في هذه الصفحات الاولى تحت عنوان « الملك العظيم » انطباعاتها عن مرور فيصل بن الحسين ببيروت الى باريس وعائدا منها . كما تذكر رفع « العلم العربي » في بيروت لمدة قليلة ثم انزل ثم تعرج على « يوم ميسلون » وتلتقط ثلاثة ابيات لحليم دموس في « فيصل » :

اضاعوه واي فتى اضاعوا اضاعوا القلب واليد والحساما
اضاعوه وكان فتى هماما وبالاوطان صبا مستهاما
فودع في الدجى تاجا وعرشا ومملكة وآمالا جساما

وتقول ان اول استيقاظها بالشعور الوطني القومي ، كان على قصائد عمها الاستاذ انيس الخوري المقدسي ، فقد كان ممتازا بوقفاته على الانهار التاريخية في ديار الشام خاصة وقوفا يجري فيه على اوتار محيية لروح العربي في ذكرياته ذات الشجن في النفس المثرئبة الى استئناف المجد ، ولعله في هذه الناحية متفرد ، وكتبه تشهد بهذا فالاستاذ انيس الخوري المقدسي من موقظي الشعور القومي ولا جدال .

ثم تذكر المؤلفة هياج البلاد لما جاء بلفور يمر بها مرورا ، فبذلت السلطة الفرنسية جهدها حتى جعلت خطة انتقاله سرية مخفية عن الناس .

وذهبت الى دمشق ، ظئر العروبة ، واول ما زارت الجامع الاموي وقبر صلاح الدين وعليه اكليل البرونز الذي وضعه عليه الامبراطور غليوم لما زار القدس وفلسطين وبيروت ودمشق سنة ١٨٩٨(٢) ، وزارت ضريح خالد بن الوليد في حمص ، ووقفت على العاصي وهزجت للنواعير في حماه ، وذهبت الى المعرة وانحنت اجلالا لابي العلاء الفيلسوف الاجتماعي الضرير ، ثم جاءت تدمر وتخيلت زنوبيا ملكة الشرق بابهة لا نظير لها اليوم ، وانتهت السيدة وداد الى الارز الخالد ، وتذكرت قول الريحاني : « اتخيل الجبل في ظل الارز فألفيت الارز في ظل الجبل » . وخاتمة المطاف وادي قاديشا ، وطرابلس وبساتينها ، وفي فترة اخرى ذهبت الى عكار وشاهدت معالمها .

ثم اتجهت في رحلة اسفار الى الجنوب فمرت بالشويفات والدامور وصيدا ومرجعيون والليطاني وحاصبيا وخلوات البياضة وجلست هناك مع الشيوخ في ظل الشجر والنسيم العليل ، ووقفت على التلال حيث تنساب منابع الاردن : الحاصباني واللدان وبانياس .

حدثتنا عن التعليم المختلط فقالت لم يكن المجتمع اول الامر راضيا عن هذا(٣) . وذكرت العمل في سبيل مكافحة الامية ، واثنت جميل الثناء على حفلات المولد في بيروت ، وعلى جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة تحرك الشباب وتدفعهم الى الامام وحاديهم شاعرهم ابراهيم طوقان . هذا في اوائل الثلاثينات فلم تنس ان تنوه بما كان لسياسة غندي في الهند من حسن الصدى هنا ، والتباهي بطاغور شاعر الهند الاكبر وخاصة بعد نيله جائزة نوبل العالمية . وجاء ٢ نوفمبر فثارت موجات الاستنكار على وعد بلفور .

ويستجيش منها عواطف الشعور القومي عندما كانت تقام في لبنان حفلات التكريم لشوقي والمطران وحافظ، وتنشر القصائد والمقالات الرنانة في تمجيد العربية ، وتذكر من هؤلاء الزهاوي والمطران وفياض والزيات وشادي ودموس .

واحبت المربية الاديبة وداد المقدسي قرطاس ان تصف شوقي امير الشعراء فقالت :

« كان شوقي عربيا في اندلسياته ، مصريا في فرعونياته ، مسلما في عقيدته وايمانه ، مسيحيا في روحانياته ووجدانه ، شرقيا في ميوله ، غربيا في تصوراته ، قديما في محافظته وتقليده ، عصريا في توثبه وتجديده ، وهكذا جمع امير الشعراء صفوة التعابير الشعرية والروحية التي نقربها من تراثنا الخالد » اه. فانظر الى هذه « اللوحة » الفريدة حقا الصادقة معنى .

والمذكرات كلها رحلات وخواطر وملاحظات وانطباعات . ورحلت المؤلفة الى اميركا واوروبا وحضرت مؤتمرا في جنيف مع ممثل لسوريا وآخر للاردن ومما يلاحظ في اسلوب تسجيلها الانطباعات والاخبار انها قلما تأتي

حنين وذكريات

سألتك يا ربوع متى يؤوب ... وهل ينسى العتاب ويستجيب
أحن الى لقاه ، اليه أهفو ... ففي دنياه الحاني تطيب
وانشده تباريحي ووجدي ... ولكن لا يرد ولا يجيب
فلا ازهاره عطفت ومالت ... ولا فاحت لنا منها طيوب
ولا انسامه هبت وسارت ... وعهدي بالنسيم له هبوب
ولولاه لما وهنت ضلوعي ... ولا ازف الترحل والمشيب
ويحسدني على حبي عذول ... ويمعن في رقابته رقيب
فهل عرف الهوى والشوق قلبا ... ينوء وفي محبته يذوب
يجور عليه يسرف في اذاه ... ومهما جار عنه لا يتوب
عبرتك يا دروب وكنت اخشى ... من العثرات تزرعها الدروب
وقلت غدا تعاودنا الاماني ... ويطلع فجرنا الزاهي الحبيب
ونرجع للمرابع بعد هجر ... نطوف وفي مغانيها نجوب
اموت غدا فلا تبكي القوافي ... ولا يسعى الى قبري نسيب
اموت كما يموت هزار دوح ... بعيد عن مرابعه غريب
رمته الحادثات وما توانت ... وأصمته النوائب والخطوب
« وهل للاسد في الآجام عيش ... اذا وهت المخالب والنيوب »

سلمية ــ سورية — عارف تامر

على ذكر اسماء اشخاص او تواريخ الحوادث ، حتى المؤتمر الدولي الذي حضرته في جنيف لم تذكر لنا غايته .

ولعلنا نوفق الى وضع كلمة اخرى ، نجول فيها جولة اخرى الى نهاية المذكرات ، والآن لم نجاوز اكثر من ثلثها .

رحم الله المربية القومية وداد المقدسي قرطاس ، وجزاها خيرا واسكنها جنان النعيم ، وجعل سيرتها لنا خير نبراس .

---

(١) ــ حادث « فتحي وصادق » يحتاج الى بعض الايضاح والتعليق ، وقد مضى على ذلك ٦٥ سنة فلا يذكره اليوم الا المعمرون في بيروت ولبنان . وان صاحبة المذكرات انما اشارت اليه من قبيل الذكرى ، فنقول ، وكنا وقتها ايام الطلب في مدرسة برمانا ، ان هذين الطيارين شاء العرب في لبنان وسورية ، وفي بيروت كما في دمشق ، ان يعتبروا الحادث مصابا وطنيا عثمانيا ، فاقاموا لهما حفلات التابين ، وانبرى كبار الشعراء العرب ، الى التابين الصادر من اعماق القلوب . ولدي كراس في ٣٢ صفحة احفظه من تلك الايام عنوانه « دموع الاسى » يتضمن وصف الحادث ، وترجمة الطيارين ، وقصائد شعراء لبنان وجمع هذا الكتيب « الياس افندي نقولا الظاهر » وطبع بمطبعة جدعون ١٩١٤ وثمن النسخة بشلك واحد (نصف فرنك) .

وانما شاء العرب اعتبار الحادث مصابا وطنيا عثمانيا لعدة اسباب ، منها ان الشهيدين وقد انتشرت رسومهما في الصحف والمجلات وفي اوراق مفردة على حدة ، كانا اول ضحية في هذا المضمار ، فاعتصرت نكبتهما القلوب اعتصارا . ثانيا ، كانت التيارات السياسية وقتئذ تتضمن المفاوضات بين ممثلي زعماء العرب الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر العربي الاول في باريس قبل بسبعة اشهر (حزيران ١٩١٣) والشهيد عبد الكريم الخليل ممثل المنتدى الادبي والشبيبة العربية في اسطمبول وبين زعماء الترك ، وغاية المفاوضات الاتفاق على الاصلاح في سورية وبيروت (لبنان) . ثالثا ، ومع انه كان ربما يكمن وراء رحلة « فتحي وصادق » اشياء سياسية من قبيل التلويح للعرب بان « الدولة » الى قوة لا الى ضعف ، فقد اثر العرب اعتبار المصاب وطنيا .

اما الشعراء الذين جمعت قصائدهم في كتيب « دموع الاسى » فهم حسب ورود اسمائهم في الكتيب : شبلي الملاط ، وامين ناصر الدين ، ومصطفى الغلاييني ، وسعيد عقل ، وانيس الخوري المقدسي ، والياس فياض ، وبشارة عبدالله الخوري (الاخطل الصغير) ومن شعراء مصر ولي الدين يكن . واما قصائد حافظ وشوقي وغيرهما وقصائد شعراء سورية والعراق فلم تدخل في هذه المجموعة . ودفن فتحي وصادق في دمشق بجوار قبر صلاح الدين .

ومن سوء الطالع انه في ١٩٧٦/٩/٢٠ سقطت طائرة ركاب تركية قرب انطاكية وقتل ١٥٤ شخصا اكثرهم ايطاليون والمان فكانت نكبة انسانية عظيمة ، ولكن مما لوحظ في برقيات هذا النبأ المفجع ان سقوط الطائرة كان على جبل اسمه « الجبل الحزين » وقرب قرية اسمها « قرية الدموع » . ولله الامر من قبل ومن بعد . وانا لله وانا اليه راجعون.

(٢) ــ هذا الاكليل هو منذ خريف ١٩١٨ في المتحف البريطاني فيحق لسوريا ان تطالب به وتسترده ، وقصته الثابتة ان الكولونل لورنس المشهور في الليلة الثالثة لدخوله دمشق اخذ ثلاثة جنود بريطانيين وتسلل بطريقة ما الى قبر صلاح الدين وانتزع الاكليل وارسله الى لندن . راجع العدد الاول من مجلة « العرب » المصورة الاسبوعية ٢ ايلول ١٩٣٢ في القدس لكاتب هذه السطور .

(٣) ــ في دمشق احتج الجمهور سنة ١٩١٩ على ساطع الحصري وزير المعارف لان طالبات المدارس يلبسن فساتين رياضية قصيرة حتى الركبة .

رأس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض



ايليا حليم حنا

مع السيدة فاطمة اليوسف في ذكرياتها الصحفية

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

في كتابها (ذكريات) تحدثنا السيدة فاطمة اليوسف منشئة (روز اليوسف) عن متاعب الصحافة ، وعن عدد من الكتاب والادباء والشعراء الذين احتكت بهم في عملها الصحفي ... وكان طابعها في ذلك الصراحة والصدق والبساطة في سرد الاحداث .

لقد قالوا ان الصحافة هي مهنة البحث عن المتاعب ... ولكن السيدة فاطمة اليوسف تقول انها مهنة قاسية ولكنها ممتعة في نفس الوقت ، وتحدثنا عن متاعبها والصعوبة الكبرى في اصدار المجلة والتي كان عليها ان تجتازها فتقول : « لم تكن هذه الصعوبة الكبرى في القليل من المال ، وفي الجهد المضني ، ولا سوق الصحافة الضيق . بل كانت تتلخص في انني سيدة ، كانت هذه في الواقع مشكلة المشاكل ، وكان علي ان اجتاز تجارب قاسية وان اتعلم دروسا قاسية » .

ويحدثنا الاستاذ احسان عبد القدوس عن والدته (السيدة فاطمة اليوسف) فيقول : « لم تكن غنية يوم ولدتني ويوم نشأت في رعايتها ، ولا كان ابي غنيا ... وهي التي علمت نفسها القراءة ولم تدخل مدرسة ، وهي التي التقطت دروس الفن وجعلت من نفسها (سارة برنار الشرق) كما اطلق عليها نقاد ذلك الجيل . وهي التي دخلت ميدان الصحافة وفي يدها خمسة جنيهات وانشأت مجلة تحمل اسما يكاد يكون اجنبيا ، وهو الاسم الذي اشتهرت به على المسرح — فاستطاعت ان تجعل من هذه المجلة اقوى المجلات في الشرق ... » .

وتحدثنا صاحبة الذكريات عن قصة اصدار (روز اليوسف) فتقول انها قصة تصميم واصرار وصبر ... نبتت فكرة المجلة في محل حلواني اسمه (كساب) كان يوجد في المكان الذي تشغله الآن سينما (ديانا) وكنت جالسة ساعة العصر مع الصديقين (محمود عزمي) (واحمد حسن ابراهيم خليل) نتحدث عن الفن ... وتطرق الحديث الى حاجتنا الشديدة الى صحافة فنية محترمة ونقد فني سليم يساهم في النهوض بالناحية الفنية ... والقيت بفكرة اصدار مجلة فنية على الزملاء فأخذوا يحملقون مدهوشين ، وكانت اللهجة التي تكلمت بها كافية لاقناعهم بأنني جادة ، ولم يكن بيننا من له اتصال بالصحافة الا ابراهيم خليل الذي كان يعمل في جريدة (البلاغ) ويصاهر عبد القادر حمزة ... فسألته كم يتكلف اصدار ثلاثة آلاف نسخة من مجلة (ملزمتين) على ورق انيق ؟ واخرج ابراهيم خليل ورقة وقلما واجرى حسبة بسيطة ، قال لي بعدها ١٢ جنيها ! ثم اعمل قلمه في الورقة مرة اخرى وقال : فاذا بيعت النسخ كلها كان صافي الربح في العدد الواحد خمسة جنيهات ... وبدا لي الامر قريبا ممكنا فالمبلغ ليس باهظا كما كنت اتوهم ... وطرحت على الزملاء سؤالا ثانيا : ماذا نسمي المجلة ، وتوالت المقترحات بالاسماء الادبية والعلمية والفكاهية ، وللمرة الثانية فاجأتهم باقتراح عجيب ، لماذا لا نسميها : (روز اليوسف) ؟ وكنت جادة في هذا الاقتراح ايضا ، فهذا هو الاسم الذي اشتهرت به وعرفه الناس وهو اسم عزيز علي ، احب ان اضعه على عمل كبير اقدمه الى هؤلاء الناس الذين تعلقوا به .

قضيت ليلتي ساهرة منبهة الاعصاب ، تعصف بي المشاعر المتفاوتة وتخفق الآمال في صدري كالبروق ، وتقدمت الى وزارة الداخلية اطلب ترخيصا ... وفي نفس اليوم بدأت اتصل بأول المحررين الذين سيشتركون معي في اصدار المجلة الصديق (محمد التابعي) وكان التابعي في ذلك الوقت موظفا في مجلس النواب ويكتب النقد الفني لجريدة الاهرام .

وكنت في ذلك الوقت اسكن في شارع جلال بيتا يملكه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرحوم الشاعر (احمد شوقي) في شقة مرتفعة فقررت اتخاذها مقرا مؤقتا للمجلة ... وبدأنا نعمل لاصدار العدد الاول بكل ما في اجسادنا واعصابنا من قوة ... حتى انطلق الباعة ذات صباح يصيحون (روز اليوسف ... روز اليوسف) !

وبعد ان تحدثنا (المؤلفة) عن الصعوبات التي واجهتها بعد صدور العدد الاول ، تقول : بدا الموقف في اول الامر مشكلة لا تقبل الحل .. حتى نبتت فكرة توزيع الاشتراكات .. وطبعنا الدفاتر بسرعة وبدأنا التوزيع ... واذكر بين من عاونني في توزيع الاشتراكات (الدكتور محمد صلاح الدين) ، والممثل الكبير الاستاذ (زكي رستم) ولم يكن قد اشتغل بالتمثيل بعد .

واذكر ايضا ان (الآنسة) ام كلثوم دفعت اشتراكا واخذت بقية الدفتر لتقوم بتوزيعه على اصدقائها ... وتوالت الاعداد في الصدور ... واستطعنا ان نجمع في الاعداد الاولى مقالات لعدد لا بأس به من كبار الكتاب في ذلك الوقت مثل (ابراهيم عبد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد ، وابراهيم رمزي ، ومحمد لطفي جمعة ، وزكي طليمات ، وحبيب جاماتي ، واحمد رامي) ... وكان هؤلاء الكتاب والشعراء جميعا يكتبون بغير اجر الا ان يساهموا في اقامة بناء مجلة للادب والفن ، اما نحن اسرة التحرير الاصلية فقد كنا نعمل بلا مكسب ولا اجر وبلا راحة ايضا ، وكنت اقتر على نفسي واستغني في حياتي عن الضروريات لكي اوفر للمجلة قروشا تعينها على الصدور ... كان التابعي لا يسير الا وقد انتفخت جيوبه بالكلشهات بين الورشة والمطبعة ، وابراهيم خليل يقطع عشرات الكيلومترات على قدميه وراء الاشتراكات والاعلانات ... وكان الصباح يشرق علينا انا والتابعي في مطبعة البلاغ نسلم المقالات ، ونأخذ البروفات الى مقهى قريب — مكان بار الانجلو حاليا — حيث نجلس ... يطلب التابعي (...) بخمسة عشر مليما .. واشاركه انا في التهام (المزة) فاذا لم تكف المزة لطعامنا — بعد الاشتباك مع الجرسون لاقناعه بزيادة كميتها — ارسلنا نشتري ساندوتشات الفول الواحد بقرش تعريفة ... وفي اثناء ذلك يتم تصحيح البروفات ثم نعود بها الى المطبعة ... وقررنا الا يدخن جميع افراد اسرة التحرير الا سجاير (صوصة) التي كانت توزع مع كل علبة كوبون ، وكل من يجمع عددا معينا من الكوبونات يستبدلها بهدية يختارها .. حتى اجتمع لنا عدد نستطيع ان نأخذ به دراجة .. وكانت الدراجة هي اول وسيلة للمواصلات اقتنتها المجلة ... وكان يوم حصولنا عليها يوما عظيما .

وفكرت في ان تصبح (روز اليوسف) مجلة سياسية فالمجلات الفنية سوقها محدود .. وقد بدأت منذ سنوات اهتم بالسياسة واسعى الى حيث يخطب (سعد زغلول) واسمعه واقرأ تطورات الحركة الوطنية ، وانفعل واتحمس لكل تظاهرة تنطلق في الشوارع هاتفة بالاستقلال التام وخروج الانجليز .

ولم توافق وزارة الداخلية على تحويل (روز اليوسف) الى مجلة سياسية ، ولم اكن مستعدة للتخلي عن حلمي بسهولة ... ذهبت لمقابلة (احمد زيور) رئيس الوزراء وكان رجلا طيبا جدا من طراز لم تشهد المناصب مثله ، كانت الدنيا تثور من حوله وهو لا يهتم ، تهتف المظاهرات ضده وتطالب الجماهير بدمه ، وتنسب اليه الصحف اعنف الاتهامات ولكنه يظل في عالمه الخاص ، لا يشهد المظاهرات ولا يهتم بالجماهير ، ولا يقرأ الصحف قط ! وكان اذا قيل له ان جريدة تهاجمه قال : (خليها تاكل عيش) .

ظلت ادارة المجلة فترة من الوقت تشغل حجرة من شقتي الخاصة التي كنت اسكنها في شارع جلال ، والتي كانت ترتفع عن خمسة وتسعين درجة .. وكان المرحوم الشاعر احمد شوقي — صاحب العمارة — يعدني من حين لآخر بتركيب مصعد دون جدوى ، وفي هذه الشقة كنا نقيم من حين الى آخر سهرات يجتمع فيها الادباء والنقاد .

اقمنا ذات ليلة حفلة كبيرة كلفتنا ثمنا ناءت به ميزانية المجلة في ذلك الوقت ... وهو خمسة جنيهات ... فقد اردنا ان نحتفل باحدى المناسبات وقررنا ان ندعو الى السهرة شوقي ، والعقاد ، والمازني ، وتوفيق دياب ، وبعض الكتاب الآخرين ... وكان العقاد والمازني في ذلك الوقت يتزعمان حملة شديدة على (شوقي) ، ويضعان انتاجه الفني على مشرحة النقد العنيف ... وكان اجتماعهم يبدو امرا مستحيلا ، ولكنهم اجتمعوا ... ودعوت ايضا الاستاذ (محمد عبد الوهاب) وكان ما يزال ناشئا ... وفي جو السهرة الجميل وتحت تأثير انشاد عبد الوهاب الساحر تصافى الادباء الكبار .. وتحدثنا عن متاعب الادارة في هذه الشقة المرتفعة وقال لي (شوقي) : ان العمارة المقابلة — وكانت مملوكة له ايضا — قد خلا فيها (بدروم) يهبط عن الارض بحوالي عشر درجات .. عبارة عن حجرتين متداخلتين ، وعرض علي (شوقي) ان استأجرها بجنيهين بالشهر ... وقبلت هذا العرض على الفور .

وكان المرحوم (احمد شوقي) يتخذ جلسته المختارة ساعة العصر من كل يوم في المجلة ، وكان يحلو له حين يرى العقاد ينحني بقامته الطويلة كي يدخل الباب المنخفض ان يقول لي : « الادارة الجديدة علمتنا التواضع » .

وكان (شوقي) انسانا حساسا ، هائما ، لا يعيش مع الناس من حوله .. وكأنه مشدود دائما الى شياطين محلقة فوق راسه ، كان اذا اقبل المساء يدخل المجلة ليشارك في ندواتها ، وهناك على الكنبة الوحيدة المريحة يجلس في استرخاء وحوله العقاد والمازني ودياب وآخرون من الكتاب الناشئين يتجادلون في كل مسائل الفن والادب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسياسة ... اما (شوقي) فلا يشترك في الحديث الا نادرا ... تراه وقد شرد ذهنه وزاغت عيناه كأنه ينظر الى شيء غير منظور ويتمتم محركا شفتيه في همهمة لا تبين ، وأنامله تعبث في فم السيجار الانيق الذي يحمله ، ويستمر على هذه الحال فترة تقصر او تطول ، ثم اذا به قد نهض واذا به قد خرج ، دون ان يلقي بالتحية او يقول كلمة واحدة ــ سائرا في خطواته الوئيدة كأنه يسير وهو نائم ... وهنا نعرف ان الوحي قد هبط عليه وان قصيدة جديدة في طريقها الى الميلاد .

تركت المجلة مقرها في البدروم الارضي الصغير الى مقر آخر في شارع الامير قدادار ، عبارة عن شقة ايجارها تسعة جنيهات ، ولما كانت الشقة واسعة فقد اقنعت الاستاذ التابعي بأن يتخذ من احدى حجراتها مسكنا له تمشيا مع سياسة التقشف والتوفير ــ تاركا لاول مرة ــ حياة طويلة من التنقل بين فنادق القاهرة .

وككل مجلة ناجحة بدأت روز اليوسف تجتذب عددا كبيرا من الشبان الناشئين الذين يحلمون بمستقبل لامع في عالم الصحافة .. ولقد لفت نظري من المترددين شاب طويل ضخم بشكل ملفت ... عيناه صغيرتان لامعتان تتحركان بسرعة عجيبة كأنهما تبحثان دائما عن شيء صالح للالتقاط ... وكان هذا الشاب يدخل المجلة متلفتا هنا وهناك وهو يسرع الخطى الى حجرة الاستاذ التابعي يدفع اليه بعض الاخبار ثم يمضي ... وكان يراني في بعض الاحيان وهو خارج فينكس راسه ولا يحييني .. ولمحت بوادر الاستعداد فسألته وهو خارج في احدى المرات عن اسمه ... فقال : (مصطفى امين) ، ثم عرفت انه تلميذ يهرب من مدرسته ليتصيد الاخبار ويحملها الى المجلة .. وهو منذ اللحظة الاولى يحلم بامتلاك دار صحفية كبيرة ويعمل لذلك . وكان اول باب ثابت حرره (مصطفى امين) بابا عن الطلبة بعنوان (لا يا شيخ) ... وعلي امين هو النصف الثاني لمصطفى الذي لا ينفصل عنه فلم يكد مصطفى يشق طريقه قليلا ويصبح له مكان في المجلة حتى اشرك معه عليا . ومن الشبان الذين عرفوا طريقهم الى المجلة في ذلك الوقت (الاستاذ جلال الدين الحمامصي) وكان بدوره صديقا لمصطفى وطالبا في الجامعة .. وكان يحرر باب الرياضة واشتهر في المجلة بتأنقه البالغ في ثيابه ومظهره وعبوسه المستمر .

وظهر في افق المجلة في الوقت نفسه شابان صديقان ، احدهما بدين مرح والثاني نحيل جاد ، هما : (كامل الشناوي) و (يوسف حلمي) . وقد اشتهر عن كامل انه اكول من الدرجة الاولى وهو ذكي ولكنه كان معروفا بالكسل ، وكان مدللا في اسرته ، لا تدفعه الى العمل حاجة .

وكان هناك ايضا طالب الطب الذي يكتب المواويل .. هو (الدكتور سعيد عبده) .

وكانت مجلة (الكشكول) التي تناصبنا العداء في ذلك الوقت تتميز علينا بشيء واحد هو الرسم الكاريكاتوري الذي كان يرسمه لها الرسام الكبير (سانتيز) ... وتذكرت الرجل الارمني الاصلع القصير الذي كان يصعد خمسة وتسعين درجة ليصل الى مقر المجلة القديم وقد حمل بيده نكتة قام برسمها وكنا ننظر الى النكتة فنجدها قديمة او لا تعجبنا فيعود هابطا السلم الطويل بنكتته تهتز في يده . وارسلت في استدعاء (صاروخان) ليرسم لنا واصبح من اكبر رسامي الكاريكاتور في مصر .

هؤلاء الشباب جميعا تخرجوا في (روز اليوسف) التي ساعدتهم على ابراز مواهبهم وقد اصبحوا جميعا جيل الرواد .

نويت ان اصدر جريدة يومية كبرى . ورشح لي بعض الاصدقاء (الدكتور محمود عزمي) ليكون رئيس تحريرها .. وفكرت ان اضم الاستاذ العقاد الى اسرة الجريدة ، وذهب اليه رسول يجس نبضه .. وسأل العقاد : (الجرنال حيكون اسمه ايه ؟)

ــ روز اليوسف اليومية .

ــ لا ... انا لا اعمل في جرنال يحمل اسم واحدة ست !

ولكن الرسول لم ييأس فمضى يفاوضه وعدل الاستاذ العقاد عن موقفه نظير بعض الشروط المالية ... وخرج (محمود عزمي) (والعقاد) من (جريدة الجهاد) وخرج بعدهما توفيق صليب ليكون سكرتيرا لتحرير روز اليوسف .

وفي الساعة السادسة صباحا بعد ان اطمأن قلبي الى ان العدد الاول من الجريدة اليومية قد ظهر كما احب وينادي عليه الباعة ويتخاطفها القراء دق جرس التليفون ، ورفعت السماعة ، وقبل ان اضعها على اذني كان قد ارتفع فيها صوت الاستاذ العقاد الاجش يهدد في لهجة غاضبة ...

ــ خير يا استاذ عقاد !

واخذ يروي لي في غضب شديد احتجاجه على كلمة في برواز صغير تحت مقاله في الصفحة الاولى جاء فيها : (ابدأ بقراءة الصفحة الثانية) وهي الصفحة التي تحتوي على الاخبار السياسية الهامة وعلى كلمتي ، وعلى مقال الدكتور محمود عزمي رئيس التحرير .

وانفجر العقاد :

ــ يعني ايه ابدأ بقراءة الصفحة الثانية ؟ معناه ايه الكلام ده ... يعني عزمي عايز يقول ايه ... ؟ عايزين تقولوا ان الصفحة الاولى مش مهمة .. عايزين تقولوا ان مقال (عزمي) اهم من مقال (العقاد) ؟ !

ولما كنت اعرف ان اقناع العقاد بعكس رأيه امر بالغ الصعوبة .. اما محاولة اقناعه وهو في سورة الغضب فتلك من ابعد المستحيلات ... قلت له : انني لم اقرأ هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انفجار

لا تحمليني على تمزيق أقنعتي — سيلي اذا فاض لا يبقي ولا يذر
ولا يغرنك ما بالسطح من زبد — ان الحقائق في الاعماق تستعر
ولا يريبـــك في حـــق تربصـــه — رجاحة الحق تبدو حين ينتصر
ولتتركيني.. فلا أقسى على وتري — من ان ارى الناس بالانسان تتجر

حلب ــ ص.ب ٥٦١٧ — انور عدي

الكلمة . وسوف احاسب المسؤول حسابا شديدا .

والعقاد على ما ترى من ضخامته وجهامته وعنف غضبه انسان طيب القلب ، ليس هناك اسهل من كسبه ، وانه ليكفي ان توافقه على رأيه لكي يهدأ ويسكن ويصبح الموج الهادر بحيرة هادئة .

والتقيت بالعقاد بعد ذلك في الجريدة ظهرا فشرحت له الاسباب ولكنه لم يقتنع . وكان من عادة العقاد ان يكتب مقاله اليومي في البيت ويتركه في الجريدة صباحا ، ويترك للاستاذ (كامل الشناوي) مهمة مراجعته ثم يعود ليلا ليلقي عليه بنفسه نظرة اخيرة .

وذات يوم كتب العقاد مقالا عنيفا ضد نجيب الهلالي وزير المعارف واعطاه لتوفيـــق صليب بوصفه سكرتيرا للتحرير ... وقال انه مسافر الى الاسكندرية وطلب منه الا ينشر المقال الا اذا اتصل به من الاسكندرية .

وفي الليل دق التليفون على مكتب توفيق صليب وسمع صوت العقاد يحدثه من الاسكندرية ويطلب منه ان ينشر المقال غدا .. ويطلب منه ان يضع خطوطا تحت فقرات معينة فيه ... وانتهت المكالمة بعد تعليمات من العقاد ، وبعد دقائق وصل كامل الشناوي ودخل على توفيق صليب ضاحكا ، فقد كان هو الذي قلد صوت العقاد ...

وبعد ساعة او تزيد دق التليفون مرة ثانية ، ورفع توفيق صليب السماعة ليسمع صوت العقاد مرة اخرى يطلب منه الا ينشر المقال ... وظن توفيق صليب ان المتكلم هو كامل الشناوي مرة اخرى فانفجر فيه :

ــ يا اخي ما بلاش دوشه ! انت مش لاقي حاجة تعملها . يا اخي انا مش فاضي للعب ده .

ورد عليه الصوت ردا عنيفا فرد عليه توفيق ردا اشد عنفا واستمر يشتم محدثه فترة طويلة قبل ان يكتشف ان محدثه هذه المرة هو العقاد حقا ... وعاد العقاد من الاسكندرية وهو في اشد حالات الغضب للشتائم التي جرؤ توفيق صليب على توجيهها اليه . وعبثا حاولنا ان نقنعه باللبس الذي وقع فيه توفيق صليب ا ورفض ان يصدق (كامل الشناوي) نفسه حين روى القصة . وظل يقول لي :

ــ لا .. ده توفيق صليب قاصدها ، وهو عايز يهزاني بأي طريقة .

وفي ذات مرة احضر العقاد الرسام (رفقي) ليعطيه فكـــرة صـــورة كاريكاتورية ، والمفهـــوم ان الصـــورة الكاريكاتورية على الارجح نكتة يجب ان تكون قليلة الكلام.. ولكن العقاد اخذ يشرح له فكرة طويلة تشبه ان تكون مقالا : (المصري افندي) يقول (لجون بول) كذا وكذا وكذا ، وشخصيات كثيرة تتجادل ، وكلام طويل لا يمكن ان يكون نكتة ... وكان العقاد يبذل جهودا جبارة لافهام الرسام هذه (النكتة) ... والرسام يحاول عبثا ان يفهم كيف يرسم هذه الصورة ... ودخل عليهما كامل الشناوي ، فنظر العقاد الى كامل متهللا ، وأراد ان يشرح له النكتة بوصفه خبيرا فيها ، وفرغ العقاد من شرح نكتته ليرى (كامل) واقفا ساكنا لا تبدو على وجهه نبرة ضحك او ابتسام او حتى فهم لهذه النكتة ولم يحتمل العقاد هذا الحكم فصاح غاضبا ... انت مش راضي تضحك ليه ؟ عاوز تقول ان نكتتي بايخه ؟ انت عاوز تحتكر النكت ... انا بقالي عشرين سنة بقول نكت . وعبثا حاول كامل ان يهدئه او ان يقنعه بأن نكتته ليست بايخه الى هذا الحد .

* * *

هذا جانب من ذكريات السيدة فاطمة اليوسف .. وقد تناولت في ذكرياتها المسرح ، والادب ، والسياسة ، والصحافة ، ولكني آثرت ان اقتطف واركز على ذكرياتها التي تظهر لنـــا متاعب العمل الصحفي وبعض الجوانب الخفية في حياة عدد من كتابنا وشعرائنا وهي صفحات مطوية ، انفردت بنشرها السيدة فاطمة اليوسف بحكم احتكاكها بهم في مجلتها الاسبوعية وصحيفتها اليومية .

القاهرة — ايليا حليم حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ربى الارز

*

يـا رفاقي قد هيجت اشجاني ذكريات كانـت هنـا وامـان
خطرت في دروب انفـا وشكا وتهادت علـى ربـى لبنـان
بـين لـوز يغيب في تفـاح وزهـور تفيـض بالالـوان
وكـروم تمتـد خلـف كـروم وهـزار يشدو علـى سنديان
ثـم غابت سفينتي خلف افق اخر في الدنى كما هـو شاني
بـين شـط وآخـر اقطع العمـر ولكـن لا شاطـىء للامـان
ولقـد عدت بعـد عـدة اعـوام فطـاب اللقـاء بالخـلان

والتقينا من غـير سابق ميعاد مسـاء في ردهـة البستـان
حولنـا يصدح البيانـو برفق ويميـد الهـواء بالالحـان
ووراء الزجـاج في السفـح بـيروت بريـق كلؤلـؤ وجمـان
تتـراءى أضواؤها مثـل المـاس ودر في جيـد سـود الحسان
سألتني من أنت ؟ من أي أرض ؟ أنـا بـين السيوف نصل يمان
كـم وكم قارع الخطوب وكم فل ولكـن مـا زال عضب السنان
كـم سرى يقطـع القفار ويطويهن وثبا مـن كـل قاص ودان
يا ابنة الارز هل ترين بوجهي مـا بقلبي مـن شاعر اسوان
هـل ترين اشتعال لمة رأسي وشبابي مـا زال في الريعان
هـو في لمتـي انعكـاس لمـا بـين ضلوعي مـن لوعة الفنان
وهـو عنـدي ضريبـة لسمو كثلـوج تشع فـوق القنـان
وتسـألت من تكونين ؟ مـن أي مكان مـن بـين هـذي الجنان
مـن برمانة .. وورد خدودي كشهـي التفـاح والرمـان
وبحصـرون قـد ترعرعـت كالظبية بـين الجبال والوديان
وشفاهي ككـرز لبنـان طيبا وعبـيري كالفـل والريحـان
وأنـا بعـد ذات علـم وجاه ودلال ورقـة وحنـان

مـن هنا أول السفائن شقت صفحـات البحـار والخلجان
وأنارت حضارة بعـد أخـرى لعيـون الورى دروب الزمان
بابـل أو فينيقيـا أو اشور قبـل مجـد الاغريق والرومان
ولقحطان مـن بـلادي بقايـا في ثرى الارز من بني غسان
يا رفاقي هل تشعرون بما في مهجتي من تحسر .. وافتتان
ولد الحرف ها هنا يـا رفاقي وتجلـت اشراقـة الانسـان
وتلاقـت في صفـوة واخـاء في الروابـي الاديـان بالاديان
ثـم ماذا ؟ .. تخلف وخلاف وقتـال الاخـوان للاخـوان
وضياع .. وهجرة .. ودموع ودمـاء تسيـل كالغـدران
فلعـل الفجـر الجديد قريـب ولعـل الليـل المؤبـد فـان

يا ابنة الارز هكذا اسكب الشعر اذا فـاض بالشعـور كيانـي
فاصيخـي اذا تلـوت قصيدي فالقوافي تجـري بغـير عنان
ولتقولـي لربـوة الارز عنـي ان قلبـي مدلـه ولسانـي
ان تجنيت فهي بعض جراحي او تغنيت فهـي مـن أوطاني

دبي ــ الامارات العربية المتحدة شهاب غانم

قصيدتان

نادر ناشد

القاهـــرة

١ ــ الدائـــرة

اخطو احيانا في دائرة الخوف
يطاردني عنق زجاجة زمن زيف
اطفو فوق عيون الاصداء المرثية
اتحوصل في دائرة الابدية
... شمسا مغمضة الاطراف ..
صمتا ازليا ... صمتا ازليا
يمنحني صمتي متكأ آخر
ابحر في خط طلاسم نهر النفس البشرية
اخرج منها مرئيا
اتكون في ادرجة المجهول
مرثيا .. مرثيا
« يا ابيات الشعر العذراء
خذيني بين ضفتيك
جندولا من فضة
*
خذيني بين مخمليك
بين شفتيك .. حروف رجاء
او فالقيني ابحر في دائرة الشعر الثائر
ابحث عن زمن آخر
ابحث عن زمن آخر »

٢ــ جـــدار

اعبر في كل مساء
جدارا يفصلني بين اللحظات
وبين اللاوقت .
اراجع اوراق الفجر القلقة
واواري ساعات الماضي المقتول
مراثيا اقول ... مراثيا اقول ...
وحين ارتدي جلباب الشعر المجروح
انات .. او كالبرق المشجوج
*
ادرك ان الصمت الذي
رسم انات الكلمات ..
في غيهب الاصوات
موتا يصير ... موتا يصير
امد صوتي اوتارا في بئر سحب الغيب
او قد انحلها في غمرات انين الوقت
او قد انسجها صمتا ...
... ولكن حين اتداني للجدران
« للغرف المسكونة بايماءات الآتي
... لغرقى الزمن الآني .. »
اتواني في اللحظة
اتحوصل طوفانا
« شرنقة المجهول اصير
شرنقة المجهول اصير »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين

بقلم فوزي عطوي

* * *

رغم كل ما كتب عن الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز الذي اطلق عليه لقب « خامس الخلفاء الراشدين » ، ولقب « ضمير الامة الاسلامية » ولقب « الخليفة الزاهد » ، فيبدو ان في سيرته السيراء ، واخلاقه الزهراء ، ما يغري الاقلام العربية ، فترة تلـو الفترة ، باستعادة سيرته ، واستشفاف تلك الرؤى اللطيفة المتناهية من خلال سلوكه الاسلامي الاخلاقي الرفيع الذي استطاع به ان « يملأ الارض عدلا وسلاما ، بعد ان طفحت ارجاؤها بالظلم والجور والفساد ، وجرت في اوديتها دماء الضحايا والثوار والشهداء » على حد تعبير دار الهلال التي نشرت كتاب الدكتور محمد عمارة : عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين .

ومن عجب ان هذا الخليفة الاموي قد ثار به بنو امية وتآمروا عليه ، فيما ثار لاجله وأجزل له النصرة والتأييد جميع خصومهم من معتزلة ، وشيعة ، بل وخوارج ، لما تلمسوا في ظل خلافته ما تلمسوه من آيات العدالة والعودة بالناس الى الصراط المستقيم .

ويؤكد ناشر هـذا الكتاب الـذي وضعه الباحث الاسلامي الجاد الاستاذ الدكتور محمد عمارة الذي قاربت مصنفاته الاربعين كتابا ، فغدا مدرسة فكرية متميزة تحول فيها التراث الى طاقة مبدعة وخلاقة ، يؤكد ان المؤرخين ، حين قالوا عن عمر بن عبد العزيز انـه خامس الخلفاء الراشدين لم يقصدوا تأخير مرتبته عن الاربعة الاولين ، فلربما تقدم بعضهم عند الكثيرين . فمن يعيد العدل بعد غروب شمسه ، ويصرع الظلم بعد طغيانه ، هو ولا شك مقدم على الذي عدل عندما وجـد طريق العدل ممهدا ومفتوحا ! »

نشاة عمر بن عبد العزيز

يتحدث الدكتور محمد عمارة « في هذا الكتاب ، ومن خلال تمهيد تفصيلي ، عن حياة عمر بن عبد العزيز ، ابي حفص المولود عام ٦٢ للهجرة الموافق لعام ٦٨١ للميلاد ، والمتوفي عام ١٠١ للهجرة الموافق لعام ٧٢٠ للميلاد فيشير الى انه حمل الى اصوله الاموية نسبا جديدا وخلقا جديدا ، فأمه هي : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب !

ولعل ههنا مفتاح السر ، في شخصية هذا الخليفة الاموي الزاهد ، الذي سار في طريق مخالف لطريق معظم الخلفاء الامويين ، وأعاد سيرة جده لأمه الخليفة العظيم العادل عمر بن الخطاب .

ويوضح المؤلف ان عمر بن عبد العزيز لم ينشأ كغيره من فتيان بني امية وامرائها ، في الشام ، حيث عصبية الدولة الاموية وولاؤها الطاغي وسلطانها الذي لا ينازع ، وانما ولد ونشأ في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيـث حركات المعارضة ، وتيارات السخط ، الظاهرة او الخفية ، لحكم بني امية ، وما احدثوا في الحياة الاسلامية من مظالم وتغييرات ، وحيث يستطيع المرء ، اذا ما صفت رؤيته وخلصت نياته ، ان يبصر الجانب الآخر من صورة الدولة والمجتمع : الصورة المقابلة والمناقضة لما تتزين به صورة الدولة وعاصمتها وحاشيتها من ترف وثراء وعطاء وانعامات .

كان معلم العلماء

ويذكر المؤلف ما اورده ابن سعد في طبقاته ، حيث وصف ميمون بن مهران عمر بن عبد العزيز بأنه « كان معلم العلماء » ، وذلك لان الفتى ، وان نشأ في المدينة المنورة اميرا من امراء الدولة ، يستمتع بما توفره الامارة لمثله من رفاهية وميزات ، الا ان المناخ العلمي لمدينة الرسول قد اتاح له ان يسلك درب العلم ، وان يرتقي مدارجه ، حتى لقد اصبح ، وهو شاب طري العود بعد ، احد علماء الاجتهاد الاسلامي .

عمر : امير المدينة

ويتولى عمر بن عبد العزيز ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، امارة المدينة المنورة ، في عهد الوليد بن عبد الملك ، فتبدأ فيها اولى تجاربه السياسية ، ويدرك ادراكا عمليا مدى ما تراكم على الحياة الاسلامية مـن المظالم والتجاوزات والانحرافات ، كما يدرك ا نالتحول الاساسي الذي احدثته الدولة الاموية ، منذ عهد معاوية بن ابي سفيان ، فانقلبت به على نظام الحكم الاسلامي الراشدي ، قد تمثل في الانقلاب على فلسفة الحكم : « فبدلا من الشورى والاختيار ، اصبح ملكا وراثيا عضودا ، الامر الذي حرم الامة من فرص الحرية في التغيير ، ومن ثم حرمها امكانية الاصلاح في ميادين الثروة والاقتصاد ، فكانت المظالم التي اصبح الناس يئنون تحت نيرها ، وتنفجر ضد بشاعتها ، بين الحين والحين ، التمردات والانتفاضات والثورات » .

فما كان من عمر بن عبد العزيز ، والحال هذه ، الا ان دعا عشرة من فقهاء المدينة وقادة الفكر فيها وهم : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عتبة ، وابو بكر بن عبد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرحمن ، وابو بكر بن سليمان بن ابي حشمة ، وسليمان ابن يسار ، والقاسم بن محمد بن ابي الصديق ، وسالم ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ، وكون من هؤلاء العشرة الفقهاء مجلس شورى ، وحدد مهام المجلس ، اذ جعلها : « معاونة الوالي على الحق ، والتنبيه على المظالم والتعديات ، والحيلولة دون الوالي ودون الانفراد بالقرار » . وقال للعشرة الفقهاء قولا ذكره الطبري في تاريخه : « ما اريد ان اقطع امرا الا برأيكم » .

وهكذا ، عمد عمر بن عبد العزيز ، وبخطوة بسيطة لا تعقيد فيها ، الى مثل انقلاب في مسلك الحكم واخلاقيته ، اذ اعاد العمل بالآية الكريمة : « وامرهم شورى بينهم » ، و « شاورهم في الامور » ، فعادت المدينة في عهده ، كما كانت في عهد الرسول الامين ، عليه الصلاة والسلام ، حرما آمنا للمسلمين ، وغدت ملجأ للمضطهدين والرافضين لعسف الحجاج بن يوسف ، والي العراق ، فوجدوا في المدينة مناخا ملائما لفكرهم الثائر ضد الجور المتمثل في الحجاج ، كما وجدوا عند اميرها « العقل الذي يتفهم ، والقلب الذي يتألم ، والفكر الذي يتعاطف مع احلامهم في الحرية والعدل بين الناس » .

.. ويعزل عن الامارة

ويكتب عمر بن عبد العزيز الى الخليفة الوليد بن عبد الملك يشكو اليه ما يصنعه الحجاج بأهل العراق ، فيكرهه الحجاج أيما كره ، ويؤلب الخليفة عليه ، ويحذره من معبة اجتماع الثوار في المدينة ، تحت جناح عمر بن عبد العزيز ، ويقول له :

« ان من قبلي من مراق اهل العراق واهل الشقاق قد جلوا عن العراق ، ولجأوا الى المدينة ومكة ، ان ذلك وهن وضعف من الدولة ، تخشى عواقبه » .

وانساق الخليفة ، مستجيبا لرغبة الحجاج ، وسأله من يرشح لولاية المدينة ومكة ، فرشح الحجاج عثمان بن حيان للمدينة ، وخاله بن عبدالله لمكة ، ومن ثم عزل عمر بن عبد العزيز ، فغادر المدينة منفيا الى قرية السويداء في جبل حوران ، على مقربة من دمشق .

ولكن الفتى الصالح ، والامير الطامح الى عدل الاسلام — على حد قول المؤلف — لم يوقفه العزل ، ولا النفي عن توجيه النقد للظلم البادي والمظالم التي يئن منها الناس ، فأخذ يشكو الى ربه ، ولاة الظلم والجور الذين اجتمعوا على حكم المسلمين في مختلف الامصار والاقاليم : « الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرة بمصر ، وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة ! .. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا ، فأرح الناس » (الكامل في التاريخ لابن الاثير) .

ثم يتوفى الوليد ، فيخلفه سليمان بن عبد الملك الذي اعاد عمر بن عبد العزيز الى ما شبه منصب الوزارة ، لكن عمر بن عبد العزيز لا يهادن ، ولا يخاف في الحق لومة لائم . ويذكر المؤلف عن تلك المرحلة ما كان بين عمر واسامة ابن زيد ، والي مصر ، الذي برر المظالم التي ترتكب بأنها تنفيذ لسياسة الخليفة ، فقال له عمر بن عبد العزيز :

« ان الخليفة لن يغني عنك من الله شيئا » . (الوزراء والكتاب ، للجهشياري) . ويعلق المؤلف على هذه الحادثة بأن التقوى اصبحت لدى الرجل ضميرا مرهفا وحساسا ، يستشعر الالم الحاد والعنيف لادنى انحراف يصيب الفرد او الدولة او الامة عن صراط الاسلام المستقيم وعدله الذي تمثل في حكم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ودولة الخلفاء الراشدين .. حتى لقد اصبح ، وسط امراء بني امية ، الضمير الذي ينغص عليهم الاستمتاع بالملذات والشهوات ، والنفير الذي يزعجهم كي يستيقظوا من الغفلة التي فيها يعيشون . وعندما سأله الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، في لحظة افتخار وزهو بما هو فيه من ملك عظيم ونعيم مقيم فقال : « يا عمر كيف ترى ما نحن فيه ؟ » ، اجابه عمر : « سرور ، لولا انه غرور ! وحياة ، لولا انه موت ! وملك ، لولا انه هلك ! وحسن ، لولا انه حزن ! ونعيم ، لولا انه عذاب اليم » . (مروج الذهب ، للمسعودي) .

النضال لتحرير الانسان

لقد مارس عمر بن عبد العزيز النضال ، بأسمى معانيه ، من اجل تحرير الانسان من الظلم والجور ، أيا كان مصدرهما ، ومن اجل نزع الثروات من ايدي المغتصبين ، ايا كانوا ، وردها الى بيت مال الامة . لقد حمل الرجل هموم البشر ، وتعدى ذلك النطاق الى الرحمة والرافة بالحيوان : يروي ابو يوسف في كتاب « الخراج » ان عمر بن عبد العزيز نهى عمال البريد عن ان يضعوا في طرف السوط الذي ينخسون به الدابة ، حديدا ، ومنع اصحاب الدواب من الجامها باللجم الثقال .

لا بل لقد بلغت به نزاهته ، وشدته في الحق ، وجبروته في العدل حدا جعله يهدد امراء اسرته من بني امية بالذبح ، ان هم حالوا بينه وبين اعادة ثرواتهم التي اغتصبوها من الامة ، الى الفقراء المستحقين . يقول ابن سعد ، في طبقاته ، على لسان عمر : « ان لله في بني مروان ذبحا ، وايم الله ، لئن كان ذلك الذبح على يدي » .

تدين .. بلا مراءاة

وكان من اخلاق عمر بن عبد العزيز ابتعاده عن مظاهر المراءاة في الدين ، فلم تكن تقواه ، كما يقول الدكتور محمد عمارة ، صلاة اكثر ، ولا صياما اطول ، ولا مسبحة مدلاة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويروي ابو يوسف في كتاب الخراج : ان الفقهاء سألوا زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، عندما جاؤوا يعزونها بوفاته عن اسرار تقواه وقالوا لها : « اخبرينا عنه ، فان اعلم الناس بالرجل اهله » . فقالت لهم فاطمة : « والله ما كان بأكثركم صلاة ، ولا صياما . ولكن والله ، ما رأيت عبدا اشد خوفا لله من عمر ، كان همه بالناس اشد من امر همه بنفسه . قد فرغ بدنه ونفسه للناس ، يقعد لحوائجهم يومه ، فاذا امسى وعليه بقية من حوائجهم ، وصله بليلته . ووالله ، ان كان عمر ليكون في المكان الذي ينتهي اليه سرور الرجل مع اهله ، فيذكر الشيء من امر الله ، فيضطرب كما يضطرب العصفور قد وقع في الماء ، ثم يرتفع بكاؤه حتى اطرح اللحاف عني وعنه رحمة له .. ووالله لوددت لو كان بيننا وبين هذه الامارة بعد ما بين المشرقين » .

وعندما كانت زوجته فاطمة تسأله عن سبب ما هو فيه ، كان يجيبها : « لقد توليت امر هذه الامة ، اسودها واحمرها ، فذكرت الغريب القانع الضائع ، والفقير المحتاج ، والاسير المقهور ، واشباههم في اطراف الارض ، فخفت على نفسي حساب الله عن هؤلاء الناس » .

انعقاد البيعة لعمر

اما وهذا امر عمر بن عبد العزيز ، فقد كان من المستبعد جدا ان يتولى منصب الخلافة ، لكن مشورة صالحة من عالم صالح هو رجاء بن حيوة ، اقنعت الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان على خصومة مع الوليد (وبالتالي فقد قرب اليه كما راينا عمر بن عبد العزيز ومن كان مثله مبعدا في خلافة الوليد) ، اقنعته بأن يعهد بالخلافة من بعده لعمر ابن عبد العزيز ، الرجل التقي الصالح ، والخبير بشؤون الامارة والوزارة .

وقد تنبه سليمان الى ما يمكن ان يحوكه الامويون من المؤامرات حول عمر بن عبد العزيز ، ان هو ولاه دون ان يولي واحدا منهم ، وقال في نفسه : « والله ان وليت عمر ، ولم أول احدا سواه ، لتكونن فتنة ، ولا يتركونه ابدا يلي عليهم الا ان يجعل احدهم بعده ، فيزيد بن عبد الملك اجعله بعده ، فان ذلك ممـــا يسكنهم ويرضون به » (تاريخ الطبري) .

وفي الحادي والعشرين من صفر عام ٩٩ للهجرة الموافق للثالث من تشرين الاول (اكتوبر) عام ٧١٧ للميلاد تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فوجد نفسه ازاء فئتين : فئة انسبائه الامويين الذين اعمتهم المطامع ، وفئة المؤمنين المغلوبين على امرهم . فعمد فور الفراغ من دفن الخليفة السابق سليمان بن عبد الملك الى اجراء تغييرات جذرية في جهاز الدولة ، ورفض ان يعود الى قصر الخلافة بالموكب الرسمي المعتاد ، كما رفض ان يجلس على الفرش التي كانت تبسط في مجلس الخليفة ، ثم غادر الى المسجد ، وصعد المنبر ، واسمع الناس كلاما لم يسمعوا مثله ، منذ ان انتهى عهد الخلفاء الراشدين ، فقال :

« اما بعد ، فانه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد الكتاب الذي انزل عليه كتاب . الا انه ما احل الله حلال الى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام الى يوم القيامة ، الا اني لست بقاض ولكني منفذ ، الا اني لست بمبتدع ولكني متبع ، الا انه ليس لاحد ان يطاع في معصية الله ، الا اني لست بخيركم ، ولكني رجل منكم ، غير ان الله جعلني اثقلكم حملا . الا ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بعاص ، ولكن الامام الظالم هو العاصي » . (طبقات ابن سعد ، مروج الذهب للمسعودي) .

ويبصر الخليفة الجديد تلك البدعة التي شاعت ، قبل توليه امور المؤمنين ، اذ كان يفصل في المسجد بين الصفوف الاماميـــة المخصصة لاركان الدولـــة والامراء والصفوف الورائية المخصصة لعامة الناس بفراغ بينهما ، فأشار الى العامة ان تقدموا ، فزحفوا حتى امتلأ بهم الفراغ ، واختلطت مجالس الناس (طبقات ابن سعد) .

الشدة مع الولاة

ويروي الطبري في تاريخه ان يزيد بن المهلب والي خراسان كان قد فاخر في بعض مراسلاته الى الخليفة سليمان بن عبد الملك انه غنم من الفتوحات ما يقدر بستة ملايين دينار (وهذه ذمة للدولة ، وليست حقا للوالي) ، ثم عاد فأنكر اقراره ، بعد موت سليمان ، وزعم ان الامر لم يخرج عن حديث المفاخرة بين وال وخليفته ، اذ كانا صديقين ، فأرسل عمر بن عبد العزيز اليه كتابا يقول فيه :

« اما بعد ، فان سليمان كان عبدا من عبيد الله ، انعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني .. وان الذي ولاني الله من ذلك ، وقدر لي ، ليس علي بهين . ولو كانت رغبتي في اتخاذ ازواج ، واعتقاد اموال (اي جمعها) ، كان الذي اعطاني من ذلك ما قد بلغ بي افضل بأحد من خلقه . وانا اخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ، ومسألة غليظة ، الا ما عافى الله ورحم » .

فلما قرأ يزيد كتاب الخليفة الجديد ، ايقن اي انقلاب حدث في قمة السلطة ، كما ادرك ان لا سبيل الى وفاق او اتفاق بينه وبين الخليفة الجديد ، فوجد ان من الحكمة ان يتقدم باستقالته ، قبل ان يقيله الخليفة ، والتفت الى اصحابه ، قائلا : « لست من عمال عمر بن عبد العزيز » .

وسألوه : ـــ ولم ؟

فقال : ـــ ليس هذا كلام من مضى من اهل بيته ، وليس يريد ان يسلك مسلكهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويروي الطبري ايضا ان عمر بن عبد العزيز اصدر على الفور قرارا بعزله ، فلما امتنع عن اداء ما في ذمته من اموال الى بيت المال ، سجنه الخليفة رغم ما له من عصبية ، وقال له : « ما اجد في امرك الا حبسك ، فاتق الله واد ما قبلك ، فانها حقوق المسلمين ، ولا يسعني تركها » . وتحدث عمر ايضا الى اهل شوراه عن يزيد هذا وعصبته ، فقال : « هؤلاء جبابرة ، وانا لا احب مثلهم » .

وكانت تلك اولى خطواته نحو ما قرر القيام به من ثورة وتبديل في البنية الادارية والاجتماعية والاقتصادية للدولة والمجتمع .

مرحلة السلام العام

ويعرض الدكتور محمد عمارة ، بعد ذلك ، لما يسميه مرحلة « السلام العام » التي بدأها عمر بن عبد العزيز ، عن طريق الغاء مبدأ « التجريم » بسبب الخلاف في الراي والاهداف ، فيوضح كيف ان هذا الخليفة الاموي الزاهد حظي بالقبول والرضى والنصرة من جانب الفئات المختلفة والمتصارعة فيما بينها ، في معظم الاحوال ، اذ احبه الهاشميون ، وتعلق به آل البيت ، ومدحه شعراء الشيعة وانشأوا فيه المراثي عندما مات . واقترب منه ثوار الخوارج ووثقوا به وهادنوه . ولقد تولى الخلافة بالميراث ، وليس بالشورى والاختيار العام ، ومع هذا فان المعتزلة التي كانت تشكل اهم التيارات الثورية المعارضة للدولة الاموية اعترفت به اماما ، وعاونته ، وانخرط اصحابها في جهاز دولته ، بل عدوه واحدا من رجالات فرقتهم ، وذكروه ضمن الطبقة العاشرة من طبقات اعلامهم (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار بن احمد) . واخيرا اتخذه الفقهاء من اهل السنة واحدا من ائمتهم ، واحله المتصوفة مكانا عليا بين اسلافهم الذين سبقوا الى الطريق !

ولعل هذا الاجماع الذي يجد تفسيره فيما قاله احد ائمة المعتزلة ابو علي الجبائي : « ان عمر بن عبد العزيز كان اماما ، لا بالتفويض المتقدم ، ولكن بالرضا المتجدد من اهل الفضل » ، وفيما قاله ايضا عمرو بن عبير ، وكان ايضا من ائمة المعتزلة : « ان عمر بن عبد العزيز قد اخذ الخلافة بغير حقها ، ولا باستحقاق لها ! ثم استحقها بالعدل حين اخذها » (مروج الذهب للمسعودي) .

واذا كان هذا شأن المعتزلة ، فان للخوارج شأنا آخر ، اذ يروي المؤلف كيف حاورهم الخليفة ، بعد ان ثاروا في مطلع خلافته ، في اقليم الجزيرة ، شمالي العراق ، بقيادة شوذب (بسطام) من بني يشكر ، فتولدت لديهم الثقة بأن اهدافهم واهداف الخليفة واحدة ، وكذلك السبل الى تحقيق تلك الاهداف ، وصارت الخلافات الاخرى بسيطة وشكلية حتى انهم لم يروا « السلام العام » بعيدا عنهم او مستبعدا بعد ان قرر الخليفة اصدار قرار « السلام العام » خلال ثلاثة ايام ، ولم يكونوا ينقمون على الخليفة الا انه لا يلعن من كان قبله من اهل بيته ، وهذه مداهنة منه (طبقات ابن سعد) .

ويذكر الطبري في تاريخه ان الخوارج فوجئوا بجيش الدولة يهاجم معسكرهم قبل انقضاء الهدنة التي قررها الخليفة ، فسألوا الوالي محمد بن جرير : « ما اعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ؟ » فأجابهم : « انه لا يسعنا تركككم على هذه الحالة » . فعجبوا ، ثم اتضح السبب ، فبطل العجب — على حد قول المؤلف — ذلك ان امراء بني امية قد جزعوا عندما علموا ان عمر بن عبد العزيز قد قرر اعادة النظر في امر من سيلي الخلافة من بعده ، اي قرر العدول عن نظام التوارث في الخلافة ، وجعل للراي والمشورة مكانا في هذا المقام ، فبيتوا امرهم ، ودسوا له السم في الشراب ، فمات قبل انقضاء الايام الثلاثة التي تواعد مع الخوارج بعدها على اصدار القرار . وقد ادرك الخوارج بدهة واستنتاجا ان الهجوم المباغت الذي شن عليهم ، ما كان له ان يحدث لو ان عمر بن عبد العزيز لا يزال حيا ، فقالوا : « ما فعل هؤلاء هذا ، الا وقد مات الرجل الصالح » .

بقي الهاشميون ، وهم ايضا يشكلون تيارا معارضا للدولة الاموية منذ ان شق معاوية عصا الطاعة على امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، لكن عمر بن عبد العزيز ، ادخلهم في اطار السلام العام ، واتخذ عدة اجراءات لمصلحتهم : كان بنو امية قد حرموا الهاشميين عطاءهم ، فعانى الكثيرون منهم الفقر والمسغبة ، فرد عليهم عمر بن عبد العزيز ما يستحقون ، وطلب الى عامله على المدينة ان يقسم في اولاد علي بن ابي طالب ، من فاطمة ، عشرة آلاف دينار ، وقال : « انهم طالما تخطتهم حقوقهم » (مروج الذهب للمسعودي) . ولما اجتمع الهاشميون ، ليكتبوا اليه شاكرين عدله ، اجابهم بقوله : « قد كان رايي قبل اليوم ، هذا . ولقد كلمت فيه الوليد بن عبد الملك وسليمان ، فأبيا علي . فلما وليت هذا الامر ، تحريت به الذي اظنه اوفق ، ان شاء الله » . (طبقات ابن سعد) .

اضف الى ذلك ابطاله لتلك السنة السيئة التي كان خلفاء بني امية قد استنوها بلعن الامام علي بن ابي طالب فوق منابر المساجد ، فأبدل اللعن بذكر الآية الكريمة : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

الاصلاحات الجذرية

وعلى ضوء هذا الاستقطاب لمختلف التيارات ، في عصره ، استطاع عمر بن عبد العزيز ان يجري اصلاحاته الجذرية التي يشير الدكتور محمد عمارة الى ان مضمونها كما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوجزه القدماء ، يتلخص في كلمتين هما : « رد المظالم » . يقول :

« و « رد المظالم » او « الثورة الاجتماعية » قد تمثلت بانجاز عمر بن عبد العزيز هذا في عملين ، هما في الواقع عمل واحد متكامل : فهو قد انتزع الارض والمال والثروة ، وكل المقتنيات التي كانت في صدر الاسلام ملكا لبيت مال المسلمين ، اي للامـــة ، وكانت تمثل الثروة الاساسية للمجتمع والامة ، انتزعها مـــن حيازة الذين حازوها واجتازوا وملكوها ، وردها مرة اخرى الى بيت مال المسلمين ، كي تعود مرة اخرى ملكا للامة جمعاء .. وخلال هذه العملية الثورية الكبرى ، عالج المظالم الفردية ، فأخضعها لنفس القانون » .

الزهد والقناعة بالكفاف

ويذكر لنا المؤلف ، نقلا عن المؤرخين ، ما كان عليه عمر بن عبد العزيز ، وهو احد امراء البيت الاموي ، من اهتمام بملبسه ، وعطوره ، وما كان يعيش فيه من نعمة ورفاهية ، وما كان له من اموال واقطاعات وجواهر للزينة والاقتناء . فلما ان ولي الخلافة ، واعلن ثورته لرد المظالم ، بدأ بنفسه وقال : « انه لينبغي ان ابدأ بأول من نفسي » فتنازل عن كل املاكه ، وعن عبيده وجواريه ، حتى ليروى ان ثمن حلته اصبح ـــ وهو خليفة ـــ عشرة دراهم ، بعد ان كانت بألف دينار ، وقنع بالكفاف ، وتشدد مع نفسه في كل شيء ، حتى اذا سأله بعضهم : « يا امير المؤمنين ، أن الله يقول في كتابه : « كلوا من طيبات مـــا رزقناكم » ، اجاب : « هيهات ! ذهبت به الى غير مذهبه ، انما يريد طيب الكسب ، ولا يريد به طيب المأكل » (طبقات ابن سعد) .

تعميم الثورة الاصلاحية

وعمم الخليفة العادل ثورته علـــى الاقاليم والامصار ، واستطاع بذلك ان يداوي ما الم بالامة من جراحات ، طوال العهد الاموي ، وان يعيد الى الناس ثقتهم بأنفسهم وبخليفتهم .

وهكذا ، فبعد ان كانت المظالم ترهق الناس في عهد بني امية ، وجهاز الدولة يستأثر بالجبايات والضرائب والمكوس والصدقات ، اصبحت الدولة ، في ظل خلافة عمر بن عبد العزيز ، مصدرا للعطاء ، وللعطاء المنظم ، لا عطاء الهبات والمنح والاقطاعات ، كما كان يفعل الذين سبقوه للانصار والشعراء والمرائين .

ويؤكد المؤلف ان نظرة جهاز الدولة ـــ وعلى راسه الخليفة ـــ الـــى حقوق الناس في المال ، كانت محكمة بالفلسفة التي قررها عمر ، والتي استرشد فيها بروح الاسلام ، فلسفة المساواة بـــين الناس ، في حـــدود الاحتياجات والضرورات والامكانيات ، لا فرق في ذلك بين عربي ومولى ، مسلم او غير مسلم ، حاكم او محكوم .

فهذا عمر بن عبد العزيز يخطب في بلدة « خناصره » القريبة من حلب ، في محاذاة قنسرين من ناحية البادية ، فيقول : « ايها الناس .. وما يبلغنا احد منكم حاجته ، يسعها ما عندنا ، الا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه . ولا احد يتسع له ما عندنا الا وددت انه بديء بي وبلحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم . وأيم الله ، لو اردت غير هذا من عيش او غضارة ، لكان اللسان به ناطقا ، ذلولا ، عالما بأسبابه . ولكنه من الله ، عز وجل ، كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته » . (الاغاني ، لابي الفرج الاصفهاني) .

موت عمر بن عبد العزيز

لقد مثل عمر بن عبد العزيز ما يشبه الاسطورة ، بالنسبة للناس الذين وجدوا فيه الرجل العادل ، بل الشهاب المنير في ليل الدولة الاموية . لكن امراء بيته عاجلوه ، فوضعوا له السم في الشراب قبل ان يعيد الخلافة الى « الشورى والاختيار » ـــ على حد قول الدكتور عمارة ـــ وقبل ان يضعها ـــ حيث كانت ـــ بيد « اهل الحل والعقد » وقادة الراي ، يولونها للاصلح والاقدر والاعدل ، ممن تتوافر فيهم الشروط (تاريخ الطبري) .

ويروي الطبري في تاريخه ايضا ان عمر بن عبـــد العزيز ، بعـــد مرض دام عشرين يوما ، صعدت روحه المطمئنة الى خالقها ، وهو في قرية « دير سمعان » ، من اعمال حمص بأرض المعرة ، في يوم السبت ٢٥ رجب سنة ١٠١ للهجرة الموافق للعاشر من شباط (فبراير) سنة ٧٢٠ للميلاد ، قبل ان يبلغ الاربعين من عمره ، وبعد حكم لم يزد عن سنتين وخمسة اشهر واربعة عشر يوما .

كما يروي ابن سعد في طبقاته ان عمر بن عبد العزيز دفن في قبر كان قد اشترى موضعه بدينارين من الراهب الذي يرعى دير سمعان .

ولم ينتظر امراء البيت الاموي لاعلان الثورة المضادة على ثورة عمر بن عبد العزيز . يؤكد ابن خلدون في كتابه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر » انه بمثل السرعة والعزم اللذين قامت بهما ثورة عمر بن عبد العزيز ، فور وفاة الخليفة الذي سبقه ، سليمان بن عبد الملك ، حدثت الردة عن ثورة عمر وعدله فور تولي يزيد بن عبد الملك للحكم ، عندما مات عمر بن عبد العزيز .

.. وبكاه الشعر

وكان جزع الناس شديدا لموت عمر بن عبد العزيز ، وفي

وازوجاه

تغيب عن العيون ولا تغيب ... عن المهج التي كادت تذوب
فطيفك ماثل أبدا لعيني ... ويكفي أن مثواك القلوب
وأنت على الدوام أعز ركن ... نلوذ به اذا امتدت خطوب
رعيت شؤوننا في كل أمر ... فهان أمامنا الظرف العصيب
رثاؤك من صميم الروح يسري ... وليس بشعر غيري ما ينوب
وهل غاض الشعور لكي أناجي ... حبيبا .. ما حييت .. هو الحبيب
وهل شعري يقصر عن خليل ... له في كل جارحة دبيب
معاذ الله ! اني لست ألهو ... وشعري في الملمات .. الوجيب
ولكن الاله أراد أمرا ... ولسنا في القضاء لنا هروب
وفي شعري بحمد الله مناى ... عن السرقات .. ان قصمت كروب
وبعدك يا حبيبي كم أعاني ... من الدنيا ومن نكد الزمان
أنوح وأشتكي في حين أني ... قبيل نواك .. قربان الاغاني
فما أنا غير عود ذي رنين ... بأوتار مفضضة المثاني
وهانذى الوحيدة في مكاني ... أعاني السهد من غصص الهوان
ولم أجنح لشعر الغير قصدا ... وما ضاق القريض عن المعاني
ولكني حسبت ـ لسوء حظ ـ ... أنين الناس .. في البلوى .. بياني
لأني بعد عام في شرود ... ونظم هاطل في كل آن
تشابك في الاسى قولي ونقلي ... فلم أدرك وحقك ما اعتراني
فعذرا للاديب .. اذا لحاني ... ولو يدري مصابي .. ما لحاني
ويكفي دمعتي تسري بشجوي ... وللنقاد .. شكري وامتناني

مصر الجديدة — نعمت عامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثل الظروف المؤلمة التي عرفنا ، فكانوا يودون لو يعطونه نصف اعمارهم ، كما يقول الشاعر الشيعي كثير عزة ، حتى يخلد حكمه ، فيدوم عدله ، وذلك في قصيدته التي منها :

فلو يستطيع المسلمون ، تقسموا ... لك الشطر من اعمارهم ، غير ندم
نعشت به ما حج لله راكب ... مغذ ، مطيف بالمقام ، وزمزم
فاربح بها من صفقة لمبايع ... وأعظم بها ، أعظم بها ، ثم أعظم
فما بين شرق الارض والغرب كلها ... مناد ينادي من فصيح وأعجم
يقول : أمير المؤمنين ظلمتني ... بأخذ لدينار ، ولا أخذ درهم
ولا بسط كف لامرىء ، ظالم له ، ... ولا السفك منه ، ظالما ، ملء محجم
وليت فلم تشتم عليا ، ولم تخف ... بريا ، ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي ... فعلت ، فاضحى راضيا كل مسلم

وكان الشاعر عتبة بن شماس قد قال فيه (العقد الفريد لابن عبد ربه) :

ان أولى بالحق في كل حق ... ثم أحرى بأن يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا ... ن ، ومن كان جده الفاروقا

وقال فيه جرير (العقد الفريد لابن عبد ربه) :

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ، ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كان به ... خبلا من الجن او مسا من البشر
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر

وقال جرير فيه ايضا ، يرثيه (العقد الفريد لابن عبد ربه) :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرا عظيما ، فاصطبرت له ... وقمت فيه بأمر الله ، يا عمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

رحل عمر بن عبد العزيز ، وفي اسماع الناس تتردد كلمات كان قد خاطبهم بها :

« انكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تتركوا سدى ، وان لكم معادا يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم جنة عرضها السموات والارض . الا واعلموا ان الامان غدا لمن يخاف اليوم ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وخوفا بأمان » .

وتحية للباحث المجيد الاستاذ الدكتور محمد عمارة ، اذ اتاح لنا هذه الفرصة الطيبة لنهل الشذى العطر من كتابه الذي اتى في حجم الماسة الثمينة وقدرها ، فما احوج المكتبة العربية الى مثل هذا الكتاب الجدي الرصين ، في وقت تغص فيه حلوق المطابع بكل صنوف الكتابات .

فوزي عطوي

فراشة الحرية

*

ادكار طرابلسي

احاول مرات عديدة ان أسالك
ويأخذني النسيان
حبيبتي الفراشة ، أين أنت ؟
هل سرقك الزمان ؟ .
حلم لم يدعني أنام ،
زهرة عانقتك ،
ليتها لم تكن .. ليتها تموت
لأرتاح ، وان كان في ذلك هذيان .
لو أدري أين أنت من الدهر
يا أيتها القرنفلة
لذهبت اليك راكضا ومعي الحقل .
حبيبتي لو تدرين ما ألم بي
لو تشعرين ما أشعر
لكنت اليوم أسعد انسان
أنا من يملك الحقل .
أتذكرين عندما زرعنا الحكايات ،
انتظري قليلا ريثما نحصدها كتبا ،
لربما أتى ذلك اليوم ، ربما .
أتدرين لو لم أكن أحلم الآن لما رأيتك ابدا .
... ومدفأة ونار ، وعود حطب ، وعجوز تخيط
ونحن بقربها نستمع الى أقاصيصها العتيقة
كطفلين صغيرين أتعبهما الركض في النهار
وتغلب عليهما الشوق للحكاية
وسرعان ما تأتي النهاية وتنطفىء النار ...
آه يا حبيبتي لو كان يوجد المزيد من الخشب
أنا أدري ،
الحياة تدعونا اليها لنلعب معا
لندغدغ آمالنا ، لنضحك ، لنفرح .
آه لو ان البكاء لم يولد لحبنا كان اليوم أكبر .
لا أدري لماذا السحب تعالت
ولا كذلك النهار وايضا تشتتت الكلمات
ولم يبق سوى القليل منها
وحتى بسمة واحدة على ثغر المساء
ولم ينته الجفاء
هذه هي الاحلام تذهب سدى مع الايام
وتبقى الذكريات .
حبيبتي لا أدري لماذا لقاؤنا قصير
ربما لا يمكننا ان ننظر لبعضنا أكثر
لو لم تكوني فراشة لطال أكثر
.. ومع كل ربيع وصيف قصة حب
وكلمات وبسمات ودموع ...
آه كم كنت جميلة قبل الخريف
يا من أحبها قلبي ، يا حرية في ثوب جميل
... في جسم فراشة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوزيدونيوس السوري

١٥٣ — ٥٠ ق.م

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

بوزيدونيوس عالم سوري الاصل والمولد ، يوناني اللسان والتربية ، موسوعي الثقافة هـو من اكبر وابرز علماء سوريا في القرن الاول قبل الميلاد . عيبه الاكبر انه لم يولد مسيحيا او مسلما فغمط حقه وخفت صيته . ومع ذلك فقد بلغ من سعة معارفه وتنوع تأليفه ان برز فيلسوفا رواقيا كبيرا ، ومؤرخا واسع الاحاطة ، ورحالة جوابة . ضرب في آفاق العالم الروماني شرقا وغربا ، وجغرافيا دقيق الملاحظة وفلكيا حاول القيام بمقاييس دقيقة لتحديد بعد الشمس عن الارض وتحديد حجمها ، كما حاول ان يحدد قطر الارض . فقد كتب والف في نواح عديدة كالعلوم الطبيعية والجغرافية والتاريخ الطبيعي والرياضيات وعلم الهيئة . فهو ابدا متعطش للمعرفة راغب في العلم ، متصيد له ، باذل له عن سعة . فقد احصى له المحققون اكثر من ٢٠ تأليفا .

ان رجلا من هذا الوزن ومن هذا الثقل تطلعه سوريا لهو حقيق بأن نحيي ذكراه ، وان نشيد عاليا بفضله وان تعقد له حلقات البحث والندوات ، وان يقيم له وطنه سوريا الانصبة التذكارية وان تبعث ذكراه وتنفض عن اسمه المغمور وعمله المغموط غبار النسيان . فتطلق اسمه على الاندية والمؤسسات الثقافية والعلمية وعلى شوارع المدن الكبرى فيها . فهو من هؤلاء العظام الذين جاء فيهم القول المأثور : ليس لنبي كرامة في وطنه . وهو قول ما انطبق يوما على شخص انطباقه على صاحبنا بوزيدونيوس السوري ، موضوع حديثنا .

بعد الذي رأينا من شأن هذا الرجل النابغة ليس من عجب قط ان يتعرض له المؤرخون والباحثون في الغرب بالدرس والتتبع والتمحيص ، فيعقدون حوله الابحاث المستفيضة ويظهرون للملأ العلمي ما كان له من شأن وشأو بعيدين في الحركة العلمية في عهده ، وان يترجم له الكثيرون باستفاضة فيكشفون لنا عن نواحي عبقريته .

بوزيدونيوس فيلسوف سوري من زعماء المدرسة الرواقية ومن اعلام حملتها البارزين . ولد في مدينة افاميا ، احدى عواصم سوريا الشمالية في عهد الدولة السلوقية . بناها سلقوس الظافر (نيكتور) على نهر العاصي الى الشمال من حماه عند انحداره غربا وضربها الفرس في عهد الملك كسرى السابع في القرن السابع للميلاد ، وجدد العرب بناءها ونكبت بهزة ارضية عنيفة في القرن الثاني عشر للميلاد قضت على معالم الحياة فيها . وتتلمذ يافعا على الفيلسوف فناتيوس . قام بعد دراسته بسلسلة من الاسفار والرحلات استغرقت سنوات ، باحثا ، منقبا . دارسا ، حملته تباعا الى اسبانيا فاستقر مدة في مدينة غاديس ، وافريقيا (تونس) ، وايطاليا ، وغاليا الجنوبية ، وليغوريا ، وصقلية ، وشواطىء البحر الادرياتيكي الشرقية ، واستقر نهائيا في جزيرة رودوس حيث كانت سبقته شهرته ، وفي رودوس انشأ مدرسة للفلسفة الرواقية فاجتذبت دروسه العديد من التلاميذ والمريدين فتحلقوا حوله يتلقفون تعليمه ودروسه . فهو يأتي في الدرجة الثانية بعد استاذه فناتيوس من حيث سعيه ، بالقلم واللسان ، لنشر مبادىء الفلسفة الرواقية ، كما تبلورت تعاليمها اذ ذاك ، في جميع انحاء العالم الروماني . فقامت بينه وبين كبار رجالات الدولة والعصر علاقات متينة ، فربطته صداقات بماريوس وروثيليوس روفوس . وبلغ من بعد شهرته ان جاء بمبيوس وشيشرون من روما ليستمعا الى دروسه . وقد قضى شيشرون نفسه سنة يدرس عليه ويستمع اليه . وقد ذكره في بعض تأليفه بكثير من الثناء والتقدير .

وبوزيدونيوس مؤلف خصب حفظ التاريخ لنا اسم اكثر من عشرين مؤلفا من مؤلفاته ضاعت جميعها ، ويبرز معها رياضيا وفلكيا اكثر منه فيلسوفا . وقد ترك لنا ابحاثا في النقد وفلسفة الرياضيات .

وبوزيدونيوس من العلماء القدامى الذين درسوا حركة المد والجزر في البحر وحاول ان يفسرها تفسيرا علميا . ومع ان معظم مؤلفاته فقد ولم يسلم لنا من اثره سوى بعض مقتطفات ، فهو يرى في حركة المد تأثيرا للقمر . فتأتي الحركة في فترات ثلاث : نصف نهارية ، واخرى نصف شهرية ، وثالثة سنوية . تتم الاولى عندما يكون القمر ارتفع ٣٠ درجة فوق البحر .

وبوزيدونيوس ، مؤرخ فقد وضع ، على ما يؤكدون : تاريخا ضخما يقع في ٥٢ كراسا ارخ فيه للفترة الواقعة بين سنة ١٤٦ ، وهي تاريخ سقوط قرطاجة في يد الرومان وهدمهم لها ، وسنة ٨٨ ق.م وقد حشا تاريخه بالكثير من المعلومات والفوائد .

اول من جاء على ذكر بوزيدونيوس ، المؤرخ اسكندر الافروذياسي الذي عاش في مطلع القرن الثالث للميلاد . وقد تعرض كثيرون من علماء العصر الحديث له بالبحث والدرس . فقد جمع ج. بلايك آثاره الباقية في كتاب سماه : « آثار بوزيدونيوس الرودوسي » ظهر عام ١٨١٠ ، كذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امي..

ذات ليلة .. كانت أمي تتضرع الى السماء ليعيش ابنها غده ... وكانت القصيدة

عيناك ساهرتان ـ كالمصباح ـ في ليل العذاب
تتطلعان الى السماء وتنشجان لهول ما بي
ويداك ترتعشان من قلق ومن كدر المصاب
ما زلت أدرج في نعيمك هائنا غض الاهاب
أرضعتني طهر الشهامة والكرامة والشباب
وزرعت في شمائلا غراء تمطر كالسحاب
وبقيت لي وطنا أفيء اليه في زمن الصعاب
آه على لحظات عمر مر من غير اكتئاب
حيث الملاعب والصبى والورد في ثغر الكعاب
والعشق والفيد الحسان وعصر (هند) و (الرباب)
نلهو بما رسم الغرام وخط في آي الكتاب
لكن تغيرت النفوس وآل سعدي لانتحاب
لا تسالني ذاك عهد مر من عمر الشباب
أماه ذا وطني يباح لمجرمين بلا حساب
وكذا يساق الى الرزايا والمهالك والتراب
أزرى بنا الدهر الخؤون وأجدبت خضر الروابي
وتلون الخدن الامين ولج دهري في عذابي
وتجهمت دنيا الرجال بحالك الزمن المرابي
واسود افق أبيض وانهار مجد كالسراب
واساقطت شيم البطولة والرجولة والصحاب
لولاك ما ضحك الزمان وما تبسم ثغر كاب
لولاك ما بقيت لنا في العيش من حلو الرغاب
تبقين لي أملا ندي الغصن في دنيا اغترابي

بغداد — خالد الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثبتت آثاره في الجزء الثالث من مجموعة ظهرت بعنوان : « مختارات المؤرخين اليونان » ، التي نشرت عام ١٨٤٨ . وقد تعرض له بالبحث ثيوكور في كتابه الموسوم : «الاصول او الينابيع اليونانية لابحاث شيشرون الفلسفية». وقد عقد الكاتب الاميركي ادلشتين مقالا مسهبا حوله ، نشره في المجلة الفلسفية الامريكية في مجلدها ٥٧ الذي صدر عام ١٩٣٦ .

هذا هو مفكر وفيلسوف من بلادنا انجبته تربة سوريا الخصبة اردنا ان نحيي ذكره بهذا الحديث المختصر احياء لذكر خالدين من ابناء هذا الوطن .

يوسف اسعد داغر

لؤلؤة مزيفة

*

حسين علي محمد

الزقازيق — مصر

*



— ١ —

وجهك يفرس حربته البيضاء
في عيني عاشقك المهزوم
كأسد مطعون
وظلك يرفع صوت النار — الشهوة
في قاعات السكر ..
وعربدة الاخوان المنكسرين
ينتصب الصدر كنافورة
يشرب كل الجمع — الحاضر
ابن « الخلق » ..
وابن « التلوين » .
يفقد هذا الجمع — الفرد صفاته
يفنى في واحد
وأنا وحدي .. ظل مغبون
أراني بعضاً من طين
يتمرد في أيدي الصانع
يرفض أن يتشكل
حسب مزاج « السيد »
في لحظات التكوين

— ٢ —

قالت عيناك مساء :
أرفع كأسك
وأرو القلب بمائك
ولتطرح اشجارك ظلا ورياحين
لكن الزمن الغاشم اقعى
فاذا ما بين يدي دماء .. ودماء !

— ٣ —

قمرك يرفل في ثوب الدعة ،
وينقر شباكي في السحر ،
ويدعوني كي أصحو من غفله
افتح شباكي
لا أجد القمر الواعد
أغلق شباكي ثانية
ويظل الارق جليس الليله
فانـــا ...
لم أحلم بالصدر الينبوع مساء
أو أضع
على نافذة الشباك القله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فوجيء بكلامه مفاجأة كاملة . لم يكن في لحظة نفسية مؤاتية للقتال . واكتفى بالرد الصريح القاطع :

ـ نعم ؟ نعم ؟ اذا كنت تعني نقدي للنظام الذي تناصره ، فهذا رأيي . ولا اسمح لك بمناقشتي بهذه الطريقة . حر ، انا .

وغاص مثير الحادثة بشيء يشبه الذهول . لم يتوقع ان يسمع هذا الرد الحازم . لا سيما وان المخاطب كان في زيارة احد المحررين في جريدته .

ولعله توهم ان العصا التي يسوق بها الآخرين ، يمكن ان تخيف هذا المربد الوجه ، المتجهم الجبين ، المتحفز لاكثر من الرد .

لم يجد بدا من الاستدراك والايضاح ، فقال :

ـ انا لا اعني ذلك النظام . بل اعني هجومك الشخصي علينا ، في احدى المناسبات .

وبدا من ادارة الحوار الى هذه الوجهة الجديدة ، ان رئيس التحرير قد اسقط في يده . فهو يرى ان لا فائدة من الاصرار على التصنع والنفاق ، والتقنع وراء خزعبلات لا تجدي . ولم يستطع الكشف عن الدافع الحقيقي لهجومه المبطن بالغل . او هو لم يقو على ذلك .

وانفتحت امام المصاب في كرامة حضوره ، كوة صغيرة تطل منها حقيقة الموقف .

اما صديقه المحرر فقد لزم الصمت . ولم يتخذ جانب الدفاع عن صديقه . كأنما المشكلة لا تعنيه من قريب او بعيد .

ربما كان ضحية ظروفه الطاحنة . انه حجر بين شاقوفين . يخاف ان يخسر وظيفته او صديقه . وآثر ، على ما يبدو ، ان يخسر الصديق ، لا ان يخسر معاشه .

والا فكيف يستطيع متابعة علاقته باحدى العاهرات . وتصدر الموائد الممدودة الخوان في المطاعم . والظهور بالمظهر الانيق والثري امام الآخرين ؟ وفوق ذلك كله من ابي يأتي ، لامه المريضة ، بالدواء ، ولابيه العاجز بمصروفه اليومي ؟

جبن عن التدخل . واتخذ صفة المراقب المحايد ، في موقف لا يعترف بالتخاذل . لكن اذنه سجلت بقية الحوار .

ـ ولو يا استاذ ! ان من يتصدى للعمل العام ، لا يجوز له مقابلة الناس بهذه الطريقة . لا سيما وانت تظهر بمظهر الدفاع عن حرية الرأي في جريدتك . (ولم يقل له خديعة وتمويها على القراء !) .

ساد الصمت العاصف برهة ترقب . ثم توبع الحديث :

ـ تقول لي : كيف تسمح لنفسك بالمجيء الى عندنا . وانت تهاجمنا . واقول : انا لم اهاجمك . بل ، على العكس ، دافعت عنك في لقاء المحررين الاخير . (ولم يقل له : لقد غامرت في اسكات احد الذين تناولوك بالهجوم والتجريح ، بطريقة عجبت نفسي من وقاحتها . وانتظرت منك الشكر فحسب . لا الهجوم !) وتابع :

ـ اما اذا كان مكتبك يضيق بوجودي فاني اغادره على الفور . وسع الله « محلاتك » .

لم يند عنه ، رغم الحوار العاصف ، الغاضب ، اية شتيمة . او استفزاز شخصي . انه يقف على ارض رخوة ، كلها ضده . فقد تجاوز رئيس التحرير ، اللياقة المتعارف عليها في الاوساط الصحفية .

واحس الزائر ان مرجل الغضب الذي اثير في صدره ، لم يخمد تماما . وفي معادلة شخصية سريعة ، مع نفسه ، اكتفى بهذا القدر من الكلام .

انتظر ان يتدخل صديقه . فلم ينجده . ربما لانه وجد ان موقفه قوي ، لا يتطلب المساعدة . ولكنه لاحظ ، في غابة وجهه الكثيفة الغيوم ، مزيجا من الارتياح ومن الاحساس بالذنب ، في آن معا .

ومات في صدره شيء لا يعرف كنهه . ابحر به بعيدا عن واقعه ، وانتقل به الى حالة نفسية اخرى .

لقد تجمد الكلام على شفتيه . وران الصمت . بعد ان كان ، للحظات ، سيلا يجرف ، وابرا تخز . وانهار جدار بينه وبين خصمه ، فيما ارتفع جدار آخر ازاء صديقه ...

احس انه اصبح اكثر فهما لرئيس التحرير . فقد صارحه بما في صدره . وليس يهم ما تكون طبيعة هذه المصارحة . فيما احس انه يبتعد ، بشدة ، عن صديقه .

عشرات ..... المتبادلة بينهما كانت زائفة الود ، مفتعلة الحرارة . حاول مرارا ان يتخطى هذه المرحلة في علاقتهما : ان يكسرها ، او ان يزيدها تماسكا . وكان يتقلص على نفسه ، ويؤجل هذا التصرف . انه يجبن ، حينا ، عن المصارحة . لئلا



ويرتفع الجدار

الى ابنتي دانه

بقلم عادل الاعور



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بأس وامل

لم أزل حيرى بوادي الظلمات ... ويح نفسي من أفانين الامل
أدفن الاحزان في قبر الموات ... أسكب الاشجان في شعر الغزل
قد سمعت الطير يشدو ويبين ... ورأيت البدر نورا كاملا
وسمعت الليل يشكو في أنين ... رغم أن الضوء يسري هائلا
قد سمعت الشاعر المسكين يشدو ... في حنين وبكاء مستمر
ينظم الاشعار تدوي ثم تغدو ... بعد حين ومضة لا تستقر
ليت شعري اي نفس ليس يرجو ... كل أمن رغم تنكيل الزمن
يحفظ الله امرءا قد راح يسمو ... فوق آفاق البرايا والفتن
قد شجاني ما يعانيه الاناس ... من عذاب وشقاء ولغوب
لهف نفسي أي خير في انتكاس ... أي جدوى عند دنيانا الكذوب
شفني الحزن الذي غش الورى ... وأحال الكون عندي كالقتام
كلما جلت بعيني كي أرى ... لم أجد الا ظلاما في ظلام
سوف ننسى ما شربنا من كؤوس ... سوف ننسى ما لقينا من عناء
سوف ننسى ما فقدنا من شموس ... كي نلاقي ما افتقدنا من ضياء
سوف نرسو فوق شط من رمال ... سوف نلهو عند موسيقى المياه
سوف نحظى بشذى تلك الظلال ... سوف نحيا بالاماني في الحياه
سوف نسمو فوق أوهام البرايا ... حيث نحيا في هدوء وابتسام
حيث ننجو من ملمات المنايا ... ونرى الدنيا وقد زال الظلام
سنظل العمر نشدو كالطيور ... ونبيت الليل في نوم عميق
حيث لا وهم ولا قلب يثور ... بل حياة كلها حب رقيق

عين شمس ــ مصر

جميلة العلايلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يساء فهمه ، ليس الا . وخسارة صداقة ، مهما كانت ، تمضه وتقتل فيه بعض لذة العيش .

اوليست صداقة الزمالة ، انماء خزفيا او زجاجيا ، ان لم يعرف الطرفان مداراته ، انكسر . ولا سبيل الى التحامه من جديد ؟ في حين يعرف ، تماما ، ان الصداقة الاصيلة والحقيقية ، هي خدينة المصارحة ، والا فقدت مبرر استمرارها وديمومتها .

ويتعافى ، من صمته ، على يد رئيس التحرير تمتد اليه مصافحة ، معتذرة . ولم يعجب . ما دام يعلم انه لم يسيء اليه . والفى يده تمتد وتنبسط ، دون ان تقع في خطيئة الحقد ، فقد اعيد اليه اعتباره امام نفسه ، او صديقه على الاقل .

وتنحل عقدة لسان الصديق ، لاول مرة الآن ، فيقول :

ــ اعذره . انه ضحية سوء فهم.

ويتضاحك وهو يضيف :

ــ بسيطه . اقعد . لا تذهب . سأطلب لك القهوة .

ولم يجب . بل لزم الصمت .

هل يكون الانسان على غير استعداد طبيعي لتقبل الخسارة ، في حين يتقدم الصفوف للمشاركة في الربح ؟

لقد اتخذ الصديق جانب الحيطة والحذر ، طيلة الدقائق السابقة ، لئلا يصيبه من المشكلة رذاذ مكروه . وها هو ، الآن ، يعرض خدماته في غير موضعها او وقتها .

لم يقل له شيئا . رفض قهوته ، بتهذيب ، وانصرف .

عادل الاعور



ألوان وألحان

شعر زكي قنصل ــ ٢٥٢ صفحة ــ طبع في دار « ميسلون » للطباعة والنشر بوانس ايرس ــ الارجنتين ــ سنة ١٩٧٨

ما قرأت ديوانا جديدا لأخي في العروبة والشعر ، الشاعر الملهم زكي قنصل الا رأيت فيه وثبات جديدة ، قصرت عن مجاراتها دواوينه السابقة ، وهذا هو شأن الشعراء الخالدين ، الذي يضعون قدما في الارض ، وراسا في سماء الخلود والالهام .

وأشهد ان أخوي القنصلين (الياس وزكي) لم يزوداني بكتاب او ديوان لهما حتى اترك كل ما لدي من مقالات ومؤلفات وقصائد بدأت بنظمها ، وانصرف الى قراءة ما يكتبانه ، لان روحيهما العبقريتين تمليان عليهما ما ينظمان او يكتبان ، فتمتزج روحي بروحيهما لنصبح روحا واحدة ، ونقرأ معا ما ينظمان او يكتبان . وما ذلك الا لاننا ــ كما يخيل الي ــ رضعنا حب العروبة ، واللغة العربية ، والوحدة العربية الشاملة ، من ثدي مقدس واحد .

وأشهد ايضا ان الشعر لم يخب نوره في المهجر ، ولو لم يبق من شعرائه سوى اخي الشاعر القروي الخالد ، المقيم بين ظهرانينا الآن ، وأخوي الشاعرين المطبوعين المبدعين الياس وزكي قنصل ، المقيمين في الارجنتين ، لكفى ان يكون ذلك حافزا لنا الى رفع رؤوسنا عالية بهؤلاء الثلاثة وحدهم ، فكيف الحال ولدينا اضعاف اضعاف هذا العدد ، الذي سيزداد من الآن فصاعدا ، بعد افواج المهاجرين ، الذين حملتهم الحرب الاهلية اللبنانية الطاحنة على هجر وطنهم الجميل الفتان ، للاقامة في جميع بلدان العالم ، التي فتحت لهم صدرها ، والذين لن يلبث شوقهم الجامح الى وطنهم الذي غادروه مرغمين ، حتى يدفعهم الى الحنين اليه ، والتغزل بجماله ، ونظم أروع القصائد فيه ، كما فعل جميع الشعراء الذين هاجروا قبلهم .

ولأعد الآن الى ديوان « ألوان وألحان » ، الذي تشبث بلبي حتى قرأته كله ، وهذه هي ملحوظاتي عنه :

أعجبت كثيرا بمقدمته ، ونزلت عباراته عن الشعر الحديث بردا وسلاما على قلبي ، وقد اقتبستها لكتابي المخطوط « الشعر العربي الحديث المنثور » . فمنها قوله :

« لا يمكن للشعر ان يستغني عن الوزن والقافية ، ومن الجناية ان نشعل فيهما النار ، بحجة ان الموسيقى الداخلية تقوم مقامهما وتغني عنهما . ان الموسيقى الداخلية اسطورة لا تثبت للامتحان ، وفي يقيني انها على طريق الافلاس ، ان لم تكن قد افلست ، وانتهى امرها » .

« والحفاظ على مقومات الشعر لا يمنع من تنويع القوافي ، والتنقل بين الاوزان ، ولكن على ان تراعى شروط الذوق السليم ، ويواءم بين الانغام ، وتربط الخيوط بلباقة » .

« هل يجوز ان نستنفد طاقات القارىء في الطلاسم والاحاجي ، ثم نزعم اننا نكتب للعامة ؟ الشعر لا يعيش في الكهوف المظلمة ، بل هو في حاجة الى النور والهواء ، وانا افهم ان يتبرقع بنقاب شفاف ، فذلك أوقع في النفس وانبه للذهن ، ولكني ضد « قبعات الاخفاء » ، وضد اساليب المشعوذين في استخراج الارانب من الاكمام » .

« وما اصدق من قال : لو كان الغموض شعرا ، لكان الصمت اعلى مراتب الشعر » .

وختم الشاعر مقدمته بقوله : « واذا بدا شيء من التناقض الفكري في شعري ، فمرده الى ان ظروفا خاصة تطرأ احيانا على بعض المفاهيم ، فتنقلها من حال الى حال ، او على بعض الوجوه ، فتغير في الملامح وتعبث بالسمات . المهم في نظري ان يتحرك الشعر في اطار من الحرية والاصالة لا يشوبه وجل او خجل » . وانا أؤيده في رأيه الصحيح هذا كل التأييد .

ثم أورد الشاعر نبذا مما كتبه عنه عدد كبير من ادباء العالم العربي ، فذكر ما امتدحوه به ، وما هاجمه به فؤاد شاكر ، الذي لم يكتف بمهاجمته ، بل هاجم معه شعراء المهجر ، الذين لا يزالون يهتمون بالوزن والقافية ، وهذه جرأة من الشاعر ، وظلم فادح من الناقد ، الذي جرد الشعر من الوزن والقافية ، واسماه شعرا . واعتمادا على تعريفه الشعر هذا ، يكون نثر المنفلوطي واحمد حسن الزيات ومصطفى صادق الرافعي شعرا أيضا .

اما قصيدته « رجعي » فهي من قمم قصائد الديوان ، وفيها خلاصة فلسفته في الحياة ، وفيها يقول :

بريت رقاب أعدائي ... بسيف غير ذي نصل
اذا حشدوا وسائلهم ... حشدت لهم معداتي
يفل سيوفهم صفحي ... واقهرهم ببسماتي

وتليها قصيدة « الموسجة الخضراء » ، وهي من عيون الشعر العالمي الخالد ، وفيها روح انسانية سامية . وارشحها للترجمة الى لغات العالم الحية . وقصيدته « احب جاري » لو لم يكن فيها سوى هذا البيت :

انا الكثير باخواني فان ذهبوا ... عني ، فما انا في دنياي من احد

لكانت جديرة بان تفتح لها ابواب الخلود . وجاء في قصيدته « الاديب » وصف صادق للاديب العربي حين قال عنه :

ألف الهم فلو فارقه ... حل فيه لفراق الهم هم

واحسن حين ختمها بقوله :

ان ما تهدمه حزبية ... من حصون الود ، يبنيه القلم

وفي قصيدته « يا شام » دعوة حارة لمحاربة الاغتراب ، حين يقول :

قالوا : تغرب ، فارض الله واسعة ... والخير في الغرب موفور لراجيه
ان لم يلن مضجع الانسان في وطن ... فالهجر من علة الحرمان يشفيه
ما كان اسخفني لما استجبت لهم ... واغتر طرفي بتزوير وتمويه

وقد احسن ، في قصيدته « براعم الفجر » ، حين وصف مساوىء الامة العربية في هذا القرن المنحوس ، الذي نطحنا فادمانا ، بقوله :

نحن جيل الفناء نبني على الرمل ، فيهوي البناء اثر البناء
ندعي العلم ، وهو منا بريء ... أي علم يدعو الى البغضاء
وطنياتنا معارض هرج ... وبطولاتنا ملاقي هراء
قد زرعنا طريقنا بالضحايا ... وكتبنا تاريخنا بالدماء
لا تعيروا أسماعكم لدعاوانا ، فانا نعيش في الظلماء

ويحمل فيها على اليمين واليسار كليهما بقوله :

من يمين يسوقنا لهوان ... ويسار يقودنا لفناء

وفي قصيدته « تفاح لبنان » غزل احمر ، لكنه رائع ، جاء فيه :

نغوص في الليل يطوينا بجبته ... كاننا في ضمير الليل اسرار
للزهر من حولنا غمز ووشوشة ... وللنسائم جولات واسفار
لا تغرك العذب ممنوع علي ، ولا ... يرد كفي عن ... انذار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اعجبني قوله في قصيدته « هواجس جندي » :

النار ؟ ليس النار غير خرافة لولا وجود الجهل مات النار

وابدع في قصيدته « في محراب العروبة » ، حين قال :

ان العروبة محراب نطوف بسه سجدت لاسمك يا ربي بمحرابي

اما قصيدته « صلاة » ففيها تفاؤل وانفتاح على الدنيا ، وقد جاء فيها :

وتركت الشكوى لكل ضعيف ووهبت البكاء للخنساء
ضرستني الارزاء مدا وجزرا ثم قرت غوائل الارزاء
رضتها بالجلاد حينا ، وحينا رضتها باتسامة استعلاء
من يعش خائفا يمت كل يوم يقهر الموت من يعش بالرجاء
عشت بابني ، وبابنه سوف يحيا حلقات بدان من حواء

وقد كتبت في خاتمة هذه القصيدة : فيها ايمان بالله ، وقوة ، وأمل ، وفال ، ورحابة صدر . وهي من قصائد القرن العشرين الخالدة .

وقال في قصيدته « روائح الشام » ابياته الرائعة الآتية :

ويح التجارة من يركب مطيتها يركب مطية اكدار وأهوال
شاكت فراشي ، فلا والله ما انعقدت عيناي الا على هم وبلبال
وحجرتني ، فما الارقام في نظري الا أراقم تسعى خلف أصلال

وفي قصيدته « أحب بني أمي » ، كان بيت القصيد فيها :

ومن يتسلح بالضلال ، فلا يقل حسامي بكفي، بل حسامي في نحري

وقد اعجبني قوله عن الشعر الحديث :

يسمى عندهم شعرا جديدا وارحمه فادعوه نعيبا

وحلق حين قال في رثائه الرائع لشفيق المعلوف ، حين قال :

يموت الحر من عطش وجوع اذا ما القوت كلفه خنوعا
وقد يبدي الخضوع لذات دل ولا يبدي لذي ناب خضوعا

وأبدع حين قال في قصيدته « ضلال الهوى » :

لا انقذ الله قلبي من وساوسه لولا ضلال الهوى لم أعرف الله

اما قصيدته « منضد الحروف » فموضوعها طريف ، وأبياتها دمها خفيف .

وظهر اله المبرح لنكبة لبنان الفادحة ، التي بدأت عام ١٩٧٥ ، ولا نزال مؤججة اللظى الى يومنا هذا ، اذ قال :

تبت يد مزقته الف طائفة وأطلقت بينها الاحقاد تشتجر
وحولت جنة الفردوس مقبرة للحب ، يسرح فيها الموت والخطر
ليبرأ الدين مما باسمه ارتكبوا ويبرأ الحق ممن باسمه اتجروا
الدين يدعو الى حب ومغفرة أين الذين احبوا ؟ أين من غفروا

وفي قصيدته « رسول الارز » هزني قوله :

لبنان في نظري نشيد خالد عبق بانفاس الهوى والراح
وقصيدة صاغ الاله عقودها من نخوة عربية وسماح
الضاد تجمعنا اذا انتسب الورى وبواعث الافراح والاتراح

وقوله :

ولي زمان الطائفية ، وانطوى علم عتا بمنافق ووقاح

وقوله :

انا ، وان كره الدخيل ، بقية من عترة العربية الاقحاح
ورثت شبيبتنا خشونة خالد وشيوخنا وطنية الجراح

ويا ليته قال : « بطولة » بدلا من « خشونة » ، التي نظلم « خالدا » ان وصفناه بها .

اما قصيدته « ساعي البريد » ففيها وصف رائع له ، وحنين شديد لوالدته في الوطن . وانا أوصي كل قارىء ، لديه هذا الديوان النفيس ، بقراءة القصيدة كلها ، ليرى كيف يكمن السحر في البيان .

ومسك ختام قصائد الديوان معلقته الخالدة ، التي نظمها في ذكرى اربعين المتنبي بعد الالف ، والتي تقع في ٢٢٠ بيتا ، والتي جاء فيها :

يا شاعر الدهر ضيعنا حميتنا واسود ما ابيض من تاريخنا الذهبي
هنا ، وهانت على الباغي كرامتنا وأصبحت أرضنا نهبا لمنتهب

ووصف فيها الشعراء المحدثين بقوله :

هاموا بسفسطة الالفاز،واصطنعوا للهزل والهذر تمثالا واكليلا
من برج بابل قد جاءت بضاعتهم فاتت تفهم منها غير ما قيلا
تحنو عليهم من النقاد شرذمة تعلموا النقد تزميرا وتطبيلا

ثم قا لايضا :

عار علينا ــ ونحن الاكرمون أبا ــ أن يصبح الشعر بوقا عند قراد

وفيها انصف شوقي ايضا كالمتنبي ، حين قال :

كلاكما كوكب للمجد مؤتلق كلاكما علم في الشعر خفاق

وأبدع حين قارن المتنبي بسيف الدولة قائلا له :

ان كان أعطاك مما في يديه ، فقد غمرته بعطايا قلبك الصابي
مضت هداياه ... أما ما بذلت له فسوف يبقى لأحقاب وأحقاب

وقال عن سيف الدولة مخاطبا المتنبي ايضا :

لولاك لاندثر اسما ، وانطوى خبرا فليس يخلد لولا الشعر ججاج

وجاء فيها بيته الخالد :

قد يأكل الحر من صخر ، ويهضمه اذا تأبى على جانيه نفاح

وقبيل ختامها ، أجاد في وصف نكبة لبنان الاخيرة ، حين قال :

تناهشته نيوب الغدر ، واجتمعت على بقاياه ذؤبان وعقبان
هذا الذي هدت الدنيا حضارته لم يبق منه ومن ماضيه عنوان

ثم يخاطب لبنان قائلا :

لبنان ! جرحك في قلبي ، فما ذرفت عيناك الا دما من مهجتي يكف
لكل قوم ، اذا ما قاتلوا ، هدف الا اقتتالك لم يعرف له هدف

اما غزله الرقيق في فتاة احلامه (غلواء) ، واكثاره من ذكرها في شعره ، فيحملانني على ان اطلق عليه اسم « مجنون غلواء » ، كما اطلقوا على اسم (مجنون سلمى) ، وعلى قيس مجنون ليلى ، وعلى كثير مجنون عزة ، وصدق الشاعر الذي قال :

وكل الناس مجنون ، ولكن على قدر الهوى كان الجنون

ولما كان وجه البدر الفتان ، لا يخلو من الكلف ، والورد الارج لا يخلو من الشوك ، واللؤلؤ والدر من الصدف ، فان ديوان « ألوان والحان » الرائع الخالد يحملني على ابداء الملحوظات الآتية :

في الديوان بعض الاخطاء المطبعية ، شان جميع مطبوعاتنا العربية ، وبعض القصائد تخلو من ذكر التاريخ والبلد الذي نظمت فيه القصيدة . فنحن نطلب من الشاعر ، وهو في سن الستين غير ما نطلبه منه وهو في سن الاربعين .

ومما لا اوافقه عليه قوله : « لا يبتدي » بدلا من (لا يبتدىء) ، لان معنى (ابتدى) : ذهب الى البادية .

وقوله (انطفاء البدر) ، والصواب : أفوله ، لان الذي ينطفىء لا يعود الى الاشتعال ، كما يعود البدر الى الطلوع .

ويصف نفسه في قصيدة « يا شام » بقوله :

رجلاه في الطين يهوي في مزالقه ونفسه في رحاب الافق تطويه
جار الزمان عليه في تقلبه وصوحت لفحة الرمضاء واديه

وأنا اعجب كيف يتسرب اليأس الى نفس هذا الشاعر وحوله مثل هالة الالهام والخلود هذه ؟ وأتساءل كيف يرضى ان يجور الزمان عليه ، ولا يجور هو او يثور على الزمان ؟

وفي القصيدة نفسها يقصر المهموز فيقول (ظما) بدلا من (ظما) .

اما قوله :

لا يستثير أساه موت بارجة وربما هاج صداح مآقيه

فان غرق الباخرة الخالية من الناس لا يستثير حزن احد غير ربانها ، وبحارتها ، وأسرهم ، واصحابها .

اما قوله :

يا قلب هذي عدن في مغانتها وذاك رضوان يلقانا على الباب

فالصدر مضطرب الوزن والعجز من البحر البسيط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنالك قصيدة موجهة الى شاعر المطر الضائع ، وفيها يبدو انها موجهة الى شخص اسمه (فريد) ، اما من هو (فريد) هذا ، فعلمه (في بطن الشاعر) كما يقولون .

وقد أخطأ حين قال في قصيدته « رسالة الحب » عن جبران : وكيف يسبقنا من ليس يعرفنا الى اغتراف الطلا من نبعه العذب بكسر ذال (عذب) والصواب تسكينها ، لان كلمة ماء عذب (المكسورة الذال) تعني الماء الذي يكثر فيه القذى والطحلب ، وهو عكس ما يريده الشاعر .

وفي قصيدته « يا رفيق الطريق » التي خاطب فيها المسمى (جوادا) لم يذكر لنا من هو جواد هذا ايضا .

هذا هو ديوان « الوان وألحان » ، الذي حاولت اعطاء صورة شاملة عنه ، والذي جعلني ناظمه الملهم أتمتع برحيق وحيه أياما وساعات طوالا .

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

* * *

جماعة تحت السور

تاليف رشيد الذوادي ــ (؟) صفحة ــ منشورات دار عطارد بتونس

أصدر الاديب رشيد الذوادي كتابا جديدا بعنوان « جماعة تحت السور » يقع هذا الكتاب في ٢١٤ صفحة ، احتوى على مقدمة (٣ صفحات) وعلى « اضاءة عن الادب التونسي الحديث » (١٧ صفحة) ، ثم على «جماعة تحت السور » (٦ صفحات) ، ثم على « دوريات اصدروها » (٩٤/٧٦) ، ثم على « شخصيات فنية خرجت من تحت السور » ، ثم على « دراسات : تخص عبد الرزاق كرباكة » ، ومحمد العربي ، وعلي الدعاجي ، ومحمود بو رقيبة ، ومحمود بيرم التونسي ، وغيرهم .

ومن خلال جولة في هذا الكتاب نلمح ان الادب في نظر مؤلفه معاناة وتأمل وتحليل لاوضاع العصر ومشكلاته . وان الاديب الحق ليس كل من يحمل القلم ويخط سطورا على صفحات الزمن ، وانما هو المعبر عن المشاعر الصادقة والعقائدي الذي يحمل فكرة ، ومن يتألم ويشقى ليضيء على غيره .

ومن الآراء التي جاءت في مقدمة كتابه : (لا بد ان يخوض الاديب المعركة لبقاء الاصلح) و (عملية الخلق تؤكد على الاديب ان يبادر بالتأمل في واقع عصره) و (عليه أن يفكر فيما يلمسه من تناقضات تأباها نفسية الاديب كمبدع وكمفكر وواع في أمته) و (الخلق اسهام في صنع الحياة) و (الاديب مسؤول مطالب بأن يتخلص من النزعات والاهتمامات الشخصية، هو لا يصل الى الرفعة والسمو الا اذا اندفع في سبيل صنع الحياة ، وتطهير الضمير) .

وفي « اضاءة عن الادب التونسي الحديث » ابرز رشيد الذوادي جل التيارات الفكرية والادبية التي ظهرت في بلادنا منذ عام ١٩٣٠ (تاريخ احتلال الجزائر) تحدث عن جيل خير الدين التونسي ، وعن جماعة (الرائد الرسمي التونسي) ، وعن عهد الحماية ، وعن الادباء المكافحين فيها ، وعن الوان ومضامين الادب التونسي ، وعن اهم فترات خصوبة هذا الادب (١٩٥٦/١٩١٤) ، وعن تيارات مرحلتي « الوعي الوطني » (١٩٣٩/١٩١٤) والكفاح التحريري (١٩٥٧/١٩٥٢) اذ بعامل هاتين المرحلتين تولد ادب تونسي ، يحمل افكارا تونسية ويعالج اوضاع الشعب وطموحاته .

اما عصر « جماعة تحت السور » (١٩٥٢/١٩١٤) فهو عصر مضطرب بالاحداث قضى الاستعمار فيه على معنويات الشعب التونسي ، وعلى حقوقه وعانت فيه : « جماعة تحت السور » جميع الازمات ، حز في نفوسهم ان تهدر حقوق الشعب والا يصان له شرف ، وان يضيق عليه الخناق ، فثاروا وكافحوا ، وتعرض بعضهم الى السجن والى النفي والتشريد والبطالة ، وحتى الى تعطيل صحيفته وانتاجه .

لقد تألم « جماعة تحت السور » وهم « الحساسون » لما لمحوا الفقر وامتلاء الشوارع بالمتسولين وبالمرضى وبالعاهرات ، وأحسوا بتدهور الوضع الاقتصادي ، الذي اقيم على الاستغلال وعلى انحطاط مستوى العيش ، وغلو الاسعار .

وقد كان لبعض هؤلاء وقفات جريئة ، في التعبير عن اصالة الشعب ، وقدراته الذاتية ويبرز الاديب رشيد الذوادي ، في كتابه مميزات ادب هذه الجماعة ، وجلساتهم وسهراتهم ومراحل نشاطهم في كل من :

ــ المجالس الاولى : (١٩٢٩/١٩١٤) .
ــ المجالس الثانية : (١٩٤٣/١٩٢٩) .
ــ المجالس الثالثة : (١٩٥٢/١٩٤٥) .

وعرفنا رشيد الذوادي في كتابه عن بداية بروز هذه الظاهرة في باب السويقة :(١) (١٩١٤) كظاهرة فنية ، على يد محمد المغيربي ، واحمد بطيخ ، ومحمد القادري ، وخميس العاتي ، وخميس ترنان ، والطاهر عبو ، وموني الجبالي ، وسيمون اميال وغيرهم .

وعن المجالس الثانية التي انعقدت فيها بين اعوام : (١٩٤٣/١٩٢٩) في مقهى « سيدانة » أو مقهى « تحت السور » والتي ابتدأت بالتحاق الشعراء بالموسيقيين ، في جلسات « تحت السور » ثم تبعهم الممثلون والصحافيون والقصاصون والنقاد ، ومن ابرز من كان يحضر هذه المجلسات : كرباكة ، والدعاجي ، والعبيدي ، والمهيدي ، وخريف ، والعروي ، ومحمود بو رقيبة ، وبيرم التونسي ، والهادي الجويني ، وعلي الجندوبي ، ومحمد بن فضيلة ، ومحمد المرزوقي ، ومحمود اصلان ، وعمر الفرايري .

اما المجالس الثالثة (١٩٥٢/١٩٤٥) فيقول عنها المؤلف انها تميزت بقصرها كانت تضم بعض الشعراء ، والصحافيين ، والممثلين ، والموسيقيين ، وتقع كل ليلة . اما في « مقهى خالي علي » أو في « مقهى الغربي » بنهج الكبدة بتونس .

ويلخص الكتاب مذهب هذه الجماعة ، فيما يلي :

ــ تضامنهم في الافراح والاتراح .
ــ تشابههم في المشاعر والاحاسيس .
ــ اتفاقهم على النقمة والتمرد .

ونصل مع المؤلف الى القسم الاخير من كتابه : « ادباء وصحافيون » للتعريف بدورهم في الحياة الاجتماعية والادبية ، وما كان لهم من فضل في ابراز الذاتية التونسية ، ومدى دفعهم لعجلة التطور الذهني ، في تلك الفترة التي كان الشعب التونسي يصارع مرارة البؤس والحرمان من ذلك الدخيل ويبتدىء بـ :

١ ــ عبد الرزاق كرباكة (١٩٤٥/١٩٠١) الاديب الشاعر الذي « مارس مختلف الفنون الادبية طيلة ربع قرن » .

٢ ــ علي الدعاجي (١٩٤٩/١٩٠٩) هذا الكاتب الصحفي الذي كان محبا : « للاسفار(٢) ومن الفنانين المؤمنين بفنهم الى حد التقديس ،

٣ ــ محمود بو رقيبة (١٩٥٦/١٩٠٨) هذا الشاعر الاديب والصحفي كان له دور كبير في اثراء الحياة الادبية ، وتاثير في تطور الاغنية التونسية .

٤ ــ محمد بن فضيلة (١٩٥٧/١٩١١) كان شاعرا بالعامية وداعية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من دعاة الادب الواقعي وممن ناضلوا بجانب الفقراء والمعذبين بوجه عام .

٥ ــ محمود بيرم التونسي (١٨٨٣/١٩٦١) وهذا الكاتب القدير ، والقصاص الخبير والزجال الشهير ، وكان من أبرز الكتاب الذين أحبوا الفن وماتوا في سبيل الفن .

٦ ــ زين العابدين السنوسي (١٩٠١/١٩٦٥) شب طموحا منذ الصغر ، وتعلق بميادين الاصلاح ، وهام بالادب والصحافة والتاريخ منذ نعومة اظفاره ، وكانت مجلة « العالم الادبي » التي كان يصدرها ملتقى لاقلام جماعة تحت السور ، وكان منطلقا لحركة ادبية تونسية صميمة(٣) .

٧ ــ علي الجندوبي (١٩٠٩/١٩٦٦) او شاوش الهيئة الاجتماعية ، كما كان يحلو له ان يلقب نفسه : « لم يحرز على شهادة ، ولا ظفر بزوجة كأبناء الارض ، ولا بأبناء ، ولا ببيت أن كل ما تحصل عليه هو كثرة صداقته للادباء ، والمطربين ، والمطربات » .

٨ ــ احمد خير الدين (١٩٠٦/١٩٦٧) هذا الكاتب الاديب كانت له عدة ميادين فنية تمثلت في الرواية والمسرحية والقصة وقرض الشعر وكتابة الاغاني(٤) .

٩ ــ مصطفى خريف (١٩٠٩/١٩٦٧) خريف الذي عاش بوهيمية وأحب حلقات « تحت السور » وواكب تاريخنا السياسي والفكري اكثر من اربعين سنة .

١٠ ــ محمد الصالح المهيدي (١٩٠٢/١٩٦٩) المهيدي مثقف بلا جدال ، ويعد من جماعة تحت السور المحرز على شهادتين وبالاضافة الى هذا فقد كان من الشبان العصاميين الذين برزوا بفضل تكوينهم الشخصي .

١١ ــ عبد العزيز العروي (١٨٩٨/١٩٧١) وهذا الصحفي اللامع قد ساهم مساهمة كبرى في توعية الجماهير الشعبية عن طريق الاذاعة ، وهو بحق صحفي الشعب ، بما كان له من سحر بيان وقدرة على حبك المواضيع ومعالجتها .

١٢ ــ الهادي العبيدي(٥) « يعد العبيدي من ابرز الصحفيين التونسيين في النصف الثاني من هذا القرن ، فقد مارس جميع الوان الكتابة الصحفية ، ومعظم مواضيع الصحفية الجادة تتناول قضايا الشعب وحرية الوطن ، وكفاح المجاهدين ، ونقد الاوضاع السياسية والاجتماعية والتبشير بالفجر الجديد » صفحة ١٩٩ .

١٣ ــ محمد المرزوقي ، و « تمكن المرزوقي ــ بفضل عصاميته ــ ان يصبح في ١٩٣٥ اصغر مؤلف تونسي في هذا القرن ، حيث نشر وعمره (١٩ سنة) كتيبا صغيرا قدمه له الطيب العنابي وعنوانه : « آراء وعقيدة ابي العلاء المعري » صفحة ٢٠٥ .

هذه رحلة مع المؤلف ليست مكتملة ، بل هي وقفة في الطريق المفتوح ، تبرز لك الملامح الاساسية « لعالم تحت السور » وتعد هذه الدراسة نقطة انطلاق لزيادة العناية بدراسة هذه الحقبة من تاريخ ادبنا التونسي الحديث .

---

(١) ــ شارع شعبي من شوارع عاصمة تونس .

(٢) له كتاب « جولة بين حانات البحر الابيض المتوسط » .
ومن المولعين باللهو والنكتة » .

(٣) ــ راجع « ادباء تونسيون » لرشيد الذوادي ط ٢ تونس عام ١٩٧٦ صفحات : (١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤) .

(٤) ــ لهذا الكاتب ديوان شعر وكتاب جمعت اغانيه .

(٥) ــ هو رئيس تحرير « الصباح » حاليا : اديب ذواقة وصحفي لامع اصدر جريدتين أسبوعيتين : « الصريح » و « الفرز ذو » .

تونس — الحبيب هولة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١
بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



احمد حسين الطماوي

هوامش نقدية

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

هذه هوامش نقدية نتابع فيها الكتاب ، ونراجع فيها المقالات ، وننبه على زلات الاقلام ، ونعين مريض الكلام ، عندما تصبح الحقيقة نائية ، والصواب بعيدا ، وليس القصد منها ابراز التفوق ، او المفاخرة بالمعارف ، وانما الهدف ايضاح الحقائق ، وتمحيص الوقائع ، وتحري الاخبار قبل ان تثبت في الذهن ، وتتجاوب مع النفس ، وتتناقلها الشفاه ، ويتداولها القراء ، وخاصة اذا كانت هذه المقولات من ارباب الاقلام المستطيعة ، واصحاب الكتابات المستفيضة ، مما يجعل المتلقي يتقبل ما يسطرون بنفس رائقة مطمئنة ، وهو لا يدري ان ما يقراه اغاليط وغرائب ، واباطيل لا حقائق .

١ ــ مجالس الخلفاء والوزراء

نشر « الاهرام » في صفحة « دنيا الثقافة » مقالا تحت عنوان « ثقافة التسلية ومجالس الانس » للدكتور سمير سرحان تحدث فيه عن « مجالس الانس والطرب التي كانت تعقد في تصور الخلفاء في ــ عصور انحطاط الادب العربي ــ » وضرب مثلا بالخليفة المتوكل الذي اجزل العطاء للبحتري بعد انشاده قصيدة ، ثم تقدم الشاعر ابو العنبس الصيمري ، وعارض قصيدة البحتري وهجاه فضحك الخليفة ومنح ابا العنبس « جائزة مساوية لجائزة البحتري » « والغرض في الحالتين ان يسر الخليفة » ونعجب كل العجب من وصف الدكتور سرحان لعصر البحتري بانه عصر انحطاط الادب ، وهو العصر الزاخر بعماليق الادب العربي الذين نتماجد بهم في كل العصور ، من امثال البحتري وابن الرومي ، وابي تمام ، والجاحظ وابن المعتز وغيرهم (القرن الثالث الهجري) ولو لم يكن في هذا العصر غير هؤلاء لكفاه ان يكون عصر الرقي الادبي .

ويقول الدكتور « اما القيمة الفنية او الفكرية للقصيدة التي يلقيها الشاعر مثلا فهي ليست محل نظر من مجلس السمار ولا تعنيهم في شيء » .وكان الدكتور يحدث قوما يجهلون ادبهم وتاريخه ، وهل هذا المثال الذي جرى بين المتوكل والبحتري وابي العنبس يجعل الدكتور يعمم الحكم على مجالس الفكر عند الخلفاء والوزراء ، وينعتها بأنها مجالس تسلية وترفيه ، وان القصائد لم تكن محل نظر من السامعين . لقد كان الخليفة المتوكل يقول اذا اعجبه قول البحتري « احسنت والله يا بحتري جئت بما في نفسي » ولما انشد البحتري قصيدته « ردي على المشتاق بعض رقاده » طلب المتوكل من البحتري ان يعيد الابيات فاعادها فقال « آمين » وهذا يعني انه يطرب للشعر الجيد ، وعندما القى البحتري امام الفتح بن خاقان وزير المتوكل قصيدته « هب الدار ردت رجع ما انت قائله » اعجب بها الفتح حتى قال عنه البحتري « رايته يبتسم عند كل بيت جيد فعلمت انه يعرف الشعر » اي يتذوقه ويقدر اخيلته (انظر كتاب اخبار البحتري للصولي) .. وهذا يعني ان الشعر لم يكن يلقى للاستمتاع فقط بل لتقديره ، وتقدير قائله ، ويكفي ان يحضر البحتري احد المجالس ليكون مجلسا مفيدا . ومما يروى انه عندما انشد قول الحطيئة امام عمر بن الخطاب :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

« قال عمر كذب . بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم » . وقال عمر عن الحطيئة ايضا : « كذب الحطيئة حيث يقول :

وان جياد الخيل لا تستفزنا ولا جاعلات الربط فوق المعاصم

لو ترك هذا احد لتركه رسول الله (ص) » (الاغاني ج ٢ ط دار الكتب) وهذا يعني ان الشعر الذي كان يلقى ، كان محل نظر من الخلفاء ، وعندما انشد مخارق بيت هلال بن اسعر المازني للرشيد :

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

بكى الرشيد واعتق مخارق ومنحه العطايا ، مما يفيد ان الخلفاء كانوا يتأثرون بمعاني الشعر الجيد حتى البكاء وعتق الرقيق ، ولم يكن الهدف هو الترفيه فقط كما يزعم الدكتور ، اما الخليفة المنصور فقد كان يبحث عن الشعراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنقاء ليعظوه ؛ وعندما مات ابنه الاكبر وحزن عليه حزنا شديدا طلب من حاجبه « الربيع » ان يأتيه بمن ينشده قصيدة ابي ذؤيب الهذلي «لمن المنون وريبها تتوجع» وما اظن ان ابا جعفر المنصور كان يبحث عمن ينشده هذه القصيدة للتسلية والترفيه والامتاع . وفي مجلس الوزير ابن الفرات جرت المناظرة الشهيرة بين ابي بشرمتى وابي سعيد السيرافي في النحو والمنطق ، وتناولت المحاورة ادق مسائل اللغة والفلسفة مما يؤكد ان مجالس الفكر عند هؤلاء لم تكن تسلية ولهوا ، وكان سيف الدولة ينتقد ابياتا للمتنبي وفي « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » ينتقد سيف الدولة قول المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال له « بيتك لم يلتئم شطراهما » وعدل الشطرات على هذا النحو :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة كانك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي لسيف الدولة « ان الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك ، لان البزاز يعلم جملته ، والحائك يعلم تفاصيله » واقنع المتنبي سيف الدولة بحسن صياغته ، وتلاؤم شطرات شعره ، وهذا يدل على ان القصائد التي تنشد كان يجري حولها نقاش دقيق ، ولا تسمح على علاتها وتفوز في النهاية بالتصفيق والعطايا . وحينما انشد المتنبي قصيدته الميمية « واحر قلباه ممن قلبه شبم » قاطعه ابو فراس في كثير من ابياتها زاعما ان معاني المتنبي في هذه القصيدة مبروقة من دعبل وعمرو بن عروة والهيثم النخعي ومعقل العجلي وغيرهم ، ولا يعني هذا الا ان السمار كانوا ينظرون في المادة الشعرية ويزاجعون مضمونها ، ويكشفون عن المصادر التي استقى منها الشاعر معانيه .

ولا نذهب في القول الى ان مجالس الادب عند الخلفاء والوزراء كانت جدا خالصا ، وانما كانت تتخللها النوادر والملح والفكاهة ، وقد قال المعتز مرة للبحتري « ان النفس تمل الاجود فتتلهى بما هو دونه » وكان على الدكتور سرحان ان يتحرى الدقة ، ويتلب صفحات الادب ، قبل ان يصدر حكما متكئا على مثال واحد .

٢ ــ اقوال خاطئة عن العقاد

قال الاستاذ فاروق جويدة المشرف على صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام في مقال بتاريخ ٧٩/٢/١٢ تحت عنوان « كبرياء الكاتب » : « ويختلف العقاد مع الوفد ويخرج شاهرا قلمه ، ويلتقي بالنحاس باشا رئيس حكومة الوفد في الاسكندرية ويثور جدل كبير بينهما ويمسك العقاد قلمه الرصاص ويقول لزعيم الوفد : لن تنتهي برية هذا القلم الا بسقوط وزارتك » .

وجلية الامر ان النحاس باشا في هذه الحادثة لم يكن رئيسا للحكومة . وانما الذي كان في الحكم هو نسيم باشا حيث تولى الوزارة للمرة الثانية عام ١٩٣٤ ، وعندما لم يعد الدستور الذي كان امنية الامة على يديه ، هاجمه العقاد باعتباره كاتب الوفد ، وكان زعيم الوفد النحاس باشا يؤيد وزارة نسيم باشا لذلك استدعى العقاد وحثه على وقف الحملة على الوزارة النسيمية ، وثار جدل عنيف . واخرج العقاد قلمه الرصاص ، وقال ما معناه ان وزارة نسيم ستسقط قبل ان ينتهي هذا القلم(١) ، اذن لم يقل العقاد هذه العبارة في صدد اسقاط حكومة النحاس ، وانما لاسقاط وزارة نسيم التي كان يؤيدها زعيم الوفد ، ويبدو ان الاستاذ المشرف على صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام يكتب وقائع التاريخ من ذاكرته ، أو من حكايات الآخرين ، ولا يكلف نفسه عناء البحث ، وتمحيص الاخبار ، فجاء مقاله والخطا يلازمه .

وذكرت الدكتوره نعمات احمد فؤاد في صحيفة دنيا الثقافة بالاهرام بتاريخ ٧٩/٣/١٢ ما نصه : (كان العقاد موقفا يوم قدم اليه رئيس الجمهورية السابق جائزة الدولة التقديرية في الآداب فقال امامه : « ان الامة قرات فقدرت فقررت . وان دولة الفكر تسبق دولة الحكم . بل هي التي تقودها ») .

وقد رجعنا الى خطبة العقاد التي القاها في ديسمبر ١٩٦٠ امام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في حفل اقيم بجامعة القاهرة ، ونشرتها مجلة « الهلال » في عدد فبراير ١٩٦١ فلم نجد العبارة الاولى وهي « ان الامة قرات فقدرت فقررت » اما العبارة الثانية « وان دولة الفكر تسبق دولة الحكم . بل هي التي تقودها » لم ترد في الخطبة كما روت الدكتوره ، اما عبارة العقاد فقد جاءت على هذا النحو : « تلك هي جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم » وهناك فارق كبير بين العبارتين لا يخفى على القارىء ، ولو اراد العقاد ان يقول ما قالته الدكتوره على لسانه لقال ، فما كانت تنقصه الشجاعة ، وان ما قاله العقاد امام عبد الناصر كان كافيا للتعبير عن كرامته وكرامة الادب ، ولم تكن الدكتوره في حاجة الى التزيد والتعديل في كلام العقاد لتبرهن على اعتداده بنفسه ، وتاكيد فحولته وشهامته . اما اذا كانت الدكتوره تكتب من ذاكرتها دون الرجوع الى النص الاصلي في مظانه ، ودون تحقيق او توثيق ، فكان يجب عليها الا تضع كلام العقاد بين قوسين . لان الاقواس من علامات التنصيص ، وان ما بينها نص القول ، والخطورة الكبيرة في هذا ؛ ان يعتمد باحث على ما نسبته الدكتوره الى العقاد وينقله عنها بنصه فيقع في الخطا ، وهكذا يمكن ان يكون الكاتب قدوة غير حسنة لغيره . وقد يكون الباحث الذي يستند الى هذه الاقوال المحرفة لا يعذره ، ذلك ان هذا الكلام تقدمه اليه كاتبة شهيرة ، لها كتابات كثيرة ، وفي صحيفة يومية عريقة هي الاهرام . واذا حرفنا في كلام العقاد الذي لم يمض على

وفاته الا خمسة عشر عاما وعدة شهور فماذا نفعل في النصوص التي مضى عليها اكثر من الف عام ؟

٣ ــ نابليون دخل موسكو

تحدث الاستاذ مصطفى بهجت بدوي في صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام بتاريخ ١٩٧٨/١٢/٢٤ عن روسيا « ومقاومتها الاسطورية التي ردت وحطمت جحافل الغزاة مرتين خفاتتين نحرت في احداهما نابليون امام موسكو ، وفي الثانية هتلر امام ستالينجراد » انتهى .

وكلمات الكاتب ردت ... وحطمت ... ونحرت تفيد ان نابليون لم يدخل موسكو بل رد وحطم ونحر ولم يحتل بجيشه المدينة ، واذا صدق ذلك على جيوش هتلر في ستالينجراد ، فانه لا يصدق على نابليون في عدم دخوله موسكو ، وحقيقة الامر ان نابليون قاد حملة على روسيا في صيف ١٨١٢ ، ولما ايقن الروس انهم لن يستطيعوا مواجهة الجيش الفرنسي قرروا الانسحاب من طريقه ، واتلاف كل ما يمكن ان يستفيد منه جند نابليون ، ووصل الامر الى حرق مدينة سمولنسك ، وعلى ابواب موسكو اشتبك نابليون مع قائد الروس كوتوبسوف عند بورديتو ، ومع ان الخسائر كانت جسيمة في الجانبين ، الا ان الهزيمة كانت من نصيب الروس ، واصبح بذلك الطريق مفتوحا الى موسكو امام الفرنسيين ، واحرق القائد الروسي المهزوم كل القرى على طريق موسكو ، وفي نفس الوقت اعد رستونجين حاكم موسكو خطة لحرقها ومع ذلك دخل نابليون المدينة في سبتمبر ١٨١٢ ، وجلس على عرش القيصر في الكرملين حتى ١٨ اكتوبر ١٨١٢ ، لعل القيصر يحضر اليه ويستجيب الى مطالبه ، ولكن القيصر لم يفعل ذلك ، فقرر الامبراطور العودة الى فرنسا ، وفي طريق عودته هطلت الثلوج فمات الكثير من جنوده بفعل الطبيعة ، فلا يرجع فشل حملة نابليون على روسيا الى بأس الروس وقوتهم ، ولكن كما يقول فيشر « الى اسباب نقشت نقشا عميقا على وجه الطبيعة . وهي اسباب ليس في مقدور اية قوة بشرية مهما تعظم ان تتغلب عليها » . والخلاصة ان الروس لم يقاوموا نابليون بالقتال المباشر في كل الاحوال ، وانما واجهوه بحرق مدنهم ، وتخريب ريفهم ، اذن فاين المقاومة الاسطورية التي ردت وحطمت ونحرت نابليون امام موسكو ، وكيف حدث ذلك وكتب التاريخ تذكر انه دخلها وجلس على عرش حاكمها ؟

تعقيب : هذه نماذج مما تنشره صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام والتي يشرف عليها الاستاذ فاروق جويدة ، واذكر الاستاذ المشرف بكلمة قالها في صفحته الادبية بتاريخ ٧٩/٣/٦ : « هناك اجيال تتعلم منا ، وشباب يرى القدوة فينا » مرحى .. مرحى يا فاروق . فهل هذه هي المعارف التي ستتغذى عليها الاجيال التي تنظر اليك باعتبارك القائد والرائد والمعلم ؟ واذكر الاستاذ فاروق ايضا بكلمة قالها بتاريخ ١٩٧٨/١٠/١٩ : « والملاحظ الآن ان دور النقد في حياتنا يتراجع » نعم يا سيدي وما دام هذا ما تكتبونه ولا ينتقد فان دور النقد يتراجع وان مثل هذه الاخطاء ــ في عهد هؤلاء الكتاب ــ تجعل القارىء يفقد الثقة في جريدة الاهرام ، ويتشكك فيما تقدمه له من آراء ومعلومات .

٤ ــ بين الشاعرين عبد الرحمن شكري وابي الوفا

نسب الاستاذ فتحي سعيد في كتابه « ابو الوفا رحلة الشعر والذكريات » الذي صدر في سلسلة « كتابك » قولا الى الشاعر أبي الوفا ص ٢٥ نصه « وعاصرت عبد الرحمن شكري وهو ليس بشاعر .. » ولا ادري كيف ينكر ابو الوفا شاعرية شكري ، وقد حذا حذوه ، واخذ عنوان احدى قصائده ليجعله شطرا من بيت له . يقول ابو الوفا :

آه يا يوم لقاها ليتني كنت (...)

ويقول عبد الرحمن شكري في ديوانه « لآلىء الافكار » الصادر عام ١٩١٣ تحت عنوان « ليتني كنت (...) » :

ليتني كنت في السماء (...) ناقد الامر في شئون الوجود

٥ ــ مقال لعبد المنعم شميس مسكون بالاخطاء

● زواج حافظ ابراهيم :

قرات المقال الذي كتبه الاستاذ عبد المنعم شميس في مجلة « الكاتب » المصرية عدد ديسمبر ١٩٧٨ تحت عنوان « شخصيات في حياة شوقي » ومما جاء فيه ان « حافظ ابراهيم لم يتزوج » .

وحقيقة الامر ان حافظا تزوج عام ١٩٠٦ من بنت احد الاثرياء هو اسماعيل صبري (ليس هو اسماعيل صبري الشاعر المعروف) وفي عمارة البابلي بشارع خيرت اقيم سرادق الاحتفال بهذا الزواج ويبدو ان الزوجة التي خطبتها له امه لم ترق شاعرنا فقد وصفها بقوله « فتاة ضخمة جهمة ، قد رفعت فوق مقدم راسها نصف دائرة من الشعر الملوي ، وخطت على حاجبيها خطين عريضين تقاطعهما نقطة » ويقول الاستاذ احمد محفوظ « ويدرك حافظ ماله القديم وهروبه دائما من التبعات فيطلق العروس بعد اشهر قليلة ويظل اعزب حتى الموت » (راجع كتاب احمد محفوظ حياة حافظ ابراهيم) وقد تحدث ايضا الدكتور كامل جمعه في كتابه « حافظ ابراهيم ما له وما عليه » عن زواج حافظ واستشهد بما كتبه احمد محفوظ والرافعي وسامي الدهان والزيات في هذا الموضوع ، كما اشار الى زواج حافظ الدكتور عبد الحميد سند الجندي في كتابه « حافظ ابراهيم شاعر النيل » .

● بين العقاد وطه حسين :

وجاء في مقاله ان ط حسين « اعلن على الملأ مبايعته للعقاد

امرا للشعراء » ثم قال : « لعن الله السياسة التي جعلت عبقريا مثل طه حسين يقول كلاما لا يعتقده . وهذه هي آفة السياسة ، ولكنها ليست جديدة عندنا ، فهي آفة معروفة عند كل الشعوب ، وقد عزف بتهوفن سيمفونية لبونابرت الذي غزا بلاده واذل شعبه. كما تقدم جوته الى بونابرت وخضع له وهو شاعر المانيا الاكبر » .

وفي الرد على هذا القول نقول للاستاذ شميس اذا كانت السياسة في الثلاثينات اضطرت طه حسين الى مبايعة العقاد بامارة الشعر ، فهل اضطرته ايضا الى القول « ففي زمن العقاد لم يكن هناك سواه افضل منه » في السبعينات بعد انتهاء الحياة الحزبية وبعد موت العقاد ؟

• بين بتهوفن ونابليون :

اما المثل الذي ضربه بأن آفة السياسة اصابت بتهوفن فتعلق نابليون بعزف سيمفونية له فهو غير دقيق ، ذلك ان بتهوفن كان من انصار الثورة الفرنسية لذلك وضع سيمفونيته (اوريكا) أو السيمفونية الثالثة اعجابا بنابليون قنصل فرنسا الاول ، وعندما علم انه توج نفسه امبراطورا مزق عمله الموسيقي قائلا « هذا رجل مطامع كغيره من الرجال » وبعد فترة زمنية غير في لحنه واطلق عليه « لحن البطولة » ويقول الدكتور حسين فوزي عن هذه السيمفونية في كتابه « الموسيقى السيمفونية » : « كتبها — اي بتهوفن — معجبا ببونابرت » « وكان في نيته ان يرسل مخطوطها باهدائه » وهذا يعني ان بتهوفن لم يضع سيمفونيته تملقا لنابليون . وكيف يصح ان هذا الموسيقي الكبير كان يتملق نابليون بينما قال عنه عندما انتصر في معركة بينا : لو اعرف الحرب كما اعرف الموسيقى لهزمت نابليون .

• بين جوته ونابليون :

اما المثل الآخر الذي ضربه وهو خضوع جوته لنابليون ليبين ان آفة السياسة تضطر العظماء ان يفعلوا ما لا يليق بهم ، فهو ايضا غير دقيق . وحقيقة الامر ان نابليون عندما زار المانيا عام ١٨٠٨ والتقى مع جوته في ارفرت ، أثنى الامبراطور على جوته وامتدحه وقال له : « انت رجل » في رواية كثيرين ، وقد انعم عليه نابليون بوسام الشرف الفرنسي ، ووجه اليه الدعوة لزيارة فرنسا ، لهذا كان معجبا ببونابرت هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يقول المعارضون بسيرة جوته انه كان من طبيعته الحرص على ارضاء الحكام حتى الترخص فيبالغ في لقائه بهم ، ويهون من امر نفسه امامهم ، ويقلل من شأنه في حضرتهم ، فاذا كان قد خضع جوته لنابليون فليس هذا آفة السياسة ولكن آفة في جوته نفسه لامها عليه مواطنوه ومن بينهم بتهوفن في احد المواقف ؛ ولم يخضع جوته لنابليون فقط ، بل انه خضع لبعض امراء وطنه وهم دون نابليون صيتا وعظمة وعبقرية .

٦ — غزل الزوج

جرى سجال ادبي نقدي بيني وبين الدكتور محمد رجب البيومي (ابو حسام) على صفحات مجلة الثقافة المصرية حول المقدمة الغزلية لقصيدة « بانت سعاد »(٢) لكعب بن زهير ، وذهب الدكتور الى ان سعاد المشبب بها حبيبة كعب وليست حليلته ، وذهبت (انا) الى انها زوجته مستندا الى روايات بعض السابقين(٣) ، وتعرضت لنظم الجاهلية في الزواج ، وتشعب النقاش الى موضوعات اخرى على نحو ما يرى القارىء في اعداد « الثقافة » ٦٢ ، ٦٤ . واستند الدكتور البيومي او ابو حسام — في ان سعاد حبيبة كعب وليست زوجته — الى ان الحديث عن المواعيد والهجران والآمال وخوف الصد هو حديث الحبيب وليس القرين (انظر عدد ٦١ مجلة الثقافة) وقال الدكتور ايضا ان الغزل في الحبيبة هو اول ما يتجه اليه الظن .. الى آخره (عدد ٦٤ مجلة الثقافة) ولكننا نتساءل اليس في ادبنا العربي زوجة حركت مشاعر زوجها وانطلقته شعرا يدللها فيه ، ويلاعبها به ، ويذكر فيه صدها له ؟ وهل كل قصائد التشبيب نظمت في العشاق المعاميد ؟ ان صورة الزوج عند كثيرين هو من يتمالك ولا يتهالك ، ويستوي ولا يتمايل ، ويكف عواطفه قبل ان تجمح ، فلا يظهر غراما او التياعا ، او هو دائم الاحتشام والتوقير ، يتحرج في ذكر حليلته وهيامه بها ، وخوفه من صرمها ، واثر هواها في نفسه ، ولكن طبيعة البشر ليست على حالة واحدة ، فالقلب قلب ، وللزوج في بعض الاحيان من يقظة القلب ، وقوة الحس ما للعاشق الراغب في لذة الوصال ، وسرور اللقاء ، والقصائد الغزلية في ديوان العرب متنوعة ، فهناك غزل المراة لزوجها مثل زوجة مالك بن امية ، وعتاب الزوجة لرجلها مثل زوجة ابي الطمحان القيني ، ولوم القرينة لبعلها مثل قرينة الشاعر العتابي ، وغزل الشاعر في حليلته المطلقة مثل زهير وتكتظ صفحات كثيرة في ادبنا بقصائد الشعر التي قالها شعراء بانت عنهم زوجاتهم ، كما بانت سعاد عن كعب ، او نظمها آخرون في زوجات كن يقمن معهم .

يقول المتوكل الليثي في زوجة له تسمى اميمة وتكنى ام بكر وقد بانت عنه :

طربت وشاقني يا ام بكر ... دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي بغيضا ... اعزي عنك قلبا مستهاما

اليس هذا قريبا من قول كعب :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يجز مكبول

ولا يبدو من ظاهر بيتي المتوكل البين او الفراق ، ولكن من يتأمل جليا يتبين هذا البين في قوله « دعاء حمامة تدعو حماما » فالحمامة الاولى تنادي على الفها الغائب .

وهو يشير هنا الى اسطورة عربية قديمة مفادها ان فرخا كان على عهد نوح عليه السلام مات ضيعة وعطشا فما من حمامة الا وهي تبكي عليه وتناديه (انظر لسان العرب مادة هدل) وقد صور الشعراء مدى تأثرهم ببكاء الحمام على فروع الشجر وهي تنادي الفها الغائب ، وبقية بيت كعب الذي يصور فيه هواه وجواه قريب من معنى البيت الثاني في قصيدة المتوكل .

وفي عدم الوفاء بالمواعيد يقول كعب :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

ويقول المتوكل الليثي في نفس المعنى :

ترجيها وقد شحطت نواها ومنتك النفس عابا فعابا

ويقول المتوكل ايضا في قصيدة اخرى استهلها بالغزل في زوجته البائنة ثم امتدح حوشبا الشيباني :

الا وعدتك معروفا لوتله وعجلت التجرم والمطالا

وكلاهما (كعب والمتوكل) يرغب في قرب الوصال ولكن هذا يبدو بعيدا يقول كعب :

ارجو وآمل ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منك تنويل

ويقول المتوكل :

فان تصبح اميمة قد تولت وعاد الوصل مرسا واعتلالا

فقد تدنو النوى بعد اقتراب بها وتفرق الحي الحلالا

وفي تلون الزوجة وتقلبها يقول ابو الاسود الدؤلي عن زوجته أم سكن :

الا تلك عرس ام سكن تنكرت خلالقها لي والخطوب تقلب

ويقول المتوكل :

أم استبدلت بي وملت وصلي فبوحي لي به ودعي المحالا

وفي نقض العهد يقول ابو الاسود الدؤلي في زوجته فاطمة بنت دعمي :

فان تنقضي العهد الذي كان بيننا وتلوي به في ودك المتحلب

وهكذا من يقرأ شعر كعب في سعاد وشعر الآخرين في زوجاتهم ، يجد كثيرا من المعاني المتشابهة ، والافكار المتقاربة ، مما يفيد ان الحالة التي مروا بها ، فيها من التشاكل والتداني اكثر مما فيها من الاختلاف والتباعد ، وهذا يعني ان الغزل في الزوجة لم ينفرد به كعب ، فهو موجود في الجاهلية والاسلام فهل نقول بعد ذلك ان حديث الهجر ، وخوف الصد ، ونقض العهد ، وعدم الوفاء بالوعد ، والتلون والتقلب يكون للحبيب ولا يكون للقرين كما يزعم الدكتور البيومي .

وقد خطأني الدكتور على اني استشهدت بما جاء في كتاب الشهرستاني على لسان الكلبي ، ولم احتج برواية البخاري في انواع الزواج في الجاهلية ، وقد اورد الدكتور نظم زواج الجاهلية من صحيح البخاري ، ولكن من يقرأ نظم الزواج كما جاءت في الكتابين لا يجد فرقا كبيرا ، ففي كتاب الشهرستاني اربعة اضرب ، وفي صحيح البخاري كذلك ، فالمضمون ليس فيه تزيد كاذب عند الكلبي ، وقد نص الكلبي على نوع الزواج الاول كما نص عليه البخاري اذن فما الجرم ؟ وعلى هذا فالتنبيه على كذب الكلبي في غير موضعه لان الكاتب لم يبين كذب الكلبي في هذا النص بالذات : ومع هذا فتنبيه الدكتور مفيد في عمومه .

وقد تحدث الدكتور البيومي عن انكحة العرب في الجاهلية ، واستشهد بقول الالوسي « ان جميع ما ذكره الشعوبية في شان مناكح العرب وما اوردوه في باب الطعن على انسابهم لا اصل له .. » وكان يجدر بالدكتور ان يناقش هذه الكلمات ثم يلفظها لعدم دقتها ، لا ان يثبتها لمسايرتها وجهة نظره ، والدكتور يعلم قبل غيره ان من مناكح العرب نكاح المقت ، والمقتى هو الذي يتزوج امراة ابيه اذا طلقها او مات عنها وحرمه الاسلام . قال تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء .. الآية » وقد اورد ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ص ١١٢ ط المعارف تسمية من خلف على امراة ابيه بعده فليرجع اليه ، وكان هناك زواج « الشغار » وهو ان يتزوج الرجل امراة ما كانت على ان يزوجك اخرى بغير مهر وفي الحديث لا شغار في الاسلام » (انظر مادة شغر ـ لسان العرب) فكيف يصح ان ما يذكر في شان مناكح العرب لا اصل له وقد اثبته القرآن والحديث . والطعن في انساب بعض العرب ايضا ثابت وصحيح . وقد كان عرب الجاهلية يستخدمون القيافة في بعض الاحوال لالحاق الابن المجهول الاب بأبيه عندما تتفق بعض الخواص والاشباه بين الاثنين ، ومهمة القائف ان « يقارب بين الهيئات فيحكم للاقرب صورة » والقيافة « ضرب من ضروب البحث والحاق النظير في الاغلب بنظيره »(٤) والقيافة على هذا نوع من الفراسة قد تصح وتصدق ، وقد تخطىء فتضل لذلك انكر بعض الفقهاء الحكم بالقيافة وقد اورد المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ط دار الرجاء بغداد حكاية عن رجل ذهب الى النبي (ص) واخبره ان زوجته وضعت غلاما وانه اسود فقال له النبي : فهل لك من ابل ؟ قال نعم . قال فما الوانها . قال : حمر . قال : فهل فيها اورق . قال نعم ، قال النبي : فمن اين ذلك لعل عرقا نزع . وهكذا سلم النبي الولد لابيه رغم عدم التشابه ، وقصة زياد بن ابيه شهيرة وقد الحقه معاوية به ليفيد من ذكائه ، والقصيدة النونية ليزيد بن مفرغ الحميري فيها غمز لزياد بن ابيه وابنه في نسبهما حيث يقول :

الا ابلغ معاوية بن صخر مغلغلة عن الرجل اليماني

اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زاني

فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

واشهد انها ولدت زيادا وصخر من سمية غير دان

وليس معنى هذا اننا ننكر اشراف العرب وساداتهم ، وعرب الجاهلية كانوا اكثر عناية بحفظ انسابهم وللتناصر على الاعداء او للتفاخر بالآباء »(٥) .

وقد قال الدكتور رجب البيومي في رده « وليس من خلقي ان اتصنع الجدل لذات الجدل ولكن تمحيص الحقيقة واجب » وانا اضم صوتي الى صوته ليطمئن القارىء ان

لبنان الجريح

احقا ان (لبنانا) جريح ... يعيش هموم محنته سقيما
وان رياضه عبادت صجارى ... وان جنانه صارت جحيما
وان رواءه اضحى نبولا ... وان زهوره امست هشيما
وان سماءه ملئت دخانا ... مخيفا . بعدمه ملئت نجوما
وان فضاءه المغمور صحوا ... تلبد من مآسيه غيوما
وان شروقه امسى غروبا ... وعاد نهاره ليلا بهيما
وان صداحه اضحى بكاء ... حزينا ، والكلام به وجوما
وان حصباه يلتهب التهابا ... وكانت تزدهي درا نظيما
واسراب المها من بعد امن ... تعاني الذعر والخوف الاليما
وان يد الكوارث فيه عاثت ... فما ابقت له الا رسوما
فيا (لبنان) لن ينساك قلب ... وفي يحمل الحب الصميما
اننسى اذ نجيء اليك شوقا ... فنلقى منك مضيافا كريما
فنلقي منك مضيافا كريما ... فنلقى عندك الخير العميما
وتغمرنا بلطف مستفيض ... نجيء اليك تثقلنا هموم
رفعت يدي الى الله ابتهالا ... بان تغدو من البلوى سليما
وان نلقاك في امن وسلم ... فننشق عابقا منك النسيما
وان تزهو لياليا جديدا ... بربعك مثلما ازدهرت قديما
وان نحيي بارضك ذكريات ... بها كان السرور لنا نديما
وان نسقى كؤوسك صافيات ... فتغمرنا بها حبا حميما
لئن عظمت بساحتك المآسي ... ستبقى رغمها صلدا عظيما
ويصحو افقك الداجي فتجلو ... نواظرنا محياك الوسيما
وترجع ارضك الفيحاء تزهو ... وان كان المصاب بها جسيما
وعنها تنجلي الارزاء حتى ... يعود شقاؤها الدامي نعيما

بغداد ــ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

كلا منا يبحث من جانبه ليوضح الحقيقة وليس بيننا ملاحاة او جدال او عراك يسفر عن تاهر ومقهور ، وانما هو حوار يزكيه حب المعرفة .

٧ ــ الاطفال آباء الرجال

قال الاستاذ عبد الرحيم ابو ذكرى في مقال له بعنوان « الاطفال آباء الرجال » نشرته مجلة الدوحة عدد يونيه ١٩٧٩ ما نصه « ولا يسعني في الختام غير ان اقول ان اطفال اليوم هم آباء الرجال في المستقبل » .

وقول الاستاذ عبد الرحيم «ولا يسعني غير ان اقول» يعني انه صاحب فكرة ان الاطفال آباء الرجال ، والحقيقة ان هذه العبارة مأخوذة من عبارة شعرية وردت في قصيدة للشاعر الانجليزي وليم ورد زورث عنوانها: The Rainbow قوس قزح ونص العبارة

The Child is the father of the man.

---

(١) ــ الجزء الثالث من يوميات العقاد ص ٦

(٢) ــ هناك قصيدة بانت سعاد للنابغة الذبياني :

بانت سعاد وامسى حبلها انصرما ... واهتلت الغور فالاجزاع من اضما

وقال ربيعة بن مقروم :

بانت سعاد فامسى القلب معمودا ... واخلفتك ابنة الحر المواعيدا

(٣) ــ هجا كعب رسول الله (ص) فقال النبي « من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله » فهرب كعب وطالت غيبته عن زوجته فلما اتى رسول الله معتذرا تغزل بها . هكذا تقول بعض الروايات (انظر مجالس ثعلب ــ وكتاب « قصيدة بانت سعاد » لابن هشام الانصاري وحاشيته . وقد استنتج الزرقاني من المواهب ان غزل كعب في زوجته) .

(٤) ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي .

(٥) ــ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ١

القاهرة — احمد حسين الطماوي



ترفق به جسدا هامدا

الدكتور محمد رجب البيومي

*

ترفـــق بسيرتـــه في الـــورى ... الـم يكـف مرقـده في الثـرى
الـــم يكـف تحطيـم آمالـــه ! ... وكانـت تناطـح شـم الـذرى
الـــم يكـف تمزيـق أوصالـــه ... اباديـد تذكـي اللظـى منظـرا
عظـام كساهـا الثـرى غبـرة ... وكـادت تـذوب فمـا ان تـرى
تلـوح بذهنـي لهـا صـورة ... فـاحبس دمعـي ان يطفـرا
الـم تكـف حسرتـه في الضريح ... وقـد بـات فيـه لقـى مزدرى
غفـا لا بحيث الكـرى يشتهـى ... ولكـن بحيـث يهـول الكـرى
ونـام فاغـرق في مرقـد ... يمـوج الظـلام بـه ابحـرا
لـه رهبـة يتقـى هولهـا ... وتدعـو اخـا العقـل ان يحذرا
تزلـزل مـن خـاض في ليلهـا ... وان كـان ضرغامـة قسـورا
يـدك الصبـاح رواق الدجـى ... وقـد فـاض مؤتلقـا نـيرا
ويدعـوه في قبـره آمـلا ... فيجفـل مـن حولـه القهقـرى
ومـا فـر منـه لضيـق بـه ... ولكـن يحـاذر ان يقبـرا
ترفـق بـه جسـدا هامـدا ... تكسـر عظمـا ولـن يجبـرا
تسـوءك ذلتـه مخبـرا ... فكيـف اذا انكشفـت مظهـرا
ترفـق بـه صامتـا لا يـرد ... عليـك تهجمـك المنكـرا
وهبـه اسـاءك فيمـا مضـى ... اليس مـن الفضـل ان تغفـرا
وهبـه تجنـى بـلا موجـب ... اليس مـن النبـل ان تعـذرا
ولـو ملـك اللفـظ في صمتـه ... لاطلـق مقولـه خنجـرا
بلـى ربمـا صرخـت روحـه ... علـى البعـد تدعوك ان تقصرا

لمن ذعرت منك في أوجها ... فعز على الاوج ان تعذرا
وناشدها الصفح عن مجرم ... ترى جرمه حدثا أكبرا
وقالت عجبت له عائبة ... يسوق الاراجيف مستهترا
اباد الحمام حقود الورى ... وأورثه الشرر الاحمرا
تركت الحياة له جانبا ! ... وجافيت فردوسها الانضرا
وادلج بي القبر في ظلمة ... سريت بها فاجتويت السرى
وما زلت اسمع ذا غيبة ... يصب الهجاء لظى مسعرا
يحط علي ذنوب الورى ... وما كنت كسرى ولا قيصرا
قوارص يصغي لها مسمعي ... فيخضل جفني مستعبرا
راى الموت يفصل ما بيننا ... فصال جريئا كليث الشرى
ولم ير في قومه منصفا ... يقول لذي البغي : أطرق كرى
يصغرني باراجيفه ... ويرجو بذلك ان يكبرا
ايكبر بالقدح في ميت ... فيا منطقا بات هزء الورى
ولو عاش في عالم امثل ... لكان من الحتم ان يصغرا
فيا سوءة العقل في معشر ... غدا القرد في عرفهم جؤذرا
وطاش الجنون بتقديرهم ... فصار الحصى عندهم جوهرا
الم يدر ـ واغفلتا ـ انه ... سيسقى المنون وان عمرا
ويقبع مثلي في عالم ... بهيم تكاثف فاستحجرا
ويذكره الناس في صمته ... بما قد تعود ان يذكرا
قوارص تاتيه اذاعة ... فيصرخ كالطفل مستنكرا
قصاص ينفذ في اهله ... ويلقى المكيدة من دبرا
فيا من تشفيت من راحل ... فاسهبت في ثلبه مكثرا
ابئس تذهيبك ما احقرا ... وبئس تجنيك ، ما افجرا
زجرتك اذ خضت في ثلبه ... وحق لمثلك ان يزجرا
اليس من العيب ان تفتري ... ونسكت عن قولك المفترى
ولي قصة طالما اكدت ... بليغ العظات لمن فكرا
فبالامس غال الردى ارقما ... فغودر منبطحا في الثرى
تروعك ذاته هامدا ... وكان العزيز المنيع الذرى
تأملته بددا مهملا ... فاثر في النفس ما اثرا
ومن فوقه كاسر قد سطا ... وانشب في متنه منبرا
يمزق ما شاء من لحمه ... وينقر ما اسطاع ان ينقرا
فطاردته محنقا غاضبا ... كاني ارى حدثا اخطرا
لقد هاج نهش الصلال الاسى ... بقلبي فزمجر ما زمجرا
فكيف بمن نهش الاصدقاء ... ايكرم في الناس أم يزدرى

المنصورة
شارع النصر المتفرع من شارع الجلاء

محمد رجب البيومي

محمود حسن اسماعيل

٢ يونيو ١٩١٠ ــ ٢٥ ابريل ١٩٧٧

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

مذهبي لا مذهب اليو م سوى اصداء لحني
ان تسل في الشعر عني هكذا كنت اغني
هكذا يخفق نايي بين الهامي وبيني
يلهم الله فيمفي وتر الروح يغني
مزهري نشوان لا تو قظه ضجة كوني
مذهبي لا مذهب اليو م سوى اصداء لحني
قد وهبت الفن عمري ووهبت الشرق فني

هكذا قال(١) الشاعر محمود حسن اسماعيل ، الذي هزج بالحان المريض ، وغنى للقرية ، وتحدث عن الطبيعة وجمالها وسحرها في اول ديوان اخرجه عام ١٩٣٤ ، وهو « اغاني الكوخ » ، واستمر بعد ذلك يغني للحب والجمال والوطن والحرية والثورة ، في دواوينه التي ظل يكتبها :

ــ هكذا اغني (الصادر عام ١٩٣٧)
ــ أين المفر ؟ (الصادر عام ١٩٤٧)
ــ نار واصفاد (الصادر عام ١٩٥٩)
ــ ثاب قوسين (الصادر عام ١٩٦٤)
ــ لا بد (الصادر عام ١٩٦٦)
ــ التائهون (الصادر عام ١٩٦٨)
ــ هدير البرزخ (الصادر عام ١٩٦٩)
ــ صلاة ورفض (الصادر عام ١٩٧٠)
ــ السلام الذي اعرف (الصادر عام ١٩٧٠)
ــ ثهر الحقيقة (الصادر عام ١٩٧٢)
ــ موسيقا من السر (الصادر عام ١٩٧٨)

ولقد كان محمود حسن اسماعيل من ابرز شعراء مصر على مدى اربعين عاما ، لاذ في اولها بمدرسة ابولو ، ثم بمدرسة الديوان ، ثم استقل بمذهبه الشعري الوجداني ، وبصوره الشعرية ذات التجارب العميقة ، وبخياله المتألق والمحلق في آفاق الموهبة والشاعرية والفن ، وهو يغني لوطنه وشعبه وللعرب ، وللحرية والثورة والحياة ، اجمل اغانيه واروعها ، في سيريالية رمزية كثيفة الصور والخيال .

شارك بشعره في ثورة الشباب عام ١٩٣٥ ، وفي ثورة الامة عام ١٩٤٨ وما بعدها ، وفي ثورة الوطن عام ١٩٥٢ . ونظم قصائده في احداث مصر القومية والوطنية من عام ١٩٣٤ حتى وفاته .. يقول في ديوانه « صلاة ورفض » الصادر في القاهرة عام ١٩٧٠ من قصيدة عن القاهرة بعنوان « بنت المعز » :

واستيقظت ورشت الفجر على جبينها
وكبرت وكحلت بنوره عيونها
وضفرت شعورها بالشمس والنخيل
ووشحت ستورها من ذهب الاصيل
واومأت والدهر من قبلها يكبر
وموكب الدنيا على اعتابها وجوهر
وكلمت تاريخها يا قاهرة الغزاة

ويخاطب الشعب ثائرا فيقول من ديوانه « هكذا اغني » (الصادر عام ١٩٣٧) :

ايعثوها تصم سمع الليالي ثورة تضرم السماكين نارا
مات عهد الظلام فلتجعل الثو رة والموت للجهاد شعارا

ويخاطب « الارض » فيقول في ديوانه « نار واصفاد » (الصادر عام ١٩٥٩) :

بين ظل الثرى ودمع الحفاة هزت الارض من عميق السبات
نفخ الصور في رباها فقامت تحصد الظلم في صدور الطغاة
ضرب الله ليلها بضحى اليو م فضجت قبورها بالحياة

وهذا الديوان مصدر بقصيدة ، منها :

ولما اشاكى القيد حولي واعولت من البرق ايامي وضجت سلاسلي
تلفت فانساب الدجى من مزاهري مزامير ليل عن خطا الفجر غافل

وفيه يتحدث عن البعث ، او ثورة ٢٣ يوليو بقصيدة جميلة ، يبدؤها بقوله يخاطب الجيش :

يا بين طيف الكرى ولمحة البصر كانت خطاك لهم امضى من القدر

وفي ديوان قاب قوسين (الصادر عام ١٩٦٤) يقول ثائرا يطلب الحرية :

قاب قوسين من النور فسيري واهتكي كل لثام في الضمير
وادحري كل ظلام راسب انشبته فيك اغلال الدهور

ويكتب قصيدته الثائرة « جنازة الرق » التي يقول منها في ارتباط عميق بالقرية :

انا والكوخ والظلام وليل بجميع الاسرار مدت يداه
وربابي مذ دن يشرب الليـ ـل ، ويسقي من كل لحن دجاه
وخطى الناس لا تسير ، ولكن نوحها في الطريق يهدي صداه
تتلاقى جنائزا لم يعد فيـ ـها لوجه الفناء الا رؤاه

ويتحدث عن الكوخ في قصيدته (ساعة مع الكوخ) ، فيقول في مطلع القصيدة من ديوانه « قاب قوسين » (الصادر عام ١٩٦٤) :

سلاما تراب الكوخ جئتك زائرا فاشعلت بالبعث الجديد قيثاري

ويقول عن « قصة الكوخ » في ديوانه « لا بد » (الصادر عام ١٩٦٦) :

فن للاحرار للشعـ ـب الذي رد الحياة
ومحا من ارضه الحر ة اوهام الطغاة
ومضى في موكب الزح ف الى كل اتجاه
ابناء الحق والعد ل كما سن الاله

ويقول من قصيدته « اغاني الرق » في ديوانه

---

(١) ــ من ديوان « هكذا اغني » .

« اين المفر » (الصادر عام ١٩٤٧) :

القيني بين شباك العذاب ... وقلت لي : عن
وكل ما يشجي حنين الرباب ... ضيعته مني
هذا جناحي صارخ لا يجاب ... في ظلمة السجن
ونشوتي صارت بقايا سراب ... في حانية الجن
آواه يا فني ..
لو لم اعش كالناس فوق التراب !

ويخاطب امة العرب فيقول فيما يقول في ديوانه « قاب قوسين » (١٩٦٤) :

في طريق الشمس عودي واعبدي ... عزة الشرق على وجه الوجود
وازحفي بالنور والنار على ... حشرجات الذل في باقي القيود

وفي هذا الديوان يشعر بالهموم والآلام ويتحدث عنها فيقول :

هذه قصة بستا ... ن ببه كنت عبرت
حاطبا اجمع نارا ... واسى فيما جمعت
ليس لي فاس ولا مر ... س ولكنبي الحطيت
من ربيع ليس لي فيـ ... ـه سوى آني وجدت

وهي ابيات عميقة المدلول النفسي والواقعي لحياة الشاعر وهمومه ، والبيت الاخير صورة رائعة لهذا الضياع والحرمان ، الذي عاش فيه .

وفي ديوان « صلاة ورفض » (الصادر عام ١٩٧٠) تظل الشعلة متوهجة في الهامه ، صلاة من اجل الثار ، ورفض للهزيمة ، في قصائده : غضبة الثـار ـ رفض الهزيمة ـ جبال الصمود ـ صوت المعركة ـ القدس تتكلم ـ المسجد الصابر ، الذي يخاطبه فيقول :

.. لست في عالم القداسيات مجد ... انما انت هالة من جديد

ـ والاذان الذبيح ـ ومصر انشودة الدنيا ـ واغنية للنيل .

وهكذا نجد الشاعر محمود حسن اسماعيل صوتا ملهما ، طيلة حياته ، يطلب الحرية ، ويدافع عنها بكل ما يملك من طاقة ، لقد عاش ثائرا مع الثوار ، أبيا في موكب الاحرار ، يتكلم ويترنم ويتالم من اجل الوطن والكوخ والدار ، يتحدث عن العدل والحق اللذين اغتالتهما من قبل ومن بعد ايدي الاستعمار واذناب الاستعمار .

ومحمود حسن اسماعيل من جيل الثائرين ، الذين عاصروا كفاح الشعب ونضاله للاستعمار والاقطاع والرق البشري الذي لا حد لبشاعته ، وفيه عزة المصري الاصيل ، وشموخ الريفي الحر الابي ، حيث انحدر من قريته النخيلة في الصعيد الى القاهرة ، كما انحدر الشابي من توزر الى تونس ، والتيجاني من القرى المطيفة بأم درمان الى عاصمة المهدية ، يخاطب مصر وطنه في قصيدته « جبال الصمود » من ديوانه « صلاة ورفض » ، فيقول :

انت من جبهتي خلقت ومن اء ... ماق ذاتي حشدت كل جلالك

وهو في شموخه ابن الريف والنيل : وابن مصر التي اختارت ان يمثلها ابو الهول في كبريائه وشموخه وصموده على مدى الاجيال ، وقد كان شاعرنا ندا للعقاد في هذا الكبرياء المتعالي ، الذي لا يذل ابدا .

على انه عاش مع احداث وطنه ، ومع آلام نفسه ، متفائلا شديد التفاؤل ، كما نراه في قصائده : « الضباب الاخضر » ، و « الطريق » ، و « الامل » ، و « الابتسام » ، و « النهر » .

ففي القصيدة الاولى يعلن استمراره في استقبال الحياة والهتاف لها بكل لحن جديد :

دعوني اغني
فان الغناء طريقي الى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحياة
واستل اعماقها للوجود
ومهما سرى قبلي السائرون
فاني على كل خطو جديد

وفي القصيدة الثانية « الطريق » يعلن عن تفاؤله البعيد وامله العنيد ، فيقول :

طريقي امل
وخطوي امل
وكل دروبي امل
اذا لاح لي الشوك ابصرت فيه الزهور
واقداحها وهي بالعطر حولي تدور
فان كان شوك مضيت
وان كان عطر مضيت
وتمضي خطا الروح بين الحريق
ولا بد امضي ويمضي طريقي

وفي القصيد ةالثالثة « امل » يقول كذلك ايضا :

وجودي امل
وعمري امل
وكل حياتي امل
ومهما تكن خافيات الاجل
فاني امل
خلقت لانسج من كل موت حياة
ومن كل امس غدا واثبا في خطاه
ومن كل ليل ضياء
ومن كل دمع صفاء

وفي القصيدة الرابعة « الابتسام » يقول كذلك :

تبسمي امل
وحيرتي امل
ونظرتي ما لمحت الا تبسم الامل

وفي القصيدة الاخيرة « النهر » يقول :

سكونه حياة

ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة

كما يقول في قصيدة اخرى عن الارض ، ارض وطنه :

ارضي — وما اقدسها — حياة
ترابها حياة
وماؤها حياة
وعشبها حياة
نسيجها قبل
وأنفها أمل

ويقول ايضا عن نفسه من ديوان « نهر الحقيقة » ايضا :

وجودي حقيقة
وذاتي حقيقة
واني على الارض طير يغني حقيقة
ونور الحقيقة سر الحياة وسر الامل

وهكذا ، عاش يغني للحرية والثورة والحياة والامل طيلة حياته ، وكما قال في ديوانه « صلاة ورفض » :

سأشدو
سأشدو
وشدوي اعاصير رفض ونار تدور

وفي قصيدته « على ذراع الريح » من ديوانه « تاب قوسين » ، يعلن انه سيظل نارا على الدروب ، على الرغم مما يعيش فيه من قلق شديد . صورة من مطلع القصيدة :

على ذراع الريح
لي مخدع مريح

هذا هو الشاعر الخالد ، محمود حسن اسماعيل ، الذي قال عنه الدكتور مندور : انه عاصفة في طاقته الشعرية الفريدة ، والذ يئوه بشعره وشاعريته كل النقاد ، وفي مقدمتهم السحرتي في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » .

ولقد عرف الشاعر اول ما عرف على صفحات مجلة ابولو ، وفي ندواتها وحلقاتها الشعرية..، ثم اخذ من كل المذاهب : من مطران ، ومدرسة الديوان ، ومن شوقي ، ومن المهجريين ، كما اخذ من ابي تمام والمتنبي والشريف الرضي ، وخرج صاحب طاقة شعرية رهيبة ، يملك اللغة ، ويملك الموهبة ، ويملك التصوير والخيال والتجربة والثروة الشاعرة ، ويعنى بصوره الرمزية العميقة ، وبالتجسيم والتشخيص ، ويستمد صوره الثرة من خيوط الطبيعة في الريف المصري ، الذي احبه ، وهام به ، وغنى له .

وفي قصيدته « بحيرة النسيان » يقول من ديوانه « هكذا اغني » :

رقرقت في دمي ورفت على الرو ح ، وذابت بحيرة النسيان
عندها قد نسيت ذاتي وحسي وزماني وعيشه ومكاني
ونسيت النسيان حتى كاني مجسة في خواطر الاكفان

ولقد عاش الشاعر محافظا على الاصالة والعمودية ، ومع تجديده الذي كان يقارب فيه بين شعره والشعر الجديد ، نجده محتفظا بموسيقاه ، يقول :

« لم يقل احد ان الشعر في اعلى حدود التطور والتحرر والابداع ، يكون متخليا عن خصائص اساسية تلازمه ملازمة الشيء لذاته ، والتحرر من الموسيقى اسقاط نهائي لصفة الشعر » .

وطيلة حياته ، لم يكن يقلد احداً ، ولم يحب ان يعيش تحت ظلال مذهب بعينه ، او مدرسة فنية بذاتها ، لانه كان لا يريد ان يخضع شعره لقالب خاص ، ولا لمدرسة محددة ، بل الشعر عنده هو الوجود كله ، وابعد حدود الآفاق عامة .

وكان الشاعر في مطالع حياته الشعرية ينتابه بين الحين والحين فترات يأس وحزن عميق ، لانه لا يجد من يقدر موهبته ، فيثور ، ويثور حتى على وطنه مصر ، مهد النبوغ ، ومهد الحرب على النبوغ ، فيقول من قصيدته في رثاء مصطفى صادق الرافعي ، من ديوانه «هكذا اغني» :

لم يطب للنبوغ فيك مقام لا عليك الفداة مني سلام
المنارات تنطفي بين كفيـ ك ، ويزهو بشاطئيك الظلام
قد رعيت الجميل في كل شيء غير ما احسنت به الاقلام

ولم يقدر لمحمود حسن اسماعيل ان يلقى في حياته تكريما ولا اعترافا بنبوغه وشاعريته ، وموهبته الخلاقة . ولكنه عاش ، بعدما مات ، متوجا باكاليل المجد والخلود .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٣٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبي	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمن	٥ ريالات
عدن	٥٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

خس وزن نزار ، أو خس نزار

ويظنون ان قولنا : خس وزن نزار ، هو من اقوال العامة ، لان محيط المحيط قال ان العامة تستعمل خس بمعنى نقص ، ولان الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والقاموس اهملوا ذكر الفعل : خس الشيء بمعنى : خف وزنه .

ولكن :

ذكر اللسان ، والمصباح ، والمد ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ان معنى : خس الشيء هو : خف وزنه فلم يعادل ما يقابله . وفعله : خس وزنه يخس (بكسر الخاء) خسا .

ومن معاني الفعل خس :

(١) خس الحظ : قل . أخس (بتضعيف السين) الحظ : قلله .

(٢) خس نصيب (بفتح الباء) فلان : جعله خسيسا دنيئا حقيرا .

وفعله هو : خس فلان يخس (من بابي ضرب وتعب) خسه (بكسر فتضعيف) ، وخساسة ، وخسوسا : حقر ، فهو خسيس ، وهم أخساء وخساس ، وهي خسيسة وهن خسائس .

خسف القمر ، انخسف القمر
خسف الله القمر ، خسف (بضم فكسر) القمر

ويخطئون من يقول : انخسف القمر ، اي احتجب وذهب ضوؤه ، ويقولون ان الصواب هو :

(١) خسف (بفتح السين) القمر (بضم الراء) : اعتمادا على قوله تعالى في الآية الثامنة من سورة القيامة : (وخسف القمر) ، وعلى معجم الفاظ القرآن الكريم ، وثعلب ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) خسف (بفتح السين) الله القمر ، او خسف (بضم فكسر) القمر : مفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والتاج ، والمد ، والمتن .

ولكن :

اجاز (انخسف القمر) : ابن الاثير في النهاية ، واللسان ، والتاج في مادة (كسف) ، ومحيط المحيط الذي اكتفى بالاستشهاد بقول الشاعر :

يرمنك ما لو اصاب الارض لارتعدت ، والشمس لانكسفت ، والبدر لانخسفا

وفعله : خسف يخسف خسفا (من باب ضرب) ، وخسوفا . وفي الحديث « ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ، ولا لحياته » .

وقال ابن الاثير : « قد ورد الخسوف في الحديث كثيرا للشمس ، والمعروف لها في اللغة الكسوف لا الخسوف . فأما اطلاقه في مثل هذا فتغليبا للقمر ، لتذكيره ، على تأنيث الشمس ، فجمع بينهما فيما يخص القمر » .

خش في الشيء

ويظنون ان جملة (خش في الشيء) ، بمعنى : دخل فيه ، هي جملة مصرية عامية ، لان المختار والمصباح اهملا ذكرها .

ولكن :

جاء في النهاية ، في حديث عبدالله بن أنيس (بضم فتح فسكون) : « فخرج رجل يمشي حتى خش فيهم » اي : دخل .

ومنه الحديث : « خشوا (بضم الخاء) بين كلامكم : لا اله الا الله » . اي : ادخلوا .

وقال ان معنى خش في الشيء : دخل فيه : الصحاح الذي روى بيت زهير بن أبي سلمى :

وراى العيون ، وقد ولى قريبها ، فمضى فخش بها خلال الفدفد

واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (دخل فيه وغاب) ، والوسيط .

ويقول الزجاج : اخشيت لغة في خشيت (بفتح الشين الاولى) . وجاء في معجم مقاييس اللغة : « الخاء والشين اصل واحد ، وهو الولوج والدخول . يقال : خش الرجل في الشر : دخل » .

وجاء في تذكرة علي في المنطق العربي ، نقلا عن كتاب « افعال » لابن القوطية الاندلسي : « خشن في الشيء : دخل ، وخشن الشيء (بفتح الهمزة) في غيره : ادخله » .

واكتفى الاساس بذكر : انخش في القوم .

ويقول المتن : خشه (بتضعيف الشين) مثل : خش فيه . ولم يذكرها بهذا المعنى سواه . لقد عثر المتن هنا ، لان مستدرك التاج والمد قالا ان معنى خشه (بتضعيف الشين) : طعنه .

اما فعله فهو : خش في الشيء يخش (من باب نصر) خشا ، وانخش وخشخش : دخل .

خشوا ، بقوا (بضم الشين والقاف) نهوا، سروا (بضم الهاء والراء) دنوا رموا (بفتح النون والميم)

ويقولون : الطلاب خشوا (بفتح الشين) كثرة الامطار فبقوا (بفتح القاف) في المدرسة . والصواب : الطلاب خشوا (بضم الشين) كثرة الامطار فبقوا في المدرسة (بضم القاف) ، لان الفعلين (خشي وبقي) هما ناقصان يائيان ، يضم فيهما الحرف السابق لحرف العلة ، الذي يحذف قبل ان تسند واو الجماعة الى الفعل .

ويحدث مثل ذلك للناقص الواوي ، فنقول : نهو (بفتح فضم فتح) ومعناه صار متناهيا في العقل : نهوا (بفتح فضم) ، وسرو (بفتح فضم فتح) ومعناه شرف (بفتح فضم) : سروا (بفتح فضم) .

اما اذا كان حرف العلة في الفعل الناقص الفا ، فاننا نحذف الالف ، ونسند اليه واو الجماعة ، وننتح ما قبلها . نحو : دنا : دنوا (بفتح النون وسكون الواو) ، ورمى : رموا (بفتح الميم وسكون الواو) .

ان كثرة عثرات المذيعين وخطباء المنابر والشاشات الصغيرة ، عند استعمالهم امثال هذه الافعال ، هي التي حملتني على ايرادها في هذا المعجم ، مع قليل مثلها من المواد ، التي لا يخفى الصواب فيها على ادبائنا الكبار .

كتابي اشد اختصارا من كتابك

ويقولون : كتابي اخصر من كتابك . والصواب : كتابي اشد اختصارا من كتابك ، لان احد الشروط ، التي يجب ان يحوزها الفعل لكي يصح صوغ اسم التفضيل منه على وزن (افعل) ، هو ان يكون ثلاثيا . وليس في المعجمات خصر الكلام او المثال ، بمعنى : حذف الفضول منه ، بل فيها اختصر الكلام او المثال .

ويتوصل الى التفضيل من الفعل غير الثلاثي بذكر مصدره منصوبا على التمييز بعد اشد ، او اكثر ، او اعظم ، او شبهها .

اما الفعل (خصر) فمن معانيه :

(أ) خصره يخصره خصرا (من باب نصر) : ضرب خاصرته .

(ب) خصر يخصر (من باب فرح) خصرا (بفتح الصاد) :

(١) برد او اشتد برده .

(٢) آلمه البرد في اطرافه .

(ج) خصر (بضم فكسر) فلان : اصيب خصره فهو مخصور .

امور مخصوصة بالدرس لا خاصة به

ويقولون : عندنا امور كثيرة خاصة بالدرس . والصواب : مخصوصة بالدرس ، لاننا نحن الذين نخصها بدراسة عناصرها عنصرا بعد آخر ، وليست هي التي تخص نفسها بالدراسة والبحث والتقويم .

ياسر اخصائي في الذرة او متخصص فيها ، او مختص فيها

ويقولون : ياسر اخصائي (بفتح فكسر فتضعيف) في الذرة ، والصواب : ياسر اخصائي (بكسر فسكون) فيها ، اذ جاء في المتن : اخصى (بفتح فسكون فتح) الرجل : تعلم علما واحدا (مجاز) . وهذا ما قاله الصاغاني ، والفيروزابادي، والزبيدي ، والمد. ....

ومصدر اخصى هو اخصاء (بكسر فسكون) ، والنسبة الى المصدر لا نزاع فيها .

ونستطيع ان نأتي باسم الفاعل من الفعل (اخصى) ، ونقول : هو مخص (بضم فسكون) . ولكن كلمة اخصائي (بكسر فسكون) احسن وقعا في السمع ، ولا تفسح مجالا للالتباس .

ويجوز ان نقول : هو متخصص في كذا ، اذ جاء في الوسيط : تخصص في علم كذا : قصر عليه بحثه وانفرد به .

ونستطيع ان نقول ايضا : هو مختص بكذا ، لان معنى اختص بالشيء : انفرد به .

فعلت هذا خاصا بك

ويقولون : فعلت هذا خصيصا لك ، والصواب : خاصا (بتضعيف الصاد) بك ، او خصيصى (بكسر ، فكسر مضعف ففتح الصاد الثانية) ، او خصا (بفتح فتضعيف) ، او خصوصا .

وقد اخطأ ابو الرقعمق (بتضعيف ففتح فسكون ففتح) في استعماله خصيصا ، حين قال :

اصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة واتى رسولهم الي خصيصا
قالوا : اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا

الخصلة (بفتح الخاء وضمها)

ويقولون : الكذب خصلة (بضم الخاء) ذميمة ، والصواب : خصلة (بفتح الخاء) ذميمة . والخصلة (بفتح الخاء) : خلق في الانسان يكون فضيلة او رذيلة . وفي الحديث : « كانت فيه خصلة (بفتح الخاء) من خصال النفاق » .

وممن ذكر الخصلة (بفتح الخاء) : التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس (مجاز) ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وغلبت (بضم فكسر مضعف) الخصلة (بفتح الخاء) على الفضيلة .

وتجمع الخصلة (بالفتح) على : خصال (بكسر

الخاء) وخصلات (بفتح ففتح) . وجمع الخصال هو خصائل .

اما الخصلة (بضم الخاء) فهي الشعر المجتمع كما يقول الليث بن سعد ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتجمع الخصلة (بالضم) على : خصل (بضم ففتح) .

الخطابة (بفتح الخاء وكسرها)

ويخطئون من يقول : فلان يحترف الخطابة (بكسر الخاء) ، ويقولون ان الصواب هو الخطابة (بفتحها) ، لانها احد مصدري الفعل خطب . ولكن :

ما افاد معنى الحرفة والصناعة يصاغ على (فعالة) (بكسر الفاء) ، مثل : التجارة ، والحدادة ، والصباغة ، حرف النجار والحداد والصباغ .

وهذا يحملنا على ان نقول : فلان يحترف خطابة (بكسر الخاء) المساجد ، اي ان الخطابة هي حرفته .

امـا اذا اردنا أن نقول : فلان اقتدر في الخطابة (بفتح الخاء) من فلان ، فاننا نفتح الخاء ، لان كلمة الخطابة هنا تعني اجادة القاء الخطبة .

هذا هو رأي الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « عثرات الاقلام في اللغة » .

هي خطيبته ، وخطبته (بكسر الخاء) ، وخطبته (بضمها) ، وخطبه (بكسرها) ، وخطيباه (بكسر فكسر مضعف) ، وخطيبته (بكسر فكسر مضعف)

ويخطئون من يقول : فلانة خطيبة فلان ، ويقولون ان الصواب هو كما جاء في متن اللغة : فلانة خطبة (بكسر فسكون) ، وخطيباه وخطيبته (وكلاهما بكسر فكسر فسكون) ، وخطيباه وخطيبته (وكلاهما بكسر فكسر مضعف) .

جاء في الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وافق على اطلاق كلمة الخطيبة (بفتح فكسر) على الفتاة المخطوبة .

ولم يذكر الوسيط من مترادفات الخطيبة سوى الخطب والخطبة (بكسر الاول وتسكين الثاني فيهما) . ويكتفي بذكر جمع : الخطب (بكسر فسكون) على اخطاب (بفتح فسكون) .

المريض مخطر (بضم فسكون فكسر) لا خطر (بفتح فكسر)

ويقولون : ان فلانا المريض خطر (بفتح فكسر) ، والصواب : هو على خطر (بفتح ففتح) عظيم ، اي على شفا هلكة ؛ كما يقول الاساس والتاج ، او هو مخطر (بضم فسكون فكسر) ، كما يقول المصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ؛ واقرب الموارد . وقد قال الاولان : « بادية مخطرة (بضم فسكون فكسر) : كانها اخطرت المسافر فجعلته خطرا (بفتح ففتح) ، اي : (رهانا) بين السلامة والتلف » . وقال الاخيران : « اخطر (بفتح فسكون ففتح) المريض : دخل في الخطر فهو مخطر » .

وقال الاساس ، والتاج ، والمد ، والمتن ان معنى جملة (اخطر (بفتح فسكون ففتح) بنفسه) هو : القاها في الهلكة (بفتح ففتح) .

اما كلمة الخطر (بفتح فكسر) فمعناها : المتبختر كما يقول التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد الوسيط بقوله : اخطر (بفتح فسكون ففتح) المرض (بضم الضاد) فلانا : جعله بين السلامة والتلف ، فهو مخطر (بضم فسكون فكسر) . وهذا جائز مجازا .

حضر (ما) يقرب من عشرين ، وتخلف (ما) يزيد على اربعين

ويخطئون من يستعمل (ما) للدلالة على العاقل في قولهم : حضر ما يقرب من عشرين طالبا .

ولكـن :

جاء في الجزء الثاني من المجلد ٥١ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (نيسان ١٩٧٦) ، ما يأتي :

« كان قرار لجنة الالفاظ والاساليب ، المحال على المؤتمر من قبل مجلس المجمع يتضمن :

« يشيع هذا الاسلوب في كتابات المعاصرين ، وهو ما يعترض عليه بأن (ما) في الجملتين اللتين تتصدران هذا البحث هي للعاقل ، على حين ان الشائع في استعمال (ما) أن تكون لغير العاقل . وقد دربيت اللجنة هذا ، وانتهت الى قبول الاسلوب بالادلة الآتية :

الاول : أن النحاة يجيزون استعمال (ما) للعاقل على سبيل الندرة .

الثاني : (وهو افضل من الاول في رأي اللجنة) ان (ما) في التعبيرين نكرة موصوفة ، معناها هنا : عدد ، ويكون المعنى حينئذ : حضر عدد يقرب من كذا او يزيد عليه . ومثله ما جاء في القرآن الكريم في الآية السادسة من سورة الانعام ، اذ يرى جمهور المفسرين ان (ما) الموصولة صفة لغير عاقل ، والتقدير : حضر العدد الذي يقرب او يزيد من كذا . « ولهذا كله ترى اللجنة اجازة هذا الاسلوب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون » .

ثم وافق المؤتمرون على اجازة هذا الاسلوب ، وذلك في الدورة ٤٢ ، لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المنعقد في المدة الواقعة بين ٢٣ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٧٦ م ، وتاريخ ٧ ربيع الاول ١٣٩٦ هـ ، الموافق ٨ آذار ١٩٧٦ م .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

الطود الشامخ

الى روح البطريرك الياس الرابع

زكي قنصل

*

لست ادري ، وقد نعاه البريد ... كيف يبكي على القريب البعيد
انا من مات منذ فارقت اهلي ... قد تساوى محنط وشريد
ويح قلبي ، قست عليه الليالي ... وهو راض بما يلاقي ، سعيد
الف النار ، فهي برد عليه ... كلما مات وقدها يستعيد
يحتفي بالهموم ... ما انجاب هم ... عنه الا تلاه هم جديد
ايها الخافق المقيم بصدري ... انت في معزف الحياة نشيد
ما انتفاعي بومضة من رجاء ... ما انتفاعي ، والليل داج شديد
تحتويني متاهة تلو اخرى ... انا ما بينها شريد طريد
لكاني والدهر ذئب وشاة ... او كانا حرارة وجليد
يا خليلي صبت الى الدار نفسي ... هل يبل الغليل عود حميد
طال هجراننا واوشك يخبو ... امل في الضلوع واه خضيد
قد قضينا سحابة العمر سعيا ... اجنينا من سعينا ما نريد
قل لمن عابنا لعفة نفس ... لا يسب الاحرار الا العبيد

يا عميدا مضى وخلف دنيا ... من اياد شذية لا تبيد
رب يوم على البسيطة باك ... هو في عالم الملائك عيد
ما اجتمعنا لكي نصوغ المراثي ... يبطل القول حين يحكي «الرشيد»(1)
بل اتيناك حائرين عطاشى ... فاهدنا الدرب وارونا يا عميد
طف على القوم بالرحيق المصفى ... علنا نستفيق او نستعيد
شغلتنا عن العلى ترهات ... بعضها شائخ وبعض وليد
غيرنا للعلى يسير حثيثا ... وخطانا زحف اليها وئيد
كل دين الى المحبة يدعو ... فعلام التاكيد والتفنيد
قال ربي أن العباد عيالي ... صدق الله وهو نعم الشهيد
خذ بايدي الخراف واكرز عليهم ... ان عقبى الخمول موت اكيد
اين كالفجر طلعة تملأ ... النفس ، وصوت كانه التغريد

ايـن فكـر ضياؤه ليس يخبـو ... وبيـان دانـي المجانـي فريـد
ولسان طلـق يثور علـى الضيم ... ورأي علـى الخطـوب سديـد
اصحيـح ان التـراب طواهـا ... ومشى فوقهـا القضـاء المبيـد
يـا شهيد الجهاد يبكيـك شعب ... ولئن قيـل ليس يبكـى الشهيد
كيـف يرثيك في خلـودك فـان ... ليس يبـدي في قولـه او يعيد
كـم فقيد يعيش في حرم الذكرى ... وحـي يعيش وهـو فقيـد
لا اقـول البلاد مـادت ولكـن ... مـاد قلبـي ومـا يـزال يميـد
كنت للناس ... لـم تميز قويا ... من ضعيف ، ولـم يرعك وعيد
كلهـم في شريعـة الله اهـل ... لا طريـف في اصلهـم او تليـد
كيـف تنساك امـة انت فيهـا ... علـم خافـق وركـن وطيـد
تـزرع الحـب بينهـا والتآخـي ... وتـدك الشقـاق وهـو عهيـد
كيـف تنساك بيعـة انت فيهـا ... قائـد زاهـد وراع رشيـد
ان غفت عينهـا فعينك يقظـى ... او وهـى مجدها فانـت تشيـد
كيف تنسى قضيـة الحـق سيفا ... مضريـا يهـزه صنديـد
خاض مـن اجلها المكاره تتـرى ... وانثنـى مـن نبالهـا يستزيـد
الـرئيس العنيـد كابـد منـه ... نبرة الصدق فاعترف يـا عنيد(٢)
اهـو الطـود شامخـا يتحـدى ... ام هـو البطرك الحمـي النجيد
يا عميدي عاب الخنافس شعري ... وادعـوا ان آفتـي التقليـد
قلت يـا قـوم لـن الوم غرابا ... اوهمـوه بانـه غريـد
خدعتـه صحافة تدمـن التهريج ... لكنـه بغيـض بليـد
تحتفـي بالجديـد او تدعيـه ... لتغطـي هوانهـا فيزيـد
قـد يكون التطبيل فنـا ، ولكن ... اغلـب الظـن انـه لا يفيد
ان بـين الدعي والمـي قربـى ... مثلمـا تجمـع الزواحـف بيـد
انـا في النـور فليعربـد سفيـه ... وعلـى الرشـد فليثـر عربيـد
قـد بلوت التجديد شعرا ونثـرا ... فـاذا كـل هجنـة تجديـد
لا رعـى الله بدعـة تتحـدى ... مـا بنى الجد ثـم ارسى الحفيد
سوف يمضي هذا الهباب ، ويبقى ... ادب الصـدق واللسـان المجيد
زلـزل الرزء يـا عميدي كيانـي ... فنصيبـي مـن البيـان زهيـد
عبثـا انشد العـزاء ، وارجـو ... لـو نفـى نعيـة البريد البريـد
لا تلمنـي اذا عثـرت ، فانـي ... شاعـر في الرثـاء لست اجيـد
تخنق الغصـة المتيـة صوتـي ... فـاذا قلـت خاننـي التجويـد
انـا مـن يحفظ الجميل ويرعاه ... وعـن منهـج النـدى لا احيـد
اصدقائي علـى المـدى اصدقائي ... قولهـم عنـدي الجمـان النضيد
كـان في بردتي « لبيد » ولكـن ... مـات في مصرع الرجـاء لبيـد
لـم تـدع منـي النوائـب الا ... بعض قلب ... وذاك نعم الرصيد

---

(١) ــ هارون الرشيد . (٢) ــ كان الفقيد قد قابل الرئيس الامريكي جيمي كارتر وعاب عليه انحيازه الى جانب الصهيونية على حساب الحق العربي .

بوانس ايرس ــ الارجنتين — زكي قنصل

الموقف والحاجة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

اتجه(١) علم نفس الصيغة ، في دراسة الوقائع النفسية وجهة حركية ، واعتبرها افعالا للنشاط النفسي ، وان حركيتها ، الديناميسم ، هي صيغتها ، الجشكلت ، التي تحدد توزعها ، ووظيفتها .

لقد اعتبر الصيغيون ان الحسي والحركي يؤلفان جهازا واحدا .. وان حركية الاستجابة ترتبط مباشرة بحركية المجال .. وان (الاستجابة) تحدد بما هي تحدثه كفعل ، وخاصة عن طريق غايتها التي تتجه اليها .

الاستجابات الغريزية

ان الصيغة النفسية ، في نظرهم ، بمثابة اتزان يكون فيه فض التوترات المتولدة من الاثارة .. وفي دراستها يجب المحافظة على وحدتها ، وكليتها ، واستبعاد التفسير الآلي الذي كانت تفسر به الافعال المنعكسة .

ولذلك اخذوا يدرسون الاستجابات المسماة بالغريزية ، والتي كانت تعتبر سلاسل من افعال منعكسة ، من زاوية جديدة ، هي ان اي فعل للنشاط النفسي مرتبط بصيغة تتسلسل في الزمان ، ويتوقف بعضها على بعض .

الاهمية اصبحت في نظرهم للكل ، كوحدة حقيقية ، تتم تباعا ، تتساند اجزاؤها ، ومراحلها .. وبذلك اصبحت (الغاية) التي يهدف اليها الفعل ، او نتيجة عملياته(٢) ، هي السبب في فض التوترات المتولدة من المثيرات الخاصة بالغريزة .

واتجه بحثها الى الممارسة الحالية للوظيفة ، واصلها عند الفرد ، او في النوع ، وقد كان الآليون يعتبرونها توفيقا آليا ، يعود الى الصدفة(٣) .. في حين اصبح من الممكن الآن معالجتها ، وحلها على مستويات متعددة ، صيغية ، وغائية ، ومواقفية(٤) .

لقد رفض الصيغيون فكرة (فاعلية الصدفة) في السلوك ، وتكيفه .. وصاروا يبرزون الخصائص الباطنية لكل من الفعل ، والموقف ، ويظهرون ما بينهما من علاقات صيغية ، واعتبروا (التكيف) تناغما بين الافعال والمجال الحيوي ، اي الحياة نفسها(٥) .

اصل الوظيفة والعمليات الحيوية

وفي كتابه : ــ علم نفس الصيغة ــ ، يرى بول جييوم ان النظرية الصيغية تعتبر ان اصل الوظيفة (بنية) عملية وطبيعية ، فيزيائية ، هي مجردة من كل ما هو عرضي ، لانها ليست غير تعبير عن قوانين حركية(٦) .

ويضيف بول جييوم الى ذلك ، ان هذه (البنية) تكشف لنا عن وحدة الوقائع الحيوية ... اذ انها تدخل في التصور الفيزيائي للطبيعة ، العمليات التي تتمخض ، في الكائنات الحية ، عن تكيفات جديدة(٧) .

وكورت ليفين يميز بين نمطين من العمليات الحيوية ، الاول : عمليات من نمط ادراك ــ استجابة ، والثاني : عمليات من نمط ينطوي على الحاجات .. وكلاهما يعودان الى التنظيم الصيغي ، ثرائه ، او تعقده .

لقد اعتبر كورت ليفين ان استشعار (الحاجة) ، في الكائن الحي ، الحيوان او الانسان ، تقابله خاصية (النداء) في الاشياء .. ويقال لهذه الخاصية ايضا : الجاذبية ، او المطالبة .

فهناك تبادل بين احاسيس ، ومشاعر الكائن الحي ، والخصائص الوجدانية التي للاشياء في المجال الحياتي الواقعي .. وسيان القول ، ان الكائن الحي يرغب في الطعام ، او انه يستسلم لنداء الطعام .

والتعقيد اشد في الافعال ، وآثارها ، والتي تغير في حالة الشخص نفسه .. وابسط الامثلة عليها (ارضاء الحاجة) ، وما يتمخض عنها من تغير القيم الوقتية للاشياء ، وايضا تغير ترتيب المجال نفسه(٨) .

الحاجة ، وقيمة النشاط

ان قيمة النشاط تتوقف على (حاجة) الشخص في فترة معينة ، ثم على طبيعة العمل الذي يريد ان يعمله .. فهناك صلة وثيقة بين الحاجة ، والقيمة الايجابية او السلبية لانواع النشاط(٩) .

مثال ذلك ، انه في التردد بين العمل والبطالة ، او الدراسة والذهاب الى المقهى ، يكون للجوع ، والخوف ، غريزيا(١٠) ، الكلمة الفاصلة في النشاط .

(القيمة) الايجابية او السلبية للفعل ، اذن ، تعبر عن الحاجة .. بحيث يمكن ان نقول ان الفعل اذا كانت له في نظر الشخص قيمة ايجابية ، فهو مطابق لحاجته ، واذا كانت له قيمة سلبية فهو يتنافى مع هذه الحاجة .

وفي نظر كورت ليفين ، كما رأينا ، هناك (نداء) تنادينا به الاشياء ، او جاذبية تجتذبنا بها اليها .. وآنئذ تكون لهذه الاشياء قيمة ايجابية بالنسبة لنا .. وهذا معناه ان الاستهلاك في ارضاء الحاجة مرتبط بالقيمة .

ولكن هناك فرق بين (القيمة) ، و (الارضاء) ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ هناك انواع من النشاط لا صلة لها مباشرة بارضاء الحاجة .. وايجابية القيمة لا تتعلق دائما بالاستهلاك ، او ارضاء الحاجة .

الفعل البديل

واذا عجز الشخص عن ارضاء الحاجة ارضاء ملائما لطبيعته ، فانه يبحث عن ارضاء بديل .. وقد نوه (بول جيوم) بأن مدرسة كورت ليفين اهتمت بسيكولوجية الفعل البديل(١١) .

كما انه نوه بالعديد من التجارب التي قامت بها في تبين صلة الفعل البديل بمستويات الشخصية ، او بمسارات السلوك .. وسوف نعرض تباعا لأهم تجاربهم في ذلك .

المهم ان نذكر ان (كورت ليفين) يقيم معنى الاستبدال ، ليس على اساس الشبه بين نشاطين ، احدهما اصلي ، والآخر بديل ، وانما على اساس وظيفي ، هو قيمة النشاط نفسه في ارضاء الحاجات .

ناهيك بأن كورت ليفين يتحدث عن ما يسميه بشبه الحاجة ، كازي نيد ، والتي تماثل في آثارها الحاجة الحقيقية ، ولكنها تتميز عنها بكونها تتولد عن التجريب ، وهي في نظره متفرعة عن الحاجة الاصلية ، او نتيجة مجموعة حاجات(١٢) .

وتظهر تجربة ليفين المسماة بتجربة (مستوى الطموح) اثر الحاجات في البناء الادراكي للحاضر ، وايضا للماضي ، والمستقبل ، وتقوم في الاساس على ارضاء الحاجة باستئناف الفعل ، او بفعل بديل .

ليفين ومستوى الطموح

قوام التجربة اقتراح المجرب مهام يرتضيها الشخص(١٣) . فمع الاستئناف يتابع الشخص عمله ، لانه لم يصل الى هدفه المطلوب ، وهذا يعني ان ارضاء الحاجة اثر في السلوك آنيا .

وفي قول (الكذب) يغير الشخص الماضي ، كي يلائم حاجاته .. وكذلك الامر في احوال التبرير ، والكبت ، حيث الحاجة تؤثر في البناء الادراكي للماضي .

واما بالنسبة للمستقبل ، فعندما يتصور الشخص فعلا .. او يتصور الدافع اليه محققا في المستقبل .. فهذا الشخص خيالي النزعة ، واحيانا هو لا واقعي ، واحيانا يبدو دافعه بعيدا عن التحقيق .

ولذلك قرر ليفين انه اذا كانت هناك عقبة ، او عائق يجعلان الوصول الى الهدف محالا ، ظهرت نشاطات بديلة في مستوى الخيال ، او ايضا مستوى الكلام ، والسؤال يصير عن ارضاء البديل للحاجة .

كيادس وقيمة الاطعمة

درس ديفيد كيادس(١٤) الجوع ، وقيمة بعض الاطعمة في الاشباع .. ونص التجربة كالآتي : تغذى مجموعة من الدجاج بغذاء يحتوي على العناصر اللازمة للنمو .

ثم يؤتى بمجموعة اخرى ، وتحرم من بعض الفيتامينات .. ويكون الملاحظ انها سوف يحدث عندها نقص في هذه الفيتامينات .

يعاد الى المجموعة الاولى ، ويقدم لها نوعان من الطعام ، نوع من فيتامين بكمية زائدة ، وآخر عادي .

النتيجة كانت ان جاذبية الطعام للمجموعة الاولى ، مثل جاذبية الطعام للمجموعة الثانية .. بمعنى ان الطعام له في حد ذاته جاذبية .

ولكن عندما قدم للمجموعة الاولى نوعان من الطعام معا ، اقبلت المجموعة على الطعام الذي يحوي على الفيتامينات .

وهذا دليل على وجود حاسة كيميائية في الحيوان ، هي في اساس سلوكه ... وتشبهها الشهية للطعام عند الانسان .

هناك ميل عند الانسان ، وايضا نفور ، حسب المناسبات والفصول للمواد الدهنية او السكرية ، مما يدل على اساس كيميائي للشهية ، وان قيمة الطعام مرتبطة بارضاء الحياة نفسها .

موري وتصورات الخوف

ولموري(١٥) دراسات في الشخصية ، ومن ملاحظاته انه وجد ان (حالة الخوف) عند الاطفال تغير البناء الادراكي للمجال .

ان الطفل في حالة الخوف يرى ان من حوله يضمرون له الشر ، ولكن تصوراته ، وسلوكه تختلف اذا كان في حالة اطمئنان .

وقد لاحظ موري ان الاطفال يجدون وجوه الاشخاص اكثر لؤما ، في حالة الخوف ، منها في الحالة العادية .

واعترض على ذلك بأن تأويل الطفل للاشكال ، والصور ليست له دلالة واضحة ، لانه يختلف باختلاف مزاج الطفل ، او مزاج الساعة .

في حين ان الانسان من طبيعته يصبغ العالم الخارجي بصبغة اجوائه الداخلية ، بحسب مرونة المناطق التي يكون فيها .

دامبو ، الهلوسة والغضب

وقد وجدت تمارا دامبو ، انه في حالات الانفعالات الشديدة يتخذ ارضاء الرغبة شكل الهلوسات .. بمعنى انه تحت

تاثير (الحاجة) يتحول تصور الهدف الى (هلوسة) ، هي ادراك بدون موضوع .

لقد اولت دامبو عنايتها بسورات (الغضب) ، في العنف الذي ينتاب الاشخاص ، حيث تتصدع الحواجز الفاصلة بين المستويات العميقة والسطحية للشخصية .. وهي الحواجز التي تضمن بالعادة سيطرة الشخص على افعاله ، وذاته .

هذا التصدع عادة ما ينجم عند تصدع في الحواجز الفاصلة بين ما هو واقعي ولا واقعي .. كما ان انغلاق الفرد لايعمل على الزيادة من شدة التوترات ، فينسحب الطابع السلبي على جميع الاشياء في المجال ، وتفقد قيمتها الخاصة ، ويميل الاتجاه العدائي الى ان يصبح عاما .

وبسبب انعدام (التوجه) الى غاية ، او تلاشيه ، تتحطم البنية المتمايزة لمشكلة الغضب الاصلية .. وتاخذ الافعال البديلة صورا بعيدة عنها(١٦) .

وتتجه الافعال العنيفة آنئذ ضد الاشياء ، وضد الاشخاص ، وضد الذات نفسها .. ويغدو الشخص عدوانيا ، يتلمس الخلاص باي ثمن ، من مشكلته ، ومن التوترات(١٧) .

اختباران لكشف الشخصية العميقة

ومن الاختبارات التي اجريت لمعرفة الميول العميقة في الشخصية ، اختبار موريه ، ويتالف من عشرين لوحة عن مجموعة رجال او اطفال او نساء ، يطلب من الشخص ان يتخيل قصة عن كل لوحة .

ومنها اختبار سوتزدي ، ويتالف من صور لمرضى نفسانيين او عقليين ، تعطى للاشخاص ، وتدرس استجاباتهم لها ، بالاستلطاف مثلا ، او النفور .

في الاختبار الاول ، القصة هي بمثابة قصة اسقاطية ، تكشف عن الشخصية العميقة للمجرب عليهم ، وفي الاختبار الثاني يمكن بواسطة الصور معرفة (الاتجاه الغريزي) عند الشخص .

ففي هذه الاختبارات ، المجال الخارجي مرن .. ويمكن ايضا تعديله ، او تغييره حسب الحاجات ، وتكون الاسقاطات بمثابة كاشف للشخصية العميقة .

تساجرنك ـ الاستئناف والذاكرة

وقد قامت تساجرنك بتجارب على التذكر ، في علاقته باستئناف العمل .. والمبدأ في هذه التجارب هو مبدأ (الاغلاق) ، بمعنى ان الفعل الغريزي يفسر من اساس انه نشاط ابتدىء به ، ولا يتوقف الا بعد ارضاء الحاجة ، والتي ارضاؤها يتم اغلاق دائرة النشاط .

اذ يتم تشغيل الاشخاص بمشكلات مختلفة ، تركيبات بسيطة ، العاب معقدة ، الغاز ، مسائل رياضية وغيرها تبلغ عشرين نوعا .. ثم توقف التجربة بحجة معقولة اثناء قيام الشخص بعمله .

وقد لوحظ انه نادرا ما يتقبل الشخص ، في غير لامبالاة او سلبية ، ايقافه عن عمله .. وعادة هو يبدي دهشته ، او يعترض ، او يبدو عليه الضيق ، ويسال اذا ما كان يستطيع استئناف العمل .

واحيانا يستانف الشخص العمل اذا وجد ان لا احد يراقبه .. وهذا الاستئناف هو استجابة لبقاء التوتر ، وانه لم يتم فضه .

ثم يطلب من الاشخاص ، بعد اربع وعشرين ساعة ، ان يتذكروا موضوع هذه المشكلات ، وبالطبع عندما تكون المسائل متعددة يحدث فيها نسيان .

وقد وجدت تساجرنك ان نسبة التذكر للاعمال غير المنتهية الى الاعمال المنتهية هي ١٤٩ و ٢٧١ ، اي اذا كان الشخص يتذكر شيئا من الاعمال المنتهية فهو يتذكر شيئين من غير المنتهية .. وهذا الاصرار من جانب الذكريات دليل جديد على استمرار التوتر الخاص بالمهام غير المنجزة(١٨) .

ليسنر ـ القيمة وارضاء الحاجة

وقد درس ليسنر (القيمة) التي لنشاط ما في ارضاء الحاجة ، عن طريق استئناف العمل ، والذي يعتبر وسيلة من وسائل دراسة النشاط ، وما وراءه من دافع .. وايضا وسيلة من وسائل الابقاء على حاجة قبل ارضائها .

وتساءل ليسنر الى اي حد يستانف الشخص العمل الذي امتنع عنه.؟ . وهل الفعل البديل يرضي حاجة موجهة الى نشاط اصلي ؟ ! .

وقد وجد ان قيمة (الفعل البديل) يمكن قياسها بكمية الهبوط في استئناف العمل الاصلي ، والذي توقف .. فاعاده الشخص ، او اتم نشاطا بديلا عنه .

مثال ذلك ، مطلوب من شخص مقابلة شخص آخر شخصيا ، اي مواجهته .. المهمة هنا نشاط اصلي ، ولكن يمكن بسبب العوائق اللجوء الى وسائل بديلة ، مثل ارسال خطاب او ارسال شخص آخر .

فاذا استؤنف النشاط الاصلي ، فمعنى ذلك ان الفعل البديل له (قيمة منخفضة) .. واذا اوثر الفعل البديل ، فمعنى ذلك ان قيمته مرتفعة .. وعلى هذا النحو نرى الى شدة النشاط نفسه .

ماهلر والقيمة الاستبدالية ، للكلام او الفكر في تحقيق غاية

وقامت ماهلر بدراسة القيمة الاستبدالية لاتمام نشاط متوقف عن طريق الكلام ، او الفكر ، بدلا من استئنافه

بالفعل .. الامر الذي يغني القيمة الاستبدالية للكلام والفكر نفسيهما .

وقد وجدت ان هذه القيمة هي ١٤٢ ، في حين هي في النشاط الفعلي ٢٤٣ .. كما وجدت انه اذا كانت قيمة الفعل ٢٤٣ ، فقيمة الكلام ١٤٢ .

وكذلك درس عدد من علماء النفس القيمة الاستبدالية في مجال اللعب ، ومجال الجد ، وخاصة الانتقال من مجال الى آخر .. ان القيمة الاستبدالية تتوقف على تحقيق غاية ، وفي بعض الاحيان يكون للكلام ، او الفكر قيمة استبدالية اكبر من الفعل ، وفي الأعداد القادمة نتحدث عن التوتر الانفعالي ، والصراعات ، والى اللقاء .

---

(١) ــ من المستحسن مراجعة ابحاثنا السابقة في (الاديب) الفراء ، الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، اغسطس ــ ديسمبر ١٩٧٨ ، والموجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ .

(٢) ــ وكونكا يعتبر بناء العش عند الطائر مثل ترنيمة متناغمة (ميلوديا) ، ابتدا الطائر بها ، وتتجه الى انجاز متميز بعينه .

(٣) ــ ناهيك ان التفسير الآلي يفسر الوظيفة ، وليس اصلها ، كما ان الوظيفة التي تصنع العضو لا تشين وظيفة العضو الجاهز .

(٤) ــ وقد رأينا كيف ان المعادلة السلوكية بين المنبه والاحساس ، اصبحت معادلة مواقفية بين منبه وكائن حي واستجابة ، وان السلوك جزء من المجال ، ويترتب عليه ، انظر الموقف والسلوك ، ص ١٢ و ١٣

(٥) ــ وفي نظر كورت ليفين (التكيف) هو مجاراة الجو الراهن ، والانسان بتكيفه مع محيطه يجعل استجاباته من نوع المنبهات الواردة اليه ، الخ ، انظر الموجه الكيفي ، ص ٥

(٦) و (٧) ــ ترجم الدكتور صلاح مخيمر ، وعبده رزق الكتاب الى العربية ، ونشر تحت عنوان : علم نفس الجشطلت ، مصر ١٩٦٣ ، والاشارتان المنوه عنهما من ص ١٨٠

(٨) ــ المرجع السابق ، ص ١٨١ ــ ١٨٣ ، وتجد آراء كونكا عن تحدد المجال تحت تاثير الحاجات ، في كتابه : مبادىء علم نفس الصيغة ، ١٩٣٥

(٩) ــ كنا اوضحنا المقصود من (قيمة) ، عند شرحنا للقوى النفسية ، وانواعها : الدافعة ، والمانعة ، او المثارة ، او المطابقة ، او اللاشخصية ، ورأينا ان القوة النفسية التي تدفع الشخص نحو تحقيق هدفه يسمونها (قيمة ايجابية) ، وعكسها السلبية ، انظر الموجه الكيفي ، ص ٧

(١٠) ــ في اتجاه تكاملي يطلق استاذنا المرحوم (يوسف مراد) مصطلح غريزة على (الميول الفطرية) ، وهي في نظره ثلاثة انواع : الميول الشخصية ، وتخص الوظائف العضوية من اكل ونوم وانسال ودفاع عن الذات ، ثم الميول العائلية ، وتتعلق بالعلاقات بين الجنسين ، ثم الميول الاجتماعية ، وتحقق ضروب التعاون في الميل الغريزي للمجتمع عند الانسان ، مبادىء علم النفس العام ، مصر ١٩٤٨ ، ص ٩٨ ــ ١٠٤

واما الدكتور (فاخر عاقل) فانه في اتجاه سلوكي صارم يطلق مصطلح غريزة على أنماط من السلوك ، او مجموعات من الافعال المنعكسة ، المعقدة نسبيا ، والفطرية دوما .. والفروق في نظره بين الغريزة والفعل المنعكس ان الغريزة اكثر تعقيدا ، وتستدعي تكيفا ، واعمالا تشمل مجموع العضوية ، وانها اكثر نوعا ومرونة من الفعل المنعكس ، علم النفس دراسة التكيف البشري ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤

(١١) ــ انظر علم نفس الجشطلت ، السابق الذكر ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(١٢) ــ وكورت ليفين يستعمل مصطلح (حاجة) بمعنى دافع بشكل عام ، أي الدافع النفسي ، العضوي والوظيفي والاجتماعي ، وجاء في (موسوعة علم النفس ، والتحليل النفسي) ، للدكتور عبد المنعم الحفني ، ان مصطلح حاجة ادخله ليفين في الثلاثينات ، ويعني شعور المرء بانه ينقصه شيء ، أو يلزمه شيء ، والحاجة في نظره تضفي قيمة على الاشياء ، وتولد قوة لها اتجاه وحجم ، ج ٢ ، ص ٨ .

(١٣) ــ وهذه التجربة ، وجميع التجارب الاخرى المنوه عنها ، نقلناها من املاي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ، في حين تجد في كتاب علم نفس الجشطلت اوصاف تجربتي دامبو ، وتساجرنك .

(١٤) ــ درس كياوس سلوك الحيوان وابصار الالوان ، وله كتاب في ذلك .

(١٥) ــ ودرس موري الشخصية ، وله فيها اختبار تفاهم الموضوع .

(١٦) ــ ويرى (بول جيوم) أن الاضطرابات الانفعالية صور بدائية لافراغ التوترات ، وان الفعل البديل عاجز عن ان يحقق افراغا كاملا ، ص ١٨٧ ، وان الهرب من مواجهة الحل ، مثل الانطواء على الذات حل غط ، ووضيع ، ص ١٨٩

(١٧) ــ وفي الغضب يظهر عدم تمايز (الصراع) ، وتظهر الوقائع التي يتالف منها ، وهي تخضع لحركية الانفعال الكلية .

(١٨) ــ ويتحدث بول جيوم ايضا عن دراسة هوب للنجاح والفشل ، وانهما يمكن تحديدهما نفسيا بالرجوع الى التوتر الذي يتطلب الفض ، وكيف ان الاستئناف لا يعود تكرارا ، اذ تدخل فيه غاية مختلفة هي الاداء الافضل ، او الاسرع ، ص ١٨٧ ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل

في مطلع كل شهر

اطلبوا

الاديب

من الباعة والمكتبات

الدموع في عينيها والالم يرتسم بتعاسة على ملامح الوجه الرقيق ، وصوتها الناعم لا يعرف طريقه الى الخارج يموت في داخلها منقبضا يعتصره الالم ... والشقاء كانت تخشى الفراق انها المرة الاولى التي تترك طفلتها وحدها تسافر سفرا طويلا يمتد الى عام او يزيد ... سوف تتركها مريضة في احضان جدتها ... لا تصدق ذلك وعندما تتذكره تموت الدموع في عينيها والكلمات على شفتيها فيهتز بدنها متشنجا في تعاسة ارهقتني وارهقت نفسها .

سيدتي ... انه امر الطبيب ، الطفلة لا تستطيع ان تتحمل الرحلة الطويلة ... السفر القاسي عبر الصحاري والجبال والبحار سوف تنتقل من قارة الى اخرى ... سياحة طويلة .. جو مختلف . لن تتحمل الرحلة ، وقرار الطبيب ان تعيش في بلدها حتى يتم علاجها وتشفى وتمر بفترة نقاهة .

وهي صغيرة لا تعي شيئا ، لا تنطق سوى بضع كلمات ، سوف تتحمل الفراق . ولكن الام — دون كلام — تحدثني جوارحها ، يحدثني قلبها وعقلها ... ولكنني اعرف انا امها ، اعرف انني سوف اترك طفلتي وحيدة بعيدة عن احضاني سوف اتركها واسافر .. اغيب عنها وتغيب عن عيني . عام طويل كيف اتحمل العذاب ؟ ولكن الفراق لمصلحتها ... البقاء لصالحها ايضا انه حياة لها ولكنه موت لي ... لا بد ان نضحي ... لا استطيع ... سافري انت الى القاهرة وسوف الحق بك انا ... ساحاول ... لا تقلقي .

واصبحت وحدي وجها لوجه مع الفراق والتعاسة ونبضات القلب وعذاب الالم كان علي ان اودعها ... كانت نائمة .. لا بد ان تكون نائمة حتى لا تبكي انها تحب ان تنادي بصوتها العذب الرقيق .. بابا ... بابا ... انا صحيت ... لو استيقظت ورأتني ... لما تحملت العذاب سوف اهرب انا الآخر ... كان موعدي مع الفجر ... كانت راقدة في فراشها والنافذة يتسلل منها ضوء القمر الفضي ويعانق في حنان سريرها الصغير وحجرتها الانيقة ... كانت مثل ملاك صغير يستحم في بحيرة من الفضة وكان الهدوء والسكون يغيضان على جو الحجرة ابعادا قدسية ... عظمة الله وقدرته في نور القمر الساطع مقدرة الخالق العظيم وحنانه الالهي والضعف الانساني والالم والامل مع الحنان الذي اوجده الله في القلب الانساني .

ابنتي في عين القمر

بقلم السيد ابراهيم

وتتلاقى العيون وضوء القمر ووجه الطفلة المريضة مع احلامها البريئة وعناق الملائكة ، الاشياء كلها تسبح في البحيرة الفضية وعلى الشاطىء الآخر العذاب والامل .. الفراق والحب .. الحنان والرحمة ... وانحني على وجه المأساة اقبل الملامح الرقيقة وتسقط دمعة ساخنة تبلل الوجه النحيل وتتحرك الطفلة في البحيرة الفضية ولكن النوم سلطان وارى من خلال الدموع ابتسامة ناعمة على الوجه الرقيق والاهداب الطويلة تتحرك في دعة ... وتنفتح عينيها وتبتسم ...



وانستني الابتسامة وداع الفراق ثم راحت في سبات عميق من جديد واهتز قلبي بعنف وتعالت ضرباته ... وهرولت في عجلة خارج البحيرة الفضية ... وقالت امي لا تقلق انها في عيوني ... انها اعز من ولدي .. منك ... لا تقلق سافر في رعاية الله .

تذكرت اشياء كثيرة انسى فيها الفراق ... فراق طفلتي ... لقد نسيت امي ... انسيت مثل ابنتي بالنسبة لها ؟ ... انها ايضا تتعذب لفراقي ... انها ام ... انا انسان جامد القلب انانى ... امي تتالم وانا لا افكر الا في نفسي ... رحماك يا امي . وتماسكت امامها تصنعت الابتسام ... مثلها تماما ... ولكنها الام الكبرى ام الجميع لها خبرة ولها ماض ودعت الكثيرين وودعت وداع الابد ايضا ... لها تحت التراب فلذات كبدها .. قطع من ذاتها انها امنا الكبيرة ... يا لي من جاحد ... لماذا اعذبها ... غفرانك يا امي .. لقد نسيت ...

لا عليك يا ولدي ... اصبر سوف تعود سالما ... باذن الله ... وسوف تجد اسماء وقد اصبحت عزوسة حلوة ... الدموع تنساب غزيرة ... الكلمات تضيع ... الحروف تذوب لا شيء سوى دقات القلوب التي تتعانق لتستعد للفراق الطويل .. عذاب الام الصغيرة في انتظاري ... لقد ذوت ... ذبلت في ايام ... وترتجف وتقول ابنتي ... !

لا تخافي يا حبيبتي ... انها في عيون القمر ... في رعاية الله ... في احضان جدتها ... ولكنني ؟ ... ووضعت يدي على فمها ... لا تقلقي ... استحلفك بالله .. الحزن لا يفيد ... انت على موعد مع القدر في حاجة لصحتك ... من اجل المستقبل ... والامل والضيف القادم .

الطائرة تغادر المطار ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصبحت في البحر اللانهائي ... الابد حولها والكون كله يعانقها ... نحن بداخلها انا وهي تلوبنا ليست معنا كيف انت الآن يا ابنتي .. كيف حالك ... يا اسماء ... اقولها وتقولها الام بلا صوت وبصوت يعلو على كل شيء ... انه الفراق وتقول الجدة في رسالتها لا تقلق يا ابني ... انها في رعاية الله ... ساصدقك القول ... الطفل اي طفل يشعر ايضا بالفراق ... عندما استيقظت في ذلك اليوم ... ماذا فعلت ؟ .

وجدتها تترك سريرها الصغير وحدها وتدخل حجرتك صامتة باحثة ثم دارت في حجرات المنزل تبحث في الاركان الخرساء ولا تنطق جامدة لا يظهر على ملامحها اي شيء ... فكر وانشغال دموع متجمدة ... صبر ومثابرة ... ثم دموع غزيرة ... وبابا وماما ...

وهبط قلبي احسست انه يتنزلق من بين ضلوعي ... احسست بالاغماء ... امسكتها رفعتها فوق صدري وضممتها بشدة الى قلبي ... اعادت الي الحياة فارقني الدوار ... افلت من الاغماء ... دموعها ايقظتني كانت تهتز تبحث بعيونها الجميلة في كل مكان وترفع رأسها الى السماء وتتنهد وتقول بصوت ضعيف فيه عتاب ... بابا ماما ... فوق ابكتني كثيرا . وابكت كل من سمع عتابها ... الكلمات رغم بساطتها هي المأساة بعينها . ولكنها الحياة ... دائما .. فراق ولقاء عذاب وفرح ...

يا امي ... خطابك مزق قلبي كان ببساطة كسكين يخترق شغاف القلب ... انا المسؤول لقد طلبت الصدق وانت كنت صادقة ... لنا الله جميعا . امها في ماساة منذ ان سافرنا اذا دخلت حجرتها بكت اذا ما رأت ملابسها وهي تعد ملابسنا انهارت وتظل طوال اليوم في عذاب والم ... اخفيت ملابسها .. بعت سريرها حاولت ان ابعد كل ما يذكرنا بها ولكن هل نجحت ؟

لقد سقطت الام مريضة بعد ضعف اصابها عافت نفسها الطعام ... ذبلت نحل عودها راح بهاؤها واوصى كل الاطباء بمراعاتها والعناية الشديدة بها . ولكنها تقول ابنتي ... اريد ابنتي ... سافر فورا ... لا اجازة ... لست في بلدي غريب يبحث عن لقمة العيش يعمل خارج وطنه لا يملك من امره شيئا حتى جواز سفره لا يملكه ... كيف اسافر ... انا اسير عقدي .. لقد اصبحت رقيقا ... انه عقد رق ولكنها الحاجة ... لو كان الفقر رجلا لقتله بلدنا كما تعلمين ... الطيور المهاجرة كثر عددها ... والشرق والغرب والشمال والجنوب ... الى ان تعود المياه الى ارضها .. والخير لاصحابه .

هذه مشيئة الله ... ماذا نعمل ؟ ولكنني ساجن ؟ الصبر ... اصبري حاولي ان تنسي انها في امان ... لماذا تخافين ؟ انها قطعة مني ملذة كبدي ... انا قاتلة .. ولكن مصلحتها ؟ ... انت مثلي انا انانية ... الايام تمر البنت بصوتها ومناغاتها ولعبها وجسدها النحيل بعيونها البريئة تملأ ارجاء النفس وجوانب البيت تلاحقني حتى في فترة العمل ... نحن اسرى الملاك الصغير ... واتطلع الى السماء وعندما تستحم عيناي في بحر القمر الفضي ارى ابنتي في عيون القمر ... اراها تضحك لي ... تبتسم تلوح لي .. ثم تغيب الابتسامة تذبل كما يذبل اللون الفضي عندما يبدأ القمر في العودة ... ويعود الالم ... ابنتي في عيون القمر . وامها تراها في عيون الآخرين ... عذاب .

انت حامل انسي ... اهتمي بنفسك ... الضيف القادم على الابواب يدق الباب بعنف يخرج الى النور انها طفلة اخرى ... سوف تنسين ... لتكن سلوى لك ... اريد ابنتي حتى وسلوى معك في احضانك ... كيف انسى ... انا ام ... اريد اسماء ولكنها في عيون القمر وترد حانقة بل في عيون الآخرين ... ارى ما في عيون الناس بل اراها في عيني سلوى ...

انسى اسماء لا استطيع حتى وانا اضم صغيرتي الى صدري وانا اضمها ... لا انسى اسماء انها جزء من سلوى وسلوى جزء من اسماء . تذكرني بها بطفولتها ... ماذا اصبحت الآن ؟ ـ لا بد ان نسافر ... على رسلك ... الايام تسرع ... الموعد يقترب سوف نرحل ... اصبري لا طاقة لي على الصبر ... تحملي ... سوف تمر الايام ...

لم اعد اطيق صبرا ... معك ملاك جميل ... ولو كان معي الف ملاك فانا ابحث عن الملاك الذي سميته ... انها وحيدة رغم انها في قلب الجميع وفي رعاية الجميع ... انها تبحث عن احضاني ... تريدني انا ... انا امها انها في عيون الآخرين ... اراها في كل طفلة ... في كل لمسة .. في كل كلمة .. دموعها دموعي ... آلامها آلامي .. اشعر انها مريضة حتى وهي بعيدة عني ... لا عجب ... انه قلب الام ...

رفقا بنفسك ... نحن على وشك الرحيل ... الايام تمر ... ولكن العذاب يكبر ... الفراق سوف ينتهي ... ولكنه بالنسبة لي يطول ... لا نهاية له ... انا حزينة .. لكل شيء نهاية ولكن عذاب الام لا نهاية له .

القاهرة — السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاريخ الابجدي في الشعر العربي

بقلم وليم صعب
صاحب مجلة البيدر

❁ ❁ ❁

دعاني الى كتابة هذه اللمحة عن التاريخ الابجدي في الشعر العربي قصيدة وردت في (بريد الاديب) ، عدد حزيران السابق ، موجهة من الشاعر عبد العليم التباني الى الشاعر محمود عبد الحي توجها ناظمها بالمقدمة التالية :

« الى الشاعر الصديق الاستاذ الجليل والشاعر الكبير محمود عبد الحي تاريخا لصدور ديوانه (اصداف الشاطىء) سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م » .

وكما جرت العادة في ايراد التاريخ في آخر بيت جاء تاريخ السنة الهجرية هكذا :

تاريخه مذ لاح في طبعه (هذي هي الاصداف جسر السنين)

اما تاريخ السنة الميلادية فقد جاء في ما يلي :

تاريخه مذ لاح في طبعه (هذا برب الحسن وشي ثمين)

ان ناظم التاريخين وضع عجز البيت الاخير ، اي الشطر الثاني ، بين هلالين لينبه الى ان كلا منهما يستخرج من الكلمات المحصورة بين الهلالين ، مع ان المصطلح في ذلك ان يبدأ جمع ارقام الاحرف بعد كلمة (تاريخ) او ما يشتق منها . ورغم الخروج على هذا المصطلح — القاعدة جاء التاريخ الهجري مغلوطا ، فما وضع بين الهلالين ، في ما يختص به ، تجمع حروفه ١٤٠١ لا ١٣٩٧ . وجاء التاريخ الميلادي مغلوطا ايضا اذ ان احرفه تجمع ١٩٧٥ لا ١٩٧٧ .

وليصبح التاريخان صحيحين يجب ان يكونا هكذا ، مع الاشارة الى ان تصحيحهما ليس تصحيحا سليما الا من ناحية الارقام فقط :

للتاريخ الهجري :

والمدح في تاريخه لاح : هذي هي (الاصداف) جسر حسين

وللتاريخ الميلادي :

غنى الثنا مذ لاح تاريخه : هذا بدر الحسن وشي ثمين

لم نطلع على منظومات في الشعر العربي تتضمن تواريخ ابجدية الا في القرن الماضي ، وكان من طليعة فرسانها المجلين اليازجيون الثلاثة : ناصيف وولداه ابراهيم وخليل الذين تفننوا كثيرا في هذا المضمار مع عدد من معاصريهم الشعراء . واننا نرى ابيات هذه التواريخ بارزة في سرايا بيت الدين وقصرها حيث عمل اليازجي الكبير مدة غير قصيرة كاتبا لدى بشير الثاني باني القصر الذي جمع حوله لفيفا من شعراء ذلك العصر ، كما نرى التواريخ الابجدية محفورة في امكنة مختلفة على مداخل المباني الرسمية والمدافن . ومنها لوحات فنية كتبها موهوبو الخطاطين وقدموها هدايا في مختلف المناسبات .

اما الطريقة المعتمدة في نظم التاريخ الابجدي فهي التالية :

تؤخذ الابجدية التي جمعت حروفها ، بالتسلسل ، في هذه الكلمات : « ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ » ، وتراعى ارقام حروفها كما اوردتها المعاجم بحسب ما يأتي :

ا = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، ه = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠

ولما كان التاريخ الابجدي من شعر المناسبات فان المناسبة يجب ان تراعى في التعبير . والمفروض ان يكون عدد ابيات القطعة الواحدة قليلا ، وتختتم ببيت التاريخ الذي يجب ان ترد فيه كلمة (تاريخ) ، او ما يشتق منها ، وبعدها تجمع ارقام احرف الكلمات التي يتألف منها رقم السنة المقصود — السنة التي حصلت فيها المناسبة .

صحيح ان التاريخ الابجدي في الشعر العربي من شعر المناسبات الذي قامت عليه قيامة الناقدين ، ولكن له ميزات كثيرة نجملها في ما يلي :

١ — حفظ بيت التاريخ اسهل من حفظ الرقم المجرد ، فبواسطته تجمع ارقام الاحرف ويهتدى الى التاريخ حالا .

٢ — اهداء لوحة فنية تتضمن تاريخا ابجديا كتبه خطاط بارع افضل من كثير من الهدايا التي تقدم في المناسبات ، فاللوحة الفنية تبقى بارزة للعيان في ردهة الاستقبال في المنزل .

ولكي يكون التاريخ الابجدي مكتمل القيمة يجب ان يعرف الناطقون بالعربية الرقم الذي يمثله كل حرف من حروف الابجدية ، ومن اجل ذلك اثبتنا في هذه اللمحة ما يتعلق بهذه الناحية . وحري بنا ان ندخل هذا بين مواد التدريس في المعاهد ، وهو سهل جدا ، ويسير جنبا الى جنب مع تدريس الحروف الشمسية والحروف القمرية .

وعلى ذكر الحروف الشمسية والقمرية نلفت النظر الى ان هذا الدرس البسيط الذي يمر في الصفوف الابتدائية لا يستوعبه التلاميذ ، حتى ان كبار مدرسي اللغة لا يمكن ان يستوعبوه بالاسلوب المتبع في سرد الحروف على هذه الصورة : الحروف الشمسية هي كذا وكذا وكذا ... والحروف القمرية هي كذا وكذا وكذا ... فالتلميذ ، بهذه الطريقة ، يحفظ الحروف لمدة قصيرة ثم ينساها ... وبعد ان يتخرج بشهاداته العالية من ثانوية وجامعية يقف على المنبر ويلفظ كلمة (الجامعة) ، مثلا ، بدون ان يبرز

(لام ال) التي تظهر مع الحروف القمرية ، وتختفي مع الحروف الشمسية ، لانه يكون قد نسي الدرس الذي تلقنه وهو ابن سبع سنوات ، ولم يحفظه ، آنذاك ، الا في سبيل نيل علامة جيدة فقط . فمن اجل سد هذا الفراغ وضعنا اربع كلمات جمعنا فيها الحروف القمرية ، هي التالية : (ابجخ ، هوع ، حقي ، كفمغ) ، واربع كلمات جمعنا فيها الحروف الشمسية هي : (سدزص ، طرثت ، ثلذ ، ضظن) . فاذا حفظت هذه الكلمات ، وحفظها سهل ، يعود المسؤول اليها ويسرد حروفها بدون تردد او تلعثم ، كما هي الحال في الكلمات الثماني التي جمعوا فيها حروف اللغة العربية موزعين الارقام على الحروف هكذا ، بحسب تسلسل الكلمات : من الرقم ١ الى الرقم ١٠ بالتسلسل ، ثم من الرقم ٢٠ الى ٣٠ الى ٤٠ الى ٥٠ الى ٦٠ الى ٧٠ الى ٨٠ الى ٩٠ الى ١٠٠ ثم من الرقم ٢٠٠ الى ٣٠٠ الى ٤٠٠ الى ٥٠٠ الى ٦٠٠ الى ٧٠٠ الى ٨٠٠ الى ٩٠٠ الى ١٠٠٠

والتاريخ الابجدي ، لكي يكون مقبولا او مستساغا ، يجب ان يتجنب ناظمه الحشو واقحام الكلمات في غير مواضعها سعيا وراء الوصول الى رقم معين ، اذ ان ميزة التاريخ الابجدي الجيد الا يشعر قارئه بأي تعمل او تكلف .

ان نظم التاريخ الابجدي ليس عملية سهلة ... انه فن قائم بذاته ، وموهبة خاصة ، والذين اتقنوه قلة نادرة ، وقد لا يتمكن امهر الشعراء من نظمه .

يروى ان شخصا جاء في النصف الاخير من القرن الماضي الى الشويفات قادما من اللاذقية ليكلف الشاعر شاكر شقير نظم تاريخ ابجدي يوضع على ضريح والده . وعندما عرض طلبه على الشاعر اجابه شاكر شقير بأنه يتمكن من تسليمه التاريخ في مدة اسبوع ، وعندما ازعجت المدة الطويلة طالب التاريخ تدخلت زوجة الشاعر فانزل زوجها المدة الى اربعة ايام . ولما انصرف الرجل عاتبت المرأة زوجها قائلة له : الم تنه نظم التاريخ والرجل امامك ؟ فلماذا طلبت هذه المهلة الطويلة ؟ فرد عليها قائلا : كيف يدفع الذهبيات الخمس اذا راى انني نظمت التاريخ بهذه السهولة ؟

ونحن نختتم هذه اللمحة باثبات بعض التواريخ الابجدية التي نظمت في مناسبات مختلفة :

ناصيف اليازجي ارخ وفاة القاضي احمد تقي الدين المعروف بالكبير سنة ١٢٧٤ هـ هكذا ، وقد حفرت هذه الابيات على بلاطة الضريح :

هذا مقام السيد العلم الذي ... ورث الكمال عن الامير السيد
نسل التقي الدين عمدة قومه ... قاضي البلاد الصالح المتعبد
قد كان للقصاد في ايامه ... ركنا ، وللوراد اعذب مورد
ولقد ثوى يوما برحمة ربه ... في قبة لاحت لنا كالمشهد
صلى مؤرخها وبارك قائلا ... حياك يا من زار قبة احمد

وامين ناصر الدين ارخ وفاة القاضي الشاعر احمد تقي الدين ، حفيد القاضي المعروف بالكبير ، بحسب تاريخ السنة الهجرية ١٣٥٣ كما يلي :

هذا ضريح فيه احمد قد ثوى ... والفضل بعد (ابي فريد) مقصد
فجعت به غر المناقب اذ قضى ... وانهدك ركن للقضاء مشيد
وتلهف الادب الصميم ولم يزل ... دمع البراعة سائلا لا يجمد
ويح الزاهة والوفاء كليهما ... قد امسيا واساهما لا يلفد
قف عند تربته وبالتاريخ قل ... حيا ضريحك صيب يا احمد

وهذا ابراهيم الحوراني يؤرخ ولادة عارف النكدي سنة ١٣٠٤ هـ :

رنمت ورق التهاني في الحمى ... وغصون الحي بالبشرى تميد
قيل لي : من ذا الذي اطربها ... وغدا في عصرنا بيت القصيد
قلت : من البشر ارخ شارحا ... (عارف) نجل (الامين) ابن (السعيد)

اما **خليل اليازجي** فقد ارخ ولادة عارف النكدي سنة ١٨٨٧ م هكذا :

لامينا النكدي نجل طيب ... وكذلك الاغصان تتبع اصلها
وافى عشيرته الكريمة (عارفا) ... بالطبع عنصرها فينشا مثلها
هي دوحة المجد القديمة والتي ... يوما على لبنان القت ظلها
يا حبذا منها لها اصل كما ... منه نؤرخ حبذا غصن لها

وهذا نقولا اسد نصرالله يترك (المصيطبه) الى الولايات المتحدة الاميركية حيث مكث اربعين سنة عاد بعدها الى وطنه وبنى بيتا على شاطىء البحر في بلدة (البربارة) سنة ١٩٧١ ، وسجل تاريخ بنائه على لوحة حفر عليها هذان البيتان من نظمه :

ودعت شاطئه بهمة والـه ... ونايت يجذبني النوى لجماله
فرجعت للشاطي ارخ بانيا ... من نعمة الباري ومن افضاله

واخيرا نثبت هنا بعض التواريخ التي نظمها كاتب هذه اللمحة ، ومن الخطاطين البارعين الذين كتبوها : فهد العنداري ، بهيج فهد العنداري ، منير صافي :

ـ تاريخ انتخاب رئيس الجمهورية الاستاذ الياس سركيس سنة ١٩٧٦ :

سفينة الحكم ، والامواج صاخبة ، ... قد قادها (الياس) باسم الله مجريها
فانشد الارز : سجل يا مؤرخ لي : ... في شخص (سركيس) اعطي القوس باريها

ـ تاريخ زفاف موريس اديب جهشان وفيوليت نجيب جهشان سنة ١٩٧٣ :

هذي يد المولى تؤسس منزلا ... قلب بقلب فيه بالله اتحد
وبه المهنىء والمؤرخ رنما : ... بيت بناه الرب يثبت للابد

ـ تاريخ ولادة جورج نجل شفيق عاصي مدير بنك بيروت والبلاد العربية في عاليه ، سنة ١٩٧١ :

يا ايها (العاصي) المطيع الله ، من ... نعم السما مولاك انعم بالولد
وافاك في عام تالق نوره ... تاريخه : ذا الشبل من ذاك الاسد

ـ عاطف امين وهاب توفي في حادث سيارة وهو في التاسعة عشرة من سنيه . اقيم له تمثال حفرت على قاعدته هذه الابيات وفي ثانيها تاريخ ولادته عام ١٩٤٣ ، وفي ثالثها تاريخ وفاته عام ١٩٦٢ ، وفي رابعها تاريخ اقامة تمثاله عام ١٩٧٣ في بلدته (غريفه) :

ظهرت وغبت وعدت قسدم ... هو البدر يحيا غيابا ايابا
ظهرت هلالا بتاريخه ... اضاء وفي الربع جلت شهابا
ويا ربع ، ليلك ، ارخ دجا ... هنا البدر من بعد ان تم غابا
وعاد وتاريخه حارس ... غناب شبابا وآب شبابا

وليم نجيب صعب

على ذرى الاربعين

فوزي عطوي

*

الاربعون سوانح تترقرق(١) ... ومطامح ، في خاطري ، تتألق
انا في ذراها باسط كف الرضا ... ران الى أيامها ، متشوق
وفيتها ما اسلفتني من هوى ... وبثثتها الحب الذي لا يخلق
فعلى جبيني لمسة من مجدها ... بشموخها وسماحها اتخلق
وعلى يراعي من علاها رقة ... نشوى ، وثورة مهجة تتدفق
الاربعون ! وما عبرت رحابها ... الا كما عبر الشباب الريق
متانقا ، والزهو ملء جوانحي ... لله عمر الزهو ، اذ يتانق
ايام أحسبني ، وآفاق السما ... لي ملعب ، فوق النسور احلق
ولقد ربيت على الطموح مجنحا ... مذ كان قلبي بالبراءة يخفق
كحلت هدبي باخضرار حدائق ... وغناء طير بالسلام تزقزق
واخذت عن صفو الجداول رقة ... وعن النسيم بساطة تتعمق
والفت زمجرة الغواصف ثائرا ... نغم الغواصف تستحب وتعشق
الاربعون ، وذكرياتي جمة ... مهما تكن ، فهي الجمال المطلق
ارنو الى طفل حيي طرفه ... يسعى الى شم الذرى ، لا يسبق
« الراهبات » صقلن صحو ضميره(٢) ... فضميره ، مما اتى ، لا يقلق
و «الاخوة» الشم الشمائل،ايقظوا(٣) ... أحلامه ، فهو الجواد المغدق
نهل المعارف والنظام ، ولم يزل ... بعراهما ، عبر المدى ، يتعلق
في « العاملية » اورقت اكمامه(٤) ... اكرم بها اما به ترفق
ومن « المقاصد » نفحة مسكية(٥) ... لما تزل بهوى الاحبة تعبق
طلب العلى ، متعلما ومعلما ... فيها ، فحالفه البيان الموثق
واذا « الصحافة » اكرمت روادها(٦) ... فهو الكريم الالمعي الاعرق
واذا « الحقوق » تساءلت : من باحث ... رحب القريحة ، بالفخار مطوق
قالت لها بيروت : هذا فارسي(٧) ... وتشوقت مصر ، وحنت جلق
واذا زهت ام اللغات بشاعر ... فحديثه بفم العروبة معرق
انماه لبنان نجي فصاحة(٨) ... فعلى يراعته الجلال المورق
اواه ! ما لبنان في ليل الاسى ... وجبينه ، مما تحمل ، مطرق
فيكاد يرديه جموح عداته(٩) ... واكاد من ماساته اتمزق
بابي وامي ، ما لمست مروءة ... الا غدوت ، وفضلها بي يسمق

الناس ، كل الناس اخواني ، فان ... اسبق ، فهم عندي الاباة السبق
لي اخوة شم الجباه ، كواكب ... لله نبلهم البهي الشيق
اذكري بهم ، والبر بعض صنيعهم ... ان ليس فيهم تائه متشدق
ولكأن أهنا ما يكون مآلنا ... لو لم يغب عنا الجبين المشرق
عهدي بأطياب « الوفيق » ندية(١٠) ... فعلام صوح ، في الرياض ، الزنبق
ولقد يرى عذري عريق في الوفا ... ان رجت امتدح الجدود ، فاصدق
كانوا كما انسرح الضياء ، اعزة ... هيهات ، اما يسبقوا ان يلحقوا
لم يكسبوا بدم الشعوب تجارة ... لم يقتلوا ، لم ينهبوا ، لم يسرقوا
لم يغوهم يسر ، ولم يخضعهم ... عسر ، ولم يهنوا ، ولم يتملقوا
تركوا السفوح لمن يهاب تالقا ... وعلى ذرى المجد الرفيع تالقوا
الاربعون ! وفي حماها لي هوى ... متجدد ، حلو المنى ، متدفق
« ليلى » ، وعمر المكرمات موائق(١١) ... عتق الزمان ، وحبنا لا يعتق
اطيازنا صفو الحياة ، ولم يزل ... صفو الحياة بحبنا يترقرق
« شيرين » الهام ، و « نادين » علا ، ... وجمال « لبنى » بالمكارم ينطق
وجلال « كارولين » ميمون الشذا(١٢) ... تتنشق الاحلام ما تتنشق
هن الهوى الصافي ، اذا عز الهوى ... واذا غدا ود الورى يترنق
ولربما آنتك مني نزوة ... بلهاء ، او آذاك همس أحمق
فلعل عذري ، وانفعالي جامح ... اني اكاد من الاذى أتحرق
ولنحن ، ان عمق الجفاء ، فحبنا ... يا منية العمر المندى اعمق
يا اربعون ! تحية من ذاكر ... ما زال في ايامكن يغدق
رفقا بتاريخي ، فليست لي يد ... في بعث ما ولى ، فهل لي موثق
حسبي من الايام عمر ماجد ... لم يغره الدرب الاذل الاخرق
هذبت بالخلق القويم غرائزي ... وهزئت فيمن يستبيه الزئبق
واذا رب مولود يراني خاطئا ... يا رب ، اني بالندامة اشرق
الحمد للرحمن ، اني لم أزل ... أشدو من النعمى ، وغيري ينعق

---

(١) ــ نظمت يوم الاثنين ٢٦ آذار ١٩٧٩ ، وقد بلغ الشاعر الاربعين من عمره . (٢) ــ كانت دراسة الشاعر الاولى في مدرسة راهبات مار يوسف بحارة حريك ، ضاحية بيروت الجنوبية . (٣) ــ انتقل الشاعر من الراهبات الى مدرسة « الفرير نوتردام دو لورد » في فرن الشباك ، ضاحية بيروت الشرقية . (٤) ــ في الكلية العاملية ببيروت انهى دراسة البكالوريا اللبنانية . (٥) ــ في المقاصد الاسلامية انهى دراسة الفلسفة ، وتولى التدريس سبعة أعوام . (٦) ــ مارس الشاعر الصحافة في عدد من الصحف ، بدأها بجريدة « بيروت المساء » فكان محررا للشؤون الادبية والعربية ، ثم رئيسا لتحرير مجلة « رسالة التربية » ، كما حرر في صحف القاهرة ، والكويت ، والبحرين ، وتولى ادارة مكتب « اخبار الخليج » البحرينية في بيروت ، كما انتسب الى نقابة محرري الصحافة اللبنانية ، ثم نقابة الصحافة . (٧) ــ درس الشاعر الحقوق في بيروت ، وتابع دراساته العليا في كل من دمشق والقاهرة ، وانتسب عام ١٩٦٦ الى نقابة المحامين . (٨) ــ درس الشاعر الآداب ، بعد الحقوق ، في الجامعة اللبنانية ، ووضع مؤلفات عديدة نال تقديرا لها وسام الارز الوطني ، ووسام الانجازات الانسانية الفرنسي . (٩) ــ كانت ازمة لبنان قد تمادت طوال اربع سنوات من دون حل واضح لها . (١٠) ــ توفي وفيق عطوي ، شقيق الشاعر ، عام ١٩٦٧ . (١١) ليلى البيسار ، زوجة الشاعر . (١٢) شيرين ونادين ولبنى وكارولين ، بنات الشاعر .

فوزي عطوي

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

اديب اسحق ــ الكتابات السياسية والاجتماعية . جمعها وقدم لها ناجي علوش . بيروت ، دار الطليعة ، آذار (مارس) ١٩٧٨ .

١ ــ من المقدمة ، ص ٦ « ولسوف يتناول تقديمنا هذه المختارات ... سيرته الذاتية : ميلاده ، دراسته ، عمله ، نشاطه الصحفي ، وفاته ... » . وتنظر ص ٧ ...

صحيح « سيرته الذاتية » : سيرته . لان السيرة الذاتية autobiographie يكتبها الاديب نفسه عن نفسه . اما الذي يكتبه الآخرون عن حياة الاديب فهو سيرة (فقط) biographie

٢ ــ هامش ص ٨ ، ص ١ : جورجي زيدان : الصحيح جرجي زيدان .

٣ ــ ص ١١ « حيث عمل وسليما سوية » : صحيح سوية : معا .

٤ ــ ص ١٧ « ان مقدمة جرجس نحاس لكتاب « الدرر » الصادر سنة ١٨٨٦ ، يورد ما نصه في المقدمة » .

التعبير مرتبك ، غير سليم ، يمكن ان يكون صحيحه : « يورد جرجس نحاس في مقدمته لكتاب الدرر الصادر سنة ١٨٨٦ ما نصه : » .

٥ ــ ص ٢٠ مؤلفاته .

لم يذكر ماذ كره يوسف اسعد داغر في كتابه مصادر الدراسة الادبية : « فكاهة العشاق ونزهة الاحداق (في الغزل) بيروت ، ص ٤٠ » وقد جاء لدى الزركلي في الاعلام من آثار اديب اسحق « نزهة الاحداق في مصارع العشاق ــ ط » « رسالة » . وفي معجم المطبوعات ان فكاهة العشاق طبعت سنة ١٨٧٤ . ويبدو ان داغرا اخذ عن هذا المعجم ... ، وذكر المعجم : الباريسية الحسناء .

٦ ــ ص ٢٢ « طبعات الدرر الثلاث » . يفهم من الحديث عن الطبعات ص ٢٢ ــ ٢٣ ، انها اربع طبعات لانه ذكر (١) طبعة جرجس ميخائيل نحاس ١٨٨٦ (٢) ثم طبع الكتاب مرة ثانية في اربعة اجزاء بمطبعة الآداب بالاسكندرية لصاحبها امين الخوري (٣) وهناك طبعة اخرى يبدو انها في جزئين صدرت سنة ١٩٠٥ (٤) ثم هناك طبعة سنة ١٩٠٩ صدرت في بيروت ... وقد اتبع (فيها) عوني اسحق النهج الذي اتبعه جرجس النحاس في طبعة سنة ١٨٨٦ تقريبا .

هي اذن اربع طبعات وليست ثلاثا . هذا وكانت طبعة عوني بالمطبعة الادبية ...

ولم تشر المقدمة الى ما نشرته دار مارون عبود ، بيروت ، فقد اصدرت هذه الدار سنة ١٩٧٥ : الدرر (مع مقدمة تحليلية بقلم مارون عبود) ، واصدرت ــ كذلك ــ من مؤلفات اديب اسحق : شارلمان (معربة) واندروماك (معربة) . واشارت الى « رسائل اديب اسحاق » و « ديوان اديب اسحاق » ــ وليس في علمي صدور الكتابين الاخيرين .

٧ ــ ص ٤٨ « وعند قيام الثورة العرابية كان اديب اسحق من دعاة الاعتدال في طلب الحرية فاستبدلت الثورة صحيفته بصحف اخرى » .

الصحيح : فاستبدلت الثورة بصحيفته صحفا اخرى . لان الباء في هذه الصياغة تدخل على المستبدل عنه ، المدفوع ...

٨ ــ ص ٦٠ « من قراءة عدد من المجلات والجرائد التي صدرت في زمانه ، والتي عرفنا منها ... » .

التعبير الصحيح : من قراءة عدد من المجلات والجرائد التي صدرت في زمانه ، وعرفنا انه كتب فيها ...

٩ ــ ص ٦٠ « ولا بد من الاشارة الى ان كثيرا من مقالاته التي اخترناها ، لم تكن موقعة باسمه . وقد دلنا عليها اسلوبه ، وقناعتنا بعد الدراسة انها من كتاباته » .

يشير الجامع بذلك الى منهجه في جمع مقالات اديب اسحق ، وانه ادخل في جمعه العتيد مقالات لم تكن موقعة باسم صاحبها ولكنه استدل عليه استدلالا ... وهذا منهج مع ذكائه يحمل مخاطر الوقوع في الخطأ ، واذا كان لا بد منه فيجب في هذه الحالة تمييز هذه المقالات غير الموقعة من المقالات الموقعة بعلامة ما ، ليكون القارىء على علم وحذر .

١٠ ــ ص ٦٧ : « فدفع » ، خطأ مطبعي ، صحيحه : فدمع .

١١ ــ ص ٧٢ : « لا تنهي الانفس عن غيها » : لا تنتهي ... ، تنظر ص ١٣٠ .

١٢ ــ ص ٧٨ :

ولي وطن آليت ان لا ابيعه وان لا ارى غيري له الدهر مالكا

قال الجامع في الهامش : البيت لأبي تمام .

الصحيح انه لابن الرومي . ينظر المختار الذي عمله كامل كيلاني من ديوان ابن الرومي ١٣/١ ، المنازل والديار لأسامة بن منقذ ، تحـ. مصطفى حجازي ، القاهرة ١٩٦٨ : وفي تتمة البيت :

فقد الفته النفس حتى كانه لها جسد ان بان غودرت هالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

هذا ، ولم يكن من عادة الجامع — قبل هذا البيت — ان ينسب الابيات التي يستشهد بها اديب اسحق الى اصحابها ، والا فان البيت ص ٤٥ :

فانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

من لامية الطغرائي المشهورة . وتنظر ص ١٤٥ .

١٣ — ص ٧٨ :

وجيش الجن ان قد امرت لهم بينون تدمر بالصفاح والعمد

وفي الهامش : البيت غير مستقل الصدر .

لا بد ان يكون المقصود الصحيح بغير مستقل الصدر : غير مستتيم الصدر .

اما البيت فيمكن ان تكون روايته صحيحة او اقرب الى الصحة لو كان :

وجيش الجن اما قد امرتهم بينون تدمر بالصفاح والعمد

او : قد امرت لهم ... بالصفاح وبالعمد ...

١٤ — ص ٩٦ :

يستحسن الخز حين يلمسه وكاد يبري بظفره القلم

رواية الدرر ط. دار مارون عبود ص ١٠٩ :

يستخشن الخز حين يلمسه وكاد يبرى بظفره القلم

وهي الرواية الصحيحة .

١٥ — ص ٩٧ :

هو النار حتى يحجب الشمس عنه تساوى به العين الصحيحة والرمدا
قالوا وقفت اقدامنا عن طلابه اذا لم تحل اشلاؤكم دونها سدا

قد يكون صحيح البيت الثاني :

فلا وقفت ...

١٦ — ص ٩٨ :

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام السيف قائم

قد يكون الصحيح : ما دام للسيف قائم .

١٧ — لا يذكر الجامع عادة مصادره عندما يحاول نسبة الابيات ، ولكنه ص ١٠٣ ، ص ١٠٦ ، ١٢٤ ، احال على ديوان المتنبي ، دار احياء التراث ... ، وكان المفروض ان يحيل على طبعة علمية ...

١٨ — ص ١٠٦ ربما كان صحيح « فجناهم » : فجفاهم .

١٩ — ص ١١٤ :

بفاك الطير اكثرها فراخا وام البار مقلال نزور

الرواية الصحيحة للبيت :

بفاك الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور

والمقلات التي لا يبقى لها ما تفرخه ، من التلت وهو الهلاك.

والبيت من مقطوعة للعباس بن مرداس اولها :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي انيابه اسد مزير

وهي في حماسة ابي تمام — باب الادب . ينظر شرح المرزوقي ١١٥٣/٣ .

٢٠ — ص ١١٤ :

ما اكثر الناس لا بل ما اقلهم والله يعلم اني لم اقل (...)
ان لاغاق عيني ثم افتحها على كثير ولكن لا ارى احدا

الكلمة التي بين القوسين هي (فندا) . والبيتان لدعبل بن علي الخزاعي . وهما في المجموع الذي عمله الدكتور عبد الكريم الاشتر ص ٩٧ ، وروايته :

اني لأفتح عيني حين افتحها .

٢١ — ص ١٢٧ :

واذا رايت من الهلال نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

يقول الجامع في الهامش : المتنبي ، الديوان ، المرجع السابق .

وليس البيت للمتنبي ، وانما هو لأبي تمام من قصيدة رثى بها ابني عبدالله بن طاهر وكانا صغيرين — ينظر ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ج ٤ ص ١١٥ .

٢٢ — ص ١٤٨ : « المعائب ... من اللواتي يجرح النسيم خدودهن » الصحيح : « المعايب ... خدودهن » .

٢٣ — ص ١٨١ :

الراي يصدا كالحسام لعارض يطرا عليه وصقله التذكير

الصحيح : يطرأ بتسهيل الهمزة .

٢٤ — ص ١٨٩ :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... ولم يسمر بمكة سامر

البيت من المشهورات وصحيح روايته :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا سمير ولم يسمر بمكة سامر

وفي لسان العرب : قال الجوهري : الحجون ، بفتح الحاء ، جبل بمكة ... قال عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو يتاسيف على البيت ، وقيل هو للحارث الجرهمي ...

٢٥ — ص ١٩٧ « وما للغرب » : وما للمغرب ...

٢٦ — ص ٢٥٥ « وهو المدهش لا النوروز ولا المرجان ... » الصحيح : ولا المهرجان .

٢٧ — ص ٢٩٩ : داهية دهماء . لعلها : دهياء .

٢٨ — ص ٣٢١ :

وقد تنبت الخضراء في دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

في لسان العرب (دمن) قال زفر بن الحرث :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٢٩ — ص ٣٧٧ :

ولا تبع عاجلا منها بآجل ما ترجو فذلك امر شانه الطول

الصحيح : شانه .

٣٠ — رجع الجامع كاتب المقدمة الى مراجع مهمة في دراسة « اديب اسحق » ، وكان من الممكن ان يستشير مراجع اخرى تنفع وتثري الدراسة . من ذلك :

جرجي زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ . وفي هامش الطبعة الثانية التي اشرف عليها الدكتور شوقي ضيف احالة الى مراجع اخرى منها كتاب شيخو — الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١٣٣/٢ ؛ تاريخ الصحافة العربية لطرازي ١٠٥/٢ ؛ ومعجم المطبوعات لسركيس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤١٨ ؛ ورواد النهضة الحديثة لمارون عبود ١٨٣ ، وجاك تاجر ١٣٠ ؛ والاعلام للزركلي ؛ والمسرحية في الادب العربي الحديث لنجم ص ٢١٥ ؛ ومصادر الدراسة الادبية لداغر ١١١ وما بعدها .

علما ان كتاب مارون عبود طبع مرتين ، وان المقدمة التي تصدرت الدرر من طبع دار مارون عبود مستلة من هذا الكتاب ، وان الزركلي يشير الى مراجع اخرى منها مذكرات عناني ١٩٤ ؛ ومثله يفعل يوسف اسعد داغر ...

(٢)

المسرحية بين النظرية والتطبيق ، تاليف محمد عبد الرحيم عنبر المحامي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦١ .

١ ــ المحامي . يذكر الناس عادة شهادتهم في مؤلفاتهم لتدل على تخصصهم بالموضوع فتزيد القارىء ثقة ... اما « المحامي » فهي تقلل ، دون شك ــ من قيمة « التاليف » في « المسرحية بين النظرية والتطبيق » .

٢ ــ ص ٣ « لو تتبعنا نشأة المسرحية في البلاد الاوربية لوجدناها تقفوا اثر المسرحية الاغريقية ... » .

تقفوا : تقفو .

٣ ــ « واول من قسم الفنون المسرحية في العصر القديم (ارسطو) في كتابه (الشعر) ... » .

أ ــ ليس هذا صحيحا ، لان الاغريق كانوا ، قبل ان يكون ارسطو ، يعرفون التراجيدي والكوميدي وانواعا اخرى .

ب ــ في كتابة « الشعر » : فن الشعر ، او صناعة الشعر .

٤ ــ ص ٢١ « كما لو كانوا مجرمين او بلطجية » .

بلطجية من العامية المصرية الصرف ، استعملها المؤلف وكانها من صميم الفصيحة .

٥ ــ ص ٢٣ « واهم مسرحيات شكسبير ... (العاطفة) و (اقصوصة الشتاء) » .

الصحيح : العاصفة ... حكاية الشتاء .

٦ ــ ص ٢٣ « ولكن الاديب الكبير تولستوي ــ الذي عاش منذ ..٤ سنة » .

الصحيح : ان تولستوي توفي سنة ١٩١٠ .

٧ ــ ص ٢٧ « احجام الادب العربي عن التاليف المسرحي » : احجام (بكسر الهمزة) .

٨ ــ ص ٣٠ « ولعل اشهر كاتب مسرحي عربي في ذلك العصر شمس الدين محمد بن يوسف الخزاعي الذي ولد عام ٦٤٦ هـ في الموصل ... ومات سنة ٧١٠ هـ » .

الصحيح : ... محمد بن دانيال بن يوسف ... ويفضل الزركلي في الاعلام عام ٦٤٧ تاريخا لميلاده .

٨ ــ ص ٢٨ « ارسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م) في كتابه (الشعر) . وكان ارسطو يكتب كتابه هذا وبين يديه مآسي الثلاثة الكبار ... كما كان بين يديه ايضا ملاهي ارستوفان (٤٥٠ ــ ٣٨٥ ق.م) ... » .

يرد القول في ص ٣ من دريني خشبة ــ اشهر المذاهب المسرحية ، القاهرة ١٩٦١ .

ويقول المؤلف ص ١٣١ ــ ١٣٢ « ولو انه ــ اي ارسطو ــ عرف ملاهي ارستوفان لكانت لديه مادة كافية لاصدار حكم واف عليها » .

وهو بهذا يناقض ما قاله ص ٢٨ .

٩ ــ ص ٣٩ : معتنقوا : معتنقو .

١٠ ــ ص ٤٨ « المذهب الرومانسي ... ذلك ان كلمة (رومانسي) لم تظهر في انجلترا الا حوالي عام ١٦٥٤ . وكلمة (رومانس) كما كانوا يعرفونها في القرون الوسطى هي القصة الطويلة التي تصور المجتمع الارستقراطي بما فيه من فروسية ومغامرات بطولية وغرام عذري يصل الى درجة العبادة ... » .

يرد القول في كتاب دريني خشبه مع تغيير بعض الكلمات . « فيصل » هنا : « تشبه » هناك .

والصحيح ان اسم المذهب الرومانسي (الرومانتيكي) لم يات من الرومانس . ومما يوقع الباحثين العرب في هذا الخطا تجنبهم لفظ الرومانتيكية او الرومانتية وتفضيلهم لفظ الرومانسية ، فيتصورون حينئذ ــ انها جاءت من الرومانس ويعودون الى القرون الوسطى وعام ١٦٥٤ ... على حين كانت الرومانتيكية اواخر القرن الثامن عشر حتى اواسط التاسع عشر ...

١١ ــ ص ٥٤ « قصص الحياة الواقعية . وكان الجمهور يقبل ... حتى يكادوا يلتهمونها التهاما كقطع المارون جلاسيه » .

قال دريني خشبه في كتابه اشهر المذاهب المسرحية : « وكانت اوربا تقبل على قصص هؤلاء الكتاب العظماء وقصص اضرابهم فتلتهمها التهاما » .

وليلاحظ ان « المارون جلاسيه » هي نوع من المرطبات من مواده الرئيسة الكستانة .

١٢ ــ المذهب الطبيعي ص ٥٧ « ... دارون ... ومن زعماء هذه المدرسة الاخوان دي جونكور وادمون ... وجول ... وتولستوي (١٨٢٨ ــ ١٩١٠) » .

أ ــ الاخوان دي جونكور وادمون ... وجول صحيحها الاخوان دي جونكور : ادمون ... وجول .

ب ــ ما علاقة تولستوي الروسي بالطبيعية الفرنسية ؟

ج ــ ولا تسل ــ بعد ذلك ــ عن تفسير الطبيعية (ص٥٩) .

١٣ ــ ص ٥٧ « والفرق بين المذهبين الواقعي والطبيعي يتضح من مجرد النظر اليهما فالشيء الطبيعي هو الشيء المنسوب الى الطبيعة كما خلقها الله ... الطبيعة

التي لم تتاثر بالعوامل الخارجية التي يضعها المجتمع » .

قال خشبة : « ... والفرق بين المذهبين يتضح من مجرد النظر في اسم كل منهما ... فالشيء الطبيعي هو المنسوب الى الطبيعة ... الطبيعة كما خلقها الله ... الطبيعة التي لم تتاثر بالعوامل الخارجية الطارئة والتي يصنعها المجتمع في الغالب » — ص ١٢٣ .

ما اشد التطابق ؟ ولو كان الفرق بين المذهبين على هذا الشكل وهذه السهولة لما احتجنا الى تفريق !

١٤ — ص ٦٠ « وخير من لخص المذاهب الطبيعي وحدده اميل زولا زعيم هذه المدرسة ، في عام ١٨٨١ تحت عنوان الطبيعة في المسرح ... » .

الصحيح : الطبيعية في المسرح .

١٥ — ص ٦٥ « المذهب الرمزي ... ص ٦٨ والادب العربي من اغنى الآداب العالمية بالرمزية ... كالف ليلة وليلة ، ورسالة الغفران ، ومقامات الحريري ... » .

وقال خشبة ص ١٦٥ « والادب العربي من اغنى الآداب العالمية بالادب الرمزي ... كالف ليلة وليلة ورسالة الغفران وحي يقظان والمقامات » .

ما اشبه ذلك بهذا ! .. وما ابعدهما عن الصواب !

لا علاقة لهذه الكتب بالمذهب الرمزي ... ولو كانت لها اية علاقة لهان الامر ...

١٦ — ص ٧١ « فمسرحية يوجين يونسكو « الغنية الصلعاء » .

الصحيح : المغنية الصلعاء ، وهو من الخطأ المطبعي .

١٧ — ص ١٦٣ بناء المسرحية ، ص ١٦٥ « وقال الكسندر ديماس الابن (١٨٢٤ — ١٨٩٥) مؤلف الكونت دي مونت كريستو ، والفرسان الثلاثة ، وغادة الكاميليا ... » .

ا — ذكر الكونت دي مونت كريستو والفرسان الثلاثة لا ينفع لانهما قصتان اولا ، ولانهما لالكسندر ديما الاب وليستا للابن .

ب — غادة الكاميليا لديما الابن ، الفها اول الامر رواية ثم حولها الى مسرحية .

١٨ — المراجع ص ٢٧٣ ذكر : اديب — ترجمة د. طه حسين . والصحيح انها اوديب ، ولكن التي ذكرها هنا ليست اوديب سوفوكليس التي وردت لطه حسين في كتابه من الادب التمثيلي اليوناني ، وانما هي اوديب اندره جيد .

ولم يرد ذكر كتاب دريني خشبة : اشهر المذاهب المسرحية بين المراجع ، والحقيقة ان الكتابين طبعا في سنة واحدة (١٩٦١) ، وقد يكون المؤلفان قد اغترفا من مصدر واحد ، واشك ان يكون مصدرا اجنبيا يحتوي على مثل ما راينا من خطأ .

المدارس المسرحية وطرق اخراجها من الاغريق الى الآن — تاليف جمعة احمد تاجه ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، د.ت. (تاريخ المقدمة ١٩٧٥) .

١ — العنوان ضخم جدا ويحتاج صاحبه الى جراة كبيرة جدا لكي يفكر في خوض عالمه .

٢ — اذا كان المؤلف (ولد عام ١٩٤٤) قد حصل على درجة الماجستير في الفنون المسرحية عام ١٩٧٥ م من اكاديمية الفنون بالقاهرة ، فمعنى ذلك انه الفه وهو تلميذ او انه الفه في عدد محدود من الشهور .

٣ — يستحيل على مؤلف عربي ان يطرق هذا الموضوع الواسع الذي يصعب طرقه على الغربيين انفسهم فضلا عن ان المؤلف لم يستثمر في عمله اي مرجع بلغة اجنبية .

٤ — بلغت مراجع الكتاب عشرين مرجعا اكثرها مترجم ومنها ما لا علاقة له بالمدارس المسرحية ، ومنها كتاب « المسرحية العالمية بخمسة اجزاء » جعله خمسة كتب .

٥ — قلنا سابقا ان كلمة « المحامي » لا تخدم كتابا يحمل اسم « المسرحية ... » ، فلنقل هنا ان عبارة « خريج اكاديمية الفنون بالقاهرة » لا تعني حتما القدرة على التاليف في المدارس المسرحية .

٦ — ص ١٠ « اول من وضع قوانين المسرح الكلاسيكي هو ارسطو في كتابه « الشعر » وكانت بين يديه مسرحيات المؤلفين الكلاسيكيين الثلاثة الكبار ... كما كانت امامه ايضا ملاهي ارستوفانز » .

راينا هذ االكلام عند المحامي وعند خشبة .

ولم يضع ارسطو قوانين المسرح الكلاسيكي في كتابه الشعر لان « المسرح الكلاسيكي » معروف قبله وقبل كتابه ، وكذلك قوانينه . والذي فعله ارسطو دراسة مسرحيات ، واستنباط من الدراسة ... ثم اتخذ المتاخرون كلامه قواعد للمسرح الكلاسيكي ...

٧ — ص ٢٨ « الرومانس ... الخ » .

راينا الكلام عند خشبة وعند المحامي وهو هنا اقرب الى خشبة .

٨ — ص ٤٠ المدرسة الطبيعية والمذهب الواقعي ...

راينا الكلام عند خشبة والمحامي ...

٩ — ص ٤١ « لقد ضعفت سطوة المذهب الرومانسي في اوربا عندما اشتاق الناس الى ان يحدثهم الادباء عن حياتهم الواقعية . وبالفعل ظهر كتاب عظماء يلبون هذه الحاجة الجماهيرية ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر ... وكان ابطال هذا المذهب الواقعي هم ستندل (١٧٨٣ — ١٨٤٢) وبلزاك (١٧٩٩ — ١٨٥٠) وغلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) في فرنسا ودي فو (١٦٦٠ — ١٧٣١) وغيلدنج

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٧٠٧ ــ ١٧٥٤) في انجلترا يكتبون القصص الواقعية الشائقة ينتزعون احداثها من الحياة الواقعية السليمة وكانت اوربا كلها تقبل على نتاج هؤلاء ... وقصص امثالهم فتلتهمها التهاما ... » .

ا ــ لا تنشا المذاهب اشتياقا .

ب ــ لم تضعف سطوة المذهب الرومانسي في اوربا ... ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر ... لانه نشا وبدا ينشأ في اواخر القرن الثامن عشر ليمتد الى التاسع عشر ...

ج ــ ان ستندال وبالزاك يدعيهما المذهب الواقعي ، ولكنهما نشآ في اكناف المذهب الرومانتيكي .

د ــ صحيح غلوبير : غلوبير . وصحيح غيلدنج : فيلدنج .

هـ ــ يتحدث المؤلف عن اواخر القرن الثامن عشر ويذكر دي فو الذي توفي سنة ١٧٣١ وفيلدنج الذي توفي سنة ١٧٥٤ فاين هما من اواخر القرن الثامن عشر !

و ــ موضوع الكتاب المدارس المسرحية وطرق اخراجها ، وهو يتحدث هنا عن قصاصين عملوا على تطوير الفن القصصي نحو الواقع ...

ز ــ جاء في كتاب دريني خشبة ــ اشهر المذاهب المسرحية ص ١٢٣ « ضعفت ريح المذهب الرومنسي في فرنسا ، وفي كثير من امم اوربا وامريكا ، واشتاق الناس الى ان يحدثهم الادباء عن حياتهم الواقعية . وبالفعل اخذ القصاصون العظماء امثال ستندال (١٧٨٣ ــ ١٨٤٢) وبلزاك (١٧٩٩ ــ ١٨٥٠) وفلوبير (١٨٢١ ــ ١٨٨٠) في فرنسا . ودي فو (١٦٦٠ ــ ١٧٣١) وفيلدنج (١٧٠٧ ــ ١٧٥٤) في انجلترا ، يكتبون القصص الواقعي الشائق ينتزعونه من الحياة الواقعية الصميمة . وكانت اوربا كلها تقبل على قصص هؤلاء الكتاب العظماء وقصص اضرابهم فتلتهمها التهاما » .

لقد نشر خشبة كتابه سنة ١٩٦١ ومع ان في كلامه ما يمكن مناقشته الا ان صاحبه يعلم جيدا انه يتحدث عن قصص وانه لم يحدد التغير بأواخر القرن الثامن عشر .

ثم جاء مؤلف « المدارس المسرحية » فتصرف على هواه ... فزاد في الخطأ وخرج بالمادة الى التشويه .

١٠ ــ « في السنين التي سبقت ظهور البيان الخاص بالحركة الرمزية ، كان هناك كتاب مسرحيون في باريس يحاولون الاحتفاظ بالروح الشاعرية فوق المسرح ... فرانسوا كوبي ... في ... مسرحية (في سبيل التاج) ١٨٩٥ ... امونـد روستان وهو مؤلف ... ، ١٨٩٤ ... ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٧ ... » .

ا ــ كوبي : كوبه Coppée

ب ــ امونـد : ادمون

ج ــ ظهر البيان الخاص بالرمزية في جريدة الفيكارو في ١٤ من ايلول سنة ١٨٨٦ وهذا يعني ان التواريخ المذكورة تحدد اعمالا لحقت ظهور البيان (ولم تسبقه) .

١١ ــ تحدث المؤلف عن موريس ماترلنك ... وذكر له تسع مسرحيات ثم قال : « ولا يسعنا الا الاعجاب بالبراعة الماثلة في هذه القطع المسرحية » .

ونحن نسأل : هل قرأها ؟ وباية لغة ؟ ولم هذا الحكم ؟

١٢ ــ قدم للكتاب الاستاذ نبيل نايف الالفي ــ عميد المعهد العالي للفنون المسرحية السابق بمصر ، مدير عام قطاع المسرح بجمهورية مصر العربية . ولم يكن الاستاذ الالفي يجهل « ضعف الكتاب » بدليل عدوله عن المقدمة بالمعنى الصحيح الى « كلمة » عامة تشرح حكايته مع الكتب ، ختمها بسطور عن « حكايته » مع « هذا الكتاب » . اثنى عليه ثناء قليلا في غير محله . ثم تهرب من الحكم قائلا : « فهل نجح الاخ جمعة عطية مؤلف هذا الكتاب ؟ والى اي مدى استطاع ان يحقق هدفه الضخم ؟ اسئلة كثيرة من هذا القبيل ، لا احب الانفراد بمعالجتها وحدي ، ويستطيع القارىء ان يشارك في الاجابة عليها بعد قراءة الكتاب » .

في هذا الموقف كثير من السخرية بالذات وبالمؤلف وبالقارىء . كان المناسب بالاستاذ الالفي ان ينصح المؤلف بالتريث ان لم ينصحه بالكف حرصا على الورق وتوفيرا للمال ... وحماية لمعنى البحث .

(٤)

المسرح العربي من اين والى اين ــ الدكتور سلمان قطايه ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٧٢ .

١ ــ ص ٢٠ ــ ٢١ « اذا امعنا في هذه الترجمات ــ ترجمات خليل مطران ــ لوجدناها تتجاوب ايضا مع روح ونفسية الارستقراطية المصرية آنئذ ... فهي مغرقة في التقعر والفذلكة والبحث عن الكلمات الغريبة ... » .

لعله يريد بالفذلكة : الحذلقة . والا فالذي اعرفه عن الفذلكة انها تستعمل بمعنى المقدمة للشيء او التمهيد بما هو منه . ومن الامثلة التي تذكر هنا ، ما فعله جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » قال ٤/٢٨٩ (ط ٢) وهو يقبل على العصر العثماني : «فذلكة تاريخية» .

٢ ــ ص ٥١ « المقامات ... بديع الزمان ... تهمني شخصية ابـي الفتح الاسكندرية ... » وفي الهامش « نسبة الى ميناء الاسكندرية في الاندلس » .

لا توجد « اسكندرية » في الاندلس ... لان الاسكندر لم يمر بها . وقد عدد ياقوت (١٨) اسكندرية ليس بينها واحدة اندلسية .

٣ ــ ص ٥٥ ــ ٥٦ « ... التعزية : قتل الحسين في العاشر من محرم « العاشوراء » بكربلاء ... ومنذ ذلك اليوم والشيعة يعيدون ذكرى مصرع الحسين بتمثيلية عرفت بالتعزية . وبدأت في كربلاء والنجف وامتدت مع

انتشار الشيعة كمذهب ، ... والنص يعرف باسم (المصرع) وهو يتالف من حوار نثري وشعري مع خليط من مقاطع ماخوذة عن اساطير بابل وآشور كاسطورة الاله تموز و ... ادونيس ... » .

ا ــ ليس هذا الذي ورد عن التعزية تعريفا لها ، لان التعزية مجالس تعقد في البيوت والمساجد على ذكر الحسين ...

ب ــ المصطلح المستعمل الذي يتصل بالتمثيل هو : التشبيه .

ج ــ لا يسمى النص « المصرع » وانما يسمى « المقتل » ، وهو من تاليف ابي مخنف او بمعنى ادق : برواية ابي مخنف .

د ــ ليس في المقتل شيء من اساطير بابل وآشور ...

هـ ــ لم يبدا ذلك بعد مقتل الحسين مباشرة ... وانما بعد مدة ... تبلغ قرونا ...

٤ ــ ص ٦٠ « خيال الظل ... واهم من اشتغل في هذا الفن هو شمس الدين بن محمد دانيال يوسف الخزامي العربي ولد عام ٦٤٦ هـ/١٤٣٨ م بام الربيعين ... ويصفه ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان ... توفي بالقاهرة عام ٧١١ هـ/١٢١١ م ... وقد نشرت هذه المسرحيات لاول مرة بالعربية عام ١٩٦٣ في القاهرة في سلسلة تراثنا مع تحقيق علمي دقيق بقلم ابراهيم حمادة ... » .

ا ــ ورد اسم ابن دانيال مضطربا صحيحه : شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزامي .

ب ــ ام الربيعين هي الموصل .

ج ــ لم يصفه ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان لان ابن خلكان انتهى من كتابه عام ٦٧٢ وتوفي عام ٦٨١ ولم يترجم في كتابه الا للمتوفين الذين يعرف تاريخ وفياتهم . وقد توفي قبل وفاة محمد بن دانيال بحوالي ثلاثين سنة .

الذي تحدث عن محمد بن دانيال صاحب فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣/٣٣٠ ــ من تحقيق الدكتور احسان عباس وورد لديه أن « وفاته في شهور سنة عشر وسبعمائة » ، وصاحب الوافي بالوفيات الصفدي ٣/٥١ ، وجاء في كتاب الدرر الكامنة ٤/٥٤ ــ ٥٦ انه توفي في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ . وينظر زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ٣/١٢١ (ط ٢) .

د ــ طبعت « المسرحيات » قبل هذا التاريخ ... ايضا .

٥ ــ ص ٦٦ « المسرح الاخباري : وهو منتشر في العراق وذو شكل شعبي محض ، ومحواه ان شاعرا او غنانا ياتي مع زميل له فيقفان في ساحة القرية او البلد فيجتمع حولهما الناس ، فيسردان خبرا ما ثم يبدآن بالتعليق عليه نثرا وشعرا مقلدين اصحاب الخبر وابطاله » .

ليس لهذا المسرح وجود في العراق ...

وارجو الا يكون كلام المؤلف مبالغة وتوسيعا لخبر رواه التاريخ عن متسولين كانا يقفان على الجسر من بغداد ... الخ .

(٥)

دراسات في تاريخ الدولة العباسية ــ تاليف الدكتور حسن الباشا ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ .

١ ــ ص ٧٧ « الزنج ... وادعى زعيم هذه الحركة (وكان يسمى بهبوذ) انه علي بن محمد ... » .

كان الدكتور عبد العزيز الدوري قد الف كتابا بعنوان « دراسات في العصور العباسية المتاخرة » ذكر فيه ان اسم صاحب الزنج بهبوذ ورجعت الى الطبرى في حينه فوجدت ان بهبوذ اسم صاحب صاحب الزنج وليس صاحب الزنج نفسه .

٢ ــ ص ٩٧ « كان بنوبويه بصفة خاصة غلاة في التشيع : فكان جلال الدولة مثلا يكثر من زيارة مشهدي علي بن ابي طالب والحسين وكان يمشي حافيا مسافة طويلة قبل ان يصل الى كل مشهد » .

ا ــ ليس هذا غلوا ، لان الغلو في التشيع امر معروف في كتب الفرق ، والغلاة معروفون ، ولم يقل احد ان البويهيين منهم .

ان هذا حب وتقدير ... وما الى ذلك . ثم ما قيمة جلال الدولة في البرهنة على الموضوع وهو ملك بويهي ضعيف متاخر (٤١٦) ! وكان المفروض ان يضرب المثل بمعز الدولة او عضد الدولة او بهاء الدولة ...

٣ ــ السلاجقة ، ص ١٢٩ « وفاة السلطان محمد في سنة ٥١٢ هـ » .

الصحيح : في ٢٤ ذي الحجة من عام ٥١١ .

٤ ــ ص ١٣٥ « المدرسة النظامية التي اسسها نظام الملك في بغداد ضمن المدارس الكثيرة التي عرفت بالنظامية نسبة اليه والتي انشاها لتعليم الدين حسب المذهب السني ... » .

الصحيح : انه انشاها للمذهب الشافعي فقط .

٥ ــ ص ١٤٠ « الحسن بن الصباح (ت ٥٢١ هـ) ... استولى في سنة ٤٨٣ هـ على قلعة الموت ... » .

ا ــ لئلا تلفظ الاسماء على ظاهرها حسن التنبيه الى ان الصباح بتشديد الباء ، والموت كلمة واحدة وليست (ال) و (الموت) ، وهي لدى الزركلي في « الاعلام » Alamout ، ووفاة ابن الصباح سنة ٥١٨ ، وفي دائرة المعارف الاسلامية Alamût .

(٦)

حولية الجامعة التونسية ــ كلية الآداب ، العدد ١٥ ، السنة ١٩٧٧ : « الشريف الرضي والشريف المرتضى » نقيبا الطالبيين بقلم الحبيب الشاوش .

١ ــ ص ١٨ « لم تخصص لهما دراسات علمية شاملة ، ما عدا مقالات قصيرة نسبيا فيما ظهر من كتب حديثة ــ انظر قائمة المصادر والمراجع » .

ا ــ لم تحو قائمة المصادر والمراجع كتاب الدكتور احسان عباس عن « الشريف الرضي » بيروت ، دار صادر .

ب ــ ولم تحو كتاب الدكتور عبد الرزاق محي الدين « ادب المرتضى » ، بغداد ١٩٥٧ . وللسيد محمد الحيدري رسالة في التعليق عليه .

ج ــ ولم ترجع الدراسة بصدد الشريف الرضي الى كتاب الدكتور محمد مهدي البصير « في الادب العباسي » وقد طبع ثلاث مرات . وفيه دراسة كذلك عن مهيار الديلمي .

٢ ــ لم تتحدث الدراسة عن الشيخ المفيد بين اساتذة الشريف الرضي وهو مهم جدا .

٣ ــ ص ٣٦ « لم نجد شيئا يذكر بخصوص عائلة الشريف الرضي ... وابنائه في المصادر والمراجع التي اعتمدناها ... » .

للشريف الرضي ــ في المصادر ــ ولد اسمه عدنان بلغ من الشان ان ولي نقابة الطالبيين . وهو مذكور في المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة مثل المنتظم لابن الجوزي ٨/١٨٩ ، وكذلك الكامل لابن الاثير ...

ولد عدنان سنة ٤٠٠ وتوفي سنة ٤٤٩ .

بل ان المؤلف نفسه سيذكر ص ٤٨ لدى الكلام على الشريف المرتضى : « وولي النقابة بعده ، ابن اخيه ، عدنان بن الشريف الرضي » .

٤ ــ مسالة تلمذة الشريف الرضي لابن الحجاج ، مسالة افتراضية ، بعيدة جدا عن متناول التصديق ، ولا موجب لها .

٥ ــ ص ٤١ « وقد عني بجمع ديوانه ــ ديوان الشريف الرضي ــ ... جماعة منهم ابو حكيم الخيري » .

صحيح الخيري : الخبري بفتح الخاء وسكون الباء نسبة الى « خبر » بليدة قرب شيراز .

٦ ــ ص ٤١ « طبع هذا الديوان : طبعة اولى : بومباي ... طبعة ثانية : بيروت ... وقد رتبت فيها القصائد ترتيبا هجائيا (انظر الوفيات) على غرار المخطوطتين الموجودتين بالمتحف البريطاني. وتوجد في احدى هاتين المخطوطتين المرائي مفصولة عن باقي شعره... » .

ا ــ لم يدل الباحث على انه اطلع على المطبوعتين ، ولم تشر قائمة المصادر والمراجع اليهما . ولم يدل على علم بمخطوطات الديوان في باريس وهي اقرب اليه من لندن .

ب ــ قال الباحث ص ٤٢ « طبعة ثالثة : شرح ديوان الشريف الرضي ، لم. م. عبد الحميد القاهرة ١٣٦٨/١٩٤٩ (تاريخ ظهور الجزء الاول) ... » .

وهذا الجزء الاول كل ما اصدره الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

ج ــ للديوان طبعة اخرى لم يشر اليها الباحث ، هي التي صدرت في بيروت عن (دار صادر ، دار بيروت) ١٩٦١ معتمدة على طبعة بيروت السابقة .

د ــ واعيدت طبعة بيروت الاولى تصويرا بالاوفست.

ومن المفيد ان نذكر ان الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو حقق ديوان الشريف الرضي بصنعة ابي حكيم الخبري تحقيقا علميا ، صدر منه الجزء الاول في بغداد ١٩٧٧ (عن وزارة الاعلام ــ وزارة الثقافة والفنون) .

٧ ــ ص ٤٣ « مؤلفات ... الرضي ... النثرية ... تلخيص البيان في معجزات القرآن » . الصحيح : ... في مجازات القرآن (تنظر ص ٤٧ ، ٧٣) .

٨ ــ ص ٤٣ « كتاب نهج البلاغة » ... نشره الهادي كاشف الغطاء ، بالنجف (العراق) ١٣٥٤ .

الذي عمله الهادي كاشف الغطاء : « مستدرك نهج البلاغة » .

٩ ــ ص ٤٨ : الشيخ المفيد شيخ مشائخ الطائفة .

صحيح مشائخ : مشايخ .

١٠ ــ ص ٥٩ « كان الشريف المرتضى ... شاعرا وله ديوان شعر ، الا اننا لم نعرفه » .

ديوان الشريف المرتضى مطبوع بتحقيق رشيد الصفار ، ثلاثة اجزاء ، القاهرة ١٩٥٨ .

١١ ــ ص ٦١ « امالي المرتضى ... طبع ... بتحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ... » .

للامالي طبعة قبل هذه الطبعة .

١٢ ــ ص ٧٢ ــ ٨١ « المصادر والمراجع » .

ا ــ « حقائق التأويل ... ط. محمد كاشف الغطاء ... » الصحيح : محمد رضا آل كاشف الغطاء .

وقد يكون الباحث قد مال الى الاختصار ، ولكن الاختصار غير دقيق لان الاسم الاول للمحقق هو رضا ثم حمد فصار محمد رضا .

ولمحمد رضا آل كاشف الغطاء كتاب بعنوان ترجمة الشريف الرضي صدر سنة ١٩٤١ لم يطلع عليه الباحث .

ب ــ لم يرجع الباحث الى كتاب المجازات النبوية من مؤلفات الشريف الرضي ، وهو مطبوع .

ج ــ من المراجع التي لم يشر اليها كتاب « الحماسة في شعر الشريف الرضي » لمحمد جميل شلش ، بغداد ، ١٩٧٤ .

د ــ نشر للشريف المرتضى بعض من رسائله ، في العراق ... بتحقيق محمد رشيد الصفار او الشيخ محمد حسن آل ياسين .

كم كان مناسبا ان يراسل الاديب الباحث التونسي اديبا باحثا عراقيا ... استكمالا للبحث واستثمارا للجهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلاغة تطور وتاريخ ــ دكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .

١ ــ طبع الكتاب طبعة ثانية (دون تاريخ) ، وطبعة ثالثة سنة ١٩٧٦ ــ كل ذلك عن الدار نفسها والمطبعة نفسها على طريقة الطبع (المونوتيب) الذي تبقى فيه الطبعة الاولى هي هي حرفا حرفا ...

واذا كان في هذا فوائد مالية للدار فانه لا يخلو من اضرار بالمؤلف وبالقارىء ... وبالمادة العلمية نفسها لان الخطأ ــ ان وجد ــ في الطبعة الاولى يظل يتكرر ، والمعلومات او الآراء التي كانت تبدو صحيحة في الطبعة الاولى تبقى كما هي وان وجد ما اثبت خطأها او استدعى زيادتها او مناقشتها .

٢ ــ ص ٦٣ « يتبلون » .

تكررت ولعلها : يقبلون .

٣ ــ ص ٧٠ « ... غموض المعاني ودقتها مما سماه ابن المعتز باسم المذهب الكلامي ناقلا للتسمية عن الجاحظ » .

لا يكاد كلام ابن المعتز يحدد شيئا من امر المعاني في غموضها او دقتها بل ان كلامه يستنكر هذا الباب من البديع ، وقد جاء فيه : « وهذا باب ما اعلم اني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » .

هذا لدى الاستشهاد بابن المعتز ، اما اذا سرنا مع تطور مفهوم المصطلح ونظرنا في الامثلة التي ذكرها ابن المعتز والامثلة التي ذكرها الذين جاءوا بعده ووجدوا المذهب الكلامي في القرآن ، فاننا نر فيه عقلا وتعليلا ومحاجة ولا نرى غموضا ــ وقد عرض الدكتور احمد مطلوب تطور المصطلح في كتابه « فنون بلاغية : البيان ــ البديع » ص ص ٢٨٧ ــ ٢٩٠ . ولا غرو ان وجد من القدماء من سماه « الاحتجاج النظري » .

٤ ــ ص ٧٤ « وكان اللغوي الوحيد الذي شذ على ذوق اللغويين هو ابن قتيبة » .

صحيح شذ على : شذ عن .

٥ ــ ص ١٠٨ ، الباقلاني « يرد ردا عنيفا على من عللوا لاعجاز القرآن بالصرفة (بكسر الصاد) او بعبارة اخرى بصرف العرب عن معارضته ... الصرفة (بكسر الصاد) ... » .

الصحيح الصرفة ، بفتح الصاد . وقد وردت مفتوحة الصاد في الكتاب نفسه ص ١٥٢ .

٦ ــ ص ١٢٣ « عيار الشعر لابن طباطبا . مصنف هذا الكتاب محمد بن احمد بن طباطبا العلوي الاصبهاني ، المتوفي سنة ٣٢٢ هـ ، كان من شعراء عصره ونقاده » .

وفي الهامش « انظر في ترجمة ابن طباطبا معجم الادباء ١٤٣/١٧ وكتابه « عيار الشعر » نشرته المكتبة التجارية بالقاهرة » .

مهم ان يذكر ان الكتاب صدر ــ عن المكتبة التجارية ــ بتحقيق دكتور طه الحاجري ودكتور محمد زغلول سلام (١٩٥٦) فاليهما يرجع فضل نشر الكتاب (للمرة الاولى) ، ومن ثم تيسر امر مراجعته للباحثين .

٧ ــ ص ١٢٨ « الموازنة ... مؤلف هذا الكتاب ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفي سنة ٣٧١ للهجرة ... » .

وفي الهامش : « ... طبعت الموازنة ... بدار المعارف بتحقيق سيد احمد صقر وقد ظهر من الطبعة الاخيرة الجزء الاول فقط » .

هكذا ورد في هامش الطبعة الاولى (١٩٦٥) وهو صحيح في ذلك التاريخ . ولكنه غير صحيح في تاريخ اعادة طبع الكتاب وقد كانت طبعته الثالثة سنة ١٩٧٦ ، فقد صدر من الموازنة بتحقيق سيد احمد صقر الجزء الثاني ، واعيد طبع الجزء الاول سنة ١٩٧٢ ، وطبع الجزء الثاني ١٩٧٣ .

وليلاحظ ان من الروايات ما يجعل وفاة الآمدي سنة ٣٧٠ ، وقد التزم محقق الموازنة بهذا التاريخ (٣٧٠ هـ) .

٨ ــ ص ٢٧٤ « الفخر الرازي ... يعد اول من هيأ لاتجاهات التخليصات البلاغية ، وربما شركه في ذلك معاصره عبد اللطيف البغدادي في كتابه « قوانين البلاغة » غير ان هذا الكتاب مفقود ، وليس بين ايدينا نقول كافية منه تصور عمله .

« ... ولد فخر الدين محمد بن عمر الرازي سنة ٥٤٤ » وتوفي سنة ٦٠٦ .

أ ــ ليس عبد اللطيف البغدادي بلاغيا في اول ما يتبادر الى الذهن منه ، واذا ورد في بعض اخباره نسبة كتاب باسم « قوانين البلاغة » اليه ، فقد يكون في ذلك ما يدعو الى المناقشة والتثبت .

اكثر مؤلفاته في الحكمة والطب ... واشتهر بانه رحالة ، وله في ذلك « الافادة والاعتبار بما في مصر من الآثار » وهو مطبوع .

ولد عبد اللطيف البغدادي سنة ٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ .

ب ــ يحسن ، في حالة رواية خبر نادر ، مثل ذكر كتاب « قوانين البلاغة » هذا ، احالة القارىء على المصدر الذي ذكره ، وقد ورد في « فوات الوفيات » من الكتب القديمة ، و «الاعلام» من الكتب الحديثة ، وكان «الفوات» من مصادره .

ج ــ ما الدليل على ان « قوانين البلاغة » لو صح ان يكون لعبد اللطيف البغدادي ، كتاب تلخيصات اذا كنا لا نملكه ؟

د ــ يقول المؤلف «ليس بين ايدينا نقول كافية منه» . فهل لدينا نقول غير كافية ؟ واين ؟

هـ ــ هناك رسالة لابي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفي سنة ٥١٧ هـ بعنوان « قانون البلاغة » نشرها المجمع العلمي بدمشق في المجلد السابع ثم ضمها كتاب « رسائل البلغاء » لمحمد كرد علي منذ طبعته الثانية ١٣٣١/١٩١٣ . وكان مناسبا ان يكون لهذه الرسالة مكان ما من كتاب « البلاغة تطور وتاريخ » .

الطبعة الثالثة من رسائل البلغاء ، القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٦٥/١٩٤٦ .

٩ ــ ص ٢٧٥ « من يرجع الى كتاب « حدائق السحر ودقائق الشعر » ... يراه ... » .

الصحيح : من يرجع ... يره .

١٠ ــ ص ٢٧٦ « من يقرن مباحث البلاغة العربية الى مباحث البلاغة الغربية يلاحظ توا ان الغربيين عنوا في بلاغتهم بدراسة الاساليب والفنون الادبية ... » .

كيف يلاحظ القارىء توا اذا لم يكن عارفا بمباحث البلاغة الغربية ؟ كم كان مناسبا ذكر كتاب او كتابين من الكتب الغربية التي تحمل لفظ « البلاغة » ويكون التبويب على الاساليب والفنون الادبية .

١١ ــ ص ٩٣ « كتاب نقد النثر او كتاب البرهان في وجوه البيان .

نشر طه حسين وعبد الحميد العبادي في سنة ١٩٣٣ رسالة محفوظة بمكتبة الاسكوريال بعنوان « نقد النثر » منسوبة لقدامة وقد كتب ناسخها في خاتمتها « كمل (البيان) بحمد الله تعالى وحسن عونه » وكان الاسم الحقيقي للرسالة هو « البيان » لا « نقد النثر » ... وقد تشكك طه حسين في نسبتها الى قدامة بن جعفر ...

وبينما الشك يلف الكتاب وصاحبه اذا علي حسن عبد القادر ينشر مقالا له في سنة ١٣٦٨ هـ/١٩٤٨ م بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق يقول فيه ان هذا الكتاب الذي طبع باسم « نقد النثر » ونسب خطا الى قدامة انما هو جزء من كتاب « البرهان في وجوه البيان » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب عثر عليه في بعض المكتبات الاوربية . وبذلك خرجت المسألة من باب الشك الى باب اليقين ... » ومضى الدكتور شوقي ضيف ينقل نصوصا من « نقد النثر » ما بين ص ٩٣ ــ ص ١٠٢ .

وكلامه وجيه اذا قيل سنة ١٩٦٥ لدى الطبعة الاولى من كتاب « البلاغة تطور وتاريخ » ولكنه غير مناسب ان يبقى يتكرر مع تعدد طبعات الكتاب حتى عام ١٩٧٦ (وربما بعده) ، لسبب بسيط خلاصته ان كتاب « البرهان ... » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب قد طبع مرتين واحدة في بغداد سنة ١٩٦٧ بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتوره خديجة الحديثي وثانية في مصر (ربما سنة ١٩٦٨) بتحقيق حفني محمد شرف . ومناسب جدا ان يستفاد من طبع الكتاب لدى الكلام عليه وان يستفاد من المادة التي لم يحوها الكتاب الذي اخرجه طه حسين والعبادي باسم نقد النثر .

اجل ، ان الطبعات الجديدة من « البلاغة تطور وتاريخ » تجرى وكان « البرهان » لم يطبع ...

وكان من الممكن كتابة مقدمة جديدة للطبعات الجديدة او زيادة ملحق يبين فيه المؤلف المهم مما جد بعد الطبعة الاولى مصححا الخطأ ــ ان وجد ــ ومكملا النقص ... حرصا على المؤلف والقارىء ... والكتاب .

(٨)

روسو ــ تاليف موريس شربل وميشال ابي فاضل ؛ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ سلسلة اعلام الفكر العالمي ، آب ١٩٧٨ .

١ ــ ص ١٤١ « فمنهم الملحدين ... ومنهم الكاثوليليين المؤمنين » .

الصحيح : فمنهم الملحدون ومنهم ... الكاثوليكيون المؤمنون .

٢ ــ ورد اسم كتاب واحد لروسو على صورتين . الاولى « تأملات متنزه منفرد » ص ١٤١ ، الثانية « هواجس متنزه منفرد » ص ١٨٣ . والمناسب هو التوحيد .

٣ ــ ص ١٨٧ « ... التشابه بين بحيرة روسو في هلوبيزا الجديدة وبحيرة روسو في ديوانه التأملات » .

روسو الثانية مما يمكن ان يعزى الى السهو ، لان الصحيح هو : ... لامارتين .

٤ ــ يا حبذا لو ذكر المؤلفان في مقدمتهما اسم الكتاب الفرنسي الذي اعتمدا عليه اكثر من غيره لدى دراستهما الشاملة عن روسو .

٥ ــ ذكر المؤلفان ترجمات عربية لمؤلفات روسو او لمن كتب عنه ، وبود القارىء ان يعرف رايهما بما ترجمه لروسو عادل زعيتر ومحمد بدر الدين خليل . وقد يكون مناسبا ان نذكر ان احمد حسن الزيات شرع في ترجمة هيلوئيز الجديدة ونشر قسما من الترجمة ولكنه لم يتم مشروعه .

واصدر « كتاب الهلال » ترجمة « ابناؤنا وبناتنا » بوليه ١٩٦٣ ولكن دار الهلال لم تذكر اسم المترجم .

لقد ترجم خليل « الاعترافات » في سلسلة مطبوعات كتابي ، وترجم زعيتر ــ اصل التفاوت بين الناس ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ ، والعقد الاجتماعي ... في العام نفسه ، باسم « اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية » .

وترجمات اخرى ...

جامعة بغداد ــ كلية الآداب علي جواد الطاهر

سراب المحال

حافظ المنذر

المحيدثة ـ لبنان

منساي
يا حبا شقيا ناى
يحمل احلامي وزهو الجمال
فحل في صدري وجيب الاسى
وهد انفاسي هذا السؤال
متى تعودين
متى ؟
والصدى يجيب ترادادي
كان المحال
ما ابتغي
والجوى في خاطري هم وقلبي وبال
يلم اشتاتا خيالي

عسى يعود لي منك بذاك الخيال
فلا الاقي غير ما في الرؤى
طيفا قصيا هاربا لا ينال
لا يستوي لي رغم جهدي
ولا يغيب عني
والليالي طوال
القى بها السهد الذي هدني
وزاغت العينان خلف النوال
وما فوالي يا منى
بعد ان اذرتك في الريح
عوادي الزوال ؟ ...

ليت تعودين ...
فيهمي الندى وينتشي الزهر
وتهفو الظلال
وتصدح الاطيار في المنحنى
تهتف عادت يا ربى يا جبال
ترقبي موطىء اقدامها
وعطري ترب دروب التلال
لطالما لج حنيني لها
للفتة منها وتلويح شال
وافرحة الاطيار
عني شدت
ومن جوى قلبي غناها استطال
وصفق الايك
وعدنا الى مطارح اللهو
وعذب الوصال

يا لجنوني
اين اين المنى
عانقت من وهمي سراب المحال ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول ديوان امطار الحزن والدم للشاعر راضي صدوق

بقلم خالد مصباح مظلوم

* * *

ارى ان الآداب الخالدة هي التي تسجل مشاعر الانسان نحو الحقائق الخالدة وعندما يبلغ الشعر حد الكمال ، يكون كلـه قـد اصبح علما نفسيا وعلما لغويا وعلما حضاريا .. كما ينبغي ابتكار كلمات اشمل واجمل تستقى حياتها من الملهمات الحضارية الجديدة لتواكب كل العلم والشعور نحوه .

يترك الشعر في ذوق كل منا نكهة وثمالة ، ونبقى غير مرتوين تماما ، لان في مكامن نفوسنا رغبات اعمق من النكهة والثمالة المحسوسة ، وتصورات للشعر اكثر تجسما وريا .. وتتوق فطرتنا الى شعر اكبر بكثير فتناجي الشعر المجهول وتحاول ان تخلقه ليكون انعكاسا لرغبات النفس الداخلية الفنية والحياتية ، فكما تتشد الارض الامطار والهواء لتشبعها ، تناجي نفسنا الشعر المثالي المجهول ، وحين نقيس ما نقرؤه من الشعر الموجود بهذا الشعر المثالي الذي نتصوره ونتشهاه نجد البون بعيدا بينهما ولا سيما حين نكون في اتم الوعي للحاجة للابتكار الاعلى .

وهنا حين اقرا ديوان الشاعر الاستاذ راضي صدوق واقيسه بما في نفسي من تصور للشعر المثالي ومن رغباتي الغامضة في نكهته وثمالته ، قد يقع الشاعر راضي ضحية ذوقي الكامن ، او ربما اكون انا ضحية افكاري الغامضة ونزوعي لجعل الشعر غطاء للكيان كتغطية السماء للارض ، وتجسيدا للخفايا كتجسيد الطعام لحاجات المعدة ، وساكون هنا في هذه الخواطر عـن شعره قاسيا جدا وصارما ، فصديقك ــ كما يقول المثل ــ هو من صدقك لا من صدقك ، واني من النوع الذي اهتم بانتاج اصدقائي واقرؤه ، وذلك ابتغاء ان انظر لمواطن الضعف والافتعال لأوجههم حسب رايي الخاص الى تقويتها وعدم التمادي والاسترسال فيها ، واستحث همتهم لان تسير في اتجاه الكمال لا النقص ... وان ضعف وقصور الاستاذ الشاعر راضي هو مثل ضعف وقصور معظم شعرائنا ، واضعفهم انا ، اما اذا سألتموني عمن يمثل برايي هو اقرب للادب المثالي فاقول جبران خليل جبران ، رحمه الله .

انني احاول ان اكون الآن كمدرس ، يضع الدرجات على ورقات الاختبار التي هي ديوان «امطار الحزن والدم» ، وبعد ان فرغت من قراءته وضعت له علامة تقريبية هي ٤٠٪ اربعين في المئة من قيمة الشعر المثالي الذي اتصوره.

ان اكثر ما يحرمه الدرجات الستين التقريبية هو التالي :

١ ــ كثرة اعتماده على صور تقليدية باهتة مبتذلة متكررة في بعض ابيات قصائد الديوان مثل : (طلعنا من الليل نورا ونارا)

اذا انحسر الفجر عـن ارضنا وغيب في حالكـات الليالـي
فانـا سنقشع عنـه الظـلام ونسقيـه مـن شفرات النصال
ونشعلـه جـذوة مـن لظـى توهـج في غمـرات القتـال

فماذا اعطى عجز البيت الاول من معنى جديد للصدر وماذا اعطت باقي الابيات ؟ ناهيك عن ان المعنى نفسه قديم ومبتذل ولـم يتناوله تناولا نفسيا جديدا حتى نعده ذا ابتكار ... وغير ذلك ...

اما من اعتماده على الصور التقليدية المهضومة نوعا ما فهي مثل :

ايعربـد الذئبان في جنباتهـا ؟ قد هان خطب لو يعربد ضيغم
والصبر عنـد الحادثات كرامة ولقد يساغ مـع الكرائـة علقم

فشطر البيت الاول تقليدي ومقبول ولكن جمله عجز البيت الاول والحمد لله . كما جمل شطر البيت الثاني عجز البيت الثاني التقليدي .

ولكن رغم شدة تدقيقي على شعر الاستاذ راضي ، ادقق على نفسي وعلى سواي فاقول من منا تخلو قصائده من عدم اجتراره لمعاني سواه اشاء ام ابى ، ومن منا لم يقع في تجارب القدماء نفسها لكي يتحدث بمعانيهم ولو دون ان يترا نتيجة لتشابه المواقف ؟ .

٢ ــ لا تعتمد معظم قصائد ديوانه الا على موسيقى الكلمات والاوزان العروضية وليس للموسيقى النفسية تاثير كبير عليها مما لا يجعله يتوغل اكثر من الاربعين درجة في اجواء الشعر المثالي .

٣ ــ في الديوان بعض قصائد لا تنتمي للشعر الحي بشيء ، خلا من شطرات او من ابيات فيها بعض دم ، او فيها قطعة اصبع ، او اذن ... مثل قصيدة (طريق اللهب) ، وقصيدة (ارض القداسات) .

٤ ــ سقوط راضي في بعض المعاني ، وسقوطه في بعض الصور ، واتيانه بصور تاكل بعضها بدل ان تتغذى من افكار اعمق .

فقد سقط راضي مثلا في معنى كلمة يظلموا في احد ابياته من قصيدة (دم الفداء) :

لكن اعداء الشعوب هـم الالى ظلموا فحق عليهم ان يظلموا

فلو استبدل الشاعر راضي كلمة ان يظلموا بـأن

يهزموا مثلا لكان المعنى عادلا يتناسب مع المنطق الشرعي .

اما ستوطه في بعض الصور فيتجلى ذلك في مثل :

ماض على درب الجراح انسا رغم احتراق الدرب باللهب

فلا وجود رابطة بين الشطرين جملت البيت ولا عدم وجودها جمله .

اما اتيانه بصور تأكل بعضها بعضا بدل ان تتغذى من افكار اضافية جديدة اعمق فتبدو خلال هذه الابيات الجزلة التي فيها روعة الشعر القديم وتلاحم توافيه مع جنس البيت مثل :

ظمآن تضرب في بيداء ظالمة ومساء عينك منهل ومطرد
ترتاد صهوة احلام ملونة والليل حولك مغرور ومرتعد

فالشاعر يتحدث عن ماء عينه المنهل بينما هو في صحراء ظالمة فالصورة تشمئز من ان تنهل من الصورة الثانية في عجز البيت الاول .

ولا ينسجم الايحاء في شطري البيت الثاني ، فالصور في كلا البيتين رغم جمال البيتين لا تغذيان ولا تنميان بعضهما بعضا فبدلا من ان يتقوى الايحاء فيهما يضعف مثل خلط الملح بالسكر .

كذلك اعرض بيتا من قصيدة اخرى :

فلا العيش مامون .. ولا الحق آمن كان غمي الكون يسكنه الذعر

فلم يتغذ البيت جديدا من كلمة الذعر ، وكان اولى بالشاعر ان يضع عوضا عنها مثلا كلمة الغدر .

امـا الدرجات الاربعون التقريبية التي يحوز عليها الشاعر وفق ذوقي فتتوزع على نقاط كثيرة منها التالي :

تمكن الشاعر من اللغة العربية تمكنا يكاد يكون في القمة ، وكذلك من الشعر العمودي ، فاراه في كثير من المواضع يشبع الاوزان العروضية فكرا وانفعالا فنرى اوداج الابيات وعروقها النافرة واضحة في بعض القصائد الحية لديه مثل قصيدة (دم الفداء) فهو يقول فيها :

وجم القصيد فما عسى انكلم ودم الفداء هو القصيد الاعظم
سقط الكلام مبرغا بهوانه يكسوه عار للهزيمة اقتم
ان التجبع على الثرى متضرجا اقوى من اللسن الفصيح واحكم

فان القصيدة تستهوي نفس قارئها وسامعها منذ الكلمتين الاوليين فيها (وجم القصيد) فان وجوم القصيد يعادل الشمس المكسوفة ، يعادل الامل المذبوح ، يعادل الحبيب الباكي ، يعادل السعادة المنكوبة .

فان الفاظ الشاعر الاستاذ راضي صدوق الجزلة تحمل افكاره بحنو حملا لطيفا جميلا كما تحمل الطيور فراخها ، فكلمات راضي المتناسقة بحيوية هي الام ، وموضوع القضية الفلسطينية هو الفراخ ، فانها تعـد بحق احدى قصائد الفلسطينيين الاصيلة التي تحمل بجدارة مسؤولية قضيتهم العربية المقدسة ، ويدعو الشاعر راضي دعوة رائعة همسها كالهمس كالرؤى لاتمام العدالة فهو يقول :

ورصاصة في صدر عـاد مجرم لأرق من همس القصيد وارحم

ويبشر الشاعر راضي بان التاريخ سيدور عليهم بقوله :

يـا للدهاقين البغاة لـو انهم قراوا من التاريخ مـا لا يكتم
لدروا بان الدهر اصدر حكمه ان الزمان غـدا يدور عليهمو

وتتجلى روح الايمان والعقيدة لدى المسلم بهذا البيت :

ما نام ليث عن حماه ، ولم يهن شعب لـه القرآن روح ملهم

ويلتجيء راضي الى التشبث بناموس الصبر ابتغاء بلوغ النصر حيث يقول :

ولقد تسـام على الشكاة ابية ولقد يسام الضيم من لا يهضم
والصبر عنـد الحادثات كرامة ولقد يساغ مـع الكرامة علقم

وفي قصيدة (هزيمة النصر) بيتان فيهما الم العربي الفلسطيني واحتداده في سبيل انتظاره تحقيق امنيته :

يا قدس صبرك قاتل كم تصبرين على الرزايا
لـو تنطقين لعلمهم قد يخجلون من الخطايا

وهو في العجز الاخير من البيت الثاني يتفاءل تفاؤلا طوبائيا بل لا معقولا .

ونرى روح الشاعر المتوسلة الـى الله في قصيدته (غريب) من اجل نصرة قضيته حيث يقول :

طريقي الى الله لا تنحني وهامي لغير العلى ما انحنى
حنانيك يا مولى الصابرين على جمرة الجرح رفقا بنا
صمدنا كباسقة في الرياح وما طاهن الدهر من باسنا
وها نحن نركض خلف السراب نمني النفوس ببغض الجنا
نسائل عن واحة من ظلال لننشد في حضنهـا مسكنا
ظمئنا الى الامن يـا ويلنا واي غريـب راى مأونـا
حنانيك يا رب هل من غد يميـط الكآبة عـن يومنا
ويمطر في جرحنـا بلسما فقد ضجر الكون من جرحنا

وتتغلغل قوة حب الشاعر الاستاذ راضي صدوق الى وطنه فلسطين وحنينه اليه ولواعجه في قصائد اخرى منها (فلسطين ويهوذا الثاني) وقصيدة (الى طولكرم) التي هي مسقط رأس الشاعر الرؤوم :

اسائل في متيه الارض : اين غدوت يا وطني
وتصفعني الليالـي السود حتـى الليـل انكرنـي
افيء اليـك يـا وطني فهـل مـا زلـت تذكرني

* * *

اطلي على الكون لا تغربي تباركت مـن بلـد طيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبارك فيك ضمير الحياة وافرغ في روحك المخصب
ترامت حواليك دنيا رؤى ترف على افقك الارحب
صمت على زعزع النائبات صمود كريم شجاع ابي

ومن انجح قصائده في الديوان (امانك يا دنيا) فمن يقرؤها يتلذذ من نبوغها فهي مليئة بالجمال الشاعري والاسلوبي وتراها مليئة بالقيم النفسية ، ويخيل الي انه متأثر في هذه القصيدة بقصيدة ابي العلاء المعري ، يقول الشاعر في مطلعها :

حنانك لن تبكي عليك العوائل ايبكي على قبر الضحية قاتل ؟

الى ان يصل في القصيدة الى قمة الانفعال الانساني في البيتين الاخيرين :

فيا زمن الويلات كف عن الاذى فما انا بالجاني ولا انت عادل
ابيعك تاريخي وشعري وموقفي بلقمة اطفالي فهبل انت قابل

فهنا تبكي الانسانية امام هذا الموقف الدرامي الاصيل الحقيقي ، ولا يمكن ان نعده موقفا سلبيا تخاذليا من الشاعر بل انه قمة الايجابية المخاطبة لقلوب الكرام لا اللئام ، فمن في هذا الموقف لا يلبيه ؟ انه موقف مشابه لموقف من يقول لشخص اذا شئت ان اقول لك ان الشمس سوداء مقابل ان تتركني اعيش فاني اقول لك .

فهو اذا كان كريما وفهيما لا يصدقه ، ولكن يطلقه ، وواضح فيها ان نبض الحياة ولقمة العيش هي جوهر الحرية ، وهي منطلقها السليم ، فهذه القمة الرائعة جديرة بالاحترام لا الازدراء ، ففيها يتجسم محور الكون في الصراع ما بين الشاعر وعراقيل الحياة .

وتتجلى حكمة الشاعر في بعض قصائده ولا سيما في قصيدة (يا سادن الحب) حيث يقول :

والناس كالدهر الغاز مطلسمة ما اندر الخير فيها يكثر العدد
ترى الصديق صديقا ما بذلت له من ذاتك نفسك حتى ينضب المدد
مثل الفراشات حول الضوء حائمة ما دامت النار في المصباح تتقد

فعلى الرغم من ان المعنى قديم لكنه استقاه من تجاربه الجديدة .

فالعلم النفساني احد مزايا الاستاذ راضي في كتاباته حيث ينبت مرة كزهرة حكمة ، وطورا كوردة حب ، وآنا كوردة سمو ، او زهور حزن ، او زهور شوق وتلق نفسي .. مثل :

ولقد رفعتك من حضيضك كالنسور الى سمائي
فابيت ان تدع التراب وان تعيش مع الصفاء
من كان قد ألف الظلام يخاف من الق الضياء

غنيت عمرك لم تحفل بنازلة فكم رقصت على الاشواك محترقا
كم عالم زرته لم تدر عتمته بان لليل من احداقنا غلقا
نحن الذين على الآفاق نشرنا هوج الرياح سحابا باذلا غدقا
من انت غير غريب ضاع موطنه وديس في زحمة الاقدام وانسحقا
الارض تنكر في عينيك لونهما ان الغريب سراب حيثما انتلقا
انت الذي نسج الاحلام ملحمة وما اشاكى الما في الدرب او رهقا
ارفع جبينك فالاعصار حشرجة ان تستذل لنا روحا ولا عنقا

قولي احبك يعتنق نجمان في حلك الظلام
او لا تبوحي ربما يذوي من البوح الغرام
وحذار من غدر الزمان أخاف خذلان الزمان
ما ضرنا ان نعبر الدنيا كانا توأمان

وشاعرية الاستاذ راضي المركزة في قصيدة (حنانيك) تنهر جراحنا ووجداننا فنشاركه المشاعر اسمى مشاركة وندعو الله ان يهديه لشفاء جراحه ولو انه لا يريد شفاءها لانها مواقد احلامه :

تطاول دربي واستطال رحيلي وما زلت في الدنيا بغير دليل
كأني من المأساة بعض وجودها وليس لروحي من أخ ومثيل
تسامیت حتى خلت قلبي واحة تبيح عطاياها لكل دخيل
حنانيك لا تطفىء جراحي فانها مواقد احلامي وضوء فتيلي

فالاستاذ راضي يحب العذاب ويصرح بذلك في مواضع كثيرة من شعره مثل :

خلقت للعذاب ان عذابي قدري جنتي ونبض لحوني
من اي وحي تستقي وتترجم جف الربيع ولم يعد لك موسم
والقلب من جرح ينز الى اسى طاو على الاشجان لا يتألم

ففي اعتقادي ان اكبر مصدر لتعاسته واصطباغ شعره ببعض الصور السوداء وبالآمال الشبيهة باليأس هو النكبة الفلسطينية نفسها ، فهو رمز حي للتعبير عن هذه النكبة ...

وختاما دعونا نسمعه يعري الحقائق من الزيف ويدل امته الى كيف العمل للوصول الى الامل ، واللجوء الى الصدق لا الدجل فهو يقول :

فاذا القدس جراح ودم مستباح المجد في الذلة عان
واذا الاردن يبكي خجلا دامي النبع ، فتحنو الضفتان
وبقايا الاهل في الغوارنا مزق في الريح في كل مكان
ايها الشاعر قد طال السرى والمدى ما زال حلما وامانى
منذ عشرين وفي آفاقنا سحب الزيف وانخاب الرهان
والنداءات على كل فم تتلظى في رواق المهرجان
كاذب كل فم مستنشر صارخ الفتة مجنون اللسان

الرياض ــ السعودية خالد مصباح مظلوم

اشتركوا في مجلة
الأديب
تساهموا في نشر الثقافة

لاجلك .. اسهر ..

اسماعيل عامود

دريسدن ــ المانيا

حبيبي ــ لاجلك اسهر حتى الصباح
وحتى انطفاء القناديل ..
حتى سكوت الكلام المباح
لاجلك ، أبقى ، أرنم شعري
وتحمل همي اليك .. الرياح

حبيبي ...
وحين ــ عذابي ــ اكون لوحدي
وراسي طوق بين يدي
اقرر انك انت الاثير لوجدي
فتحنو علي
وتبكي لدي

حبيبي ...
وحين يهل علي المساء
وتبدو المدينة قطعة قرص مضاء
ويغرق دربي اليك بدمع التمني
وتجري رياحي ، ليورق غصني
كفرحة قلبي المغني

ــ لاني ...
ساترك روحي رهينة شوقي اليك
واهدي عطور ربيعي الى وجنتيك
واشكل شعر الجمال على ناهديك

ــ ولكن .. ؟
اذا لم تنتظرني ، حبيبي
سيملأ دمعي سياج الطريق
ويشمت .. يغتب حتى صديقي

عليك ..
يثرثر عني وعنك حكايا
تحرض ضدي شكوك الصبايا
بانك صرت بخيلا علي

حبيبي ...
وحين تغيق النجوم ــ وانت تنام
ويسبح ظل المدينة تحت شعاع القمر
وتعطش في النهر حتى جذور الشجر
ويهدا حتى الظلام
اكون ــ حبيبي ــ لوحدي على النافذه
وكلي انتظار .. اطل
وبي خفقات حب ــ تهل
و « دريسدن » انثى بحضن الغمام
تبيح اشتياقي وتفضح سري على مسمعك
وانت كما انت ــ في مضجعك ..
فارسل طيفي ليبقى معك
حبيبي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعراء العربية واولادهم

بقلم رياض المعلوف

* * *

ليوجد في الدنيا كلها امتع من الولد هذا الكائن اللطيف الحبيب المسلوخ من القلب والذي هو نسخة عن والديه ! وللشعراء الاقدمين والمعاصرين شعر بفلذات اكبادهم من ارق الشعر واطيبه واجوده ! ولله در القائل :

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

ومن طريف قول ابن عبد ربه في رثاء ابنه :

واكبدا تقطعت كبدي قد حرقتها لواعج الكمد
ما مات حي ليت اسفا اعذر من وآلد على ولد
يا رحمة الله جاوري جدثا ضمنت فيه حشاشتي بيدي
ونوري ظلمة القبور على من لم يصل ظلمه الى أحد
يا موته لو اقلت عثرته يا يومه لو تركته لغد

وتبارى شعراءونا المعاصرون في وصف حنانهم وخوالجهم نحو اولادهم ومما قاله الاخطل الصغير في ابنته وداد وهي في العشرين ربيعا من حياتها وما ابدع ما قال :

يا قطعة من كبدي غداك يومي وغدي
وداد يا انشودتي البكر ويا شعري الندي

ومن لطيف قول الشاعر شفيق المعلوف بولده :

لا ترج شعري ان شعر ابيك ليس بمسعدك
ان لم تخلد انت نفسك ما انا بمخلدك
من مخبري فلربما نلت الخلود على يدك

ولأمير الشعراء احمد شوقي في اولاده الثلاثة : امينة وحسين وعلي :

احب صغار العالمين لاجلهم ويعطف قلبي ذواب ويثيم
(اميمتي) الدنيا اذا هي اقبلت على العيش منها نضرة ونعيم
وقبل (علي) ما تكلم مرضع ولا نال علياء البيان فهيم
واما (علي) فالمسيح حداثة وتور اذا طاش الشباب حليم
وان راح يهذي في الحديث فشاعر وان جد فيما قاله فحكيم

ولكاتب هذا المقال قوله في ابنتيه — نجوى وحياة — :

اعز علي من القلتين حياة بعين ونجوى بعين
فحبي الدقيق تقاسم قلبي فاصبح قلبي ما بين بين
ولا فرق بين الصبي وبين الفتاة على مهجة الوالدين
لان الصغار نعيم الحياة فحمدا لربي على نعمتين
فاصبحت مثل فراش الرياض يرف جناحي على وردتين

وعندما ولد — عيسى — وحيد رياض المعلوف وهو وحيد على اربع اخوات خاطبه قائلا :

ولدي وما احلاه من ولد هذا ولي العهد بل سندي
ماذا تناولته سوى ادبي والشعر غير الشعر لم اجد
يا ليت لي الدنيا لاعطيه الدنيا لكي يحيا على رغد
سميته عيسى على اسم ابي ايكون هذا الشبل كالاسد
ايكون مثل ابي بطلعته وبحوثه والعلم والجلد
هذي اجل امنيتي كمنت في ان اراه سيد البلد
قبلته وحملته بيدي فكلما حملت يدي كبدي

ومن جميل ما نظم الشاعر المهجري عقل الجر في ولد على لسان امه مع انه لم يتزوج :

اعطيته كالصبح عزته ملكا تقمص صورة الولد
ازهو بطلعته واحسبه الكون جمع كله بيدي
وابيحه ثديا بخمشه فيطيب في تخميشه قودي
يحتل عرشا من دعائمه روحي وبسطة ملكه جسدي
يهتاجني من فيه زقزقة تزري بصوت البلبل الغرد

الى ان يقول :

فازته قبلي وارهته واكاد ارجعه الى كبدي
فكانني وانا ادغدغه طفل وطفلي دمية بيدي

ولشاعر الارز شبلي ملاط في اولاده ابيات طيبات :

لغد بكر الثلاثة يوم عيد وقالوا كالملائك حول مهدي
بسطت اليهم زندي قالوا بانفسهم على صدري وزندي
وتبلني الكبير فهاج (شوقي) وهاقتني اخوه فهاج (وجدي)
ونكرني صغيرهما (غرامي) وما قاسيت من مي وهند
ليالي كان يشفع بي شبابي ويعذرني عليه عذار خدي
ولولا النازلون على مشيبي وهم قوم اعز الناس عندي
لعشت ولا ارى للعيش معنى وقد ذهب الشباب فبت وحدي

ومن لا يرتعش قلبه لوعة عندما يقرأ رثاء الياس فرحات لابنته سعاد :

يهنيك نومك يا سعاد فانه نوم الرضيع على ذراع المرضع
يهنيك يا ولدي السكون محركا بجلال هيبته سواكن ادمعي
كم قبلة تهفو الى شفتي من قلبي الحزين الوالد المتفجع
حتى اذا وجدت سريرك خاليا رجعت فصارت جمرة في اضلعي

وللشاعر المهاجر زكي قنصل الذي خسر ابنته البكر — سعاد — وذلك مما يمزق القلب اسى :

بالغاليين حشاشتي وجناتي اغديك يا ارجوحة الكروان
غالت بشاشتك الرزية وانطوت دنيا ازدهت بالروح والريحان
سقيا ليالي الانس والامل الذي اشربته ما سال من اجفاني
ما كان اقصرها على سمارها واخف وطأتها على الندمان
ما للزهور اذا رأتني اطرقت حيرى باي تحية تلقاني
ما للطيور اذا استشفت لوعتي غصت حناجرهن بالالحان
ارجوحة الكروان هدءي الاسى الا بقية مدمع هتان
يجري على قبر الحبيب ولم يكن لولاه بالجاري ولا الحران
واتى ليجرح مقلتي ويضلني سراك بين مخالب الاشجان
شوهاء خانقة الصدى كقصيدة جوفاء عاطلة من الاوزان
ان الذي اعطى استرد عطاءه يا ليته استثنى وما اعطاني
امن العدالة ان تصوح روضتي في عنفوان ربيعها الفتان
وتحيل عرسي ماتما لا ينتهي وتعد في عيد المنى اكفاني
كرواني المعبود ضمته الثرى يا موت لا ترحم ابا الكروان

عابر سبيل

غربت شمسه فـراح وحيـدا ... يعبـر الـدرب جيئـة وذهابا
كلمـا خيـم الظـلام عليـه ... هـام لا ينثني وحـث الركابا
سالكـا سبسبا هنـاك قصيا ... نـازلا وهـدة هنـا وشعابا
حامـلا نايـه الشجي نديمـا ... وسطورا مـن الهوى وكتابـا
يتمنـى مـن الغصون ظـلالا ... ومـن النفح رشفـة وحبابـا
ومـن السفح نسمـة وعبيرا ... ومـن النبـع انـة وانسيابا
فامانيه ومضـة ليس يـدري ... احقيقا ما قـد يرى ام سرابا
وتضيـق الـدروب في عتمـة الليـل عليـه فيقـرع الابوابـا
يسـأل الله رحمـة وسلامـا ... وحنانـا ورافـة ومثابـا
ويناجـي السمـاء يشكـو لهـا الضيم افاعي عضاضة وذئابـا
الف الدوح يبعث الحب شعرا ... نغمـا صافيا وسحرا مذابـا
وابتهـالا مضمخـا واشتياقـا ... وهفيفـا مـن الضيـا وشهابا
انـه عابـر السبيـل فخلـي اللـوم لا ترهقي ضنـاه عتابا
وعديـه فكـل وعـد يسـير بالامانـي يقـرب الاحبابـا

سلمية ـ سورية — عارف تامر

ARCHIVE

وكانت احدى شاعرات العرب واسمها امية تناجي ولدها وترقصه على يدها قائلة :

يا جبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد
اهكـذا كـل ولـد ... ام لم يلد مثلي احد

ومن مؤثر ما رثت به ولدها القتيل شاعرة اعرابية من بني عبدود :

يا فرحة القلب والاحشاء والكبد ... يـا ليت امك لم تحبل ولم تلد
لمـا رايتك قـد ادرجت في كفن ... مطيـب للمنايـا آخـر الابـد
ايقنت بعدك انـي غـير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

وللشاعر المعروف امين نخله في ولده ـ سعيد ـ وهو في السادسة من عمره قصيدة بعنوان ـ العصفور ـ وهاك بعض ما جاء فيها :

يا حبيب الغصن صفق بالجناح ... والزل الوادي وبشر بالصباح
صيحة منك على الضفة او ... زيكة خلف البساتين الفساح
ان صبحا انت لم تهتف به ... هـو كذاب التباشير وقـاح
وترى الوادي فراغا موحشا ... يوم لا يملاه منـك الصياح
يا رقيق الريش والصوت ويا ... اخضر الدار ويـا حلـو المراح
اسأل الله لـك اليمن على ... منكب الجو وفي عصف الرياح
انـه عصفور قلبـي ناحـل ... ناعم لـو صده الورد لزاح
صوته في البيت انس مانـح ... واسمه اهنا من سلسال راح
صرت من اجل (سعيد) مشفقا ... ان تهب الريح في وجه الاقاح

ومن ابلغ ما قيل في ـ المشيب الجميل ـ هـذه القصيدة للشاعر المدني قيصر سليم الخوري وفيها حنان ولدها وترقصه على يدها قائلة :

يا جبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد
اهكـذا كـل ولـد ... ام لم يلد مثلي احد

ومن مؤثر ما رثت به ولدها القتيل شاعرة اعرابية من بني عبدود :

يا فرحة القلب والاحشاء والكبد ... يـا ليت امك لم تحبل ولم تلد
لمـا رايتك قـد ادرجت في كفن ... مطيـب للمنايـا آخـر الابـد
ايقنت بعدك انـي غـير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

وللشاعر المعروف امين نخله في ولده ـ سعيد ـ وهو في السادسة من عمره قصيدة بعنوان ـ العصفور ـ وهاك بعض ما جاء فيها :

يا حبيب الغصن صفق بالجناح ... والزل الوادي وبشر بالصباح
صيحة منك على الضفة او ... زيكة خلف البساتين الفساح
ان صبحا انت لم تهتف به ... هـو كذاب التباشير وقـاح
وترى الوادي فراغا موحشا ... يوم لا يملاه منـك الصياح
يا رقيق الريش والصوت ويا ... اخضر الدار ويـا حلـو المراح
اسأل الله لـك اليمن على ... منكب الجو وفي عصف الرياح
انـه عصفور قلبـي ناحـل ... ناعم لـو صده الورد لزاح
صوته في البيت انس مانـح ... واسمه اهنا من سلسال راح
صرت من اجل (سعيد) مشفقا ... ان تهب الريح في وجه الاقاح

ومن ابلغ ما قيل في ـ المشيب الجميل ـ هـذه القصيدة للشاعر المدني قيصر سليم الخوري وفيها حنان الشاعر الى اولاده بعد عودته من السفر في سبيل تحصيل العيش لهم :

وثلاثـة لمـا شممتهم الـنى ... صدري شفيت من الفؤاد غليلا
يتسارعون الي حين اعود من ... سفر قصير قـد راوه طويلا
فنخالنا عنـد التعانق دوحة ... صغرى تريـك نضارة وذبولا
مـا بال قلبي كلما اعطيتهم ... اضعاف مـا طلبوا اظل بخيلا
قبلاتهم عنـد السؤال عطية ... منهم تعيد السائل المسؤولا
يـا طالما ادنيت خلاي مفوضا ... عيني افتـح للسؤال سبيلا
قد فرجوا عني الهموم وزعزعوا ... عـن منكبي صخرا اصم ثقيلا

فما اجمل عودة الاب بعد جهاد النهار وتعبه الى منزله حيث يعانق انجاله الاحباء المنتظرين مقدمه بفروغ صبر ولهم كما تعلمون مطاليبهم اليومية والتي لولاها لما سعى احد من الناس وما عمل ولا اشتغل ... وبهذا حافز للاب لينشط ويجاهد في سبيل العيش الكريم وبذلك لذة ما بعدها لذة ! . ومتعة ما بعدها متعة ! . ومهما اعطيتهم مما طلبوا تجد نفسك بخيلا .. مهما كنت كريما معهم ولو اعطيتهم روحك وقلبك ! ..

وصدق الشاعر بقوله :

مـا بال قلبي كلما اعطيتهم ... اضعاف ما طلبوا اظل بخيلا
لولاهم مـا كان ضعفي قوة ... والعسر يسرا والمشيب جميلا

زحلة ـ لبنان — رياض المعلوف

الذكريات الخاصة واللون المحلي في قصص من دمشق لمقبولة الشلق

بقلم عيسى فتوح

* * *

صدر عن المطبعة العمومية بدمشق كتاب «قصص من بلدي» للاديبة السيدة مقبولة الشلق ، يضم عشر قصص اهدتها الى زوجها الدكتور مصباح المالح ، وقدم لها الاستاذ الاديب سعد صائب ، وصممت الغلاف الفنانة اسماء الفيومي .

والكتاب هو باكورة انتاج الكاتبة ، بالرغم من انها تمارس كتابة القصة القصيرة منذ عهد طويل ، وتقرؤها في المنتديات الادبية الخاصة والرسمية ، لكنها لم تقدم على نشر هذه القصص مجموعة الا بعد ان وثقت من صلاحيتها للنشر ، واطمانت الى ان القارىء العربي سيستقبلها استقبالا حسنا ، ويقبل على قراءتها واقتنائها برغبة وشوق ، لانها ترسم فيها بشكل دقيق وامين البيئة المحلية التي عاشتها وتفاعلت معها في دمشق ، منذ ان كانت طفلة ، فطالبة على مقاعد الدراسة ، والى ان اصبحت موظفة تحتك بنماذج ونوعيات مختلفة من الناس ، فتصور نفوسهم الخبيثة او المعقدة تصويرا حيا نابضا ، ببساطة متناهية ، واسلوب سهل رشيق ، وعبارة لا تكلف فيها ولا حذلقة او تصنع .

تتحدث الكاتبة في قصتها الاولى « كفاح » عن المتاعب والهموم التي يلاقيها الموظف المثقف النشيط المخلص ، اذا ارغم على العمل مع موظف آخر جاهل ، وهو اعلى مرتبة ... فكفاح — بطلة القصة الاولى — فتاة كبرى اخواتها ، عملت مع امها في الخياطة ، لتعيل اسرتها المستورة الحال ، لان اباها قتلته صخرة كبيرة وهو نائم في غرفته التي بناها فوق المطبخ ، في بطن جبل قاسيون .

درست كفاح حتى تخرجت في الجامعة ، ثم نجحت في مسابقة الموظفين ، وعينت في احد الدواوين ، فرحب بها رئيس الديوان في اليوم الاول اجمل ترحيب ، لكنه اخذ يغار من الشهادة الجامعية التي تحملها ، ويقول لها : « لا فائدة للشهادة في هذا المكان ... عينت في هذه الوزارة قبل ثلاثين عاما ، لكنني اعلم من امور هذا الديوان ما لا يستطيع ان يعلمه حامل الدكتوراه » .

انه نموذج لفئة كبيرة من الموظفين الذين يتعلقون بالروتين . ويعارضون كل عقلية متطورة متفتحة على الحياة والانظمة الجديدة التي يمكن ان تسير المعاملات وتنجزها بسرعة ، لذلك اصطدمت به ، وراحت تصفه لنا وصفا دقيقا من الخارج والداخل فهو « اشيب ، نحيل ، قصير القامة ، عيناه غائرتان ، ووجهه شاحب كالمومياء ، ينحني امام رئيسه كما ينحني قائد فرقة موسيقية تحية للمصفقين ، علمته امه منذ تقلبه في احشائها ، كيف يكون موظفا ، يستقبل كل مدير جديد بالمدح والاطراء ... » . هذه الدقة في الوصف والتحليل من اولى ميزات القاص الناجح ، والعمل القصي الجيد ، لان الكلمات المختارة بعناية تستطيع ان تقوم احيانا مقام الاصباغ والالوان والريش ، او تحل محلها .

ويستمر الصراع بين كفاح — الموظفة الجامعية الجديدة — ورئيس الديوان ذي العقلية الجامدة المتحجرة المتخلفة ، فيمنعها من ان تسير اية معاملة ، حتى اصبحت تخجل من نفسها ، فهي تتقاضى راتبا دون ان تعمل شيئا ، وتجلس خلف مكتب انيق ، عليه جميع ما يحتاجه الموظف من « محبرة بلونين واقلام تنام هادئة على درجات سلم معدني اسود ، ووراقة فيها الكثير من الاوراق البيض ، المطبوع عليها اسم الدائرة ، ونشافة ... » ، وكل هذه الادوات تهزأ بها لانها لا تستعملها .

وكثيرا ما كانت كفاح تلجأ الى مناجاة نفسها ، وهي تحلم خلف مكتبها فتقول : « ما هذه الاقامة الجبرية ؟ الانني نلت شهادة جامعية ؟ لشد ما لعنها كما يلعنها في هذه الايام التاجر الذي علم ابنه فحملها وصار موظفا ... ليتني وظفت وانا احمل الشهادة الثانوية ... » .

كم من موظف لا عمل له في دوائر الدولة ، ويقيم مثل هذه الاقامة ، والفرق بينه وبين كفاح انها تريد ان تعمل باخلاص واندفاع ، وهو لا يعمل ، ولا يريد ان يعمل ، بل يتقاضى مرتبه آخر كل شهر ، وهو لا يشعر بتأنيب الضمير ، كما شعرت كفاح . وعندما يأتي موظف آخر الى الديوان يكون مصيره نفس مصيرها ، فيضطر للخروج الى غرفة المستخدمين الصغيرة الضيقة ، والجلوس معهم ليقتل الوقت الذي كان يمضي عليه ثقيلا بطيئا مملا ، ويشاركهم في الحديث وشرب الشاي ! وكان رئيس الديوان يتباهى امام زملائه الموظفين القدامى بان لديه موظفين يحملان شهادة جامعية ولا يحبان العمل ، وليس لديهما اي استعداد لتفهم الروتين ! ... وهكذا تسخر الكاتبة من امثال هؤلاء الموظفين ذوي العقليات الرجعية الذين تغص بهم دوائرنا ، ويتمسكون بالروتين تمسكا اعمى ! .

ثم يشتد الصراع ويحتدم التمزق اكثر فاكثر عندما يمعن رئيس الديوان في اذلال كفاح ، اذ يكلفها ازالة الغبار عن الاضابير التي طال عليها العهد ، لكنها تجيبه بجرأة قائلة : « اقوم بهذا العمل اذا قمت به انت ايضا ... » . وتبقى كفاح على هذه الحال من القلق والتوتر النفسي حتى

تصاب بالمرض ، وترتمي في الفراش . فينصحها الطبيب بالراحة في البيت مدة اسبوع . ولما لم تجد مهربا من شبح رئيس الديوان ، الذي اخذ يلاحقها ليل نهار ، توسلت لدى احد المسؤولين ، فنقلها الى دائرة اخرى وانتهى الامر ...

هذا هو الجانب الاول من حياة الكاتبة في الوظيفة ، جاء على لسان بطلتها كفاح ، مع شيء من التحوير ... لكن اين هو اللون المحلي في قصصها ؟ واين الحياة الشامية التي قلت انها رسمتها في قصصها بشكل امين ودقيق ؟ كما وصفها الدكتور كاظم الداغستاني في « عائشة كلها » و « البيت الشامي الكبير » ، والاديبة السيدة الفة الادلبي في « قصص شامية » و « وداعا يا دمشق » و « المنوليا في دمشق » ، والسيدة سهام ترجمان في « يا مال الشام » ، والاديبة السيدة سلمى الحفار الكزبري في كتابيها « زوايا » و « حرمان » ومعظم ما كتبت من قصص ...

يبدو الطابع المحلي في اغلب قصص السيدة مقبولة الشلق مثل « الاب الحنون » و « دار الزمن دورته » و « لماذا جف النهر » و « لي بيت » ... واذا كنت هنا لا استطيع تحليلها كلها ، فحسبي الوقوف عند اهمها واكثرها تصويرا لهذه البيئة الدمشقية العريقة ، كقصة الاب الحنون ، وتعني به جبل قاسيون ، الذي تعقد بينه وبين ابنته دمشق حوارا ممتعا لا اجمل ولا اوقع في النفس .

يقول قاسيون : « ربما تسالونني من اكون ؟ انا قاسيون الجبل ، وابنتي دمشق الفيحاء ، تحبني واحبها ، وحبنا قديم قدم الدهر ... » . وهكذا تحول الجبل في قصتها الى انسان حي ، يحس ، ينمو ، يتحرك ، يتألم ، يفرح ، يتفاعل مع الحياة والاحداث ، حتى ليذكرني بالجبل الارعن الطماح الذؤابة الباذخ ، الذي وصفه الشاعر الاندلسي ابن خفاجة من قبل .

واذا كانت الكاتبة لم تدرك حياة اهل دمشق الشعبية كلها ، ولم تمارس جميع عاداتهم التي اوشكت ان تمحوها عوامل الحضارة والمدنية الحديثة ، فانها ادركت اواخرها على الاقل ، وعاشت جزءا منها مع اسرتها التي كانت حتما تتحلى بالطباع والصفات الدمشقية ، وتمارس العادات والتقاليد الشامية الاصيلة . فلنسمعها تصف لنا «السران» الشامي على لسان قاسيون قائلة : « كان ابناؤها — اي دمشق — يصعدون زرافات على صدري ، يجلسون حلقات فوق عشبي الاخضر ، يقضون النهار تحت اشعة شمس الربيع ، وعصافير الدوري تزقزق وتحلق فوقهم ، وقطعان الماعز وجدیانها تثغو وتسرح حولهم ، يقطف الاطفال البابونج والاقحوان وشقائق النعمان ، وتجمع النساء اوراق الخبيزة الغضة ، ويجلس الرجال وحدهم ، امامهم النراجيل تتعالى قرقرتها في الفضاء ، وينصرف بعضهم الى السماور لتهيئة الشاي ... » .

« وفي ليالي الصيف ، عندما يرسل القمر اشعته الى اعماق القلوب . يجلس جماعات الرجال فوق اضلاعي اليمنى ، وتشرف عليهم قبة « السيار » ، يرسلون الاغاني والآهات والمواويل ، ومن بعيد تجلس الصبايا ويستمعن اليهم ... » .

والحديث عن قاسيون لا بد ان يقودها بالتالي الى الحديث عن صخة ناصعة مشرقة من صفحات البطولة ، ايام الاستعمار الفرنسي لسورية ، حيث كان الثوار يلجأون الى مغاور الجبل وكهوفه ليتحصنوا فيها ، وعن الطنابر التي تنقل الحجارة منه لبيعها ورد غائلة العوز ...

وعن بردى وحفلات الانس التي كانت تقام على ضفتيه ، وسباقات الخيل ، ونداءات الباعة على الصبارة « طيبة ناهيه هالصباره » والحبلاس « بيشرب من يزيد هالحبلاس » و « حب الماس هالحبلاس » وعن البيوت الطينية وسطوح التراب والقرميد ، ونقل الماء بـ « الراوي » الذي كان يحمل الى البيوت على ظهور البغال ، وحافلة الترام بقسميها للرجال والحريم ، وعن زمارة الكمساري ، وعربات الخيل والحوذي ...

كما تصف لنا الدار الشامية (العربية) وبناءها الصحي ، والفرق بينها وبين البيوت الاسمنتية الحديثة ذات الاقبية المظلمة ، والطبقات العالية التي يلاصق بعضها بعضا ، فتحجب الشمس والقمر والهواء ... وتصب جام نقمتها على تلك الاقبية التي يتناسل فيها الناس ، ولا يتوافر فيها اي شرط من الشروط الصحية ... الى ان تتساءل دمشق نفسها : « اين بيوتي وحدائقها ؟ واين حواكيري وشمارها ؟ واين نهري وماؤه ؟ انظروا الى الابنية كيف بنيت ، والى طبقاتها كيف رفعت ... » .

وتسترسل في الوصف حتى تشعر انها تكتب قصة قصيرة ، يجب ان تتوافر فيها شروط فنية معينة ، وتتحول قصتها الى قطعة نثرية جميلة ، تسحر بنكهتها الحارة ، وتبهر بالوانها البلدية الصارخة ، ولذلك نستطيع ان نقول ان قصص المجموعة توشك ان تكون في بعض مقاطعها لوحات فنية رائعة ، وصورا فولكلورية جذابة ، يفرح بها اولئك الذين تستهويهم دمشق الماضي والتاريخ ، بعاداتها وتقاليدها التي يريدون ان تبقى خالدة على مر الزمن ، تعاند تيار الحضارة الزاحف عليها بشراسة قوية .

ثم تحدثنا الكاتبة في قصة « ودار الزمن دورته » عن ابي محمود صاحب العربة الخشبية التي يظللها قماش ابيض ، ويجرها حمار تتدلى من عنقه اجراس صغيرة ، وعقود من الخرز المختلف الالوان ، وكانت تزدحم دائما بالاولاد الجالسين على مقعديها الجانبيين ، وبالواقفين الذين يفوق عددهم القاعدين ، يدفع كل واحد منهم خمسة قروش ليركب العربة ، وكيف كانت تقطع المسافة من جانب قبر الشيخ محيي الدين بن عربي الى آخر السوق في حي الشركسية ، وابو محمود يصيح بأعلى صوته « يا ولاد محارب » فيرد الجميع مصفقين « يو يو » .

لبنان الثاكل

لبنان يا عرب نار فوقها حطب ... لبنان بحر دم غاصت به الركب
لبنان يستنجد الدنيا لتنجده ... فيم اصطباركم يا أيها العرب
لبنان والمحتد الوضاح يجمعنا ... به وتربطنا الاوشاج والحسب
لبنان وأعجبي هل من يذكركم ... به أقسى الجبال الشم والشهب
لبنان ثاكل اكباد ممزقة ... مجلل بثياب الحزن ينتحب
لبنان أجدب من خصب وممرعة ... وامحل الوارف المستعذب الخصب
وزرقة الصحو قد غطى نضارتها ... دجى الدخان وارست فوقها السحب
فلا ملاعبة الفيح اللطاف ولا ... ... تلألأ في هالاتها الحبب
ولا مصايفه الخضراء آهلة ... بالسامرين وشاخ الانس والطرب
ليل تطاول والاشباح غائرة ... فاها بلبنان والارزاء والنوب

بغداد ــ ص.ب ٤٦٧ ... باقر سماكة

وتسرد ــ من خلال القصة ــ طائفة من ذكريات طفولتها التي شهدت الاعمال الوطنية البطولية ، فشاركت في التظاهرات ، وساهمت في الاضرابات ، احتجاجا على وجود الاستعمار الفرنسي ، فتختلط عندها الذكريات بالقصة ، ويطغى الوصف على سياق الاحداث ، فلا يعرف القارىء اي لون من الوان الادب يقرأ ... الاطار اطار قصة بطلها ابو محمود الذي حطم المستعمر الفرنسي عربته وادخله السجن ، لانه اشترك في التظاهرات الشعبية ضده ، اما المضمون فيجنح في اكثر من موضع الى الاستطراد وسرد الذكريات الشخصية ، ورسم اللوحات الشعبية .

ويقودها الحديث عن الاستعمار الفرنسي ، الى الحديث عن جنود المغاربة الذين اجبرتهم فرنسا على قتال اخوانهم العرب السوريين ، ثم « دار الزمن دورته » فاذا باولاد او احفاد هؤلاء الجنود يأتون الى سورية مرة اخرى ليحاربوا الى جانبنا في معارك تشرين تحت اسم « التجريدة المغربية » اليس هذا من المفارقات الغريبة ؟ كيف كانوا بالامس يقاتلوننا ــ مكرهين ــ وهم اليوم يقفون الى جانبنا وقفة الاخ من اخيه ... وتنتهي حرب تشرين التي تسفر عن عشرات الشهداء ، فترى الكاتبة في احد المواكب رجلا يتوسط الصف الاول ، يرتدي قميصا ازرق وسروالا اسود ، وعلى راسه طاقية بيضاء ، يمشي هادئا صامتا شامخا ... انه ابو محمود عينه ، صاحب عربة الاولاد التي حطمها الفرنسيون ، يشيع ابنه الضابط في الجيش السوري ... وكان قد شيع قبله ابنه المجند الذي استشهد في معارك جبل الشيخ .

مهما قيل في قصص السيدة مقبولة الشلق ، ومخالفاتها الفنية ، وخروجها عن قواعد القصة الفنية المعروفة ، فانها تظل تشد القارىء اليها بلطف ومودة وحب ، وتشعره قراءتها بلذة سحرية آسرة ، لانها تنقله الى اجواء من نشوة الماضي القريب ، على اجنحة من الوصف البارع بالكلمات العذبة المختارة بذوق ومهارة ، وتثير في نفسه مشاعر عميقة يختلط فيها الالم بالسعادة واللذة ، كما في قصة « الغادرة » التي تحدثت فيها عن مدفأة المازوت التي احبتها ، وبينت اسباب كرهها لمدفأة الحطب من خلال ذكريات حميمة في الطفولة والشباب ، ثم كيف غدرت بها هذه الصديقة ــ مدفأة المازوت ــ في ليلة عاصفة من احلك الليالي واشدها هولا ، اذ نفضت دخانها وهبابها الاسود في البيت ، اثر عاصفة هوجاء مجنونة ، فاستحال كل ما فيه الى لون اسود داكن ، حتى وجهها ووجه طفلتها التي كانت تشويها الحمى في تلك الليلة .

ابطال مقبولة كلهم يتحركون ، الجمادات كالاحياء ، من مدفأة البيت ، الى جبل قاسيون ، الى نهر بردى ... وكلهم يتكلمون ، ويحبون ، ويتألمون ، ويسعدون ، ويكرهون ... مما يدل على سمو خيالها الخلاق ، وقدرتها الفائقة على الوصف والتصوير ، وخلع الصفات الانسانية على كل شيء ...

دمشق ... عيسى فتوح

بالامس مات ابراهيم .. ودع هذه الدنيا .. دون ان ينبس بكلمة واحدة ... دون ان ينطق بحرف واحد ، هوى كما تهوى ذرة غبار من الاعالي على اديم الارض ، لفظ انفاسه في المستشفى خلال الليل ، فالساعة والدقيقة مجهولتان ، اذ ان المرض المناوب اعلن : انه توفي خلال الليل ... رحل الى العالم الآخر ، وغير بعيد من سريره ممرضة تفرقع العلكة منتشية ، في حوار هادىء رومانسي مع ممرض يطوفان دنيا الاحلام .

لم يكن حادث وفاة ابراهيم الطفل مفاجئا ، فالذين شاهدوه وهو ملقى ينزف دما بغزارة على حاشية الطريق ، ثمرة ناضجة .. طرية .. ريانة .. سقطت من الشجرة فوق صخرة صلدة ، وبفعل قوة السقوط وثبت لترتمي اخيرا على الحاشية .. فقدت الثمرة شكلها الاصلي .. تعودت الانظار هذا السقوط ... تبلد الاحساس والشعور .. التفوا حول بعضهم في حلقة مكثفة ، اشرأبت من بينها الاعناق ، بصق احدهم على الارض بعدما انفلت من الحلقة ، معلقا :

ـ هه .. ارانب تلد ، وتلقي بصغارها على قارعة الطريق .

وافقه آخر باشارة من رأسه . اندفع ثالث مقتحما الجمع بمنكبيه صارخا :

ـ لنخط خطوطا تحدد مساحة الضحية .

ـ لا يا رجال .. لنقم بعمل اسرع .. اراه مفيدا في هذه اللحظة ... ما قولكم في البحث عن وليه ؟

رفع احد الشيوخ رأسه الى السماء وتمتم : « الله يلعن هذا الزمان » . شكلت خيوط حمراء متدفقة من الضحية مساحات ذات اشكال هندسية غير منتظمة ... عينان شاخصتان الى الفضاء .. انزاح منهما اللون الاسود .. تاركا الحرية للون الابيض . الفرصة كي يحتل مساحة العين .. ثم تمددت الاطراف مرتخية شيئا فشيئا . دنا احد الحاضرين من الضحية .. وضع اذنه على الصدر ، هتف بارتباك :

ـ انفاسه ضعيفة يا ناس ، لا يزال بامكاننا انقاذه ، لكن ... لكن ، كيف العمل ؟

ـ لنترقب رجال التحقيق ، فوجود الضحية في مكانها سيساعد على معرفة الحقيقة ...

... اندفع شيخ متصاب ، بقوة الشباب .. بعزيمة الفتوة .. فاتحا لنفسه طريقا .. انحنى بلطف واحتضن الضحية وانطلق بها على

حتى العصافير اعلنت الحداد

بقلم خلف بشير

الطريق يعدو .. سريعا ما لحقت به سيارة ، ابتلعته بحمله .. وغابت عن الانظار .

* * *

ـ بجسم حط الكبر عليه كلكله المرعب .. صيره شبه انسان .. تتردد في داخله انفاس ضعيفة واهنة .. بقلب يخفق بجنون صعقته الصدمة .. لم يدر ما حدث بالضبط . عبارة واحدة التقطتها اذناه ، فاه بها جاره منذ لحظات حينما اطل من الباب :

ـ جمع كبير من الناس تجمعوا



قبل لحظات .. قبل وان سيارة تجري بسرعة جنونية دهست طفلا في السادسة من عمره .. السائق لم يعثر عليه بعد .. والسيارة انها واقفة هناك ، وداخلها تغني كوكب الشرق .

اندفع اثناءها كالبرق الخاطف .. صوب المكان .. خيوط كثيفة من سائل احمر ضمخت المادة السوداء . كان الكل على جانبي الطريق بعيدين ... عيون شاخصة ، واخرى تشير الى مكان الحادث .. بعض الرجال غابوا في حوار ساخن يوزعون الجرم الفظيع ...

اطل من منعطف الشارع ، لم يتضح الموقف لديه بعد .. رشقته الانظار جميعها .. اثخنته جراحا .. كاد ان يسقط .. ايستند الى جذع شجرة جانب الطريق .. اقترب من احدهم ، ثم ما لبث ان خاطبه بصوت ترتعد نبراته :

ـ ماذا حدث قبل لحظات هنا ؟ حركة غير عادية تبدو لي ..

ـ . . . . . .

ـ ارجوك ، افصح ، اني لعلى استعداد ان اصغي اليك بشجاعة وصبر .. اعتبارا لهذه الامطار الموجهة الي .. والهمسات التي تصلني ، فقلبي ما يحدثني بخير وهو يقول لي :

ـ ان مكروها حدث يمس قريبا لي ، اليس كذلك ؟

ـ بلى ، يا محمد .. مجرد حادث بسيط جدا ، اصيب به ابنكم ابراهيم ، حينما كان يقطع الطريق .. احتكاك بسيط بسيارة قادمة من الجهة الشمالية .. استقطته ارضا .. مجرد سقوط .. الواقع حالته لا تدعو للخوف .. اسرع به لتلقي الاسعافات الضرورية ...

* * *

ـ مساء الخير يا اخي .. الم تحضر سيارة قبل حوالي الساعة الى هنا تحمل طفلا جريحا ؟

ـ لا ادري بالضبط ، فكما ترى سيارات كثيرة تدخل وتخرج في كل دقيقة حاملة المرضى او الاطباء .. او العمال .. او ... او ...

ـ لكنك بالباب على علم بكل شيء .

ـ يا سيدي ، انصحك بالتوغل داخل المستشفى ، ولسانك دليلك ..

مرت الثواني والدقائق .. وشرع الليل يرخي سدوله على الكون .. في الافق البعيد من ناحية الغرب تشكلت مساحات حمراء وصفراء وبرتقالية متداخلة في بعضها .. كاشفة عن وجوه واجسام ذات هيئة غريبة ومخيفة .. مرعبة . على ضوء باهت لمصابيح تحتضر كان يقطع العنابر والممرات ولسانه دليله ، كرهت اثناء الاصغاء الى جواب سمعه للمرة العاشرة :

ـ والله يا اخي ، لست ادري .. لكني اشير عليك بالتوجه الى قاعة رقم واحد .

دلف الى قاعة رقم واحد .. دافعا الباب بعنف .. سلاحه حقد تجمع منذ سنوات ضد كل الابواب الحاملة للارقام .. للكلمات .. اندفع وحش هائج . دخل القاعة رقم واحد للمرة الرابعة .. ما اكره العبارة الكاذبة الى نفسه في كل مرة : «والله يا اخي ، والله يا اخي » ... بخطوات عملاقة، ارتعدت لها ارضية القاعة ، قادته الى باب تحميه حروف انضمت الى بعضها ، والتصقت مكونة صفا دفاعيا .. بل هجوميا ضد من يجرؤ على الاقتراب .. واقترب بثبات .. حدجته الحروف بنظرات قاسية عنيفة ، لا تخلو من الايقاع به ، غير انه تمكن من الاقتحام بنجاح ، ودخل الحصن المتين المحروس وسقط نظره عليهما ، كانت المفاجأة مذهلة له ، ولهما .. همسات رقيقة .. وانفاس ملتهبة بلهيب النشوة واللذة .. والشفاه تلتهم بعضها بعضا .. واطلق الزناد لرشاش غمه يطلق ناره الحارقة .. الحارقة .. المدمرة .

حتن بحقنة مخدرة . قربته من حالته المادية .. اعادت الى نفسه الحيرى بعضا من الطمانينة التي لا نخلو من شك وريبة :

ـ اطمئن ، فقد تلقى الاسعافات الاولية . وحالته على احسن ما يرام .. لا تخش مكروها عليه ... الآن قد اقبل الليل انصرف وطمئن الاسرة ، وغدا ان شاء الله عد .

ـ لكني احس بشوق لرؤيته .. نفسي تتحرق شوقا اليه .. اريد ان اراه بربكم ...

ـ الا تثق فينا يا سيدي ؟ ثم ان الطبيب في هذه الحالات يمنع الاتصال بالمريض ، الا بعد اجراء الفحوص الكاملة والتعرف على نوعية الاصابة .. عد في الغد ، افضل .

* * *

اكتظ الحوش بالنساء قدمن من كل احياء البلدة .. باعينهن الماكرة يلتهمن مبروكة التي كانت طورا تغيب عن الوجود في اغماءة طويلة تعود منها الى رشدها بعد اسعافات تقدم لها من لدن الحاضرات ، وطورا آخر تكون شاردة الذهن ساهمة وعيناها جاحظتان .. وبين هذا الطور وذاك، لا تتوقف عن ترديد :

ـ ابراهيم ، توا كان يلعب قربي .. ها هو الرمان احضره الي من غرفة المؤونة ... انه لذيذ وحلو المذاق .. اكل منه ، وترك الباقي لي .. طلبت منه ان يذهب الى سعيدة اختي .. سيحضر حالا كما امرته .. من غير شك انه عائد في الطريق ... كعادته سيطالع دروسه .. محفظته هناك .. يا فاطمة ... يا فاطمة .. يا بنيتي .. تطلعي من النافذة الى الطريق .. راقبيه عله قادم .. قمن يا نساء .. الليل جاء .. عدن الى منازلكن .

ـ اسعد الله صباحك يا محمد : هل اتصلت بالمستشفى هذا الصباح ؟

ـ نعم .. اتصلت بنفسي قبل بزوغ الشمس ، غير اني لم اتمكن من الدخول رغم محاولاتي للحارس الليلي .. بيد ان هذا الاخير غاب لدقائق واعلمني عقب عودته .. ان حالة الطفل تحسنت .. ومن المحتمل جدا موافقة الطبيب على اخراجه .

ـ صباح الخير محمد .. ما الاخبار ؟

ـ بخير ، ان شاء الله ، قيل لي ان حالته تحسنت ...

ـ هل رايته هذا الصباح ؟

ـ لم اره بعد .. الا ان الحارس طمانني ...

كبرت الحلقة .. تضاعف عدد افرادها .. توالت الاسئلة الصادرة من هنا وهناك .. احس بدماغه يكبر ويكبر ويتثاقل وزنه .. والصداع يتقحمه في غزوة همجية .. كاد يسقط .. انتصبت ضبابة كثيفة امام عينيه .. انسل من الحلقة ، لاحقته كلمات من الحلقة .. حروفها سهام سامة رشقته .. اثخنته جراحا ، بخطى متعثرة .. ابتعد بعيدا ... بعيدا ... وحيدا ...

* * *

بوجه حزين فقد نضارته ، هجرته دماء الفتوة ، فاجأ هول الحادث محمد ، لم يصدق ما حدث ابدا .. اني ساعات قليلة يفقد وحيده ؟ ... الابن الفريد الذي رزق به بين بنات ثلاث .. اني اقل من يوم يغيب عن عينيه الى غير رجعة ، من اشترى من اجله قطعة ترابية وبنى عليها منزلا لتقيم به الاسرة حتى يتمكن ابراهيم من دخول المدرسة والتعلم وتحقيق امنية الاب التي حرم منها هو في طفولته ؟ ... لم يصدق ما حدث ، جلس في ساحة الحي يتقبل التعازي، او هكذا ارادوا ان يتقبل التعازي ، مكتفيا بتحريك راسه احيانا ، فاقد الشعور والاحساس بالزمان والمكان احيانا اخرى .. حركة غير عادية حوله .. ايد كثيرة امتدت اليه .. شفاه تحركت .. اصدرت اصواتا تذبذبت بين عالم الغيب وعالم الواقع .

نغم عذري

دع فؤادي أينما رهلا ... لن ارى في حسنها مثلا
كل سحر ، غير طلعتها ... صار في عيني مبتذلا
كيف تاه القلب من زمن ... كيف عن كنز الهوى شغلا
روض حسب ، في مفاتنها ... ورده ، من عطرها اغتسلا
عش على اغصانه غردا ... غارقا في سحره ، ثملا
سر تلك الروح أعرفه ... كل حس بيننا اتصلا
نهر حبي في بحيرته ... صب من ترياقه غزلا
والتقينا ، في مدى نظر ... كل شوق ضج واشتعلا
واستفاق القلب بعد هوى ... جدد الماضي لنه أجلا
كيف ينسى القلب جوهره ... نحن كنا الشوق والقبلا
نحن عشاق ببلا امل ... نحن ليل نجمه أفلا
نظرة تروي جوانحنا ... ليس نبغي بعدها سؤلا
حبنا رمز وتضحية ... اي حب مثله اكتملا
فوق أرض الروح منبته ... عن سمو النفس ما نزلا
عاش في قلبين عشقهما ... كان دوما يولد الاملا
قد تغذى من طهارته ... وارتضى بالوجد كاس طلا
ذاك احساسي ويعرفه ... كل مضنى ، اينما سئلا
لن يحيد القلب غايته ... عنه ، مهما شاء او فعلا

حماه ــ سورية — وليد حجار

... فجاة توقفت سيارة عريضة فخمة طويلة ذات زجاج اخضر .. تحمل رقم هوية اجنبية .. تقيات عبثها حذو الجماعة .. ثلاثة رجال يبدو انهم من اعيان بلدة مجاورة .. رابعهم شاب انسدل شعر طويل على قفاه .. بنهم غريب راح يمتص من غليونه ، ومن وراء زجاج نظارته السوداء وجه نظرات الاحتقار نحو الجالسين ، اتضح فيما بعد انه عائد للتو من بلاد المهجر ، بعد التحية وتقديم التعازي ، انفردوا به ، مربع زواياه رجال اربعة تائمون ، كان هو نقطة الوسط ، قال اكبرهم وافصحهم :

ــ نأسف والحزن يحز نفوسنا ويؤلم اعمق اعماقنا لما حدث ، وهذه مشيئة الله في عباده ولا راد لها .. الا تؤمن بهذا يا سيدي ؟ المؤمن صبور ... جئنا باسم السائق الحاضر معنا .. بل باسم البلدة نطلب منك العفو امام الله اولا ، ولا نطلب منك التنازل عن حقك المادي ، ففي هذا الشأن اتينا نعرض تسوية القضية من خلال هذه الكمية الوفيرة من الاوراق المالية .. خذ .. انها لك وحدك .. على الاقل تخفف من الم .. وعلى المدى البعيد تنسيك هول الحادث ... الله رؤوف بعباده، سيعوضك غيره .

ــ مجرد حادث فقط يا سادة ، ابني ابراهيم كما اعلمني المرضون بالمستشفى حالته تحسنت .. نعم فعلا تحسنت لقد رايته ، كان وجهه منيرا كالبدر .. سأذهب لآتي به بعد ساعة .. سيعود الى مدرسته بمحفظته الجديدة التي ابتعتها له يوم الجمعة الماضي مكافأة له على ترتيبه الممتاز في فصله .. مجرد حادث بسيط .

اقترب احد الجالسين من الرجال الاربعة وخاطبهم بلهجة لا تخلو من عتاب وزجر :

ــ اني مثل هذه الظروف يا سادة، وفي هذا اليوم بالذات تأتون .. اغربوا عن وجوهنا .

قمار ــ الجزائر — خلف بشير



كريستينا سكرجينسكا

يوسف عز الدين شاعرا ومؤرخا

بقلم الكاتبة البولونية : الدكتورة كريستينا سكرجينسكا

ترجمها بتصرف : اندريه دريفنوفسكي

* * *

هذه الدراسة كتبتها باللغة البولونية الدكتورة كريستينا سكرجينسكا بوخينسكا الاستاذة في جامعة وارشو والتي اوقفت حياتها على دراسة الادب العربي والمراة العربية وتبذل جهدها في تعريف الادب العربي وقضايا المجتمع العربي المعاصر وفكره للقارىء البولوني ومن اشهر ما كتبت مشاركة مع رئيس قسم الدراسات الشرقية الاستاذ يوسف بيلافسكي والدكتورة يولانتا ياشينسكا كتاب الادب العربي الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين الذي ظفر بالتقدير والاعجاب وفاز بجائزة علمية قيمة .

ودراستها عن الدكتور يوسف عز الدين الشاعر العراقي الشهير جزء من دراساتها الكثيرة احببت ان اقدمه القارىء العربي ليطلع على مقدار اهتمامنا في بولونيا بالادب العربي والمجتمع المعاصر في دنيا العرب (ا.د) .

شاعرنا من رواد الشعر الوجداني الاصيل المشهورين ولد في بعقوبة في محافظة ديالي في العراق وهو مؤرخ معروف بما اشاد من بناء فكري في صرح الادب العربي الحديث وهو استاذ في جامعة بغداد وعضو في المجمع العلمي العراقي(١) وقد حصل على الدكتوراه من جامعة لندن في تاريخ الفكر العربي السياسي والاجتماعي بعد ان درس في جامعة الاسكندرية . صدرت له عدة دواوين هي : في ضمير الزمن ١٩٥٠(٢) والحان ١٩٥٣(٣) ولهاث الحياة ١٩٦٠(٤) ويبدو لي انه من انصار الشعر العمودي (الكلاسيكي) يمتاز بالاصالة وعندما يترك هذا الشعر ينظم اجمل الموشحات وارق انواع الشعر الحر المتطور .

ان دارس شعره يحس بالشوق العميق والعاطفة الصادقة والحنين الجارف نحو العراق عندما يكون في الغربة ويرسم ذكرياته الحلوة في بعقوبة وبغداد ويحن الى سمر دجلة ولياليها الجميلة . وللشاعر حنين الى النيل وجماله فقد قضى زهرة العمر والشباب في مصر ولم يقف شعره على جزء من اجزاء الوطن العربي انما وزع شعره على الاقطار العربية التي زارها والعالية التي تمتع بجمالها .

وشعره السياسي يمثل المنزلة الثانية بالقياس الى ما طبع من شعره فقد تغنى بالثورة العراقية التي قامت ضد الاستعمار البريطاني ١٩٤١ وآزر كفاح الاقطار العربية ويظهر التزامه في كتاباته النثرية فهو اديب ملتزم بقضايا الوطن العربي والانسانية ، ان شعره الوجداني الرقيق هو الرافد الكبير الذي يسيطر على شعره فقد عبر فيه عن حب عميق وشوق دفين فقد وصف الالم الذي يهز المحب عند فراق الحبيبة ويظهر ساعات البعد الاليمة التي تؤثر في قلب المحبين . وقد امتاز شعره بالصور الانسانية الخالدة والاسلوب الجزل والبناء المتين الذي نجده في شعر العرب الوجداني القديم (عند عمر بن ابي ربيعة وجميل بثينه) وامتاز شعره بالشخصية الواضحة والصور الشعرية ذات الخيال المجنح التي املتها تجاربه الفردية واحساسه الانساني الكبير من ذلك :

قف حبيبي قبل ان تذهب عني
لحظة حتى اراك
اشبع العينين من دل وفن
واطيل النظر المحموم في آيات حسن
قف حبيبي
روضتي انعشتها بالامل
منذ رشفاها جنون القبل
عذبة مثل الاماني
ورقيقات الحنان
لا تذرني راشفا في السأم المضني الكئيب
وحوالي احاسيسي الجريحه
مطرقات في حناياي الذبيحه
قبل ان تذهب عني
قف حبيبي(٥)

ومن القصائد العاطفية العميقة الصادقة الاحاسيس الرقيقة المشاعر قصيدته (ليست الذكرى سرابا) نجد فيها

رائد الهوى

قالت اتهواني ؟.. فقلت.. وبي جوى ... حبني مداه يفوق ابعاد الخيال
واحب فيك .. سماحة .. ووداعة ... وانوثة عذراء .. زانتها الخصال
قالت : اذن صفه .. بقول رائع ... يروي فؤادي ... لا يجاريه مثال
لأعب من اجوائه راح الهوى ... واعيش فيه الحب سلسالا حلال
يا حلوتي ما تطلبين منا له ... ـ ان كان صدقا ـ امره امر محال
راح الهوى .. في صفحة .. او قبلة ... والضم والتقبيل شيء لا يقال

حلب ـ ص.ب ٥٦١٧ — انور عدي

الصياغة الجميلة والعبارة المتينة والخيال الواسع ويحس القارىء بالم الشاعر ينساب الى روحه واحزانه تدخل الى قلبه ، ويرى صورها الجميلة حية كثيرة الحركة في مثل قوله (جفلت جيوش الالم) و (الليل المسعور الرؤى) الذي يبكي على اجزاء الشاعر وفي (ملل سوط العذاب) وفي (زفرة المرتاع الحشا الذي يرمي به القدر للحياة) وهي من الشعر الانساني الذي رسم صورا خالدة :

زفـــرة مكبوتـــة اتانهـــا ... جـن منهـا شوق قلب مضرم
ثـــورة مكبوتـــة في اضلعـي ... جفلـت منهـا جيـوش الالـم
ايهـا الليـل الـذي اسهرني ... امنـح القلـب لذيـذ الحلـم
وارو لـي ايامي اللاتي مضت ... وات بالطيـف الحبيب الحالـم
واستمع نجـوى فؤاد مدنـف ... هو سر الوجد في القلب الظمى
ورأيت الليـل مسعور الـرؤى ... وعلـى شكواي يبكـي بالـدم
يا حبيبي ليست الذكرى سراب ... انمـا الذكرى النباع وانتحاب
فاتئـد يـا هاجري في مهجـة ... مـل من تعليلها سوط العذاب
يـا حبيبي اوتدري مـا بنـا ... ان اشجـان الهـوى تستعـر
وسرى الآمـال يسري بدمـي ... فمتـى يرسو الفـؤاد الحائـر
انـني زفـرة مرتـاع الحشا ... قـد رماتـي للحيـاة القـدر
فارحلـي يـا حبيبـي ظلمـة ... ليس يجلـو الليـل الا القمـر
يـا حبيبـي امنح الصب رضا ... فبذكر الحـب يحلـو السهـر
فيـك قـد غنيت انغـام الهوى ... فبكـى اللحـن ونـاح الوتـر

وقد اسهم الدكتور يوسف عز الدين مساهمة علمية كبيرة في تاريخ الادب العربي الحديث فهو بالاضافة الى انه شاعر عراقي معروف فله في مجالات النقد والبحث العلمي الجاد باع طويل وفكر عميق ونظرة اصيلة فهو الذي شاد صرحا في تاريخ الادب العربي الحديث بمؤلفاته ورعاها نبتة صغيرة حتى اصبحت شجرة سامقة الذرى بما الفه وحاضر عن الادب في الاقطار العربية والاجنبية . ان كتبه وبحوثه ودراساته في تاريخ الادب العربي في العراق خير معين للدارس واصفى منهل للعالم فبالاضافة الى التذوق الفكري والامتياز الادبي تنفـرد بالدقة العلمية والسلامة الفكرية والتتبع الواسع والاستقراء الصائب ومن كتبه :

١ ـ الشعر العراقي في القـرن التاسع عشر ، خصائصه واهدافه وقد طبع ثلاث طبعات .

٢ ـ الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية وطبع اربع طبعات .

٣ ـ في الادب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية نشر في بغداد وبيروت والقاهرة .

٤ ـ الزواية في العراق تطورها واثر الفكر فيها(٦) .

هذا هو شاعرنا ومؤرخنا باختصار شديد وتركيز مكثف ارجو ان تتاح لنا فرصة اخرى لدراسته دراسة موسعة جديرة بمركزه العلمي ومكانته الشعرية واثره في الفكر العربي الحديث .

---

(١) ـ وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق وعضو المجمع العلمي في الهند .

(٢) ـ طبع مرة اخرى في القاهرة سنة ١٩٧٠.

(٣) ـ اعيد طبعه سنة ١٩٧١

(٤) ـ اعيد طبع الديوان من الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٧

(٥) ـ ترجمت الاستاذة القصيدة كلها واكتفيت بجزء منها وهي منشورة في نهاية الحياة ص ٧١

(٦) ـ للدكتور يوسف عز الدين عـدة كتب اخرى منها ديوانه (من رحلة الحياة) الذي سجل فيها ترجمة حياته ومن كتبه العلمية القصة في العراق ودأود باشا ونهاية المماليك في العراق وفهمي المدرس من رواد الفكر الحديث وخيري الهنداوي حياته وديوان شعره وابراهيم صالح شكر وجذور النثر في العراق والاشتراكية والقومية واثرهما في الادب الحديث وقلب على سفر (رواية) وقضايا من الفكر العربي اضافة الى ما حقق وكتب بالانكليزية .

وارشه ـ بولونيا — اندريه دريفنوفسكي